رواية

جمهورية التنين

ر. ف. كوانج

R.F KUANG

THE DRAGON REPUBLIC





ترجمة : كاميليا

جمهورية التنين

(الجزء الثاني من ثلاثية حرب الخشخاش)



ر. ف. كوانج

تواصل "رين" رحلتها بعد مذبحة "سنفارد" ودمار العاصمة، وتدخل عالمًا بلا قوانين، تسكنه خيانات الحلفاء وأشباح الماضي التي تلاحقها.

في "جمهورية التنين"، تتابع ر. ف. كوانج رسم عالم من فانتازيا عسكرية أسيوية الطابع، يفيض بالدماء والسحر والقرارات التي لا رجعة فيها. وسط تحالفات متصدعة، وأعداء لا يرحمون، تجد "رين" نفسها عالقة في حرب لا تشبه الحروب التي خاضتها من قبل، كل خطوة تقرّبها من الحقيقة، لكنها تجرّها أيضاً نحو هاوية لا قرار لها.

"جمهورية التنين" ليست فقط رواية عن الحرب، بل عن الجراح التي لا تلتئم، والعدالة المفقودة، والثمن الباهظ لكل انتصار.



9 789921 712957



info@daralkhan.com

جمهورية التنين

DRAGON REPUBLIC



للمزيد من الترجمات

t.me/wadistreambooks



ترجمة / كاميليا

ر.ف كوانج

R.F. KUANG

جمهوريةُ التنين

DRAGON REPUBLIC



المناطق النائية
صحراء بقرة
منافذ الفيدرالية التجارية
مقاطعة هورس
فيدرالية موغين
بحر نورين
سلسلة جبال متنوزي
سيثفارد
سد الخوارق الأربعة
هضبة سكاريجون
مقاطعة دوغ
مقاطعة رام
بحيرة بويانغ
خورداليت
مقاطعة أركس
مقاطعة تيغر
مقاطعة سينك
خليج أومونود
مقاطعة هير
مقاطعة منكي
مقاطعة بور
جولين نيس
مقاطعة روستر
مقاطعة دراغون
الخيلوم



سينغارد

سلسلة جبال مادوزي

سد
المضائق
الأربعة

مقاطعة
الكبش





بارايا

بحيرة
بايانغ



الجرذ



شاشيانغ

بحيرة الشرق

مقاطعة النمر



نهر موروي الغربي



مقاطعة الأرنب

بلدة رادان

سلسلة جبال تشينلينغ



مقاطعة الخنزير



غولين
نيس

نهر موروي الجنوبي

سلسلة جبال دابا



أرلونغ



مقاطعة التنين

تمهيد

أرلونغ، قبل ثماني سنوات

توسّل مينغزا قائلاً:

— «هيّا، أرجوك، أريد أن أرى».

أطبق نزهة على معصم أخيه الممتلئ وسحبه بعيداً عن المياه الضحلة، وقال بحزم:

— «ليس مسموحاً لنا بتجاوز أوراق الزنبق».

قال مينغزا متذمراً:

— «لكن ألا ترغب في المعرفة؟».

تردد نزهة؛ فقد نازعته هو الآخر رغبة عارمة في استكشاف ما يربض داخل تلك الكهوف عند منعطف النهر. لطالما كانت مغارات «نهر المنعطفات التسعة» لغزاً غامضاً لأطفال آل يين منذ ولادتهم. لقد نشأوا على وقع التحذيرات من شرور مظلمة كامنة تغفو خلف فوهات الكهوف، ومن وحوش تتربص في الداخل، تتلهف لابتلاع الأطفال الحمقى الذين تتعثر خطاهم نحو فكوكها.

كان ذلك وحده كافياً لإغراء أطفال عائلة يين، الذين جُبلوا جميعاً على حب المغامرة حد التهور. لكنهم سمعوا أيضاً شائعات عن كنوز عظيمة؛ عن أكوام من اللؤلؤ واليشم والذهب تقبع تحت الماء. ذات مرة، أخبر معلم الكلاسيكيات نزهة أن كل قطعة مجوهرات تُفقد في الماء ينتهي بها المطاف حتماً في تلك المغارات النهرية. وأحياناً، في الأيام الصافية، كان يخيل لنزهة وهو ينظر من نافذة غرفته أنه يلمح بريق الشمس ينعكس على معدن متلألئ عند مداخل الكهوف.

لقد تاق لسنوات لاستكشاف تلك الكهوف، واليوم بدا يوماً مثالياً لذلك، فالجميع مشغولون للغاية لدرجة تمنعهم من الانتباه. لكن مسؤوليته كانت

حماية مينغزا. لم يؤتمن من قبل قط على مراقبة أخيه بمفرده؛ إذ كان يعتبر صغيراً جداً على ذلك حتى اليوم.

لكن هذا الأسبوع، كان الأب في العاصمة، وجينزا في الأكاديمية، وموزا مسافراً في الخارج عند «الأبراج الرمادية» في هيسبيريا، بينما كان بقية القصر في حالة من الفوضى والذعر بسبب مرض الأم المفاجئ، لدرجة أن الخدم دفعوا بمينغزا على عجل بين ذراعي نزهة وأمروهما بالابتعاد عن المشاكل. وأراد نزهة أن يثبت أنه أهل للمهمة.

صاح فجأة:

— «مينغزا!».

كان شقيقه قد تسلل عائداً نحو المياه الضحلة. تمتم نزهة بلعنة وانطلق مسرعاً في الماء خلفه. كيف يمكن لطفل في السادسة أن يتحرك بهذه السرعة؟

توسل مينغزا حين أمسك به نزهة من خصره:

— «هيّا».

رد نزهة:

— «لا نستطيع، سنقع في ورطة».

التف مينغزا داخل قبضة نزهة ورمقه بابتسامة ماكرة:

— «أمي طريحة الفراش طوال الأسبوع ولن تكتشف الأمر. أنا لن أخبر أحداً، والخدم لن يخبروا أحداً. هل ستخبر أنت أحد؟».

قال نزهة:

— «أنت شيطان صغير».

أشرق وجه مينغزا بالأمل وهو ينظر إليه:

— «أريد فقط رؤية المدخل. لا يتوجب علينا الدخول. أرجوك؟».

لان نزهة أخيراً وقال:

— «سنذهب فقط حول المنعطف. يمكننا النظر إلى فوهات الكهوف من مسافة بعيدة، ثم سنعود أدراجنا، هل تفهم؟».

صاح مينغزا بابتهاج وضرب الماء بقدميه مندفعاً، وتبعه نزهة منحنياً ليمسك يد أخيه.

لم يكن أحد قادراً يوماً على رفض طلب لمينغزا. ومن ذا الذي يقوى على ذلك؟ لقد كان طفلاً ممتلئ الجسم، سعيداً، كرةً تتقافز من الضحكات والبهجة، وكنز القصر المطلق. كان الأب يعشقه، وكان جينزا وموزا يلعبان معه كلما رغب، ولم يخبرا أحداً قط أن يغرب عن وجهيهما كما كان جينزا يفعل كثيراً مع نزهة.

وكانت الأم تغدق عليه دلالاً يفوق الجميع، ربما لأن ولديها الآخرين قُدّر لهما أن يكونا جنديين، بينما كان بمقدورها الاحتفاظ بمينغزا لنفسها وحدها. كانت تلبسه حرائر مطرزة بعناية، وتزينه بتمائم الحظ المصنوعة من الذهب واليشم بكثرة، حتى أن مينغزا كان يصدر رنيناً أينما سار، مثقلاً بعبء الحظ السعيد. وكان خدم القصر يمزحون قائلين إنهم يستطيعون دائماً سماع مينغزا قبل رؤيته. أراد نزهة أن يوقف مينغزا الآن لينزع عنه مجوهراته، قلقاً من أن تسحبه إلى الأسفل تحت الأمواج التي كانت تصل بالفعل إلى صدره، لكن مينغزا اندفع للأمام وكأنه بلا وزن.

قال نزهة:

— «سنتوقف هنا».

كانا قد اقتربا من المغارات أكثر مما فعلا طوال حياتهما. بدت فوهات الكهوف مظلمة للغاية من الداخل، لدرجة أن نزهة لم يستطع رؤية أكثر من قدمين وراء المداخل، لكن جدرانها بدت ناعمة بشكل بديع، تتلألأ بمليون لون مختلف مثل حراشف الأسماك.

أشار مينغزا إلى شيء في الماء وصاح:

— «انظر، إنه رداء أبي».

عبس نزهة متسائلاً:

— «ما الذي يفعله رداء أبي في قاع النهر؟».

ومع ذلك، كان الثوب الثقيل الممدد ونصفه مدفون في الرمال يعود بلا شك لـ يين فايسرا. استطاع نزهة رؤية شعار التنين المطرز بخيوط الفضة على القماش المصبوغ بذلك الأزرق السماوي الغني الذي لم يكن يُسمح بارتدائه إلا لأفراد بيت يين.

أشار مينغزا إلى أقرب مغارة وقال:

— «لقد خرج من هناك».

تسلل رعب بارد لا تفسير له عبر عروق نزهة، فقال:

— «مينغزا، ابتعد عن هناك».

خاض مينغزا العنيد والجريء في الماء مقترباً من الكهف وسأل:

— «لماذا؟».

بدأ سطح الماء يتموج.

مد نزهة يده لسحب أخيه للخلف صائحاً:

— «مينغزا، انتظر...».

فجأة، انفجر شيء هائل خارجاً من الماء.

لمح نزهة شكلاً مظلماً ضخماً، شيئاً مفتول العضلات وملتفاً كالأفعى، قبل أن ترتفع موجة عاتية فوقه وتضربه بعنف، مغرقةً وجهه في الماء.

ما كان للنهر أن يكون عميقاً. كان الماء يصل فقط إلى خصر نزهة وكتفي مينغزا، وكان يزداد ضحالة كلما اقتربا من المغارة. لكن عندما فتح نزهة عينيه تحت الماء، بدا السطح بعيداً كأنه على بعد أميال، وبدا قاع المغارة شاسعاً كقصر أرلونغ نفسه.

رأى ضوءاً أخضر شاحباً يشع من أرضية المغارة. ورأى وجوهاً، جميلة لكنها بلا عيون. وجوه بشرية مغروسة في الرمال والشعاب المرجانية، وفسيفساء لا نهائية مرصعة بالعملات الفضية، ومزهريات الخزف، وسبائك الذهب؛ مرقد من الكنوز يمتد ويمتد داخل المغارة بقدر ما يصل الضوء.

رأى ومضة حركة، خيالاً مظلماً عكس الضوء، اختفى بالسرعة التي ظهر بها.

كان هناك خطب ما في الماء هنا. شيء ما قام بمط أبعاده وتغييرها. ما كان ينبغي أن يكون ضحلاً ومشرقاً أصبح عميقاً؛ عميقاً ومظلماً وهادئاً بشكل مروع ومنوم.

عبر هذا الصمت، سمع نزهة الصوت الخافت لصراخ أخيه.

ركل بقدميه بشكل محموم نحو السطح الذي بدا بعيداً أميالاً.

وعندما بزغ أخيراً من الماء، كانت المياه الضحلة مجرد مياه ضحلة مرة أخرى.

مسح نزهة مياه النهر عن عينيه وهو يلهث:

— «مينغزا؟».

كان أخوه قد اختفى. ولطخت خطوط قرمزية مياه النهر. كانت بعض تلك الخطوط عبارة عن كتل صلبة متكتلة. وعرف نزهة ما تكون.

همس مجدداً:

— «مينغزا؟».

عَمَّ الهدوء المياه. ترنح نزهة ساقطاً على ركبتيه وتقيأ. واختلط قيئه بالماء الملطخ بالدماء.

سمع رنيناً معدنياً يرتطم بالصخور.

نظر إلى الأسفل فرأى خلخالاً ذهبياً.

ثم رأى شكلاً مظلماً يرتفع أمام المغارات، وسمع صوتاً جاء من العدم وهز عظامه من الأعماق:

— «مرحباً يا صغيري».

صرخ نزهة.

الجزء الأول

الفصل الأول

مع تباشير الفجر، شقت سفينة بيترل عباب الضباب المتلوي لتدخل ميناء مدينة أدلاغا. كانت المدينة قد تحطمت تحت وطأة عاصفة من جنود الاتحاد إبان «حرب الخشخاش» الثالثة، ولم يتعافَ أمن الميناء بعد، بل كان شبه معدوم، لا سيما أمام سفينة إمدادات ترفع راية الميليشيا. انسلّت «بيترل» متجاوزة ضباط ميناء أدلاغا دون أدنى عناء، ورست في أقرب نقطة ممكنة من أسوار المدينة.

اتكأت رين على مقدمة السفينة، تحاول جاهدة إخفاء ارتعاش أطرافها وتجاهل الألم النابض في صدغيها. كانت تتوق للأفيون توقاً شديداً، لكنها لا تستطيع الحصول عليه. اليوم، تحتاج عقلها يقظاً. فعالاً. وصحواً.

اصطدمت السفينة بالرصيف. وتجمع أفراد فرقة السيك على السطح العلوي، يراقبون السماء الرمادية بترقب مشوب بالتوتر مع انقضاء الدقائق ببطء.

ضرب رامسا بقدمه على السطح وقال:

— «لقد مرت ساعة».

رد تشاغان:

— «تحلَّ بالصبر».

قال باجي:

— «ربما هرب أونيغن».

قالت رين:

— «لم يهرب. قال إنه يحتاج وقتاً حتى الظهيرة».

علق باجي:

– «سيكون أيضاً أول من ينتهز هذه الفرصة ليتخلص منا».

كان معه حق. فأونيغن، الذي يعد الأكثر جبناً وتوتراً بفارق كبير بين أفراد السيك، كان يتذمر منذ أيام بشأن مهمتهم الوشيكة. كانت رين قد أرسلته طليعةً عبر البر لاستطلاع هدفهم في أدلاغا. لكن موعد اللقاء كان ينقضي بسرعة، ولم يظهر أونيغن بعد.

قالت رين، وقد تشنج وجهها حين أرسل مجهود الكلام وخزات صغيرة عبر قاعدة جمجمتها:

– «لن يجرؤ أونيغن على ذلك. إنه يعلم أنني سأطارده وأسلخ جلده حياً».

تمتم رامسا:

– «ممم. فراء ثعلب. أريد وشاحاً جديداً».

أعادت رين عينيها نحو المدينة. بدت أدلاغا كجثة غريبة لبلدة؛ نصف حية ونصف مدمرة. خرج أحد جانبيها من الحرب سليماً، بينما تعرض الجانب الآخر لقصف شامل لدرجة أنها استطاعت رؤية أساسات المباني تبرز من العشب المسود. بدا الانقسام متساوياً لدرجة أن أنصاف منازل كانت موجودة على الخط الفاصل: جانب مسود ومكشوف، والآخر يترنح ويئن بطريقة ما ضد رياح المحيط، ومع ذلك لا يزال صامداً.

وجدت رين صعوبة في تخيل أن أحداً لا يزال يعيش في هذه البلدة. لو كان الاتحاد قد أتم عمله هنا كما فعل في جولين نيس، لما بقي سوى الجثث.

أخيراً، انبثق غراب من بين الأطلال المسودة. حام حول السفينة مرتين، ثم انقض مباشرة نحو «بيترل» وكأنه حدد هدفاً. رفعت قارا ذراعاً مبطنة في الهواء، فخرج الغراب من انقضاضه ولف مخالبه حول معصمها.

مررت قارا ظهر سبابتها فوق رأس الطائر ونزولاً على عموده الفقري. نفش الغراب ريشه وهي تقرب منقاره من أذنها. مرت عدة ثوانٍ وقفت فيها قارا ساكنة وعيناها مغلقتان، تنصت بتركيز لشيء لم يتمكن البقية من سماعه.

قالت قارا:

– «لقد حدد أونيغن موقع يوانفو. سيكون في قاعة المدينة، بعد ساعتين».

قال باجي لرامسا:

— «أظن أنك لن تحصل على ذلك الوشاح».

سحب تشاغان كيساً من تحت السطح وأفرغ محتوياته على الألواح الخشبية آمراً:

— «ليرتدِ الجميع ملابسهم».

كان رامسا صاحب فكرة التنكر في زي ميليشيا مسروق. كانت الأزياء الموحدة هي الشيء الوحيد الذي لم تتمكن مواغ من بيعه لهم، لكن العثور عليها لم يكن صعباً. كانت الجثث المتعفنة ملقاة في أكوام فوضوية على جوانب الطرق في كل بلدة ساحلية مهجورة، ولم يتطلب الأمر سوى رحلتين لجمع ما يكفي من الملابس التي لم تحترق أو تتلطخ بالدماء.

اضطرت رين لطي أكمام وسروال زيها؛ فمن الصعب العثور على جثث بحجم ضئيل كحجمها. كبحت رغبتها في التقيؤ وهي تربط حذاءها. كانت قد سحبت القميص عن جسد محشور داخل محرقة جنائزية نصف مشتعلة، ولم تفلح ثلاث غسلات في إخفاء رائحة اللحم المتفحم تحت مياه المحيط المالحة.

أدى لها رامسا، الغارق بشكل مثير للسخرية في زي يفوق حجمه بثلاثة أضعاف، تحية عسكرية وسأل:

— «كيف أبدو؟».

انحنت لتربط حذاءها وقالت:

— «لماذا ترتدي هذا؟».

— «رين، أرجوك...»

قاطعت بحدة:

— «أنت لن تأتي».

— «لكنني أريد أن...»

كررت قولها:

– «أنت لن تأتي».

كان رامسا عبقرياً في الذخائر، لكنه كان أيضاً قصيراً، نحيلاً، وعديم الفائدة تماماً في القتال المباشر. لم تكن لتخسر مهندس البارود الوحيد لديها لأنه لا يعرف كيف يستخدم السيف.

تابعت بتهديد:

– «لا تجبرني على ربطك بالصارية».

تذمر رامسا:

– «بحقك، لقد بقينا على متن هذه السفينة لأسابيع، وأنا مصاب بدوار البحر اللعين لدرجة أن مجرد المشي يجعلني أرغب في التقيؤ...»

قالت رين وهي تشد الحزام عبر الحلقات حول خصرها:

– «تحمّل».

أخرج رامسا حفنة من الصواريخ من جيبه وسأل:

– «هل ستطلقين هذه إذن؟».

رمقته رين نظرة صارمة وقالت:

– «لا أعتقد أنك تفهم أننا لا نحاول تفجير أدلاغا».

– «أوه، لا، أنتم تريدون فقط إسقاط الحكومة المحلية، هذا أفضل بكثير».

قالت رين وهي تمد يدها لتطرق على البرميل الوحيد المستند إلى الصارية:

– «مع الحد الأدنى من الضحايا المدنيين، مما يعني أننا لا نحتاج إلى صواريخك».

ثم نادت:

– «اراتشا، هل ستراقبه؟ تأكد من أنه لن يغادر السفينة».

برز وجه ضبابي، شفاف بشكل بشع، من الماء. كان اراتشا يقضي معظم وقته في الماء، يوجه سفن السيك إلى حيث يحتاجون، وحين لا يكون مشغولاً

باستدعاء إلهه، كان يفضل الراحة في برميله. لم ترَ رين شكله البشري الأصلي قط. لم تكن متأكدة إن كان لديه واحد بعد الآن.

طفت فقاعات من فم اراتشا وهو يتحدث:

— «إذا كان لا بد من ذلك».

تمتم رامسا:

— «حظاً موفقاً. وكأنني لا أستطيع الهرب من برميل لعين».

أمال اراتشا رأسه نحوه وقال:

— «يرجى التذكير بأنني أستطيع إغراقك في ثوانٍ».

فتح رامسا فمه ليرد، لكن تشاغان تحدث مقاطعاً:

— «ليختر كل منكم سلاحه».

تلاطم الفولاذ ببعضه حين أفرغ صندوقاً من أسلحة الميليشيا على السطح. استبدل باجي، وهو يتذمر بصوت عالٍ، مجرفته المميزة ذات الأسنان التسعة بسيف مشاة قياسي. التقط سوني مطرداً إمبراطورياً، لكن رين كانت تعلم أن السلاح للمظهر فقط. كان تخصص سوني تحطيم الرؤوس بيديه اللتين بحجم الدروع. لم يكن بحاجة لأي شيء آخر.

ثبتت رين سيف قرصنة مقوساً على خصرها. لم يكن من معايير الميليشيا، لكن سيوف الميليشيا كانت أثقل من أن تحملها. صاغ لها حدادو مواغ شيئاً أخف وزراً. لم تعتد القبضة بعد، لكنها شكت أيضاً في أن اليوم سينتهي بقتال بالسيوف.

إذا ساءت الأمور لدرجة تطلبت تدخلها، فالأمر سينتهي بالنار.

جالت عينا تشاغان الشاحبتان على أفراد السيك المجتمعين وقال:

— «لنكرر الأمر. هذه عملية استئصال. لدينا هدف واحد. هذا اغتيال، وليس معركة. لن تؤذوا أي مدنيين».

نظر بحدة نحو رين.

عقدت ذراعيها وقالت:

– «أعرف».

– «ولا حتى عن طريق الخطأ».

– «أعرف».

قال باجي:

– «كفاك هراء. منذ متى أصبحت صاحب مبادئ سامية بشأن الضحايا؟».

رد تشاغان:

– «لقد ألحقنا ما يكفي من الأذى بشعبك».

قال باجي:

– «أنت ألحقت ما يكفي من الأذى. أنا لم أكسر تلك السدود».

جفلت قارا عند سماع ذلك، لكن تشاغان تصرف وكأنه لم يسمع كلمة. تابع قائلاً:

– «لقد اكتفينا من إيذاء المدنيين. هل هذا مفهوم؟».

هزت رين كتفيها بلامبالاة. كان تشاغان يحب لعب دور القائد، ونادراً ما كانت هي في حالة تسمح لها بالاهتمام. يمكنه أن يصدر الأوامر كما يحلو له. كل ما كانت تهتم به هو إنجاز هذه المهمة.

ثلاثة أشهر. تسعة وعشرون هدفاً، قُتلوا جميعاً بلا خطأ. رأس واحد آخر في كيس، وبعدها سيبحرون شمالاً لاغتيال هدفهم الأخير والأساسي: الإمبراطورة سو داجي.

شعرت رين بحرارة تزحف صاعدة عنقها عند التفكير في الأمر. أصبحت راحة يديها ساخنة بشكل خطير.

ليس الآن. ليس بعد. أخذت نفساً عميقاً. ثم آخر، أكثر يأساً، حين امتدت الحرارة عبر جذعها فقط.

أطبق باجي يده على كتفها وسأل:

– «هل أنت بخير؟».

زفرت ببطء. أجبرت نفسها على العد التنازلي من عشرة، ثم صعوداً إلى تسعة وأربعين بالأرقام الفردية، ثم نزولاً بالأرقام الأولية. كان ألتان قد علمها

تلك الحيلة، وكانت تنجح في الغالب، على الأقل حين تحرص على ألا تفكر في ألتان وهي تمارسها. انحسرت فورة الحرارة.

قالت:

— «أنا بخير».

سأل باجي:

— «وأنتِ بكامل وعيك؟».

قالت بجمود:

— «نعم».

لم يرفع باجي يده عن كتفها وقال:

— «هل أنتِ متأكدة؟ لأنه...»

قاطعته بحدة:

— «أنا مسيطرة على الوضع. دعنا نذهب لننتزع أحشاء هذا الوغد».

***

قبل ثلاثة أشهر، وبعد أن أبحر السيك لأول مرة من جزيرة سبير، واجهوا معضلة صغيرة.

وهي تحديداً، أنه لم يكن لديهم مكان يذهبون إليه.

كانوا يعلمون أنهم لا يستطيعون العودة إلى البر الرئيسي. أشار رامسا، بذكاء شديد، إلى أنه إذا كانت الإمبراطورة مستعدة لبيع السيك لعلماء الاتحاد، فإنها لن تكون سعيدة برؤيتهم أحياءً وأحراراً. أكدت رحلة إمداد سريعة ومختلسة إلى مدينة ساحلية صغيرة في مقاطعة «الثعبان» شكوكهم. كانت وجوههم جميعاً ملصقة على لوحات الإعلانات في القرية. لقد صُنفوا كمجرمي حرب. ورُصدت مكافآت للقبض عليهم؛ خمسمائة قطعة فضية إمبراطورية للميت، وستمائة للحي.

سرقوا أكبر عدد ممكن من صناديق المؤن وأسرعوا بالخروج من مقاطعة الثعبان قبل أن يراهم أحد.

وبالعودة إلى خليج أومونود، ناقشوا خياراتهم. الشيء الوحيد الذي استطاعوا الاتفاق عليه جميعاً هو حاجتهم لقتل الإمبراطورة سو داجي؛ «الأفعى»، آخر أعضاء «التريفيكتا»، والخائنة التي باعت أمتها للاتحاد.

لكنهم كانوا تسعة أشخاص، ثمانية بدون كيتاي، ضد أقوى امرأة في الإمبراطورية والقوات المجتمعة للميليشيا الإمبراطورية. لم يكن لديهم سوى القليل من الإمدادات، وفقط الأسلحة التي حملوها على ظهورهم، وزورق مسروق متهالك لدرجة أنهم قضوا نصف وقتهم ينزحون الماء من الطوابق السفلية.

لذا أبحروا جنوباً، متجاوزين مقاطعة الثعبان إلى أراضي «الديك»، متتبعين الخط الساحلي حتى وصلوا إلى مدينة أنخيلون الساحلية. وهناك دخلوا في خدمة ملكة القراصنة مواغ.

لم تقابل رين قط شخصاً تحترمه بقدر احترامها لمواغ؛ «العاهرة الحجرية»، «الأرملة الكاذبة»، والحاكمة القاسية لأنخيلون. كانت محظية تحولت لقرصانة، وانتقلت من سيدة مجتمع إلى ملكة حين قتلت زوجها، وكانت تدير أنخيلون كجيب غير قانوني للتجارة الخارجية لسنوات. اشتبكت مع التريفيكتا خلال حرب الخشخاش الثانية، وظلت تصد كشافة الإمبراطورة منذ ذلك الحين.

كانت أكثر من سعيدة لمساعدة السيك في تخليصها من داجي إلى الأبد.

في المقابل، طالبت بثلاثين رأساً. وقد أحضر لها السيك تسعة وعشرين بالفعل. كان معظمهم من المهربين الصغار، والقباطنة، والمرتزقة. كان تدفق الدخل الأساسي لمواغ يأتي من واردات الأفيون المهربة، وكانت تحب إبقاء عينها على تجار الأفيون الذين لا يلعبون وفق قواعدها، أو على الأقل لا يملؤون جيوبها.

الهدف الثلاثون سيكون أصعب. اليوم، اعتزمت رين والسيك إسقاط الحكومة المحلية في أدلاغا.

كانت مواغ تحاول اختراق سوق أدلاغا لسنوات. المدينة الساحلية الصغيرة لم تكن تقدم الكثير، لكن مدنييها، والعديد منهم لديهم إدمان باقٍ للمواد الأفيونية منذ أيام احتلال الاتحاد، كانوا سينفقون مدخرات حياتهم بسعادة على واردات أنخيلون. صمدت أدلاغا أمام تجارة الأفيون العدوانية لمواغ طوال العقدين الماضيين فقط بسبب قاضي المدينة اليقظ بشكل خاص، يانغ يوانفو، وإدارته.

أرادت مواغ قتل يانغ يوانفو. وكان السيك متخصصين في الاغتيال. إذن كانوا متوافقين.

ثلاثة أشهر. تسعة وعشرون رأساً. مجرد مهمة واحدة أخرى وسيحصلون على الفضة، والسفن، وما يكفي من الجنود لتشتيت الحرس الإمبراطوري لفترة تكفي رين لتزحف نحو داجي وتلف أصابع مشتعلة حول حنجرتها.

***

إذا قلنا أن أمن الميناء كان متساهلاً، فإن الدفاع عن الأسوار كان معدوماً. مر السيك عبر أسوار أدلاغا بلا أي اعتراض، وهو أمر لم يكن صعباً، بالنظر إلى أن الاتحاد قد فجر ثغرات هائلة على طول الحدود ولم يكن أي منها محروساً.

قابلهم أونيغن خلف البوابات.

قال وهو يرشدهم إلى الزقاق:

— «لقد اخترنا يوماً جيداً للقتل. يوانفو من المقرر أن يكون في ساحة المدينة عند الظهيرة لاحتفال بذكرى الحرب. سيكون في وضح النهار، ويمكننا قنصه من الأزقة دون إظهار وجوهنا».

على عكس اراتشا، كان أونيغن يفضل هيئته البشرية حين لا يستدعي قوى التحول لروح الثعلب. لكن رين كانت دائماً تشعر بشيء ثعلبي واضح في الطريقة التي يتصرف بها. كان أونيغن ماكراً وسريع الفزع في آن واحد؛ عيناه الضيقتان كانتا تتحركان دائماً من جانب لآخر، تتبعان كل مسارات هروبه المحتملة.

سألت رين:

– «إذن ما لدينا هو، ساعتان؟».

قال:

– «أكثر قليلاً. هناك مستودع على بعد بضع كتل سكنية من هنا فارغ إلى حد ما. يمكننا الاختباء للانتظار فيه. ثم، آه، نتفرق بسهولة تامة إذا ساءت الأمور».

التفتت رين نحو السيك، تفكر.

قررت قائلة:

– «سنتخذ زوايا الساحة حين يظهر يوانفو. سوني في الجنوب الغربي. باجي في الشمال الغربي، وأنا سآخذ الشمال الشرقي».

سأل باجي:

– «تمويه وتشتيت؟».

– «لا».

عادة ما كانت عمليات التشتيت فكرة رائعة، وكانت رين تحب تكليف سوني بإحداث أكبر قدر ممكن من الفوضى بينما تندفع هي أو باجي لنحر عنق هدفهم، لكن خلال احتفال عام، كان الخطر على المدنيين كبيراً جداً.

تابعت:

– «سندع قارا تطلق الطلقة الأولى. والبقية منا يخلون طريقاً للعودة إلى السفينة إذا أبدوا مقاومة».

سأل سوني:

– «هل ما زلنا نحاول التظاهر بأننا مرتزقة عاديون؟».

قالت رين:

– «قد يكون ذلك أفضل».

لقد قاموا بعمل جيد حتى الآن في إخفاء مدى قدراتهم، أو على الأقل إسكات أي شخص قد ينشر الشائعات. لم تكن داجي تعلم أن السيك قادمون لها. وكلما طال اعتقادها بأنهم ماتوا، كان ذلك أفضل.

— «نحن نتعامل مع خصم أفضل من المعتاد، لذا افعلوا ما يلزم. في نهاية اليوم، نريد رأساً في كيس».

أخذت نفساً وأدارت الخطة مرة أخرى في عقلها، تفكر.

سينجح هذا. سيكون الأمر على ما يرام.

كان وضع الاستراتيجيات مع السيك أشبه بلعب الشطرنج ولديها عدة قطع قوية بشكل هائل، وغير متوقعة، وغريبة الأطوار. اراتشا يأمر المياه. سوني وباجي هائجون، قادرون على سحق كتائب كاملة دون بذل جهد. أونيغن يستطيع التحول إلى ثعلب. قارا لا تتواصل مع الطيور فحسب، بل يمكنها قنص عين طاووس من مسافة مئة متر. وتشاغان... لم تكن متأكدة تماماً مما يفعله تشاغان، بخلاف إثارة غضبها في كل منعطف ممكن، لكنه بدا قادراً على جعل الناس يفقدون عقولهم.

كل هؤلاء مجتمعين ضد مسؤول بلدة واحد وحراسه بدا أمراً مبالغاً فيه.

لكن يانغ يوانفو كان معتاداً على محاولات الاغتيال. كان عليك أن تكون كذلك، إذا كنت واحداً من المسؤولين القلائل غير الفاسدين المتبقين في الإمبراطورية. كان يحمي نفسه بكتيبة من أكثر الرجال تمرساً في القتال في المقاطعة أينما ذهب.

عرفت رين، بناءً على تقارير مواغ، أن يانغ يوانفو نجا من ثلاث عشرة محاولة اغتيال على الأقل على مدى الخمسة عشر عاماً الماضية. كان حراسه معتادين جيداً على الغدر. ولتجاوزهم، كنت تحتاج إلى مقاتلين ذوي قدرات غير طبيعية. كنت بحاجة إلى قوة مبالغ فيها.

***

بمجرد دخولهم المستودع، لم يكن لدى السيك شيء يفعلونه سوى الانتظار. بقي أونيغن يراقب عبر شقوق الجدار، يرتعش باستمرار. جلس تشاغان وقارا وظهراهما للجدار، صامتين. وقف سوني وباجي مترهلين، ذراعاهما معقودتان بلا مبالاة وكأنهما ينتظران عشاءهما وحسب.

جابت رين الغرفة جيئة وذهاباً، تركز على تنفسها وتحاول تجاهل وخزات الألم في صدغيها.

أحصت ثلاثين ساعة منذ تعاطيها أي أفيون. كانت تلك أطول مدة قضتها بدونه منذ أسابيع. فركت يديها معاً وهي تمشي، تحاول إجبار الارتعاش على الزوال.

لم يساعد ذلك. ولم يوقف الصداع أيضاً.

تباً.

في البداية ظنت أنها تحتاج الأفيون فقط للحزن. ظنت أنها ستدخنه من أجل الراحة، حتى تتبلد ذكريات سبير وألتان لتصبح وجعاً خافتاً، حتى تتمكن من العمل دون الشعور بالذنب الخانق لما فعلته.

ظنت أن "الذنب" يجب أن تكون الكلمة المناسبة. الشعور غير العقلاني، لا المفهوم الأخلاقي. لأنها أخبرت نفسها أنها ليست آسفة، وأن الموغينيين استحقوا ما حصلوا عليه وأنها لن تنظر للوراء أبداً.

إلا أن الذاكرة لاحت كهاوية فاغرة في عقلها حيث ألقت فيها كل شعور إنساني هددها.

لكن الهاوية ظلت تناديها لتنظر داخلها. لتسقط فيها.

و«العنقاء» لم يرغب في أن يدعها تنسى. أراد العنقاء منها أن تتفاخر بذلك. كان العنقاء يقتات على الغضب، والغضب مرتبط بشكل معقد بالماضي. لذا احتاج العنقاء أن ينبش الجروح المفتوحة في عقلها ويشعل النار فيها، يوماً بعد يوم، لأن ذلك يمنحها الذكريات وتلك الذكريات تغذي الغضب.

بدون الأفيون، كانت الرؤى تومض باستمرار في عين عقل رين، غالباً أكثر وضوحاً من واقعها المحيط.

أحياناً كانت تلك الرؤى لألتان. وفي مرات أكثر لم تكن كذلك. كان العنقاء قناة لأجيال من الذكريات. آلاف مؤلفة من "السبيريين" صلوا للإله في حزنهم ويأسهم. وقد جمع الإله معاناتهم، وحزنها، وحولها إلى نيران.

كانت الذكريات أيضاً هادئة بشكل مخادع. أحياناً رأت رين أطفالاً ذوي بشرة بنية يركضون صعوداً ونزولاً على شاطئ أبيض بكر. رأت نيراناً تشتعل أعلى الشاطئ، ليست محارق جنائزية، ولا نيران دمار، بل نيران مخيمات. نيران مواقد، دافئة ومعيلة للحياة.

وأحياناً رأت السبيريين، عدداً يكفي لملء قرية مزدهرة. كانت تذهل دائماً من كثرتهم، عرق كامل من البشر خشيت أحياناً أنها حلمت بهم فقط. إذا مكث العنقاء طويلاً، كان بإمكان رين حتى التقاط شظايا محادثات بلغة تكاد تفهمها، ورؤية لمحات من وجوه تكاد تعرفها.

لم يكونوا الوحوش الضارية في أساطير "نيكان". لم يكونوا المحاربين فاقدي العقل الذين احتاجهم الإمبراطور الأحمر أن يكونوهم وأجبرهم كل نظام لاحق أن يكونوهم. لقد أحبوا وضحكوا وبكوا حول نيرانهم. كانوا بشراً.

لكن في كل مرة، وقبل أن تتمكن رين من الغرق في ذكرى تراث لا تملكه، كانت ترى في الأفق المتلاشي قوارب تبحر قادمة من القاعدة البحرية للاتحاد على البر الرئيسي.

ما حدث للسبيريين بعد ذلك كان ضباباً من الألوان، وجهات نظر متراكمة تبدلت بسرعة أكبر من أن تتابعها رين. صيحات، صرخات، حركة. صفوف وصفوف من السبيريين مصطفين على الشاطئ، الأسلحة في أيديهم.

لكن ذلك لم يكن كافياً أبداً. بالنسبة للاتحاد، لا بد أنهم بدوا همجاً، يستخدمون العصي لمحاربة الآلهة، وأضاءت انفجارات المدافع القرية بسرعة كما لو أن أحداً قرب مشعلاً من حطب جاف.

أطلقت كريات الغاز من السفن البرجية بأصوات فرقعة بريئة بشكل مريع. وحيث ضربت الأرض، نفثت سحباً ضخمة وكثيفة من دخان أصفر لاذع.

سقطت النساء. اختلج الأطفال. تحطمت صفوف المحاربين. لم يقتل الغاز فوراً؛ مخترعوه لم يكونوا بهذا اللطف.

ثم بدأت المذبحة. أطلق الاتحاد النار باستمرار وبشكل عشوائي. كانت أقواس الموغينيين قادرة على إطلاق ثلاثة سهام في وقت واحد، مطلقة وابلاً لا يتوقف من المعدن الذي مزق الأعناق، الجماجم، الأطراف، والقلوب.

رسم الدم المُراق أنماطاً رخامية على الرمال البيضاء. سكنت الجثث حيث سقطت. وعند الفجر، سار جنرالات الاتحاد إلى الشاطئ، تدوس أحذيتهم بلا مبالاة فوق الأجساد المسحوقة، متقدمين ليغرسوا علمهم في الرمال الملطخة بالدماء.

***

قال باجي:

– «لدينا مشكلة».

عادت رين إلى انتباهها فجأة:

– «ماذا؟».

– «ألقي نظرة».

سمعت صوتاً مفاجئاً لرنين أجراس، صوت سعيد، في غير محله تماماً في هذه المدينة المدمرة. ضغطت وجهها على فجوة في ألواح المستودع. كان تنين قماشي يتمايل صعوداً وهبوطاً عبر الحشد، محمولاً على أعمدة خيام بواسطة راقصين في الأسفل. تبعهم راقصون يلوحون بلافتات وشرائط، مصحوبين بموسيقيين ومسؤولين حكوميين محمولين على كراسي هودج حمراء زاهية. وخلفهم كان الحشد.

قالت رين:

– «قلت إنه احتفال صغير. وليس موكباً لعيناً».

أصر أونيغن:

– «كان هادئاً قبل ساعة واحدة فقط».

حدق باجي عبر الشقوق وقال:

– «والآن تحتشد البلدة بأكملها في تلك الساحة. هل ما زلنا نلتزم بقاعدة "لا ضحايا مدنيين"؟».

قال تشاغان قبل أن تتمكن رين من الإجابة:

— «نعم».

قال باجي:

— «أنت شخص ممل».

قال تشاغان:

— «الحشود تجعل الاغتيالات المستهدفة أسهل. إنها فرصة أفضل للاقتراب. نفذ ضربتك دون أن تُرصد، ثم انسحب قبل أن يكون لدى حراسه الوقت لرد الفعل».

فتحت رين فمها لتقول *«لا يزال هذا يعني الكثير من الشهود»*، لكن تشنجات أعراض الانسحاب ضربتها أولاً. مزقت موجة من الألم عضلاتها؛ بدأت في أحشائها وانفجرت للخارج، مفاجئة لدرجة أن العالم تحول للحظة إلى السواد، وكل ما استطاعت فعله هو التشبث بصدرها، تلهث.

سأل باجي:

— «هل أنتِ بخير؟».

ارتفعت موجة من العصارة الصفراء في حلقها قبل أن تتمكن من الرد. تقيأت. ثم عصفت موجة ثانية من الغثيان بأحشائها. ثم ثالثة.

وضع باجي يداً على كتفها:

— «رين؟».

أصرت لما بدا وكأنه المرة الألف:

— «أنا بخير».

لم تكن بخير. كان رأسها ينبض مرة أخرى، وهذه المرة كان الألم مصحوباً بغثيان استولى على قفصها الصدري ولم يتركها حتى انثنت على ركبتيها، تئن.

تناثر القيء على الأرض.

قال تشاغان:

— «تغيير في الخطط. رين، عودي إلى السفينة».

مسحت فمها وقالت:

— «لا».

— «أنا أخبرك أنك لست في حالة تجعلك مفيدة».

قالت:

— «وأنا قائدتك. لذا اصمت وافعل ما أقول».

ضاقت عينا تشاغان. وساد الصمت المستودع.

كانت رين تصارع تشاغان للسيطرة على السيك منذ شهور. كان يشكك في قراراتها عند كل منعطف؛ وكان ينتهز كل فرصة ليوضح بجلاء أنه يعتقد أن ألتان اتخذ قراراً غبياً بتعيينها قائدة.

وعرفت رين، للإنصاف، أنه كان محقاً.

كانت مريعة في القيادة. معظم خطط هجومها على مدى الأشهر الثلاثة الماضية تمحورت حول «ليهاجم الجميع في آن واحد ولنرَ إن كنا سنخرج بسلام على الجانب الآخر».

لكن بغض النظر عن القدرة على القيادة، كان عليها أن تكون هنا. كان عليها أن تنهي أمر أدلاغا. منذ غادروا سبير، كانت أعراض انسحابها تزداد سوءاً يوماً بعد يوم. كانت تعمل بشكل مقبول خلال مهامهم القليلة الأولى لمواغ. ثم تسبب القتل المستمر، والصرخات، وذكريات ساحة المعركة في إطلاق غضبها مراراً وتكراراً حتى أصبحت تقضي ساعات من يومها منتشية أكثر مما تقضيها واعية، وحتى عندما تكون واعية كانت تشعر وكأنها لا تزال تترنح على حافة الجنون لأن العنقاء اللعين لم يكن يصمت أبداً.

احتاجت أن تسحب نفسها بعيداً عن الهاوية. إذا لم تستطع القيام بهذه المهمة الأساسية البسيطة؛ لم تستطع قتل مجرد مسؤول بلدة ليس حتى شاماناً، فلن تكون قادرة بالكاد على الوقوف في وجه الإمبراطورة.

ولا يمكنها أن تخسر فرصتها في الانتقام. الانتقام كان الشيء الوحيد الذي تملكه.

قال تشاغان:

— «لا تعرضي هذه المهمة للخطر».
ردت:
— «لا تتعامل معي بفوقية».
تنهد تشاغان والتفت إلى أونيغن:
— «هل يمكنك مراقبتها؟ سأعطيك صبغة أفيون».
قال أونيغن:
— «ظننت أنه من المفترض بي العودة إلى السفينة».
— «تغيير في الخطط».
— «حسناً».
هز أونيغن كتفيه بتشنج:
— «إذا كان لا بد من ذلك».
قالت رين:
— «بحقك. أنا لا أحتاج لجليسة أطفال إذا كان هذا ما تعنيه».
أمر تشاغان متجاهلاً إياها:
— «ستنتظرين في زاوية الحشد. لن تفارقي جانب أونيغن. ستعملان كليكما كتعزيزات، وفي حال فشل ذلك، ستكونان الملاذ الأخير».
عبست وقالت:
— «تشاغان...»
كرر:
— «الملاذ الأخير. لقد قتلتِ ما يكفي من الأبرياء».

***

حانت الساعة. وتفرق السيك، مندفعين خارج المستودع للانضمام إلى الحشد المتحرك واحداً تلو الآخر.

اندست رين وأونيغن في حشود أدلاغا بسهولة كافية. كانت الشوارع الرئيسية مكتظة بالمدنيين، كلهم غارقون في مآسيهم الخاصة، وجاءت ضوضاء

ومشاهد كثيرة من جميع الاتجاهات لدرجة أن رين، غير المتأكدة إلى أين تنظر، لم تستطع إلا أن تشعر بحالة مستمرة من الذعر الخفيف.

أغرق مزيج متنافر بشدة من الأجراس وطبول الحرب صوت موسيقى العود القادم من مقدمة الموكب. كان التجار ينادون على بضائعهم كلما انعطفوا زاوية، يصرخون بالأسعار بنوع من الإلحاح الذي كانت تربطه بتحذيرات الإخلاء. وتناثرت القصاصات الحمراء الاحتفالية في الشوارع، يرميها الأطفال والمهرجون بحفنات، تساقط ثلجي من رقاقات الورق الأحمر غطى كل سطح.

تمتمت رين:

– «من أين لهم الأموال لهذا؟ لقد تركهم الاتحاد يتضورون جوعاً».

خمن أونيغن:

– «معونة من سينغارد. أموال احتفال نهاية الحرب. تبقيهم سعداء، وتبقيهم موالين».

كانت رين ترى الطعام أينما نظرت. مكعبات ضخمة من البطيخ على أعواد. كعك الفاصوليا الحمراء. أكشاك تبيع فطائر الحساء تقطر بصلصة الصويا وتارت بذور اللوتس اصطفت في الشوارع. قلب التجار كعك البيض بحركات بارعة، وكانت فرقعة الزيت في أي ظروف أخرى لتجعلها جائعة، لكن الآن جعلت الروائح النفاذة معدتها تتقلب فقط.

بدا الأمر غير عادل ومستحيلاً في آن واحد أن تكون هناك مثل هذه الوفرة من الطعام. قبل أيام فقط أبحروا بمحاذاة أناس كانوا يغرقون أطفالهم في طين النهر لأن ذلك كان موتاً أسرع وأكثر رحمة من تركهم يتضورون جوعاً ببطء.

إذا جاء كل هذا من سينغارد، فهذا يعني أن البيروقراطية الإمبراطورية كانت تملك مخازن طعام كهذه طوال الوقت. لماذا حجبوها أثناء الحرب؟

إذا كان سكان أدلاغا يطرحون نفس السؤال، فإنهم لم يظهروه. بدا الجميع سعداء جداً. الوجوه مسترخية في ارتياح بسيط لأن الحرب انتهت، والإمبراطورية انتصرت، وهم آمنون.

وهذا جعل رين تستشيط غضباً.

لطالما واجهت مشكلة مع الغضب، كانت تعرف ذلك. في سينغارد كانت تتصرف باستمرار في نوبات غضب اندفاعية وتتعامل مع العواقب لاحقاً. لكن الغضب الآن كان دائماً، حنقاً لا يوصف فُرض عليها ولم تستطع احتواءه ولا السيطرة عليه.

لكنها أيضاً لم ترد إيقافه. كان الغضب درعاً. ساعدها الغضب على عدم تذكر ما فعلته. لأنه طالما كانت غاضبة، فالأمر بخير؛ لقد تصرفت في حدود المعقول. كانت خائفة من أنها إذا توقفت عن الغضب، فقد تتشقق وتنهار.

حاولت تشتيت نفسها بمسح الحشد بحثاً عن يانغ يوانفو وحراسه. حاولت التركيز على المهمة التي بين يديها.

إلهها لم يسمح لها.

شجعها العنقاء: *اقتليهم. إنهم لا يستحقون سعادتهم. هم لم يقاتلوا.*

باغتتها رؤية مفاجئة للسوق وهو يشتعل. هزت رأسها بشكل محموم، تحاول حجب صوت العنقاء.

— «لا، توقف...»

اجعليهم يحترقون.

اشتعلت الحرارة في باطن كفيها. وتلوت أحشاؤها. *لا.. ليس هنا، ليس الآن.*

أغمضت عينيها بشدة.

حوليهم إلى رماد.

بدأ نبض قلبها يتسارع؛ ضاقت رؤيتها إلى نقطة صغيرة ثم توسعت مرة أخرى. شعرت بالحمى. بدا الحشد فجأة مليئاً بالأعداء. في لحظة كان الجميع جنوداً من الاتحاد بزي أزرق، يحملون السلاح؛ وفي لحظة أخرى عادوا مدنيين مرة أخرى. أخذت نفساً عميقاً خانقاً، تحاول إجبار الهواء على دخول رئتيها، وعيناها مغلقتان بقوة بينما حاولت إرغام الضباب الأحمر على الرحيل مرة أخرى.

هذه المرة رفض الرحيل.

الضحك، الموسيقى، الوجوه المبتسمة الواقفة حولها، كل ذلك جعلها ترغب في الصراخ.

كيف يجرؤون على الحياة بينما ألتان ميت؟ بدا من الظلم المروع أن تستمر الحياة وأن يحتفل هؤلاء الناس بحرب لم يكسبوها بأنفسهم، ولم يعانوا لأجلها...

اشتدت الحرارة في يديها.

أمسكها أونيغن من كتفها وقال:

— «ظننت أنك تسيطرين على نفسك».

قفزت واستدارت.

— «أنا كذلك!». همست بفحيح. كان الصوت عالياً جداً. تراجع الناس حولها مبتعدين.

سحبها أونيغن نحو حافة الحشد، إلى أمان الظلال تحت أطلال أدلاغا.

— «أنتِ تجذبين الانتباه».

— «أنا بخَير، أونيغن، فقط اتركني...»

لم يفعل.

— «تحتاجين أن تهدئي».

— «أعرف...»

— «لا. أعني أن تبقي هادئة بعد أن تري هذا».

أومأ برأسه فوق كتفها.

— «إنها هنا».

التفتت رين.

وهناك، جلست الإمبراطورة، محمولة كالعروس على هودج من الحرير الأحمر.

الفصل الثاني

آخر مرة التقت فيها بالإمبراطورة سو داجي، كانت رين تحترق بالحمى، تهذي بشدة لدرجة أنها لم ترَ سوى وجه داجي؛ جميلاً، وساحراً للعين، ببشرة كالخزف وعينين كجناحي عثة.

كانت الإمبراطورة آسرة كما كانت دائماً. كل من عرفتهم رين خرجوا من الغزو الموغيني وهم يبدون أكبر بعقد من الزمان، منهكين ومثقلين بالندوب، لكن الإمبراطورة كانت شاحبة، خالدة، وخالية من العلامات كما كانت دوماً، وكأنها موجودة في مستوى متعالٍ لا يمسه البشر.

تسارعت أنفاس رين.

لم يكن من المفترض أن تكون داجي هنا.

لم يكن من المفترض أن يحدث الأمر هكذا.

ومضت صور لجسد داجي عبر عقلها. رأس مهشم على الرخام الأبيض. عنق شاحب مشقوق. جسد متفحم حتى العدم، لكنها لم تكن لتحترق فوراً. أرادت رين أن تفعل ذلك ببطء، أرادت أن تتلذذ به.

ارتفع هتاف بطيء عبر الحشد.

أطلت الإمبراطورة عبر الستائر ورفعت يداً ناصعة البياض كادت تتلألأ تحت ضوء الشمس. ابتسمت.

ونادت:

— «لقد انتصرنا. لقد نجونا».

تأجج الغضب داخل رين، كثيفاً لدرجة أنها كادت تختنق به. شعرت وكأن جسدها مغطى بلسعات نمل لا تستطيع حكها؛ نوع من الإحباط يغلي بداخلها، يتوسل إليها فقط لتسمح له بالانفجار.

كيف يمكن للإمبراطورة أن تكون حية؟ أغضبها التناقض الصارخ، حقيقة أن ألتان والمعلم إيرجاه والكثير غيرهم قد ماتوا بينما بدت داجي وكأنها لم تُجرح قط. كانت رئيسة لأمة نزفت الملايين في غزو عبثي، غزو دعته هي بنفسها، وبدت وكأنها وصلت لتوها إلى مأدبة.

اندفعت رين للأمام.

سحبها أونيغن فوراً للخلف صائحاً:

– «ماذا تفعلين؟».

انتزعت رين ذراعيها من قبضته وقالت:

– «ماذا تظن؟ سأنال منها. اذهب واجمع الآخرين، سأحتاج لدعم...»

– «هل جننت؟»

– «إنها هناك تماماً! لن نحصل أبداً على فرصة جيدة كهذه مرة أخرى!».

– «إذن دعي قارا تفعلها».

همست رين بفحيح:

– «ليس لدى قارا زاوية تصويب واضحة».

كان موقع قارا في أبراج الجرس المدمرة مرتفعاً للغاية. لم تكن لتستطيع تمرير سهم؛ لا عبر نوافذ العربة، ولا عبر هذا الحشد. داخل الهودج، كانت داجي محمية من جميع الجهات؛ والطلقات من الأمام سيحجبها الحراس الواقفون أمامها مباشرة.

وكانت رين أكثر قلقاً من أن قارا لن تطلق النار. لا بد أنها رأت الإمبراطورة الآن، لكنها قد تخاف من إطلاق النار على حشد من المدنيين، أو من كشف موقع السيك قبل أن يحصل أي منهم على زاوية تصويب واضحة. ربما قررت قارا أن تكون حكيمة.

لم تهتم رين بالحكمة. لقد أهداها الكون هذه الفرصة. ويمكنها إنهاء كل هذا في دقائق.

ضغط العنقاء على وعيها، متلهفاً ونافد الصبر. *تعالي الآن، يا صغيرة... دعيني...*

غرزت أظافرها في باطن كفيها. *ليس بعد.*

فصلتها مسافة كبيرة جداً عن الإمبراطورة. إذا اشتعلت الآن، فكل من في الساحة سيموت.

تمنت بشدة لو كان لديها سيطرة أفضل على النار. أو أي سيطرة على الإطلاق. لكن العنقاء كان نقيض السيطرة. أراد العنقاء حريقاً هادراً وفوضوياً، يلتهم كل شيء حولها بقدر ما تراه العين.

وعندما كانت تستدعي الإله، لم تكن تستطيع التمييز بين رغبتها ورغبة العنقاء؛ رغبته، ورغبتها، كانتا دافعاً للموت يطلب المزيد لتغذية ناره.

حاولت التفكير في شيء آخر، أي شيء غير الغضب والانتقام. لكن عندما نظرت إلى الإمبراطورة، كل ما رأته كان النيران.

نظرت داجي لأعلى. والتقت عيناها بعيني رين. رفعت يداً ولوحت.

تجمدت رين. لم تستطع تحويل بصرها. تحولت عينا داجي إلى نوافذ، وتحولت النوافذ إلى ذكريات، وتحولت الذكريات إلى دخان، ونار، وجثث، وعظام، وشعرت رين بنفسها تسقط، تسقط في محيط أسود حيث كل ما استطاعت رؤيته هو ألتان كمنارة بشرية يشعل نفسه على رصيف الميناء.

تقوست شفتا داجي في ابتسامة قاسية.

ثم انطلقت المفرقعات خلف رين دون سابق إنذار (بوب ـ بوب ـ بوب)، وكاد قلب رين يقفز من صدرها.

فجأة كانت تصرخ، ويداها مضغوطتان على أذنيها بينما ارتجف جسدها بالكامل.

همس أونيغن وهو يسحب معصميها بعيداً عن رأسها:

– «إنها ألعاب نارية! مجرد ألعاب نارية».

لكن ذلك لم يعنِ شيئاً؛ كانت تعلم أنها ألعاب نارية، لكن تلك كانت فكرة عقلانية، والأفكار العقلانية لم تكن مهمة عندما تغمض عينيها وترى مع كل دويّ صوت انفجارات تندلع خلف جفونها، أطرافاً تتخبط، وأطفالاً يصرخون...

رأت رجلاً يتدلى من ألواح أرضية مبنى تمزق إرباً، يحاول التشبث بأصابع زلقة بألواح خشبية مائلة لكي لا يسقط في رماح الخشب المشتعلة بالأسفل. رأت رجالاً ونساءً ملتصقين بالجدران، مغطين بمسحوق أبيض خافت لدرجة أنها قد تظنهم تماثيل لولا أنها رأت الظل الداكن للدم يحيط بهم...

أناس كثر. كانت محاصرة بأناس كثر. هوت على ركبتيها، ووجهها مدفون في يديها. آخر مرة كانت فيها داخل حشد من الناس كهذا كانوا يهربون في تدافع من رعب المدينة الداخلية لـ خوردالين... رفعت عينيها وجالت ببصرها حولها، تبحث عن طرق للهروب، ولم تجد شيئاً، فقط جدراناً لا تنتهي من الأجساد المتراصة.

كثير جداً. مشاهد كثيرة، المعلومات... انهار عقلها على نفسه؛ انبعثت دفقات وومضات من النار من كتفيها وانفجرت في الهواء فوقها، مما جعلها ترتجف بشدة أكبر.

ولا يزال هناك الكثير من الناس، كانوا محشورين معاً، كتلة هائجة من الأذرع الممدودة، كيان بلا اسم وبلا وجه أراد تمزيقها إرباً...

آلاف، مئات الآلاف، وأنتِ محوتِ وجودهم، أحرقتِهم في أسرّتهم...

صرخ أونيغن:

– «رين، توقفي!».

لم يكن الأمر مهماً رغم ذلك. كان الحشد قد شكل دائرة واسعة حولها. سحبت الأمهات أطفالهن للخلف. وأشار المحاربون القدامى وهتفوا بدهشة.

نظرت للأسفل. كان الدخان يتصاعد من كل جزء منها.

اختفى هودج داجي. لقد هُربت إلى بر الأمان، بلا شك؛ كان وجود رين منارة تحذير ساطعة. اندفع صف من الحرس الإمبراطوري عبر الشارع المزدحم نحوهم، دروعهم مرفوعة، ورماحهم مصوبة مباشرة نحو رين.

قال أونيغن:

— «أوه، تباً».

تراجعت رين بغير اتزان، وكفاها ممدودتان أمامها وكأنهما تخصان شخصاً غريباً. أصابع شخص آخر تقدح ناراً. إرادة شخص آخر تجر العنقاء إلى هذا العالم.

احرقيهم.

نبضت النار بداخلها. استطاعت الشعور بالعروق تتوتر خلف عينيها. أرسل الضغط وخزات صغيرة من الألم خلف رأسها، وجعل رؤيتها تنفجر وتفرقع.

اقتليهم.

صرخ قائد الحرس بأمر ما. واقتحمتها الميليشيا. عندها عملت غرائزها الدفاعية، وفقدت كل سيطرة على نفسها. سمعت صمتاً يصم الآذان في عقلها، ثم ضجيجاً عالياً وحاداً، قهقهة منتصرة لإله عرف أنه قد فاز.

***

عندما نظرت أخيراً إلى أونيغن لم ترَ رجلاً، رأت جثة متفحمة، هيكلاً عظمياً أبيض يلمع فوق لحم يتساقط؛ رأته يتحلل إلى رماد في ثوانٍ وذهلت من مدى نظافة ذلك الرماد؛ أفضل بكثير من الفوضى المعقدة من العظام واللحم التي كان عليها...

— «توقفي!».

لم تسمع صرخة، بل توسلاً باكياً. لجزء من الثانية ومض وجه أونيغن عبر الرماد.

كانت تقتله. عرفت أنها تقتله، ولم تستطع التوقف.

لم تستطع حتى تحريك أطرافها. وقفت ساكنة، والنار تهدر خارجة من أطرافها، تثبتها في مكانها وكأنها حُبست في الحجر.

قال العنقاء: *احرقيه.*

– «لا، توقف...»

هذا ما تريدينه.

لم يكن ما أرادته. لكنه لم يتوقف. لماذا قد تتضمن هبة العنقاء أي ذرة من السيطرة؟ كانت شهية تزداد قوة فقط؛ النار التهمت وأرادت أن تلتهم المزيد، ومايرنين تيرزا حذرتها من هذا ذات مرة لكنها لم تستمع والآن أونيغن سيموت...

أطبق شيء ثقيل على فمها. تذوقت طعم صبغة الأفيون. سميك، وحلو، ومقزز. تصارع الذعر والارتياح في رأسها وهي تختنق وتقاوم، لكن تشاغان ضغط القماش المبلل بقوة أكبر على وجهها بينما كان صدرها يعلو ويهبط.

ترنحت الأرض تحت قدميها. وأطلقت صرخة مكتومة.

أمرها تشاغان:

– «تنفسي. اصمتي. فقط تنفسي».

اختنقت بالرائحة المقرفة والمألوفة؛ إنكي صنع هذا لها مرات عديدة. جاهدت لكي لا تقاوم؛ قمعت غرائزها الطبيعية... هي من أمرتهم بفعل هذا، كان من المفترض أن يحدث هذا.

لم يجعل ذلك الأمر أسهل للتقبل.

خارت ساقاها تحتها. وتهدلت كتفاها. وغابت عن الوعي مستندة إلى جانب تشاغان.

سحبها لتقف، ولف ذراعها حول كتفه، وساعدها تجاه السلالم. تصاعد الدخان في طريقهم؛ لم تؤثر الحرارة على رين، لكنها استطاعت رؤية شعر تشاغان يتجعد، وينكمش مسوداً عند الأطراف.

تمتم تحت أنفاسه:

– «تباً».

همهمت بتثاقل:

— «أين أونيغن؟».

— «إنه بخير، سيكون بخير...»

أرادت الإصرار على رؤيته، لكن لسانها شعر بثقل شديد عن صياغة الكلمات. تهاوت ركبتاها تماماً، لكنها لم تشعر بنفسها تسقط. شق المهدّئ طريقه عبر مجرى دمها، وأصبح العالم مكاناً خفيفاً وهوائياً، عالم جنيات. سمعت شخصاً يصرخ. وشعرت بشخص يرفعها ويضعها في قاع زورق «السامبان».

تمكنت من إلقاء نظرة أخيرة فوق كتفها.

في الأفق، كانت بلدة الميناء بأكملها مضاءة كمنارة؛ مصابيح أضيئت على كل سطح، وأجراس وإشارات دخان تصعد في الهواء المتوهج.

كل حارس إمبراطوري كان بإمكانه رؤية ذلك التحذير.

كانت رين قد تعلمت شفرات الميليشيا القياسية. وعرفت ما تعنيه تلك الإشارات. لقد أعلنوا عن مطاردة لخونة العرش.

قال تشاغان:

— «تهانينا. لقد جلبتِ الميليشيا بأكملها خلفنا».

— «ماذا سنفعل بـ...»

تدلى لسانها ثقيلاً في فمها. لقد فقدت القدرة على تشكيل الكلمات.

وضع يداً على كتفها ودفعها:

— «ابقي منخفضة».

تدحرجت بلا رشاقة إلى الفراغ تحت المقاعد. فتحت عينيها واسعتين لترى القاعدة الخشبية للقارب على بعد بوصات من أنفها، قريبة جداً لدرجة أنها استطاعت عد الحبيبات. دارت الخطوط على طول الخشب لتتحول إلى صور حبرية، مالت نحوها، ثم اتخذ الحبر ألواناً وأصبح عالماً من الأحمر والأسود والبرتقالي.

انفتحت الهاوية. كان ذلك الوقت الوحيد الذي يمكنها فيه ذلك؛ عندما تكون منتشية وغائبة عن الوعي، فاقدة للسيطرة لدرجة تمنعها من الابتعاد عن الشيء الوحيد الذي رفضت السماح لنفسها بالتفكير فيه.

كانت تحلق فوق جزيرة القوس الطويل، كانت تشاهد جبل النار يثور، جداول من الحمم المنصهرة تتدفق فوق القمة، تندفع في قنوات نحو المدن بالأسفل.

رأت الأرواح تُسحق، وتُحرق وتُسوّى بالأرض وتتحول إلى دخان في لحظة. وكان الأمر سهلاً جداً، كإطفاء شمعة، كسحق عثة تحت إصبعها؛ أرادته وحدث؛ لقد شاءته كإله.

وطالما تذكرته من وجهة النظر تلك، المنفصلة، ومن علو الطائر، لم تشعر بأي ذنب. شعرت بفضول بعيد نوعاً ما، وكأنها أشعلت النار في تل نمل، وكأنها خوزقت خنفساء على طرف سكين.

لم يكن هناك ذنب في قتل الحشرات، فقط الفضول الطفولي الجميل لرؤيتها تتلوى في سكرات موتها.

لم تكن هذه ذكرى أو رؤية؛ كان هذا وهماً استحضرته لنفسها، الوهم الذي تعود إليه في كل مرة تفقد فيها السيطرة ويقومون بتخديرها.

أرادت رؤيته، احتاجت أن ترقص على حافة هذه الذكرى التي لا تملكها، تتنقل بين اللامبالاة الباردة الشبيهة ببرود الآلهة لقاتل، وبين الذنب المؤلم للفعلة. لعبت بذنبها كما يمسك طفل كفه فوق لهب شمعة، يجرؤ على الاقتراب بما يكفي فقط للشعور بلسعات الألم الواخزة.

كان جلداً عقلياً للذات، ما يعادل غرس مسمار في قرحة مفتوحة. عرفت الجواب، بالطبع، لكنها لم تستطع الاعتراف به لأي أحد؛ أنها في اللحظة التي أغرقت فيها الجزيرة، اللحظة التي أصبحت فيها قاتلة، كانت قد أرادت ذلك.

— «هل هي بخير؟» صوت رامسا. «لماذا هي تضحك؟».

صوت تشاغان:

— «ستكون بخير».

نعم، أرادت رين أن تصرخ، نعم، هي بخير؛ فقط تحلم، فقط عالقة بين هذا العالم والعالم الاخر، فقط مفتونة بأوهام ما فعلته. تدحرجت في قاع السامبان وقهقهت حتى تحول الضحك إلى نحيب عالٍ وخشن، ثم بكت حتى لم تعد تستطيع الرؤية.

الفصل الثالث

– «استيقظي».

قرص أحدهم ذراعها بقوة. انتفضت رين معتدلة في جلستها. امتدت يدها اليمنى إلى حزام لم يكن موجوداً بحثاً عن سكين كان في الغرفة الأخرى، وضربت يدها اليسرى في حركة عشوائية جانباً لتصطدم بـ...

صرخ تشاغان:

– «تباً!».

ركزت بصرها بصعوبة على وجهه. تراجع للخلف، رافعاً يديه أمامها ليبين أنه لا يحمل سلاحاً، بل مجرد منشفة.

تحركت أصابع رين بشكل محموم فوق عنقها ومعصميها. كانت تعلم أنها غير مقيدة، كانت تعلم، لكن كان عليها التحقق مع ذلك.

فرك تشاغان بأسى خده الذي بدأ يزرق بسرعة.

لم تعتذر رين عن ضربه. كان يعرف أفضل من ذلك. جميعهم يعرفون أفضل من ذلك. كانوا يعرفون ألا يلمسوها دون استئذان. وألا يقتربوا منها من الخلف. وألا يقوموا بحركات أو أصوات مفاجئة حولها إلا إذا أرادوا أن ينتهي بهم الأمر كأعواد فحم تطفو في قاع خليج أومونود.

سألت وهي تشعر بالغثيان:

– «كم لبثتُ غائبة عن الوعي؟».

كان طعم فمها وكأن شيئاً قد مات فيه؛ ولسانها جافاً كما لو أنها قضت ساعات تلعق لوحاً خشبياً.

أجاب تشاغان:

– «يومين. أحسنتِ الخروج من السرير».

— «يومين؟»

هز كتفيه:

— «أخطأتُ في الجرعة، على ما أعتقد. على الأقل لم تقتلك».

فركت رين عينيها الجافتين. تساقطت قطع من المخاط المتصلب عن جانبي عينيها في كتل. التقطت لمحة لوجهها في مرآة جانب سريرها. لم يكن بؤبؤاها أحمرين، فهما يأخذان وقتاً ليعودا لطبيعتهما كلما تعاطت أي نوع من الأفيون، لكن بياض عينيها كان محتقناً بالدم، مليئاً بعروق غاضبة وسميكة تمتد كشبكات العنكبوت.

تسللت الذكريات ببطء إلى مقدمة عقلها، تشق طريقها عبر ضباب صبغة الأفيون لترتب نفسها. أغمضت عينيها بشدة، تحاول فصل ما حدث عما حلمت به. تجمع شعور بالغثيان في أحشائها بينما تشكلت أفكارها ببطء إلى أسئلة.

— «أين أونيغن...؟»

قال تشاغان بنبرة مقتضبة لم تحمل أي تعاطف:

— «لقد أحرقتِ أكثر من نصف جسده. كدتِ تقتلينه. لم نتمكن من إحضاره معنا، لذا بقي إنكي خلفنا للاعتناء به. وهما، آه، لن يعودا».

رمشت رين عدة مرات، تحاول جعل العالم حولها أقل ضبابية. دار رأسها، مما أفقدها توازنها بشكل مريع كلما تحركت.

— «ماذا؟ لماذا؟»

— «لأنهما غادرا السيك».

استغرق الأمر عدة ثوانٍ لاستيعاب ذلك.

— «لكن... لكن لا يمكنهما». تصاعد الذعر في صدرها، كثيفاً وخانقاً. كان إنكي طبيبهم الوحيد، وأونيغن أفضل جواسيسهم. بدونهم تقلص السيك إلى ستة.

لن تستطيع قتل الإمبراطورة بستة أشخاص.

قال تشاغان:

– «لا يمكنك لومهما حقاً».

– «لكنهما أقسما!».

– «لقد أقسما لـ تير. وكانا قد أقسما لـ ألتان. ليس لديهما أي التزام تجاه شخص غير كفؤ مثلك».

أمال تشاغان رأسه وتابع:

– «أفترض أنني لست بحاجة لإخبارك أن داجي هربت».

رمقته رين بنظرة حادة:

– «ظننت أنك في صفي».

– «قلت إنني سأساعدك في قتل سو داجي. لم أقل إنني سأمسك بيدك بينما تهددين حياة كل شخص على هذه السفينة».

– «لكن الآخرين...» تملكها خوف مفاجئ. «هم لا يزالون معي، أليس كذلك؟ إنهم مخلصون؟».

قال:

– «لا علاقة للأمر بالولاء. إنهم مرعوبون».

– «مني؟»

– «لا يمكنكِ حقاً أن تري أبعد من نفسك، أليس كذلك؟». ارتفعت شفة تشاغان بازدراء. «إنهم مرعوبون من أنفسهم. إنها وحدة موحشة للغاية أن تكون شاماناً في هذه الإمبراطورية، خاصة عندما لا تعرف متى ستفقد عقلك».

– «أعرف. أنا أفهم ذلك».

– «أنتِ لا تفهمين شيئاً. إنهم ليسوا خائفين من الجنون. إنهم يعرفون أنهم سيجنون. يعرفون أنهم قريباً سيصبحون مثل فايلين. سجناء داخل أجسادهم. وعندما يأتي ذلك اليوم، يريدون أن يكونوا حول الأشخاص الوحيدين الذين يمكنهم وضع حد لذلك. لهذا السبب لا يزالون هنا».

السيك يُعدِمون السيك، قال لها ألتان ذات مرة. *السيك يعتني بأفراده.*

عنى ذلك أنهم يدافعون عن بعضهم البعض. وعنى أيضاً أنهم يحمون العالم من بعضهم البعض. كان السيك كأطفال يلعبون الأكروبات، يتوازنون بشكل خطير ضد بعضهم البعض، معتمدين على البقية لمنعهم من الاندفاع إلى الهاوية.

قال تشاغان:

– «واجبك كقائدة هو حمايتهم. هم معك لأنهم خائفون، ولا يعرفون أين يمكنهم الذهاب غير هنا. لكنك تعرضينهم للخطر بكل قرار غبي تتخذينه وبافتقارك التام للسيطرة».

أنّت رين، ممسكة برأسها بين يديها. كانت كل كلمة كالسكين في طبلتي أذنيها. عرفت أنها أفسدت الأمر، لكن تشاغان بدا وكأنه يتلذذ بشكل مفرط بفرك الملح في الجرح.

– «فقط اتركني وشأني».

– «لا. اخرجي من السرير وتوقفي عن التصرف كطفلة مدللة».

– «تشاغان، أرجوك...»

– «أنتِ في حالة يرثى لها».

– «أعرف ذلك».

– «نعم، لقد عرفتِ ذلك منذ سبير، لكنك لا تتحسنين، بل تزدادين سوءاً. تحاولين إصلاح كل شيء بالأفيون وهو يدمرك».

همست:

– «أعرف. أنا فقط... إنه موجود دائماً، إنه يصرخ في عقلي...»

– «إذاً سيطري عليه».

– «لا أستطيع».

– «ولمَ لا؟». أصدر صوتاً مشمئزاً. «ألتان فعل».

– «لكنني لست ألتان». لم تستطع حبس دموعها. «أهذا ما أردت قوله لي؟ لست قوية مثله، لست ذكية مثله، لا أستطيع فعل ما كان يفعله...»

ضحك بقسوة:

— «أوه، هذا واضح جداً».

— «تولَّ القيادة أنت إذن. أنت تتصرف وكأنك المسؤول بالفعل، لمَ لا تأخذ المنصب وحسب؟ أنا لا أهتم».

قال ببساطة:

— «لأن ألتان هو من عيّنك قائدة. وأنا ـ على عكسك ـ أعرف كيف أحترم إرثه».

أسكتها ذلك.

انحنى للأمام وقال:

— «هذا العبء يقع عليك. لذا ستتعلمين السيطرة على نفسك، وستبدئين بحمايتهم».

سألت:

— «ولكن ماذا لو لم يكن ذلك ممكناً؟».

لم ترمش عيناه الشاحبتان:

— «بصراحة؟ حينها يجب أن تقتلي نفسك».

لم يكن لدى رين أدنى فكرة كيف ترد على ذلك.

قال تشاغان:

— «إذا كنت تظنين أنك لا تستطيعين هزيمته، فيجب أن تموتي. لأنه سيبدأ بأكلك من الداخل. سيحول جسدك إلى قناة، وسيحرق كل شيء حتى لا يقتصر الأمر على المدنيين، ولا أونيغن فقط، بل كل من حولك، كل شيء أحببته أو اهتممت به يوماً. وبمجرد أن تحولي عالمك إلى رماد، ستتمنين لو كان بإمكانك الموت».

***

وجدت الآخرين في قاعة الطعام حين استعادت أخيراً التناسق الجسدي لتشق طريقها عبر الممر دون أن تتعثر.

— «ما هذا؟». بصق رامسا شيئاً على الطاولة. «فضلات طيور؟».

قال باجي:

— «توت غوجي. ألا يعجبك في العصيدة؟».

— «عليه عفن».

— «كل شيء عليه عفن».

تذمر رامسا:

— «لكنني ظننت أننا سنحصل على إمدادات جديدة».

سأل سوني:

— «بأي مال؟».

صاح رامسا:

— «نحن السيك! كان بإمكاننا سرقة شيء ما!».

— «حسناً، الأمر ليس وكأن...» توقف باجي حين رأى رين واقفة في المدخل. تتبع رامسا وسوني نظره. وساد الصمت.

حدقت فيهم، عاجزة تماماً عن الكلام. ظنت أنها تعرف ما ستقوله لهم. الآن أرادت فقط البكاء.

قال رامسا أخيراً:

— «أشرقت الأنوار». ركل كرسياً نحوها. «جائعة؟ تبدين مريعة».

رمشت نحوه. خرجت كلماتها همساً مبحوحاً:

— «أردت فقط أن أقول...»

قال باجي:

— «لا تفعلي».

— «لكنني فقط...»

— «لا تفعلي». كرر باجي. «أعرف أنه صعب. ستفهمين الأمر في النهاية. ألتان فعل».

أومأ سوني موافقاً بصمت.

ازدادت رغبة رين في البكاء قوة.

قال رامسا بلطف:

– «اجلسي. كلي شيئاً».

جرت قدميها إلى المنضدة وحاولت بخرق ملء وعاء. انسكبت العصيدة من المغرفة على السطح. مشت نحو الطاولة، لكن الأرض ظلت تميد تحت قدميها. تهاوت على الكرسي، تتنفس بصعوبة.

لم يعلق أحد.

ألقت نظرة عبر الكوة. كانوا يتحركون بسرعة مذهلة فوق مياه متلاطمة. لم يكن خط الساحل في الأفق. تدحرجت موجة تحت الألواح، وكبتت فورة الغثيان المصاحبة.

سألت بعد برهة صمت:

– «هل نلنا من يانغ يوانفو على الأقل؟».

أومأ باجي:

– «قضى عليه سوني أثناء الجلبة. هشم رأسه بالجدار وألقى بجثته في المحيط بينما كان حراسه مشغولين جداً بـ داجي عن صدنا. أعتقد أن تكتيك التشتيت نجح في النهاية. كنا سنخبرك، لكنك كنتِ، آه، عاجزة».

أضاف رامسا:

– «منتشية وغائبة عن الوعي. تقهقهين للأرض».

قالت رين:

– «فهمت. ونحن عائدون إلى أنخيلون الآن؟».

– «بأسرع ما يمكننا. الحرس الإمبراطوري بأكمله يطاردنا، لكنني أشك أنهم سيتبعوننا إلى منطقة مواغ».

تمتمت رين:

– «هذا منطقي».

حركت ملعقتها في العصيدة. كان رامسا محقاً بشأن العفن. البقع الخضراء المسودة كانت كبيرة لدرجة جعلت الشيء كله غير صالح للأكل تقريباً. تقلبت معدتها. دفعت الوعاء بعيداً.

جلس الآخرون حول الطاولة، يتململون، يرمشون، ويتواصلون بصرياً مع كل شيء ما عداها.

قالت:

— «سمعت أن إنكي وأونيغن غادرا».

قوبلت العبارة بتحديق فارغ وهزات أكتاف.

أخذت نفساً عميقاً.

— «لذا أفترض... ما أردت قوله هو...»

قاطعها باجي قبل أن تتمكن من المتابعة:

— «نحن لن نذهب لأي مكان. لن نتركك».

— «لكنكم...»

— «أنا لا أحب أن يُكذب عليّ. وأكره بشكل خاص أن أُباع. داجي ستنال ما تستحقه. سأكمل هذا الأمر حتى النهاية، أيتها السبيرية الصغيرة. لا داعي للقلق بشأن هروبي».

جالت رين بنظرها حول الطاولة:

— «إذن ماذا عن بقيتكم؟».

قال سوني ببساطة، وكأن ذلك يكفي:

— «ألتان استحق أفضل مما ناله».

التفتت رين إلى رامسا وقالت:

— «لكن لا يجب عليك البقاء هنا».

رامسا الشاب، البريء، الضئيل، اللامع، والخطير. أرادت التأكد من بقائه معها، وعرفت أنه سيكون من الأنانية أن تطلب ذلك.

— «أعني، لا ينبغي لك».

كشط رامسا قاع وعائه. بدا غير مهتم تماماً بالمحادثة.

— «أعتقد أن الذهاب لأي مكان آخر سيصبح مملاً بعض الشيء».

— «لكنك مجرد طفل».

— «اغربِي عن وجهي». نبش فمه بخنصره، يزيل شيئاً عالقاً خلف ضرسه الخلفي. «عليك أن تفهمي أننا قتلة. نقضي حياتنا نفعل شيئاً واحداً، ما يجعل من الصعب جداً التوقف».

قال باجي:

— «ذلك، وخيارنا الآخر الوحيد هو سجن باغرا».

أومأ رامسا:

— «كرهت باغرا».

تذكرت رين أن أياً من السيك لم يكن له سجل جيد مع تطبيق القانون في نيكان. أو مع المجتمع المتحضر، في هذا الصدد.

جاء اراتشا من قرية صغيرة في مقاطعة الثعبان حيث عبد القرويون إله نهر محلياً زعموا أنه يحميهم من الفيضانات. اراتشا، المبتدئ في طائفة إله النهر، أصبح أول شامان منذ أجيال ينجح في فعل ما ادعى أسلافه فعله. أغرق فتاتين صغيرتين عن طريق الخطأ في العملية. كان على وشك الرجم حتى الموت من قبل القرويين أنفسهم الذين مجدوا معلميه المحتالين حين جنده تير، القائد السابق للسيك، إلى القلعة الليلية.

وجاء رامسا من عائلة خيميائيين أنتجت البارود للميليشيا حتى قتل انفجار عرضي قرب القصر والديه، وكلفه إحدى عينيه، وألقى به في سجن باغرا سيئ السمعة بتهمة التآمر لاغتيال الإمبراطورة، حتى سحبه تير من زنزانته لهندسة الأسلحة للسيك بدلاً من ذلك.

لم تكن رين تعرف الكثير عن باجي أو سوني. عرفت أنهما كانا طالبين في سينغارد ذات مرة، عضوين في فصول "اللور" لسنوات مضت. عرفت أنهما طردا حين ساءت الأمور بشكل مريع. وعرفت أنهما قضيا وقتاً في باغرا. لم يتطوع أي منهما بالكثير غير ذلك.

التوأم تشاغان وقارا كانا غامضين بنفس القدر. لم يكونا من الإمبراطورية. تحدثا لغة نيكان بلكنة أهل التلال الغنائية. لكن حين سُئلا عن الوطن، قدما فقط عبارات مبهمة. *الوطن بعيد جداً. الوطن في القلعة الليلية.*

فهمت رين ما كانا يحاولان قوله. هما، مثل الآخرين، ببساطة لم يكن لديهم مكان آخر يذهبون إليه.

سأل باجي:

— «ما الأمر؟ يبدو وكأنك تريديننا أن نرحل».

قالت رين:

— «ليس الأمر كذلك. أنا فقط... لا أستطيع جعله يختفي. أنا خائفة».

— «من ماذا؟»

— «أنا خائفة من أن أؤذيكم. أدلاغا لن تكون النهاية. لا أستطيع جعل العنقاء يرحل ولا أستطيع جعله يتوقف و...»

قاطعها باجي:

— «لأنكِ جديدة على هذا». بدا لطيفاً جداً. كيف يمكنه أن يكون لطيفاً هكذا؟ «لقد مررنا جميعاً بذلك. إنهم يريدون استخدام جسدك طوال الوقت. وتظنين أنك على شفا الجنون، تظنين أن هذه اللحظة ستكون حين تنهارين أخيراً، لكنها ليست كذلك».

— «كيف تعرف ذلك؟»

— «لأن الأمر يصبح أسهل في كل مرة. في النهاية تتعلمين الوجود على حافة الجنون».

— «لكن لا يمكنني أن أعد بأنني لن...»

— «لن تفعلي. وسنلاحق داجي مرة أخرى. وسنستمر في فعل ذلك، مراراً وتكراراً، بقدر ما يتطلبه الأمر، حتى تموت. تير لم يتخلَّ عنا. ونحن لن نتخلى عنكِ. لهذا السبب وُجد السيك».

حدقت فيه، مذهولة. لم تكن تستحق هذا، أياً كان هذا. لم تكن صداقة. هي لم تستحق ذلك. ولم يكن ولاءً أيضاً. هي استحقت ذلك بشكل أقل. لكنها كانت زمالة، رابطة تشكلت بخيانة مشتركة. الإمبراطورة باعتهم للاتحاد مقابل

بضعة فضة وأغنية، ولا أحد منهم يستطيع أن يرتاح حتى تجري الأنهار حمراء بدم داجي.

– «لا أعرف ما أقول».

دفع رامسا وعاءها أمامها مرة أخرى وقال:

– «إذن فقط اخرسي وتوقفي عن التذمر كطفلة بائسة. كلي عصيدتك. العفن مغذٍ».

***

حل الليل على خليج أومونود. انسلّت سفينة «بيترل» أسفل الساحل تحت جنح الظلام، مدفوعة بقوة شامانية هائلة لدرجة أنها فقدت مطارديها الإمبراطوريين في غضون ساعات. تفرق السيك؛ قارا وتشاغان إلى مقصورتهما، حيث قضيا كل وقتهما تقريباً، معزولين عن الآخرين؛ سوني ورامسا إلى السطح الأمامي للمراقبة الليلية، وباجي إلى أرجوحته في أماكن النوم الرئيسية.

حبست رين نفسها داخل مقصورتها لتخوض معركة عقلية مع إله. لم يكن لديها الكثير من الوقت. كاد مفعول صبغة الأفيون يتلاشى. حشرت كرسياً تحت مقبض الباب، وجلست على الأرض، وضغطت رأسها بين ركبتيها، وانتظرت سماع صوت إله.

انتظرت لتعود للحالة التي يريد فيها العنقاء القيادة المطلقة ويصرخ في أفكارها حتى تطيع.

هذه المرة ستصرخ هي في وجهه.

وضعت سكين صيد صغيراً بجانب ركبتها. أغمضت عينيها بقوة. شعرت بآخر بقايا الأفيون تمر عبر مجرى دمها، وغادرت السحابة الخدرة والضبابية عقلها. شعرت بانقباض في معدتها وأحشائها لم يختفِ قط. شعرت، جنباً إلى جنب مع الاحتمال المرعب للصحوة، بالوعي.

كانت تعود دائماً لنفس اللحظة، قبل أشهر، حين كانت جاثية على يديها وركبتيها في ذلك المعبد بجزيرة سبير. تلذذ العنقاء بتلك اللحظة لأنها بالنسبة

للإله كانت ذروة القوة التدميرية. وظل يعيدها إليها لأنه أرادها أن تؤمن بأن الطريقة الوحيدة للتصالح مع ذلك الرعب هي إنهاء المهمة.

أراد منها أن تحرق هذه السفينة. أن تقتل كل من حولها. ثم تجد طريقها إلى اليابسة، وتبدأ بحرق ذلك أيضاً؛ مثل شعلة صغيرة تضرم النار في زاوية ورقة، كان عليها أن تشق طريقها للداخل وتحرق كل شيء في مسارها حتى لا يبقى شيء سوى لوح فارغ من الرماد.

وحينها ستكون نظيفة.

سمعت سيمفونية من الصرخات، أصواتاً جماعية وفردية، أصواتاً لسبيريين أو موغينيين... لم يكن الأمر مهماً أبداً لأن العذاب الصامت لم تكن له لغة.

لم تستطع تحمل كيف كانوا أرقاماً وليسوا أرقاماً في آن واحد، وظل الخط يبهت. وكان الأمر مريعاً، لأنه طالما كانوا أرقاماً فإن الأمر لم يكن بهذا السوء لكن إن كانوا حيوات، فالمضاعفة لا تطاق...

ثم تجسد الصراخ في شكل ألتان.

تشظى وجهه على طول شقوق من الجلد المتحول لفحم، وعيناه تحترقان بالبرتقالي، ودموع سوداء تفتح خطوطاً عبر وجهه، والنار تمزقه من الداخل... ولم تستطع فعل أي شيء حيال ذلك.

همست:

— «أنا آسفة. أنا آسفة، أنا آسفة، حاولت...»

قال:

— «كان يجب أن تكوني أنتِ. كان يجب أن تموتي. كان يجب أن تشتعلي بالنيران».

تحول وجهه لرماد ثم لجمجمة، مضغوطة ضد جمجمتها؛ أصابع عظمية حول عنقها.

— «كان يجب أن تكوني أنتِ».

ثم لم تعد تستطيع التمييز إن كانت أفكارها له أم لها، فقط أنها كانت عالية لدرجة أغرقت كل شيء في عقلها.

أريدك أن تتألمي.

أريدك أن تموتي.

أريدك أن تحترقي.

— «لا!».

غرزت نصلها في فخذها. كان الألم مجرد راحة مؤقتة، بياضاً مبهراً طرد كل شيء من عقلها، ثم ستعود النار.

لقد فشلت.

وفشلت في المرة السابقة أيضاً، والمرة التي قبلها. عند هذه النقطة لم تكن تعرف لماذا تفعل ذلك، سوى لتعذيب نفسها بمعرفة أنها لا تستطيع السيطرة على النار المستعرة في عقلها.

انضم الجرح لخط من الجروح المفتوحة على ذراعيها وساقيها التي فتحتها قبل أسابيع، وأبقتها مفتوحة، لأنه رغم كونه مؤقتاً فقط، كان الألم لا يزال الخيار الوحيد غير الأفيون الذي استطاعت التفكير فيه.

ثم لم تعد تستطيع التفكير.

كانت الحركات آلية الآن، وجاء كل شيء بسهولة بالغة؛ دحرجة قطعة الأفيون بين كفيها، شرارة الوميض الأول للهب، ثم رائحة الحلوى المتبلورة تخفي شيئاً متعفناً.

الشيء الجيد في الأفيون هو أنه بمجرد استنشاقه، يتوقف كل شيء عن كونه مهماً؛ ولساعات في المرة الواحدة، مقتطعة من عالمها، كان بإمكانها التوقف عن التعامل مع مسؤولية الوجود.

امتصت الدخان.

انحسرت النيران. واختفت الذكريات. توقف العالم عن إيذائها، وحتى إحباط الاستسلام تلاشى إلى عدم باهت.

والشيء الوحيد الذي بقي كان الدخان الحلو، الحلو جداً.

الفصل الرابع

— «هل تعلمين أن أنخيلون لديها مكتب حكومي خاص مكرس لمعرفة حجم الوزن الذي يمكن للمدينة تحمله؟». سأل رامسا بابتهاج.

كان الوحيد بينهم القادر على التنقل في "المدينة العائمة" بسهولة. قفز متقدماً، يتنقل بحجمه الضئيل دون عناء عبر الجسور الضيقة التي تصطف على جانبي القنوات الموحلة، بينما زحف البقية بحذر على طول الألواح الخشبية المتذبذبة.

سأله باجي مسايراً إياه:

— «وكم يبلغ هذا الوزن؟».

— «أعتقد أنهم يقتربون من السعة القصوى. يجب على شخص ما فعل شيء بشأن عدد السكان، وإلا ستبدأ أنخيلون في الغرق».

قال باجي:

— «يمكنك إرسالهم إلى الداخل. أراهن أننا فقدنا بضع مئات الآلاف من الناس في الأشهر القليلة الماضية».

— «أو اجعلهم يخوضون حرباً أخرى. طريقة جيدة لقتل الناس».

قفز رامسا بعيداً نحو الجسر التالي.

تبعت رين بخطوات متعثرة، ترمش بعينين مغبشتين تحت شمس الجنوب التي لا ترحم.

لم تغادر مقصورتها على السفينة لأيام. كانت قد تناولت أصغر جرعة يومية ممكنة من الأفيون تعمل على إبقاء عقلها هادئاً مع إبقائها قادرة على

العمل. لكن حتى تلك الكمية عبثت بشدة بتوازنها لدرجة أنها اضطرت للتشبث بذراع باجي وهم يمشون نحو الداخل.

كرهت رين أنخيلون. كرهت رائحة المحيط المالحة اللاذعة التي تلاحقها أينما ذهبت؛ وكرهت ضجيج المدينة الصارخ، القراصنة والتجار يصرخون في بعضهم البعض بـ «رطانة أنخيلون»، وهو مزيج غير مفهوم من لغة نيكان واللغات الغربية. وكرهت أن المدينة العائمة تترنح فوق المياه المفتوحة، تتمايل جيئة وذهابا مع كل موجة قادمة، بحيث أنها حتى وهي واقفة ثابتة، شعرت وكأنها على وشك السقوط.

لم تكن لتأتي إلى هنا لولا الضرورة القصوى. كانت أنخيلون المكان الوحيد في الإمبراطورية حيث كانت قريبة من الأمان. وكانت موطناً للأشخاص الوحيدين الذين سيبيعون لها الأسلحة.

والأفيون.

في نهاية «حرب الخشخاش الأولى»، جلست جمهورية هيسبيريا مع مندوبين من اتحاد موغين لتوقيع معاهدة أسست منطقتين محايدتين على ساحل نيكان. الأولى كانت في ميناء خوردالين الدولي. والثانية كانت في مدينة أنخيلون العائمة.

في ذلك الحين كانت أنخيلون ميناء متواضعاً؛ مجرد حفنة من مباني الطابق الواحد العادية بلا أقبية لأن الرمال الساحلية الهشة لم تكن تحتمل أي عمارة أكبر.

ثم فاز «التريفيكتا» بحرب الخشخاش الثانية، وقصف «إمبراطور التنين» نصف الأسطول الهيسبيري وحوله إلى أشلاء في بحر نيكان الجنوبي.

وفي غياب الأجانب، ازدهرت أنخيلون. احتل السكان المحليون السفن نصف المدمرة مثل طفيليات المحيط، وربطوها معاً لتشكيل المدينة العائمة. والآن امتدت أنخيلون بشكل محفوف بالخطر من الساحل مثل عنكبوت متمدد، سلسلة من الألواح الخشبية التي شكلت شبكة من الممرات بين عدد لا يحصى من السفن الراسية على الشاطئ.

كانت أنخيلون المنفذ الذي يدخل من خلاله الخشخاش بجميع أشكاله إلى الإمبراطورية. أبحرت سفن الأفيون السريعة الخاصة بـ مواغ من نصف الكرة الغربي وأودعت حمولتها في هياكل سفن ضخمة وفارغة كانت بمثابة مستودعات، ومنها تلتقطها قوارب تهريب طويلة ورفيعة تتدفق عبر فروع الروافد المتشعبة من نهر موروي، تضخ السم بانتظام في مجرى دم الإمبراطورية مثل تسرب بطيء.

كانت أنخيلون تعني أفيوناً رخيصاً وفيراً، وذلك يعني نسياناً مجيداً ومسالماً؛ ساعات وساعات لا تضطر فيها للتفكير أو تذكر أي شيء على الإطلاق.

وكان ذلك، قبل كل شيء، السبب في كره رين لأنخيلون. لقد جعلتها خائفة جداً. كلما قضت وقتاً أطول هنا، محبوسة وحدها في مقصورتها بينما تنجرف مع مخدرات مواغ، قل شعورها بالقدرة على المغادرة.

***

قال باجي:

– «غريب. ظننت أننا سنحظى بترحيب أكبر».

للوصول إلى وسط المدينة، مروا بأسواق عائمة، وأكوام قمامة متناثرة على طول القنوات، وصفوف من حانات أنخيلون المميزة التي لم يكن بها مقاعد أو كراسي، فقط حبال ممدودة عبر الجدران حيث يمكن للزبائن أن يعلقوا سكارى من آباطهم.

لكنهم كانوا يمشون لأكثر من نصف ساعة الآن. كانوا في قلب المدينة تماماً، على مرأى ومسمع من سكانها، ولم يعترضهم أحد.

كان لا بد أن مواغ تعرف أنهم عادوا. كانت مواغ تعرف كل شيء يحدث في المدينة العائمة.

قالت رين، وتوقفت عن المشي لالتقاط أنفاسها:

– «هذه هي الطريقة التي تحب بها مواغ لعب سياسة القوة». جعلتها الألواح المتحركة ترغب في التقيؤ. «هي لا تبحث عنا. نحن يجب أن نذهب إليها».

لم يكن الحصول على مقابلة مع تشيانغ مواغ أمراً هيناً. أحاطت ملكة القراصنة نفسها بطبقات كثيرة من الأمن لدرجة لم يعرف أحد مكانها في أي وقت معين. فقط «الزنابق السوداء»، مجموعتها من الجواسيس والوصيفات، كان يمكن الاعتماد عليهن لإيصال الكلمة إليها مباشرة، ولا يمكن العثور على الزنابق إلا في قارب متعة مبهرج يطفو في وسط القناة الرئيسية للمدينة.

نظرت رين لأعلى، تحمي عينيها من الشمس.

– «هناك».

لم يكن قارب الأوركيد الأسود سفينة بقدر ما كان قصراً عائماً من ثلاثة طوابق. تدلت فوانيس ملونة ببريق صارخ من أسقف الباغودا المنحدرة، وانبعثت موسيقى ماجنة وحيوية باستمرار من نوافذه الورقية. كل يوم بدءاً من الظهيرة، كان الأوركيد الأسود يزحف صعوداً ونزولاً في القناة الهادئة، يلتقط الزبائن الذين جدفوا نحو طوابقه في قوارب «سامبان» حمراء زاهية.

نبشت رين في جيوبها وسألت:

– «هل لدى أحدكم عملة نحاسية؟».

– «أنا لدي». رمى باجي عملة نحو صاحب قارب السامبان، الذي وجه سفينته نحو الشاطئ لنقل فرقة السيك إلى قارب المتعة.

لوحت حفنة من الزنابق، جالسات بخفة على درابزين الطابق الثاني، بلا مبالاة نحوهم وهم يقتربون. صفر باجي رداً عليهن.

تمتمت رين:

– «توقف عن ذلك».

سأل باجي:

– «لماذا؟ إنه يجعلهن سعيدات. انظري، إنهن يبتسمن».

– «لا، إنه يجعلهن يظنوا أنك هدف سهل».

كانت الزنابق جيش مواغ الخاص من نساء جذابات بشكل مريع، جميعهن بصدور بحجم الكمثرى وخصور ضيقة جداً بدت في خطر الانقصام لنصفين. كن فنانات قتاليات مدربات، ولغويات، وبشكل موحد كن أكثر مجموعة نساء بغيضة قابلتها رين على الإطلاق.

أوقفتهن إحدى الزنابق عند قمة الجسر الخشبي، يدها الصغيرة ممدودة وكأنها تستطيع إيقافهم جسدياً عن الصعود.

— «ليس لديكم موعد».

كان من الواضح أنها فتاة جديدة. لم يكن من الممكن أن تكون أكبر من خمسة عشر عاماً. حمل وجهها فقط لمسات صغيرة من أحمر الشفاه، وكان صدرها مجرد براعم صغيرة تبرز من خلال قميصها، ولم تبدُ مدركة أنها تقف أمام حفنة من أخطر الناس في الإمبراطورية.

قالت رين:

— «أنا فانغ رونين».

رمشت الفتاة:

— «من؟».

سمعت رين رامسا يحول ضحكته المكتومة إلى سعال.

كررت:

— «فانغ رونين. أنا لست بحاجة لموعد».

— «أوه، يا حبيبتي، الأمر لا يسير هكذا هنا». نقرت الفتاة بأصابع نحيلة على خصرها الضيق بشكل مستحيل. «عليكِ تحديد موعد، ونحن محجوزون لأيام مقدماً». نظرت بتمعن فوق كتف رين إلى باجي، وسوني، ورامسا. «أيضاً، التكلفة إضافية للمجموعات الأكثر من أربعة. الفتيات لا يعجبهن حين تتشاركون».

مدت رين يدها لنصلها.

— «اسمعيني أيتها التافهة الصغيرة...»

– «تراجعي».

فجأة كانت الفتاة تمسك حفنة من الإبر التي لا بد أنها أخفتها في كمها. كانت أطرافها أرجوانية بالسم.

– «لا أحد يلمس زنبقة».

صارعت رين رغبة مفاجئة لصفع الفتاة على وجهها.

– «إذا لم تتنحي جانباً في هذه اللحظة، سأحشر هذا النصل بعيداً في...»

– «حسناً، هذه مفاجأة». حفت الستائر الحريرية فوق الأبواب الرئيسية، وظهرت شخصية ممتلئة القوام على السطح.

كبتت رين أنيناً.

كانت سارانا، زنبقة سوداء من أعلى مستوى والمفضلة شخصياً لدى مواغ. كانت وسيطة مواغ مع السيك منذ رسوا في أنخيلون قبل ثلاثة أشهر. كانت تمتلك لساناً حاداً بشكل لا يطاق، وهوساً بالتلميحات الجنسية، ووفقاً لباجي، أكثر صدر مثالي في جنوب الموروي.

كرهتها رين.

اقتربت سارانا، تميل رأسها للجانب:

– «يا لها من مفاجأة أن أراكِ هنا. ظننا أنكِ لست مهتمة بالنساء».

كان لديها طريقة في التمايل حين تتحدث، تبرز كل كلمة بهزة من وركيها. أصدر باجي صوت اختناق. وكان رامسا يحدق بلا خجل في صدر سارانا.

قالت رين:

– «أحتاج لرؤية مواغ».

ردت سارانا:

– «مواغ مشغولة».

– «أعتقد أن مواغ تدرك جيداً ألا تجعلني أنتظر».

رفعت سارانا حاجبيها المرسومين بدقة.

– «وهي أيضاً لا تحب قلة الاحترام».

صاحت رين بحدة:

— «هل يجب أن أكون فجة؟ ما لم تريدي لهذا القارب أن يشتعل بالنيران، اذهبي واحملي سيدتك وأخبريها أنني أريد مقابلة».

تظاهرت سارانا بالتثاؤب.

— «كوني لطيفة معي، أيتها السبيرية. وإلا سأشي بكِ».

— «يمكنني إغراق قاربك في دقائق».

— «ومواغ ستجعل جسدك مثقوب بالسهام قبل أن تتمكني حتى من النزول عن القارب». لوحت سارانا لها باستهتار. «انصرفي، أيتها السبيرية. سنرسل في طلبك حين تكون مواغ جاهزة».

رأت رين الأحمر.

يا للجرأة اللعينة.

ربما ظنت سارانا أنها تهينها، لكن رين كانت سبيرية. لقد كسبت حرب الخشخاش الثالثة بمفردها. لقد أغرقت بلداً لعيناً. لم تأتِ كل هذا الطريق لتمزح مع عاهرة زنبق غبية.

اندفعت يداها وأمسكت سارانا من ياقته. تحركت سارانا نحو دبوس شعرها، الذي كان مسموماً بلا شك، لكن رين صدمتها بالحائط، وحشرت مرفقاً ضد حلقها، وثبتت معصمها الأيمن بالآخر.

انحنت للأمام لتضغط شفتيها ضد أذن سارانا وهمست:

— «ربما تظنين أنكِ آمنة الآن. ربما سأستدير فقط وأمشي مبتعدة. ستتفاخرين أمام العاهرات الأخريات كيف أخفتِ السبيرية! يا لكِ من محظوظة! ثم في ليلة ما، حين تطفئين الفوانيس وترفعين الجسر الخشبي، ستشمين رائحة دخان في مسكنك. ستركضين إلى السطح، لكن بحلول ذلك الوقت ستكون النيران مشتعلة بحرارة شديدة بحيث لا ترين قدمين أمامك. ستعرفين أنها أنا، لكنك لن تتمكني أبداً من إخبار مواغ، لأن طبقة من النار ستحرق كل جلدك الجميل، وآخر شيء سترينه قبل أن تقفزي من السفينة إلى ماء يغلي هو وجهي الضاحك».

غرزت رين مرفقها أعمق في حلق سارانا الشاحب.

– «لا تعبثي معي يا سارانا».

ربتت سارانا بشكل محموم على معصمي رين.

أمالت رين رأسها:

– «ماذا كان ذلك؟».

كان صوت سارانا همساً مخنوقاً:

– «مواغ... قد تقبل مقابلتكم كاستثناء».

أفلتتها رين. انهارت سارانا مستندة للجدار، تلوح بيدها أمام وجهها بشكل محموم.

انحسر الضباب الأحمر من حواف رؤية رين. أغلقت قبضتها وفتحتها، أطلقت زفيراً طويلاً، ومسحت كفها بقميصها.

– «هذا أفضل».

***

أعلنت سارانا:

– «لقد وصلنا».

مدت رين يدها لتزيل العصابة عن وجهها. كانت سارانا قد أجبرتها على المجيء وحدها، بينما كان الآخرون أكثر من سعداء بالبقاء على قارب المتعة، وأبقاها ضعفها المكشوف ترتعش وتتعرق طوال رحلتهم عبر القنوات.

في البداية لم ترَ سوى الظلام. ثم تكيفت عيناها مع الأضواء الخافتة، ورأت أن الغرفة مضاءة بمصابيح نار صغيرة ومتراقصة. لم ترَ أي نوافذ، ولا ومضات من ضوء الشمس. لم تستطع معرفة ما إذا كانوا في سفينة أم في مبنى؛ ما إذا كان الليل قد حل أم أن الغرفة كانت ببساطة محكمة الإغلاق بحيث لا يدخلها ضوء خارجي.

كان الهواء في الداخل أبرد بكثير من الخارج. ظنت أنها لا تزال تستطيع الشعور بالبحر يتهادى تحت ساقيها، لكن بشكل خافت فقط، ولم تستطع التمييز ما إذا كان ذلك حقيقياً أم متخيلاً.

أينما كانت، كان المبنى ضخماً. سفينة حربية جانحة؟ مستودع؟

رأت أثاثاً ضخماً بأرجل منحنية لا بد أنه من أصل أجنبي؛ لم يكونوا ينحتون طاولات كهذه في الإمبراطورية. وعلى طول الجدران علقت لوحات، رغم أنها لم تكن لرجال من نيكان؛ كانت الموضوعات ذات بشرة شاحبة، وتبدو غاضبة، وجميعهم يرتدون شعراً مستعاراً أبيض غريب الشكل. احتلت طاولة ضخمة، كبيرة بما يكفي لجلوس عشرين شخصاً، وسط الغرفة.

على الجانب الآخر، محاطة بكتيبة من رماة الزنابق، جلست ملكة القراصنة نفسها.

— «رونين». كان صوت مواغ مططاً أجش، عميقاً وآسراً بشكل غريب. «دائماً يسعدني لقاؤك».

في شوارع أنخيلون، كانوا يسمون مواغ «الأرملة الحجرية». كانت امرأة طويلة وعريضة المنكبين، وسيمة أكثر منها جميلة. قالوا إنها كانت عاهرة من الخليج تزوجت أحد قراصنة أنخيلون العديدين. ثم مات في ظروف لم يتم فحصها بشكل صحيح قط، وصعدت مواغ بثبات عبر رتب هرم القراصنة في أنخيلون ووحدت أسطولاً ذا قوة غير مسبوقة. كانت أول من وحد فصائل قراصنة أنخيلون تحت علم واحد. حتى عهدها، كان قطاع الطرق المتفرقون في أنخيلون في حرب مع بعضهم البعض بنفس الطريقة التي كانت بها المقاطعات الاثنتا عشرة في نيكان في حرب منذ وفاة الإمبراطور الأحمر. بطريقة ما، تمكنت من فعل ما لم تستطع داجي فعله قط. لقد أقنعت فصائل متباينة من الجنود بخدمة قضية واحدة: خدمتها هي نفسها.

أشارت مواغ حول الغرفة:

— «لا أعتقد أنكِ زرتِ مكتبي الخاص من قبل. مكان لطيف، أليس كذلك؟ كان الهيسبيريون مزعجين بشكل لا يطاق، لكنهم عرفوا كيف يزينون المكان».

سألت رين:

– «ماذا حدث للملاك الأصليين؟».

– «على حسب. أفترض أن البحرية الهيسبيرية علّمت بحارتها السباحة».

أشارت مواغ للكرسي المقابل لها. «اجلسي».

– «لا، شكراً».

لم تعد رين تطيق الجلوس على الكراسي. كرهت الطريقة التي تحجب بها الطاولات ساقيها؛ إذا قفزت أو حاولت الركض، ستصطدم ركبتاها بالخشب، مما يكلفها وقت هروب ثميناً.

أمالت مواغ رأسها للجانب:

– «كما تشائين إذن. سمعت أن مهمة أدلاغا لم تسر على ما يرام».

قالت رين:

– «خرجت عن المسار. حظينا بلقاء مفاجئ مع داجي».

– «أوه، أعرف. الساحل بأكمله يعرف بالأمر. أنتِ تعلمين كيف روت سينغارد هذا، صحيح؟ أنتِ السبيرية المارقة، الخائنة للتاج. آسروكِ الموغينيون دفعوكِ للجنون، والآن أنتِ تهديد لكل من تقابلينه. المكافأة على رأسك رُفعت إلى ستة آلاف فضية إمبراطورية. والضعف إذا كنتِ حية».

– «هذا لطيف».

– «لا تبدين قلقة».

انحنت رين للأمام:

– «هم ليسوا مخطئين بشأن أي شيء. انظري، يانغ يوانفو ميت. لم نستطع إحضار رأسه، لكن كشافتك سيؤكدون كل شيء بمجرد وصولهم لأدلاغا. حان وقت الدفع».

تجاهلت مواغ ذلك، مسندة ذقنها على أطراف أصابعها.

– «أنا لا أفهم. لماذا تتكبدين كل هذا العناء؟».

– «مواغ، كفي عن...»

رفعت مواغ يداً لتقاطعها.

— «اشرحي لي هذا. لديكِ قوة تفوق ما يحلم به معظم الناس. يمكنكِ فعل أي شيء تريدينه. صيري أميرة حرب. صيري قرصانة. بحق الجحيم، قودي إحدى سفني إن أردتِ. لماذا تستمرين في خوض هذه المعركة؟».

— «لأن داجي بدأت هذه الحرب. لأنها قتلت أصدقائي. لأنها لا تزال على العرش ولا ينبغي لها ذلك. لأن شخصاً ما يجب أن يقتلها، وأفضل أن يكون أنا».

ألحت مواغ:

— «لكن لماذا؟ لا أحد يكره إمبراطورتنا بقدري. لكن افهمي هذا أيتها الفتاة الصغيرة: لن تجدي حلفاء. الثورة جيدة نظرياً. لكن لا أحد يريد أن يموت».

— «أنا لا أطلب من أي أحد آخر المخاطرة. فقط أعطني أسلحة».

— «وإذا فشلتِ؟ ألا تظنين أن الميليشيا ستتعقب مصدر إمداداتك؟».

صاحت رين:

— «قتلت ثلاثين رجلاً لأجلك. أنتِ تدينين لي بأي إمدادات أريدها؛ كانت تلك الشروط. لا يمكنكِ ببساطة...»

— «ما الذي لا يمكنني فعله؟». انحنت مواغ للأمام، وأصابعها المزينة بالخواتم تدور حول مقبض خنجرها. بدت مستمتعة بعمق. «تظنين أنني مدينة لكِ؟ بأي عقد؟ تحت أي قوانين؟ ماذا ستفعلين، تأخذينني للمحكمة؟».

رمشت رين:

— «لكنكِ قلتِ...»

— «لكنكِ قلتِ». قلدتها مواغ بصوت حاد النبرة. «الناس يقولون أشياء لا يعنونها طوال الوقت، أيتها السبيرية الصغيرة».

— «لكن كان بيننا اتفاق!». رفعت رين صوتها، لكن كلماتها خرجت شاكية، لا مسيطرة. بدت طفولية حتى لأذنيها.

بدأت عدة زنابق يضحكن بخفوت خلف مراوحهن.

اشتدا يدا رين في قبضتين. أبقاها الأفيون المتبقي من الانفجار ناراً، لكن ضباباً من القرمزي دخل رؤيتها مع ذلك.

أخذت نفساً عميقاً. *هدوء*.

قد يشعرها قتل مواغ بالرضا في تلك اللحظة، لكنها شكت حتى في قدرتها على الخروج من أنخيلون حية.

قالت مواغ:

– «أتعلمين، بالنسبة لشخص من سلالتك، أنتِ غبية بشكل لا يصدق. قدرات سبيرية، تعليم سينغارد، خدمة في الميليشيا، ولا تزالين لا تفهمين الطريقة التي يعمل بها العالم. إذا أردتِ إنجاز الأمور، تحتاجين لقوة غاشمة. أنا أحتاجك، وأنا الوحيدة التي تستطيع الدفع لك، مما يعني أنكِ تحتاجينني. تذمري قدر ما تشائين. أنتِ لن تذهبي لأي مكان».

لم تتمكن رين من تمالك نفسها:

– «لكنكِ لا تدفعين لي. لذا تباً لكِ».

صوبت أحد عشر رأس سهم لجبهتها قبل أن تتمكن من التحرك.

همست سارانا:

– «توقفي».

قالت مواغ وهي تفحص أظافرها المطلية:

– «لا تكوني درامية جداً. أنا أحاول مساعدتك، أتعلمين. أنتِ شابة. لديكِ حياة كاملة أمامك. لماذا تضيعينها على الانتقام؟».

أصرت رين بعناد:

– «أحتاج للوصول للعاصمة. وإذا لم تعطيني إمدادات، فسأحصل عليها من مكان آخر».

تنهدت مواغ بمسرحية، وضغطت أصابعها على صدغيها، ثم طوت ذراعيها على الطاولة.

– «أقترح حلاً وسطاً. وظيفة واحدة أخرى، وبعدها سأعطيكِ كل ما تريدين. هل سينجح ذلك؟».

— «ماذا، هل يفترض بي أن أثق بكِ الآن؟».

— «أي خيار لديكِ؟».

اجترت رين ذلك وسألت:

— «أي نوع من الوظائف؟».

— «ما شعورك حيال المعارك البحرية؟».

— «أكرهها».

لم تحب رين التواجد فوق مياه مفتوحة. وافقت فقط على مهمات على اليابسة حتى الآن، وكانت مواغ تعرف ذلك. حول المحيط، كان من السهل جداً تعطيل قدراتها.

النار والماء لا يختلطان.

— «أنا متأكدة أن مكافأة مجزية ستغير رأيك». نبشت مواغ في مكتبها، وسحبت رسماً بالفحم لسفينة ومررته عبر الطاولة. «هذه هي هيرون. سفينة أفيون سريعة قياسية. أشرعة حمراء، علم أنخيلوني، ما لم يغيره القبطان. لقد كان يظهر عجزاً في الدفاتر لشهور».

حدقت رين فيها:

— «تريدين مني قتل شخص بناءً على أخطاء حسابات؟».

— «إنه يحتفظ بأكثر من حصته العادلة من الأرباح. لقد كان ذكياً جداً حيال ذلك أيضاً. أحضر محاسباً ليتلاعب بالأرقام بحيث استغرق الأمر مني أسابيع للكشف عنه. لكننا نحتفظ بنسخ ثلاثية لكل شيء. الأرقام لا تكذب. أريدكِ أن تغرقي سفينته».

تأملت رين الرسم. تعرفت على بناء السفينة. كانت مواغ تملك ما لا يقل عن دزينة سفن سريعة مثلها تماماً راسية في ميناء أنخيلون.

— «هل لا يزال في المدينة؟».

— «لا. لكن من المقرر عودته للميناء في غضون أيام قليلة. يظن أنني لا أعرف ما فعله».

– «إذن لمَ لا تتخلصين منه بنفسك؟».
قالت مواغ:
– «في ظل ظروف عادية كنت سأفعل. لكن حينها سأضطر لمنحه عدالة القراصنة».
– «منذ متى تهتم أنخيلون بالعدالة؟».
– «حقيقة أننا مستقلون عن الإمبراطورية لا تجعلنا فوضى بلا قوانين، يا عزيزتي. سنعقد محاكمة. إنه إجراء قياسي مع قضايا الاختلاس. لكنني لا أريد منحه محاكمة عادلة. إنه محبوب، ولديه أصدقاء كثر في هذه المدينة، والعقاب بيدي سيثير بالتأكيد الانتقام. لست في مزاج للسياسة. أريده منسوفاً من الماء».
– «لا تريدين أسرى؟».
ابتسمت مواغ ابتسامة عريضة:
– «ليس هذا أولوية قصوى».
– «إذن سأحتاج لاستعارة سفينة سريعة».
اتسعت ابتسامة مواغ:
– «افعلي هذا لأجلي ويمكنك الاحتفاظ بالسفينة».
لم يكن هذا مثالياً. احتاجت رين سفينة بألوان الميليشيا، وليس سفينة تهريب، وقد تظل مواغ تحجب الأسلحة والمال. لا... كان عليها أن تسلم بأن مواغ ستخدعها، بطريقة أو بأخرى.
لكن لم يكن لديها ورقة ضغط. مواغ تملك السفن، وتملك الجنود، لذا يمكنها إملاء الشروط. كل ما ملكته رين هو القدرة على قتل الناس، ولا أحد أفضل لتبيعها له.
لم يكن لديها خيارات أفضل. كانت محاصرة استراتيجياً في زاوية، ولم تستطع التفكير في مخرج.
لكنها عرفت شخصاً يستطيع.
قالت:
– «هناك شيء آخر أريده. عنوان كيتاي».

ضيقت مواغ عينيها:

— «كيتاي؟». استطاعت رين مشاهدة الأفكار تدور في رأسها، تحاول تحديد ما إذا كان الأمر عبئاً، وما إذا كان يستحق التطوع

قالت رين بسلاسة قدر استطاعتها:

— «نحن صديقان. كنا زميلين في الدراسة. أنا أهتم لأمره. هذا كل ما في الأمر».

— «وأنتِ تسألين عنه الآن فقط؟».

— «لن نهرب من المدينة، إذا كان هذا ما يقلقك».

منحتها مواغ نظرة شفقة:

— «أوه، لن تتمكني من ذلك أبداً. لكنه طلب مني ألا أخبرك أين تجدينه».

افترضت رين أنها لا ينبغي أن تتفاجأ. لكن الأمر لا يزال مؤلماً.

— «لا يهم. ما زلت أريد العنوان».

— «أعطيته كلمتي بأن أبقيه سراً».

لم تستطع رين قمع نفاذ صبرها:

— «كلمتك لا تعني شيئاً، أيتها العجوز الشمطاء. الآن أنتِ فقط تماطلين من أجل المتعة».

ضحكت مواغ:

— «حسناً. إنه في الحي الأجنبي القديم. منزل آمن في نهاية الممشى تماماً. سترين رموز «أسطول الخردة الأحمر» على دعامات الباب. لقد وضعت حارساً هناك، لكنني سأخبرهم بالتنحي إذا رأوكِ. هل أخبره أنك قادمة؟».

قالت رين:

— «أرجوكِ لا تفعلي. سأجعلها مفاجأة له».

***

كان الحي الأجنبي القديم ساكناً وصامتاً، واحة هدوء نادرة في الصخب الذي لا ينتهي لأنخيلون. نصف هذه المنازل كان مهجوراً؛ لم يعش أحد هنا منذ

غادر الهيسبيريون، واستخدمت المباني المتبقية فقط لتخزين المخزون. الأضواء الساطعة التي تناثرت في بقية أنخيلون كانت غائبة. وقع هذا المكان بعيداً بشكل غير مريح عن الساحة المركزية المفتوحة، حيث كان لحراس مواغ سهولة الوصول.

لم يعجب رين ذلك.

لكن كان لا بد أن كيتاي في أمان. تكتيكياً، ستكون فكرة مريعة السماح له بأن يتأذى. كان مخزوناً مذهلاً للمعرفة. قرأ كل شيء ولم ينسَ شيئاً. كان من الأفضل إبقاؤه حياً كمرجع، ولا بد أن مواغ أدركت ذلك بما أنها وضعته تحت الإقامة الجبرية.

طفى المنزل الوحيد في نهاية الطريق بعيداً قليلاً عن بقية الشارع المتمايل، مربوطاً فقط بسلسلتين طويلتين وممشى عائم خطير مصنوع من ألواح متباعدة بشكل سيئ.

خطت رين بحذر فوق الألواح، ثم طرقت الباب الخشبي.

لا رد.

جربت المقبض. لم يكن به حتى قفل؛ لم تستطع رؤية ثقب مفتاح. لقد جعلوا من المستحيل على كيتاي إبعاد الزوار.

دفعت الباب فاتحة إياه.

أول ما لاحظته كان الفوضى؛ انتشار لكتب مصفرة، وخرائط، ودفاتر حسابات تناثرت على كل سطح مرئي. رمشت حولها في ضوء المصباح الخافت حتى رأت كيتاي أخيراً جالساً في الزاوية ومجلد سميك فوق حجره، مدفوناً تقريباً تحت أكوام من الكتب المغلفة بالجلد.

قال دون أن ينظر لأعلى:

— «لقد أكلتُ بالفعل. عُد في الصباح».

نحنحت بحلقها:

— «كيتاي».

نظر لأعلى. واتسعت عيناه.

قالت:

– «مرحباً».

وضع كتبه جانباً ببطء.

سألت:

– «هل يمكنني الدخول؟».

حدق فيها كيتاي للحظة طويلة قبل أن يلوح لها بالدخول:

– «حسناً».

أغلقت الباب خلفها. لم يقم بأي حركة للنهوض، لذا شقت طريقها عبر الأوراق نحوه، حريصة ألا تدوس على أي صفحات. لطالما كره كيتاي حين يعبث أي شخص بفوضاه المرتبة بعناية. خلال موسم الامتحانات في سينغارد، كان يصاب بنوبات غضب كلما حرك أحدهم محابر الحبر الخاصة به.

كانت الغرفة ضيقة لدرجة أن المساحة الفارغة الوحيدة كانت رقعة من الأرضية مقابل الجدار بجانبه تماماً. حريصة ألا تلمسه، انزلقت للأسفل، وربعت ساقيها، ووضعت يديها على ركبتيها.

للحظة اكتفيا بالتحديق في بعضهما البعض.

أرادت رين بشدة أن تمد يدها وتلمس وجهه. بدا ضعيفاً، ونحيلاً جداً. كان قد شفي بعض الشيء منذ جولين نيس، لكن حتى الآن برزت عظمتا ترقوته لدرجة مخيفة، وبدا معصماه هشين جداً لدرجة أنها قد تكسرهما بيد واحدة. كان قد أطال شعره في فوضى طويلة ومجعدة جمعها في مؤخرة رأسه، مما شد حواف وجهه وجعل عظام وجنتيه تبرز أكثر مما كانت عليه بالفعل.

لم يشبه ولو قليلاً الصبي الذي قابلته في سينغارد.

كان الاختلاف في عينيه. اعتادتا أن تكونا لامعتين جداً، مضاءتين بفضول محموم حول كل شيء. الآن كانتا فقط باهتتين وفارغتين.

سألت:

– «هل يمكنني البقاء؟».

– «سمحت لكِ بالدخول، أليس كذلك؟».
– «أخبرت مواغَ أن تخفي عنوانك عني؟».
– «أوه». رمش. «نعم. لقد فعلت ذلك».
لم يلتقِ بعينيها. عرفته جيداً بما يكفي لتعرف أن هذا يعني أنه غاضب منها، لكن بعد كل هذه الشهور، لم تكن تعرف بالضبط لماذا.
لا... كانت تعرف، لكنها لم تكن لتعترف بأنها كانت مخطئة بشأنه. المرة الوحيدة التي تشاجرا فيها حول الأمر، تشاجرا حقاً، صفق الباب في وجهها ولم يتحدث إليها حتى وصلوا لليابسة.
لم تدع نفسها تفكر في الأمر منذ ذلك الحين. ذهب الأمر إلى الهاوية، تماماً مثل كل ذكرى أخرى جعلتها تبدأ في اشتهاء غليونها.
سألت:
– «كيف حالك؟».
– «أنا تحت الإقامة الجبرية. كيف تظنين حالي؟».
نظرت حولها إلى الأوراق المفروشة عبر الطاولة. تناثرت على الأرض، مثبتة بمحابر.
حطت عيناها على الدفتر الذي كان يخربش فيه.
– «أبقتك مشغولاً، على الأقل؟».
– «"مشغول" كلمة تصف الأمر». صفق الدفتر مغلقاً إياه. «أعمل لدى إحدى أكثر المجرمين المطلوبين في الإمبراطورية، وجعلتني أتولى مسئولية ضرائبها».
– «أنخيلون لا تدفع ضرائب».
– «ليس ضرائب للإمبراطورية. بل لـ مواغ». لوح كيتاي بفرشاة الحبر بين أصابعه. «مواغ تدير حلقة جريمة ضخمة بمخطط ضرائب معقد بقدر أي بيروقراطية مدينة. لكن نظام حفظ السجلات الذي كانوا يستخدمونه حتى الآن، إنه...» لوح بيديه في الهواء. «من صمم هذا لم يفهم كيف تعمل الأرقام».

يا لها من حركة عبقرية من جانب مواغ، فكرت رين. كان كيتاي يمتلك البراعة العقلية لعشرين عالماً مجتمعين. كان بإمكانه جمع مبالغ ضخمة بشكل مستحيل دون أن يرمش، وامتلك عقلاً للاستراتيجية نافس المعلم إيرجاه. قد يكون نكداً تحت الإقامة الجبرية، لكنه لا يستطيع مقاومة لغز حين يُعرض عليه. الدفاتر قد تكون بمثابة دلو من الألعاب له.

سألت:

– «هل يعاملونك جيداً؟».

– «بما يكفي. أحصل على وجبتين في اليوم. أحياناً أكثر، إذا كنتُ مطيعاً».

– «تبدو نحيلاً».

– «الطعام ليس جيداً جداً».

ظل لا ينظر إليها. تجرأت على وضع يد على ذراعه.

– «أنا آسفة لأن مواغ أبقتك هنا».

جفل مبتعداً:

– «لم يكن قرارك. كنت سأفعل الشيء نفسه لو أخذت نفسي سجيناً».

– «مواغ ليست سيئة جداً حقاً. إنها تعامل شعبها جيداً».

قال كيتاي:

– «وهي تستخدم العنف والابتزاز لإدارة مدينة غير قانونية بشكل هائل كانت تكذب على سينغارد لعشرين سنة. أنا قلق أنكِ بدأت تفقدين إحساسك بالمقاييس هنا، يا رين».

أغضبها ذلك:

– «شعبها لا يزال في حال أفضل من رعايا الإمبراطورة».

– «رعايا الإمبراطورة سيكونون بخير لو لم يكن جنرالاتها يركضون حولها محاولين ارتكاب الخيانة».

طالبت رين:

— «لماذا أنت موالٍ جداً لسينغارد؟ ليس وكأن الإمبراطورة فعلت أي شيء لك».

قال كيتاي:

— «عائلتي خدمت التاج في سينغارد لعشرة أجيال. ولا، أنا لست أساعدك في ثأرك الشخصي فقط لأنك تظنين أن الإمبراطورة تسببت في مقتل قائدك الغبي. لذا يمكنك التوقف عن التظاهر بأنك صديقتي، يا رين، لأنني أعلم أن هذا كل ما جئت لأجله».

— «أنا لا أظن ذلك فقط، بل أعرفه. وأعرف أن الإمبراطورة دعت الاتحاد إلى أراضي نيكان. هي أرادت هذه الحرب، هي بدأت الغزو، وكل ما رأيته في جولين نيس كان خطأ داجي».

— «اتهامات باطلة».

— «سمعتها من فم شيرو!».

— «وشيرو لم يكن لديه أي دافع للكذب عليكِ؟».

— «وهل داجي ليس لديها أي دافع للكذب عليكَ؟».

قال كيتاي:

— «إنها الإمبراطورة. الإمبراطورة لا تخون شعبها. هل تفهمين كم هذا سخيف؟ لا توجد ميزة سياسية حرفياً...»

صرخت:

— «يجب أن ترغب في مساعدتي بهذا!». أرادت هزه، ضربه، فعل أي شيء لجعل ذلك الفراغ المثير للجنون في وجهه يرحل. «لماذا لا ترغب؟ لماذا لست غاضباً؟ ألم ترَ جولين نيس؟».

تصلب جسده:

— «أريدكِ أن ترحلي».

— «كيتاي، أرجوك...»

— «الآن».

— «أنا صديقتك!».

– «لا، لستِ كذلك. فانغ رونين كانت صديقتي. لست متأكداً من تكونين، لكنني لا أَريد أي علاقة بك».

– «لماذا تستمر في قول ذلك؟ ما الذي فعلته لك يوماً؟».

– «ماذا عما فعلته بهم؟».

أمسك يدها. كانت متفاجئة جداً لدرجة أنها تركته يفعل. صدم كفها فوق المصباح بجانبه، وأجبرها على النزول مباشرة فوق النار. صرخت من الألم المفاجئ؛ ألف إبرة صغيرة، تغرس أعمق وأعمق في كفها.

همس:

– «هل حُرقتِ من قبل؟».

لأول مرة لاحظت رين ندوب حروق صغيرة تنقط كفيه وساعديه. بعضها كان حديثاً. وبعضها بدا وكأنه أحدث بالأمس.

اشتد الألم.

– «تباً!». ركلت بقدمها. أخطأت كيتاي لكنها ضربت المصباح. انسكب الزيت فوق الأوراق. وهبت النار. لثانية رأت وجه كيتاي مضاءً باللهب، مرعوباً تماماً، ثم سحب بطانية عن الأرض ورماها فوق النار.

أظلمت الغرفة.

صرخت:

– «ماذا كان ذلك بحق الجحيم؟».

لم ترفع قبضتيها، لكن كيتاي جفل مبتعداً وكأنها فعلت؛ اصطدم كتفه بالجدار، ثم تكور نحو الأرض ورأسه مدفون تحت ذراعيه، وهزت تنهدات حادة إطاره النحيل.

همس:

– «أنا آسف. لا أعرف ما...»

جعل الألم النابض في يدها أنفاسها مقطوعة، وكاد يصيبها بالدوار. تقريباً بجودة شعورها حين تنتشي. إذا فكرت في الأمر بجدية ستبدأ في البكاء، وإذا

بدأت في البكاء قد يمزقها ذلك إرباً، لذا حاولت الضحك بدلاً من ذلك، وتحول ذلك إلى فواق معذب هز جسدها بالكامل.

تمكنت من القول أخيراً:

— «لماذا؟».

قال:

— «كنت أحاول رؤية كيف كان الأمر».

— «بالنسبة لمن؟».

— «كيف شعروا. في اللحظة التي حدث فيها ذلك. في ثوانيهم الأخيرة جداً. أردت أن أعرف كيف شعروا حين انتهى الأمر».

قالت:

— «لا تشعر بشيء». انطلقت موجة من العذاب صاعدة ذراعها مرة أخرى، وضربت بقبضتها الأرض في محاولة لتخدير الألم. صكت على أسنانها حتى مر.

— «أخبرني ألتان عن ذلك ذات مرة. بعد قليل لا تكون قادراً على التنفس. ثم تلهث بشدة لدرجة أنك لا تشعر بالألم بعد الآن. أنت لا تموت من الحرق، تموت من نقص الهواء. تختنق يا كيتاي. هكذا ينتهي الأمر».

الفصل الخامس

– «جربي بعض حلوى الزنجبيل». اقترح رامسا.

اختنقت رين وبصقت حتى تأكدت أن معدتها لن تخرج شيئاً آخر، ثم سحبت رأسها للخلف فوق جانب السفينة. طفت بقايا فطورها، فوضى بلغمية وبيضاء، في الأمواج الخضراء بالأسفل.

أخذت شظايا الحلوى من كف رامسا ومضغتها وهي تصارع الرغبة في التقيؤ الجاف. رغم كل الأسابيع التي قضوها في البحر، لم تعتد قط على الإحساس المستمر بأن الأرض تدور تحت قدميها.

قال باجي:

– «توقعوا بعض الأمواج الأكثر اضطراباً اليوم. موسم الرياح الموسمية يشتد في أومونود. سنرغب في تجنب الإبحار عكس الريح إذا استمر هذا، ولكن طالما لدينا الساحل ككاسر أمواج، يجب أن نكون بخير».

كان الوحيد بينهم الذي يملك أي خبرة بحرية حقيقية؛ عمل على سفينة نقل كجزء من عقوبة العمل الشاق قبل وقت قصير من إرساله إلى باغرا، وكان يتباهى بذلك بشكل مزعج.

قال رامسا:

– «أوه، اخرس. ليس وكأنك تقوم بأي توجيه حقيقي».

– «أنا الملاح!».

– «اراتشا هو الملاح. أنت فقط تحب شكلك وأنت واقف عند الدفة».

كانت رين ممتنة لأنهم لم يضطروا للقيام بالكثير من المناورات بأنفسهم. عنى ذلك أنهم لم يضطروا للتعامل مع طاقم من المرتزقة المستأجرين من مواغ.

احتاجوا فقط للستة منهم للإبحار صعوداً ونزولاً في بحر نيكان الجنوبي، يقومون بالحد الأدنى من صيانة السفينة بينما يتبع اراتشا المبارك البدن، موجهاً السفينة أينما احتاجوا للذهاب.

أعارتهم مواغ سفينة أفيون سريعة تدعى كاراسيل، سفينة انسيابية ونحيلة حشرت بطريقة ما ستة مدافع على كل جانب. لم يكن لديهم العدد الكافي لتشغيل كل مدفع، لكن رامسا ابتكر حلاً ذكياً. ربط جميع الفتائل الاثني عشر بنفس خيط القنب، مما عنى أنه يستطيع إشعالها كلها دفعة واحدة.

لكن ذلك كان الملاذ الأخير فقط. لم تنوِ رين الفوز في هذه المناوشة بالمدافع. إذا كانت مواغ لا تريد ناجين، فكل ما على رين فعله هو الاقتراب بما يكفي للصعود على متن السفينة.

طوت ذراعيها على الدرابزين وأراحت ذقنها عليهما، تحدق لأسفل في الماء الفارغ. كان الإبحار أقل إثارة للاهتمام بكثير من مراقبة معسكرات العدو. ساحات القتال كانت مسلية بلا نهاية. المحيط كان مجرد وحدة موحشة. قضت الصباح تراقب الأفق الرمادي الرتيب، تحاول إبقاء عينيها مفتوحتين. لم تكن مواغ متأكدة متى سيعود قبطانها المتهرب من الضرائب إلى الميناء. قد يكون في أي وقت من الآن وحتى ما بعد منتصف الليل.

لم تفهم رين كيف يمكن للبحارة تحمل الافتقار الرهيب للاتجاه في البحر. بالنسبة لها، بدا كل امتداد للمحيط متشابهاً. بدون الساحل لترسيخ موقعها، كان الأفق لا يمكن تمييزه عما يليه. يمكنها قراءة خرائط النجوم إذا حاولت، لكن لعينها المجردة، كل رقعة من الأزرق المخضر كانت تعني الشيء نفسه.

يمكن أن يكونوا في أي مكان في خليج أومونود. في مكان ما هناك تقع جزيرة سبير. وفي مكان ما هناك كان الاتحاد.

عرضت مواغ عليها ذات مرة إعادتها إلى موغين لمسح الأضرار، لكن رين رفضت. عرفت ما ستجده هناك. ملايين الجثث محبوسة داخل صخر متصلب، هياكل عظمية متفحمة متجمدة في اخر وضعية حية لها.

كيف ستكون وضعياتهم؟ أمهات يمددن أيديهن لأطفالهن؟ أزواج يلفون أذرعهم حول زوجاتهم؟ ربما تكون أيديهم ممدودة نحو البحر، وكأنهم يستطيعون الهروب من السحب الكبريتية الكثيفة والقاتلة التي تندفع أسفل سفح الجبل لو تمكنوا فقط من الوصول للماء.

تخيلت هذا مرات عديدة، رسمت صورة أكثر وضوحاً بكثير في عقلها مما كان من المرجح أن يكون عليه الواقع. حين أغلقت عينيها رأت موغين ورأت سبير؛ تماهت الجزيرتان معاً في عقلها، لأنه في كلتا الحالتين كانت السردية هي نفسها: أطفال يشتعلون بالنيران، الجلد يتساقط عن أجسادهم في رقع سوداء كبيرة، كاشفاً عن عظم لامع تحته.

احترقوا لحرب شخص آخر، لأخطاء شخص آخر؛ شخص لم يقابلوه قط اتخذ القرار بأن عليهم الموت، لذا في لحظاتهم الأخيرة لم يكن لديهم أي فكرة لماذا كان جلدهم يحترق ويسقط.

رمشت رين وهزت رأسها لتصفيته. استمرت في الانزلاق لأحلام اليقظة. تناولت جرعة صغيرة من صبغة الأفيون الليلة الماضية بعد أن آلمها كفها المحروق لدرجة أنها لم تستطع النوم، وهو ما كان فكرة مريعة عند النظر للوراء لأن صبغة الأفيون أرهقتها أكثر مما فعل الأفيون ولم تكن ممتعة ولا بنصف القدر.

فحصت يدها. كان جلدها منتفخاً وأحمر بغضب، رغم أنها نقعته في الصبار لساعات. لم تستطع تشكيل قبضة دون أن تجفل. كانت ممتنة لأنها أحرقت يدها اليسرى فقط، وليس يد السيف. انكمشت عند التفكير في الإمساك بمقبض السيف على الجلد الحساس.

حركت ظفر إبهامها فوق وسط كفها وغرزته بقوة في الجرح المفتوح. اندفع الألم عبر ذراعها، جالباً الدموع لعينيها. لكنه أيقظها.

قال تشاغان:

— «لم يكن عليكِ تناول تلك الصبغة».

انتفضت معتدلة:

– «أنا مستيقظة».

انضم إليها عند الدرابزين:

– «بالتأكيد أنتِ كذلك».

رمقته رين بنظرة منزعجة، تتساءل كم من الجهد سيتطلبه الأمر لرميه من على ظهر السفينة. ليس كثيراً، خمنت. كان تشاغان هزيلاً بشكل مريع. يمكنها فعل ذلك. لن يفتقدوه. ربما.

قال باجي، الذي لا بد أنه شعر بمباراة صراخ وشيكة، حاشراً نفسه بينهما:

– «هل ترين تلك التشكيلات الصخرية؟». أشار نحو سلسلة من المنحدرات على ساحل أنخيلون البعيد. «ماذا تشبه لكِ؟».

حدقت رين:

– «رجلاً؟».

أومأ باجي:

– «رجلاً غريقاً. إذا أبحرتِ للشاطئ أثناء الغروب، يبدو وكأنه يبتلع الشمس. هكذا تعرفين أنكِ وجدتِ أنخيلون».

سألت رين:

– «كم مرة كنتَ هنا؟».

– «كثيراً. جئت هنا مع ألتان مرة، قبل عامين».

– «لأجل ماذا؟».

– «أراد تير منا قتل مواغ».

نخرت رين:

– «حسناً، إذن لقد فشلتم في قتلها».

– «للإنصاف، كانت المرة الوحيدة التي فشل فيها ألتان».

قالت:

– «أوه، أنا متأكدة. ألتان الرائع. ألتان المثالي. أفضل قائد حظيتم به على الإطلاق. فعل كل شيء بشكل صحيح».

تداخل رامسا:

— «باستثناء تشولو كوريك. يمكنكِ تسمية ذلك كارثة ذات أبعاد هائلة».

فرك باجي ذقنه:

— «للإنصاف، اعتاد ألتان اتخاذ بعض القرارات التكتيكية الجيدة حقاً. قبل، تدرين، تلك السلسلة من القرارات السيئة حقاً».

صفر رامسا:

— «فقد عقله قرب النهاية، لقد فعل».

— «جن قليلاً، نعم».

قال تشاغان:

— «اخرسوا بشأن ألتان».

تابع باجي متجاهلاً إياه:

— «من المؤسف كيف ينهار أفضلهم. مثل فايلين. هولينين أيضاً. وهل تذكرون كيف بدأ ألتان يمشي وهو نائم في خوردالين؟ أقسم، في إحدى الليالي كنت عائداً من التبول وكان هو...»

— «قلت اخرس!».

ضرب تشاغان بكلتا يديه على الدرابزين.

شعرت رين بقشعريرة ملحوظة تجتاح السطح؛ تشكلت نتوءات الأوز على ذراعيها. كان هناك سكون في الهواء، مثل الفراغ بين البرق والرعد. بدأ شعر تشاغان الأبيض كالعظم في التجعد عند الأطراف.

لم يطابق وجهه هالته. بدا وكأنه قد يبكي.

رفع باجي كفيه لأعلى:

— «حسناً. أثداء النمر. أنا آسف».

همس تشاغان بفحيح:

— «ليس لديكم الحق». أشار بإصبعه لرين. «خاصة أنتِ».

تصلبت:

– «ماذا يفترض أن يعني ذلك؟».

– «أنتِ السبب في...»

سألت بصوت عالٍ:

– «في ماذا؟ هيا، قلها».

حشر رامسا طريقه بينهم:

– «يا رفاق. يا رفاق. بحق السلحفاة العظيمة، هدئوا من روعكم. ألتان مات. حسناً؟ مات. والشجار حول الأمر لن يعيده».

***

ناول باجي منظاره لرين، موجهاً انتباهها لنقطة سوداء بالكاد تظهر في الأفق.

– «انظري لهذا. هل تبدو كسفينة من "أسطول الخردة الأحمر" لكِ؟».

حدقت رين في العدسة.

تألف أسطول مواغ من سفن أفيون سريعة مميزة، بنيت ضيقة لسرعة كافية للتفوق على القراصنة الآخرين والبحرية الإمبراطورية، تمتلك هياكل عميقة لنقل كميات ضخمة من الأفيون وأشرعة مدعمة مميزة تشبه زعانف الشبوط. في البحار المفتوحة أخفوا كل العلامات المميزة، لكن عندما رسوا في بحر نيكان الجنوبي، رفعوا العلم القرمزي لأنخيلون.

لكن هذه السفينة كانت خليقة ضخمة، كبيرة ومربعة، أكثر استدارة بكثير من سفينة أفيون سريعة. كان لها أشرعة بيضاء بدلاً من حمراء، ولا علم في الأفق. وبينما كانت رين تشاهد، قطعت السفينة منعطفاً حاداً بشكل مثير للسخرية في الماء نحوهم، كان ينبغي أن يكون مستحيلاً بدون مساعدة شامان.

قالت:

– «تلك ليست لـ مواغ».

قال رامسا وهو يحدق في السفينة بمنظار خاص به:

– «ذلك لا يجعلها سفينة عدو. قد تكون صديقة».

نخر باجي:

— «نحن هاربون نعمل لدى زعيمة قراصنة. هل تظن أن لدينا الكثير من الأصدقاء الآن؟».

صفق رامسا المنظار مغلقاً وحشره في جيبه:

— «نقطة وجيهة».

اقترح تشاغان:

— «فقط افتحوا النار».

رمقه باجي بنظرة غير مصدقة:

— «انظر، لا أعرف كم من الوقت قضيت في البحر، لكن عندما ترى سفينة حربية أجنبية بلا علامات مميزة وبلا مؤشر عما إذا كانت قد جلبت أسطول دعم أم لا، فالاستجابة عادة ليست مجرد فتح النار».

سأل تشاغان:

— «لمَ لا؟ قلتها بنفسك. لا يمكن أن تكون صديقة».

— «لا يعني أنها تبحث عن قتال».

دار رأس رامسا جيئة وذهاباً بين تشاغان وباجي وهما يتحدثان. بدا كفرخ طائر مشوش للغاية.

قالت له رين بسرعة:

— «لا تطلق النار. على الأقل حتى نعرف من هم».

كانت السفينة قريبة بما يكفي الآن لتتمكن بالكاد من تمييز نقش لحروف على جوانب السفينة. "كورمورانت". راجعت قائمة سفن أسطول الخردة الأحمر الراسية في أنخيلون. هذه لم تكن واحدة منها.

قال رامسا وهو يحدق عبر منظاره مرة أخرى:

— «هل ترون هذا؟ ما هذا بحق الجحيم؟».

— «ماذا؟». لم تستطع رين معرفة ما يزعج رامسا. لم تستطع رؤية أي قوات مدرعة. أو طاقم بأي زي، في هذا الصدد.

ثم أدركت أن ذلك كان بالضبط ما هو خطأ.

لم تستطع رؤية أي شخص على متنها على الإطلاق.

لا أحد يقف عند الدفة. لا أحد يجدف بالمجاديف. كانت «كورمورانت» قريبة بما يكفي الآن ليتمكنوا جميعاً من رؤية أسطحها الفارغة.

قال رامسا:

– «هذا مستحيل. كيف يحركونها؟».

انحنت رين فوق جانب السفينة وصرخت:

– «اراتشا! انعطاف حاد لليمين».

أطاع اراتشا، عاكساً اتجاههم أسرع مما تقدر عليه أي سفينة بمجاديف. لكن السفينة الأجنبية انحرفت فوراً لتتبع مسارهم، قاطعة منعطفاً دقيقاً بشكل سخيف. كانت السفينة سريعة أيضاً؛ ورغم أن «كاراسيل» كان لديها اراتشا يدفعها، لم تجد «كورمورانت» أي صعوبة في مجاراة وتيرتهم.

بعد ثوانٍ كانت قد لحقت بهم تقريباً. كانت تسحب بموازاتهم. أياً كان من عليها فقد نوى الصعود.

انتحب رامسا:

– «تلك سفينة أشباح».

قال باجي:

– «لا تكن غبياً».

– «لديهم شامان، إذن. تشاغان محق، يجب أن نطلق النار».

نظروا بعجز لرين لتأكيد الأمر. فتحت فمها تماماً حين شق دوي الهواء، واهتزت «كاراسيل» تحت أقدامهم.

سأل تشاغان:

– «أما زلتِ تظنين أنها ليست معادية؟».

قالت:

– «أطلقوا النار».

ركض رامسا لأسفل السطح لإشعال الفتيل. بعد لحظات هزت سلسلة من الانفجارات «كاراسيل» حين انطلقت مدافع جانبهم الأيمن واحداً تلو الآخر.

كشطت كرات معدنية مشتعلة فوق الماء، مخلفة ذيولاً برتقالية ساطعة خلفها، لكن بدلاً من تفجير ثقوب في جوانب «كورمورانت»، ارتدت فقط عن طلاء معدني. بالكاد اهتزت السفينة الحربية المعادية من التأثير.

في هذه الأثناء ترنحت «كاراسيل» بشكل مقلق لليمين. اختلست رين النظر فوق الحافة؛ لقد تلقوا ضرراً في هيكلهم، ورغم أنها لم تكن تعرف شيئاً تقريباً عن السفن، لم يبدُ ذلك قابلاً للنجاة منه.

لعنت تحت أنفاسها. سيضطرون للتجديف بأحد قوارب النجاة للعودة للشاطئ. إذا لم تتخلص منهم «كورمورانت» أولاً.

استطاعت سماع خطوات رامسا تتحرك بشكل محموم بالأسفل، يحاول إعادة التلقيم. حلّقت سهام فوق رأسها، بفضل قارا، لكنها ارتطمت دون فعالية بجوانب السفينة الحربية. لم يكن لدى قارا هدف؛ لم يكن للسفينة الحربية طاقم على السطح، ولا رماة. أياً كان، لم يحتج لرماة حين كان لديه صف من المدافع قوية لدرجة تمكنها على الأرجح من نسف «كاراسيل» من الماء في دقائق.

صرخت رين:

— «اقتربوا أكثر!».

كانوا متفوقين عليهم تسليحاً ومناورة. الفرصة الوحيدة التي امتلكوها للفوز كانت الصعود لتلك السفينة وتدخينها للخارج.

— «اراتشا! ضعني على تلك السفينة!».

لكنهم لم يكونوا يتحركون. تمايلت «كاراسيل» بفتور في الماء.

— «اراتشا!».

لا رد. تسلقت رين على الدرابزين وانحنت لتنظر للخارج. رأت تياراً غريباً من السواد، كسحابة دخان تنتشر تحت الماء.

دم؟ لكن اراتشا لا ينزف، ليس حين يكون في شكله المائي. والسحابة بدت أغمق من أن تكون دماً.

لا. بدت كالحبر.

ترجمة / كاميليا

صرخت قذيفة فوق الرؤوس. انحنت. هبطت الرشقة في الماء أمامها. انبعث دفق آخر من السواد من موقع الارتطام.

كان حبراً.

كانوا يطلقون الكريات في الماء. كان هذا متعمداً. مهاجموهم عرفوا أن السيك لديهم شامان مائي، وقد أعموا اراتشا عن قصد لأنهم عرفوا ما يكون.

ضاق صدر رين. لم يكن هذا هجوماً عشوائياً. السفينة الحربية استهدفتهم، واستعدت لما يمكنهم فعله. كان هذا كميناً محسوباً خُطط له جيداً مقدماً.

لقد باعتهم مواغ.

صفرت سلسلة أخرى من القذائف عبر الهواء، هذه المرة متجهة للسطح. انحنت رين، مستعدة للانفجار، لكن الارتطام لم يأتِ. فتحت عينيها. متفجرات مؤجلة؟

لكن لم يهز القارب أي انفجار ناري. بدلاً من ذلك انطلقت سحابة من الدخان الأسود من القذائف، تنتشر للخارج بسرعة مرعبة. لم تكلف رين نفسها عناء محاولة الركض. غطى الدخان السطح بأكمله في ثوانٍ.

لم يكن مجرد ستار دخاني، كان خانقاً؛ حاولت سحبَ الهواء لكن لا شيء مر؛ كان الأمر كما لو أن حلقها انغلق، كما لو أن أحداً ثبتها للجدار من عنقها. ترنحت للخلف، تختنق. استطاعت تذوق شيء في الهواء؛ شيء حلو بشكل مقزز ومألوف بشكل رهيب.

أفيون.

إنهم يعرفون ما نحن عليه. يعرفون ما يجعلنا ضعفاء.

سقط سوني وباجي على ركبتيهما، خاضعين تماماً. أينما كانت قارا، فقد توقفت عن الرمي. استطاعت رين بالكاد تمييز أشكال رامسا وتشاغان المرتخية عبر الدخان. بقيت هي فقط واقفة، تسعل بعنف، تمسك بوهن بحلقها.

لقد دخنت الأفيون مرات عديدة، كانت مراحل النشوة مألوفة لها الآن. كانت مسألة وقت فقط.

أولاً كان هناك الإحساس الدوار بالطفو، مصحوباً بنشوة غير عقلانية.
ثم الخدر الذي شعرت به جيداً تقريباً.
ثم لا شيء.

***

لسعت ذراعا رين وكأنها غمرتهما داخل خلية نحل. كان طعم فمها كالفحم. حاولت استحضار ما يكفي من اللعاب لترطيب حلقها وبالكاد دبرت كتلة منفرة من البلغم. أجبرت عينيها على الفتح. جعلها هجوم الضوء المفاجئ تدمع؛ اضطرت للرمش عدة مرات قبل أن تتمكن من النظر لأعلى.

كانت مربوطة بصارية، ذراعاها ممدودتان فوقها. حركت أصابعها. لم تستطع الشعور بهم. كانت ساقاها مقيدتين أيضاً، مربوطتين بإحكام لدرجة أنها لم تستطع حتى ثنيهما.

جاء صوت باجي:

— «لقد استيقظت».

لوت عنقها لكنها لم تستطع رؤيته. عندما أدارت رأسها عانت من نوبة مفاجئة من الدوار. حتى وهي مقيدة، شعرت وكأنها تطفو. النظر لأعلى أو لأسفل منحها الإحساس الرهيب بالسقوط. أغمضت عينيها بشدة.

— «باجي؟ أين أنت؟».

قال:

— «خلفك. الجانب الآخر من... الصارية».

خرجت كلماته في تمديد بالكاد مفهوم.

سألت:

— «الآخرون؟».

زقزق رامسا من جانبها الآخر:

— «الكل هنا. اراتشا في ذلك البرميل».

جلست رين مستقيمة:

— «انتظر، هل يمكنه...»

— «لا فائدة. أغلقوا الغطاء. من الجيد أنه لا يحتاج للتنفس».

لا بد أن رامسا كان يهز ذراعيه، يشد الحبل، لأنها شعرت بقيودها تضيق بشكل مؤلم حول معصميها.

قالت:

— «توقف عن ذلك».

— «آسف».

سألت:

— «سفينة من هذه؟».

قال باجي:

— «لن يخبرونا».

— «هم؟ من هم؟».

— «لا نعرف. نيكارا، أفترض، لكنهم لن يتحدثوا إلينا». رفع باجي صوته ليصرخ في حارس لا بد أنه كان يقف خلفها، لأن رين لم تستطع رؤية أحد. «هاي، أنت! أنت نيكارا؟».

لا رد.

قال باجي:

— «أخبرتكم».

قال رامسا:

— «ربما هم بُكم. كلهم».

قال باجي:

— «لا تكن أحمق لعيناً».

— «من الممكن أن يكونوا كذلك! كيف لك أن تعرف!».

لم يكن ذلك مضحكاً على الإطلاق، لكن رامسا انهار في نوبة من القهقهة، مائلاً للأمام بحيث شُدت الحبال بشكل مؤلم على أذرعهم جميعاً.

جاء صوت تشاغان من على بعد عدة أقدام:

— «هل يمكنكم جميعاً أن تخرسوا؟».

فتحت رين عينيها لجزء من الثانية، وقتاً كافياً فقط لاستيعاب مشهد تشاغان، وقارا، وسوني مقيدين للصارية المقابلة لها. كان تشاغان متهدلاً ضد أخته. وسوني لا يزال فاقداً للوعي، رأسه متدلٍ للأمام. تجمعت بركة كثيفة من اللعاب تحت فمه المفتوح.

قال رامسا:

— «لماذا، مرحباً. سعيد برؤيتكم أيضاً».

تذمر تشاغان:

— «أغلق فمك اللعين». قبل أن ينزلق في سلسلة من الشتائم انتهت بـ «خنازير نيكارا الملعونة».

أطلق رامسا قهقهة حادة:

— «هل أنت منتشٍ؟ أثداء النمر، تشاغان منتشٍ...»

— «أنا... لست...»

— «بسرعة، فليسأله أحدكم إن كان مصاباً بالإمساك دائماً أم أن وجهه يبدو هكذا فقط».

صاح تشاغان:

— «على الأقل لدي كلتا العينين».

— «أوه، "لدي كلتا العينين". مزحة لطيفة. على الأقل لست نحيلاً لدرجة أن حمامة يمكنها الإطاحة بي...»

همست رين:

— «اخرسوا». فتحت عينيها مرة أخرى، تحاول تقييم محيطهم. كل ما استطاعت رؤيته هو المحيط يتراجع خلفهم.

— «رامسا. ماذا ترى؟».

— «فقط جانب السفينة. قليل من المحيط».

— «باجي؟».

صمت. هل نام مرة أخرى؟

صرخت:

– «باجي!».

– «هممم؟ ماذا؟».

– «ماذا يمكنك أن ترى؟».

– «آه. قدمي. حاجز. السماء».

– «لا، أيها الأحمق، إلى أين نتجه؟».

– «كيف بحق الجحيم يفترض بي أن أعرف... انتظري. هناك نقطة. نعم، تلك نقطة. جزيرة، أعتقد؟».

تسارع نبض قلب رين. سبير؟ موغين؟ لكن كلاهما كانتا على بُعد عدة أسابيع؛ لا يمكن أن يكونوا في أي مكان قريب. ولم تُذكر أي جزر قرب أنخيلون. القواعد البحرية الهيسبيرية القديمة، ربما؟ لكن تلك كانت مهجورة منذ زمن. إذا عاد الهيسبيريون، فالعلاقات الخارجية لنيكان تغيرت بشكل جذري منذ آخر مرة تحققت فيها.

سألت:

– «هل أنت متأكد؟».

– «ليس حقاً. انتظري». صمت باجي للحظة. «السلحفاة العظيمة. تلك سفينة لطيفة».

– «ماذا تعني بـ تلك سفينة لطيفة؟».

قال باجي:

– «أعني، لو كانت تلك السفينة شخصاً، لضاجعتها».

شكت رين أن باجي لن يكون ذا عون كبير حتى يزول تأثير الأفيون. لكن سفينتهم قامت بانعطاف حاد لليسار، واضعة رين في رؤية كاملة لما تبين أنه، بالفعل، سفينة لطيفة جداً. كانوا قد أبحروا في ظل أكبر سفينة حربية رأتها على الإطلاق: خردة حربية وحشية، متعددة الطوابق، مع عدة طبقات من المجانيق والكوات، ومنجنيق ضخم مثبت فوق برج سطح.

درست رين الحرب البحرية في سينغارد، وإن لم يكن بعمق. أسطول البحرية الإمبراطورية نفسه كان قد وقع في حالة يرثى لها، والأشخاص الوحيدون الذين أرسلوا لمناصب بحرية كانوا حثالة كل فصل. مع ذلك، تعلموا ما يكفي عن الحرف البحرية لتعرف رين أن هذه لم تكن سفينة إمبراطورية. لم يستطع النيكارا بناء سفن كهذه. كان لا بد أنها بارجة أجنبية.

تأمل عقلها ببطء الاحتمالات. لم يأخذ الهيسبيريون أي جانب في حرب الخشخاش الثالثة، لكن إن فعلوا، لكانوا تحالفوا مع الإمبراطورية، مما يعنى...

لكنها سمعت الطاقم يصرخون بأوامر لبعضهم البعض، وكانوا يتحدثون بـ لهجة «نيكارا» طلقة.

— «توقفوا. استعدوا للصعود».

أي جنرال نيكارا لديه وصول لسفينة هيسبيرية؟

سمعت رين صراخاً، وصوت خشب يئز، وخطوات ثقيلة تتحرك حول السطح. قاومت الحبال بقوة أكبر، لكن كل ما فعله ذلك هو كشط معصميها؛ لسع جلدها كأنه كُشط حتى اللحم الحي.

صرخت:

— «ماذا يحدث؟ من أنتم؟».

سمعت أحدهم يأمر بتشكيل تحية، مما عنى أنه يتم الصعود عليهم من قبل شخص برتبة أعلى. أمير حرب؟ هيسبيري؟

قال باجي:

— «أعتقد أننا على وشك أن نُسلَّم. كان من اللطيف معرفتكم جميعاً. باستثناء أنت، تشاغان. أنت غريب الأطوار».

قال تشاغان:

— «تباً لك».

قال رامسا:

– «انتظروا، لا يزال لدي عظمة حوت في جيبي الخلفي. رين، يمكنك محاولة إشعال القليل فقط، احرقي الحبال ثم سأخرجها...»

استمر رامسا في الثرثرة، لكن رين بالكاد سمعت ما كان يقوله.

كان رجل قد دخل لتوّه مجال رؤيتها. جنرال، بالحكم من زيه. ارتدى نصف قناع فوق وجهه، قناع أوبرا سينغاردي من الخزف الأزرق السماوي. لكن بنيته الطويلة والنحيلة هي التي لفتت نظرها، ومشيتُه: واثقة، متعجرفة، كأنه توقع من كل من حوله الانحناء أمامه.

كانت تعرف تلك المشية.

تابع رامسا:

– «يمكن لـ سوني التعامل مع الحرس الرئيسي، وسأستولي على المدافع، أفجر السفينة أو شيئاً...»

قالت رين بصوت مخنوق:

– «رامسا. اخرس».

عبر الجنرال السطح وتوقف أمامهم.

سأل:

– «لماذا هم مقيدون؟».

تصلبت رين. كانت تعرف ذلك الصوت.

أسرع أحد أفراد الطاقم نحوه:

– «سيدي، حُذرنا ألا ندع أيديهم تغيب عن الأنظار».

– «هؤلاء أصدقائنا. ليسوا سجناء. فك قيودهم».

– «سيدي، لكنهم...»

– «أنا لا أهوى تكرار قولي».

كان لا بد أنه هو. قابلت شخصاً واحداً فقط استطاع نقل كل هذا الازدراء في كلمات قليلة جداً.

قال الجنرال:

– «لقد قيدتموهم بإحكام لدرجة أن أطرافهم ستعاني من فقدان الدم. إذا سلمتموهم متضررين لأبي، سيكون غاضباً جداً، جداً».

– «سيدي، لا أعتقد أنك تفهم طبيعة التهديد...»

– «أوه، أنا أفهم. كنا زملاء دراسة. ألم نكن كذلك، رين؟».

ركع الجنرال أمامها وسحب قناعه.

جفلت رين.

الفتى الذي تذكرته كان جميلاً جداً. بشرة كالخزف، ملامح أدق مما يستطيع أي نحات نحته، حواجب مقوسة بدقة نقلت بالضبط ذلك المزيج من التعالي والهشاشة الذي كان شعراء نيكان يحاولون وصفه لقرون.

لم يعد **نزهة** جميلاً.

كان الجانب الأيسر من وجهه لا يزال مثالياً، بطريقة ما؛ لا يزال ناعماً كطلاء الخزف الفاخر. لكن الجانب الأيمن... الجانب الأيمن كان مبقعاً بالندوب، تتقاطع فوق خده كصفائح صدفة سلحفاة.

لم تكن تلك ندوباً طبيعية. لم تشبه شيئاً من ندوب الحروق التي رأتها رين على الجثث المدمرة بالغاز. كان ينبغي لوجه نزهة أن يكون ملتوياً ومشوهًا، إن لم يكن مسوداً تماماً. لكن جلده بقي شاحباً كما كان دائماً. وجهه الخزفي لم يسود، بل بدا كزجاج تهشم وأعيد لصقه معاً. تلك الندوب الهندسية بشكل غريب كان يمكن أن تكون قد رسمت فوق جلده بفرشاة دقيقة.

سُحب فمه في تكشيرة دائمة نحو الجانب الأيسر من وجهه، كاشفاً عن أسنانه، قناع من التعالي لم يستطع خلعه أبداً.

عندما نظرت رين في عينيه، رأت أبخرة صفراء سامة تتدحرج فوق عشب ذابل. سمعت صرخات تضاءلت إلى اختناقات. وسمعت شخصاً يصرخ باسمها، مراراً وتكراراً.

وجدت صعوبة متزايدة في التنفس. ملأ طنين أذنيها، وغيمت بقع سوداء جوانب رؤيتها كقطرات حبر على ورق رطب.

قالت:

– «أنت ميت. رأيتك تموت».

بدا نزهة مستمتعاً:

– «وكان من المفترض دائماً أن تكوني أنتِ الذكية».

الفصل السادس

صرخت رين:

– «ما هذا بحق الجحيم؟».

قال نزهة:

– «أهلاً بكِ أنتِ أيضاً. ظننت أنكِ ستكونين سعيدة برؤيتي».

لم تستطع فعل شيء سوى التحديق فيه. بدا الأمر مستحيلاً، ضرباً من الخيال، أن يكون حياً حقاً، واقفاً أمامها، يتحدث، ويتنفس.

نادى نزهة:

– «أيها القبطان، الحبال».

شعرت رين بالضغط حول معصميها يشتد للحظة، ثم يختفي. سقطت ذراعاها إلى جانبيها. وتدفق الدم عائداً إلى أطرافها، مرسلاً مليون صدمة كهربائية عبر أصابعها. فركت معصميها وجفلت حين تقشر الجلد في يديها.

سأل نزهة:

– «هل يمكنكِ الوقوف؟».

تدبرت إيماءة. سحبها لتقف على قدميها. خطت خطوة للأمام، فصدمتها نوبة دوار وكأنها موجة عاتية.

أمسك نزهة بذراعها حين ترنحت نحوه قائلاً:

– «تمالكي نفسك».

استعادت توازنها وقالت:

– «لا تلمسني».

– «أعرف أنكِ مشوشة. لكن الأمر...»

– «قلت لا تلمسني».

تراجع للخلف، ويداه مبسوطتان:

– «سيتضح كل شيء في دقيقة. أنتِ في أمان. فقط ثقي بي».

كررت:

– «أثق بك؟ لقد قصفتَ سفينتي!».

– «حسناً، إنها ليست سفينتك تقنياً».

صرخت، وعقلها لا يزال يشعر ببطء شديد، لكن هذه الحقيقة بدت لها مهمة جداً جداً:

– «كان يمكن أن تقتلنا! لقد أطلقتم أفيوناً على سفينتي!».

– «هل كنتِ تفضلين أن نطلق صواريخ حقيقية؟ كنا نحاول عدم إيذائك».

– «رجالك قيدونا إلى الصارية لساعات!».

خفض نزهة صوته:

– «لأنهم لم يرغبوا في الموت على أيديكم! اسمعي، أنا آسف لأن الأمور آلت إلى ذلك. كنا بحاجة لإخراجك من أنخيلون. لم نكن نحاول إيذاءك».

نبرته المسترضية جعلتها أكثر غضباً وحسب. لم تكن طفلة لعينة؛ ولا يمكنه تهدئتها بوشوشات ناعمة.

– «لقد تركتني أظن أنك ميت».

– «ماذا كنتِ تريدين، رسالة؟ لم يكن تعقبك سهلاً للغاية أيضاً».

– «الرسالة كانت لتكون أفضل من قصف سفينتي!».

– «هل ستتجاوزين هذا الأمر يوماً ما؟».

– «إنه أمر من الصعب تجاوزه!».

قال:

– «سأشرح كل شيء إذا أتيت معي. هل يمكنك المشي؟ أرجوك؟ والدي بانتظارنا».

كررت بلاهة:

– «والدك؟».
– «بحقك يا رين. أنتِ تعرفين من هو والدي».
رمشت نحوه. ثم أدركتَ الأمر.
أوه.
إما أنها أصابتها ضربة حظ هائلة، أو أنها على وشك الموت.
سألت:
– «أنا فقط؟».
رفرفت عينا نزهة نحو السيك، وتوقفتا للحظة عند تشاغان.
– «قيل لي إنكِ القائدة الآن؟».
ترددت. لم تكن تتصرف كقائدة كثيراً. لكن اللقب كان لها، حتى لو بالاسم فقط.
– «نعم».
– «إذن أنتِ فقط من سيأتي».
– «لن أذهب بدون رجالي».
– «أخشى أنني لا أستطيع السماح بذلك».
رفعت ذقنها بتحد:
– «هذا مؤسف إذًن».
أشار نزهة نحو السيك:
– «هل تظنين بجدية أن أياً منهم في حالة تسمح بمقابلة أمير حرب؟».
كان سوني لا يزال نائماً، وبركة اللعاب تتسع تحت فمه. وحدق تشاغان فاغر الفاه في السماء، مفتوناً، بينما أغمض رامسا عينيه بقوة، يقهقه على لا شيء على وجه الخصوص.
كانت المرة الأولى التي تفرح فيها رين لأنها طورت قدرة تحمل عالية للأفيون.
قالت:

– «أحتاج لكلمتك بأنك لن تؤذيهم».

بدا نزهة مهاناً:

– «أرجوكِ. أنتم لستم سجناء».

– «إذن ماذا نحن؟».

قال بلباقة:

– «مرتزقة. فكري في الأمر بهذه الطريقة. أنتم مرتزقة بلا عمل، ووالدي لديه عرض سخي جداً لكم».

– «ماذا لو لم يعجبنا؟».

– «أعتقد حقاً أنه سيعجبكم». أشار نزهة لرين لتتبعه عبر السطح، لكنها بقيت حيث وقفت.

– «أطعم الرجال بينما نحن بالخارج إذن. وجبة ساخنة، وليس بقايا».

– «رين، هيا...»

– «امنحهم حماماً أيضاً. ثم خذهم لأماكنهم الخاصة. ليس السجن. هذه شروطي. وأيضاً، رامسا لا يحب السمك».

– «كان يعمل قبالة الساحل ولا يحب السمك؟».

– «إنه صعب الإرضاء».

تمتم نزهة بشيء للقبطان، الذي اتخذ وجهاً وكأنه أجبر على شم حليب فاسد.

قال نزهة:

– «تم. الآن هل ستأتين؟».

خطت خطوة وتعثرت. مد نزهة ذراعه نحوها. تركته يساعدها إلى حافة السفينة.

نادى رامسا خلفهما:

– «شكراً أيتها القائدة. حاولي ألا تموتي».

***

لاحت السفينة الحربية الهيسبيرية سيغريم ضخمة فوق قارب التجديف الخاص بهم، تبتلعهم تماماً في ظلها. لم تستطع رين إلا أن تحدق في رهبة من حجمها الهائل. كان يمكنها حشر نصف تيكاني في تلك السفينة الحربية، بما في ذلك المعبد.

كيف يبقى وحش كهذا طافياً؟ وكيف يتحرك؟ لم تستطع رؤية أي مجاديف. بدت سيغريم تماماً مثل «كورمورانت»، سفينة شبح بلا طاقم مرئي.

قالت:

– «لا تقل لي أن لديك شاماناً يشغل هذا الشيء».

– «ليت ذلك كان صحيحاً. لا، هذا قارب ذو عجلات تجديف».

– «وما هو ذلك؟».

ابتسم ابتسامة عريضة:

– «هل سمعتِ بأسطورة حكيم أرلونغ العجوز؟».

قلبت عينيها:

– «من هذا، جدك؟».

– «جد أبي. تقول الأسطورة إن الحكيم العجوز كان يحدق في عجلة مياه تروي الحقول وفكر في عكس الظروف؛ إذا حرك العجلة، فلا بد أن الماء سيتحرك. مبدأ واضح إلى حد ما، أليس كذلك؟ من المذهل كم استغرق الأمر وقتاً ليطبقه شخص ما على السفن».

تابع شرحه بحماس:

– «انظري، السفن الإمبراطورية القديمة صممت بغباء. تدفع بمجاديف من السطح العلوي. المشكلة في ذلك هي أنه إذا أطلق النار على مجدفيك، تصبحين ميتة في الماء. لكن دافعات عجلات التجديف موجودة في السطح السفلي. محاطة بالكامل بهيكل السفينة، ومحمية تماماً من مدفعية العدو. تحسّن بسيط عن النماذج القديمة، هاه؟».

بدا نزهة مستمتعاً بالحديث عن السفن. سمعت رين نبرة فخر واضحة في صوته وهو يشير إلى الحواف في أسفل السفينة الحربية.

– «أترين تلك؟ إنها تخفي عجلات التجديف».

لم تستطع إلا التحديق في وجهه وهو يتحدث. عن قرب، لم تكن ندوبه مقلقة جداً، بل كانت جذابة بشكل غريب. تساءلت إن كان الحديث يؤلمه.

سأل نزهة:

– «ما الأمر؟». لمس خده. «قبيح، أليس كذلك؟ يمكنني إعادة القناع، إذا كان يزعجك».

قالت بسرعة:

– «ليس ذلك».

– «ماذا إذن؟».

رمشت مرة أخرى:

– «أنا فقط... أنا آسفة».

عبس متسائلاً:

– «على ماذا؟».

حدقت فيه، تبحث عن دليل على السخرية، لكن تعبيره كان منفتحاً وقلقاً.

قالت:

– «إنه خطئي».

توقف عن التجديف:

– «إنه ليس خطأك».

– «بلى، كان كذلك». ابتلعت ريقها. «كان بإمكاني سحبك. سمعتك تنادي اسمي. أنت رأيتني».

– «أنا لا أتذكر ذلك».

– «بلى، تتذكر. توقف عن الكذب».

– «رين. لا تفعلي هذا». توقف نزهة عن التجديف ليمد يده ويمسك يدها. «لم يكن خطأك. أنا لا ألومك».

– «يجب أن تلومني».

– «أنا لا ألومك».

قالت مرة أخرى:

– «كان بإمكاني سحبك. أردت ذلك، كنت سأفعل، لكن ألتان لم يسمح لي، و...»

قال نزهة بصوت قاسٍ وهو يستأنف التجديف:

– «إذن لومي ألتان. الاتحاد لم يكن ليقتلني أبداً. الموغينيون يحبون الاحتفاظ بالأسرى. أحدهم اكتشف أنني ابن أمير حرب، لذا احتفظوا بي للفدية. ظنوا أنهم قد يستخدمونني للضغط من أجل استسلام مقاطعة التنين».

– «كيف هربت؟».

– «لم أفعل. كنت في المعسكر حين انتشر خبر موت الإمبراطور ريوهاي. الجنود الذين أسروني رتبوا للمقايضة بي مرة أخرى إلى أبي مقابل خروج آمن من البلاد».

سألت:

– «وهل حصلوا عليه؟».

تجهم وجهه:

– «استطاعوا الخروج بشكل آمن ».

***

عندما وصلوا لهيكل السفينة الحربية، علق نزهة أربعة حبال بأطراف قارب التجديف وصفر للسماء. بعد ثوانٍ بدأ القارب يهتز بينما رفعهم البحارة لأعلى.

لم يكن السطح الرئيسي مرئياً من قارب التجديف، لكن الآن رأت رين أن الجنود كانوا متمركزين في كل ركن من أركان السفينة. كانت ملامحهم من نيكان؛ لا بد أنهم من مقاطعة التنين، لكن رين لاحظت أنهم لا يرتدون زي الميليشيا.

جنود الفرقة السابعة الذين قابلتهم في خوردالين ارتدوا عتاد ميليشيا أخضر مع شارة تنين مخيطة في عصابات أذرعهم. لكن هؤلاء الجنود كانوا متشحين بالأزرق الداكن، مع نمط تنين فضي مرئي فوق صدورهم.

— «من هنا».

قادها نزهة أسفل الدرج إلى السطح الثاني وأسفل الممر حتى توقفوا أمام مجموعة من الأبواب الخشبية يحرسها رجل طويل ونحيل يحمل مطرداً مزيناً بشريط أزرق.

— «النقيب إريدين». توقف نزهة وأدى التحية، رغم أنه وفقاً للزي الرسمي كان يجب أن يكون الرتبة الأعلى.

— «جنرال».

بدا النقيب إريدين كرجل لم يبتسم قط في حياته. بدت خطوط التجهم العميقة محفورة بشكل دائم في وجهه الهزيل والصارم. أحنى رأسه لنزهة، ثم التفت لرين.

— «مدي ذراعيك».

قال نزهة:

— «هذا ليس ضرورياً».

قال إريدين:

— «مع كل الاحترام الواجب سيدي، لست أنت من أقسم على حماية حياة والدك. مدي ذراعيك».

أطاعت رين:

— «لن تجد أي شيء».

عادة ما كانت تحتفظ بخناجر في حذائها وقميصها الداخلي، لكنها استطاعت الشعور بغيابها الآن؛ لا بد أن طاقم «كورمورانت» أزالوها بالفعل.

— «لا يزال علي التحقق». نظر إريدين داخل أكمامها. «علي تحذيرك أنكِ إذا تجرأتِ حتى على توجيه عود أكل في اتجاه أمير حرب التنين، فستُملئين

بسهام النشاب أسرع مما يمكنك التنفس». تحركت يداه لأعلى قميصها. «لا تنسي أن لدينا رجالك أيضاً كرهائن».

رمت رين نزهة بنظرة اتهام:

— «قلت إننا لسنا رهائن».

قال نزهة، وعيناه قاسيتان وهو يلتفت لإريدين:

— «هم ليسوا كذلك. إنهم ضيوفنا، أيها النقيب».

هز إريدين كتفيه:

— «سمهم ما شئت. لكن جربوا أي شيء مريب وسيكونون موتى».

تحركت رين ليتمكن من تحسس أسفل ظهرها بحثاً عن أسلحة.

— «لم أكن أخطط لذلك».

عندما انتهى، مسح إريدين يديه بزيّه الرسمي، واستدار، وأمسك بمقابض الباب.

— «في هذه الحالة، علي أن أقدم لك ترحيباً نيابة عن أمير حرب التنين».

***

— «فانغ رونين، أليس كذلك؟ مرحباً بك في سيغريم».

للحظة لم تستطع رين إلا أن تفتح فمها بذهول. لم تستطع النظر إلى أمير حرب التنين وألا ترى نزهة. كان يين فايسرا نسخة بالغة من ابنه بلا ندوب. امتلك كل الجمال المثير للغضب لبيت يين؛ بشرة شاحبة، وشعر أسود بلا خصلة شيب واحدة، وملامح دقيقة بدت وكأنها نحتت من الرخام؛ باردة، ومتعجرفة، ومهيبة.

سمعت ثرثرة لا تنتهي عن أمير حرب التنين خلال سنواتها في سينغارد. كان يحكم أغنى مقاطعة في الإمبراطورية بفارق كبير. قاد بمفرده الدفاع عن المنحدرات الحمراء في حرب الخشخاش الثانية، وسحق أسطولاً فيدرالياً بمجموعة صغيرة فقط من قوارب الصيد النيكارية. كان يتململ تحت حكم داجي لسنوات. عندما فشل في الظهور في موكب الإمبراطورة الصيفي للسنة

الثالثة على التوالي، تكهن المتدربون بصوت عالٍ جداً بأنه يخطط لخيانة علنية لدرجة أن نزهة فقد أعصابه وأرسل أحدهم إلى المصحة.

قالت بصوت بدا ضئيلاً وهشاً، ابتلعته الغرفة المذهبة الشاسعة:

— «رين، لا بأس بهذا الاسم».

أعلن فايسرا:

— «تصغير مبتذل». حتى صوته كان نسخة أعمق من صوت نزهة، تمطيط قاسٍ بدا مغلفاً بشكل دائم بالتعالي. «إنهم مولعون بتلك الأسماء في الجنوب. لكنني سأدعوكِ رونين. تفضلي بالجلوس».

ألقت نظرة خاطفة على طاولة البلوط بينهما. كان سطحها منخفضاً، وبدت الكراسي عالية الظهر ثقيلة بشكل رهيب. إذا جلست، ستتحاصر ركبتاها.

— «سأقف».

رفع فايسرا حاجبيه:

— «هل أسبب لك عدم الراحة؟».

قالت رين:

— «لقد قصفت سفينتي. لذا نعم، قليلاً».

— «يا عزيزتي، لو أردتك ميتة، لكان جسدك في قاع خليج أومونود».

— «إذن لماذا هو ليس كذلك؟».

— «لأننا نحتاجك». سحب فايسرا كرسيه وجلس، مشيراً لنزهة ليفعل الشيء نفسه. «لم يكن العثور عليك سهلاً، أتعلمين. كنا نبحر أسفل ساحل مقاطعة الثعبان لأسابيع الآن. حتى أننا تفقدنا موغين».

قالها وكأنه قصد إفزاعها، وقد نجح. لم تستطع إلا أن تجفل. راقبها، منتظراً.

ابتلعت الطعم وسألت:

— «ماذا وجدت؟».

– «مجرد بضع جزر طرفية. بالطبع، لم يكن لديهم أدنى فكرة عن مكان وجودك، لكننا بقينا أسبوعاً أو نحو ذلك للتأكد. الناس يقولون أي شيء تحت التعذيب».

اشتدا أصابعها في قبضتين.

– «ما زالوا أحياء؟».

شعرت وكأن أحداً ضرب قفصها الصدري بقضيب معدني. عرفت أن جنود الاتحاد بقوا في البر الرئيسي، لكن ليس أن المدنيين ما زالوا أحياء. ظنت أنها وضعت نهاية دائمة للبلاد. ماذا لو لم تفعل؟ حذر الاستراتيجي العظيم سونزي دائماً من القضاء على العدو تماماً في حال عادوا أقوى. ماذا سيحدث عندما يعيد مدنيو الاتحاد تجميع صفوفهم؟ ماذا لو كان لا يزال لديها حرب لتخوضها؟

طمأنها فايسرا:

– «غزوهم انتهى. لقد تأكدتِ من ذلك. الجزر الرئيسية دمرت. الإمبراطور ريوهاي ومستشاروه ماتوا. بضع مدن على حواف الأرخبيل لا تزال قائمة، لكن الاتحاد انفجر في جنون هائج، مثل النمل المتدفق من التل بمجرد قتل الملكة. بعضهم يبحرون من الجزر في جماعات، طالبين اللجوء على شواطئ نيكان، لكن... حسناً. نحن نتخلص منهم حال وصولهم».

– «كيف؟».

– «بالطريقة المعتادة». ارتجفت شفتاه في ابتسامة. «لمَ لا تجلسين؟».

على مضض، سحبت الكرسي بعيداً عن الطاولة قدر ما استطاعت وجلست على الحافة تماماً، وركبتاها مضمومتان معاً.

قال فايسرا:

– «هكذا. الآن نحن أصدقاء».

قررت رين أن تكون صريحة:

– «هل أنت هنا لتعيدني للعاصمة؟».

– «لا تكوني غبية».
– «إذن ماذا تريد مني؟».
– «خدماتك».
– «لن أقتل أحداً لأجلك».
– «احلمي بشيء أكبر قليلاً يا عزيزتي». انحنى فايسرا للأمام. «أريد الإطاحة بالإمبراطورية. وأود منك المساعدة».

ساد الصمت الغرفة. درست رين وجه فايسرا، منتظرة أن ينفجر ضاحكاً. لكنه بدا صادقاً بشكل رهيب، وكذلك نزهة، لدرجة أنها لم تستطع إلا أن تقهقه.

سأل فايسرا:

– «هل هناك شيء مضحك؟».
– «هل أنت مجنون؟».
– «"صاحب رؤية"، أعتقد أنها الكلمة التي تريدينها. الإمبراطورية على وشك الانهيار. الثورة هي البديل الوحيد لعقود من الحرب الأهلية، وشخص ما يجب أن يبدأ دحرجة الكرة».

ضحكت رين مرة أخرى:

– «وتراهن بفرصك ضد الميليشيا؟ أنتم مقاطعة واحدة ضد إحدى عشرة. ستكون مذبحة».

قال فايسرا:

– «لا تكوني متأكدة جداً. المقاطعات غاضبة. إنهم يتألمون. ولأول مرة منذ أن يتذكر أي من أمراء الحرب، اختفى شبح الاتحاد. الخوف كان قوة موحدة. الآن الشقوق في الأساس تنمو يوماً بعد يوم. هل تعلمين كم عدد التمردات المحلية التي اندلعت في الشهر الماضي؟ داجي تفعل كل ما بوسعها لإبقاء الإمبراطورية موحدة، لكن المؤسسة سفينة غارقة تعفنت من النواة. قد تنجرف لفترة، لكن في النهاية ستتحطم إرباً على الصخور».
– «وتظن أنك تستطيع تدميرها وبناء واحدة جديدة».

– «أليس هذا بالضبط ما تريدينه؟».

– «قتل امرأة واحدة ليس نفس الشيء كالإطاحة بنظام».

قال فايسرا:

– «لكن لا يمكنك تقييم تلك الأحداث في فراغ. ماذا تظنين أنه سيحدث إذا نجحتِ؟ من سيملأ مكان داجي؟ وأياً كان ذلك الشخص، هل تثقين به ليحكم المقاطعات الاثنتي عشرة؟ ليكون ألطف مع أشخاص مثلك مما كانت داجي؟».

لم تفكر رين إلى هذا الحد. لم تكلف نفسها عناء التفكير كثيراً في الحياة بعد أن تقتل داجي. بمجرد حصولها على انتقام ألتان، لم تكن متأكدة حتى أنها تريد الاستمرار في العيش.

قالت:

– «لا يهم بالنسبة لي».

قال فايسرا:

– «إذن فكري في الأمر بهذه الطريقة. يمكنني أن أمنحك فرصة لأخذ انتقامك بدعم كامل من جيش قوامه الآلاف».

سألت:

– «هل سأضطر لتلقي الأوامر؟».

بدأ نزهة:

– «رين...»

– «هل سأضطر لتلقي الأوامر؟».

قال فايسرا:

– «نعم. بالطبع».

– «إذن يمكنك الذهاب للجحيم».

بدا فايسرا مرتبكاً:

– «كل الجنود يتلقون الأوامر».

قالت:

– «أنا لست جندية بعد الآن. قضيت فترة تجنيدي، ومنحت الإمبراطورية ولائي، وذلك جعلني مربوطة بطاولة في مختبر أبحاثٍ موغيني. لقد سئمت من تلقي الأوامر».

– «نحن لسنا الإمبراطورية».

هزت كتفيها:

– «أنتم تريدون أن تكونوا».

ضرب فايسرا يده على الطاولة.

– «أيتها الحمقاء الصغيرة».

جفلت رين.

– «انظري خارج نفسك للحظة. هذا ليس عنك فقط، إنه عن مستقبل شعبنا».

قالت:

– «بل شعبك أنت. أنا سبيرية».

– «أنتِ فتاة صغيرة خائفة ترد بدافع الغضب والخسارة بأكثر طريقة قصيرة النظر ممكنة. كل ما تريدينه هو الحصول على انتقامك. لكن يمكن أن تكوني أكثر من ذلك بكثير. افعلي أكثر من ذلك بكثير. اسمعيني. يمكن أن تغيري التاريخ».

همست رين:

– «ألم أغير التاريخ بما يكفي؟».

لم تهتم برؤى أي أحد للمستقبل. توقفت عن الرغبة في أن تكون عظيمة، أن تحفر مكانها في التاريخ، منذ وقت طويل. تعلمت التكلفة منذ ذلك الحين.

ولم تعرف كيف تقول إنها كانت متعبة وحسب.

كل ما أرادته هو الحصول على انتقام ألتان. أرادت غرس نصل في قلب داجي.

وبعدها أرادت أن تختفي.

قال فايسرا:

– «مات شعبك ليس بسبب داجي بل بسبب هذه الإمبراطورية. أصبحت المقاطعات ضعيفة، ومعزولة، وغير كفؤة تكنولوجياً. مقارنة بالاتحاد، مقارنة بهيسبيريا، نحن لسنا متأخرين لعقود فقط بل لقرون. والمشكلة ليست في شعبنا، بل في حكامهم. نظام المقاطعات الاثنتي عشرة نير عتيق وغير فعال يجر نيكان للخلف. تخيلي بلداً متحداً حقاً. تخيلي جيشاً فصائله لا تتحارب باستمرار مع بعضها البعض. من يمكنه هزيمتنا؟».

لمعت عينا فايسرا وهو يبسط يديه عبر الطاولة.

– «سأحول الإمبراطورية إلى جمهورية؛ جمهورية عظيمة، قائمة على الحرية الفردية للبشر. بدلاً من أمراء الحرب، سيكون لدينا مسؤولون منتخبون. بدلاً من إمبراطورة، سيكون لدينا برلمان، يشرف عليه رئيس منتخب. سأجعل من المستحيل لشخص واحد مثل سو داجي أن يجلب الخراب على هذا العالم. ما رأيك في ذلك؟».

خطاب جميل، فكرت رين، لو كان فايسرا يتحدث لشخص أكثر سذاجة.

ربما احتاجت الإمبراطورية لحكومة جديدة. ربما تجلب الديمقراطية السلام والاستقرار. لكن فايسرا فشل في إدراك أنها ببساطة لا تهتم.

قالت:

– «لقد انتهيت للتو من خوض حرب واحدة. لست مهتمة جداً بخوض أخرى».

أصدر فايسرا صوتاً مشمئزاً:

– «إذن ما هي استراتيجيتك؟ التجوال صعوداً ونزولاً على الساحل، تقتلين المسؤولين الوحيدين الذين كانوا شجعاناً بما يكفي لإبقاء الأفيون خارج حدودهم؟ إذا كان هذا هدفك، فأنتِ سيئة بقدر الموغينيين».

تصلبت:

– «سأقتل داجي في النهاية».

– «وكيف، أخبريني؟».

– «لست مضطرة لإخبارك...»

سخر منها:

– «باستئجار سفينة قراصنة؟ بالدخول في مفاوضات خاسرة مع ملكة قراصنة؟».

شعرت رين بالدم يتدفق إلى وجهها:

– «كانت مواغ ستعطينا إمدادات. وكان سيكون لدينا المال أيضاً، حتى ظهرتم أيها الأوغاد...»

– «أنتِ ساذجة جداً. ألا تفهمين؟ كانت مواغ ستغدر بكم دائماً. هل ظننت أنها ستفوت تلك المكافأة على رؤوسكم؟ أنتم محظوظون لأن عرضنا كان أفضل».

قالت رين:

– «مواغ لم تكن لتفعل ذلك. مواغ تعرف قيمتي».

هز فايسرا رأسه كمعلم محبط:

– «أنت تفترضين أن مواغ عقلانية. وهي كذلك، حتى يتعلق الأمر بمبالغ ضخمة من المال. يمكنك شراؤها بأي كمية من الفضة، وذلك أملكه بوفرة. ألا تفهمين؟ مواغ تزدهر فقط بينما داجي على العرش، لأن سياسات داجي الانعزالية تخلق ميزة أنخيلون التنافسية. مواغ تستفيد فقط طالما عملت خارج القانون، بينما بقية البلاد في ورطة عميقة لدرجة أنه أكثر ربحية العمل داخل حدودها من خارجها. بمجرد أن تصبح التجارة شرعية، ستخرج من الإمبراطورية. مما يعني أن آخر شيء تريده هو أن تنجحي».

فتحت رين فمها، وأدركت أنه ليس لديها ما تقوله، وأغلقته.

لأول مرة، لم يكن لديها حجة مضادة.

تدخل نزهة:

– «أرجوكِ يا رين. كوني صادقة مع نفسك. لا يمكنك خوض حرب بمفردك. أنتم ستة أشخاص. الأفعى محمية بفيلق من جنود النخبة الذين لم

تواجهيهم من قبل. ناهيك عن مهاراتها القتالية الخاصة، التي لا تعرفين عنها شيئاً».

قال فايسرا:

— «ولم تعد لديكم ميزة المفاجأة. داجي تعرف أنكم قادمون لها، مما يعني أنكم تحتاجون لطريقة للاقتراب منها. تحتاجون إلي».

أشار للجدران حولهم.

— «انظري لهذه السفينة. هذه أفضل ما يمكن أن تقدمه التكنولوجيا البحرية الهيسبيرية. اثنا عشر مدفعاً مصطفة على كل جانب».

قلبت رين عينيها:

— «تهانينا؟».

— «لدي عشر سفن أخرى مثلها».

جعلها ذلك تتوقف.

انحنى فايسرا للأمام:

— «الآن فهمتِ. أنتِ فتاة ذكية؛ يمكنك إجراء الحسابات بنفسك. الإمبراطورية ليس لديها بحرية فعالة. أنا لدي. سنسيطر على الممرات المائية لهذه الإمبراطورية. الحرب ستنتهي في ستة أشهر في أسوأ الأحوال».

نقرت رين بأصابعها على الطاولة، تفكر. هل يمكنهم الفوز بهذه الحرب؟ وماذا لو فعلوا؟

لم تستطع إلا أن توازن الاحتمالات؛ لقد تدربت جيداً في سينغارد لدرجة تمنعها من عدم فعل ذلك.

إذا كان ما قاله فايسرا صحيحاً، فعليها الاعتراف بأن هذا هو الوقت المثالي لشن انقلاب. الميليشيا حالياً مشرذمة وضعيفة. المقاطعات دمرتها كتائب الاتحاد. وقد يغيرون ولاءهم بسرعة، بمجرد معرفة الحقيقة حول خداع داجي.

فوائد الانضمام لجيش كانت واضحة أيضاً. لن تضطر أبداً للقلق بشأن إمداداتها. سيكون لديها وصول لاستخبارات لا تستطيع الحصول عليها بمفردها. سيكون لديها نقل مجاني لأي مكان تريد الذهاب إليه.

ومع ذلك.

سألت:

— «ماذا يحدث إذا قلت لا؟ هل ستجبرني على الخدمة؟ تجعلني عبدتك السبيرية الخاصة؟».

لم يبتلع فايسرا الطعم:

— «الجمهورية ستتأسس على حرية الاختيار. إذا رفضتِ الانضمام، فلا يمكننا إجبارك».

قالت، في الغالب لترى كيف سيرد:

— «إذن ربما سأرحل. سأختبئ. أنتظر وقتي. أصبح أقوى».

بدا فايسرا ضجراً، كأنه عرف أنها تختلق اعتراضات واهية وحسب:

— «يمكنك فعل ذلك. أو يمكنك القتال لأجلي والحصول على الانتقام الذي تريدينه. هذا ليس صعباً يا رونين. وأنتِ لا تفكرين حقاً في قول لا. أنتِ فقط تتظاهرين بالتفكير لأنك تحبين التصرف كطفلة شقية».

رمقته رين بنظرة حادة.

كان خياراً عقلانياً جداً. كرهت أنه كان خياراً عقلانياً. وكرهت أكثر أن فايسرا عرف ذلك، وعرف أنها ستصل لنفس الاستنتاج، وكان الآن يسخر منها ببساطة حتى يلحق عقلها بعقله.

قال فايسرا:

— «لدي مال وموارد تحت تصرفي أكثر من أي شخص في هذه الإمبراطورية. أسلحة، رجال، معلومات؛ أي شيء تحتاجينه، يمكنك الحصول عليه مني. اعملي لدي ولن ينقصك شيء».

قالت:

— «لن أضع حياتي بين يديك». آخر مرة عاهدتْ فيها شخصاً بالولاء، تعرضت للخيانة. ومات ألتان.

قال فايسرا:

— «لن أكذب عليكِ أبداً».

— «الجميع يكذبون علي».

هز فايسرا كتفيه:

— «إذن لا تثقي بي. فقط تصرفي فقط لمصلحتك الخاصة. لكنني أعتقد أنك ستجدين بوضوح قريباً بما يكفي أنه ليس لديكِ خيارات أخرى كثيرة».

نبض صدغا رين. فركت عينيها، تحاول بيأس التفكير عبر كل الاحتمالات. لا بد أن هناك خدعة. عرفت أفضل من أخذ عروض كهذه بظاهرها. تعلمت درسها من مواغ؛ لا تثق أبداً بشخص يملك كل الأوراق.

كان عليها شراء بعض الوقت.

— «لا أستطيع اتخاذ قرار دون التحدث لرجالي».

قال فايسرا:

— «افعلي ما شئت. لكن ليكن لديك جواب لي بحلول الفجر».

سألت:

— «وإلا ماذا؟».

قال:

— «وإلا سيتعين عليكِ إيجاد طريقك الخاص للعودة للشاطئ. وهي سباحة طويلة».

***

سأل رامسا:

— «للتوضيح فقط، أمير حرب التنين لا يريد قتلنا، أليس كذلك؟».

قالت رين:

— «لا. إنه يريدنا في جيشه».

جعد أنفه:

– «لكن لماذا؟ الاتحاد رحل».

– «بالضبط. يظن أنها فرصته للإطاحة بالإمبراطورية».

قال باجي:

– «هذا ذكي في الواقع. فكروا في الأمر. سرقة المنزل بينما هو يحترق، أو الصيد في الماء العكر، أو كيفما يقول المثل».

قال رامسا:

– «لا أظن أن هذا مثل حقيقي».

قالت رين:

– «الأمر أنبل قليلاً من ذلك. يريد بناء جمهورية بدلاً من ذلك. الإطاحة بنظام أمراء الحرب. بناء برلمان، وتعيين مسؤولين منتخبين، وإعادة هيكلة كيفية عمل الحكم عبر الإمبراطورية».

ضحك باجي:

– «ديمقراطية؟ حقاً؟».

قالت قارا:

– «لقد نجحت مع الهيسبيريين».

سأل باجي:

– «حقاً؟ ألم تكن القارة الغربية في حرب طوال العقد الماضي؟».

قالت رين:

– «السؤال ليس ما إذا كانت الديمقراطية ستنجح. هذا لا يهم. السؤال هو ما إذا كنا سنوافق».

أشار رامسا:

– «قد يكون هذا فخاً. يمكن أن يكون يأخذك إلى داجي».

– «كان يمكنه قتلنا وحسب حين كنا مخدرين إذن. نحن ركاب خطرون ليكونوا على متن السفينة. لم يكن الأمر ليستحق المخاطرة ما لم يظن فايسرا حقاً أنه يستطيع إقناعنا بالانضمام إليه».

سأل رامسا:

— «إذن؟ هل يستطيع إقناعنا؟».

اعترفت رين:

— «لا أعرف. ربما».

كلما فكرت في الأمر، بدا فكرة جيدة. أرادت سفن فايسرا. أسلحته، جنوده، وقوته.

لكن إذا ساءت الأمور، إذا آذى فايسرا السيك، فهذا يقع على عاتقها. ولم تستطع خذلان السيك مرة أخرى.

قال باجي:

— «لا تزال هناك فائدة من العمل بمفردنا. يعني أننا لا نضطر لتلقي أوامر».

هزت رين رأسها:

— «لا نزال ستة أشخاص. لا يمكنك اغتيال رئيس دولة بستة أشخاص».

لا يهم أنها كانت مستعدة تماماً للمحاولة قبل بضع ساعات فقط.

سأل اراتشا:

— «وماذا لو خاننا؟».

هز باجي كتفيه:

— «يمكننا دائماً تقليل خسائرنا والانشقاق. نركض عائدين إلى أنخيلون».

قالت رين:

— «لا يمكننا الركض عائدين إلى أنخيلون».

— «لمَ لا؟».

أخبرتهم عن حيلة مواغ.

— «كانت ستبيعنا لداجي لو لم يعرض عليها فايسرا شيئاً أفضل. أغرق سفينتنا لأنه أرادها أن تظن أننا متنا».

قال رامسا:

— «إذن هو فايسرا أو لا شيء. هذا رائع».

سأل سوني:

– «هل يين فايسرا هذا سيء جداً حقاً؟ إنه مجرد رجل واحد».

قال باجي:

– «هذا صحيح. لا يمكن أن يكون مخيفاً أكثر من بقية أمراء الحرب. أميرا حرب الثور والكبش لم يكونا شيئاً مميزاً. إنها محاباة وتزاوج أقارب في كل مكان».

قال رامسا:

– «أوه، مثلما تم إنتاجك».

– «اسمع، أيها الوغد الصغير...»

– «انضموا إليهم».

قالها تشاغان. كان صوته بالكاد أعلى من همس، لكن المقصورة صمتت. كانت المرة الأولى التي يتحدث فيها طوال المساء.

تابع قائلاً:

– «أنتم تناقشون هذا وكأنكم تملكون القرار. أنتم لا تملكونه. تظنون حقاً أن فايسرا سيدعكم تذهبون إذا قلتم لا؟ إنه أذكى من ذلك. لقد أخبركم للتو بنواياه لارتكاب الخيانة. سيقتلكم إذا كان هناك أدنى خطر بأن تمضوا لإخبار أي أحد آخر».

رمق رين بنظرة قاتمة:

– «واجهي الأمر، أيتها السبيرية. إنه انضمام أو موت».

***

اتهمته رين:

– «أنت تشمت».

قال نزهة:

– «أنا لا أفعل أبداً». كان يبتسم طوال الطريق أسفل الممر، يريها السفينة الحربية كمرشد سياحي مبتهج. «لكن سعيد بوجودك على متنها».

– «اخرس».

— «ألا يمكنني أن أكون سعيداً؟ لقد اشتقت إليكِ». توقف نزهة أمام غرفة في السطح الأول. «تفضلي».

— «ما هذه؟».

— «مسكنك الجديد». فتح الباب لها. «انظري، يغلق من الداخل بأربع طرق مختلفة. ظننت أنك ستحبين ذلك».

أحبته فعلاً. كانت الغرفة بضعف حجم مسكنها على سفينتها القديمة، والسرير كان سريراً حقيقياً، ليس نقالة بملاءات مليئة بالقمل. خطت للداخل.

— «هل هذا كله لي وحدي؟».

بدا نزهة مزهواً بنفسه:

— «أخبرتك. الانضمام لجيش التنين له فوائده».

— «آه، هذا ما تسمون أنفسكم؟».

— «تقنياً هو "جيش الجمهورية". غير إقليمي، وكل ذلك».

— «ستحتاجون لحلفاء لذلك».

— «نحن نعمل على ذلك».

التفتت نحو الكوة. حتى في الظلام استطاعت رؤية مدى سرعة تحرك «سيغريم»، تشق طريقها عبر الأمواج السوداء بسرعات أكبر مما كان اراتشا قادراً عليه. بحلول الصباح ستكون مواغ وأسطولها خلفهم بعشرات الأميال.

لكن رين لم تستطع مغادرة أنخيلون هكذا. ليس بعد. كان لديها شيء واحد آخر لتستعيده.

سألت:

— «قلت إن مواغ تظن أننا موتى؟».

— «سأفاجأ إن لم تكن كذلك. حتى أننا رمينا بعض الجثث المتفحمة في الماء».

— «جثث من؟».

مد نزهة ذراعيه فوق رأسه:

– «هل يهم؟».

– «أفترض لا». كانت الشمس قد غربت لتوها فوق الماء. قريباً ستبدأ دورية قراصنة أنخيلون جولاتها حول الساحل.

– «هل لديك قارب أصغر؟ واحد يمكنه التسلل متجاوزاً سفن مواغ؟».

سخر:

– «بالطبع. لماذا، هل تحتاجين للعودة؟».

قالت:

– «أنا لا أحتاج. لكنك نسيت شخصاً منا».

***

بكل المقاييس كانت مقابلة كيتاي مع فايسرا كارثة مطلقة. لم يسمح النقيب إريدين لرين بالصعود للسطح الثاني، لذا لم تتمكن من التنصت، لكن بعد ساعة تقريباً من إحضارهم لكيتاي على متن السفينة، رأت نزهة وجنديين يجرونه للمستوى السفلي. ركضت أسفل الممر لتلحق بهم.

قال نزهة:

– «... ولا يهمني إن كنت غاضباً، لا يمكنك رمي الطعام على أمير حرب التنين».

كان وجه كيتاي أرجوانياً من الغضب. إذا كان مرتاحاً ولو قليلاً لرؤية نزهة حياً، لم يظهر ذلك.

– «رجالك حاولوا تفجير منزلي!».

قالت رين:

– «إنهم يميلون لفعل ذلك».

قال نزهة:

– «كان علينا جعل الأمر يبدو وكأنك مت».

صاح كيتاي:

– «كنت لا أزال فيه! وكذلك كانت دفاتري!».

بدا نزهة مذهولاً:

— «من يهتم بدفاترك؟».

— «كنت أقوم بحساب ضرائب المدينة».

— «ماذا؟».

أبرز كيتاي شفته السفلى:

— «وكنت قد أوشكت على الانتهاء».

رمش نزهة:

— «ما هذا بحق الجحيم؟ أنا لا... رين، تحدثي ببعض العقل لهذا الأحمق».

تساءل كيتاي:

— «أنا الأحمق؟ أنا؟ في حين أنتم من تظنون أنها فكرة جيدة بدء حرب أهلية دموية...»

أصر نزهة:

— «لأن الإمبراطورية تحتاج حرباً. داجي هي السبب في غزو الاتحاد؛ هي السبب في جولين نيس...»

زمجر كيتاي:

— «أنت لم تكن في جولين نيس. لا تتحدث معي عن جولين نيس».

— «حسناً، أنا آسف، لكن ألا يبرر ذلك تغيير النظام؟ لقد قيدت الميليشيا، وأفسدت علاقاتنا الخارجية، هي ليست مؤهلة للحكم...»

— «ليس لديك دليل على ذلك».

توقف نزهة عن المشي:

— «لدينا دليل. انظر لندوبك. انظر إليّ. الدليل مكتوب على جلودنا».

قال كيتاي:

— «لا أهتم. لا أبالي بما هي سياساتك، أريد العودة للمنزل».

سأل نزهة:

— «وتفعل ماذا؟ وتقاتل لأجل من؟ هناك حرب قادمة يا كيتاي، وعندما تأتي، لن يكون هناك شيء اسمه الحياد».

قال كيتاي بجمود:

— «هذا ليس صحيحاً. سأعزل نفسي وأعيش الحياة الفاضلة لناسك عالم».

قالت رين:

— «توقف. نزهة محق. أنت الآن تتصرف بعناد وحسب».

قلب عينيه نحوها:

— «بالطبع أنتِ مشاركة في هذا الجنون. ماذا سأتوقعه منكِ؟».

— «ربما هو جنون. لكنه أفضل من القتال للميليشيا. هيا يا كيتاي. أنت تعرف أنك لا تستطيع العودة للوضع الراهن».

استطاعت رؤية ذلك في عيني كيتاي، كم أراد بشدة حل التناقض بين الولاء والعدالة، لأن كيتاي، المسكين، المستقيم، الأخلاقي، المهتم دائماً بفعل ما هو صواب، لم يستطع التصالح مع حقيقة أن انقلاباً عسكرياً قد يكون مبرراً.

لوح بيديه في الهواء:

— «حتى لو كان كذلك، هل تظنون أنني في وضع يسمح لي بالانضمام لجمهوريتكم؟ والدي هو وزير الدفاع الإمبراطوري».

قال نزهة:

— «إذن هو يخدم الحاكم الخطأ».

— «أنتم لا تفهمون! عائلتي بأكملها في قلب العاصمة. يمكنهم استخدامهم ضدي، أمي، أختي...»

قال نزهة:

— «يمكننا استخراجهم».

— «أوه، مثلما استخرجتموني؟ لطيف جداً، أنا متأكد أنهم سيحبون التعرض للاختطاف في منتصف الليل بينما يحترق منزلهم».

قالت رين:

— «اهدأ. سيكونون لا يزالون أحياء. لن تضطر للقلق».

انفجر كيتاي:

— «وكأنكِ تعرفين كيف يكون الشعور. أقرب شيء حظيتِ به كعائلة كان مجنوناً انتحارياً تسبب في قتل نفسه في مهمة غبية تقريباً كهذه».

استطاعت رين القول إنه عرف أنه تجاوز الحد، حتى وهو يقولها. بدا نزهة مذهولاً. رمش كيتاي بسرعة، رافضاً التقاء عينيه بعينيها. أملت رين للحظة أن يرضخ، أن يعتذر، لكنه ببساطة أشاح بوجهه.

شعرت بوخزة في صدرها. كيتاي الذي عرفته كان ليعتذر.

تبع ذلك صمت طويل. حدق نزهة في الجدار، وكيتاي في الأرض، ولم يجرؤ أي منهما على التقاء عينيه بعيني رين.

أخيراً مد كيتاي يديه، وكأنه ينتظر من أحد تقييدهما.

— «من الأفضل أن تأخذوني لزنزانة الحبس. لا تريدون لسجنائكم الركض في الأنحاء على سطح السفينة».

الفصل السابع

عندما عادت رين إلى مقصورتها الخاصة، أغلقت الباب بعناية من الداخل، محركة الأقفال الأربعة في مكانها، وسندت كرسياً ضد الباب لزيادة الاطمئنان. ثم استلقت على سريرها. أغمضت عينيها وحاولت الاسترخاء، لجعل نفسها تستوعب إحساساً وجيزاً بالأمان. كانت آمنة. كانت مع حلفاء. لن يلاحقها أحد.

لم يأتِها النوم. كان هناك شيء ناقص.

استغرق الأمر منها لحظة لتدرك ما هو. كانت تبحث عن ذلك الشعور المتأرجح للسرير وهو يميل فوق الماء، ولم يكن موجوداً. كانت سيغريم سفينة حربية ضخمة لدرجة أن طوابقها حاكت اليابسة الصلبة. ولأول مرة منذ فترة طويلة، كانت على أرض مستقرة.

كان هذا ما أرادته، أليس كذلك؟ كان لديها مكان لتكون فيه ومكان لتذهب إليه. لم تعد تنجرف بلا هدف، لم تعد تسعى بيأس لتجميع خطط كانت تعلم أنها ستفشل على الأرجح.

حدقت في السقف، تحاول إرغام نبضات قلبها المتسارعة على التباطؤ. لكنها لم تستطع التخلص من الشعور بأن شيئاً ما خطأ؛ انزعاج عميق لم يكن مجرد غياب الأمواج المتمايلة.

بدأ الأمر بشعور بالوخز في أطراف أصابعها. ثم بدأت فورة حرارة في كفيها وزحفت صاعدة ذراعيها إلى صدرها. بدأ الصداع بعد دقيقة من ذلك، ومضات حارقة من الألم جعلتها تصك على أسنانها.

ثم بدأت النار تحترق خلف جفونها.

رأت سبير ورأت الاتحاد. رأت رماداً وعظاماً تتشوش وتذوب في وحدة واحدة، شخصية وحيدة تتقدم نحوها، ممشوقة ووسيمة، رمح ثلاثي في يدها.

همس ألتان:

— «أيتها الغبية».

مد يده للأمام. شكلت يداه قلادة حول عنقها.

انفتحت عيناها. جلست وأخذت شهيقاً وزفيراً، أنفاساً عميقة وبطيئة ويائسة، تحاول قمع موجة الذعر المفاجئة.

ثم أدركت ما هو الخطأ.

لم يكن لديها وصول للأفيون على هذه السفينة.

لا. اهدئي. ابقي هادئة.

في يوم من الأيام في سينغارد، حين كان المعلم جيانغ يحاول مساعدتها على إغلاق عقلها أمام العنقاء، علمها تقنيات لتصفية أفكارها والاختفاء في فراغ يحاكي العدم. علمها كيف تفكر كما لو كانت ميتة.

كانت قد نبذت دروسه حينها. حاولت استدعاءها الآن. أجبرت عقلها عبر التغنيات التي جعلها تكررها لساعات.

العدم. أنا لا شيء. أنا لا أوجد. لا أشعر بشيء، لا أندم على شيء... أنا رمل، أنا غبار، أنا رماد.

لم ينجح الأمر. ظلت نوبات الذعر تكسر الهدوء. اشتد الوخز في أصابعها ليتحول إلى سكاكين تلتوي. كانت تحترق، كل جزء منها احترق بشكل مؤلم، وتردد صدى صوت ألتان من كل مكان.

كان يجب أن تكوني أنتِ.

ركضت إلى الباب، ركلت الكرسي بعيداً، فتحت الأقفال، وركضت حافية القدمين إلى الممر. وخزت طعنات الألم مؤخرة عينيها، وجعلت رؤيتها تقدح وتومض.

حدقت، تجاهد للرؤية في الضوء الخافت. قال نزهة إن مقصورته في نهاية الممر... إذن هذه، يجب أن تكون هي... طرقت بشكل محموم على الباب حتى انفتح وظهر في الفتحة.

– «رين؟ ماذا تفعلين...»

أمسكت بقميصه:

– «أين طبيبك؟».

ارتفع حاجباه:

– «هل أنتِ مصابة؟».

– «أين؟».

– «السطح الأول، الباب الثالث لليمين، لكن...»

لم تنتظره لينهي قبل أن تبدأ في الركض نحو الدرج. سمعته يركض خلفها لكنها لم تبالِ؛ كل ما همها هو الحصول على بعض الأفيون، أو صبغة الأفيون، أو أياً كان ما هو موجود على متن السفينة.

لكن الطبيب لم يسمح لها بالدخول إلى مكتبه. سد المدخل بجسده، يده الواحدة ضد إطار الباب، والأخرى تقبض على المقبض.

قال، وبدا صوته كأنه كان يتوقعها:

– «أوامر أمير حرب التنين. لا يجب أن أعطيكِ أي شيء».

– «لكنني أحتاج... الألم، لا أستطيع تحمله، أحتاج...»

بدأ يغلق الباب:

– «سيتعين عليكِ تدبر أمرك بدونه».

حشرت قدمها في الباب. وتوسلت:

– «القليل فقط». لم تبالِ بمدى إثارتها للشفقة، احتاجت فقط شيئاً. أي شيء. «أرجوك».

قال:

– «لدي أوامري. ليس هناك شيء يمكنني فعله».

صرخت:

– «تباً!». جفل الطبيب وأغلق الباب بقوة، لكنها كانت تركض بالفعل في الاتجاه المعاكس، وقدماها تدقان الأرض وهي تقترب من الدرج.

كان عليها الوصول للسطح العلوي، بعيداً عن الجميع. استطاعت الشعور بوخزات الذاكرة الخبيثة تضغط كشظايا زجاج في عقلها؛ نتف وقطع من ذكريات مكبوتة سبحت بوضوح أمام عينيها؛ جثث في جولين نيس، جثث في منشأة الأبحاث، جثث في سبير، والجنود، كلهم بوجوه شيرو، يسخرون ويشيرون ويضحكون، وذلك جعلها غاضبة جداً، جعل الغضب يتراكم ويتراكم...

– «رين!».

كان نزهة قد لحق بها. أمسكت يده بكتفها.

– «ماذا بك بحق الجحيم...؟»

استدارت نحوه:

– «أين والدك؟».

تلعثم:

– «أعتقد أنه يجتمع بأميرالاته. لكنني لا أنصحكِ...»

دفعته متجاوزة إياه. مد نزهة يده لذراعها، لكنها انحنت مبتعدة وركضت عبر الممر وأسفل الدرج إلى مكتب فايسرا. هزت المقابض؛ مقفلة، ثم ركلت الأبواب بعنف حتى انفتحت من الداخل.

لم يبدُ فايسرا متفاجئاً ولو قليلاً لرؤيتها.

قال:

– «أيها السادة، سنحتاج لبعض الخصوصية، من فضلكم».

أخلى الرجال في الداخل مقاعدهم دون كلمة. لم ينظر أي منهم إليها.

سحب فايسرا الأبواب وأغلقها، وقفلها، واستدار.

– «ماذا يمكنني أن أفعل لكِ؟».

قالت رين:

– «أخبرت الطبيب ألا يعطيني أفيوناً».

– «هذا صحيح».

ارتجف صوتها:

– «اسمع، أيها الوغد، أحتاج لـ...»

– «أوه، لا، يا رونين». رفع فايسرا إصبعاً وهزه، كما لو كان يوبخ طفلاً صغيراً. «كان يجب أن أذكر ذلك. شرط أخير لتجنيدك. أنا لا أتسامح مع مدمني الأفيون في جيشي».

– «لست مدمنة، أنا فقط...» عصفت موجة جديدة من الألم برأسها وتوقفت، منكمشة.

– «أنتِ بلا فائدة لي وأنتِ منتشية. أحتاجك يقظة. أحتاج شخصاً قادراً على التسلل لقصر الخريف وقتل الإمبراطورة، وليس كيساً من القذارة مليئاً بالأفيون».

– «أنت لا تفهم. إذا لم تخدرني، سأحرق كل شخص على هذه السفينة».

هز كتفيه:

– «إذن سنرميكِ من على ظهر السفينة».

لم يسعها سوى التحديق فيه. لم يكن لهذا معنى بالنسبة لها. كيف أمكنه البقاء هادئاً بهذا الشكل المثير للغضب؟ لماذا لم يكن يرضخ، يرتعد رعباً؟ لم يكن من المفترض أن تسير الأمور هكذا؛ كان من المفترض أن تهدده ومن المفترض أن يفعل ما تريد، هكذا سارت الأمور دائماً...

لماذا لم تخفه؟

يائسة، لجأت للتوسل:

– «أنت لا تعرف كم يؤلم هذا. إنه في عقلي... الإله دائماً في عقلي، وهذا يؤلم...»

وقف فايسرا وعبر الغرفة نحوها:

– «إنه ليس الإله. إنه الغضب. وهو خوفك. لقد رأيتِ المعركة لأول مرة، وأعصابك لا تستطيع التوقف. أنتِ خائفة طوال الوقت. تظنين أن الجميع

يتربصون بكِ، وتريدينهم أن يتربصوا بكِ لأن ذلك سيعطيكِ عذراً لإيذائهم. هذه ليست مشكلة سبيرية، إنها تجربة عالمية للجنود. ولا يمكنك علاجها بالأفيون. لا يوجد هروب منها».

– «إذن ماذا...»

وضع يديه على كتفيها:

– «تواجهينها. تقبلين أنها واقعك الآن. تحاربينها».

ألم يفهم أنها حاولت؟ هل ظن أن الأمر سهل؟

– «لا. أحتاج...»

أمال رأسه للجانب:

– «ماذا تعنين بـ "لا"؟».

شعر لسان رين بثقل شديد في فمها. تفصد العرق من جسدها؛ استطاعت رؤيته يتجمع على يديها.

رفع صوته:

– «هل تخالفين أوامري؟».

أخذت نفساً مرتجفاً:

– «أنا... لا أستطيع. محاربته».

– «آه، رونين. أنتِ لا تفهمين. أنتِ جنديتي الآن. تتبعين الأوامر. عندما أقول لكِ اقفزي، لا تسألِي كم الارتفاع».

كررت بإحباط:

– «لكن لا أستطيع».

رفع فايسرا يده اليسرى، فحص مفاصل أصابعه لفترة وجيزة، ثم صفعها بظهر يده عبر وجهها.

ترنحت للخلف، من الصدمة أكثر من القوة. لم يسجل وجهها ألماً، فقط لسعة شديدة، كأنها مشت مباشرة في صاعقة برق. لمست شفتها بإصبعها. عاد ملطخاً بالدم.

قالت بذهول:

– «لقد ضربتني».

أمسك بذقنها بقوة بين أصابعه وأجبرها على النظر إليه. كانت مذهولة جداً لتشعر بأي غضب. لم تكن غاضبة، كانت فقط خائفة. لم يجرؤ أحد على لمسها هكذا. لم يفعل أحد ذلك منذ وقت طويل. لا أحد منذ ألتان.

تتبع فايسرا خدها بإبهامه:

– «لقد روضت سبيريين من قبل. لستِ الأولى. بشرة شاحبة. عينان غائرتان. أنتِ تدخنين حياتك حتى الفناء. أي شخص يمكنه شم الرائحة عليكِ. هل تعلمين لماذا مات السبيريون صغاراً؟ لم يكن السبب هو ميلهم للحرب المستمرة، ولم يكن السبب هو إلههم. كانوا يدخنون أنفسهم حتى الموت. الآن، لن أعطيك ستة أشهر».

غرز أظافره في جلدها بقوة لدرجة أنها شهقت.

– «هذا ينتهي الآن. أنتِ ممنوعة منه. يمكنك تدخين نفسك حتى الموت بعد أن تفعلي ما أحتاجك لأجلِه. لكن فقط بعد ذلك».

حدقت رين فيه بصدمة. بدأ الألم يتسرب، أولاً لسعة صغيرة ثم كدمة نابضة كبيرة عبر وجهها بالكامل. ارتفعت تنهيدة في حلقها.

– «لكنه يؤلم كثيراً...»

– «أوه، رونين. رونين الصغيرة المسكينة». ملس شعرها بعيداً عن عينيها وانحنى مقترباً. «تباً لألمك. ما تتعاملين معه ليس شيئاً لا يستطيع القليل من الانضباط حله. أنتِ قادرة على حجب العنقاء. عقلك يمكنه بناء دفاعاته الخاصة، وأنتِ فقطَ لم تفعلي ذلك لأنكِ تستخدمين الأفيون كمخرج آمن».

– «لأنني أحتاج...»

– «تحتاجين للانضباط». أجبر فايسرا رأسها لأعلى أكثر. «عليكِ التركيز. حصني عقلك. أعلم أنكِ تسمعين الصراخ. تعلمي التعايش معه. ألتان فعل».

استطاعت رين تذوق الدم يصبغ أسنانها حين تكلمت:

– «أنا لست ألتان».

قال:

– «إذن تعلمي أن تكوني هو».

***

وهكذا عانت رين وحدها في مقصورتها، والباب مغلق بإحكام، محروسة من الخارج بثلاثة جنود، بناءً على طلبها الخاص.

لم تستطع تحمل الاستلقاء على سريرها. خدشت الملاءات جلدها وفاقمت الوخز الرهيب الذي انتشر عبر جسدها. انتهى بها المطاف مكورة على الأرض ورأسها بين ركبتيها، تهتز جيئة وذهاباً، تعض مفاصل أصابعها لمنع نفسها من الصراخ. تشنج جسدها بالكامل وارتجف، تعصف به موجة تلو موجة مما بدا كأن أحداً يدهس ببطء على كل عضو من أعضائها الداخلية.

رفض طبيب السفينة إعطاءها أي مهدئات بحجة أنها ستستبدل إدمان الأفيون بمادة أخف وحسب، لذا لم يكن لديها شيء لإسكات عقلها، لا شيء لقمع الرؤى التي ومضت عبر عينيها كلما أغلقتهما، مزيج من جولة الرعب البصرية التي لا تنتهي للعنقاء وهلوساتها الخاصة المدفوعة بالأفيون.

وبالطبع، ألتان. كانت رؤاها تعود دائماً لألتان. أحياناً كان يحترق على الرصيف؛ وأحياناً كان مربوطاً بطاولة عمليات، يئن من الألم، وأحياناً لم يكن مصاباً على الإطلاق، لكن تلك الرؤى آلمت أكثر، لأنه حينها كان يتحدث إليها...

كان خدها لا يزال يحترق من قوة ضربة فايسرا، لكن في رؤاها كان ألتان هو من ضربها، مبتسماً بقسوة بينما حدقت بغباء نحوه.

قالت:

– «لقد ضربتني».

أجاب:

– «كان علي ذلك. كان على شخص ما فعل ذلك. لقد استحققتِ الأمر».

هل استحقت ذلك؟ لم تكن تعرف. النسخة الوحيدة للحقيقة التي همت كانت نسخة ألتان، وفي رؤاها، ظن ألتان أنها تستحق الموت.

قال:

— «أنتِ فاشلة».

— «لا يمَكنك الاقتراب مما فعلته».

— «كان يجب أن تكوني أنتِ».

وتحت كل شيء، الأمر غير المَنطوق: *انتقمي لي، انتقمي لي، انتقمي لي...*

أحياناً، بشكل عابر، أصبحت الرؤى خيالاً ملتوياً بشكل رهيب حيث لم يكن ألتان يؤذيها. نسخة حيث أحبها بدلاً من ذلك، وكانت ضرباته لمسات. لكنها كانت متناقضة بشكل جوهري لأن طبيعة ألتان كانت نفس طبيعة النار التي التهمته: إذا لم يحرق كل من حوله، فهو ليس نفسه.

جاءها النوم أخيراً عبر الإنهاك المحض، لكن حينها فقط في نوبات قصيرة ومضطربة؛ كلما غفت استيقظت تصرخ، وفقط عبر عض مفاصل أصابعها وضغط نفسها في الزاوية استطاعت البقاء هادئة طوال الليل.

همست:

— «تباً لك يا فايسرا. تباً. تباً. تباً».

لكنها لم تستطع كره فايسرا، ليس حقاً. ربما كان مجرد الإنهاك المحض؛ كانت تعصف بها مشاعر الخوف، والحزن، والغضب لدرجة أنه كان صعباً أن تشعر بأي شيء آخر. لكنها علمت أنها احتاجت هذا. علمت لشهور أنها تقتل نفسها وأنها لم تملك ضبط النفس للتوقف، وأن الشخص الوحيد الذي ربما كان ليوقفها قد مات.

احتاجت شخصاً قادراً على السيطرة عليها كما لم يستطع أحد منذ ألتان. كرهت الاعتراف بذلك، لكنها علمت أنها في فايسرا ربما وجدت منقذاً.

***

كان النهار أسوأ. ضوء الشمس كان مطرقة مستمرة على جمجمة رين. لكن إذا بقيت محبوسة في مقصورتها لفترة أطول، ستفقد عقلها، لذا رافقها نزهة للخارج، ممسكاً بقوة بذراعها بينما مشيا على طول السطح العلوي.

سأل:

— «كيف حالك؟».

كان سؤالاً غبياً، طُرح لكسر الصمت أكثر من أي شيء، لأنه كان يجب أن يكون واضحاً كيف حالها: لم تنم، كانت ترتجف بشكل لا يمكن السيطرة عليه من كل من الإنهاك والانسحاب، وفي النهاية، أملت، ستصل للنقطة التي تفقد فيها الوعي ببساطة.

قالت:

— «تحدث معي».

— «عن ماذا؟».

— «أي شيء. حرفياً أي شيء آخر».

لذا بدأ يخبرها قصص البلاط بتمتمة منخفضة لن تسبب لها صداعاً؛ حكايات تافهة من النميمة عمن يضاجع زوجة أمير الحرب هذا، ومن كان الأب الحقيقي لابن أمير الحرب ذاك.

راقبته رين وهو يتحدث. إذا ركزت على أدق تفاصيل وجهه، شتتها ذلك عن الألم، فقط قليلاً. الطريقة التي انفتحت بها عينه اليسرى أوسع قليلاً من اليمنى الآن. الطريقة التي تقوست بها حواجبه. الطريقة التي التفت بها ندوبه فوق خده الأيمن لتشبه زهرة الخشخاش.

كان أطول منها بكثير. اضطرت لرفع رأسها لتنظر إليه. متى أصبح طويلاً هكذا؟ في سينغارد كانا بنفس الطول تقريباً، وبنفس البنية تقريباً، حتى عامهم الثاني، حين بدأ في التضخم بوتيرة سخيفة. لكن حينها، في سينغارد كانوا مجرد أطفال، أغبياء، ساذجين، يلعبون ألعاب حرب لم يصدقوا بجدية أبداً أنها ستصبح واقعهم.

حولت رين نظرها للنهر. كانت «سيغريم» قد تحركت للداخل، وتسافر عكس التيار في نهر مورووي الآن. تحركت صعوداً في النهر بسرعة الحلزون بينما دار الرجال عند ألواح التجديف بجهد لدفع السفينة عبر الطين اللزج.

حدقت في الضفاف. لم تكن متأكدة إن كانت تهلوس وحسب، لكن كلما اقتربوا، استطاعت بوضوح أكبر تمييز أشكال صغيرة تتحرك في المسافة، مثل نمل يزحف على جذوع أشجار.

سألت:

– «هل هؤلاء بشر؟».

كانوا كذلك. استطاعت رؤيتهم بوضوح الآن؛ رجال ونساء منحنون تحت الأكياس التي حملوها على أكتافهم، وأطفال صغار يترنحون حفاة على طول ضفة النهر، وأطفال رضع مربوطون في سلال خيزران بظهور آبائهم.

– «إلى أين يذهبون؟».

بدا نزهة متفاجئاً قليلاً لأنها سألت حتى.

– «إنهم لاجئون».

– «من أين؟».

– «من كل مكان. جولين نيس لم تكن المدينة الوحيدة التي نهبها الاتحاد. لقد دمروا الريف بأكمله. طوال الوقت الذي كنا نقيم فيه ذلك الحصار العبثي في خوردالين كان الاتحاد يزحف جنوباً، يضرمون النار في القرى بعد أن مزقوها إرباً من أجل منع الإمدادات».

كانت رين لا تزال عالقة عند أول شيء قاله.

– «إذن جولين نيس لم تكن...»

– «لا. ولا حتى الوحيدة».

لم تستطع حتى استيعاب عدد الوفيات الذي يعنيه هذا. كم شخص عاش في جولين نيس؟ ضربت ذلك في عدد المقاطعات وخرجت برقم يقترب من المليون.

والآن، عبر البلاد بأكملها، كان اللاجئون النيكاراوين يجرون أقدامهم عائدين لمنازلهم. مد الأجساد الذي تدفق من المدن التي دمرتها الحرب إلى الشمال الغربي القاحل بدأ في التحول.

تلا نزهة:

– «سُئلت كم هو كبير حزني، وأجبت، كنهر في الربيع يتدفق شرقاً». ميزت رين السطر؛ كان من قصيدة درستها منذ دهر، رثاء لإمبراطور أصبحت كلماته الأخيرة مادة امتحان للأجيال القادمة.

وبينما طفوا صعوداً في الموروي، اصطفت حشود من الناس على الضفاف وأذرعهم ممدودة، يصرخون في «سيغريم».

– «أرجوكم، فقط حتى حافة المقاطعة...»

– «خذوا بناتي، اتركوني لكن خذوا البنات...»

– «لديكم مساحة فارغة! لديكم مساحة، تباً لكم...»

جذب نزهة معصم رين بلطف.

– «لنذهب لأسفل السطح».

هزت رأسها. أرادت أن ترى.

سألت:

– «لمَ لا يستطيع أحد إرسال قوارب؟ لمَ لا يمكننا إعادتهم للمنزل؟».

– «إنهم لا يذهبون للمنزل يا رين. إنهم يهربون».

تجمع الرعب في معدتها.

– «كم عدد من لا يزالون هناك؟».

– «الموغينيون؟». تنهد نزهة. «إنهم ليسوا جيشاً واحداً. إنهم ألوية فردية. إنهم باردون، وجائعون، ومحبطون، وليس لديهم مكان يذهبون إليه. إنهم لصوص وقطاع طرق الآن».

كررت:

– «كم عددهم؟».

– «ما يكفي».

صنعت قبضة بيدها.

– «ظننت أنني جلبت السلام».

قال:

– «أنتِ جلبتِ النصر. السلام هو ما يتحقق بعد ذلك. بالكاد يستطيع أمراء الحرب السيطرة على مقاطعاتهم الأصلية. نقص الغذاء. الجريمة المتفشية، وليس فقط قطاع الطرق الفيدراليين. النيكارا ينهشون في حناجر بعضهم البعض. الندرة ستفعل ذلك بكِ».

– «لذا بالطبع تظن أنه وقت جيد لَخوض حرب أخرى».

– «حرب أخرى أمر لا مفر منه. لكن ربما يمكننا منع الحرب الكبيرة التالية. الجمهورية سيكون لديها آلام نمو. لكن إذا تمكنا من إصلاح الأساس، إذا تمكنا من تأسيس هياكل تجعل الغزو التالي أقل احتمالاً وتبقي الأجيال القادمة آمنة، سنكون قد نجحنا».

أساس. آلام نمو. أجيال قادمة. مفاهيم مجردة كهذه، فكرت؛ مفاهيم لن تحسب للفلاح العادي. من يهتم بمن جلس على العرش في سينغارد حين كانت مساحات شاسعة من الإمبراطورية تحت الماء؟

بدت صرخات الأطفال فجأة لا تطاق.

سألت:

– «ألا يمكننا إعطاؤهم شيئاً؟ مالاً؟ أليس لديك أكوام من الفضة؟».

سأل نزهة:

– «لينفقوها أين؟ يمكنكِ إعطاؤهم سبائك أكثر مما يمكنكِ عده، لكن ليس لديهم مكان لشراء السلع. لا يوجد إمداد».

– «طعاماً إذن؟».

– «حاولنا فعل ذلك. مزقوا بعضهم إرباً محاولين الوصول إليه. لم يكن مشهداً جميلاً».

أراحت ذقنها على مرفقيها. خلفهم تراجع قطيع البشر؛ متجاهَلاً، غير ذي صلة، ومخذولاً.

سأل نزهة:

– «أتريدين سماع نكتة؟».

هزت كتفيها.

قال نزهة:

— «مبشر هيسبيري قال ذات مرة إن حالة الفلاح النيكاري العادي هي حالة رجل يقف في بركة والماء يصل لذقنه. أقل تموج كافٍ لإغراقه تحت الماء».

محدقة عبر الموروي، لم تجد رين ذلك مضحكاً ولو قليلاً.

***

تلك الليلة قررت إغراق نفسها.

لم يكن قراراً سابق التصور بقدر ما كان فعلاً من اليأس المحض. أصبح الألم سيئاً جداً لدرجة أنها طرقت باب غرفتها، تتوسل للمساعدة، ثم حين فتحه الحراس انحنت تحت أذرعهم وركضت أعلى الدرج وخارج الفتحة إلى السطح الرئيسي.

ركض الحراس خلفها، يصرخون طلباً للتعزيزات، لكنها ضاعفت وتيرتها، وتدك كعباها الحافيان الخشب. أرسلت الشظايا مزقاً صغيرة من الألم عبر جلدها، لكن ذلك كان ألماً جيداً لأنه شتتها عن عقلها الصارخ، ولو لنصف ثانية فقط.

وصل درابزين المقدمة لصدرها. أمسكت بالحافة وحاولت سحب نفسها لأعلى، لكن ذراعيها كانتا ضعيفتين، ضعيفتين بشكل مفاجئ، لم تتذكر أنها أصبحت بهذا الضعف، وارتخت على الجانب.

حاولت مرة أخرى، رفعت نفسها بعيداً بما يكفي ليتدلى الجزء العلوي من جسدها فوق الحافة. تعلقت هناك ووجهها لأسفل للحظة، تحدق في الأمواج المظلمة التي تتبع «سيغريم».

أمسك زوج من الأذرع بخصرها. ركلت وتخبطت، لكنهما اشتدتا فقط وهما يسحبانها للأسفل مرة أخرى. لوت عنقها للخلف.

— «سوني؟».

مشى للخلف بعيداً عن المقدمة، حاملاً إياها من الخصر كطفل صغير.

لهثت:

– «اتركني. اتركني أذهب!».

وضعها أرضاً. حاولت الإفلات لكنه أمسك معصميها، ولوى ذراعيها خلف ظهرها، وأجبرها على الجلوس.

أمر:

– «تنفسي. فقط تنفسي».

أطاعت. لم يهدأ الألم. ولم يهدأ الصراخ. بدأت ترتجف، لكن سوني لم يترك ذراعيها.

– «إذا واصلتِ التنفس فقط، سأخبركِ قصة».

قالت وهي تلهث:

– «لا أريد سماع قصة لعينة».

– «إذن لا تسمعي. لا تفكري. فقط تنفسي». كان صوت سوني هادئاً، مهدئاً. «هل سمعتِ قصة الملك القرد والقمر؟».

انتحبت:

– «لا».

– «إذن استمعي بعناية». أرخى قبضته قليلاً جداً، بما يكفي فقط ليتوقف ألم ذراعيها. «في قديم الزمان، لمح الملك القرد إلهة القمر لأول مرة».

أغمضت رين عينيها وحاولت التركيز على صوت سوني. لم تسمع سوني يتحدث بهذا القدر قط. كان دائماً هادئاً جداً، منطوياً على نفسه، وكأنه غير معتاد على كونه في احتلال كامل لعقله لدرجة أنه أراد تذوق التجربة قدر الإمكان. نسيت كم يمكن أن يبدو لطيفاً.

تابع:

– «كانت إلهة القمر قد صعدت لتوها للسماوات، وكانت لا تزال تنجرف قريبة جداً من الأرض لدرجة أنه أمكنكِ رؤية وجهها على السطح. كانت شيئاً جميلاً جداً».

تحركت ذكرى قديمة في مؤخرة عقلها. كانت تعرف هذه القصة بعد كل شيء. رواها للأطفال في مقاطعة الديك خلال مهرجان القمر، كل خريف حين

يأكل الأطفال كعك القمر ويحلون الألغاز المكتوبة على ورق الأرز ويطلقون الفوانيس في السماء.

همست:

— «ثم وقع في الحب».

— «هذا صحيح. أُصيب الملك القرد بأفظع شغف. ظن أنه يجب أن يمتلكها، أو قد يموت. لذا أرسل أفضل جنوده لاستعادتها من المحيط. لكنهم فشلوا، لأن القمر لم يعش في المحيط بل في السماء، وغرقوا».

سألت:

— «لماذا؟».

— «لماذا غرقوا؟ لماذا قتلهم القمر؟ لأنهم لم يكونوا يتسلقون للسماء لإيجادها، كانوا يغوصون في الماء نحو انعكاسها. لكنهم كانوا يمسكون بوهم لعين، ليس الشيء الحقيقي». قسا صوت سوني. لم يرتفع فوق الهمس، لكنه كان بمثابة الصراخ. «تقضين حياتك بأكملها تطاردين وهماً تظنينه حقيقة، فقط لتدركي أنكِ حمقاء ملعونة، وأنكِ إذا مددتِ يدك أبعد، ستغرقين».

ترك ذراعيها.

استدارت رين لتواجهه:

— «سوني...»

قال:

— «أحب ألتان تلك القصة. سمعتها منه لأول مرة. رواها كلما احتاج لتهدئتي. قال إن الأمر سيساعد إذا فكرت في الملك القرد كمجرد شخص آخر، شخص ساذج وأحمق، وليس إلهاً».

قالت:

— «الملك القرد وغد».

قال:

– «وإلهة القمر عاهرة. جلست هناك في السماء وشاهدت القرود تغرق بسببها. ماذا يخبرك ذلك عنها؟».

جعلها ذلك تضحك. للحظة نظر كلاهما للقمر. كان نصف مكتمل، يختبئ خلف سحابة مظلمة خفيفة. استطاعت رين تخيل أنها امرأة، خجولة وماكرة، تنتظر لإغراء الرجال الحمقى لموتهم.

وضعت يدها فوق يد سوني. كانت يده ضخمة، أخشن من لحاء الخشب، مبقعة بمسامير القدم. دار عقلها بألف سؤال بلا إجابة.

من جعلك هكذا؟

والأهم من ذلك، *هل تندم على الأمر؟*

ابتسم سوني لها إحدى ابتساماته النادرة والبطيئة:

– «لستِ مضطرة للمعاناة وحدك، أتعلمين. لستِ الوحيدة».

كانت لتبتِسم رداً عليه، لكن موجة من الغثيان ضربت معدتها ونكست رأسها لأسفل. تناثر القيء على السطح.

فرك سوني دوائر على ظهرها بينما بصقت بلغماً مبقعاً بالدم على الألواح. عندما انتهت، ملس شعرها المغطى بالقيء بعيداً عن عينيها بينما امتصت الهواء في تنهدات عظيمة ومؤلمة.

قال:

– «أنتِ قوية جداً. مهما كان ما ترينه، مهما كان ما تشعرين به، ليس قوياً بقدرك».

لكنها لم ترد أن تكون قوية. لأنها إذا كانت قوية ستكون صاحية، وإذا كانت صاحية ستضطر للنظر في عواقب أفعالها. حينها ستضطر للنظر في الهاوية. حينها سيتوقف اتحاد موغين عن كونه ضباباً غير متشكل، وسيتوقف ضحاياها عن كونهن أرقاماً بلا معنى. حينها ستدرك موتاً واحداً، وما يعنيه، ثم آخر، ثم آخر وآخر و...

وإذا أرادت إدراك ذلك، فستضطر لأن تكون شيئاً، تشعر بشيء غير الغضب، لكنها كانت خائفة من أنها إذا توقفت عن الغضب فقد تتحطم.

بدأت في البكاء.

ملس سوني الشعر بعيداً عن جبينها وتمتم:

— «فقط تنفسي. تنفسي لأجلي. هل يمكنكِ فعل ذلك؟ تنفسي خمس مرات».

واحد. اثنان. ثلاثة.

استمر في فرك ظهرها.

— «عليكِ فقط اجتياز الثواني الخمس التالية. ثم الخمس التالية. وهكذا دواليك».

أربعة. خمسة.

ثم خمسة أخرى. وتلك الخمس، للمفارقة، كانت محتملة أكثر بقليل جداً من سابقتها.

قال سوني بعد ربما دزينة من العدات للخمسة:

— «هكذا. انظري، لقد فعلتِها». كان صوته منخفضاً جداً لدرجة أنه بالكاد كان همساً.

تنفسّت، وعدّت، وتساءلت كيف عرف سوني بالضبط ما يقوله.

تساءلت إن كان قد فعل هذا من قبل مع ألتان.

قال سوني:

— «ستكون بخير يا سيدي».

نظرت رين لترى من كان يكلمه، ورأت فايسرا واقفاً في الظلال.

لم يكن ليستغرقه وقتاً طويلاً للاستجابة لنداءات الجنود. هل كان هناك طوال الوقت، يراقب دون كلام؟

قال:

— «سمعت أنكِ خرجتِ لاستنشاق بعض الهواء».

مسحت القيء عن خدها بظهر يدها. ومضت نظرة فايسرا لملابسها الملطخة وعادت لوجهها. لم تستطع قراءة تعبيره.

همست:

— «سأكون بخير».

— «هل ستكونين؟».

قال سوني:

— «سأعتني بها».

صمت قصير. أعطى فايسرا إيماءة مقتضبة لسوني.

بعد لحظة أخرى ساعدها سوني على النهوض ومشى بها عائداً لمقصورتها. أبقى ذراعاً واحدة حول كتفيها، دافئاً، وصلباً، ومواسياً. اهتزت السفينة مع موجة عنيفة، وترنحت هي في جانبه.

قالت:

— «أنا آسفة».

قال سوني:

— «لا تتأسفي. ولا تقلقي. أنا معكِ».

***

بعد خمسة أيام أبحرت «سيغريم» فوق بلدة مغمورة. في البداية حين رأت رين قمم المباني تبرز من النهر ظنت أنها أخشاب طافية، أو صخور. ثم اقتربوا بما يكفي لتتمكن من رؤية الأسقف المقوسة لباغودات غارقة، ومنازل من القش ترقد تحت السطح. قرية بأكملها تطل عليهم عبر طمي النهر.

ثم رأت الجثث؛ نصف متحللة، ومنتفخة ومتغيرة اللون، كلها بمحاجر فارغة لأن العيون الهلامية كانت قد نُقرت بالفعل. سدوا النهر، يتحللون بمعدل جعل الطاقم يضطر لكنس الديدان التي هددت بالتسلق لمتن السفينة.

اصطف البحارة عند المقدمة لإزاحة الجثث جانباً بعصي طويلة لإفساح الطريق للسفينة. بدأت الجثث تتكدس على جانبي النهر. كل بضع ساعات اضطر البحارة للنزول وسحبهم في كومة قبل أن تتمكن «سيغريم» من التحرك، واجب اقترع عليه الطاقم برعب.

سألت رين:

— «ماذا حدث هنا؟ هل فاض الموروي على ضفافه؟».

بدا نزهة شاحباً من الغضب:

— «لا. انهيار سد. أمرت داجي بتدمير السد لإغراق وادي نهر موروي».

لم تكن تلك داجي. عرفت رين عمل من كان هذا.

لكن ألم يعرف أحد آخر؟

سألت:

— «هل نجح الأمر؟».

— «بالتأكيد. قضى على كتائب الاتحاد في الشمال. حاصرهم لفترة كافية لتقوم الأقسام الشمالية بفرمهم. لكن مياه الفيضان لحقت بعدة مئات من القرى، مما يعني عدة آلاف من الناس الذين ليس لديهم منازل الآن». صنع نزهة قبضة. «كيف يفعل حاكم هذا؟ بشعبه؟».

سألت رين بحذر:

— «كيف تعرف أنها كانت هي؟».

— «من غيرها يمكن أن يكون؟ شيء كبير كهذا كان لا بد أن يكون أمراً من الأعلى. صحيح؟».

تمتمت:

— «بالطبع. من غيرها سيكون؟».

***

وجدت رين التوأم جالسين معاً عند مؤخرة السفينة. كانا جاثمين على الدرابزين، يحدقان لأسفل في الحطام الذي يتبعهم. عندما رأيا رين تقترب، قفز كلاهما واستدارا، يرقبانها بحذر، وكأنهما عرفا بالضبط لماذا جاءت.

سألت رين:

— «إذن كيف شعورك؟».

قال تشاغان:

— «لا أعرف عما تتحدثين».

قالت بابتهاج:

– «أنت فعلت كذلك أيضاً. لم تكن أنا فقط».

– «عودي للنوم».

صاحت:

– «آلاف الناس! غرقوا كالنمل! هل أنت فخور بهذا؟».

أدارت قارا رأسها بعيداً، لكن تشاغان رفع ذقنه بسخط:

– «فعلت ما أمر به ألتان».

جعلها ذلك تصرخ من الضحك:

– «وأنا أيضاً! كنت أتصرف بناءً على الأوامر فقط! قال إنه عليّ الانتقام للسبيريين، وهكذا فعلت، لذا ليس خطئي، لأن ألتان قال...»

صاح تشاغان:

– «اخرسي. اسمعي، فايسرا يظن أن داجي أمرت بفتح تلك السدود».

كانت لا تزال تقهقه:

– «وكذلك نزهة».

بدا مذعوراً:

– «ماذا أخبرتِه؟».

– «لا شيء، بوضوح. لستُ غبية».

قاطعت قارا:

– «لا يمكنكِ إخبار أي أحد بالحقيقة. لا أحد في جمهورية التنين ينبغي أن يعرف».

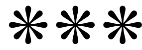
بالطبع فهمت رين ذلك. عرفت كم سيكون خطيراً إعطاء جيش التنين سبباً للانقلاب على السيك. لكن في تلك اللحظة كل ما استطاعت التفكير فيه هو كم كان مضحكاً بشكل رهيب أنها لم تكن الوحيدة التي يلطخ يديها القتل الجماعي.

قالت:

– «لا تقلقا. لن أخبر أحداً. سأكون الوحش الوحيد. أنا فقط».

بدا التوأم مصدومين، لكنها لم تستطع التوقف عن الضحك. تساءلت كيف كان الشعور، اللحظة قبل أن تضرب الموجة. قد يكون المدنيون يطبخون العشاء، يلعبون بالخارج، يضعون أطفالهم في السرير، يحكون القصص، يمارسون الحب، قبل أن تجتاح قوة ساحقة من الماء منازلهم، وتدمر قراهم، وتطفئ حياتهم.

هكذا بدا توازن القوى الآن. أناس مثلها يلوحون بيد والملايين يسحقون داخل حدود كارثة طبيعية ما، يُرمَون من رقعة شطرنج العالم كقطع غير ذات صلة. أناس مثلها، شامانات، كلهم، كانوا كأطفال يدوسون فوق مدن بأكملها وكأنها قلاع طين، بيوت زجاج، كيانات قابلة للاستبدال يمكن استهدافها وهدمها.



في الصباح السابع بعد مغادرتهم أنخيلون، انحسر الألم. استيقظت بلا حمى. لا صداع. خطت خطوة مترددة نحو الباب وفوجئت بسرور بمدى ثبات قدميها على الأرض، كيف أن العالم لم يدر ويتحول حولها. فتحت الباب، وتجولت للخارج على السطح العلوي، وذهلت بمدى روعة شعور رذاذ النهر على وجهها.

بدت حواسها أكثر حدة. بدت الألوان أكثر سطوعاً. استطاعت شم أشياء لم تكن تشمها من قبل. بدا العالم موجوداً بحيوية لم تكن تدركها.

ثم أدركت أن عقلها ملكها وحدها.

لم يرحل العنقاء. شعرت بالإله لا يزال باقياً في مقدمة عقلها، يهمس بحكايات الدمار، يحاول السيطرة على رغباتها.

لكن هذه المرة عرفت ما تريده.

وأرادت السيطرة.

كانت ضحية لنزوات الإله لأنها أبقت عقلها ضعيفاً، تطفئ اللهب بحل مؤقت وغير مستدام. لكن الآن كان رأسها صافياً، وعقلها حاضراً، وعندما صرخ العنقاء، استطاعت إسكاته.

طلبت رؤية فايسرا. أرسل في طلبها في غضون دقائق.

كان وحده في مكتبه حين وصلت.

— «ألست خائفاً مني؟».

— «أنا أثق بكِ».

— «لا ينبغي لكِ الثقة بي».

— «أنا أثق بكِ أكثر مما تثقين بنفسك». كان يتصرف كشخص مختلف تماماً. اختفت الشخصية القاسية. بدا صوته لطيفاً جداً، ومشجعاً جداً لدرجة ذكرتها فجأة بالمعلم فيريك.

لم تفكر في المعلم فيريك منذ وقت طويل.

لم تشعر بالأمان منذ وقت طويل.

استند فايسرا للخلف في كرسيه:

— «هيا إذن. جربي استدعاء النار لأجلي. القليل فقط».

فتحت يدها وركزت عينيها على كفها. استدعت الغضب، شعرت بحرارته تلتف في حفرة معدتها. لكن هذه المرة لم يأتِ دفعة واحدة في سيل لا يمكن السيطرة عليه، بل تجلى كحرق بطيء وغاضب.

اندلعت شعلة صغيرة من اللهب في كفها. وكانت مجرد شعلة؛ لا أكثر، ولا أقل، رغم أنها استطاعت زيادة حجمها، أو إن أرادت، جعلها أصغر.

أغمضت عينيها، تتنفس ببطء؛ بحذر رفعت اللهب أعلى وأعلى، شريط واحد من النار يتمايل فوق يدها كقصبة، حتى أمرها فايسرا:

— «توقفي».

أغلقت قبضتها. وانطفأت النار.

فقط بعد ذلك أدركت مدى سرعة خفقان قلبها.

سأل فايسرا:

— «هل أنتِ بخير؟».

تدبرت إيماءة.

انتشرت ابتسامة على وجهه. بدا أكثر من مسرور. بدا فخوراً.

— «افعليها مرة أخرى. اجعليها أكبر. أكثر سطوعاً. شكليها لأجلي».
ترنحت:
— «لا أستطيع. ليس لدي كل تلك السيطرة».
— «تستطيعين. لا تفكري في العنقاء. انظري إليّ».
التقت بعينيه. كانت نظرته مرساة.
قدحت نار من قبضتها. شكلتها بيدين مرتجفتين حتى اتخذت صورة تنين، لفائف تتموج في الفراغ بينها وبين فايسرا، تجعل الهواء يلمع بحرارة الحريق.
أكثر، قال العنقاء. *أكبر. أعلى.*
دفعت صرخاته عند حافة عقلها. حاولت إسكاتها. لم تنحسر النار.
بدأت ترتجف.
— «لا، لا أستطيع... لا أستطيع، عليك الخروج...»
همس فايسرا:
— «لا تفكري في الأمر. انظري إلي».
ببطء، وبشكل خافت جداً لدرجة أنها خشيت أنها تتخيل الأمر، هدأ الأحمر خلف جفونها.
اختفت النار. انهارت على ركبتيها.
قال فايسرا بنعومة:
— «فتاة جيدة».
لفت ذراعيها حول نفسها، وتأرجحت جيئة وذهاباً على الأرض، وحاولت تذكر كيف تتنفس.
سأل فايسرا:
— «هل لي أن أريكِ شيئاً؟».

نظرت لأعلى. عبر الغرفة إلى خزانة، فتح درجاً، وسحب رزمة مغطاة بقماش. جفلت حين أزال القماش بقوة، لكن كل ما رأته تحته كان بريق معدن باهت.

سألت:

– «ما هذا؟».

لكنها عرفت بالفعل. كانت لتتعرف على هذا السلاح في أي مكان. قضت ساعات تتأمل ذلك الفولاذ، المعدن المحفور بأدلة معارك لا تحصى. كان معدناً بالكامل، حتى عند المقبض، الذي عادة ما يُصنع من الخشب، لأن السبيريين احتاجوا أسلحة لا تحترق حين يمسكونها.

شعرت رين بدوار مفاجئ لا علاقة له بانسحاب الأفيون وكل العلاقة بالذكرى المفاجئة والحية بشكل مريع لـ ألتان ترينغسين يمشي أسفل الرصيف لموته.

ارتفعت تنهيدة قاسية في حلقها.

– «من أين حصلت عليه؟».

انحنى فايسرا ومد الرمح الثلاثي أمامها:

– «استعاده رجالي من تشولو كوريك. ظننت أنكِ قد ترغبين في الحصول عليه».

رمشت نحوه، غير مستوعبة.

– «أنت... لماذا كنت هناك؟».

– «عليكِ التوقف عن الاعتقاد أنني أعرف أقل مما أفعل. كنا نبحث عن ألتان. كان ليكونَ، آه، مفيداً».

نخرت عبر دموعها:

– «تظن أن ألتان كان لينضم إليك؟».

– «أظن أن ألتان أراد أي فرصة لإعادة بناء هذه الإمبراطورية».

– «إذن أنت لا تعرف أي شيء عنه».

قال فايسرا:

– «عرفت شعبه. قدت الجنود الذين حرروه من منشأة الأبحاث، وساعدت في تدريبه حين كان كبيراً بما يكفي للقتال. ألتان كان ليقاتل لأجل هذه الجمهورية».

هزت رأسها:

– «لا، ألتان أراد فقط جعل الأشياء تحترق».

مدت يدها، أمسكت الرمح الثلاثي، ووزنته في يديها. شعرت بغرابة السيف في أصابعها، ثقيل جداً في المقدمة وخفيف بشكل غريب قرب الخلف. كان ألتان أطول منها بكثير، وبدا السلاح طويلاً جداً لتستخدمه بشكل مريح.

لم يستطع العمل كسيف. لم يكن جيداً للضربات الجانبية. هذا الرمح الثلاثي كان يجب استخدامه بدقة جراحية. ضربات قاتلة فقط.

أمسكته بعيداً عنها:

– «لا ينبغي لي امتلاك هذا».

– «لمَ لا؟».

بالكاد أخرجت الكلمات، كانت تبكي بشدة.

– «لأنني لست هو».

لأنني كان يجب أن أموت، وهو يجب أن يكون حياً وواقفاً هنا.

قال فايسرا:

– «لا، لستِ كذلك». استمر في تمليس شعرها بيد واحدة، رغم أنه ملسه بالفعل خلف أذنيها. أغلقت اليد الأخرى فوق أصابعها، تضغطها بقوة أكبر حول المعدن البارد. «ستكونين أفضل».

***

عندما تأكدت رين من قدرتها على تحمل الطعام الصلب دون تقيؤ، انضمت لنزهة على السطح لأول وجبة فعلية لها منذ أكثر من أسبوع.

قال نزهة وقد بدا مستمتعاً:

– «لا تختنقي».

كانت مشغولة جداً بتمزيق كعكة مطهوة على البخار لترد. لم تكن تعرف إن كان الطعام على السطح جيداً بشكل سخيف، أم أنها كانت جائعة جداً لدرجة أنه طعم كأفضل شيء أكلته على الإطلاق.

قال بينما كانت تبتلع:

— «إنه يوم جميل».

أصدرت صوتاً مكتوماً بالموافقة. في الأيام القليلة الأولى لم تستطع تحمل الوقوف بالخارج في ضوء الشمس المباشر. الآن وقد توقفت عيناها عن الاحتراق، استطاعت النظر فوق الماء الساطع دون أن تجفل.

سألت:

— «لا يزال كيتاي يعبس؟».

قال نزهة:

— «سيعود لصوابه. لطالما كان عنيداً».

— «هذا وصف مخفف».

— «تحلي بالقليل من التعاطف. لم يرد كيتاي أبداً أن يكون جندياً. قضى نصف وقته يتمنى لو ذهب لجبل يولو، وليس سينغارد. إنه أكاديمي في القلب، وليس مقاتلاً».

تذكرت رين. كل ما أراد كيتاي فعله هو أن يكون عالماً، يذهب للأكاديمية في جبل يولو، ويدرس العلوم، أو الفلك، أو أياً ما يروق له في تلك اللحظة. لكنه كان الابن الوحيد لوزير الدفاع للإمبراطورة، لذا نُحت مصيره قبل حتى أن يولد.

تمتمت:

— «هذا محزن. لا ينبغي أن تضطر لتكون جندياً ما لم تكن تريد ذلك».

أراح نزهة ذقنه على يده:

— «هل أردتِ ذلك؟».

ترددت.

نعم. لا. لم تظن أن هناك أي شيء آخر لها. لم تظن أن الأمر يهم إن كانت تريد ذلك.

قالت أخيراً:

– «اعتدت أن أخاف من الحرب. ثم أدركت أنني جيدة جداً فيها. ولست متأكدة أنني سأكون جيدة في أي شيء آخر».

أومأ نزهة بصمت، يحدق خارجاً في النهر، يشد بلا تفكير كعكته المطهوة على البخار دون أن يأكلها.

– «كيف هو... آه...» أشار نزهة نحو صدغيه.

– «جيد. أنا جيدة».

لأول مرة شعرت وكأنها تسيطر على غضبها. تستطيع التفكير. تستطيع التنفس. كان العنقاء لا يزال هناك، يلوح في مؤخرة عقلها، مستعداً للانفجار في لهب إذا نادته... لكن فقط إذا نادته.

نظرت لأسفل لتكتشف أن الكعكة المطهوة قد اختفت. كانت أصابعها تقبض على لا شيء. تفاعلت معدتها مع هذا بإصدار صوت قرقرة.

قال نزهة:

– «تفضلي». ناولها كعكته المشوهة نوعاً ما. «خذي كعكتي».

– «لست جائعاً؟».

– «ليس لديّ شهية كبيرة الآن. وأنتِ تبدين هزيلة».

– «لن آخذ طعامك».

أصر:

– «كُلي».

أخذت قضمة. انزلقت بكثافة أسفل حلقها واستقرت في معدتها بثقل رائع. لم تكن معدتها ممتلئة هكذا منذ وقت طويل.

سأل نزهة:

– «كيف حال وجهك؟».

لمست خدها. انطلقت وخزات حادة من الألم عبر وجهها السفلي كلما تكلمت. كانت الكدمة قد ازدهرت بينما تسرب الأفيون منها، وكأن على المرء المقايضة بالآخر.

قالت:

— «أشعر وكأنه يزداد سوءاً وحسب».

— «لا. ستكونين بخير. أبي لم يكن ليضرب بقوة قد تصيبك».

جلسا لفترة في صمت. شاهدت رين أسماكاً تقفز من الماء، تثب وتتخبط وكأنها تتوسل ليتم صيدها.

سألت:

— «ووجهك؟ هل لا يزال يؤلمك؟».

في أضواء معينة بدت ندوب نزهة كخطوط حمراء غاضبة حفرها شخص ما في كل أنحاء وجهه. وفي أضواء أخرى بدت كتقاطع مرسوم بدقة من حبر الفرشاة.

— «آلم لفترة طويلة. الآن أنا فقط لا أشعر بأي شيء».

— «ماذا لو لمستك؟».

داهمتها رغبة لتمرير إبهامها فوق ندوبه. لتداعبها.

— «لن أشعر بذلك أيضاً». انجرفت أصابع نزهة لخده. «أفترض أنه يخيف الناس، مع ذلك. أبي يجبرني على ارتداء القناع كلما كنت حول مدنيين».

— «ظننت أن هذا كان لأنك مغرور وحسب».

ابتسم نزهة لكنه لم يضحك:

— «ولهذا السبب أيضاً».

مزقت رين قطعاً كبيرة من الكعكة المطهوة وبالكاد مضغت قبل البلع.

مد نزهة يده ولمس شعرها.

— «هذا مظهر جيد عليكِ. من اللطيف رؤية عينيكِ مجدداً».

كانت قد جزت شعرها قريباً من رأسها. لم تدرك كم أصبح شعرها قذراً إلا حين رأت خصلاتها المرمية على الأرض؛ نمت الخصلات دهنية ومتشابكة،

موقع تعشيش للقمل. كان شعرها أقصر من شعر نزهة الآن، مقصوصاً وقصيراً ونظيفاً. جعلها تشعر كطالبة مرة أخرى.

سألت:

– «هل أكل كيتاي أي شيء؟».

تململ نزهة بعدم ارتياح:

– «لا. لا يزال يختبئ في غرفته. نحن لا نبقيها مقفلة، لكنه يرفض الخروج».

عبست:

– «إذا كان غاضباً لهذه الدرجة، فلماذا لا تدعونه يرحل؟».

– «لأننا نفضل وجوده في صفنا».

– «إذن لماذا لا تستخدمونه كورقة ضغط ضد والده؟ تبادلونه كرهينة؟».

قال نزهة بصراحة:

– «لأن كيتاي مرجع. أنتِ تعرفين الطريقة التي يعمل بها عقله. هذا ليس سراً. يعرف معظم الأشياء ويتذكر كل شيء. لديه فهم للاستراتيجية أفضل مما يمتلك أي أحد. والدي يحب الاحتفاظ بأفضل قطعه حوله لأطول فترة ممكنة. علاوة على ذلك، والده كان في سينغارد قبل أن يهجروها. لا ضمان بأنه حي».

– «أوه».

كان ذلك كل ما استطاعت قوله. نظرت لأسفل وأدركت أنها أنهت كعكة نزهة أيضاً.

ضحك:

– «تظنين أنكِ تستطيعين التعامل مع شيء أكثر من الخبز؟».

أومأت. أشار لخادم، اختفى داخل المقصورة وخرج بعد بضع دقائق بوعاء فاحت منه رائحة طيبة لدرجة أن كمية مقززة من اللعاب ملأت فم رين.

قال نزهة:

– «هذه طعام شهي قرب الساحل. نسميه سمك واوا».

سألت وفمها ممتلئ:

– «لماذا؟».

قلبه نزهة بعيدان الأكل، يفصل اللحم الأبيض عن الشوك ببراعة.

– «بسبب الطريقة التي يصرخ بها. يتخبط في الماء باكياً كطفل رضيع بطفح جلدي. أحياناً يغليه الطهاة حتى الموت فقط للمتعة. ألم تسمعيه في المطبخ؟».

تقلبت معدة رين:

– «ألا يراعوا إذا يكون هناك طفل رضيع على متن السفينة».

– «أليسوا مضحكين؟». التقط نزهة شريحة ووضعها في وعائها. «جربيها. أبي يحبها».

الفصل الثامن

– «إذا حصلتِ على زاوية تصويب مفتوحة نحو داجي، فاستغليها». وخز النقيب إريدين الطرفَ غير الحاد لرمحه في رأس رين وهو يتحدث. «لا تمنحيها فرصة لإغوائك».

انحنت تحت الضربة الأولى. صفعها الثانية على أنفها. نفضت الألم، وجفلت، وعدلت وقفتها. ضيقت عينيها على ساقي إريدين، تحاول التنبؤ بحركاته بمراقبة الجزء السفلي من جسده فقط.

قال إريدين:

– «سترغب في الحديث. تفعل دائماً، تظن أنه من المضحك مشاهدة فريستها تتلوى قبل قتلها. لا تنتظري لتقول كلمتها. ستكونين فضولية حتى الموت لأنها ستجعلك كذلك، لكن يجب أن تهاجمي قبل أن تضيع فرصتك».

لهثت رين:

– «أنا لست حمقاء».

وجه إريدين وابلاً آخر من الضربات لجسدها. تمكنت رين من صد نصفها تقريباً. لكن الباقي حطمها.

سحب رمحه، مشيراً لهدنة مؤقتة.

– «أنتِ لا تفهمين. "الأفعى" ليست مجرد بشر فانٍ. لقد سمعتِ القصص. وجهها مبهر لدرجة أنه عندما تمشي بالخارج، تسقط الطيورُ من السماء وتسبح الأسماك للسطح».

قالت:

– «إنه مجرد وجه».

— «إنه ليس مجرد وجه. لقد رأيتُ داجي تفتن وتسحر بعض أقوى وأعقل الرجال الذين أعرفهم. تجعلهم يركعون بكلمات قليلة فقط. وفي الغالب بنظرة فقط».

سألت رين:

— «هل سحرتك يوماً؟».

قال إريدين، لكنه لم يسهب:

— «سحرت الجميع». لم تستطع رين الحصول على أي شيء سوى إجابات فجة وحرفية من إريدين، الذي امتلك وجهاً كئيباً وشخصية جثة.

«كوني حذرة. وأبقي بصرك لأسفل».

عرفت رين ذلك. كان يقوله لأيام. سلاح داجي المفضل كان عينيها، عيني الأفعى تلك التي يمكنها الإيقاع بروح بنظرة بسيطة، يمكنها حبس الناظر في رؤية من اختيار داجي الخاص.

كان الحل ألا تنظر في وجهها أبداً. كان إريدين يدرب رين لتقاتل بمراقبة الجزء السفلي من جسد خصمها فقط.

تبين أن هذا صعب بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بالقتال اليدوي. ففي القتال يعتمد الكثير على أين تندفع العينان، وأين يوجه الجذع. كل الحركة على الأسطح المائلة جاءت من الجزء العلوي من الجسم، لكن إريدين وبخ رين كلما شردت عيناها بعيداً جداً للأعلى.

اندفع إريدين للأمام دون سابق إنذار. أبلت رين بلاءً أفضل قليلاً في صد تسلسل الهجمات التالي. تعلمت ألا تراقب القدمين فقط بل الورك، غالباً ما يدور أولاً، واضعاً الساقين والقدمين في حركة.

صدت سلسلة من الضربات قبل أن تخترق ضربة قوية كتفها. لم تكن مؤلمة، لكن الصدمة كادت تجعلها تسقط رمحها الثلاثي.

أشار إريدين بتوقف آخر.

وبينما انثنت رين لالتقاط أنفاسها، سحب مجموعة من الإبر الطويلة من جيبه.

- «الإمبراطورة أيضاً مولعة بهذه».

رماها بثلاث منها. قفزت رين بسرعة للجانب وتمكنت من الخروج من مسار الإبر لكنها هبطت بشكل سيئ على كاحلها.

جفلت. استمرت الإبر في القدوم.

لوحت برمحها بجنون في دائرة، تحاول ضربها خارج الهواء. نجح الأمر تقريباً. ارتطمت خمس بالأرض. ضربتها واحدة في فخذها العلوي. انتزعتها. لم يكلف إريدين نفسه عناء ثلم الأطراف. *وغد.*

قال إريدين:

- «داجي تحب سمها. أنتِ ميتة الآن».

صاحت رين:

- «شكراً، فهمت ذلك».

تركت الرمح يسقط وانحنت فوق ركبتيها، تمتص جرعات عميقة من الهواء. كانت رئتاها تشتعلان. أين ذهبت لياقتها؟ في سينغارد، كان بإمكانها التدرب لساعات.

صحيح... تبخرت في سحابة دخان أفيون.

لم يتعرق إريدين حتى. لم ترد أن تبدو ضعيفة بطلب استراحة أخرى، لذا حاولت تشتيته بالأسئلة.

- «كيف تعرف الكثير عن الإمبراطورة؟».

- «قاتلنا بجانبها. امتلكت "مقاطعة التنين" بعض أفضل القوات تدريباً خلال حرب الخشخاش الثانية. كنا دائماً تقريباً مع "التريفيكتا" في الخطوط الأمامية».

- «كيف كان التريفيكتا؟».

- «وحشيين. خطرين». صوب إريدين رمحه نحوها. «كفى حديثاً. يجب عليك...»

أصرت:

– «لكن يجب أن أعرف. هل قاتلت داجي في ساحة المعركة؟ هل رأيتها؟ كيف كانت؟».

– «داجي ليست محاربة. إنها فنانة قتالية كفؤة، كلهم كانوا كذلك، لكنها لم تعتمد قط على القوة الغاشمة. قواها أدق من قوى "الحارس" أو "إمبراطور التنين". إنها تفهم الرغبة. تعرف ما يحرك الرجال، وتأخذ رغبتهم الأعمق وتجعلهم يصدقون أنها الشيء الوحيد الذي يمكنه منحهم إياها».

– «لكنني امرأة».

– «الشيء نفسه».

قالت رين، لإقناع نفسها أكثر من أي شيء:

– «لكن لا يمكن لذلك صنع كل هذا الفارق. تلك مجرد... تلك رغبة. ماذا قد يمثل هذا مقارنة بالقوة الصلبة؟».

– «تظنين أن النار والفولاذ يمكنهما التغلب على الرغبة؟ داجي كانت دائماً الأقوى في التريفيكتا».

– «أقوى من إمبراطور التنين؟». طفت للسطح ذكرى لرجل أبيض الشعر يطوف فوق الأرض، وظلال وحشية تدور حوله. «أقوى من الحارس؟».

قال إريدين بنعومة:

– «بالطبع كانت كذلك. فلماذا تظنين أنها الوحيدة الباقية إذن؟».

جعل ذلك رين تتوقف.

كيف أصبحت داجي الحاكم الوحيد لـ نيكان؟ كل من سألتهم رووا قصة مختلفة. كل ما بدا أن أي أحد في الإمبراطورية يعرفه بالتأكيد هو أنه في يوم ما مات إمبراطور التنين، واختفى الحارس، وبقيت داجي وحدها على العرش.

سألت:

– «هل تعرف ما فعلته بهم؟».

– «أنا مستعد أن أضحي بذراعي لأعرف». رمى إريدين رمحه جانباً وسحب سيفه. «لنرى كيف تبلين مع هذا».

تحرك نصله بسرعة تعمي الأبصار. ترنحت رين للخلف، تحاول بيأس المواكبة. مرات عديدة كاد رمحها ينزلق من يديها. صكت على أسنانها، محبطة.

لم يكن الأمر فقط أن رمح ألتان كان طويلاً جداً، وغير متوازن جداً، ومصمماً بوضوح لقامة أطول من قامتها. لو كانت تلك المشكلة، لكانت ابتلعت كبرياءها واستبدلته بسيف وحسب.

كان جسدها. عرفت الحركات والأنماط الصحيحة، لكن عضلاتها ببساطة لم تستطع المواكبة. بدت أطرافها تطيع عقلها فقط بعد تأخر ثانيتين.

ببساطة، لم تكن تعمل. شهور من الاستلقاء هامدة في غرفتها، تتنفس الدخان شهيقاً وزفيراً، تراخت عضلاتها. الآن فقط أصبحت واعية بمدى ضعفها، ومدى نحولها المؤلم وسهولة تعبها.

— «ركزي».

اقترب إريدين. أصبحت حركات رين يائسة بشكل متزايد. لم تكن تحاول حتى تسديد ضربة بنفسها؛ تطلب الأمر كل تركيزها لإبقاء نصله بعيداً عن وجهها.

لم تستطع الفوز في مباراة أسلحة بهذه الاستراتيجة.

لكنها لم تضطر لاستخدام رمحها للقتل. الرمح كان مفيداً فقط كسلاح بعيد المدى؛ يبقى خصومها على مسافة بعيدة بما يكفي لحمايتها.

لكنها احتاجت فقط للاقتراب بما يكفي لاستخدام النار.

ضيقت عينيها، منتظرة.

ها هي ذي. ضرب إريدين نحو مقبضها، ضربة منخفضة وممتدة. تركته يطير السلاح من يديها. ثم استغلت الفتحة، واندفعت للمساحة التي خلقتها أسلحتهم المتشابكة، وحشرت ركبتها في عظمة قص إريدين.

انثنى متألماً. ركلت ركبتيه، وهبطت فوق صدره، وبسطت كفيها أمام وجهه.

أصدرت أصغر تلميح للهب، كافٍ فقط لجعله يشعر بالحرارة على جلده.
قالت:
– «بوم. أنت ميت الآن».
انضغط فم إريدين في شيء شابه الابتسام تقريباً.
– «كيف تبلي هذه الفتاة؟».
التفتت رين لتنظر فوق كتفها.
ظهر فايسرا ونزهة على السطح. سحب إريدين نفسه لوضعية الجلوس.
قال:
– «ستكون جاهزة».
كرر فايسرا:
– «ستكون جاهزة؟».
قالت رين وهي تلهث:
– «أعطني بضعة أيام. ما زلت أكتشف الأمر. لكنني سأصل لهناك».
قال فايسرا:
– «جيد».
أشار نزهة لفخذها:
– «أنتِ تنزفين».
لكنها بالكَاد سمعته. كانت لا تزال تنظر لفايسرا، الذي كان يبتسم بشكل أوسع مما رأته يفعل قط. بدا مسروراً. فخوراً. وبطريقة ما، شعرت بهزة الرضا التي منحها إياها ذلك أفضل من أي شيء دخنته منذ شهور.

***

قال إريدين:
– «سترافقين أمير حرب التنين لداخل قصر الخريف لقمة الظهيرة. تذكري، ستُقَدمين كمجرمة حرب. لا تتصرفي وكأنه حليفك. تأكدي من أن تبدين خائفة».

كان دزينة من جنرالات ومستشاري فايسرا في قاعة الاجتماعات، جالسين حول مجموعة من الخرائط المفصلة للقصر. جلست رين على يمين فايسرا، تتعرق قليلاً من الانتباه المستمر. الخطة بأكملها تمحورت حولها، ولم يكن لديها مجال للفشل.

رفع إريدين زوجاً من الأصفاد الحديدية.

— «ستكونين مقيدة ومكممة. أنصحك بالاعتياد على شعور الأغلال».

قالت رين:

— «هذا ليس جيداً. لا أستطيع الحرق عبر المعدن».

— «إنها ليست معدنية بالكامل». زلق إريدين الأصفاد عبر الطاولة لتتمكن رين من إلقاء نظرة أقرب. «الوصلة في المنتصف من خيوط القنب. ستحترق بأقل قدر من الحرارة».

عبثت بالأصفاد:

— «ماذا يجعلكم متأكدين أن داجي لن تقتلني وحسب؟ أعني... ستعرف ما أنا هناك لفعله؛ لقد رأتني أحاول في أدلاغا».

— «أوه، ستشك في خيانتنا على الأرجح لحظة رسونا في لوسان. نحن لا نحاول نصب كمين لها. داجي تحب اللعب بطعامها قبل أكله. وبشكل خاص لن ترغب في التخلص منكِ. أنتِ مثيرة للاهتمام جداً».

قال فايسرا:

— «داجي لا تضرب أولاً أبداً. ستريد استجوابك لأكبر قدر ممكن من المعلومات، لذا ستحاول أخذكِ لمكان خاص للحديث. تظاهري بالمفاجأة لذلك. ثم ستقدم على الأرجح عَرضاً مغرياً بقدر عرضي تقريباً».

سألت رين:

— «وماذا سيكون ذلك العرض؟».

— «استخدمي خيالك.ستعرض عليك منصباً في حرسها الإمبراطوري. حرية مطلقة لتمشيط الإمبراطورية بحثاً عن أي قوات اتحاد متبقية. مجد

وثروات أكثر مما يمكن أن تحلمي به. سيكون كله كذباً، بالطبع. احتفظت داجي بعرشها لعقدين عبر القضاء على الناس قبل أن يمثلوا مشاكل لها. إذا قبلتِ منصباً في بلاطها، ستكونين ببساطة الأحدث في قائمتها الطويلة للاغتيالات السياسية».

قال إريدين:

— «أو سيجدون جسدكِ في المجاري بعد دقائق من قولكِ نعم».

نظرت رين حول الطاولة.

— «ألا يرى أحد آخر العيب الفادح في هذه الخطة؟».

قال فايسرا:

— «تفضلي بالشرح».

— «لماذا لا أقتلها وحسب بمجرد رؤيتها؟ قبل أن تفتح فمها؟ لماذا حتى المخاطرة بالسماح لها بالحديث؟».

تبادل فايسرا وإريدين نظرة. تردد إريدين للحظة، ثم تحدث.

— «أنتِ، آه، لن تكوني قادرة على ذلك».

امتقع وجه رين:

— «ماذا يعني ذلك؟».

قال فايسرا:

— «لقد ناقشنا هذا للتو. بمجرد أن تراكِ داجي، ستعرف أنكِ هناك لقتلها. وستشك بقوة في نواياي الخاصة. الطريقة الوحيدة لإدخالكِ قصر الخريف وجعلك قريبة بما يكفي للهجوم دون تعريض البقية منا للخطر هي إذا كنتِ مخدرة أولاً».

كررت رين:

— «مخدرة».

قال فايسرا:

— «سنضطر لإعطائك جرعة أفيون بينما حراس داجي يراقبون. جرعة كافية لتهدئتك لساعة أو ساعتين. لكن داجي لا تعرف بشأن تحملك المتزايد، مما سيساعدنا. سيزول تأثيرها أسرع مما تتوقع».

كرهت رين هذه الخطة. كانوا يطلبون منها دخول قصر الخريف غير مسلحة، منتشية وغائبة عن الوعي، وغير قادرة تماماً على استدعاء النار. لكن مهما قلبت الأمر في عقلها، لم تستطع إيجاد ثغرة في المنطق. كان يجب نزع أنيابها إذا أرادت الاقتراب بما يكفي لتسديد ضربة.

حاولت ألا تدع خوفها يظهر وهي تتحدث:

— «إذن هل أنا... أعني، هل سأكون وحدي؟».

— «لا يمكننا جلب حرس أكبر لقصر الخريف دون إثارة شكوك داجي. سيكون لديكِ تعزيزات مخفية لكن بحد أدنى. يمكننا إدخال جنود هنا، وهنا، وهنا». نقر فايسرا على ثلاث نقاط على خريطة للقصر. «لكن تذكري، هدفنا هناك محدود جداً. لو أردنا حرباً شاملة، لكنا جلبنا الأسطول صعوداً في الموروي. نحن هنا فقط لقطع رأس الأفعى. المعارك تأتي لاحقاً».

قالت رين:

— «إذن أنا الوحيدة في خطر. لطيف».

— «لن نتخلى عنكِ. سنُخرجكِ إذا ساءت الأمور، أعدك. سواء نجحتِ أم لا ، ستستخدمين أحد طرق الهروب هذه للخروج من القصر. سيكون النقيب إريدين قد جهز سيغريم للمغادرة من لوسان في ثوانٍ إذا كان الهروب ضرورياً».

حدقت رين لأسفل في الخريطة. كان قصر الخريف كبيراً بشكل ميئوس منه، مرتباً كمتاهة داخل صدفة محار، مجمع لولبي من ممرات ضيقة وطرق مسدودة، مع ردهات ملتوية وأنفاق مشيدة في كل اتجاه.

حُددت طرق الهروب بخطوط خضراء. ضيقت عينيها، تتمتم لنفسها. بضع دقائق أخرى وستكون قد حفظتها. كانت دائماً جيدة في حفظ الأشياء،

والآن وقد توقفت عن الأفيون كانت تجد سهولة متزايدة في التركيز على المهام العقلية.

انكمشت عند التفكير في التخلي عن ذلك، حتى لساعة.

قالت:

— «تجعلون الأمر يبدو سهلاً جداً. لماذا لم يحاول أحد قتل داجي من قبل؟».

قال فايسرا، وكأن ذلك تفسير كافٍ:

— «إنها الإمبراطورة».

قالت رين:

— «إنها امرأة واحدة موهبتها الوحيدة كونها جميلة جداً. أنا لا أفهم».

قال إريدين:

— «لأنكِ صغيرة جداً. لم تكوني حية حين كان التريفيكتا في ذروة قوتهم. لا تعرفين الخوف. لم يكن بإمكانك الوثوق بأي أحد حولك، حتى عائلتك الخاصة. إذا همستِ بكلمة خيانة ضد الإمبراطور ريغا، فستتأكد الأفعى والحارس من تدميرك. ليس سجنك فقط؛ بل محوك».

أومأ فايسرا:

— «في تلك السنوات، عائلات بأكملها دمرت، أعدمت، أو نفيت، ومسحت سلالاتها من التاريخ. أشرفت داجي على كل هذا دون أن يرف لها جفن. هناك سبب يفسر لماذا لا يزال أمراء الحرب يركعون أمامها، وليس فقط لأنها جميلة».

شيء ما في تعبير فايسرا جعل رين تتوقف. ثم أدركت أنها المرة الأولى التي تراه فيها خائفاً على الإطلاق.

تساءلت عما فعلته داجي له.

طرق أحدهم الباب في تلك اللحظة. قفزت في مقعدها.

نادى فايسرا:

— «ادخل».

أطل ضابط مبتدئ برأسه:

– «أرسلني نزهة لتنبيهكم. لقد وصلنا».

***

قرب نهاية حكمه، بنى الإمبراطور الأحمر قصر الخريف في مدينة لوسان الشمالية. لم يكن مقصوداً به أبداً أن يكون عاصمة أو مركزاً إدارياً؛ كان بعيداً جداً عن المقاطعات المركزية ليحكم بشكل صحيح. خدم فقط كمنتجع لمحظياته المفضلات وأطفالهن، مهرب من الأيام التي تصبح فيها شمس سينغارد حارقة لدرجة أن جلدهم يهدد بالاسمرار في ثوانٍ من الخروج.

تحت نظام الإمبراطورة سو داجي، كانت لوسان مكاناً لمسؤولي البلاط لإيواء زوجاتهم وعائلاتهم بأمان بعيداً عن أخطار البلاط، حتى تحولت للعاصمة المؤقتة بعد أن سويت سينغارد ثم جولين نيس بالأرض.

بينما أبحرت «سيغريم» نحو المدينة، ضاق الموروي لتيار أصغر فأصغر، مما أجبرهم على التحرك بوتيرة أبطأ وأبطأ حتى لم يكونوا يبحرون بقدر ما يزحفون نحو قصر الخريف.

استطاعت رين رؤية أسوار المدينة من أميال بعيدة. بدت لوسان مضاءة من الداخل بوهج ظهيرة غير دنيوي بأي شكل. كان كل شيء ذهبياً بطريقة ما؛ كأن بقية الإمبراطورية قد بهتت لظلال الأسود، والأبيض، والأحمر الدموي أثناء الحرب، وامتصت لوسان كل اللون المحيط، تلمع أكثر سطوعاً من أي شيء رأته منذ أشهر.

قرب أسوار المدينة رأت رين امرأة تمشي أسفل ضفة النهر بدلاء صبغة ولفائف قماش ثقيلة مربوطة لظهرها. عرفت رين أن القماش حرير من الطريقة التي لمع بها حين فُرد، ناعم جداً لدرجة أنها كادت تتخيل ملمس جناح الفراشة على ظهر أصابعها.

كيف يمكن للوسان امتلاك حرير؟ بقية البلاد كانت مكسوة بخرق بالية قذرة. على طول الموروي، رأت رين أطفالاً ورضعاً عراة ملفوفين في أوراق زنبق في جهد ما لحفظ كرامتهم.

أبعد في مجرى النهر، انزلقت قوارب صيد "سامبان" صعوداً ونزولاً في الممرات المائية المتعرجة. حمل كل قارب عدة طيور كبيرة، مخلوقات بيضاء بمناقير ضخمة، مربوطة للقوارب بخيوط.

اضطر نزهة أن يشرح لرين ما كانت الطيور هنا لأجله.

— «لديهم خيط حول أعناقهم، أترين؟ يبتلع الطائر السمكة؛ يسحب المزارع السمكة من عنق الطائر. يدخل الطائر مرة أخرى، جائعاً دائماً، وغبياً دائماً لدرجة تمنعه من إدراك أن كل ما يصطاده يذهب لسلة السمك وأن كل ما سيحصل عليه هو الفضلات».

امتعضت رين:

— «هذا يبدو غير فعال. لماذا لا يستخدمون شبكة وحسب؟».

وافق نزهة:

— «إنه غير فعال. لكنهم لا يصطادون من أجل القوت الأساسي، إنهم يصطادون من أجل الأطايب. السمك الحلو».

— «لماذا؟».

هز كتفيه.

عرفت رين الإجابة بالفعل. لماذا لا يصطادون للأطايب؟ كانت لوسان بوضوح غير متأثرة بأزمة اللاجئين التي اجتاحت بقية البلاد؛ كان بإمكانها تحمل التركيز على الرفاهية.

ربما كانت الحرارة، أو ربما لأن أعصاب رين كانت بالفعل على الحافة دائماً، لكنها شعرت بغضب متزايد وهم يتجهون للميناء. كرهت هذه المدينة، أرض النساء الشاحبات والمدللات، الرجال الذين لم يكونوا جنوداً بل بيروقراطيين، والأطفال الذين لم يعرفوا شعور الخوف.

لم تغلُ بالاستياء بقدر ما غلت بغضب لا اسم له من فكرة أنه خارج حدود الحرب، يمكن للحياة أن تستمر واستمرت، أنه بطريقة ما، لا يزال، في جيوب متناثرة عبر الإمبراطورية كانت هناك مدن ومدن من أناس يصبغون الحرير

ويصطادون من أجل عشاءات فاخرة، غير متأثرين بالقضية الوحيدة التي نغصت عقل كل جندي: متى وأين سيأتي الهجوم التالي.

***

قال كيتاي:

– «ظننت أنني لست سجيناً».

قال نزهة:

– «أنت لست كذلك. أنت ضيف».

– «ضيف غير مسموح له بمغادرة السفينة؟».

قال نزهة بلباقة:

– «ضيف نود الاحتفاظ به معنا لفترة أطول قليلاً. هل يمكنك التوقف عن التحديق بي هكذا؟».

عندما أعلن القبطان أنهم رسوا في لوسان، غامر كيتاي بالخروج للسطح لأول مرة منذ أسابيع. أملت رين أن يكون قد صعد لبعض الهواء النقي، لكنه كان يتبع نزهة حول السطح وحسب، عازماً على معاداته بأي طريقة ممكنة.

حاولت رين التدخل عدة مرات. ومع ذلك، بدا كيتاي مصمماً على التظاهر بأنها غير موجودة بتجاهلها كلما تحدثت، لذا حولت انتباهها للمشاهد على ضفة النهر بدلاً من ذلك.

تجمع حشد معتدل حول قاعدة «سيغريم»، مكون في الغالب من مسؤولين إمبراطوريين، وتجار لوسانيين، ورسل من أمراء حرب آخرين. استنتجت رين مما استطاعت سماعه من مقتطفات المحادثة من السطح العلوي أنهم جميعاً يحاولون الحصول على مقابلة مع فايسرا. لكن إريدين ورجاله تمركزوا في أسفل الجسر الخشبي، يمنعون الجميع.

أصدر فايسرا أيضاً أوامر صارمة بألا يغادر أحد السفينة. كان على الجنود وأفراد الطاقم الاستمرار في العيش على متنها وكأنهم لا يزالون في المياه المفتوحة، وسمح لحفنة فقط من رجال إريدين بدخول لوسان لشراء إمدادات طازجة. هذا، كما شرح نزهة، كان لتقليل خطر أن يكشف أحدهم غطاء رين. في

هذه الأثناء، سمح لها فقط بالوجود على السطح إذا ارتدت وشاحاً لتغطية وجهها.

قال كيتاي بصوت عال:

— «تعرفان أنكما لا تستطيعان إبقائي هنا لأجل غير مسمى. سيكتشف أحدهم الأمر».

سأل نزهة:

— «مثل من؟».

— «والدي».

— «تظن أن والدك في لوسان؟».

— «إنه في حرس الإمبراطورة. يقود مفرزتها الأمنية. لا توجد طريقة لأن تتركه خلفها».

قال نزهة:

— «لقد تركت الجميع خلفها».

عقد كيتاي ذراعيه:

— «ليس والدي».

التقت عين نزهة بعين رين. للحظة خاطفة بدا مذنباً، كأنه أراد قول شيء لم يستطعه، لكنها لم تستطع تخيل ما هو.

قال كيتاي فجأة:

— «هذا وزير التجارة. سيعرف».

— «ماذا؟».

قبل أن يتمكن نزهة أو رين من استيعاب ما عناه، انطلق كيتاي راكضاً نحو الجسر الخشبي.

صرخ نزهة لأقرب الجنود لتقييده. كانوا بطيئين جداً؛ راوغ كيتاي أذرعهم، تسلق على جانب السفينة، أمسك بحبل، وأنزل نفسه لضفة النهر بسرعة لدرجة أنه لا بد أحرق يديه حتى اللحم الحي.

ركضت رين للجسر الخشبي لتعترضه، لكن نزهة أمسكها بذراع واحد.

— «لا».

— «لكنه...»

هز نزهة رأسه فقط:

— «دعيه».

شاهدا من مسافة، صامتين، بينما ركض كيتاي لوزير التجارة وأمسك ذراعه، ثم انثنى، يلهث.

استطاعت رين رؤيتهم بوضوح من السطح. تراجع الوزير للحظة، رافعاً يديه وكأنه يصد هذا الجندي غير المألوف، حتى تعرف على ابن وزير الدفاع تشين وسقطت ذراعاه.

لم تستطع رين معرفة ما كانوا يقولونه. استطاعت فقط رؤية أفواههم تتحرك، والتعابير على وجوههم.

رأت الوزير يضع يديه على كتفي كيتاي.

رأت كيتاي يسأل سؤالاً.

رأت الوزير يهز رأسه.

ثم رأت كيتاي ينهار على نفسه وكأنه طعن برمح في أحشائه، عندها أدركت أن وزير الدفاع تشين لم ينجُ من حرب الخشخاش الثالثة.

***

لم يقاوم كيتاي حين اقتاده رجال فايسرا عائدين للقارب. كان وجهه أبيض، وشفتاه مضغوطتين، وبدت عيناه المرتعشتان بجنون حمراوين عند الحواف.

حاول نزهة وضع يد على كتف كيتاي. نفضه كيتاي عنه وتوجه مباشرة لأمير حرب التنين. تحرك الجنود ذوو الملابس الزرقاء فوراً لتشكيل جدار حماية بينهم، لكن كيتاي لم يمد يده لسلاح.

قال:

— «لقد قررت شيئاً».

لوح فايسرا بيده. تفرق حرسه. ثم كانا هما الاثنين فقط يواجهان بعضهما البعض: أمير حرب التنين الملكي والفتى الغاضب المرتجف.

سأل فايسرا:

– «نعم؟».

قال كيتاي:

– «أريد منصباً».

– «ظننت أنك تريد العودة للمنزل».

صرخ كيتاي:

– «لا تعبث معي. أريد منصباً. أعطني زياً رسمياً. لن أرتدي هذا بعد الآن».

– «سأرى أين يمكننا وضعك...»

قاطعه كيتاي مرة أخرى:

– «لن أكون جندي مشاة».

– «كيتاي...»

– «أريد مقعداً على الطاولة. أريد منصب كبير الاستراتيجيين».

قال فايسرا بجفاف:

– «أنت صغير نوعاً ما على ذلك».

– «لا، لست كذلك. جعلت نزهة جنرالاً. ولطالما كنت أذكى من نزهة. أنت تعرف أنني لامع. أنا عبقري لعين. ضعني مسؤولاً عن العمليات ولن تخسر معركة واحدة، أقسم لك». انكسر صوت كيتاي في النهاية. رأت رين حنجرته تهتز، رأت العروق نافرة من فكه، وعرفت أنه يحبس الدموع.

قال فايسرا:

– «سأفكر في الأمر».

طالب كيتاي:

– «كنت تعرف، أليس كذلك؟ عرفت لشهور».

لان تعبير فايسرا:

— «أنا آسف. لم أرد أن أكون من يضطر لإخبارك. أعرف كم الألم الذي تشعر به...»

— «لا. لا، اخرس، لا أريد ذلك». تراجع كيتاي للخلف. «لا أحتاج تعاطفك المزيف».

— «إذن ماذا تود مني؟».

رفع كيتاي ذقنه:

— «أريد جنوداً».

***

لن تبدأ قمة أمراء الحرب إلا بعد موكب النصر، وذلك امتد لليومين التاليين. في الغالب لم يشارك جنود فايسرا. دخلت عدة قوات المدينة بملابس مدنية، يرسمون التفاصيل النهائية في خرائطهم الشاملة بالفعل للمدينة في حال تغير أي شيء. لكن غالبية الطاقم بقوا على متن السفينة، يشاهدون الاحتفالات من بعيد.

بين الحين والآخر كان يصل وفد مسلح على متن «سيغريم»، وجوههم مخفية تحت أغطية لإخفاء هوياتهم. استقبلهم فايسرا في مكتبه، والأبواب مغلقة، وحراس متمركزون بالخارج لمنع المتلصصين الفضوليين. افترضت رين أن الزوار هم أمراء الحرب الجنوبيون؛ حكام مقاطعات الخنزير، والديك، والقرد.

مرت ساعات بلا أخبار. شعرت رين بملل مثير للجنون. راجعت خرائط القصر ألف مرة، وتدربت بالفعل لفترة طويلة مع إريدين ذلك اليوم لدرجة أن عضلات ساقيها صرخت حين مشت. كانت على وشك سؤال نزهة عما إذا كان بإمكانهم استكشاف لوسان متنكرين حين استدعاها فايسرا لمكتبه.

قال:

— «لدي اجتماع مع أمير حرب الثعبان. على الأرض. ستأتين».

— «كحارس؟».

— «لا. كإثبات».

لم يشرح أكثر، لكنها شكت أنها تعرف ما عناه، لذا التقطت ببساطة رمحها، وسحبت وشاحها أعلى فوق وجهها حتى أخفى كل شيء عدا عينيها، وتبعته نحو الجسر الخشبي.

سألت:

— «هل أمير حرب الثعبان حليف؟».

— «كان أنغ تسولين معلم الاستراتيجية الخاص بي في سينغارد. يمكن أن يكون أي شيء من حليف لعدو. اليوم، سنعامله ببساطة كصديق قديم».

— «ماذا يجب أن أقول له؟».

— «ستبقين صامتة. كل ما عليه فعله هو النظر إليكِ».

تبعت رين فايسرا عبر ضفة النهر حتى وصلوا لخط من الخيام منصوب عند حدود المدينة وكأنه لجيش غازٍ. عندما اقتربوا من المحيط، أوقفتهم مجموعة من الجنود ذوي الملابس الخضراء وطالبت بأسلحتهم.

تمتم فايسرا حين ترددت رين في التخلي عن رمحها:

— «هيا».

— «تثق به لتلك الدرجة؟».

— «لا. لكنني أثق أنكِ لن تحتاجيه».

جاء أمير حرب الثعبان لمقابلتهم بالخارج، حيث وضع مساعدوه كرسيين وطاولة صغيرة.

في البداية أخطأت رين وظنته خادماً. لم يبدُ أنغ تسولين كأمير حرب. كان رجلاً عجوزاً بوجه طويل وحزين، نحيلاً جداً لدرجة بدا معها هزيلاً. ارتدى نفس زي الميليشيا الأخضر بلون الغابة كرجاله، لكن لم تعلن أي رموز رتبته، ولم يتدلَّ سلاح عند وركه.

أحنى فايسرا رأسه:

— «معلمي القديم. من الجيد رؤيتك مجدداً».

رفرفت عينا تسولين نحو طيف «سيغريم»، التي كانت مرئية بالكاد أسفل النهر.

– «إذن لم تقبل عرض العاهرة أنت أيضاً؟».
قال فايسرا:
– «كان عرضاً غير لبق نوعاً ما، حتى بالنسبة لها. هل يقيم أحد في القصر؟».
– «تشانغ إن. صديقنا القديم جون لوران. لا أحد من أمراء الحرب الجنوبيين».
قوس فايسرا حاجباً:
– «لم يذكروا ذلك. هذا مفاجئ».
– «أحقاً؟ إنهم جنوبيون».
استقر فايسرا في كرسيه:
– «أفترض لا. كانوا سريعي الانفعال لسنوات».
لم يحضر أحد كرسياً لرين، لذا ظلت واقفة خلف فايسرا، ويداها مطويتان فوق صدرها تقليداً للحراس الذين أحاطوا بتسولين. بدوا غير مستمتعين.
قال تسولين:
– «بالتأكيد أخذت وقتك في الوصول هنا. كانت رحلة تخييم طويلة لبقيتنا».
أشار فايسرا نحو رين:
– «كنت ألتقط شيئاً على الساحل. هل تعرف من هي تلك؟».
خفضت رين وشاحها.
نظر تسولين لأعلى. في البداية بدا مشوشاً فقط وهو يفحص وجهها، لكن بعدها لا بد أنه استوعب اللون الداكن لبشرتها، والبريق الأحمر في عينيها، لأن جسده بأكمله توتر.
قال أخيراً:
– «هذه الفتاة مطلوبة مقابل الكثير من الفضة. شيء ما عن محاولة اغتيال في أدلاغا».

قال فايسرا:

– «من الجيد أنني لم أكن بحاجة للفضة قط».

نهض تسولين من كرسيه ومشى نحو رين حتى فصلت بينهما بوصات فقط. لم يكن أطول منها بكثير، لكن نظرته جعلتها غير مرتاحة بشكل واضح. شعرت كعينة تحت فحصه الدقيق.

قالت:

– «مرحباً. أنا رين».

تجاهلها تسولين. أصدر صوت همهمة تحت أنفاسه وعاد لمقعده.

– «هذا استعراض فج جداً للقوة. ستسير بها هكذا لداخل قصر الخريف وحسب؟».

– «ستكون مقيدة بشكل مناسب. ومخدرة أيضاً. أصرت داجي على ذلك».

– «إذن داجي تعرف أنها هنا».

– «ظننت أن ذلك سيكون حكيماً. أرسلت رسولاً مقدماً».

قال تسولين:

– «لا عجب أنها تتوتر إذن. زادت حرس القصر ثلاثة أضعاف. أمراء الحرب يتحدثون. أياً كان ما تخطط له يا فايسرا، فهي مستعدة له».

قال فايسرا:

– «لذا سيساعدنا الحصول على دعمك».

لاحظت رين أن فايسرا يحني رأسه كلما تحدث لتسولين. بطريقة خفية، كان ينحني باستمرار للأكبر منه، مظهراً التقدير والاحترام.

لكن تسولين بدا غير مستجيب للتملق. تنهد:

– «لم تكتفِ قط بالسلام، أليس كذلك؟».

قال فايسرا:

– «وأنت ترفض الاعتراف بأن الحرب هي الخيار الوحيد. أيهما تفضل يا تسولين؟ يمكن للإمبراطورية أن تموت ميتة بطيئة على مدى القرن القادم، أو

يمكننا وضع البلاد على المسار الصحيح في غضون هذا الأسبوع إذا كنا محظوظين».

— «في غضون بضع سنوات دموية، تعني».

— «أشهر، على الأكثر».

سأل تسولين:

— «ألا تذكر آخر مرة وقف فيها أحد ضد التريفيكتا؟ تذكر كيف تناثرت الجثث على درجات الممر السماوي؟».

قال فايسرا:

— «لن يكون الأمر هكذا».

— «لمَ لا؟».

أومأ فايسرا نحو رين:

— «لأننا نملك هذه».

نظر تسولين بتعب في اتجاه رين.

— «أيتها الطفلة المسكينة. أنا آسف جداً».

رمشت، غير متأكدة مما عناه ذلك.

تابع فايسرا بسرعة:

— «ولدينا ميزة الوقت. الميليشيا تترنح من هجوم الاتحاد. يحتاجون للتعافي. لم يستطيعوا حشد دفاعاتهم بسرعة كافية».

قال تسولين:

— «مع ذلك، في ظل أفضل سيناريو لك، لا تزال داجي تملك المقاطعات الشمالية. الحصان والنمر لن ينشقا أبداً. لديها تشانغ إن وجون. هذا كل ما تحتاجه».

— «جون يعرف ألا يخوض معارك لا يستطيع كسبها».

— «لكنه يستطيع وسيكسب هذه. أم ظننت أنك ستهزم الجميع عبر القليل من الترهيب؟».

قال فايسرا بنفاد صبر:

– «هذه الحرب يمكن أن تنتهي في أيام لو حصلت على دعمك. معاً سنسيطر على الساحل. أنا أملك القنوات. أنت تملك الشاطئ الشرقي. مجتمعين، بأساطيلنا...»

رفع تسولين يداً:

– «شعبي خضع لثلاث حروب في حياته، كل مرة مع حاكم مختلف. الآن قد تكون لديهم فرصتهم الأولى لسلام دائم. وأنت تريد جلب حرب أهلية لعتبات بيوتهم».

– «هناك حرب أهلية قادمة، سواء اعترفت بذلك أم لا. أنا فقط أعجل المحتوم».

قال تسولين:

– «لن ننجو من هذا المحتوم». شاب حزن حقيقي كلماته. استطاعت رين رؤيته في عينيه؛ بدا الرجل مسكوناً بالأشباح. «فقدنا الكثير من الرجال في جولين نيس يا فايسرا. فتيان. هل تعلم ما جعل قادتنا جنودهم يفعلونه في المساء السابق للحصار؟ كتبوا رسائل لعائلاتهم. أخبروهم أنهم يحبونهم. أخبروهم أنهم لن يعودوا للمنزل. واختار جنرالاتنا أقوى وأسرع الجنود لتوصيل الرسائل للمنزل، لأنهم عرفوا أنه لن يشكل فارقاً سواء كان لدينا هؤلاء عند الجدار أم لا».

وقف.

– «إجابتي هي لا. لم نتعافَ بعد من ندوب حروب الخشخاش. لا يمكنك أن تطلب منا النزيف مرة أخرى».

مد فايسرا يده وأمسك معصم تسولين قبل أن يتمكن من الاستدارة للذهاب.

– «أنت محايد إذن؟».

– «فايسرا...»

– «أو ضدي؟ هل أتوقع أن أجد جنود داجي عند بابي بسببك؟».

بدا تسولين متألماً:

– «لا أعرف شيئاً. لا أساعد أحداً. لنترك الأمر عند هذا الحد، هلّا فعلنا؟».

***

سألت رين بمجرد أن أصبحوا خارج مسمع تسولين:

– «سنتركه يرحل وحسب؟».

فاجأتها ضحكة فايسرا القاسية:

– «تظنين أنه سيبلغ عنا للإمبراطورة؟».

ظنت رين أن هذا بدا واضحاً نوعاً ما.

– «من الواضح أنه ليس معنا».

– «سيكون معنا. لقد كشف عتبته لخوض الحرب. الخطر الإقليمي. سيختار جانباً بسرعة كافية إذا عنى ذلك الفرق بين الحرب والفناء، لذا سأجبر يده. سأجلب القتال لمقاطعته. لن يكون لديه خيار حينها، وأشك أنه يعرف ذلك».

أصبحت خطوات فايسرا أسرع وأسرع بينما مشيا. اضطرت رين للركض لتلحق به.

أدركت:

– «أنت غاضب».

لا،بل كان غاضباً بشدة. استطاعت رؤية ذلك في الوهج الجليدي في عينيه، في تصلب مشيته. قضت الكثير من طفولتها تتعلم تمييز متى يكون شخص ما في مزاج خطير.

لم يرد فايسرا.

توقفت عن المشي:

– «أمراء الحرب الآخرون. قالوا لا، أليس كذلك؟».

توقف فايسرا قبل أن يجيب:

– «إنهم لم يقرروا بعد. من المبكر جداً القول».

— «هل سيخونونك؟».

— «لا يعرفون ما يكفي عن خططي لفعل أي شيء. كل ما يمكنهم إخبار داجي به هو أنني غير راضٍ عنها، وهو ما تعرفه بالفعل. لكنني أشك أن لديهم الشجاعة لقول حتى ذلك». قطر صوت فايسرا بالتعالي. «إنهم كالخراف. سيراقبون بصمت، منتظرين رؤية كيف يسقط ميزان القوى، وسيتحالفون مع من يستطيع حمايتهم. لكننا لن نحتاجهم حتى ذلك الحين».

قالت:

— «لكنك احتجت تسولين».

اعترف:

— «سيكون هذا أصعب بكثير بدون تسولين. كان يمكنه قلب الميزان. ستكون حرباً حقيقية الآن».

لم تستطع إلا أن تسأل:

— «إذن هل سنخسر؟».

راقبها فايسرا في صمت للحظة. ثم ركع أمامها، ووضع يديه على كتفيها، ونظر لأعلى إليها بحدة جعلت رين تريد التلوّي.

قال بنعومة:

— «لا. لدينا أنتِ».

— «فايسرا...»

قال بصرامة:

— «ستكونين الرمح الذي يسقط هذه الإمبراطورية. ستهزمين داجي. ستبدئين حركة هذه الحرب، وحينها لن يكون لأمراء الحرب الجنوبيين خيار».

جعلتها الحدة في عينيه غير مرتاحة بشدة.

— «ولكن ماذا لو لم أستطع؟».

— «ستستطيعين».

— «لكن...»

— «ستفعلين، لأنني أمرتك بذلك». اشتدت قبضته على كتفيها. «أنتِ أعظم أسلحتي. لا تخيبي أملي».

الفصل التاسع

تخيلت رين قصر الخريف مكوناً من أشكال مربعة ومجردة، كما صُور على الخرائط. لكن قصر الخريف الحقيقي كان ملاذاً للجمال محفوظاً بشكل مثالي، منظراً كأنه خرج مباشرة من لوحة حبر. تفتحت الأزهار في كل مكان. أزهار البرقوق الأبيض والدرق زينت الحدائق؛ ونقطت زنابق الماء وأزهار اللوتس البرك والقنوات المائية. المجمع نفسه كان هيكلاً مصمماً بأناقة من بوابات احتفالية مزخرفة، وأعمدة رخامية ضخمة، وأجنحة مترامية الأطراف.

لكن رغم كل ذلك الجمال، خيم سكون على القصر جعل رين غير مرتاحة بعمق. كانت الحرارة خانقة. بدت الطرق وكأنها تكنس كل ساعة بواسطة خدم غير مرئيين، ومع ذلك كان لا يزال بإمكان رين سماع الطنين المنتشر للذباب، وكأنهم اكتشفوا شيئاً متعفناً في الهواء لم يستطع أحد رؤيته.

بدا الأمر وكأن القصر يخفي شيئاً مقززاً تحت مظهره الخارجي الجميل؛ تحت رائحة الليلك المتفتح، كان هناك شيء في المراحل الأخيرة من التحلل.

ربما كانت تتخيل الأمر. ربما كان القصر جميلاً حقاً، وهي كرهته فقط لأنه كان منتجع الجبناء. كان هذا ملجأ، وحقيقة أن أي شخص اختبأ حياً في قصر الخريف بينما تعفنت الجثث في جولين نيس أغضبتها بشدة.

لكز إريدين أسفل ظهرها برمحه.

— «العينان لأسفل».

أطاعت بسرعة. جاءت متظاهرة بأنها سجينة فايسرا ؛ يداها مكبلتان خلف ظهرها، وفمها مغلق خلف كمامة حديدية ضغطت فكها السفلي بإحكام للأعلى. بالكاد استطاعت التحدث إلا همساً.

لم تحتج لتذكر أن تبدو خائفة. كانت مرعوبة. الثلاثون جراماً من الأفيون التي تدور في مجرى دمها لم تفعل شيئاً لتهدئتها. ضخمت ارتيابها حتى وهي تبقي معدل ضربات قلبها منخفضاً وجعلتها تشعر وكأنها تطفو بين السحب. كان عقلها قلقاً ومفرط النشاط لكن جسدها كان بطيئاً وكسولاً؛ أسوأ مزيج ممكن.

عند شروق الشمس، مرّت رين وفايسرا والنقيب إريدين تحت البوابات المقوسة للدوائر التسع المركزية لقصر الخريف. فتشهم الخدم بحثاً عن أسلحة عند كل بوابة. بحلول البوابة السابعة، كانوا قد فتشوا كل جزء فيهم لدرجة أن رين فوجئت بأنهم لم يطلبوا منهم خلع ملابسهم.

عند البوابة الثامنة أوقفها حارس إمبراطوري لفحص بؤبؤي عينيها.

قال فايسرا:

— «لقد تناولتْ جرعة أمام الحراس هذا الصباح».

قال الحارس:

— «حتى مع ذلك». مد يده لذقن رين ورفعه لأعلى. «افتحي عينيكِ، من فضلك».

امتثلت رين وحاولت ألا تتلوى وهو يباعد جفونها. راضياً، تراجع الحارس للخلف ليسمح لهم بالمرور.

تبعت رين فايسرا إلى قاعة العرش، يتردد صدى أحذيتهما على أرضية رخامية ناعمة لدرجة بدت كمياه ساكنة على سطح بحيرة. كانت الغرفة الداخلية خليطاً غنياً ومزخرفاً من الديكورات التي تشوشت وسبحت في بصر رين المشوش بالأفيون. رمشت وحاولت التركيز. غطت رموز مرسومة بشكل معقد كل جدار، تمتد طوال الطريق إلى السقف، حيث تلاحمت في دائرة.

أدركت أنه البانثيون. إذا حدقت، يمكنها تمييز الآلهة التي أصبحت تعرفها: الإله القرد، المشاغب والقاسي؛ العنقاء، المهيب والنهم...

كان ذلك غريباً. كره الإمبراطور الأحمر الشامانات. بعد أن استولى على العرش في سينغارد، أمر بقتل الرهبان وحرق أديرتهم.

لكن ربما لم يكره الآلهة. ربما كره فقط أنه لم يستطع الوصول لقوتهم بنفسه.

قادت البوابة التاسعة لغرفة المجلس. سد حرس الإمبراطورة الشخصي، صف من الجنود في دروع مبطنة بالذهب، طريقهم.

قال قائد الحرس:

— «لا مرافقين. قررت الإمبراطورة أنها لا تريد ازدحام غرفة المجلس بالحراس الشخصيين».

عبر وميض من الانزعاج وجه فايسرا.

— «كان بإمكان الإمبراطورة إخباري بهذا مسبقاً».

قال قائد الحرس بزهو:

— «أرسلت الإمبراطورة إشعاراً لكل المقيمين في القصر. أنت رفضت دعوتها».

ظنت رين أن فايسرا قد يعترض، لكنه التفت فقط لإريدين وأخبره بالانتظار في الخارج. انحنى إريدين وغادر، تاركاً إياهم بلا حراس أو أسلحة في قلب قصر الخريف.

لكنهم لم يكونوا وحدهم تماماً. في تلك اللحظة كان أفراد السيك يسبحون عبر الممرات المائية الجوفية نحو قلب المدينة. بنى اراتشا فقاعات هواء حول رؤوسهم ليتمكنوا من السباحة لأميال دون الحاجة للصعود للهواء.

استخدم السيك هذه الطريقة للتسلل مرات عديدة من قبل. هذه المرة، سيقدمون تعزيزات إذا ساء الانقلاب. سيتخذ باجي وسوني مواقع مباشرة خارج غرفة المجلس، مستعدين للاقتحام وإخراج فايسرا إذا لزم الأمر. ستتمركز قارا في أعلى جناح خارج غرفة المجلس للدعم بعيد المدى. وسيحشر رامسا نفسه أينما كان بإمكانه هو وحقيبته المقاومة للماء المليئة بالكنوز القابلة للاحتراق إحداث أكبر قدر من الفوضى.

وجدت رين درجة صغيرة من الراحة في ذلك. إذا لم يستطيعوا الاستيلاء على قصر الخريف، فعلى الأقل لديهم فرصة جيدة لنسفه.

ساد الصمت غرفة المجلس حين دخلت رين وفايسرا.

التف أمراء الحرب في مقاعدهم للتحديق فيها، تراوحت تعبيراتهم من المفاجأة إلى الفضول إلى اشمئزاز خفيف. جالت عيونهم على جسدها، توقفت عند ذراعيها وساقيها، وقيمت طولها وبنيتها. نظروا في كل مكان ما عدا عينيها.

تململت رين بعدم ارتياح. كانوا يقيمونها كبقرة في سوق.

تحدث أمير حرب الثور أولاً. تعرفت عليه رين من خوردالين؛ فوجئت بأنه لا يزال حياً.

— «هذه الفتاة الصغيرة عطلتك لأسابيع؟».

قهقه فايسرا:

— «البحث هو ما أكل وقتي، وليس القبض عليها. وجدتها عالقة في أنخيلون. وصلت إليها مواغ أولاً».

بدا أمير حرب الثور متفاجئاً.

— «ملكة القراصنة؟ كيف انتزعتها منها؟».

قال فايسرا:

— «بادلت مواغ بشيء تحبه أكثر».

طالب رجل في الطرف الآخر من الطاولة:

— «لماذا تحضرها هنا حية؟».

أدارت رين رأسها وكادت تقفز من المفاجأة. لم تتعرف على المعلم جون من النظرة الأولى. نمت لحيته أطول بكثير، وغزت خصلات رمادية شعره لم تكن هناك قبل الحرب. لكن كان بإمكانها إيجاد نفس الغطرسة محفورة في خطوط وجه معلمها القديم في القتال ، بالإضافة إلى اشمئزازه الواضح منها.

رمق فايسرا بنظرة حادة:

— «الخيانة تستحق عقوبة الموت. وهي خطيرة جداً لتبقى موجودة».

قال أمير حرب الحصان:

— «لا تكن متسرعاً. قد تكون مفيدة».

ردد جون:

— «مفيدة؟».

— «إنها الأخيرة من نوعها. سنكون حمقى لرمي سلاح كهذا».

قال أمير حرب الثور:

— «الأسلحة مفيدة فقط إذا كنت تستطيع استخدامها. أعتقد أنك ستواجه صعوبة قليلة في ترويض هذه الوحش».

— «أين تظن أنها انحرفت؟». انحنى أمير حرب الديك للأمام ليحصل على نظرة أفضل لها.

كانت رين تتطلع سراً لمقابلة أمير حرب الديك، غونغ تاخا. جاءا من نفس المقاطعة. وتحدثا نفس اللهجة، وكانت بشرته داكنة تقريباً كبشرتها. كانت الإشاعة على «سيغريم» أن تاخا هو الأقرب للانضمام للجمهورية. لكن إذا كانت الروابط الإقليمية تعني أي شيء، فلم يظهر تاخا ذلك. حدق فيها بنفس نوع الفضول الخائف الذي يظهره المرء تجاه نمر في قفص.

تابع قائلاً:

— «لديها نظرة وحشية في عينيها. هل تظن أن تجارب الموغينيين فعلت ذلك بها؟».

أنا في الغرفة، أرادت رين أن تصرخ. *توقفوا عن الحديث عني وكأنني لست هنا.*

لكن فايسرا أرادها أن تكون منصاعة. *تصرفي بغباء*، قال لها. *لا تظهري ذكية جداً.*

قال فايسرا:

— «لا شيء معقداً كهذا. كانت سبيرية يمكن شد مقودها. تتذكرون كيف كان السبيريون».

قال جون:

— «عندما تجن كلابي، أقتلها».

تحدثت الإمبراطورة من المدخل:

— «لكن الفتيات الصغيرات لسن كلاباً يا لوران».

تجمدت رين.

استبدلت سو داجي أثوابها الاحتفالية بزي عسكري أخضر. طعمت وسادات كتفيها بدروع من اليشم، وتدلى سيف طويل عند خصرها. بدا الأمر كرسالة. لم تكن الإمبراطورة فحسب، كانت أيضاً المارشال الكبير للميليشيا الإمبراطورية لنيكان. غزت الإمبراطورية مرة بالقوة. وستفعلها ثانية.

حاربت رين لإبقاء تنفسها منتظماً بينما مدت داجي يدها وتتبعت بأطراف أصابعها فوق كمامتها.

قال جون:

— «احذري. إنها تعض».

— «أوه، أنا متأكدة من ذلك». بدا صوت داجي فاتراً، وغير مهتم تقريباً. «هل قاومت؟».

قال فايسرا:

— «حاولت».

— «أتخيل أنه كانت هناك إصابات».

— «ليس بالقدر الذي تتوقعينه. إنها ضعيفة. المخدر أجهز عليها».

— «بالطبع». ارتفعت شفة داجي. «لطالما كان للسبيريين ميولهم».

انجرفت يدها لأعلى لتربت على رأس رين برفق.

تكورت أصابع رين في قبضتين.

هدوء، ذكرت نفسها. لم يزل مفعول الأفيون بعد. عندما حاولت استدعاء النار، شعرت فقط بإحساس خدر وانسداد في مؤخرة عقلها.

توقفت عينا داجي عند رين لفترة طويلة. تجمدت رين، مرعوبة من أن تأخذها الإمبراطورة جانباً الآن كما حذر فايسرا. كان الوقت مبكراً جداً. إذا كانت

وحدها في غرفة مع داجي، فأفضل ما يمكنها فعله هو توجيه بعض اللكمات المشوشة في اتجاهها.

لكن داجي ابتسمت فقط، وهزت رأسها، والتفتت نحو الطاولة.

— «لدينا الكثير لننجزه. هلّا بدأنا؟».

سأل جون:

— «ماذا عن الفتاة؟ يجب أن تكون في زنزانة».

— «أعرف». رمت داجي رين بابتسامة سامة. «لكنني أحب مشاهدتها وهي تتعرق».

***

كانت الساعتان التاليتان الأبطأ في حياة رين.

بمجرد أن استنفد أمراء الحرب فضولهم تجاهها، حولوا انتباههم لقائمة ضخمة من المشاكل الاقتصادية، والزراعية، والسياسية. حطمت حرب الخشخاش الثالثة كل مقاطعة تقريباً. دمر جنود الاتحاد معظم البنية التحتية في كل مدينة رئيسية احتلوها، وأضرموا النار في مساحات شاسعة من حقول الحبوب، ومحوا قرى بأكملها. أعادت حركات اللاجئين الجماعية تشكيل الكثافة البشرية للبلاد. كانت هذه كارثة من النوع الذي كان سيتطلب جهداً معجزاً من قيادة مركزية موحدة للتخفيف منها، ومجلس الأمراء الاثني عشر كان أي شيء إلا ذلك.

قال أمير حرب الثور:

— «سيطر على شعبك اللعين. لدي الآلاف يتدفقون عبر حدودي بينما نحن نتحدث الان. وليس لدينا مكان لهم».

قال أمير حرب الأرنب، بصوت شاكٍ ومزعج بشكل مميز جعل رين تجفل كلما تحدث:

— «ماذا يفترض بنا أن نفعل، ننشئ حرس حدود؟ نصف مقاطعتي غارق، ليس لدينا مخازن طعام تكفي الشتاء...»

قال أمير حرب الثور:

– «ولا نحن. أرسلهم لمكان آخر وإلا سنجوع جميعاً».

قال أمير حرب الكلب:

– «سنكون مستعدين لإعادة توطين مواطنين من مقاطعة الأرنب تحت حصة محددة. لكن سيتعين عليهم إبراز أوراق تسجيل إقليمية».

ردد أمير حرب الأرنب:

– «أوراق تسجيل؟ هؤلاء الناس نُهِبت قراهم وأنت تطلب أوراق تسجيل؟ صحيح، كأن أول شيء أمسكوه حين بدأت قراهم تشتعل كان...»

– «لا يمكننا إيواء الجميع. شعبي مضغوط من أجل الموارد بالفعل...»

– «مقاطعتك أرض قاحلة من السهوب، لديك مساحة أكثر من كافية».

– «لدينا مساحة؛ ليس لدينا طعام. ومن يدري ماذا سيجلب أمثالك عبر الحدود...»

وجدت رين صعوبة في تصديق أن هذا المجلس، إذا أمكن تسميته كذلك، كان حقاً الطريقة التي تعمل بها الإمبراطورية. عرفت كم مرة ذهب أمراء الحرب للسلاح من أجل الموارد، وطرق التجارة، وأحياناً، من أجل أفضل المجندين المتخرجين من سينغارد. وعرفت أن الشقوق كانت تتعمق، وساءت في أعقاب حرب الخشخاش الثالثة.

فقط لم تكن تعرف أن الأمر سيئ لهذه الدرجة.

لساعات تشاجر أمراء الحرب وتجادلوا حول تفاصيل تافهة لدرجة أن رين لم تصدق أن أي أحد يمكن أن يهتم. ووقفت تنتظر في الزاوية، تتعرق عبر قيودها، تنتظر داجي لتسقط واجهتها.

لكن الإمبراطورة بدت راضية بالانتظار. كان إريدين محقاً؛ من الواضح أنها استمتعت باللعب بفريستها قبل التهامها. جلست على رأس الطاولة بتعبير مستمتع بشكل غامض على وجهها. بين الحين والآخر، التقت بعيني رين وغمزت.

ماذا كانت خطة داجي النهائية؟ بالتأكيد عرفت أن الأفيون سيزول مفعوله في رين في النهاية. لماذا كانت تضيع الوقت؟

هل أرادت داجي هذا القتال؟

جعل القلق المحض رين تشعر بضعف في ركبتيها ودوار. تطلب الأمر كل ما لديها من عزم لتبقى واقفة.

سأل أحدهم:

— «ماذا عن مقاطعة النمر؟».

اتجهت كل العيون للطفل الممتلئ الجالس ومرفقاه على الطاولة. نظر أمير حرب النمر الشاب حوله بتعبير مزيج من الحيرة والرعب، رمش مرتين، ثم نظر فوق كتفه للمساعدة.

مات والده في خوردالين والآن يحكم وكيله وجنرالاته المقاطعة بدلاً منه، مما عنى أن السلطة في مقاطعة النمر كانت حقاً بيد جون.

قال جون:

— «فعلنا أكثر من اللازم لهذه الحرب. نزفنا في خوردالين لشهور. نحن ناقصون بآلاف الرجال. نحتاج وقتاً للتعافي».

قال رجل طويل جالس في الطرف البعيد من الغرفة وبصق كتلة من البلغم على الطاولة:

— «بحقك يا جون. مقاطعة النمر مليئة بالأراضي الصالحة للزراعة. انشر بعض الخير حولك».

تجهمت رين. لا بد أن هذا أمير حرب الحصان الجديد؛ «جنرال لحم الذئب» تشانغ إن. تلقت إيجازاً مكثفاً حول هذا الشخص. كان تشانغ إن قائد فرقة سابقاً هرب من معسكر سجن فيدرالي قرب بداية حرب الخشخاش الثالثة، واتخذ حياة قطاع الطرق، وتولى سيطرة سريعة على المنطقة العليا لمقاطعة الحصان بينما كان أمير حرب الحصان السابق وجيشه مشغولين بالدفاع عن خوردالين.

كانوا يأكلون أي شيء. لحم الذئب. الجثث بجانب الطريق. كانت الشائعة أنهم دفعوا مالاً جيداً مقابل أطفال بشريين أحياء.

الآن مات أمير حرب الحصان السابق، مسلوخاً حياً من قبل قوات الاتحاد. وكان ورثته أضعف أو أصغر من أن يتحدوا تشانغ إن، لذا تولى حاكم قطاع الطرق السيطرة الفعلية على المقاطعة.

التقط تشانغ إن عين رين، كشر عن أسنانه، ولعق ببطء شفته العليا بلسان أسود سميك ومبقع.

كبتت رين قشعريرة وأشاحت بوجهها.

قال جون، وهو يرمق رين بنظرة اشمئزاز مطلق:

— «معظم أراضينا الصالحة للزراعة قرب الساحل دمرتها موجات تسونامي أو تساقط الرماد. السبيرية تعرف هذا جيداً».

شعرت رين بوخزة ذنب. لكن كان إما ذلك أو الانقراض على أيدي الاتحاد. توقفت عن مناقشة تلك المقايضة. يمكنها العمل فقط إذا آمنت أنها كانت تستحق ذلك.

قال تشانغ إن:

— «لا يمكنكم الاستمرار في إلقاء لاجئيكم عليَّ. إنهم يكتظون في المدن. لا يمكننا الحصول على لحظة راحة دون تذمرهم في الشوارع، مطالبين بإقامة مجانية».

قال جون ببرود:

— «إذن شغِّلهم. اجعلهم يعيدون بناء طرقك ومبانيك. سيكسبون قوت يومهم».

— «وكيف يفترض بنا إطعامهم؟ إذا جاءوا عند الحدود، فهذا خطؤك».

لاحظت رين أن أمراء الحرب الشماليين؛ الثور، والكبش، والحصان، والكلب، هم من قاموا بمعظم الحديث. جلس تسولين وأصابعه متشابكة تحت ذقنه، لا يقول شيئاً. أمراء الحرب الجنوبيون، المتكدسون قرب خلفية الغرفة،

ظلوا صامتين إلى حد كبير. كانوا هم من عانوا أكبر قدر من الضرر، وفقدوا أكبر عدد من القوات، وبالتالي كان لديهم أقل قدر من النفوذ.

طوال كل هذا جلست داجي على رأس الطاولة، تراقب، ونادراً ما تتحدث. راقبت الآخرين، وحاجب واحد مقوس أعلى قليلاً من الآخر، وكأنها تشرف على مجموعة أطفال تمكنوا من خذلانها باستمرار.

مرت ساعة أخرى ولم يحلوا شيئاً، باستثناء إيماءة فاترة من أمير مقاطعة النمر لتخصيص ستة آلاف "كاتي" من المساعدات الغذائية لمقاطعة الكبش الحبيسة مقابل ألف رطل من الملح. بالنظر إلى المخطط الأكبر للأمور، ومع آلاف اللاجئين يموتون جوعاً يومياً، كان هذا بالكاد قطرة في دلو.

وقفت الإمبراطورة عن الطاولة:

— «لماذا لا نأخذ استراحة؟ نحن لا نصل لأي اتفاق».

قال تسولين:

— «بالكاد حللنا أي شيء».

— «والإمبراطورية لن تنهار إذا توقفنا لتناول وجبة. هدئوا رؤوسكم أيها السادة. هل أجرؤ على اقتراح التفكير في الخيار الجذري للتنازل لبعضكم البعض؟». التفتت داجي نحو رين. «في هذه الأثناء، سأتقاعد للحظة لحدائقي. رونين، حان وقت توجهكِ لزنزانتك، ألا تظنين ذلك؟».

تصلبت رين. لم تستطع إلا رمي نظرة ذعر لفايسرا. حدق للأمام دون التقاء عينيه بعينيها، لا يفشي شيئاً.

هذا بالضبط هو فايسرا. سوت رين كتفيها. أحنت رأسها في خضوع، وابتسمت الإمبراطورة.

***

خرجت رين والإمبراطورة ليس عبر غرفة العرش بل عبر ممر ضيق في الخلف. مخرج الخدم. بينما مشيا استطاعت رين سماع صوت قرقرة أنابيب الري تحت الأرضيات.

مرت ساعات منذ بدء المجلس. يجب أن يكون السيك متمركزين داخل القصر الآن، لكن تلك الفكرة لم تجعلها أقل رعباً. الآن هي تعمل وحدها مع الإمبراطورة.

لكنها لا تزال لا تملك النار.

سألت داجي:

— «هل أنتِ منهكة بعد؟».

لم ترد رين.

— «أردت منكِ مشاهدة أمراء الحرب في أفضل حالاتهم. إنهم مجموعة مزعجة، أليسوا كذلك؟».

استمرت رين بالتظاهر أنها لم تسمع.

— «أنتِ لا تتحدثين كثيراً، أليس كذلك؟». ألقت داجي نظرة خاطفة من فوق كتفها عليها. انزلقت عيناها لأسفل نحو الكمامة. «أوه، بالطبع. لننزع هذا عنكِ».

وضعت أصابعها النحيلة على جانبي الأداة وسحبتها برفق.

— «أفضل؟».

حافظت رين على صمتها. *لا تتفاعلي معها*، حذرها فايسرا. *حافظي على يقظة مستمرة ودعيها تقل كلمتها.*

احتاجت فقط لشراء بضع دقائق أخرى لنفسها. استطاعت الشعور بالأفيون يزول. أصبحت رؤيتها أكثر حدة، واستجابت أطرافها بلا تأخير لأوامرها. احتاجت فقط أن تستمر داجي في الحديث حتى يستجيب العنقاء لندائها. حينها يمكنها تحويل قصر الخريف إلى رماد.

تأملت داجي:

— «كان ألتان كذلك. أتعلمين، السنوات الثلاث الأولى التي قضاها معنا، ظننا أنه أخرس».

كادت رين تتعثر بحجر رصف. استمرت داجي في المشي وكأنها لم تلاحظ شيئاً. تبعتها رين، تحارب للحفاظ على هدوئها.

قالت داجي:

– «حزنت لسماع خبر فقدانه. كان قائداً جيداً. قائداً من أفضل ما لدينا».

وأنت قتلتِهِ، أيتها العاهرة العجوز. فركت رين أصابعها معاً، آملة في شرارة، لكن القناة للعنقاء ظلت مسدودة.

فقط لفترة أطول قليلاً.

قادتها داجي خلف المبنى نحو رقعة من مساحة فارغة قرب مساكن الخدم.

– «بنى الإمبراطور الأحمر سلسلة من الأنفاق في قصر الخريف ليتمكن من الهروب من وإلى أي غرفة إذا دعت الحاجة. حاكم إمبراطورية بأكملها، ولم يشعر بالأمان في سريره الخاص». توقفت داجي بجانب بئر ودفعت بقوة غطاءه، مثبتة قدميها ضد الأرضية الحجرية. انزلق الغطاء بصرير عالٍ. استقامت ونفضت يديها على زيها الرسمي.

– «اتبعيني».

زحفت رين خلف داجي إلى البئر، الذي كان به مجموعة من درجات ضيقة حلزونية مبنية في جداره. مدت داجي يدها وأغلقت الحجر فوقهم، تاركة إياهم واقفين في ظلام دامس. التفت أصابع جليدية حول يد رين. قفزت، لكن داجي شددت قبضتها فقط.

تردد صدى صوت داجي حول الغرفة:

– «من السهل أن تتوهي إن لم تكوني هنا من قبل. ابقي قريبة».

حاولت رين عد كم منعطفاً أخذوا؛ خمسة عشر، ستة عشر... لكن سرعان ما فقدت أثر مكانهم، حتى في خريطتها العقلية المحفوظة بعناية. كم بعدوا عن غرفة المجلس؟ هل ستضطر للاشتعال في الأنفاق؟

بعد عدة دقائق أخرى من المشي، ظهروا مرة أخرى في حديقة. كان الخليط المفاجئ للألوان مربكاً. حدقت رين، وهي ترمش، في المجموعة المتألقة من

الزنابق، والأقحوان، وأشجار البرقوق المزروعة في مجموعات حول صفوف تلو صفوف من المنحوتات.

لم تكن هذه هي الحديقة الإمبراطورية؛ تخطيط الجدران لم يتطابق. كانت الحديقة الإمبراطورية دائرية الشكل؛ هذه الحديقة أقيمت داخل شكل سداسي. كان هذا فناءً خاصاً.

لم يكن هذا على الخريطة. لم يكن لدى رين أدنى فكرة أين هي.

رفرفت عيناها بشكل محموم حول محيطها، تبحث عن طرق خروج محتملة، ترسم مسارات ومستويات حركة مفيدة للقتال الوشيك، تلاحظ الأشياء التي يمكن استخدامها كأسلحة إذا لم تستطع استعادة النار في الوقت المناسب. بدت تلك الشتلات هشة، قد تكسر غصناً لاستخدامه كهراوة إذا يئست. الأفضل إذا استطاعت حصر داجي ضد الجدار البعيد. إذا لم تجد شيئاً آخر، يمكنها استخدام حجارة الرصف المفككة تلك لتهشيم رأس الإمبراطورة.

— «رائعة، أليست كذلك؟».

أدركت رين أن داجي كانت تنتظر منها قول شيء.

إذا انخرطت مع داجي في محادثة، فهي تتوجه برأسها إلى فخ. فايسرا وإريدين حذراها مرات عديدة كم هو سهل لداجي التلاعب، يمكنها زرع أفكار في عقلها لم تكن لها.

لكن داجي ستمل من الحديث إذا بقيت رين صامتة. واهتمام داجي باللعب بطعامها كان الشيء الوحيد الذي يشتري لرين الوقت. احتاجت رين لإبقاء المحادثة مستمرة حتى تستعيد النار.

قالت:

— «أخمن ذلك. لست مهتمة بالجماليات».

— «بالطبع لستِ كذلك. تلقيتِ تعليمك في سينغارد. كلهم نفعيون فجون». وضعت داجي يديها على كتفي رين وأدارتها ببطء حول الحديقة. «أخبريني شيئاً. هل يبدو القصر جديداً لكِ؟».

ألقت رين نظرة حول الشكل السداسي. نعم، لا بد أنه جديد. مباني قصر الخريف البراقة، رغم تصميمها بهندسة الإمبراطور الأحمر، لم تحمل بقع الزمن. كانت الأحجار ناعمة وغير مخدوشة، والأعمدة الخشبية تلمع بطلاء حديث.

قالت:

– «أفترض ذلك».

– «اتبعيني». مشت داجي نحو بوابة صغيرة مبنية في الجدار البعيد، دفعتها مفتوحة، وأشارت لرين لتتبعها عبرها.

بدا الجانب الآخر من الحديقة وكأنه حطم تحت كعب عملاق. كان القسم الأوسط من الجدار المقابل محطماً لقطع، وكأنه فُجر بنيران مدافع. تناثرت التماثيل عبر العشب المتضخم، أطرافها مهشمة، مستلقية بزوايا بشعة وغريبة.

لم يكن هذا تحللاً طبيعياً. لم يكن نتيجة فشل في صيانة الأرض. كان هذا لا بد أن يكون فعلاً متعمداً لقوة غازية.

قالت رين:

– «ظننت أن الاتحاد لم يصل للوسان قط».

قالت داجي:

– «لم يكن هذا الاتحاد. هذا الحطام هنا منذ أكثر من سبعين عاماً».

– «إذن من...؟».

– «الهيسبيريون. التاريخ يحب التركيز على الاتحاد، لكن المعلمين في سينغارد يتجاهلون دائماً المستعمرين الأوائل. لا أحد يتذكر من بدأ حرب الخشخاش الأولى». لكزت داجي رأس تمثال بقدمها. «في يوم خريفي قبل سبعين عاماً، أبحر أدميرال هيسبيري صعوداً في الموروي وشق طريقه بالتفجير لداخل لوسان. نهب القصر، وسواه بالأرض، وسكب زيتاً فوق الحطام، ورقص في الرماد. بحلول ذلك المساء كان قصر الخريف قد انتهى أمره».

سألت رين وعيناها تجولان في الأرجاء بينما تتحدث:

– «إذن لماذا لم تعيدوا بناء الحديقة؟».

استقرت مجرفة في العشب على بعد نصف ياردة من قدميها. بعد كل هذه السنوات كانت بالتأكيد غير حادة ومغطاة بالصدأ، لكن رين قد تتمكن من استخدامها كعصا.

قالت داجي:

— «ليكون لدينا تذكير. لنتذكر كيف تم إذلالنا. لنتذكر أن لا شيء جيد يمكن أن يأتي من التعامل مع الهيسبيريين».

لم تستطع رين ترك عينيها تطيل النظر في المجرفة. ستلاحظ داجي. أعادت بناء موقعها بعناية من الذاكرة. الطرف الحاد كان يواجهها. إذا اقتربت بما يكفي، يمكنها ركلها لأعلى لتمسكها. ما لم يكن العشب قد نما طويلاً جداً... لكنه كان مجرد عشب؛ إذا ركلت بقوة لا ينبغي أن تكون مشكلة...

قالت داجي:

— «لطالما نوى الهيسبيريون العودة. أضعف الموغينيون هذا البلد باستخدام الفضة الغربية. نتذكر الاتحاد كوجه للقمع، لكن الهيسبيريين والبولونيين؛ كونسورتيوم الدول الغربية، هم من يملكون القوة الحقيقية. هم من يجب أن تخافوا منهم».

تحركت رين قليلاً جداً لتتموضع ساقها اليسرى قريبة بما يكفي لركل المجرفة لأعلى.

— «لماذا تخبرينني بهذا؟».

قالت داجي بحدة:

— «لا تتظاهري بالغباء معي. أعرف ما ينوي فايسرا فعله. أعرف أنه ينوي خوض حرب. أحاول أن أريكِ أنها الحرب الخطأ».

بدأ نبض رين يتسارع. هذا هو؛ داجي عرفت نواياها، احتاجت للقتال، لم يهم إن لم تكن تملك النار بعد، كان عليها الوصول للمجرفة...

أمرت داجي:

— «توقفي عن ذلك».

تجمدت أطراف رين فجأة في مكانها، وتصلبت عضلاتها بشكل مؤلم وكأن أقل حركة قد تحطمها. كان يجب أن تقفز للقتال. كان يجب أن تنحني على الأقل. لكن بطريقة ما تجمد جسدها حيث وقفت، وكأنها احتاجت إذن الإمبراطورة حتى لتتنفس.

قالت داجي:

– «لم ننتهِ من الحديث».

همست رين عبر أسنان مطبقة:

– «أنا انتهيت من الاستماع».

– «استرخي. لم أحضركِ هنا لأقتلكِ. أنتِ مورد هام، أحد القلائل المتبقين لدي. سيكون من الغباء تركك تذهبين». خطت داجي أمامها بحيث وقفتا وجهاً لوجه. أشاحت رين عينيها بسرعة. «أنتِ تقاتلين العدو الخطأ يا عزيزتي. ألا ترين ذلك؟».

تجمع العرق على عنق رين وهي تجاهد لكسر قبضة داجي.

– «بماذا وعدكِ فايسرا؟ لا بد أنكِ تعرفين أنكِ تُستغلين. هل يستحق الأمر؟ هل أعطاك المال؟ أو أراضي؟ لا... لا أظن أنه يمكن إغراؤك بوعود مادية». نقرت داجي بأظافرها المطلية على شفتيها الملونتين. «لا... لا تخبريني أنكِ تصدقينه، هل تفعلين؟ هل قال إنه يسعى للديمقراطية؟ وسقطتِ في الفخ؟».

همست رين:

– «قال إنه سيخلعك. هذا جيد بما يكفي لي».

تنهدت داجي:

– «هل تصدقين ذلك حقاً؟ بماذا ستستبدلينني؟ شعب نيكان ليس مستعداً للديمقراطية. إنهم خراف. إنهم حمقى فجون وغير متعلمين. يحتاجون لمن يخبرهم بما يفعلون، حتى لو عنى ذلك الطغيان. إذا أخذ فايسرا هذه الأمة فسيدمرها. الناس لا يعرفون لأجل ماذا يصوتون. لا يفهمون حتى ماذا يعني التصويت. وبالتأكيد لا يعرفون ما هو جيد لهم».

قالت رين:

– «ولا أنتِ. تركتِهم يموتون جحافل. دعوتِ الموغينيين بنفسك وبادلتِهم السيك».

لدهشتها، ضحكت داجي.

– «أهذا ما تصدقينه؟ لا يمكنكِ تصديق كل ما تسمعينه».

– «لم يكن لدى شيرو سبب للكذب. أعرف ما فعلتِه».

– «أنتِ لا تفهمين شيئاً. كدحت لعقود لإبقاء هذه الإمبراطورية متماسكة. هل تظنين أنني أردت هذه الحرب؟».

– «أظن أن نصف هذا البلد على الأقل كان قابلاً للتضحية به بالنسبة لكِ».

– «قمت بتضحية محسوبة. آخر مرة غزا فيها الاتحاد، احتشد أمراء الحرب تحت إمبراطور التنين. إمبراطور التنين مات. والاتحاد كان يجهز نفسه لغزو ثالث. مهما فعلتُ، كانوا سيهاجمون، ولم نكن قريبين بأي حال من القوة الكافية لمقاومتهم. لذا توسطت لسلام. كان بإمكانهم أخذ شرائح من الشرق إذا تركوا القلب حراً».

سخرت رين:

– «إذن كنا سنُحتل جزئياً فقط. هذا ما تسمينه فن الحكم؟».

– «محتلين؟ ليس طويلاً. أحياناً يكون أفضل هجوم هو الإذعان الزائف. كانت لدي خطة. كنت سأصبح مقربة من ريوهاي. سأكسب ثقته. سأستدرجه لشعور زائف بالرضا. ثم سأقتله. لكن في هذه الأثناء، وبما أن قواتهم كانت لا تُقهر، كنت سأجاريهم. كنت سأفعل ما يلزم لإبقاء هذه الأمة حية».

– «لقد بقت حية فقط لتموت على أيدي الموغينيين».

قسا صوت داجي:

– «لا تكوني ساذجة جداً. ماذا كنت ستفعلين حين تعلمين أن الحرب لا مفر منها؟ من ستنقذين؟».

طالبت رين:

– «ماذا ظننتِ أننا سنفعل؟ هل ظننتِ أننا سنستلقي فقط وندعهم يدمرون أراضينا؟».

– «من الأفضل الحكم على إمبراطورية مجزأة من عدم الحكم على الإطلاق».

– «حكمتِ على الملايين منا بالموت».

– «كنت أحاول إنقاذكم. بدوني كان العنف ليكون مدمراً عشر مرات أكثر...»

– «بدونك، كان سيكون لدينا خيار على الأقل!».

– «ذلك لم يكن ليكون خياراً. هل تظنين أن النيكارا شجعان لهذه الدرجة؟ ماذا لو طلبتِ من قرية التخلي عن منازلهم ليعيش آلاف آخرون؟ هل تظنين أنهم سيفعلونها؟ النيكارا أنانيون. هذا البلد بأكمله أناني. الناس أنانيون. لطالما كانت المقاطعات ضيقة الأفق، غير قادرة على الرؤية أبعد من مصالحها الضيقة لمتابعة أي نوع من العمل المشترك. سمعتِ هؤلاء الحمقى في الداخل. سمحت لكِ بالمشاهدة لسبب. لا يمكنني العمل مع أمراء الحرب هؤلاء. أولئك الحمقى لا يستمعون».

في النهاية ارتجف صوت داجي؛ بالكاد، ولثانية فقط، لكن رين سمعته.

وللحظة فقط رأت عبر تلك الواجهة من الجمال البارد والواثق، ورأت سو داجي لما قد تكون عليه حقاً: ليست إمبراطورة لا تقهر، ليست وحشاً غادراً، بل امرأة أثقلت ببلد لم تعرف كيف تديره.

إنها ضعيفة، أدركت رين. *تتمنى لو تستطيع السيطرة على أمراء الحرب، لكنها لا تستطيع.*

لأنه لو استطاعت داجي إقناع أمراء الحرب باتباع رغباتها، لكانت فعلت. لكانت تخلصت من نظام أمراء الحرب واستبدلت القيادة الإقليمية بفروع للحكومة الإمبراطورية. لكنها تركت أمراء الحرب في أماكنهم لأنها حتى هي لم تكن قوية بما يكفي لاستبدالهم. كانت امرأة واحدة. لم تستطع مواجهة جيوشهم

المجتمعة. كانت تتشبث بالكاد بالسلطة عبر آخر بقايا إرث حرب الخشخاش الثانية.

لكن الآن وقد رحل الاتحاد، الآن وقد لم يعد لأمراء الحرب سبب للخوف، كان من المرجح جداً أن تدرك المقاطعات أنها ليست بحاجة لداجي.

لم تبدُ داجي وكأنها تنسج أكاذيب. إن كان هناك شيء، ظنت رين أنه من المرجح أنها تقول الحقيقة.

لكن إذا كان الأمر كذلك... فماذا إذن؟ لم يغير ذلك الأمور.

باعت داجي السيك للاتحاد. داجي كانت السبب في موت ألتان. هذان كانا الشيئين الوحيدين الحقيقيين.

قالت داجي بإلحاح:

— «هذه الإمبراطورية تنهار. إنها تصبح ضعيفة، لقد رأيتِ ذلك. لكن ماذا لو أخضعنا أمراء الحرب لإرادتنا؟ فقط تخيلي ما يمكنكِ فعله تحت قيادتي».

قوّست كفها حول خد رين، وقربت وجهيهما معاً. «هناكَ الكثير لتتعلميه، ويمكنني تعليمك».

كانت رين لتقضم أصابع داجي لو استطاعت تحريك رأسها.

— «لا يوجد شيء يمكنك تعليمه لي».

— «لا تكوني حمقاء. أنتِ تحتاجينني. كنتِ تشعرين بأعراض الانسحاب، أليس كذلك؟ إنها تستهلكك. عقَلك ليس ملكك».

جفلت رين:

— «أنا لا... أنتِ لستِ...»

تمتمت داجي:

— «أنتِ خائفة من إغلاق عينيكِ. تشتهين الأفيون، لأنه الشيء الوحيد الذي يجعل عقَلك ملكك مرة أخرى. تقاتلين إلهك في كل لحظة. كل لحظة لا تحرقين فيها كل شيء حولك، تموتين. لكن يمكنني مساعدتك».

كان صوت داجي ناعماً جداً، وحنوناً جداً، ولطيفاً ومطمئناً لدرجة أن رين أرادت بشدة تصديقها.

— «يمكنني إعادتك عقلك».

قالت رين ببحجة:

— «أنا أسيطر على عقلي».

— «كاذبة. من كان ليعلمك؟ ألتان؟ كان بالكاد عاقلاً هو نفسه. تظنين أنني لا أعرف كيف يكون ذلك؟ أول مرة استدعينا فيها الآلهة، أردت الموت. كلنا أردنا. ظننا أننا نجن. أردنا رمي أجسادنا من جبل تيانشان لإنهاء الأمر».

لم تستطع رين منع نفسها من السؤال:

— «إذن ماذا فعلتم؟».

لمست داجي شفاه رين بإصبع جليدي.

— «الولاء أولاً. ثم الإجابات».

طقطقت أصابعها.

فجأة استطاعت رين التحرك مرة أخرى؛ استطاعت التنفس بسهولة مرة أخرى. لفت ذراعين مرتجفتين حول جذعها.

قالت داجي:

— «ليس لديكِ أي أحد آخر. أنتِ آخر سبيرية. ألتان رحل. فايسرا ليس لديه أدنى فكرة عما تَعانينه. أنا فقط أعرف كيف أساعدك».

ترددت رين، تفكر.

عرفت أنها لا يمكنها الوثوق بداجي أبداً.

ومع ذلك.

هل كان من الأفضل الخدمة تحت يد طاغية، لدمج الإمبراطورية في الدكتاتورية الحقيقية التي طمحت دائماً أن تكونها؟ أم يجب عليها الإطاحة بالإمبراطورية والمخاطرة بفرصها في الديمقراطية؟

لا... كان ذلك سؤالاً سياسياً، ولم يكن لدى رين اهتمام بإجابته. كانت مهتمة فقط ببقائها. وثق ألتان بالإمبراطورة. ومات ألتان. لن ترتكب نفس الخطأ.

ركلت بقدمها اليسرى. اصطدمت المجرفة بقوة في يدها؛ قدم العشب مقاومة أقل مما ظنت، وقفزت للأمام، تدور المجرفة في حلقة أمامية.

لكن مهاجمة داجي كان كمهاجمة الهواء. راوغت الإمبراطورة بلا عناء، تنزلق بسرعة عبر الفناء لدرجة أن رين لم تستطع بالكاد تتبع حركاتها.

— «تظنين أن هذا تصرف حكيم؟». لم تبدُ داجي لاهثة ولو قليلاً. «أنتِ فتاة صغيرة مسلحة بعصا».

أنت فتاة صغيرة مسلحة بنار، قال العنقاء.

أخيراً.

أمسكت رين المجرفة بثبات لتتمكن من التركيز على سحب اللهب من داخلها، تجمعت الحرارة الحارقة في كفيها تماماً حين ومض شيء فضي أمام وجهها وارتد عن الجدار الطوبي.

إبر. رمتها داجي بحفنات في المرة الواحدة، تسحبها من أكمامها بكميات بدت لا نهائية. تبددت النار. لوحت رين بالمجرفة في دائرة يائسة أمامها، تضرب الإبر خارج الهواء بسرعة قدومها.

— «أنتِ بطيئة. أنتِ خرقاء». الآن كانت داجي في الهجوم، تجبر رين على التقهقر للخلف في تراجع مستمر. «تقاتلين وكأنكِ لم تري معركة قط».

كافحت رين لإبقاء يديها على المجرفة الثقيلة. لم تستطع التركيز بما يكفي لاستدعاء النار؛ كانت مركزة جداً على صد الإبر. غيم الذعر على حواسها. بهذا المعدل ستنهك نفسها في الدفاع.

همست داجي:

— «هل يزعجكِ الأمر يوماً؟ أنكِ مجرد تقليد باهت لألتان؟».

اصطدم ظهر رين بالجدار الطوبي. لم يعد لديها مكان لتركض إليه.

— «انظري إليّ». تردد صدى صوت داجي عبر الهواء، وتردد مراراً وتكراراً في عقل رين.

أغمضت رين عينيها بشدة. كان عليها استدعاء النار الآن، لن تحصل على هذه الفرصة مرة أخرى... لكن عقلها كان يغادرها. لم يكن العالم يظلم تماماً، بل يتحول. بدا كل شيء فجأة ساطعاً جداً، كل شيء كان بلون خطأ وشكل خطأ ولم تستطع تمييز العشب من السماء، أو يديها من قدميها...

بدا صوت داجي يأتي من كل مكان.

— «انظري في عيني».

لم تتذكر رين فتح عينيها. لم تتذكر امتلاك الفرصة حتى للمقاومة. كل ما عرفته هو أنه في لحظة كانت عيناها مغلقتين وفي التالية كانت تحدق في مدارين أصفرين. في البداية كانا ذهبيين بالكامل، ثم ظهرت نقاط سوداء صغيرة كبرت وكبرت حتى شملت مجال رؤية رين.

تحول العالم لظلام تام. كانت باردة جداً. سمعت عواءً وصرخات من بعيد، ضوضاء حلقية بدت تقريباً ككلمات لكن لم تستطع فهم أي منها.

كان هذا هو المستوى الروحي. هنا واجهت إلهة داجي.

لكنها لم تكن وحدها.

ساعدني، فكرت رين. *ساعدني، أرجوك.*

وأجاب الإله. غمرت موجة من الحرارة الساطعة والدافئة المستوى. أحاطت بها ألسنة اللهب كأجنحة واقية.

قال العنقاء:

— «نوا، أيتها العاهرة العجوز».

تردد صدى صوت امرأة، أعمق بكثير من صوت داجي، عبر المستوى.

— «وأنت، سليط اللسان كعادتك».

ما كان هذا المخلوق؟ جاهدت رين لرؤية شكل الإلهة، لكن نيران العنقاء أضاءت زاوية صغيرة فقط من الفضاء النفسي الروحي.

قالت نوا:

— «لم يكن بإمكانك تحديي قط. كنتُ هناك حين مزق الكون نفسه من الظلام. رتقتُ السماوات حين انشقت. منحتُ الحياة للإنسان».

تحرك شيء في الظلام.

صرخ العنقاء حين قفز رأس ثعبان وغرز أنيابه في كتفه. شب العنقاء برأسه، تدور النيران خارجة نحو لا شيء. شعرت رين بألم الإله بحدة كما لو أن الثعبان عضها هي، كأن نصلين ملتهبين حشرا بين لوحي كتفيها.

— «بم تحلمين؟». صوت داجي الآن، يطغى على عقل رين بكل كلمة. «أهذا هو؟».

تحول العالم مرة أخرى.

ألوان ساطعة. كانت رين تركض عبر جزيرة في فستان لم ترتده من قبل، بقلادة هلال رأتها فقط في أحلامها، نحو قرية لم تكن موجودة الآن إلا كمكان للرماد والعظم. ركضت عبر رمال سبير كما كانت قبل خمسين عاماً؛ مليئة بالحياة، مليئة بأناس ببشرة داكنة مثلها، وقفوا ولوحوا وابتسموا حين رأوها.

قالت داجي:

— «يمكنكِ الحصول على ذلك. يمكنكِ الحصول على كل ما أردتِه».

صدقت رينَ، أيضاً، أن داجي ستكون بهذا اللطف، ستدعها تبقى في ذلك الوهم حتى تموت.

— «أم هذا ما تريدينه؟».

اختفت سبير. أظلم العالم مرة أخرى. لم تستطع رين رؤية أي شيء سوى شكل ظلي. لكنها عرفت ذلك الخيال، تلك البنية الطويلة والنحيلة. لم يمكنها نسيانه أبداً. كانت ذكراه محفورة في عقلها من آخر مرة رأته فيها، يمشي أسفل ذلك الرصيف. لكن هذه المرة مشى نحوها. كانت تشاهد لحظة موت ألتان بالعكس. كان الزمن ينحل. يمكنها استعادة كل شيء، يمكنها استعادته هو.

لم يكن ممكناً أن يكون هذا مجرد حلم. كان صلباً جداً؛ استطاعت استشعار وزنه الفاني يملأ المساحة حولها؛ وعندما لمست وجهه كان صلباً ودافئاً ودامياً وحياً...

همس:

— «فقط استرخي. توقفي عن المقاومة».

— «لكنه يؤلم...»

— «يؤلم فقط إذا قاومتِ».

قبّلها وشعرت بذلك كلكمة. لم يكن هذا ما أرادته؛ هذا أشعرها بالخطأ، كان هذا كله خطأ... كانت قبضته ضيقة جداً حول ذراعيها، كان يضمها لصدره وكأنه يريد سحقها. كان طعمه كالدم.

— «هذا ليس هو».

صوت تشاغان. بعد جزء من الثانية شعرت رين به في عقلها؛ وجود بارد وقاسٍ في بياض يعمي الأبصار، شظية جليد تخترق المستوى الروحي. لم تشعر بالراحة قط لرؤيته كما الآن.

— «إنه وهم». صفى صوت تشاغان عقلها كدش من الماء البارد. «تمالكي نفسك».

تبددت الأوهام. تلاشى ألتان للعدم. ثم كان هناك الثلاثة منهم فقط، أرواح مربوطة بآلهة، معلقة في ظلام بدائي.

— «ما هذا؟». امتزج صوت نوا بصوت داجي. «نايمادي؟».

رن الضحك عبر المستوى.

— «يجب أن يعرف شعبك ألا يتحداني. ألم يعلمكم "سورقان سيرا" شيئاً؟».

قال تشاغان:

— «أنا لا أخافك».

في العالم المادي كان هزيلاً كالهيكل العظمي، ضعيفاً جداً لدرجة بدا كظل شخص فقط. لكن هنا، شع طاقة خاماً. حمل صوته رنة سلطة، جاذبية

سحبت رين نحوه. في تلك اللحظة، كان بإمكان تشاغان الوصول لمركز عقلها واستخراج كل فكرة راودتها يوماً ببساطة وكأنه يقلب في كتاب، وكانت لتدعه يفعل.

رفع تشاغان صوته:

— «ستعودين، يا نوا. عودي للظلام. هذا العالم لم يعد ملكك».

فح الظلام رداً عليه. استعدت رين لهجوم وشيك. لكن تشاغان نطق تعويذة بكلمات لم تفهمها، كلمات دفعت وجود نوا للخلف بعيداً جداً لدرجة أن رين لم تستطع بالكاد رؤية معالم الثعبان بعد الآن.

غمرت أضواء ساطعة رؤيتها. وهي تُنتزع لأسفل من عالم الأثير، ترنحت رين من الصلابة المحضة، ومادية العالم الصلب.

وقف تشاغان منثنياً بجانبها، يلهث.

عبر الفناء، مسحت داجي ظهر فمها بكمها. ابتسمت. كانت أسنانها ملطخة بالدم.

قالت:

— «أنت ظريف. وأنا هنا ظننت أن "الكيتربيد" كانوا مجرد ذكرى طيبة».

تمتم تشاغان لرين:

— «تراجعي».

— «ماذا تفعل...»

— «اركضي عندما أخبرك». رمى تشاغان كتلة دائرية داكنة على الأرض. تدحرجت للأمام عدة خطوات واستقرت عند قدمي الإمبراطورة. سمعت رين صوت أزيز خافت، متبوعاً برائحة كريهة، ولاذعة، ومألوفة بشكل رهيب.

نظرت داجي لأسفل، متحيرة.

قال تشاغان:

— «انطلقي».

وهربا تماماً حين انفجرت قنبلة البراز المميزة لرامسا داخل قصر الخريف.

***

تبعتهم سلسلة من الانفجارات وهم يركضون، دوي مستمر لم يكن من الممكن أن تسببه القنبلة الواحدة. انهار مبنى تلو الآخر حولهم، خالقاً جداراً من النار والحطام لم يستطع أحد ملاحقتهم من خلفه.

شرح تشاغان:

— «رامسا. هذا الفتى لا يختصر الطرق».

سحبها خلف جدار منخفض. جثموا، وأيديهم مضغوطة على آذانهم بينما ثار آخر المباني على بعد ياردات فقط.

مسحت رين الغبار عن عينيها.

— «ماتت داجي؟».

سعل تشاغان وضرب صدره بقبضته.

— «شيء كهذا لا يموت بهذه السهولة. ستكون خلفنا قريباً. يجب أن نذهب. هناك بئر على بعد مجمع سكني؛ يعرف اراتشا أننا قادمون».

— «ماذا عن فايسرا؟».

ترنح تشاغان لقدميه، لا يزال يسعل.

— «هل أنتِ مجنونة؟».

— «لا يزال فِي الداخل!».

— «وعلى الأرجح ميت. حراس داجي سيكونون قد اجتاحوا غرفة المجلس الآن».

— «لا نعرف ذلك».

— «إذن ماذا، ستذهبين للتحقق؟». أمسك تشاغان كتفيها وثبتها للجدار. «اسمعيني. انتهى الأمر. انقلابك انتهى. داجي ستأتي لمقاطعة التنين، وعندما تفعل، سنخسر. فايسرا لا يستطيع حمايتك. تحتاجين للهرب».

سألت:

— «وأذهب أين؟ وأفعل ماذا؟».

وبماذا وعدكِ فايسرا؟ لا بد أنكِ تعرفين أنكِ تُستخدمين.

عرفت رين ذلك. عرفت ذلك دائماً. لكن ربما احتاجت أن تُستخدم. ربما احتاجت شخصاً ليخبرها متى، ومن تقاتل. احتاجت شخصاً ليعطيها أوامر وهدفاً.

كان فايسرا أول شخص منذ وقت طويل، طويل جداً جعلها تشعر بالاستقرار الكافي لترى جدوى في البقاء حية. وإذا مات هنا، فهذا يقع على عاتقها.

صرخ تشاغان:

— «هل أنتِ مجنونة؟ تريدين العيش، إذن اختبئي بحق الجحيم».

— «إذن اختبئ أنت. أنا سأقاتل». انتزعت رين معصميها من قبضته ودفعته بعيداً. استخدمت قوة أكبر مما قصدت؛ نسيت أنه كان نحيلاً جداً. تعثر للخلف، تعرقل بصخرة، وسقط أرضاً.

قال:

— «أنتِ مجنونة».

تمتمت وهي تقفز فوق جسده الممدد وتنطلق راكضة نحو غرفة المجلس:

— «كلنا مجانين».

***

اجتاح الحرس الإمبراطوري غرفة المجلس، يضغطون بثبات ضد الجيش المكون من رجلين الذي كان سوني وباجي. تفرق أمراء الحرب من مقاعدهم. تكوم أمير حرب الأرنب ضد الجدار، وجثم أمير حرب الديك مرتجفاً تحت الطاولة، وتكور أمير حرب النمر الشاب في زاوية، رأسه مضغوط بين ركبتيه بينما اصطدمت النصال على بعد بوصات من رأسه.

ترددت رين عند الأبواب. لم تستطع استدعاء النار الآن. لم يكن لديها سيطرة كافية لاستهداف نيرانها. إذا أشعلت الغرفة، ستقتل كل من فيها.

— «هنا!». ركل باجي سيفاً نحوها. التقطته وقفزت للمناوشة.

لم يكن فايسرا ميتاً. قاتل في وسط الغرفة، يحارب كلاً من جون وجنرال لحم الذئب. لثانية بدا كأنه قد يصدهم. استخدم نصله بقوة ودقة شرسة كانتا مذهلتين للمشاهدة.

لكنه كان لا يزال رجلاً واحداً فقط.

صرخت رين:

— «احترس!».

حاول جنرال لحم الذئب مباغتة فايسرا. دار فايسرا وجرده من سلاحه بركلة وحشية للركبة. سقط تشانغ إن للأرض، يعوي. ترنح فايسرا للخلف من الركلة، يحاول استعادة توازنه، واستغل جون الفتحة ليدفع نصله عبر كتف فايسرا.

اندفع باجي في جانب جون وطرحه أرضاً. ركضت رين للأمام لتمسك فايسرا تماماً حين تهاوى للأرض؛ انسكب الدم على ذراعيها، ساخناً ورطباً وزلقاً، وذهلت من كميته.

— «هل أنت... أرجوك، هل أنت...»

تحسست صدره بشكل محموم، تحاول وقف الدم بكفها. بالكاد استطاعت رؤية الجرح، كان جذعه زلقاً جداً بالدم، لكن أخيراً ضغطت أصابعها ضد نقطة النزيف في كتفه الأيمن. ليس مكاناً حيوياً.

تجرأت على الأمل. إذا تصرفوا بسرعة قد يظل حياً. لكن أولاً كان عليهم الخروج.

صرخت:

— «سوني!».

ظهر فوراً بجانبها. دفعت فايسرا لذراعيه.

— «خذه».

حمل سوني فايسرا على كتفيه كما قد يحمل المرء عجلاً وشق طريقه بالمرفقين نحو المخرج. تبعه باجي عن كثب، يحمي ظهرهم.

شقت رين طريقها متجاوزة جسد جون المرتخي. لم تكن تعرف إن كان ميتاً أو حياً، لكن ذلك لم يهم الآن. انحنت تحت ذراع حارس وتبعت رجالها للخارج، عبر العتبة ونحو أقرب بئر.

انحنت فوق الجانب وصرخت باسم اراتشا في السطح المظلم.

لا شيء. لم يكن هناك وقت لانتظار رد اراتشا؛ إما أنه هناك أو ليس هناك، وحراس داجي كانوا على بعد أقدام. كل ما استطاعت فعله هو الغوص في الماء، وحبس أنفاسها، والصلاة.

***

أجاب اراتشا.

حاربت رين الرغبة في التخبط داخل قنوات الري حالكة السواد؛ ذلك سيجعل الأمر أصعب فقط لاراتشا ليدفعها عبر الماء، وركزت بدلاً من ذلك على أخذ أنفاس عميقة وموزونة في جيب الهواء الذي غلف رأسها. مع ذلك، لم تستطع درء الخوف القابض من أن الهواء سينفد. بالفعل استطاعت الشعور بدفء أنفاسها المستهلكة.

اخترقت السطح. شقت طريقها بمخالبها أعلى ضفة النهر وانهارت، صدرها يعلو ويهبط بينما امتصت الهواء النقي. بعد ثوانٍ انفجر سوني من الماء، مودعاً فايسرا على الشاطئ قبل أن يتسلق هو نفسه.

جاء نزهة يركض نحوهم، متبوعاً بإريدين وحرسه. حطت عيناه على والده.

— «ماذا حدث؟ هل هو...»

قالت رين:

— «سيظل حياً. إذا أسرعنا».

التفت نزهة لأقرب جنديين.

— «أوصلا أبي للسفينة».

رفعوا فايسرا بينهم وانطلقوا ركضاً نحو «سيغريم». سحب نزهة رين لتقف.

– «ماذا حدث لتو...»

بصقت فماً من ماء النهر.

– «لا وقت. اجعل طاقمك يرفع المرساة. علينا الخروج».

لف نزهة ذراعها حول كتفه وساعدها على الترنح نحو السفينة.

– «فشل الأمر؟».

تعثرت رين في جانبه، تحاول مجاراة وتيرته.

– «نجح الأمر. أردتُم حرباً. لقد بدأنا واحدة لتوّنا».

كانت «سيغريم» قد بدأت بالفعل في الابتعاد عن مرساها. قطع أفراد الطاقم في كلا الطرفين الحبال التي تبقي السفينة مربوطة للرصيف، مطلقين إياها لتنجرف مع التيار. قفز نزهة ورين لأحد قوارب التجديف المتدلية بجانب الهيكل. بوصة تلو بوصة بدأ القارب في الارتفاع.

في الأعلى، أنزل عمال السطح أشرعة «سيغريم» وأداروها نحو الريح. وفي الأسفل، دوى صوت طحن عالٍ بينما بدأت عجلة التجديف في الخض بشكل إيقاعي ضد الماء، تحملهم بسرعةٍ بعيداً عن العاصمة.

الفصل العاشر

عمل طاقم «سيغريم» تحت صمت كئيب. انتشر الخبر أن فايسرا أصيب بجروح بالغة. لكن لم تظهر أي أخبار من مكتب الطبيب ولم يجرؤ أحد على التطفل بالسؤال.

أصدر النقيب إريدين أمراً واحداً فقط: إبعاد «سيغريم» عن لوسان بأسرع ما يمكن. أي جندي لا يعمل في نوبة تجديف أرسل للسطح العلوي لتشغيل المجانيق والأقواس، مستعدين لإطلاق النار عند أول تحذير.

جابت رين السطح الخلفي جيئة وذهاباً. لم تكن تملك قوساً ولا منظاراً، وفي حالتها كانت عائقاً أكثر منها عوناً للدفاع؛ كانت متوترة جداً لحمل سلاح بثبات، وقلقة جداً لفهم الأوامر السريعة. لكنها رفضت الانتظار بالأسفل. كان عليها معرفة ما يحدث.

استمرت في النظر لجسدها لتتأكد أنه لا يزال هناك، ولا يزال يعمل. بدا مستحيلاً لها أن تكون قد نجت من لقاء مع «الأفعى» دون أذى. فحصها طبيب السفينة بسرعة بحثاً عن كسور لكنه لم يجد شيئاً. عدا بعض الكدمات، لم تشعر بألم خطير. ومع ذلك كانت مقتنعة أن هناك شيئاً خاطئاً بعمق معها؛ شيئاً عميقاً، داخلياً، سماً التف حول عظامها.

تشاغان، أيضاً، بدا مهتزاً بشدة. كان صامتاً، وغير مستجيب حتى خرجوا من الميناء، ثم انهار على كتف قارا وغاص للأرض، ركبتاه مضمومتان لصدره في تكور بائس بينما انحنت أخته فوقه، تهمس في أذنه بكلمات لم يستطع أحد غيرهما فهمها.

منحهم الطاقم، المنزعج بوضوح، مساحة واسعة. حاولت رين تجاهلهم حتى سمعت أصوات لهاث من السطح. في البداية ظنت أنه ينتحب، لكن لا... كان يحاول التنفس وحسب، شهقات متقطعة تهز جسده الهزيل.

ركعت بجانب التوأم. لم تكن متأكدة ما إذا كان يجب عليها محاولة لمس تشاغان.

– «هل أنتَ بخير؟».

– «أنا بخير».

– «هل أنت متأكد؟».

رفع تشاغان رأسه وأخذ نفساً عميقاً ومرتجفاً. كانت عيناه محاطتين بهالات حمراء.

– «كانت... لم يسبق لي أن... لم أتخيل قط أن أحداً يمكن أن يكون بذلك الـ...»

– «بماذا؟».

هز رأسه.

أجابت قارا نيابة عنه:

– «الاستقرار». همست بالكلمة وكأنها فكرة مرعبة. «لا ينبغي لها أن تكون مستقرة هكذا».

سألت رين:

– «ما هي؟ أي إلهة تلك؟».

قال تشاغان:

– «إنها قوة قديمة. شيء كان حياً لفترة أطول من العالم نفسه. ظننت أنها ستكون ضعيفة، الآن وقد رحل الاثنان الآخران، لكنها... إذا كانت تلك هي الأفعى في أضعف حالاتها...»

ضرب بكفه على السطح.

– «كنا حمقى لنحاول».

قالت رين:

— «إنها ليست منيعة. لقد هزمتُها».

— «لا، بل فاجأتِها. وذلك للحظة فقط. لا أظن أن أشياء مثل تلك يمكن هزيمتها. كنا محظوظين».

قالت قارا:

— «أي وقت أطول وكانت ستحصل على عقولكم. كنتم لتبقوا محبوسين للأبد في تلك الأوهام».

كانت قد أصبحت شاحبة كأخيها تماماً. تساءلت رين كم رأت قارا. لم تكن قارا هناك حتى، لكن رين عرفت أن التوأم مترابطان بسحر غريب من سحر "أهل التلال". حين ينزف تشاغان، تتألم قارا. إذا اهتز تشاغان بسبب داجي، فلا بد أن قارا شعرت بذلك على متن «سيغريم»، ارتعاش نفسي هدد بتسميم روحها.

قالت رين:

— «إذن سنجد طريقة أخرى. لا تزال جسداً فانياً، لا تزال...»

قال تشاغان:

— «ستعصر روحك في قبضتها وتحولك لأحمق يثرثر. لا أحاول تثبيط عزيمتك. أعرف أنك ستقاتلينها للنهاية. لكن آمل أن تدركي أنك ستجنّين وأنتِ تحاولين».

فليكن إذن. لفت رين ذراعيها حول ركبتيها.

— «هل رأيت؟ في الداخل، حين جعلتني أرى تلك الرؤى؟».

منحها تشاغان نظرة شفقة:

— «لم أستطع منع ذلك».

أشاحت قارا بوجهها. لا بد أنها رأت أيضاً.

لسبب ما، في تلك اللحظة شعرت رين وكأنه أهم شيء في العالم أن تبرر هذا للتوأم. شعرت بالذنب، بالقذارة، وكأنها ضُبطت في كذبة مريعة.

— «لم يكن الأمر كذلك. معه. مع ألتان، أعني...»

قال تشاغان:

— «أعرف».

مسحت عينيها:

— «لم يكن الأمر هكذا أبداً. أعني... أظن أنني أردت... لكنه لم...»

قالت قارا:

— «نعرف. صدقينا، نحن نعرف».

ذهلت رين حين مد تشاغان يده ووضع ذراعه حول كتفها. كانت لتبكي، لكنها شعرت بأن جوفها مكشوط من الداخل، وكأنها فُرّغت بسكين نحت.

استقرت ذراع تشاغان بزاوية غريبة فوق ظهرها؛ حفر مفصل مرفقه العظمي بشكل مؤلم في عظمها. بعد قليل حركت كتفها الأيمن، وسحب ذراعه.

***

مرت ساعات قبل أن يظهر نزهة مرة أخرى على السطح.

بحثت رين في وجهه عن أدلة. بدا شاحباً لكن ليس مفجوعاً، منهكاً لكن ليس مذعوراً، مما عنى...

أسرعت لتقف:

— «والدك؟».

— «أعتقد أنه سينجو». فرك صدغيه. «طردني الدكتور سين أخيراً. قال أن أعطي أبي بعض المساحة».

— «هل هو مستيقظ؟».

— «نائم حالياً. كان يهذي قليلاً، لكن الدكتور سين قال إن هذه علامة جيدة. فهذا يعني على الأقل أنه قادراَ على التحدث».

أطلقت زفيراً طويلاً:

— «أنا سعيدة».

جلس وفرك يديه على ساقيه بتنهيدة ارتياح صغيرة. لا بد أنه وقف بجانب سرير والده لساعات.

سألها:

— «تراقبين شيئاً؟».

— «أراقب لا شيء». حدقت في طيف لوسان المتراجع. فقط أبراج الباغودا الأعلى للقصر كانت لا تزال مرئية. «هذا ما يزعجني. لا أحد يلاحقنا».

لم تستطع فهم لماذا كانت الممرات النهرية هادئة جداً، وصامتة جداً. لماذا لم تكن السهام تطير عبر الهواء؟ لماذا لم تكن سفن إمبراطورية تطاردهم؟ ربما كمنت الميليشيا في انتظارهم عند بوابات حافة المقاطعة. ربما كانوا يبحرون مباشرة نحو فخ.

لكن البوابات كانت مفتوحة، ولم تأتِ أي سفن تطاردهم في الظلام.

سأل نزهة:

— «من سيرسلون؟ ليس لديهم بحرية في قصر الخريف».

— «ولا أحد في أي من المقاطعات لديه واحدة؟».

— «آه». ابتسم نزهة. لماذا كان يبتسم؟ «أنتِ لا تفهمين. نحن لا نعود بنفس الطريق. نحن متجهون للبحر هذه المرة. سفن تسولين تحرس ساحل نارين».

— «وتسولين لن يتدخل؟».

— «لا. أبي جعله يختار. لن يختار الإمبراطورية».

لم تستطع فهم منطقه.

— «لأن...؟».

— «لأنه الآن ستكون هناك حرب، سواء أحب تسولين ذلك أم لا. وهو لن يضع ماله ضد فايسرا. لذا سيدعنا نمر بلا أذى، وأراهن أنه سيكون على طاولة مجلسنا في أقل من شهر».

كانت رين مندهشة بصراحة من الثقة التي بدا بها بيت يين يتلاعب بالناس.

— «هذا بافتراض أنه سيخرج من لوسان».

— «إذا لم يكن قد وضع خطط طوارئ لهذا فسأكون مصدوماً».

– «هل سألته إن كان قد فعل؟».

قهقه نزهة:

– «إنه تسولين. السؤال كان ليكون إهانة».

– «أو، كما تعلم، احتياطاً معقولاً».

– «أوه، نحن على وشك خوض حرب أهلية. سيكون لديكِ الكثير من الفرص لاتخاذ احتياطات». بدت نبرته مستهترة بشكل سخيف.

سألته:

– «هل تظن حقاً أننا نستطيع كسب هذه الحرب؟».

– «سنكون بخير».

– «وكيف تعرف؟».

ابتسم لها جانبياً:

– «لأن لدينا أفضل بحرية في الإمبراطورية. ولأن لدينا ألمع استراتيجي رأته سينغارد على الإطلاق. ولأن لدينا أنتِ».

– «اغرب عن وجهي».

– «أنا جاد. أنتِ تعرفين أنكِ أصل عسكري يساوي وزنه من الفضة، وإذا كان كيتاي يقود الاستراتيجية، فهذا يعطينا فرصاً ممتازة».

– «هل كيتاي...»

– «إنه بخير. هو بالأسفل. كان يدردش مع الأدميرالات؛ منحه أبي وصولاً كاملاً لملفات استخباراتنا، وهو يلم بالأمور».

– «أخمن أنه عاد لصوابه بسرعة كبيرة إذن».

– «ظننا أنه قد يفعل». أكدت نبرة نزهة ما شكّت فيه بالفعل.

– «كنت تعرف أن والده ميت».

لم يكلف نفسه عناء الإنكار.

– «أخبرني أبي قبل أسابيع. قال ألا أخبر كيتاي. ليس حتى نصل إلى لوسان، على أي حال».

– «لماذا؟».

— «لأنه سيعني أكثر إن لم يأتِ منا. لأنه سيشعر بتلاعب أقل بالنسبة له».
— «إذن تركته يظن أن والده حي لأسابيع؟».
— «لسنا نحن من قتله، أليس كذلك؟». لم يبدُ نزهة آسفاً ولو قليلاً. «اسمعي يا رين. أبي جيد جداً في تنمية المواهب. يعرف الناس. يعرف كيف يحرك خيوطهم. هذا لا يعني أنه لا يهتم بهم».
قالت:
— «لكنني لا أريد أن يُكذب عليّ».
ضغط على يدها:
— «لن أكذب عليكِ أبداً».
أرادت رين بشدة تصديق ذلك.
— «عذراً». قال النقيب إريدين.
التفتا.
للمرة الأولى، لم يبدُ إريدين مهندماً بشكل لا تشوبه شائبة، لم يكن يقف بانتباه مثالي. كان النقيب شاحباً ومتضائلاً، كتفاه متهدلتين، وخطوط قلق محفورة عبر وجهه. أحنى رأسه نحوهما.
— «أمير حرب التنين يود رؤيتكما».
قال نزهة:
— «سأذهب فوراً».
قال إريدين:
— «ليس أنت». أومأ لرين. «هي فقط».
***
فوجئت رين بإيجاد فايسرا جالساً منتصباً خلف الطاولة، مرتدياً زياً عسكرياً جديداً خالياً من الدم. حين تنفس، سعل، لكن قليلاً فقط؛ بخلاف ذلك بدا وكأنه لم يصب قط.
قال:
— «أخبروني أنكِ سحبتِني خارج القصر».

جلست قبالته.

— «رجالي ساعدوا».

— «ولماذا فعلتِ ذلك؟».

قالت بصراحة:

— «لا أعرف». كانت لا تزال تحاول معرفة ذلك بنفسها. كان بإمكانها تركه في غرفة العرش. وحدهم، كان للسيك فرصة أفضل في النجاة؛ لم يحتاجوا للتحالف مع مقاطعة أعلنت حرباً مفتوحة على الإمبراطورية.

لكن ماذا بعد؟ إلى أين يذهبون من هنا؟

سأل فايسرا:

— «لماذا لا تزالين معنا؟ لقد فشلنا. وظننت أنكِ لست مهتمة بأن تكوني جندية مشاة لنا».

— «لماذا يهم؟ هل تريدني أن أرحل؟».

— «أفضل معرفة لماذا يخدم الناس في جيشي. البعض يفعل ذلك من أجل الفضة. والبعض من أجل التمتع بإثارة المعركة المحضة. لا أظن أنكِ هنا لأي من هذين السببين».

كان محقاً. لكنها لم تعرف كيف تجيب. كيف يمكنها شرح لماذا بقيت معه وهي لم تستطع صياغة ذلك لنفسها؟

كل ما عرفته هو أنه شعور جيداً أن تكون جزءاً من جيش فايسرا، أن تتصرف بناءً على أوامر فايسرا، أن تكون سلاح فايسرا وأداته.

إذا لم تكن هي من يتخذ القرارات، فلا شيء يمكن أن يكون خطأها.

لا يمكنها تعريض السيك للخطر إذا لم تخبرهم بما يفعلون. ولا يمكن لومها على أي شخص تقتله إذا كانت تتصرف بناءً على أوامر.

ولم تكن تشتهي فقط الإعفاء البسيط من المسؤولية. اشتهت فايسرا. أرادت استحسانه. احتاجته. وفر لها هيكلاً، وسيطرة، وتوجيهاً لم تحظَ به منذ مات ألتان، وأشعرها ذلك بالجودة بشكل رهيب.

منذ أطلقت العنقاء على جزيرة القوس الطويل كانت ضائعة، تدور في فراغ من الذنب والغضب، ولأول مرة منذ وقت طويل، لم تشعر بأنها تنجرف بعد الآن.

كان لديها سبب للعيش بعد الانتقام.

قالت أخيراً:

— «لا أعرف ما يفترض بي فعله. أو من يفترض بي أن أكون. أو من أين أتيت، أو... أو...» توقفت، تحاول فهم المشاعر التي تدور في عقلها. «كل ما أعرفه هو أنني وحيدة، أنا الوحيدة المتبقية، وذلك بسببها».

انحنى فايسرا للأمام:

— «هل تريدين خوض هذه الحرب؟».

— «لا. أعني... أنا لا... أنا أكره الحرب». أخذت نفساً عميقاً. «على الأقل أظن أنني يجب أن أفعل. يفترض بالجميع كره الحرب، وإلا فهناك خطب ما بك. صحيح؟ لكنني جندية. هذا كل ما أعرف كيف أكونه. أليس هذا ما يفترض بي فعله إذن؟ أعني، أحياناً أظن أنني ربما أستطيع التوقف، ربما أستطيع الهرب وحسب. لكن ما رأيته... ما فعلته... لا يمكنني التخلي عن ذلك».

نظرت إليه بتوسل، يائسة ليختلف معها، لكن فايسرا هز رأسه فقط.

— «لا. لا يمكنكِ».

سألت بصوت صغير وخائف:

— «هل هذا صحيح؟ ما قاله أمراء الحرب؟».

سأل بلطف:

— «ماذا قالوا؟».

— «قالوا إنني مثل كلب. قالوا إنني سأكون أفضل حالاً ميتة. هل يريد الجميع موتي؟».

مد فايسرا يده وأخذ يديها في يديه. كانت قبضته ناعمة. حنونة، تقريباً.

– «لن يقولَ لكِ أي أحد آخر هذا. لذا استمعي جيداً يا رونين. لقد بوركتِ بقوة هائلة. لا تلومي نفسكِ على استخدامها. لن أسمح بذلك».

لم تستطع حبس الدموع أكثر. انكسر صوتها:

– «أردت فقط أن...»

– «توقفي عن البكاء. أنتِ أفضل من ذلك».

كبتت تنهيدة.

تحول صوته للفولاذ:

– «لا يهم ما تريدين. ألا تفهمين ذلك؟ أنتِ أقوى مخلوق في هذا العالم الآن. لديكِ قدرة يمكنها بدء حروب أو إنهاؤها. يمكنك إطلاق هذه الإمبراطورية في عصر جديد ومجيد وموحد، ويمكنكِ أيضاً تدميرنا. ما لا يحق لكِ فعله هو البقاء محايدة. عندما تملكين القوة التي تملكينها، فحياتك ليست ملكَكِ».

اشتدت أصابعه حول أصابعها.

– «سيسعى الناس لاستخدامك أو تدميرك. إذا أردتِ العيش، يجب أن تختاري جانباً. لذا لا تتهربي من الحرب يا ابنتي. لا تجفلي من المعاناة. عندما تسمعين صراخاً، اركضي نحوه».

الجزء الثاني

الفصل الحادي عشر

دفع نزهة باب غرفتها ودخل قائلاً:

— "هل استيقظتِ؟"

تثاءبت رين وهي تسأل:

— "ما الخطب؟"

كان الظلام لا يزال مخيمًا خارج الكوة المستديرة، لكن نزهة كان يرتدي زيه العسكري الكامل، وخلفه وقف كيتاي وعيناه نصف مغمضتين، يبدو عليه الانزعاج الشديد.

قال نزهة:

— "تعاليا إلى الطابق العلوي."

تذمر كيتاي بصوت مبحوح:

— "يريد أن يرينا المنظر.. هيّا تحركي حتى أتمكن من العودة للنوم."

تبعتهم رين عبر الممر، تقفز على قدم واحدة وهي تحاول انتعال حذائها.

كانت سفينة "سيغريم" مغلفة بضباب أزرق كثيف لدرجة بدت وكأنهم يبحرون وسط السحب. لم تستطع رين تمييز المعالم المحيطة بهم إلا حين اقتربوا بما يكفي لتبرز الأشكال من خلال الغشاوة. عن يسارها، انتصبت منحدرات عظيمة تحرس المدخل الضيق المؤدي إلى أرلونغ: شق مظلم داخل جدار صخري فاغر فاه. ومع شروق الشمس، لمع وجه الصخر بلون قرمزي ساطع.

كانت تلك هي "المنحدرات الحمراء" الشهيرة في إقليم التنين. ويُقال إن جدران الجرف تزداد احمرارًا وتوهجًا مع كل غزو فاشل ضد هذا الحصن المنيع، إذ صُبغت بدماء البحارة الذين تحطمت سفنهم على تلك الصخور.

استطاعت رين بالكاد تمييز أحرف ضخمة محفورة في الجدران؛ كلمات لا تظهر للعين إلا إذا أمال المرء رأسه بالزاوية الصحيحة وسقط ضوء الشمس الشاحب عليها بدقة.

سألت:

— "ماذا تقول تلك الكلمات؟"

سألها كيتاي:

— "ألا يمكنكِ قراءتها؟ إنها مجرد لغة نيكارا القديمة."

حاولت ألا تقلب عينيها ضجرًا، وقالت:

— "ترجمها لي إذن."

تدخل نزهة قائلاً:

— "في الواقع، لا يمكنكِ ذلك. كل تلك الرموز تحمل طبقات فوق طبقات من المعاني، وهي لا تخضع لقواعد نحو نيكارا الحديثة، لذا فإن أي ترجمة ستكون ناقصة وغير دقيقة."

ابتسمت رين رغمًا عنها؛ كانت تلك كلمات مقتبسة حرفيًا من نصوص اللغويات التي قرأاها معًا في سينغارد، حين كان أكبر همومهم هو اختبار القواعد في الأسبوع التالي.

سألت:

— "إذن، أي ترجمة تعتقدان أنها الصحيحة؟"

قال نزهة:

— "لا شيء يدوم."

وفي اللحظة نفسها قال كيتاي:

— "العالم محض عدم."

قطب كيتاي أنفه ناظرًا إلى نزهة باستهجان:

— "لا شيء يدوم؟ أي نوع من الترجمة هذا؟"

أجاب نزهة:

– "الترجمة الدقيقة تاريخيًا. آخر وزير مخلص للإمبراطور الأحمر هو من نحت تلك الكلمات على المنحدرات. عندما مات الإمبراطور الأحمر، تشرذمت إمبراطوريته إلى أقاليم، وانقض أبناؤه وجنرالاته على قطع الأرض الثمينة كالذئاب. لكن وزير إقليم التنين لم يعلن ولاءه لأي من الدول الحديثة."

علقت رين:

– "أفترض أن ذلك لم ينتهِ بشكل جيد."

قال نزهة:

– "الأمر كما يقول أبي: لا وجود للحياد في الحرب الأهلية. جاء الأمراء الثمانية لأخذ إقليم التنين ومزقوا أرلونغ إربًا. ومن هنا جاءت حكمة الوزير المنقوشة. يظن معظم الناس أنها صرخة عدمية، تحذير بأن لا شيء يدوم؛ لا الصداقات، ولا الولاءات، وبالتأكيد ليس الإمبراطورية. وهو ما يجعلها متسقة مع ترجمتك يا كيتاي، إذا فكرت في الأمر. هذا العالم زائل.. والخلود وهم."

بينما كانوا يتحدثون، عبرت "سيغريم" قناة خلال المنحدرات، ضيقة لدرجة أن رين ذُهلت من عدم تهشم هيكل السفينة الحربية على الصخور. لا بد أن السفينة صُممت وفقًا للمقاييس الدقيقة للقناة، وحتى مع ذلك، كان انزلاقهم عبر الجدران دون خدش حجر واحد إنجازًا ملاحيًا مدهشًا.

ومع اختراقهم للممر، بدت المنحدرات وكأنها تنشق لتكشف عن أرلونغ بينها كلؤلؤة مخبأة داخل محارة. كانت المدينة في الداخل خضراء بشكل مذهل، تعج بالشلالات والجداول الجارية، وتضم خضرة أكثر مما رأته رين في تيكاني طوال حياتها. على الجانب الآخر من القناة، أمكنها تتبع الخطوط الباهتة لسلسلتين جبليتين تطلان من فوق الضباب: جبال "تشينلينغ" إلى الشرق، وسلسلة "دابا" إلى الغرب.

أشار نزهة نحو مجموعة شديدة الانحدار من السلالم المنحوتة في الجدران الحمراء، والتي أصابت رين بالدوار لمجرد النظر إليها، وقال:

– "كنت أتسلق تلك المنحدرات طوال الوقت. يمكنك رؤية كل شيء من هناك؛ المحيط، والجبال، والإقليم بأسره."

قال كيتاي:

– "إذن يمكنك رؤية المهاجمين قادمين من كل اتجاه على بعد أميال. هذا مفيد جداً."

فهمت رين الآن سبب ثقة فايسرا الكبيرة في قاعدته العسكرية. قد تكون أرلونغ أكثر المدن مناعة في الإمبراطورية؛ فالطريقة الوحيدة لغزوها هي الإبحار عبر قناة ضيقة أو تسلق سلسلة جبال ضخمة. كانت أرلونغ سهلة الدفاع وصعبة الاختراق للغاية، ما يجعلها العاصمة المثالية في زمن الحرب.

قال نزهة:

– "كنا نقضي أيامًا على الشواطئ أيضًا. لا يمكنك رؤيتها من هنا، لكن هناك خلجان مخفية تحت جدران الجرف إذا كنت تعرف مكانها. ضفاف الأنهار في أرلونغ واسعة لدرجة أنك لو لم تكن تعرف الحقيقة، لظننت أنك على المحيط."

ارتجفت رين عند هذه الفكرة. كانت تيكاني مدينة حبيسة لا تطل على بحر، ولم تستطع تخيل النشأة بالقرب من كل هذا الماء. كانت لتشعر بضعف شديد وانكشاف؛ فأي شيء يمكن أن يرسو على تلك الشواطئ. القراصنة. الهسبيريون. الاتحاد.

جزيرة سبير كانت مكشوفة هكذا.

رمقها نزهة بنظرة جانبية وسأل:

– "أنتِ لا تحبين المحيط؟"

فكرت في ألتان وهو يسقط إلى الخلف في المياه السوداء. فكرت في سباحة طويلة ويائسة، وكيف كادت تفقد عقلها.

قالت:

– "لا أحب رائحته."

قال:

– "لكن رائحته مجرد ملح."

– "لا.. إنها تفوح برائحة الدم."

***

ما إن ألقت "سيغريم" مرساتها، حتى رافقت مجموعة من الجنود فايسرا خارج السفينة، ووضعوه داخل هودج ذي ستائر ليُنقل إلى القصر. لم ترَ رين فايسرا منذ أكثر من أسبوع، لكنها سمعت شائعات بأن حالته ساءت. وافترضت أن آخر ما يريده هو انتشار الخبر.

سألت وهي تراقب الهودج يشق طريقه أسفل الرصيف:

– "هل يجب أن نقلق؟"

جاءت كلمات نزهة طبيعية، وهو ما اعتبرته رين علامة جيدة:

– "إنه يحتاج فقط لبعض الراحة على اليابسة. سيتعافى."

سأل كيتاي:

– "في الوقت المناسب لقيادة حملة نحو الشمال، برأيك؟"

– "بالتأكيد. وإن لم يكن أبي، فأخي سيفعل. دعونا نأخذكم إلى الثكنات.. تعالوا، سأعرفكم على الرتب."

كانت أرلونغ مدينة برمائية تتألف من سلسلة جزر مترابطة متناثرة داخل مساحة واسعة من نهر "موروي" الغربي. قاد نزهة رين وكيتاي وفرقة "السيك" إلى أحد قوارب "السامبان" الرفيعة المنتشرة في كل مكان، والتي تبحر داخل أرلونغ. وبينما كان نزهة يوجه قاربهم نحو المدينة الداخلية، ابتلعت رين موجة من الغثيان. ذكرتها المدينة بـ أنخيلون؛ كانت أقل تداعيًا بكثير لكنها مربكة بالقدر نفسه في اعتمادها على الممرات المائية. كرهت ذلك. ما العيب في اليابسة الجافة؟

سألت:

– "لا جسور؟ لا طرق؟"

أجاب نزهة وهو يقف في المؤخرة، يوجه القارب بضربات لطيفة من الدفة:

– "لا حاجة لها. جزر كاملة ترتبط ببعضها عبر القنوات. إنها منظمة في شبكة دائرية، مثل صدفة المحارة."

قالت رين:

– "مدينتكم تبدو وكأنها في منتصف الطريق للغرق."

وجه القارب حول منعطف وقال:

– "هذا مقصود. يكاد يكون من المستحيل شن غزو بري على أرلونغ. كانت هذه العاصمة الأولى للإمبراطور الأحمر. خلال حروبه مع السبيريين، أحاط نفسه بالماء. لم يشعر بالأمان بدونه قط، واختار بناء مدينة في أرلونغ لهذا السبب تحديداً. أو هكذا تقول الأسطورة."

– "لماذا كان مهووسًا بالماء؟"

– "كيف تحمين نفسك من كائنات تتحكم في النار؟ كان مرعوبًا من تيرزا وجيشها."

قالت رين:

– "ظننت أنه كان مغرمًا بتيرزا."

قال نزهة:

– "أحبها وخاف منها.. الأمران لا يتعارضان."

سُرت رين حين توقفوا أخيرًا عند رصيف صلب. شعرت براحة أكبر على اليابسة، حيث الألواح الخشبية لا تميد تحت قدميها، وحيث لا خطر من السقوط في الماء.

لكن نزهة بدا أكثر سعادة فوق الماء مما رأته عليه من قبل. كان يتحكم في الدفة وكأنها امتداد طبيعي لجسده، وقفز بخفة من حافة القارب إلى الممشى وكأنه لا يختلف عن المشي في حقل عشبي.

قادهم إلى قلب المنطقة العسكرية في أرلونغ. وبينما كانوا يسيرون، رأت رين سلسلة من السفن البرجية؛ سفن يمكنها حمل قرى بأكملها، مثبت عليها

مجانيق ضخمة ومرصعة بصفوف وصفوف من المدافع الحديدية المشكلة على هيئة رؤوس تنانين، أفواهها ملتوية في تكشيرة شرسة، تنتظر لتبث النار والحديد.

قالت:

— "هذه السفن طويلة بشكل مذهل."

قال نزهة:

— "لأنها مصممة للاستيلاء على المدن المسورة. الحرب البحرية مسألة جمع مدن مثل رقائق المقامرة. تلك الهياكل تهدف لتجاوز الأسوار على طول الممرات المائية الرئيسية. استراتيجيًا، معظم الأقاليم مجرد مساحة فارغة. المدن الكبرى تتحكم في الرافعات الاقتصادية والسياسية، وطرق النقل والاتصالات. لذا، سيطري على المدينة وتكونين قد سيطرتِ على الإقليم."

قالت وقد شعرت بشيء من الانزعاج لأنه ظن أنها بحاجة لدرس تمهيدي في استراتيجيات الغزو:

— "أعرف ذلك. أنا قلقة فقط بشأن قدرتها على المناورة. ما مقدار المرونة التي تحصل عليها في المياه الضحلة؟"

شرح نزهة:

— "ليس كثيرًا، لكن ذلك لا يهم. معظم المعارك البحرية لا تزال تُحسم بالقتال اليدوي. السفن البرجية تسقط الأسوار، ونحن ندخل لنلتقط القطع."

تحدث رامسا من خلفهم بصوت عال:

— "لا أفهم لماذا لم نأخذ هذا الأسطولَ العملاقَ الجميل وننسف القصر الخريفي."

قال نزهة:

— "لأننا كنا نحاول القيام بانقلاب أبيض. أراد أبي تجنب الحرب إن استطاع. إرسال أسطول ضخم إلى لوسان كان ليعطي رسالة خاطئة."

قال رامسا:

— "إذن ما أسمعه هو أن الخطأ كله يقع على عاتق رين.. كلاسيكي."

سار نزهة بظهره ليواجههم وهو يتحدث، وبدا عليه زهو شديد وهو يشير إلى السفن حولهم:

– "قبل بضع سنوات أضفنا دعامات عرضية لزيادة السلامة الهيكلية في البدن. وأعدنا تصميم الدفات، أصبح لديها مرونة أكبر الآن، لذا يمكنها العمل في نطاق أوسع من أعماق المياه..."

قاطعه كيتاي متسائلاً:

– "ودفتك أنت؟ لا تزال تسبر تلك الأعماق؟"

تجاهله نزهة وتابع:

– "حسّنا مراسينا أيضًا."

سألت رين، غالبًا لأنها أدركت رغبته في التفاخر:

– "كيف ذلك؟"

– "الأسنان. رُتبت بشكل دائري بدلاً من اتجاه واحد. يعني أنها نادراً ما تنكسر."

وجدت رين هذا مضحكًا للغاية:

– "هل يحدث ذلك كثيرًا؟"

قال نزهة:

– "ستفاجئين. خلال حرب الخشخاش الثانية خسرنا مناوشة بحرية حاسمة لأن السفينة بدأت تنجرف إلى البحر بدون طاقمها أثناء دوامة. تعلمنا من ذلك الخطأ."

استمر في شرح الابتكارات الجديدة وهم يمشون، مشيرًا بفخر كأنه أب لمولود جديد:

– "بدأنا بناء الهياكل بأعرض عارضة في المؤخرة، ما يسهل التوجيه بسرعات بطيئة. السفن الشراعية تحتوي على أشرعة مقسمة إلى ألواح أفقية بشرائح الخيزران تجعلها أكثر انسيابية."

قالت رين:

— "تعرف الكثير عن السفن."

— "قضيت طفولتي بجوار حوض بناء السفن. سيكون محرجًا لو لم أكن أعرف."

توقفت رين عن المشي، تاركة الآخرين يتجاوزونها حتى بقيت هي ونزهة وحدهما. خفضت صوتها وسألت:

— "كن صريحًا معي. منذ متى وأنت تستعد لهذه الحرب؟"

لم يتردد لحظة. لم يرمش حتى.

— "طوال حياتي."

إذن قضى نزهة طفولته بأكملها يعد نفسه لخيانة الإمبراطورية. إذن كان يعلم، حين جاء إلى سينغارد، أنه سيقود يومًا ما أسطولاً ضد زملائه في الدراسة.

قالت:

— "أنت خائن منذ الولادة."

— "يعتمد ذلك على وجهة نظرك."

— "لكني كنت أقاتل من أجل الميليشيا حتى الآن. كان يمكن أن نكون أعداء."

ابتسم نزهة ابتسامة عريضة:

— "أعرف. ألستِ سعيدة جداً لأننا لسنا كذلك؟"

***

استوعب جيش التنين فرقة "السيك" في صفوفه بكفاءة مذهلة. استقبلتهم شابة تدعى الضابطة سولا في الثكنات. لم تكن تكبر رين بأكثر من بضع سنوات، وكانت ترتدي الشارة الخضراء التي تشير إلى تخرجها من سينغارد بدرجة في الاستراتيجية.

سأل كيتاي:

— "هل تدربتِ مع إيرجاه؟"

نظرت سولا إلى شارة كيتاي الباهتة وسألت:

— "أي فرقة؟"

— "الثانية. كنت معه في جولين نيس."

— "آه." ضغطت سولا فمها في خط رفيع. "كيف مات؟"

سُلخ حيًا وعُلق فوق سور مدينة، فكرت رين.

قال كيتاي:

— "بشرف."

قالت سولا:

— "سيكون فخورًا بك."

— "حسنًا، أنا واثق تمامًا أنه كان سيسمينا خونة."

قالت سولا بصوت حازم:

— "كان إيرجاه يهتم بالعدالة. كان سيقف معنا."

في غضون الساعة، كانت سولا قد خصصت لهم أسرة في الثكنات، وأخذتهم في جولة سيرًا على الأقدام في القاعدة المترامية الأطراف التي احتلت ثلاث جزر صغيرة والقنوات بينها، وجهزتهم بزي عسكري جديد. كان الزي مصنوعًا من مادة أكثر دفئًا ومتانة من أي بدلات ميليشيا رأتها رين من قبل. القاعدة القماشية جاءت مع مجموعة من الدروع الصفائحية المكونة من لوحات جلدية ومعدنية متداخلة، معقدة لدرجة أن سولا اضطرت لتشرح بالتفصيل كيفية ارتدائها.

لم تشر سولا إلى أي غرف تغيير ملابس، لذا خلعت رين ملابسها مع رجالها، وسحبت زيها الجديد، ومددت أطرافها. ذُهلت من المرونة. كانت الدروع الصفائحية أكثر تطورًا بكثير من الأزياء الهشة التي تصدرها الميليشيا، ومن المحتمل أن تكلفتها تبلغ ثلاثة أضعاف.

مررت سولا صفيحة صدر لرين وقالت:

— "لدينا حدادون أفضل مما لديهم في الشمال. دروعنا أخف وزنًا. وتصد الضربات أكثر."

رفع رامسا كومة من ملابسه القديمة وسأل:

– "ماذا نفعل بهذه؟"

قطبت سولا أنفها:

– "احرقوها."

كانت الثكنات ومستودع الأسلحة أنظف وأوسع وأفضل تجهيزًا من أي مرفق ميليشيا زارته رين قط. عبث كيتاي في صفوف السيوف والسكاكين اللامعة حتى وجد مجموعة تناسبه؛ بينما سلم الباقون أسلحتهم للحداد لتجديدها.

قالت سولا وهي تزيح الستار لتكشف عن المخزون الكامل لمتفجرات الفصيلة الأولى:

– "قيل لي إن لديكم خبير متفجرات في سربكم."

كانت أكوام مكدسة من الصواريخ والقذائف ورماح النار مرتبة بعناية في أكوام هرمية تنتظر في الظلام البارد ليتم تحميلها على السفن الحربية.

أصدر رامسا صوت أنين موحيًا للغاية. رفع صاروخًا على شكل رأس تنين من الكومة وقلبه بين يديه وسأل:

– "هل هذا ما أظنه؟"

أومأت سولا:

– "إنه صاروخ ذو مرحلتين. الوعاء الرئيسي يحتوي على المعزز. والباقي ينفجر في منتصف الهواء. يعطيه دفعة إضافية."

سأل رامسا بحدة:

– "كيف تمكنتم من صنع هذا؟ كنت أعمل على هذا لمدة عامين على الأقل."

– "ونحن نعمل عليه منذ خمسة."

أشار رامسا إلى كومة أخرى من المتفجرات:

– "وماذا تفعل تلك؟"

بدت سولا مستمتعة وهي تجيب:

– "تلك صواريخ مجنحة مثبتة الزعانف. الزعانف للطيران الموجه. نرى دقة أفضل مع هذه مقارنة بالصواريخ ذات المرحلتين."

كان شخص ذو حس دعابة سيء قد نحت الرأس ليبدو مثل سمكة ذات تعبير متهدل. مرر رامسا أصابعه على الزعانف وسأل:

– "أي نوع من المدى تحصلون عليه بهذه؟"

قالت سولا:

– "يعتمد ذلك. في يوم صافٍ، ستون ميلاً. في الأيام الممطرة، بقدر ما يمكنك دفعها."

وزن رامسا الصاروخ بين يديه، وبدا مسرورًا جدًا لدرجة أن رين شكت في أنه قد أُثير جسديًا.

– "أوه، سنستمتع كثيرًا بهذه."

***

طرق نزهة على إطار الباب سائلاً:

– "هل أنتِ جائعة؟"

نظرت رين للأعلى. كانت وحيدة في الثكنات. غادر كيتاي للعثور على أرشيف إقليم التنين، وكانت الأولوية الأولى لأعضاء السيك الآخرين هي العثور على قاعة الطعام.

قالت:

– "ليس كثيرًا."

– "جيد. هل تريدين رؤية شيء رائع؟"

– "هل هي سفينة أخرى؟"

– "نعم. لكن هذه ستعجبك حقًا. بالمناسبة، الزي جميل."

ضربته على ذراعه وقالت:

– "عينك للأمام أيها الجنرال."

– "أقول فقط إن الألوان تبدو جيدة عليك. تبدين كتنين حقيقي."

سمعت رين حوض بناء السفن قبل فترة طويلة من وصولهم إليه. فوق الضجيج المتنافر من الصرير والطرق، كان عليهم الصراخ ليسمعوا بعضهم البعض. كانت قد افترضت أن ما رأته في الميناء هو أسطول مكتمل، لكن يبدو أن عدة سفن أخرى كانت لا تزال قيد الإنشاء.

حطت عيناها فورًا على السفينة في الطرف البعيد. كانت لا تزال في مراحلها الأولية؛ مجرد هيكل عظمي حتى الآن. لكن إذا تخيلت البنية التي ستُبنى حولها، فقد كانت جبارة. بدا من المستحيل أن شيئًا كهذا يمكن أن يطفو، ناهيك عن تجاوز القناة عبر المنحدرات الحمراء.

سألت:

— "هل سنستقل تلك إلى العاصمة؟"

قال نزهة:

— "تلك ليست جاهزة. يتم تحديثها باستمرار بخطط من الغرب. إنها المشروع المدلل لـ جينزا؛ إنه مهووس بالكمال في أمور كهذه."

كررت:

— "مشروع مدلل.. إخوتك يبنون قوارب ضخمة كمشاريع مدللة."

هز نزهة رأسه:

— "كان من المفترض أن تنتهي في الوقت المناسب للحملة الشمالية، متى ما بدأت. الآن ستستغرق وقتًا أطول بكثير. لقد غيروا التصميم لسفينة حربية دفاعية. من المفترض أن تحرس أرلونغ الآن، لا أن تقود الأسطول."

— "لماذا تأخرت عن الجدول؟"

— "اندلع حريق في حوض السفن ليلة أمس. ركل أحمق في المناوبة مصباحه، فأعاد البناء أشهراً إلى الوراء. اضطروا لاستيراد الأخشاب من إقليم الكلب. كان على أبي أن يكون مبدعًا جدًا في ذلك؛ من الصعب شحن كميات هائلة من الخشب وإخفاء حقيقة أنك تبني أسطولاً. استغرق الأمر بضعة أسابيع من التعامل مع مهربي مواغ."

استطاعت رين رؤية حواف مسودة على بعض الألواح الخارجية للهيكل. لكن الباقي استُبدل بأخشاب جديدة مصقولة حتى اللمعان.

قال نزهة:

— "الأمر برمته أثار ضجة كبيرة في المدينة. استمر بعض الناس في القول إنها علامة من الآلهة بأن التمرد سيفشل."

— "وفايسرا؟"

— "أخذها أبي كعلامة على أنه يجب أن يخرج ويحصل لنفسه على سبيرية."

بدلاً من أخذ قارب سامبان نهري للعودة إلى الثكنات العسكرية، قادها نزهة أسفل الدرج إلى قاعدة الرصيف، حيث كان لا يزال بإمكان رين سماع ضوضاء حوض السفن فوق الماء المتدفق بلطف ضد الأعمدة التي ترفع الرصيف. في البداية ظنت أنهم وصلوا إلى طريق مسدود، حتى خطى نزهة من الرمال الزجاجية إلى النهر مباشرة.

— "ما هذا بحق الجحيم؟"

بعد ثانية أدركت أنه لم يكن يقف على الماء، بل على رفرف دائري كبير يكاد يطابق لون النهر الأخضر المائل للزرقة.

قال نزهة قبل أن تسأل:

— "زنابق الماء."

فاردًا ذراعيه للتوازن، نقل وزنه بدقة بينما رفعت الأمواج ورقة الزنبق تحت قدميه.

قالت رين:

— "متباهٍ."

— "ألم ترِ هذه من قبل؟"

– "بلى، ولكن فقط في لفائف الحائط." تجهمت وهي تنظر للزنابق. لم يكن توازنها بنصف جودة توازن نزهة، ولم تكن متحمسة للسقوط في النهر. "لم أكن أعلم أنها تنمو بهذا الحجم."

– "لا تفعل عادة. هذه ستدوم فقط لشهر أو اثنين قبل أن تغرق. تنمو بشكل طبيعي في برك المياه العذبة أعلى الجبل، لكن علماء النبات لدينا وجدوا طريقة لعسكرتها. ستجدينها على طول الميناء. البحارة المهرة لا يحتاجون لقوارب تجديف للوصول لسفنهم؛ يمكنهم فقط الركض عبر زنابق الماء."

قالت:

– "هدئ من روعك.. إنها مجرد حجارة عبور."

– "إنها زنابق ماء مخصصة للأغراض العسكرية. أليس هذا رائعًا؟"

– "أعتقد أنك تحب استخدام كلمة (عسكرية) فقط."

فتح نزهة فمه ليرد، لكن صوتًا من أعلى الرصيف قاطعه.

– "ألم تكتفِ من لعب دور المرشد السياحي؟"

نزل رجل الدرج نحوهم. كان يرتدي زي جندي أزرق، والخطوط السوداء على ذراعه اليسرى تميزه كجنرال.

قفز نزهة بسرعة من زنابق الماء إلى الرمل الرطب وجثا على ركبة واحدة:

– "أخي. سعيد لرؤيتك مجددًا."

أدركت رين متأخرة أنه كان ينبغي عليها الركوع أيضًا، لكنها كانت مشغولة جدًا بالتحديق في شقيق نزهة. جينزا. رأته مرة واحدة، باقتضاب، قبل ثلاث سنوات في أول مهرجان صيفي لها في سينغارد. حينها ظنت أن جينزا ونزهة يمكن أن يكونا توأمين، لكن عند التدقيق، لم يكن الشبه بينهما واضحًا إلى هذا الحد. كان جينزا أطول، وأضخم بنية، وكان يحمل نفسه بهواء الابن البكر؛ ابن يعلم أنه الوريث لإرث أبيه بالكامل، بينما يُترك إخوته الصغار لمصير الشجار على الفتات.

قال جينزا بصوت أعمق من صوت نزهة، وأكثر غطرسة، إن كان ذلك ممكنًا:

— "سمعت أنك أفسدت الأمر في القصر الخريفي." بدا صوته مألوفًا بشكل غريب لرين، لكنها لم تستطع تحديده تمامًا. "ماذا حدث؟"

نهض نزهة:

— "ألم يطلعك القبطان إريدين على الأمر؟"

— "إريدين لم يرَكل شيء. حتى يتعافى أبي، أنا الجنرال الأعلى رتبة في أرلونغ، وأود معرفة التفاصيل."

إنه ألتان، أدركت رين بصدمة. تحدث جينزا بدقة عسكرية مقطوعة ذكرتها بألتان في أفضل حالاته. كان هذا رجلاً معتادًا على الكفاءة والطاعة الفورية.

قال نزهة:

— "ليس لدي ما أضيفه.. كنت على متن سيغريم."

لوى جينزا شفته:

— "بعيداً عن الخطر. كالعادة."

توقعت رين أن يثور نزهة عند ذلك، لكنه ابتلع الإهانة بإيماءة وسأل:

— "كيف حال أبي؟"

— "أفضل الآن من الليلة الماضية. كان يجهد نفسه. طبيبنا لم يفهم كيف كان لا يزال على قيد الحياة في البداية."

— "لكن أبي أخبرني أنه مجرد جرح سطحي."

— "هل ألقيت نظرة جيدة عليه حتى؟ ذلك النصل اخترق عظمة كتفه بالكامل تقريبًا. كان يكذب على الجميع. إنها معجزة أنه واعٍ أصلاً."

سأل نزهة:

— "هل طلبني؟"

منحه جينزا نظرة متعالية:

— "ولماذا يفعل؟ سأخبرك عندما نكون بحاجة إليك."

— "نعم يا سيدي." خفض نزهة رأسه وأومأ. راقبت رين هذا التبادل بذهول. لم ترَ قط أي شخص يمكنه التنمر على نزهة بالطريقة التي اعتاد نزهة أن يتنمر بها على الجميع.

نظر جينزا فجأة إلى رين، وكأنه تذكر للتو وجودها:

— "أنتِ السبيرية."

قالت بصوت خرج لسبب ما مختنقًا، طفوليًا:

— "نعم." تنحنحت لتوضيح صوتها. "هذه أنا."

قال جينزا:

— "هيا إذن.. فلنرى."

— "ماذا؟"

قال جينزا ببطء شديد، وكأنه يخاطب طفلاً صغيرًا:

— "أرني ما يمكنك فعله. اجعليه كبيرًا."

رمت رين نزهة بنظرة حائرة:

— "أنا لا أفهم."

قال جينزا:

— "يقولون إنك تستطيعين استدعاء النار."

— "حسنًا، نعم..."

— "كم؟ ما مدى سخونتها؟ إلى أي درجة؟ هل تأتي من جسدك، أم يمكنك استدعاؤها من أماكن أخرى؟ ماذا يتطلب الأمر لتفجير بركان؟" تحدث جينزا بسرعة رهيبة لدرجة أن رين واجهت صعوبة في فك رموز لهجته السينغاردية المقتضبة. لم تكن قد عانت مع ذلك منذ سنوات.

رمشت، وهي تشعر بالغباء نوعًا ما، وعندما تحدثت تعثرت في كلماتها:

— "أعني، الأمر يحدث فقط..."

قلدها ساخرًا:

— "الأمر يحدث فقط.. ماذا، مثل العطسة؟ أي فائدة في ذلك؟ اشرحي لي كيف يمكنني استخدامك."

— "أنا لست أداة لتستخدمها."

— "ياللعجب. الجندية لن تقبل الأوامر."

تدخل نزهة بسرعة:

— "خاضت رين رحلة طويلة. أنا متأكد أنها ستكون سعيدة لتقديم عرض لك في الصباح، عندما تحصل على بعض الراحة..."

قال جينزا:

— "الجنود يتعبون، هذا جزء من العمل.. هيا أيتها السبيرية. أرنا ما عندكِ."

وضع نزهة يداً مهدئة على ذراع رين:

— "جينزا، حقًا..."

أصدر جينزا صوت اشمئزاز:

— "يجب أن تسمع الطريقة التي يتحدث بها أبي عنهم. السبيريون كذا، السبيريون كذا. قلت له إنه سيكون من الأفضل شن غزو من أرلونغ، لكن لا، ظن أنه يمكنه الفوز بانقلاب أبيض لو كان لديه أنتِ فقط. انظري كيف سارت الأمور."

قال نزهة:

— "رين أقوى مما يمكنك تخيله."

لوى جينزا شفته:

— "تعلم، لو كان السبيريون أقوياء جدًا، لظننت أنهم سيكونون أقل موتًا. قضيت طفولتي بأكملها أسمع عن أي أعجوبة كان عزيزكم ألتان. اتضح أنه مجرد أحمق آخر ذي بشرة قذرة فجر نفسه من أجل لا شيء."

وميض أحمر غشى بصر رين. حين نظرت إلى جينزا لم ترَ لحمًا بل جذعًا متفحمًا، رماد يتقشر عما كان رجلاً.. أرادته أن يموت، ميتًا، متألمًا. أرادته أن يصرخ.

سألت بصوت بدا بعيدًا جدًا، وكأن شخصًا يتحدث إليها من مسافة بعيدة:

– "تريد أن ترى ما يمكنني فعله؟"

حذر نزهة:

– "رين..."

– "لا، اغرب عن وجهي." نفضت يده عن ذراعها. "إنه يريد أن يرى ما يمكنني فعله."

– "لا أعتقد أن هذه فكرة جيدة."

– "تراجع."

أدارت كفيها نحو جينزا. لم يتطلب الأمر شيئًا لاستدعاء الغضب. كان هناك بالفعل، ينتظر، مثل ماء ينفجر من سد.. أنا أكره، أنا أكره، أنا أكره...

لم يحدث شيء.

رفع جينزا حاجبيه.

شعرت رين بوخزة ألم في صدغيها. لمست عينيها بإصبعها.

تفتحت الوخزة لتصبح صاعقة حارقة من العذاب. رأت انفجارًا من الألوان موسومًا خلف جفونها: حُمر وصُفر، ألسنة لهب تومض فوق قرية تحترق، ظلال ناس يتلوون بداخلها، سحابة فطر عظيمة فوق جزيرة القوس الطويل مصغرة.

للحظة رأت رمزًا لم تستطع التعرف عليه، يسبح ليتشكل كعش من الثعابين، عالقًا أمام عينيها مباشرة قبل أن يختفي. انجرفت في لحظة بين العالم في ذهنها والعالم المادي. لم تستطع التنفس، لم تستطع الرؤية...

تهاوت على ركبتيها. شعرت بذراعي نزهة ترفعانها، سمعته يصرخ لطلب المساعدة. جاهدت لفتح عينيها. وقف جينزا فوقها، يحدق لأسفل بازدراء صريح.

قال:

– "كان أبي محقًا.. كان ينبغي أن نحاول إنقاذ الآخر."

***

أغلق تشاغان الباب خلفه بقوة وسأل:

— "ماذا حدث؟"

قالت رين، وأصابعها تقبض وتنبسط حول ملاءات السرير بينما يفرغ تشاغان حقيبته بجانبها:

— "لا أعرف." كان صوتها يرتجف؛ قضت النصف ساعة الأخيرة تحاول ببساطة التنفس بشكل طبيعي، لكن قلبها ظل يتسابق بغضب لدرجة أنها بالكاد استطاعت سماع أفكارها. "تراخيت. كنت سأستدعي النار.. فقط قليلاً، لم أرد حقًا إيذاءه، وبعد ذلك..."

أمسك تشاغان معصميها:

— "لماذا ترتجفين؟"

لم تدرك أنها كانت تفعل ذلك. لم تستطع منع يديها من الارتعاش، والتفكير في الأمر جعلها ترتعد أكثر.

همست:

— "لن يريدني بعد الآن."

— "من؟"

— "فايسرا."

كانت مرعوبة. إذا لم تستطع استدعاء النار، فإن فايسرا جند سبيرية من أجل لا شيء. بدون النار، قد يتم التخلص منها.

ظلت تحاول منذ استعادت وعيها استدعاء النار، لكن النتيجة كانت دائمًا نفسها.. ألم حارق في صدغيها، انفجار من الألوان، وومضات لرؤى لم ترد رؤيتها مجددًا أبدًا. لم تستطع معرفة ما الخطأ، فقط أن النار ظلت بعيدة عن منالها، وبدون النار لم تكن سوى عديمة الفائدة.

مرت رعشة أخرى عبر جسدها.

قال تشاغان وهو يضع حقيبته على الأرض ويجثو بجانبها:

— "فقط اهدئي.. ركزي معي. انظري في عينيّ."

أطاعت.

عيون تشاغان، الشاحبة والخالية من الحدقات أو القزحيات، كانت عادة مثيرة للقلق. لكن عن قرب كانت جذابة بشكل غريب، شظيتان من مشهد ثلجي مغروستان في وجهه النحيل، تجذبانها كفريسة منومة مغناطيسيًا.

همست:

– "ما خطبي؟"

– "لا أعرف. لمَ لا نكتشف ذلك؟" عبث تشاغان في حقيبته، وأغلق قبضته حول شيء ما، وقدم لها حفنة من مسحوق أزرق ساطع.

تعرفت على المخدر. كان غبارًا مطحونًا لنوع من الفطريات الشمالية المجففة. تناولته مرة من قبل مع تشاغان في خوردالاين، حين أخذته إلى العالم غير المادي حيث كانت ماي رينين تيرزا تطاردها.

أراد تشاغان مرافقتها إلى الزوايا الداخلية لعقلها، النقطة التي تصعد فيها روحها إلى مستوى الآلهة.

سأل حين ترددت:

– "خائفة؟"

ليست خائفة. خجلة. لم ترد رين إدخال تشاغان إلى عقلها. كانت خائفة مما قد يراه.

سألت:

– "هل يجب أن تأتي؟"

– "لا يمكنكِ فعل ذلك وحدك. أنا كل ما لديكِ. عليكِ أن تثقي بي."

– "هل تعد بالتوقف إذا طلبت منك ذلك؟"

سخر تشاغان، ومد يده ليأخذ يدها، وضغط إصبعها في المسحوق.

– "سنتوقف عندما أقول إننا نستطيع التوقف."

– "تشاغان."

منحها نظرة صريحة:

– "هل لديكِ حقًا خيار آخر؟"

بدأ المخدر مفعوله تقريبًا من اللحظة التي لمس فيها لسانها. فوجئت رين بمدى سرعة ونقاء النشوة. كانت بذور الخشخاش بطيئة بشكل محبط، زحف تدريجي إلى عالم الروح لا يعمل إلا إذا ركزت، لكن هذا المخدر كان مثل ركلة تخلع الباب بين هذا العالم والعالم الآخر.

أمسك تشاغان يدها قبل لحظة من تلاشي غرفة التمريض من رؤيتها. غادرا المستوى الفاني في دوامة من الألوان. ثم كانا هما الاثنين فقط في فضاء من السواد. ينجرفان. يبحثان.

عرفت رين ما كان عليها فعله. وجهت تركيزها نحو غضبها وأنشأت الرابط مع العنقاء الذي سحب روحيهما من هوة العدم نحو البانثيون. كادت تشعر بالعنقاء، الحرارة الحارقة لألوهيتها تغمرها، كادت تسمع قهقهتها الخبيثة...

ثم قام شيء ما بتعتيم وجودها، وقطع الاتصال.

تجسد شيء ضخم أمامهما. لم تكن هناك طريقة لوصفه سوى بكلمة عملاقة، مشقوقة في الفضاء الفارغ. اثنتا عشرة ضربة معلقة في الهواء، رسم تصويري عظيم بلون جلد ثعبان أخضر مائل للزرقة، يلمع في السطوع غير الطبيعي مثل دم مسفوك للتو.

قال تشاغان:

— "هذا مستحيل.. لا ينبغي أن تكون قادرة على فعل هذا."

بدا الرسم التصويري مألوفًا تمامًا وغريبًا تمامًا في آن واحد. لم تستطع رين قراءته، رغم أنه لا بد مكتوب بخط نيكارا. اقترب من أن يشبه عدة أحرف تعرفها لكنه انحرف عنها جميعًا بطرق مهمة.

كان هذا شيئًا قديمًا إذن. شيئًا عتيقًا؛ شيئًا يسبق الإمبراطور الأحمر.

— "ما هذا؟"

مد تشاغان يدًا غير مادية وكأنه سيلمسه، ثم سحبها بسرعة وقال:

— "ماذا يبدو لكِ؟ هذا ختم."

ختم؟ بدا المصطلح مألوفًا بشكل غريب. تذكرت رين شذرات من معركة. رجل ذو شعر أبيض يطفو في الهواء، البرق يدور حول طرف عصاه، يفتح فراغًا لعالم من أشياء غير فانية، أشياء لا تنتمي لعالمهم.

أنتِ مختومة.

ليس بعد الآن.

سألت:

– "مثل حارس البوابة؟"

بدا تشاغان مذهولاً:

– "حارس البوابة كان مختومًا؟ لماذا لم تخبريني؟"

– "لم يكن لدي أي فكرة!"

– "لكن ذلك يفسر الكثير! لهذا السبب كان مفقودًا، ولهذا لا يتذكر..."

– "عمّ تتحدث؟"

شرح تشاغان:

– "الختم يمنع وصولك إلى عالم الروح. الأفعى تركت سمّها داخلك. هذا ما صُنع منه الختم. سيمنعك من الوصول إلى البانثيون. ومع الوقت سيزداد قوة وقوة، يأكل عقلك حتى تفقدي حتى ذكرياتك المرتبطة بالعنقاء. سيجعلك قشرة فارغة من نفسك."

– "أرجوك قل لي أنك تستطيع التخلص منه."

– "أستطيع المحاولة. سيتعين عليكِ أخذي للداخل."

– "للداخل؟"

– "الختم بوابة أيضًا. انظري." أشار تشاغان إلى قلب الحرف، حيث شكل دم الثعبان اللامع دائرة دوارة. عندما ركزت رين عليها، بدت وكأنها تناديها حقًا، تسحبها إلى بُعد مجهول ما وراءها. "ادخلي. أراهن أن هذا هو المكان الذي تركت فيه داجي السم. إنه موجود هنا في شكل ذكرى. قوة داجي تسكن في الرغبة؛ لقد استحضرت الأشياء التي تريدينها أكثر من غيرها لمنعك من استدعاء النار."

– "سم. ذكرى. رغبة." القليل جداً من هذا كان منطقيًا لرين. "انظر.. فقط أخبرني بما يفترض بي فعله بحق الجحيم."

– "دمريه بأي طريقة ممكنة."

– "أدمر ماذا؟"

– "أعتقد أنكِ ستعرفين حين ترينه."

لم تضطر رين للسؤال عن كيفية اجتياز البوابة. سحبتها بمجرد اقترابها منها. بدا الختم وكأنه ينطوي فوقهم، يكبر ويكبر حتى غلفهم. انجرفت دوامات الدم حولها، متموجة، وكأنها تحاول تقرير الشكل الذي ستتخذه، أي وهم ستخلقه.

قال تشاغان:

– "ستريكِ المستقبل الذي تريدينه."

لكن رين لم ترَ كيف يمكن لذلك أن ينجح معها، لأن أعظم رغباتها لم تكن موجودة في المستقبل. كانت كلها في الماضي. أرادت السنوات الخمس الماضية أن تعود. أرادت أيامًا كسولة في حرم الأكاديمية. أرادت نزهات متمهلة في حديقة جيانغ، أرادت إجازات صيفية في ضيعة كيتاي، أرادت، أرادت...

كانت على رمال جزيرة سبير مرة أخرى.. سبير النابضة بالحياة، الجميلة، الخصبة والمشرقة كما لم ترها من قبل. وهناك كان ألتان، صحيحًا ومعافى، يبتسم كما لم تره يبتسم حقًا من قبل.

قال:

– "مرحبًا.. هل أنتِ مستعدة للعودة إلى الوطن؟"

قال تشاغان بإلحاح:

– "اقتليه."

لكن ألم تكن قد فعلت ذلك بالفعل؟ في خوردالاين قاتلت وحشًا بوجه ألتان، وقتلته حينها. ثم في منشأة الأبحاث تركته يمشي على الرصيف، تركته يضحي بنفسه لإنقاذها.

لقد قتلت ألتان بالفعل، مرارًا وتكرارًا، وكان يستمر في العودة. كيف يمكنها إيذاؤه الآن؟ بدا سعيدًا جدًا. خاليًا من الألم. كانت تعرف الكثير عنه الآن، كانت تعرف ما عاناه، ولم تستطع لمسه. ليس هكذا.

اقترب ألتان:

— "ماذا تفعلين هنا؟ تعالي معي."

أرادت الذهاب معه أكثر من أي شيء. لم تكن تعرف حتى إلى أين سيأخذها، فقط أنه سيكون هناك. العدم. فردوس مظلم ما.

مد ألتان يده نحوها:

— "تعالي."

قوت نفسها، وتمكنت من القول:

— "أوقف هذا.. تشاغان، لا أستطيع.. أوقف الأمر.. خذني..."

قال تشاغان:

— "لا بد أنك تمزحين.. لا يمكنك حتى فعل هذا؟"

أخذ ألتان أصابعها في يده:

— "لنذهب."

— "توقف!"

لم تكن متأكدة مما فعلته لكنها شعرت بانفجار من الطاقة، ورأت الختم يلتوي ويتلوى حول تشاغان، مثل مفترس يشم فريسة جديدة ومثيرة، ورأت فمه يفتح في صرخة عذاب صامتة.

ثم لم يعودا على سبير.

لم يكن هذا مكانًا رأته من قبل قط.

كانا في مكان مرتفع على جبل، بارد ومظلم. سلسلة من الكهوف منحوتة في الحجر، تضيء جميعها بنار الشموع من الداخل. وعلى الحافة، كتفًا بكتف، جلس صبيان: أحدهما داكن الشعر والآخر أشقر.

كانت دخيلة في هذه الذكرى، لكن في اللحظة التي اقتربت فيها تحول منظورها ولم تعد المتفرجة بل داخل العالم. رأت وجه ألتان عن قرب، وأدركت أنها تنظر إليه بالطريقة التي نظر بها تشاغان ذات مرة.

كان وجه ألتان قريبًا جدًا من وجهها. استطاعت تمييز كل تفصيل رهيب ورائع: الندبة التي تجري صعودًا من خده الأيمن، الطريقة الخرقاء التي رُبط بها شعره، الجفون الداكنة فوق عينيه القرمزيتين. ألتان كان فظيعًا. ألتان كان جميلاً. وبينما كانت تنظر في عينيه أدركت أن الشعور الذي غمرها لم يكن حبًا؛ كان هذا رعبًا كليًا ومشلاً. كان هذا رعب فراشة تنجذب إلى اللهب.

لم تكن تظن أن أي شخص آخر شعر بتلك الطريقة. كان شعورًا مألوفًا جدًا لدرجة أنها كادت تبكي.

قال ألتان، متمتمًا تهديد القتل وكأنه أغنية حب:

— "يمكنني قتلك."

وعندما قاومت هي — بصفتها تشاغان — ضده، ضغط جسده أقرب.

قال تشاغان، وكان ذلك صوتًا مألوفًا جدًا، الصوت الخجول والمتزن:

— "إذن يمكنك فعل ذلك."

كانت دائمًا تتعجب من كيف يمكن لتشاغان التحدث بهذه اللامبالاة مع ألتان. لكن تشاغان لم يكن يمزح، أدركت ذلك الآن، لقد كان خائفًا؛ كان مرعوبًا باستمرار في كل مرة يكون فيها حول ألتان.

— "إذن ماذا؟"

أغلقت أصابع ألتان على أصابع تشاغان؛ حارة جدًا، ساحقة جدًا، محاولة للتواصل البشري مع تجاهل مطلق لموضوع عاطفته. لامست شفتاه أذن تشاغان. ارتجفت لا إراديًا؛ ظنت أنه قد يعضها، يحرك فمه لأسفل نحو عنقها ويمزق شرايينها.

أدركت أن تشاغان شعر بهذا الخوف كثيرًا.

أدركت أن تشاغان ربما استمتع به.

قال تشاغان:

— "لا تفعل."

لم تستمع؛ أرادت البقاء في هذه الرؤية، تملكها رغبة مقززة لمشاهدتها تتكشف حتى نهايتها.

— "هذا يكفي."

ضربت موجة من الظلام عليهما، وعندما فتحت عينيها كانت في غرفة التمريض، ممددة فوق سريرها. جلس تشاغان منتصبًا على الأرض، عيناه مفتوحتان على آخرهما، وتعبيراته خاوية.

أمسكته من ياقته وصرخت:

— "ماذا كان ذلك؟"

استفاق تشاغان. استقرت ملامحه على شيء يشبه الاحتقار:

— "لماذا لا تسألين نفسك؟"

— "أيها المنافق.. أنت مهووس به تمامًا..."

— "هل أنتِ متأكدة أن ذلك لم يكن أنتِ؟"

صرخت فيه:

— "لا تكذب علي! أعرف ما رأيته، أعرف ما كنت تفعله، أراهن أنك أردت فقط الدخول إلى عقلي لأنك أردت رؤيته من زاوية أخرى..."

تراجع إلى الخلف جافلاً.

لم تكن تتوقع منه أن يجفل. بدا صغيرًا جدًا. ضعيفًا جدًا. لسبب ما، جعلها ذلك أكثر غضبًا.

أحكمت قبضتها على ياقته أكثر:

— "إنه ميت. حسنًا؟ ألا يمكنك إدخال ذلك في رأسك اللعين؟"

— "رين..."

— "إنه ميت، لقد رحل، ولا يمكننا إعادته. وربما أحبك، وربما أحبني، لكن هذا لا يهم بحق الجحيم الآن، أليس كذلك؟ لقد رحل."

ظنت أنه قد يضربها حينها.

لكنه مال بجسده للأمام فقط، كتفاه محنيان فوق ركبتيه، وضغط وجهه بين يديه. عندما تحدث بدا وكأنه على وشك البكاء:

— "ظننت أنني أستطيع الإمساك به."

— "ماذا؟"

همس:

— "أحيانًا قبل أن يرحل الموتى، يبقون عالقين. خاصة نوعكم. الغضب يعتمد على الاستياء، وموتاكم موجودون في الاستياء. وأعتقد أنه لا يزال هناك في الخارج، ينجرف بين هذا العالم والعالم التالي، لكن في كل مرة أحاول، كل ما أحصل عليه هو شظايا من الذكريات، ومع مرور المزيد من الوقت لا أستطيع حتى تذكر الأشياء الجميلة، وظننت ربما.. مع السم..."

سألته:

— "أنت لا تعرف كيف تصلحني، أليس كذلك؟ لم تعرف قط."

لم يجب تشاغان.

أفلتت ياقته وقالت:

— "اخرج."

حزم حقيبته وغادر دون كلمة. كادت تناديه ليعود، لكنها لم تستطع التفكير في شيء واحد لقوله قبل أن يصفق الباب.

***

بمجرد ذهاب تشاغان، صرخت رين في الردهة حتى جذبت انتباه طبيب، وبخته حتى حصلت على جرعة منومة بضعف الكمية الموصى بها. ابتلعتها في جرعتين كبيرتين، وزحفت عائدة إلى سريرها، وسقطت في أعمق نوم حظيت به منذ وقت طويل.

عندما استيقظت، رفض الطبيب إعطائها جرعة منومة أخرى لست ساعات قادمة. لذا انتظرت في توجس خائف، تتوقع زيارة من جينزا أو نزهة أو حتى فايسرا نفسه. لم تكن تعرف ما يمكن توقعه، فقط أنه لا يمكن أن يكون شيئًا جيدًا. من له أي حاجة في سبيرية لا تستطيع استدعاء النار؟

لكن زائرها الوحيد كان القبطان إريدين، الذي أمرها بأن تستمر في التصرف كما لو كانت في كامل قيادة قدراتها. كانت لا تزال ورقة فايسرا الرابحة، سلاح فايسرا الخفي، وكان عليها أن تظهر بجانبه، حتى لو كان ذلك مجرد سلاح نفسي.

لم ينقل خيبة أمل فايسرا. لم يكن مضطرًا لذلك. غياب فايسرا كان أشد إيلامًا من أي شيء آخر.

تجرعت المنوم التالي الذي أعطوه لها. كانت الشمس قد غربت بحلول الوقت الذي استيقظت فيه مرة أخرى. كانت جائعة بشكل فظيع. وقفت، وفتحت قفل الباب، ومشت في الردهة، حافية القدمين ومترنحة، بنية غامضة لطلب الطعام من أول شخص تراه.

— "حسنًا، تباً لك أنت أيضًا!"

توقفت رين عن المشي.

جاء الصوت من باب قرب نهاية الردهة.

— "ماذا كان يفترض بي أن أفعل؟ أشنق نفسي مثل نساء لو؟ أراهن أنك كنت لتحب ذلك."

تعرفت رين على ذلك الصوت.. حاد، نكد، وغاضب. تسللت على أطراف أصابعها أسفل القاعة ووقفت خلف الباب مباشرة.

قال صوت ذكوري هذه المرة، أكبر سنًا وأعمق:

— "نساء لو حفظن كرامتهن."

صرخت فينكا:

— "ومن وضع كرامتي بين فخذي؟ هل كنت تفضل أن أكون جثة هامدة؟ هل كنت تفضل أن يُكسر عمودي الفقري، ويُسحق جسدي، طالما لم يمر شيء بين ساقي؟"

الصوت الذكوري مرة أخرى:

— "تمنيت لو لم يتم خطفك أبدًا. أنتِ تعرفين ذلك."

صوت مختنق. هل كانت فينكا تبكي؟

– "أنت لا تجيب على السؤال.. انظر إليّ يا أبي. انظر إليّ."

قال والد فينكا شيئًا ردًا على ذلك، بصوت خافت جدًا لم تسمعه رين. بعد لحظة فُتح الباب بعنف. انحنت رين حول الزاوية وتجمدت حتى سمعت خطوات الأقدام تبتعد أسفل الردهة في الاتجاه المعاكس.

زفرت بارتياح. فكرت للحظة، ثم مشت نحو الباب. كان مفتوحًا، معلقًا وموارِبًا قليلاً. وضعت أطراف أصابعها على اللوح الخشبي ودفعته.

كانت فينكا. لقد قصت شعرها تمامًا، وبوضوح منذ بعض الوقت، لأنه بدأ ينمو مرة أخرى في بقع داكنة صغيرة. لكن وجهها كان هو نفسه؛ جميلة بشكل مثير للسخرية، كلها زوايا حادة وعيون ثاقبة.

سألت فينكا بحدة:

– "ماذا تريدين بحق الجحيم؟ هل يمكنني مساعدتك؟"

قالت رين:

– "كنت صاخبة."

– "أوه، أَنا آسفة جدًا. في المرة القادمة التي يتبرأ فيها والدي مني، سأخفض صوتي."

– "تبرأ منكِ؟"

كانت عيون فينكا حمراء حول الحواف:

– "حسنًا. ربما لا. ليس وكأن لديه ورثة آخرين لادخارهم. أتمنى لو كان لديه، هذا أفضل من محاولته إخباري بما أفعله بجسدي. عندما كنت حاملاً..."

– "أنتِ حامل؟"

تجهمت فينكا:

– "كنت.. لا شكر لذلك الطبيب اللعين. ظل يقول إن تلك السافلة سايخارا لم تسمح بالإجهاض."

– "سايخارا؟"

– "والدة نزهة. لديها بعض الأفكار المضحكة حول الدين. نشأت في هسبيريا، هل كنتِ تعلمين ذلك؟ إنها تعبد صانعهم الغبي ذاك. هي لا تتظاهر فقط لأسباب دبلوماسية، هي تؤمن فعليًا بذلك الهراء. وتركض منفذة كل ما كتبه في كتاب صغير ما، والذي يتضمن على ما يبدو إجبار النساء على حمل أطفال مغتصبيهن."

– "إذن ماذا فعلتِ؟"

نبض حلق فينكا:

– "تصرفتُ بطريقتي."

– "آه."

حدقت كلتاهما في الأرضية لدقيقة. كسرت فينكا الصمت:

– "أعني، الأمر آلم قليلاً فقط. ليس بسوء.. كما تعلمين."

– "نعم."

– "هذا ما فكرت فيه عندما فعلتها. ظللت أفكر في وجوههم الخنزيرية الصغيرة، وعندها لم يكن الأمر صعبًا. والليدي سايخارا يمكنها أن تذهب للجحيم."

جلست رين على حافة سريرها. شعرت بشعور جيد غريب لكونها حول فينكا.. فينكا الغاضبة، نافدة الصبر، والكاشطة. أعطت فينكا صوتًا للغضب الخام الذي بدا أن الجميع قد رقعوه، ولذلك كانت رين ممتنة.

سألتها:

– "كيف حال ذراعيكِ؟"

آخر مرة رأت فيها فينكا كانت ذراعاها ملفوفتين بضمادات كثيرة لدرجة أن رين لم تكن متأكدة مما إذا كانت فقدت استخدامهما تمامًا. لكن الضمادات اختفت الآن، ولم تكن ذراعاها تتدليان بلا فائدة بجانبها.

ثنت فينكا أصابعها:

– "اليمنى شُفيت. اليسرى لن تُشفى أبدًا. كُسرت بطريقة غريبة، ولا أستطيع تحريك ثلاثة أصابع في يدي اليسرى."

– "هل ما زلتِ تستطيعين الرماية؟"

– "تعمل جيداً طالما أستطيع حمل قوس. صمموا لي قفازًا خاصًا. يبقي الأصابع الثلاثة مثنية للخلف حتى لا أضطر لذلك. سأكون بخير تمامًا في الميدان مع القليل من الممارسة. ليس وكأن أحدًا يصدقني." تحركت فينكا في سريرها. "لكن ماذا تفعلين هنا؟ هل كسبك نزهة بكلماته الجميلة؟"

تململت رين:

– "شيء من هذا القبيل."

كانت فينكا تنظر إليها بشيء ربما كان غيرة:

– "إذن لا تزالين جندية. يا لحظك."

قالت رين:

– "لست متأكدة من ذلك."

– "لماذا؟"

للحظة فكرت رين في إخبار فينكا بكل شيء.. عن الأفعى، عن الختم، عما رأته مع تشاغان. لكن فينكا لم تكن تملك الصبر للتفاصيل. فينكا لم تكن تهتم بذلك القدر.

قالت وهي تحتضن صدرها بذراعيها:

– "أنا فقط.. لا أستطيع فعل ما كنت أفعله بعد الآن. ليس بتلك الطريقة.. لا أعتقد أنني سأفعل ذلك مرة أخرى أبدًا."

أشارت فينكا إلى عينيها:

– "هل هذا ما كنتِ تبكين بشأنه؟"

أخذت رين نفسًا مرتجفًا:

– "لا.. أنا فقط... لا أعرف إذا ما كنت مفيدة بعد الآن."

قلبت فينكا عينيها:

– "حسنًا، لا يزال بإمكانك حمل سيف، أليس كذلك؟"

الفصل الثاني عشر

في الأسبوع التالي، أعلنت ثلاثة أقاليم أخرى استقلالها عن الإمبراطورية. وكما تنبأ نزهة، كان أمراء الحرب في الجنوب أول من رضخ. ففي النهاية، لم يكن لدى الجنوب أي سبب للبقاء على ولائه للإمبراطورية أو لـ داجي. كانت حرب الخشخاش الثالثة قد ضربتهم بقسوة أشد من غيرهم؛ فلا يزال لاجئوهم يتضورون جوعًا، ووباء قطاع الطرق قد تفشى بينهم، كما أن الهجوم الذي وقع في القصر الخريفي قد دمر أي فرصة للفوز بتنازلات أو وعود بالمساعدة في قمة لوسان.

أخطر أمراء الحرب الجنوبيون أرلونغ بنواياهم في الانفصال عبر مبعوثين وصلوا لاهثين برًا إن كانوا قريبين بما يكفي، وعبر الحمام الزاجل إن كانوا بعيدين. وبعد أيام، وصل أمراء الحرب بأنفسهم إلى بوابات أرلونغ.

قال نزهة وهو يعد الأقاليم بينما يراقب حراس إريدين يرافقون أمير حرب الخنزير المكتنز الجسم إلى داخل القصر:

— "الديك، والقرد، والخنزير.. ليس سيئًا."

قالت رين:

— "هذا يجعلنا أربعة أقاليم مقابل ثمانية.. ليست احتمالات مذهلة."

— "خمسة مقابل سبعة. وهم جنرالات جيدون." كان ذلك صحيحًا. لم يولد أي من أمراء الحرب الجنوبيين في رتبهم؛ بل ارتقوا إليها وسط حمامات الدم في حربي الخشخاش الثانية والثالثة. "و تسولين سيأتي حتمًا."

— "كيف أنت واثق هكذا؟"

— "تسولين يعرف كيف يختار الجانب الرابح. سيظهر في النهاية. ابتهجي، هذا أفضل ما توقعناه تقريبًا."

تخيلت رين أنه بمجرد تماسك تحالف الأقاليم الأربعة، فإنهم سيزحفون نحو الشمال فورًا. لكن السياسة سرعان ما حطمت آمالها في التحرك السريع. لم يجلب أمراء الحرب الجنوبيون جيوشهم معهم إلى أرلونغ. ظلت قواتهم العسكرية في عواصمهم الخاصة، يمسكون العصا من المنتصف، ويراقبون الوضع قبل الانخراط في المعركة.

كان الجنوب يلعب لعبة انتظار. بانفصالهم، حصنوا أنفسهم من غضب فايسرا، لكن طالما أنهم لم يرسلوا قوات ضد الإمبراطورية، ظلت هناك فرصة أن ترحب بهم داجي مرة أخرى بأذرع مفتوحة، وتغفر كل خطاياهم.

مرت الأيام. ولم يصدر أمر التحرك. أمضى تحالف الأقاليم الأربعة ساعات وساعات في مناقشة الاستراتيجية في سلسلة لا تنتهي من مجالس الحرب. كانت رين، ونزهة، وكيتاي حاضرين جميعًا؛ نزهة لأنه جنرال، وكيتاي لأنه — في تحول غريب للأحداث — أصبح يُعتبر الآن استراتيجيًا كفوًا وإن لم يكن محبوبًا، ورين لمجرد أن فايسرا أراد وجودها هناك.

شكت في أن هدف وجودها هو الترهيب، لإعطاء نوع من الطمأنينة بأنه إذا كانت السبيرية المدمرة للجزر حية وبخير في أرلونغ، فإن هذه الحرب لن تكون صعبة الفوز.

حاولت بذل قصارى جهدها للتصرف وكأن تلك لم تكن كذبة.

قال الجنرال هو، كبير استراتيجيي فايسرا، وقد تخلى منذ زمن عن إخفاء إحباطه:

— "نحن بحاجة إلى أسراب مشتركة بين الفرق، وإلا فإن هذا التحالف مجرد ميثاق انتحار. يجب أن يعمل الجيش الجمهوري ككيان واحد متماسك. لا يمكن للرجال أن يظنوا أنهم لا يزالون أسرابًا تابعة لأقاليمهم القديمة."

قال أمير حرب الخنزير:

— "لن أضع رجالي تحت قيادة جنود لم أقابلهم قط."

مقتت رين تساو شاروك؛ بدا وكأنه لا يفعل شيئًا سوى التذمر بضراوة من كل ما يقترحه طاقم فايسرا، لدرجة أنها تساءلت كثيرًا عن سبب مجيئه إلى أرلونغ من الأساس.

تابع شاروك:

— "وتلك الفرق لن تنجح. أنت تطلب من رجال لم يلتقوا قط أن يقاتلوا معًا. إنهم لا يعرفون إشارات القيادة نفسها، ولا يستخدمون الرموز ذاتها، وليس لديهم وقت للتعلم."

تمتم كيتاي:

— "حسنًا، لا تبدون متحمسين لمهاجمة الشمال في أي وقت قريب، لذا أتصور أن لديهم شهورًا على الأقل."

أصدر نزهة صوت اختناق بدا وكأنه ضحكة.

بدا شاروك وكأنه يود كثيرًا لو يخوزق كيتاي على سارية علم إذا أتيحت له الفرصة.

قال الجنرال هو بسرعة:

— "لا يمكننا هزيمة داجي ونحن نقاتل كأربعة جيوش منفصلة. تقارير كشافتنا تفيد بأنها تجمع تحالفًا في الشمال بينما نتحدث."

قال أمير حرب القرد، ليو غوروباي:

— "لا يهم إن لم يكن لديهم أسطول." كان الأكثر تعاونًا بين أمراء الحرب الجنوبيين؛ حاد اللسان وذكي العينين، قضى معظم الاجتماعات يمسد شواربه الداكنة الكثيفة بينما يلعب على الحبلين.

فكرت رين أنهم لو كانوا يتعاملون مع غوروباي فقط، لربما تحركوا شمالاً الآن. كان أمير حرب القرد حذرًا، لكنه على الأقل يستجيب للمنطق. أما أميرا حرب الخنزير والديك، فبدوا مصممين على التحصن في أرلونغ خلف جيش فايسرا. أمضى غونغ تاخا الأيام القليلة الماضية جالسًا بصمت وعبوس على الطاولة بينما استمر شاروك في الصراخ بشكوكه تجاه كل شخص آخر في الغرفة.

نقر الجنرال هو على الخريطة قائلاً:

— "لكنهم سيفعلون. تقوم داجي الآن بتكليف المراكز المدنية بصناعة سفن لأسطول إمبراطوري مُعاد بناؤه. إنهم يحولون سفن نقل الحبوب إلى سفن حربية، وشيدوا أحواضًا بحرية في مواقع متعددة في إقليم النمر. كلما انتظرنا أطول، زاد الوقت المتاح لهم للاستعداد."

سأل غوروباي:

— "من يقود ذلك الأسطول؟"

— "تشانغ إن."

قال شاروك:

— "هذا مفاجئ.. ليس جون؟"

أجاب الجنرال هو:

— "جون لم يرد المنصب."

رفع شاروك حاجبًا:

— "هذه ستكون سابقة."

قال فايسرا:

— "إنه تصرف حكيم من جانبه. لا أحد يريد أن يضطر لإعطاء أوامر لتشانغ إن. عندما يسأله ضباطه، يفقدون رؤوسهم."

تمتم تاخا باستنكار:

— "هذا بالتأكيد علامة على انحدار الإمبراطورية. ذلك الرجل شرير ومبذر."

كان "جنرال لحم الذئب" سيئ السمعة بوحشيته. عندما دبر تشانغ إن انقلابه ضد أمير حرب الحصان السابق، شطر جنوده الجماجم إلى نصفين وعلقوا سلاسل من الرؤوس المقطوعة عبر أسوار العاصمة.

قال جينزا ببرود:

– "أو يعني ذلك ببساطة، كما تعلمون، أن كل الجنرالات الجيدين ماتوا."

كان منضبطًا بشكل ملحوظ في المجلس حتى الآن، رغم أن رين كانت تراقب الاحتقار يتراكم على وجهه لساعات.

قال شاروك:

– "أنت أدرى بذلك.. لقد قضيت فترة تدريبك معه، أليس كذلك؟"

انتفض جينزا:

– "كان ذلك قبل خمس سنوات."

– "ليس وقتًا طويلاً لمسيرة مهنية قصيرة كهذه."

فتح جينزا فمه ليرد، لكن فايسرا قاطعه برفع يده:

– "إذا كنت ستتهم ابني الأكبر بالخيانة..."

قال شاروك:

– "لا أحد يتهم جينزا بأي شيء. مرة أخرى يا فايسرا، نحن فقط لا نعتقد أن جينزا هو الخيار الصحيح لقيادة أسطولك."

– "رجالك لا يمكن أن يكونوا في أيدٍ أفضل. جينزا درس فن الحرب في سينغارد، وقاد قوات في حرب الخشخاش الثالثة..."

قال غوروباي:

– "كما فعلنا جميعًا. لماذا لا تعطي الوظيفة لأحد قادة جيوشنا؟ أو لمَ ليس لأحدنا؟"

– "لأنكم أنتم الثلاثة أهم من أن نستغني عنكم."

حتى رين لم تستطع إلا أن تشعر بالخجل من ذلك التملق الفاضح. تبادل أمراء الحرب الجنوبيون نظرات ساخرة. وبالغ غوروباي في قلب عينيه.

قال فايسرا:

– "حسنًا، لأن رجال إقليم التنين ليسوا مستعدين للقتال تحت قيادة أي شخص آخر. صدقوا أو لا تصدقوا، أنا أحاول إيجاد الحل الذي يحميكم بشكل أفضل."

قال شاروك:

— "ومع ذلك تريد قواتنا في الخطوط الأمامية."

انفجرت رين قائلة:

— "إقليم التنين يلتزم بقوات أكثر من أي منكم، أيها الوغد."

لم تستطع تمالك نفسها. كانت تعلم أن فايسرا أراد منها المراقبة فحسب، لكنها لم تستطع تحمل مشاهدة هذه الفوضى من السلبية والاقتتال التافه. كان أمراء الحرب يتصرفون كالأطفال، يتشاجرون كما لو أن شخصًا آخر سيكسب حربهم نيابة عنهم إذا ما ماطلوا طويلاً بما يكفي.

حدق الجميع فيها كما لو أنها نبتت لها أجنحة فجأة. وعندما لم يقاطعها فايسرا، واصلت:

— "لقد مرت ثلاثة أيام لعينة. لماذا بحق الجحيم نتجادل حول تشكيل الفرق؟ الإمبراطورية ضعيفة الآن. نحتاج لإرسال قوة إلى الشمال حالاً."

سأل تاخا:

— "إذن، ماذا لو أرسلناكِ أنتِ فقط؟ لقد أغرقتِ جزيرة القوس الطويل، أليس كذلك؟"

لم تتردد رين لحظة:

— "أتريد مني قتل نصف البلاد؟ قوتي لا تميز بين صديق وعدو."

نظر تاخا إلى فايسرا:

— "ما الذي تفعله هي هنا أصلاً؟"

قالت رين:

— "أنا قائدة فرقة (السيك).. وأنا أقف أمامك مباشرة."

قال غوروباي:

— "أنتِ فتاة صغيرة بلا خبرة قيادية وبالكاد مر عام من القتال تحت حزامك.. لا تتجرئي على إخبارنا كيف نخوض حربًا."

— "أنا من ربح الحرب الأخيرة. لم تكن لتقف هنا حتى بدوني."

وضع فايسرا يدًا على كتفها:

– "رونين، اصمتي."

– "لكنه..."

قال بصرامة:

– "صمتًا.. هذا النقاش أكبر منكِ. دعي الجنرالات يتحدثون."

ابتلعت رين اعتراضها.

صر الباب مفتوحًا. أطل مساعد القصر برأسه من خلال الفجوة وقال:

– "أمير حرب الثعبان هنا لرؤيتك يا سيدي."

قال فايسرا:

– "أدخله."

تنحى المساعد ليمسك الباب مفتوحًا.

دخل أنغ تسولين، غير مصحوب بحراس وغير مسلح. تحرك جينزا إلى يمينه ليدع تسولين يقف بجوار والده. رمق نزهة رين بنظرة متعجرفة، وكأنه يقول: أخبرتك بذلك.

بدا فايسرا مشبعًا بشعور النصر هو الآخر:

– "سعيد لرؤيتك تنضم إلينا أيها المعلم."

عبس تسولين:

– "لم يكن عليك الإبحار عبر أسطولي."

– "الذهاب في الطريق الآخر كان سيستغرق وقتًا أطول."

– "لقد جاؤوا لعائلتي أولاً."

– "أفترض أنك امتلكت بعد النظر لإخراجهم في الوقت المناسب."

طوى تسولين ذراعيه:

– "ستصل زوجتي وأطفالي غدًا صباحًا. أريد وضعهم في أكثر أماكن إقامتك أمانًا. إذا شممت رائحة جاسوس في مساكنهم، سأسلم أسطولي بالكامل لاستخدام الإمبراطورية."

حنى فايسرا رأسه:

– "لك ما تطلب."

— "جيد." انحنى تسولين للأمام ليفحص الخرائط. "هذه كلها خاطئة."
سأل جينزا:
— "كيف ذلك؟"
أشار تسولين إلى بقعة فوق إقليم الأرنب مباشرة:
— "إقليم الحصان لم يبقَ خاملاً. إنهم يجمعون قواتهم في قاعدة (ينشان). وإقليم النمر يجلب أسطوله نحو القصر الخريفي. إنهم يغلقون طرق هجومكم. ليس لديكم الكثير من الوقت."
قال فايسرا:
— "إذن أخبرني بما يجب علي فعله."
ذُهلت رين من كيفية تحول نبرته؛ من آمرة في السابق، إلى مذعنة ومتواضعة، كطالب يطلب عون معلمه.
رمقه تسولين بنظرة حذرة:
— "رجال جيدون ماتوا بسببك. آمل أنك تدرك ذلك."
قال فايسرا:
— "إذن لقد ماتوا من أجل قضية نبيلة. وأشك في أنك تدرك ذلك أيضًا."
لم يجب تسولين. جلس ببساطة، وسحب الخرائط نحوه، وبدأ يفحص خطوط الهجوم بذلك الهواء المتعب والممارس لرجل قضى حياته كلها في خوض الحروب.

***

مع مرور الأيام، ورغم التأخير المستمر للهجوم الشمالي، استمرت أرلونغ نفسها في الحشد للحرب مثل نابض يشتد التواؤه. دمجت استعدادات الحرب في كل جانب من جوانب الحياة المدنية تقريبًا. عمل أطفال بعيون فولاذية أمام أفران مستودع الأسلحة ونقلوا الرسائل ذهابًا وإيابًا عبر المدينة. أنتجت أمهاتهم أزياء عسكرية محاكة بدقة وبمعدل مذهل. وفي قاعة الطعام، كانت الجدات يحركن حساء "الكونجي" في قدور عملاقة بينما ينقل أحفادهن الأوعية للجنود.

مر أسبوع آخر. واستمر أمراء الحرب في الصراخ على بعضهم البعض في غرفة المجلس. لم تستطع رين تحمل الانتظار المستمر، لذا أفرغت طاقتها مع نزهة.

كانت المبارزة تمرينًا مرحبًا به. أوضحت لها المناوشة في لوسان بجلاء أنها كانت تعتمد بشكل مفرط على استدعاء النار. ردود فعلها تباطأت، وعضلاتها ضمرت، وقدرتها على التحمل كانت مثيرة للشفقة.

لذا، لمرة واحدة على الأقل كل يوم، كانت هي ونزهة يحملان أسلحتهما ويصعدان إلى مساحات خالية بعيدة أعلى المنحدرات. فقدت نفسها في الجهد البدني المحض والمجرد لنزالاتهما. حين كانا يتبارزان، لم يكن عقلها يستطيع الركون إلى أي فكرة لفترة طويلة. كانت مشغولة جداً بحساب الزوايا، ومناورة الفولاذ ضد الفولاذ. كانت فورية القتال نوعًا خاصًا من المخدر، مخدر يمكنه تخديرها تجاه أي شيء آخر قد تشعر به عرضًا.

لا يمكن لـ ألتان تعذيبي إن لم أستطع التفكير.

ضربة بضربة، وكدمة بكدمة، أعادت تعلم ذاكرة العضلات التي فقدتها، واستمتعت بذلك. هنا كان بإمكانها توجيه الأدرينالين والخوف الذي أبقاها ترتجف من القلق بشكل يومي.

تركتها الأيام القليلة الأولى محطمة ومتألمة. الأيام التالية كانت أفضل. ملأت زيها العسكري. فقدت مظهرها الهيكلي الأجوف. كان هذا هو السبب الوحيد لامتنانها لمداولات المجلس البطيئة؛ فقد منحها الوقت لتصبح الجندية التي كانت عليها سابقًا.

لم يكن نزهة شريك مبارزة متساهلاً، ولم ترده أن يكون كذلك. في المرة الأولى التي تراجع فيها خوفًا من إيذائها، اكتسحته بساقها وأسقطته أرضًا.

رفع نفسه على بطنه وقال:

— "إذا أردتِ التدحرج، كان يمكنكِ فقط أن تطلبي."

قالت:

— "لا تكن مقرفًا."

بمجرد أن توقفت عن خسارة النزالات اليدوية في أقل من ثلاثين ثانية، انتقلا إلى الأسلحة المبطنة.

قال بعد أن جردها من رمحها الثلاثي للمرة الثالثة:

— "لا أفهم لماذا تصرين على استخدام ذلك الشيء. إنه أخرق كالجحيم. أبي يخبرني باستمرار أن أجعلك تنتقلين إلى السيف."

كانت تعرف ما يريده فايسرا. وقد سئمت من تلك المجادلة.

دست قدمها تحت الرمح وركلته ليرتفع إلى يديها قائلة:

— "المدى يهم أكثر من المناورة."

هجم نزهة عليها من اليمين:

— "المدى؟"

صدت ضربته:

— "عندما تستدعي النار، لا أحد سيقترب منك."

تراجع للخلف:

— "لا أريد ذكر الواضح، لكن لا يمكنكِ فعل ذلك حقًا بعد الآن."

عبست في وجهه:

— "سأصلح الأمر."

— "لنفترض أنك لم تفعلي؟"

— "لنفترض أنك توقفت عن الاستهانة بي؟"

لم ترد إخباره بأنها كانت تحاول. وأنها كل ليلة كانت تتسلق إلى هذه الفسحة نفسها حيث لا يراها أحد، وتتناول جرعة من مسحوق تشاغان الأزرق الغبي، وتقترب من الختم، وتحاول حرق شبح ألتان من عقلها.

لم ينجح الأمر قط. لم تستطع أبدًا حمل نفسها على إيذائه، ليس تلك النسخة الرائعة من ألتان التي لم تعرفها أبدًا. عندما حاولت قتاله، كان يزداد غضبًا. ثم يذكّرها لماذا كانت ترتعد خوفًا منه دائمًا.

كان الجزء الأسوأ أن ألتان بدا وكأنه يزداد قوة في كل مرة. كانت عيناه تشتعلان بوضوح أكبر في الظلام، وضحكته ترن بصوت أعلى، وفي ليالٍ عدة كاد يخنق أنفاسها تمامًا قبل أن تستعيد وعيها. لم يكن يهم أنه مجرد رؤية. خوفها جعله أكثر حضورًا وواقعية من أي شيء آخر.

صاح نزهة:

— "انتبهي!"

وطعن جانبها، أملاً في مباغتتها، لكنها سحبت نصلها وصدت الضربة في الوقت المناسب تمامًا.

تبارزا لبضع ثوانٍ أخرى، لكن عزيمتها كانت تخبو بسرعة. فجأة بدا رمحها أثقل بمرتين بين ذراعيها؛ شعرت وكأنها تقاتل بثلث سرعتها المعتادة. كانت خطوات قدميها مهلهلة، بلا هيئة أو تقنية، وأصبحت ضرباتها عشوائية ومكشوفة بشكل متزايد.

قال نزهة وهو يبعد ضربة طائشة عن رأسه:

— "ليس أسوأ شيء.. ألستِ سعيدة؟"

تصلب جسدها:

— "لماذا قد أكون سعيدة؟"

— "أعني، ظننت فقط..." لمس يده لصدغه. "أليس من الجيد على الأقل أن تستعيدي عقلك لنفسك؟"

غرزت مقبض الرمح في الأرض بقوة:

— "أتظن أنني فقدت عقلي؟"

تراجع نزهة بسرعة:

— "لا، أعني، ظننت.. رأيت كيف كنتِ تتألمين. بدا ذلك مثل التعذيب. ظننت أنك قد تشعرين ببعض الارتياح."

قالت:

— "ليس ارتياحًا أن أكون عديمة الفائدة."

لوحت بالرمح فوق رأسها، وأدارته لتوليد قوة دفع. لم يكن عصا قتال — وكان يجب أن تكون أدرى من أن تستخدمه بتقنيات العصا — لكنها كانت غاضبة الآن، لم تكن تفكر، واستقرت عضلاتها في أنماط مألوفة لكنها خاطئة.

وبدا ذلك جلياً. كان نزهة كمن يبارز طفلاً صغيرًا. أطاح بالرمح من يديها ليدور بعيدًا في ثوانٍ.

قال:

— "أخبرتك.. لا مرونة."

انتزعت الرمح من الأرض:

— "لا يزال مداه أطول من سيفك."

— "إذن ماذا يحدث إذا اقتربت؟" لف نزهة نصله بين فجوات الرمح وأغلق المسافة بينهما. حاولت صده، لكنه كان محقًا.. كان خارج نطاق ضربات الرمح.

رفع خنجرًا إلى ذقنها بيده الأخرى. ركلت ساقه بوحشية، فهوى إلى الأرض.

قال:

— "يا لكِ من سافلة."

— "أنت تستحق ذلك."

— "تبًا لكِ." تأرجح ذهابًا وإيابًا على العشب ممسكًا بساقه. "ساعديني على النهوض."

قالت وهي تسقط الرمح وتجلس على العشب بجانبه:

— "لنأخذ استراحة."

لم تكن سعة رئتيها قد عادت لطبيعتها. كانت لا تزال تتعب بسرعة كبيرة؛ لم تستطع الصمود لأكثر من ساعتين في المبارزة، ناهيك عن يوم كامل في الميدان.

لم يتصبب نزهة عرقًا حتى.

– "أنتِ أفضل بكثير بالسيف. أرجوك قولي إنكِ تعرفين ذلك."

– "لا تعاملني بتعالٍ."

– "ذلك الشيء عديم الفائدة! إنه ثقيل جداً عليكِ! لكنني رأيتك بالسيف، و..."

– "سأعتاد عليه."

– "أعتقد فقط أنه لا ينبغي عليك اتخاذ خيارات حياة أو موت بناءً على العاطفة."

حدقت فيه بغضب:

– "ما الذي تعنيه بذلك؟"

انتزع حفنة من العشب من الأرض:

– "انسي الأمر."

– "لا، قلها."

– "حسنًا. أنتِ لن تستبدليه لأنه سلاحه، أليس كذلك؟"

التوت معدة رين:

– "هذا غباء."

– "أوه، بحقك. تتحدثين دائمًا عن ألتان وكأنه كان بطلاً عظيمًا. لكنه لم يكن كذلك. رأيته في خوردالاين، ورأيت الطريقة التي يتحدث بها إلى الناس..."

سألت بحدة:

– "وكيف كان يتحدث إلى الناس؟"

تحولت نبرته إلى الشراسة:

– "وكأنهم أشياء، وكأنه يملكهم، ولم يكونوا يعنون له شيئًا سوى كيفية خدمتهم له. كان ألتان شخصًا حقيرًا وقائدًا أكثر حقارة، وكان سيتركني أموت، وأنتِ تعرفين ذلك. وها أنتِ ذا، تركضين برمحه الثلاثي، وتهذين بالانتقام لشخص كان يجدر بكِ أن تكرهيه."

فجأة شعرت رين بثقل الرمح بشكل رهيب في يديها.

قالت وهي تسمع طنينًا خافتًا في أذنيها:

— "هذا ليس عدلاً.. إنه ميت.. لا يمكنك.. هذا ليس عدلاً."

قال نزهة بصوت خافت:

— "أعرف."

غادره الغضب بالسرعة نفسها التي جاء بها. بدا منهكًا. جلس، وأكتافه متهدلة، يمزق شفرات العشب بأصابعه بشرود.

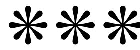
— "أنا آسف. لا أعرف لماذا قلت ذلك. أعرف كم كنتِ تهتمين لأمره."

قالت:

— "أنا لا أتحدث عن ألتان. ليس معك. ليس الآن. وليس أبدًا."

قال وهو يرمقها بنظرة لم تفهمها، نظرة قد تكون مزيجًا متساويًا من الشفقة وخيبة الأمل، وجعلتها غير مرتاحة بشكل يائس:

— "حسنًا.. حسناً."



بعد ثلاثة أيام، وصل المجلس أخيرًا إلى قرار مشترك. على الأقل، توصل فايسرا و تسولين إلى حل لا يتضمن عملاً عسكريًا فوريًا، ثم جادلا الآخرين حتى الإذعان.

أعلن فايسرا:

— "سنقوم بتجويعهم. الجنوب هو سلة الغذاء الزراعية للإمبراطورية. إذا لم تنفصل الأقاليم الشمالية، فسنبسط الأمر ونتوقف عن إطعامهم."

اعترض تاخا:

— "أنت تطلب منا تقليص صادراتنا بمقدار الثلث على الأقل."

قال فايسرا:

— "إذن ستنزفون دخلاً لمدة عام أو عامين. ثم ستقفز أسعاركم في العام التالي. الشمال ليس في وضع يسمح له بالاكتفاء الذاتي زراعيًا الآن. إذا قدمتم هذه التضحية لمرة واحدة، فمن المرجح أن تكون تلك نهاية التعريفات الجمركية أيضًا. المتسولون لا يملكون أوراق ضغط."

سأل شاروك:

— "ماذا عن الطرق الساحلية؟"

اضطرت رين للاعتراف بأن تلك نقطة وجيهة. لم يكن نهر موروي الغربي ونهر غولين النهرين الوحيدين اللذين يعبران إلى الأقاليم الشمالية. يمكن لتلك الأقاليم تهريب الطعام بسهولة عبر الساحل بإرسال تجار متخفين كجنوبيين لشراء مخازن الطعام. كان لديهم من الفضة ما يكفي ويزيد.

قال فايسرا:

— "ستتولى مواغ أمرهم."

بدا شاروك مذهولاً:

— "أنت تثق بملكة القراصنة؟"

— "الأمر في مصلحتها. مقابل كل سفينة تخرق الحصار وتستولي عليها، يحصل أسطولها على سبعين بالمائة من الأرباح. ستكون حمقاء لو خانتنا."

أشار غوروباي:

— "لكن الشمال لديه إمدادات حبوب أخرى. إقليم الأرنب لديه أراضٍ صالحة للزراعة، على سبيل المثال..."

قال جينزا بزهو:

— "لا، ليس لديهم. العام الماضي عانى إقليم الأرنب من آفة زراعية ونفدت حبوب البذار لديهم. بعناهم عدة صناديق من البذور عالية الإنتاجية."

قال تسولين:

— "أذكر ذلك. إذا كنتم تحاولون كسب الود، فلم ينجح الأمر."

ابتسم جينزا بخبث:

— "لم نكن كذلك. بعناهم بذورًا تالفة، مما خدعهم ودفعهم لاستهلاك مخازن الطوارئ لديهم. إذا قطعنا إمداداتهم الخارجية، فمن المفترض أن تضرب المجاعة في غضون ستة أشهر."

لأول مرة، بدا أمراء الحرب معجبين. رأت رين إيماءات مترددة حول الطاولة.

وحده كيتاي بدا غير سعيد.

ردد كيتاي:

– "ستة أشهر؟ ظننت أننا نحاول التحرك خلال الشهر المقبل."

قال جينزا:

– "لن يشعروا بالحصار بحلول ذلك الوقت."

– "لا يهم! التهديد بالحصار هو ما يهم، لا تحتاجون لأن يتضوروا جوعًا بالفعل..."

سأل جينزا:

– "ولماذا لا؟"

بدا كيتاي مرعوبًا:

– "لأنكم حينها ستعاقبون آلاف الأبرياء. ولأن هذا ليس ما أخبرتني به عندما طلبت مني إجراء الحسابات..."

قال جينزا:

– "لا يهم ما قيل لك. اعرف مكانك."

واصل كيتاي الحديث:

– "لماذا نجوعهم ببطء؟ لماذا ننتظر أصلاً؟ إذا قمنا بشن هجوم الآن، يمكننا إنهاء هذه الحرب قبل حلول الشتاء. أي تأخير وسنحاصر في الشمال عندما تتجمد الأنهار."

ضحك الجنرال هو:

– "الصبي يتجرأ ويزعم معرفة كيفية خوض حملة عسكرية أفضل منا."

بدا كيتاي شديد الغضب:

– "لقد قرأت سون تزو بالفعل، لذا نعم."

– "لست طالب سينغارد الوحيد على الطاولة."

– "بالتأكيد، لكني دخلتها في عصر كان القبول فيه يتطلب عقلاً بالفعل، لذا رأيك لا يُحسب."

صرخ الجنرال هو:

— "فايسرا! أدّب هذا الصبي!"

قلد كيتاي ساخرًا:

— "أدّب هذا الصبي.. أسكت الشخص الوحيد الذي لديه استراتيجية قابلة للتطبيق، لأن غروري لا يتحمل النقد."

قال فايسرا:

— "كفى. لقد تجاوزت حدودك."

رد كيتاي:

— "هذه الخطة هي التي تجاوزت الحدود."

قال فايسرا:

— "أنت مصروف. ابقَ بعيدًا عن الأنظار حتى يتم استدعاؤك."

للحظة وجيزة ومرعبة، ظنت رين أن كيتاي قد يبدأ في السخرية من فايسرا أيضًا، لكنه ألقى أوراقه على الطاولة، موقعًا محابر الحبر، واندفع نحو الباب.

***

قال نزهة:

— "استمر في نوبات الغضب هذه ولن يسمح لك أبي بحضور مجالسه بعد الآن."

كان هو ورين قد تبعا كيتاي للخارج، وهو ما اعتبرته رين خطوة خطيرة نوعًا ما من جانب نزهة، لكن كيتاي كان غاضبًا جدًا لدرجة أنه لم يمتن لهذه اللفتة.

صرخ كيتاي:

— "وأنت استمر في تجاهلي ولن يكون لدينا قصر لعقد المجالس فيه. حصار؟ حصار لعين؟"

قال نزهة:

— "إنه خيارنا الأفضل حاليًا. ليس لدينا القدرة العسكرية للإبحار شمالاً بمفردنا، لكن يمكننا فقط انتظار استسلامهم."

صاح كيتاي:

— "لكن ذلك قد يستغرق سنوات! وماذا يحدث في هذه الأثناء؟ تتركون الناس يموتون ببساطة؟"

— "يجب أن تكون التهديدات ذات مصداقية لتنجح."

رمقه كيتاي بنظرة ازدراء:

— "جرب أنت التعامل مع دولة تعاني من أزمة مجاعة إذن. لا توحد بلداً بتجويع الأبرياء حتى الموت."

— "لن يتضوروا جوعًا..."

— "لا؟ هل سيأكلون لحاء الخشب؟ الأوراق؟ روث البقر؟ يمكنني التفكير في مليون استراتيجية أفضل من القتل."

صرخ نزهة بحدة:

— "جرب أن تكون دبلوماسيًا إذن. لا يمكنك عدم احترام الحرس القديم."

— "ولماذا لا؟ الحرس القديم ليس لديه أدنى فكرة عما يفعله! حصلوا على مناصبهم لأنهم جيدون في المناورات الفئوية! تخرجوا من سينغارد، بالتأكيد، لكن ذلك كان عندما كان المنهج الدراسي بأكمله مجرد تدريب أساسي للطوارئ. ليس لديهم أساس شامل في العلوم العسكرية أو التكنولوجيا، ولم يكلفوا أنفسهم عناء التعلم، لأنهم يعرفون أنهم لن يفقدوا وظائفهم أبدًا!"

قال نزهة بجفاف:

— "أعتقد أنك تقلل من شأن بعض الرجال المؤهلين تمامًا."

قال كيتاي:

— "لا، والدك في مأزق مزدوج. لا، انتظر، فهمت الأمر، هذا هو السبب.. الرجال الذين يمكنه الوثوق بهم ليسوا أكفاء، لكن الرجال الأكفاء، يجب عليه إبقاؤهم تحت مقود مشدود، لأنهم قد يحسبون خطواتهم للانشقاق."

— "إذن ماذا، هو يثق بك بدلاً منهم؟"

— "أنا الوحيد الذي يعرف ما يفعله."

– "وأنت انضممت إلينا بالأمس تقريبًا، فهل يمكنك ألا تتصرف بذهول لأن والدي يثق بك أقل من الرجال الذين خدموه لعقود؟"

انصرف كيتاي غاضبًا، متمتمًا تحت أنفاسه. شكت رين في أنهم لن يروه يخرج من المكتبة لأيام.

تذمر نزهة بمجرد أن أصبح كيتاي خارج مدى السمع:

– "وغد."

قالت رين:

– "لا تنظر إليّ. أنا في صفه."

لم تكن تهتم كثيرًا بالحصار. إذا كانت الأقاليم الشمالية تصمد، فالتجويع جزاء عادل لهم. لكنها لم تستطع تحمل فكرة أنهم على وشك ركل عش دبابير – لأن استراتيجيتهم الوحيدة حينها ستكون الانتظار، والاختباء، والأمل ألا تلدغ الدبابير أولاً.

لم تستطع تحمل عدم اليقين. أرادت أن تكون في وضع الهجوم.

أصر نزهة، رغم أنه بدا وكأنه يحاول إقناع نفسه:

– "لن يموت أبرياء. سيستسلمون قبل أن يسوء الوضع لتلك الدرجة. سيضطرون لذلك."

سألت:

– "وإذا لم يفعلوا؟ حينها نهاجم؟"

قال نزهة:

– "نهاجم، أو يتضورون جوعًا. فوز في الحالتين."

***

تحولت العمليات العسكرية في أرلونغ نحو الداخل. توقف الجيش عن إعداد السفن للإبحار وركز على بناء هياكل دفاعية لجعل أرلونغ منيعة تمامًا ضد غزو الميليشيا.

بدت الحرب الدفاعية مرجحة أكثر فأكثر. إذا لم تشن الجمهورية هجومها الشمالي الآن، فسيبقون عالقين في ديارهم حتى الربيع القادم. كانوا قد تجاوزوا

منتصف الخريف، وتذكرت رين كم كان شتاء سينغارد قاسيًا وشرسًا. ومع ازدياد برودة الأيام، سيصبح من الصعب غلي الماء وإعداد الطعام الساخن. سينتشر المرض وقضمات الصقيع بسرعة في المعسكرات. وسيكون الجنود في حالة بائسة.

لكن الجنوب سيظل دافئًا، مضيافًا، وناضجًا للقطاف. كلما انتظروا أطول، زاد احتمال إبحار الميليشيا عبر النهر نحو أرلونغ.

لم ترد رين خوض معركة دفاعية. اتفقت كل الأطروحات العسكرية العظيمة في الاستراتيجية على أن المعارك الدفاعية كابوس. وأرلونغ، على منعتها، ستتلقى ضربات موجعة من القوات المشتركة للشمال. بالتأكيد فايسرا يعلم ذلك أيضًا؛ كان أكفأ من أن يعتقد خلاف ذلك. لكن في اجتماع تلو الآخر، وبخ كيتاي لتحدثه، واسترضى أمراء الحرب، ولم يفعل شيئًا يقترب من تحريض التحالف على العمل.

بدأت رين تفكر أن حتى العمل المستقل من قبل إقليم التنين سيكون أفضل من لا شيء. لكن الأوامر لم تأتِ.

قال نزهة، مرارًا وتكرارًا:

— "يد أبي مكبلة."

بقي كيتاي محتجزًا في المكتبة، يرسم خطط حرب لن تُستخدم أبدًا بإحباط متزايد.

هاج في وجه نزهة:

— "كنت أعلم أن الانضمام إليكم سيكون خيانة. لم أظن أنه سيكون انتحارًا."

قال نزهة:

— "سيقتنع أمراء الحرب."

— "فرصة ضئيلة. شاروك خنزير كسول يريد الاختباء خلف السيوف الجمهورية، وتاخا ليس لديه الشجاعة لفعل أي شيء سوى الاختباء خلف

شاروك، وغوروباي قد يكون الأذكى في المجموعة، لكنه لن يخاطر برقبته إذا لم يفعل الاثنان الآخران ذلك."

لا بد من وجود شيء آخر، فكرت رين. شيء لا نعرف عنه. لم تكن هناك طريقة تجعل فايسرا يجلس مكتوف الأيدي ويترك الشتاء يأتي دون أخذ زمام المبادرة. ما الذي كان ينتظره؟

لعدم وجود خيارات أفضل، وضعت ثقتها العمياء في فايسرا. تحملت الأمر حين سألها رجالها عن التأخير. وأغلقت أذنيها عن الشائعات القائلة بأن فايسرا يفكر في اتفاقية سلام مع الإمبراطورة. أدركت أنها لا تستطيع التأثير في السياسة، فصبت تركيزها على الأشياء الوحيدة التي يمكنها السيطرة عليها.

خاضت المزيد من جولات المبارزة مع نزهة. وتوقفت عن استخدام رمحها الثلاثي كعصا. أصبحت مألوفة لدى جنرالات وملازمي الجيش الجمهوري. وبذلت قصارى جهدها لدمج فرقة "السيك" في النظام البيئي العسكري لإقليم التنين، رغم تذمر كل من باجي و رامسا من الحظر الصارم للكحول. تعلمت رموز القيادة للجيش الجمهوري، وقنوات الاتصال، وتشكيلات الهجوم البرمائي. أعدت نفسها للحرب، متى ما جاءت.

حتى جاء اليوم الذي دوت فيه الأجراس بشكل محموم عبر الميناء، وركض الرسل صعودًا على الأرصفة، واشتعلت أرلونغ كلها بخبر السفن التي تبحر إلى إقليم التنين. سفن بيضاء عظيمة قادمة من الغرب.

حينها فهمت رين سبب المماطلة.

لم يكن فايسرا يتراجع عن الحملة الشمالية في نهاية المطاف.

لقد كان ينتظر الدعم.

الفصل الثالث عشر

شقت رين طريقها بصعوبة وسط الحشود خلف نزهة، الذي لم يتوانَ عن استخدام مرفقيه بحرية ليشق لهما مسارًا نحو مقدمة الميناء. كان الرصيف يغص بمدنيين وجنود يملؤهم الفضول، يتدافعون جميعًا للحصول على نظرة جيدة للسفينة الهسبيرية. لكن لم يكن أحد ينظر ناحية الميناء المائي؛ بل كانت الرؤوس كلها مشرئبة نحو السماء.

ثلاث مركبات بحجم الحيتان تمخر عباب السحب بالأعلى. كانت كل واحدة منها تحمل سلة مستطيلة طويلة مربوطة بأسفل بطنها، ترفرف على جوانبها أعلام سماوية اللون. رمشت رين عدة مرات وهي تحدق بذهول.

كيف يمكن لهياكل بهذه الضخامة أن تبقى معلقة في الهواء؟

بدت تلك المركبات عبثية ومنافية للطبيعة تمامًا، وكأن إلهًا ما يحركها عبر السماء بمشيئته. لكن ذلك لا يمكن أن يكون من عمل الآلهة؛ فالهسبيريون لا يؤمنون بالبانثيون.

هل كان هذا عمل صانعهم؟ جعلها هذا الاحتمال ترتعد. لطالما تعلمت أن "الصانع المقدس" للهسبيريين مجرد بدعة، خيال اختُلق للسيطرة على شعب قلق. الإله الواحد، المتجسد، الكلي القدرة الذي يؤمن به الهسبيريون، لا يمكنه تفسير تعقيدات الكون. لكن إذا كان الصانع حقيقيًا، فذلك يعني أن كل ما عرفته عن الآلهة الأربعة والستين، وعن البانثيون، كان خاطئًا.

ماذا لو لم تكن آلهتها هي الوحيدة في الكون؟ ماذا لو كانت هناك قوة عليا موجودة بالفعل، قوة لا يملك الوصول إليها سوى الهسبيريين؟ هل لهذا السبب هم أكثر تقدمًا بشكل لا نهائي؟

امتلأت السماء بصوت يشبه طنين مليون نحلة، تضاعف مائة مرة مع اقتراب المركبات الطائرة.

رأت رين أشخاصًا يقفون عند حواف السلال المعلقة. بدوا من الأرض وكأنهم دمى صغيرة. بدأت الحيتان الطائرة تقترب من الميناء لتهبط، وتكبر وتكبر في السماء حتى ابتلعت ظلالها كل من وقف تحتها. لوح الناس داخل السلال بأذرعهم فوق رؤوسهم. كانت أفواههم مفتوحة على مصراعيها، يصرخون بشيء ما، لكن لم يستطع أحد سماعهم وسط الضجيج.

سحب نزهة رين للخلف من معصمها.

صرخ في أذنها:

— "تراجعي!"

سادت فترة وجيزة من الفوضى بينما كان حرس المدينة يدفعون الحشود بعيدًا عن منطقة الهبوط. واحدة تلو الأخرى، ارتطمت المركبات الطائرة بالأرض. اهتز الميناء بأكمله من قوة الارتطام.

وأخيرًا، تلاشى صوت الطنين. انكمشت الحيتان المعدنية وتهادلت على جوانبها وهي تفرغ هواءها فوق السلال. ساد الصمت.

راقبت رين، منتظرة.

قال نزهة:

— "لا تدعي عينيك تخرج من رأسك.. إنهم مجرد أجانب."

— "مجرد أجانب بالنسبة لك. أما لي فهم مخلوقات عجيبة."

— "ألم يكن لديكم مبشرون في إقليم الديك؟"

— "فقط على السواحل."

كان المبشرون الهسبيريون قد حُظروا من الإمبراطورية بعد حرب الخشخاش الثانية. تجرأ العديد منهم على مواصلة زيارة المدن الواقعة على أطراف سيطرة سينغارد، لكن معظمهم حافظوا على مسافة بينهم وبين المناطق الريفية مثل تيكاني.

— "كل ما سمعته عنهم هو مجرد قصص."

— "مثل ماذا؟"

— "الهسبيريون عمالقة. يغطيهم فراء أحمر. يغلون الرضع ويأكلونهم في الحساء."

— "تعلمين أن ذلك لم يحدث قط، أليس كذلك؟"

— "إنهم مقتنعون بذلك تمامًا في المكان الذي جئت منه."

قهقه نزهة:

— "لندع الماضي للماضي. إنهم قادمون الآن كأصدقاء."

كان للإمبراطورية تاريخ مضطرب مع جمهورية هسبيريا. خلال حرب الخشخاش الأولى، قدم الهسبيريون مساعدات عسكرية واقتصادية لاتحاد موغين. وبمجرد أن محا الموغينيون أي فكرة عن السيادة النيكارية، ملأ الهسبيريون المناطق الساحلية بالمبشرين والمدارس الدينية، عازمين على محو الديانات الخرافية المحلية.

لفترة قصيرة، حظر المبشرون الهسبيريون حتى زيارة المعابد. وإذا كانت أي طوائف شامانية لا تزال موجودة بعد حرب الإمبراطور الأحمر على الدين، فقد دفعهم الهسبيريون للعمل بسرية أعمق تحت الأرض.

خلال حرب الخشخاش الثانية، أصبح الهسبيريون المحررين. ارتكب الاتحاد فظائع كثيرة جداً لم يستطع الهسبيريون — الذين زعموا دائمًا أن احتلالهم يفيد السكان الأصليين — التظاهر بأن الحياد موقف يمكن الدفاع عنه أخلاقيًا. بعد احتراق سبير، أرسل الهسبيريون أساطيلهم إلى بحر "نارين"، وانضموا لقوات "الترايفيكتا"، ودفعوا الاتحاد طوال الطريق عائدين إلى جزيرة القوس الطويل، ونسقوا اتفاقية سلام مع إمبراطورية نيكارا التي أعيد تشكيلها حديثًا في سينغارد.

ثم استولت الترايفيكتا على السلطة الديكتاتورية في البلاد وطردت الأجانب بالسفن. ومن تبقى من الهسبيريين كانوا مهربين ومبشرين، يختبئون في

موانئ دولية مثل أنخيلون و خوردالاين، يعظون بكلمتهم لأي شخص يكلف نفسه عناء الاستماع إليهم.

عندما بدأت حرب الخشخاش الثالثة، أبحر هؤلاء الهسبيريون الأخيرون على سفن الإنقاذ بسرعة كبيرة لدرجة أنه بحلول الوقت الذي وصلت فيه فرقة رين إلى خوردالاين، بدا وكأنهم لم يكونوا هناك قط. ومع تقدم الحرب، كان الهسبيريون متفرجين عن عمد، يراقبون بتعالٍ من عبر البحر العظيم بينما يحترق المواطنون النيكاريون في منازلهم.

قالت رين بتهكم:

— "كان بإمكانهم المجيء أبكر قليلاً."

قال نزهة:

— "كانت هناك حرب تنهش القارة الغربية بأكملها طوال العقدين الماضيين.. لقد كانوا مشتتين قليلاً."

كان هذا خبرًا جديداً لها. حتى الآن، كانت أخبار القارة الغربية غير ذات صلة بها تمامًا وكأنها غير موجودة.

— "هل انتصروا؟"

— "يمكنكِ قول ذلك. الملايين ماتوا. وملايين آخرون بلا مأوى أو وطن. لكن دول التحالف خرجت في السلطة، لذا يعتبرون ذلك نصرًا. رغم أنني لا..."

أمسكت رين بذراعه:

— "إنهم يخرجون."

فُتحت أبواب على جوانب كل سلة. وواحدًا تلو الآخر، خرج الهسبيريون إلى الرصيف.

ارتدت رين للخلف عند رؤيتهم.

كانت بشرتهم شاحبة بشكل مريع، ليست درجة البياض الخزفي الخالي من العيوب التي يقدرها السينغارد، بل أشبه بلون سمكة أُخرجت أحشاؤها للتو. وبدا شعرهم بألوان خاطئة تمامًا؛ ظلال صارخة من النحاسي، والذهبي،

والبرونزي، لا تشبه سواد الشعر النيكاري الغني في شيء. كل شيء فيهم — ألوانهم، ملامحهم، نسبهم — بدا ببساطة "غير صحيح".

لم يبدوا كبشر؛ بدوا كأشياء خرجت من قصص الرعب. ربما كانوا وحوشًا ممسوسة بشياطين استُحضرت ليقاتلها الأبطال الشعبيون النيكاريون. ورغم أن رين كانت أكبر من أن تصدق الحكايات الخرافية، إلا أن كل شيء في هؤلاء المخلوقات ذوي العيون الفاتحة جعلها ترغب في الركض.

سأل نزهة:

— "كيف هي لغتك الهسبيرية؟"

اعترفت قائلة:

— "صدئة.. أكره تلك اللغة."

أُجبروا جميعًا على دراسة عدة سنوات من الهسبيرية الدبلوماسية في سينغارد. كانت قواعد النطق عشوائية في أحسن الأحوال، ونظامها النحوي مليئًا بالاستثناءات لدرجة أنه قد لا يكون موجودًا أصلاً. لم ينتبه أي من زملاء رين كثيرًا لدروس القواعد الهسبيرية. افترضوا جميعًا أنه بما أن الاتحاد هو التهديد الأساسي، فإن لغة الـ "موغيني" كانت أهم للتعلم.

افترضت رين أن الأمور ستكون مختلفة جدًا الآن.

خرج طابور من البحارة الهسبيريين، متطابقين في شعرهم المقصوص وقصات زيهم الرمادي الداكن، من السلال وشكلوا صفين منتظمين أمام الحشد. عدت رين عشرين منهم.

تفحصت وجوههم لكنها لم تستطع تمييز واحد عن الآخر. بدا أنهم جميعًا يمتلكون العيون الفاتحة ذاتها، والأنوف العريضة، والفكوك القوية. كانوا جميعًا رجالاً، وكل واحد منهم يحمل سلاحًا غريب المظهر عبر صدره. لم تستطع رين تحديد الغرض من السلاح. بدا كسلسلة من الأنابيب بأطوال مختلفة، متصلة معًا قرب الخلف بشيء يشبه المقبض.

خرج جندي أخير من باب السلة. افترضت رين أنه جنرالهم من زيه، الذي حمل شرائط متعددة الألوان على صدره الأيسر حيث كانت صدور الآخرين فارغة. أدركت رين فورًا أنه خطير. كان يقف أطول بنصف رأس على الأقل من فايسرا، ويمتلك صدرًا بعرض صدر باجي، وكان وجهه الذي لوحته الشمس مجعدًا وذكيًا.

خلف الجنرال مشى صف من الهسبيريين المقنعين يرتدون أثوابًا رمادية فضفاضة.

سألت رين نزهة:

– "من هؤلاء؟" لم يمكنهم أن يكونوا جنودًا؛ لم يرتدوا دروعًا ولم يحملوا أسلحة.

قال:

– "الطائفة الرمادية. ممثلون عن كنيسة المهندس المعماري الإلهي."

– "هل هم مبشرون؟"

– "مبشرون يستطيعون التحدث باسم الكنيسة المركزية. إنهم مدربون ومتعلمون تدريبًا عاليًا. فكري فيهم كخريجين من أكاديمية سينغارد للدين."

– "ماذا، هل ذهبوا إلى مدرسة كهنة؟"

– "نوعًا ما. إنهم علماء أيضًا. في دينهم، العلماء والكهنة هم الشيء نفسه."

كانت رين على وشك السؤال عما يعنيه ذلك عندما خرجت شخصية أخيرة من السلة المركزية. كانت امرأة، نحيلة وصغيرة البنية، ترتدي معطفًا أسود بأزرار وياقة عالية تغطي عنقها. بدت صارمة، وغريبة، وأنيقة في آن واحد. لم يكن زيها نيكاريًا بالتأكيد، لكن وجهها لم يكن هسبيريًا. بدت مألوفة بشكل غريب.

أطلق باجي صفيرًا خلف رين وقال:

– "مرحبًا.. من تلك؟"

قال نزهة:

– "إنها السيدة يين سايخارا."

سأل باجي:

— "هل هي متزوجة؟"

رمقه نزهة بنظرة اشمئزاز:

— "تلك أمي."

لهذا السبب عرفت رين وجه المرأة. كانت قد التقت بسيدة إقليم التنين مرة، قبل سنوات، في يومها الأول في سينغارد. ظنت السيدة سايخارا أن الوصي على رين، المعلم فيريك، مجرد حمال، وصرفت رين تمامًا باعتبارها حثالة جنوبية.

ربما فعلت السنوات الأربع الماضية العجائب بموقف السيدة سايخارا، لكن رين كانت تميل بشدة لكرهها.

توقفت السيدة سايخارا أمام الحشد، تجول عيناها في الميناء وكأنها تمسح مملكتها. استقر بصرها على رين. ضيقت عينيها — في لحظة تعرف، كما ظنت رين؛ ربما تذكرت سايخارا رين أيضًا — لكنها بعد ذلك أمسكت بذراع الجنرال الهسبيري وأشارت بإصبعها، ووجهها مشوه بما بدا كأنه الخوف.

أومأ الجنرال وأصدر أمرًا. وفي الحال، وجه جميع الجنود الهسبيريين العشرين أسلحتهم الأنبوبية نحو رين.

ساد الصمت فوق الحشد بينما تراجع المدنيون بسرعة للخلف.

شقت عدة فرقعات الهواء. ارتمت رين على الأرض بدافع الغريزة. نقطت ثمانية ثقوب التراب أمامها. نظرت للأعلى.

فاحت رائحة البارود في الهواء. وانبعثت خيوط دخان رمادية من فوهات الأنابيب.

تمتم نزهة تحت أنفاسه:

— "أوه، تباً."

صرخ الجنرال بشيء لم تستطع رين فهمه، لكنها لم تكن بحاجة لترجمة ما قاله. لم تكن هناك طريقة لتفسير هذا إلا كتهديد.

كان لديها استجابتان تلقائيتان للتهديدات. ولم تستطع الهرب، ليس في هذا الزحام، لذا كان خيارها الوحيد هو القتال.

ركض اثنان من الجنود الهسبيريين نحوها. ضربت برمحها الثلاثي قصبة ساق أقربهما بقوة. انثنى جسده، للحظة فقط. غرزت مرفقها في جانب رأسه، وأمسكت به من كتفيه، واندفعت للأمام، مستخدمة إياه كدرع بشري لردع المزيد من إطلاق النار.

نجح الأمر حتى سقط شيء فوق كتفي رين. شبكة صيد. تلوت محاولة التملص، لكنها زادت إحكامًا حول ذراعيها. ومن كان يمسك بها جذبها بقوة، مفقدًا إياها توازنها.

لاح الجنرال الهسبيري فوقها، وسلاحه موجه مباشرة لأسفل نحو وجهها. نظرت رين داخل الفوهة. كانت رائحة مسحوق النار قوية لدرجة أنها كادت تختنق بها.

صرخت:

– "فايسرا! المساعدة..."

تدفق الجنود حولها. ثبتت أذرع قوية ذراعيها فوق رأسها؛ وأمسك آخرون بكاحليها، جاعلين حركتها مستحيلة. سمعت رنين الفولاذ بجوار رأسها. التفتت ورأت صينية خشبية على الأرض بجانبها، وضع عليها تشكيلة واسعة من الأدوات الرفيعة التي بدت كأدوات تعذيب.

رأت أدوات كهذه من قبل.

سحب شخص رأسها للخلف وفتح فمها عنوة. ركعت إحدى أفراد الطائفة الرمادية، امرأة ذات بشرة كالمرمر، فوقها. ضغطت بشيء صلب ومعدني ضد لسان رين.

عضت رين أصابعها.

سحبت المرأة يدها بسرعة.

قاومت رين بقوة أكبر. وبأعجوبة، ارتخت القبضات على كتفيها. تلوت وضربت الصينية، مبعثرة الأدوات عبر الأرض. للحظة واحدة يائسة، ظنت أنها قد تفلت.

ثم ضرب الجنرال مؤخرة سلاحه برأسها، وانفجرت رؤية رين إلى نجوم انطفأت إلى العدم.

***

قال نزهة:

— "أوه، جيد.. أنتِ مستيقظة."

وجدت رين نفسها ممددة على أرضية حجرية. نهضت مسرعة على قدميها. كانت غير مقيدة. جيد. قفزت يدها لسلاح لم يكن موجودًا، وحين لم تجد رمحها كورت يديها في قبضتين.

— "ماذا..."

أمسكها نزهة من كتفيها:

— "كان ذلك سوء تفاهم. أنتِ في أمان، نحن وحدنا. ما حدث في الخارج كان خطأ."

— "خطأ؟"

— "ظنوا أنكِ تهديد. والدتي أخبرتهم أن يهاجموا بمجرد وصولهم لليابسة."

نبضت جبهة رين بالألم. لمست بأصابعها مكانًا عرفت أن كدمة ضخمة تتشكل فيه.

— "والدتك حقاً سافلة إذن."

— "غالبًا ما تكون كذلك، نعم. لكنكِ لستِ في خطر. أبي يهدئهم."

— "وإذا لم يستطع؟"

— "سيفعل. إنهم ليسوا حمقى." أمسك نزهة يدها. "هل ستتوقفين عن فعل ذلك؟"

كانت رين قد بدأت في المشي جيئة وذهابًا في الغرفة الصغيرة كحيوان محبوس، أسنانها تصطك، وتفرك يديها بتوتر صعودًا وهبوطًا على ذراعيها. لكنها لم تستطع الوقوف ساكنة؛ كان عقلها يتسابق في ذعر، وإذا توقفت عن الحركة ستبدأ في الارتجاف بشكل لا يمكن السيطرة عليه.

سألت بحدة:

— "لماذا يظنون أنني تهديد؟"

توقف نزهة قليلاً:

— "الأمر، آه، معقد قليلاً.. أعتقد أن أبسط طريقة لقول ذلك هي أنهم يريدون دراستك."

— "دراسة؟"

— "يعرفون ما فعلتِه لجزيرة القوس الطويل. يعرفون ما يمكنك فعله، وبصفتهم أقوى دولة على وجه الأرض بالطبع سيحققون في الأمر. شروط معاهدتهم المقترحة، على ما أعتقد، كانت أن يتمكنوا من فحصك مقابل المساعدة العسكرية. وضعت أمي في رؤوسهم فكرة أنك لن تأتي بهدوء."

— "إذن ماذا، فايسرا يبيعني مقابل مساعدتهم؟"

— "الأمر ليس كذلك. والدتي..."

استمر نزهة في التحدث، لكن رين لم تكن تستمع. تفحصته وهي تفكر.

كان عليها الخروج من هنا. كان عليها حشد "السيك" وإخراجهم من أرلونغ. كان نزهة أطول وأثقل وأقوى منها، لكنها لا تزال تستطيع التغلب عليه.. ستستهدف عينيه وندوبه، تغرز أظافرها في جلده وتضرب خصيتيه بركبتها مرارًا حتى يسقط دفاعه.

لكنها قد تظل محاصرة. يمكن قفل الأبواب من الخارج. وإذا كسرت الباب، قد يكون هناك — لا، بالتأكيد هناك حراس في الخارج. ماذا عن النافذة؟ استطاعت القول بنظرة سريعة إنهم في الطابق الثاني، وربما الثالث، لكن ربما يمكنها التسلق للأسفل بطريقة ما، إذا تمكنت من إفقاد نزهة وعيه. احتاجت فقط لسلاح.. أرجل الكرسي قد تفي بالغرض، أو شظية من الخزف.

اندفعت نحو مزهرية الزهور.

– "لا تفعلي."

انطلقت يد نزهة وأمسكت بمعصمها. كافحت للإفلات. لوى ذراعها بألم خلف ظهرها، وأجبرها على الركوع، وضغط ركبته أسفل ظهرها.

– "هيا يا رين.. لا تكوني غبية."

لهثت قائلة:

– "لا تفعل هذا.. نزهة، أرجوك، لا أستطيع البقاء هنا..."

– "غير مسموح لكِ بمغادرة الغرفة."

– "إذن أنا سجينة الآن؟"

– "رين، أرجوك..."

– "دعني أذهب!"

حاولت الإفلات. فشد قبضته.

– "أنت لست في أي خطر."

– "إذن دعني أذهب!"

– "ستخرجين المفاوضات التي استمرت لسنوات عن مسارها..."

صرخت:

– "مفاوضات؟ تظن أنني أهتم بالمفاوضات اللعينة؟ إنهم يريدون تشريحي!"

– "وأبي لن يسمح بحدوث ذلك! تظنين أنه على وشك التخلي عنك؟ تظنين أنني سأسمح بحدوث ذلك؟ سأموت قبل أن أدع أي شخص يؤذيك، رين، اهدئي..."

لم يفعل ذلك شيئًا لتهدئتها. كل ثانية بقيت فيها ساكنة شعرت وكأن ملزمة تضيق حول عنقها.

قال نزهة:

— "تخطط عائلتي لهذه الحرب منذ أكثر من عقد. كانت والدتي تسعى لهذه المهمة الدبلوماسية لسنوات. تعلمت في هسبيريا؛ ولديها روابط قوية مع الغرب. بمجرد انتهاء الحرب الثالثة، أرسلها أبي عبر البحار لترسيخ الدعم العسكري الهسبيري."

نبحت رين ضحكة:

— "حسنًا، لقد أبرمت صفقة قذرة إذن."

— "لن نقبلها. الهسبيريون طماعون ومراوغون. يريدون موارد لا تستطيع تقديمها سوى الإمبراطورية. يمكن لأبي إقناعهم بالتراجع. لكن يجب ألا نغضبهم. نحن بحاجة لأسلحتهم."

ترك نزهة ذراعيها عندما اتضح أنها توقفت عن المقاومة.

— "كنتِ في المجالس. لن نكسب هذه الحرب بدونهم."

التفتت رين لتواجهه:

— "تريدون أيًا كان ما تفعله تلك الأشياء الأنبوبية."

— "تسمى اركيبوس. إنها مثل مدافع يدوية، إلا أنها أخف من الأقواس المستعرضة، ويمكنها اختراق الألواح الخشبية، وتطلق لمسافات أطول."

— "أوه، أنا متأكدة أن فايسرا يريد صناديق وصناديق منها."

منحها نظرة صريحة:

— "نحتاج لأي شيء يمكن أن تقع عليه أيدينا."

قالت:

— "لكن لنفترض أنكم كسبتم هذه الحرب، ولم يرغب الهسبيريون في المغادرة. لنفترض أنها حرب الخشخاش الأولى تعيد نفسها."

قال باستخفاف:

— "ليس لديهم اهتمام بالبقاء. لقد انتهوا من ذلك الآن. وجدوا مستعمراتهم التي احتلوها أصعب من أن يتم الدفاع عنها، والحرب أضعفتهم كثيرًا لدرجة لا تسمح بتخصيص نوع الموارد الأرضية التي كانوا يستطيعون

تقديمها سابقًا. كل ما يريدونه هو حقوق التجارة والإذن بنشر المبشرين أينما أرادوا. في نهاية هذه الحرب سنجعلهم يغادرون شواطئنا بسرعة كافية."

— "وإذا لم يريدوا الذهاب؟"

قال نزهة:

— "أتوقع أننا سنجد طريقة. تمامًا كما فعلنا من قبل. لكن في الوقت الحالي، سيختار أبي أهون الشرين. وكذلك يجب عليكِ."

فُتحت الأبواب. ودخل القبطان إريدين.

قال:

— "إنهم مستعدون لكِ."

رددت رين:

— "هم؟"

— "أمير حرب التنين يستضيف الموفدين الهسبيريين في القاعة الكبرى. يودون التحدث إليكِ."

قالت رين:

— "لا."

قال نزهة:

— "ستكونين بخير. فقط لا تفعلي أي شيء غبي."

قالت:

— "لدينا أفكار مختلفة جدًا عما يُعرّف الغباء."

أشار إريدين بيده:

— "يفضل أمير حرب التنين ألا يُترك منتظرًا."

تقدم اثنان من حراسه وأمسكا رين من ذراعيها. تمكنت من إلقاء نظرة أخيرة مذعورة فوق كتفها على نزهة قبل أن يقتادوها خارج الباب.

***

أودع الحراس رين في الممر القصير المؤدي إلى القاعة الكبرى للقصر وأغلقوا الأبواب خلفها.

خطت بتردد للأمام. رأت الهسبيريين جالسين على كراسي مذهبة حول الطاولة المركزية. جلس جينزا على يمين والده. بينما نُفي أمراء الحرب الجنوبيون إلى الطرف البعيد من الطاولة، وبدوا مرتبكين وغير مرتاحين.

أدركت رين أنها دخلت في منتصف جدال محتدم. توتر كثيف طقطق في الهواء، وبدت جميع الأطراف محتقنة، حمراء الوجوه، وغاضبة، وكأنهم على وشك الاشتباك بالأيدي.

تراجعت في الممر للحظة، محجوبة بزاوية الجدار، واستمعت.

كان الجنرال الهسبيري يقول:

— "التحالف لا يزال يتعافى من حربه الخاصة."

واجهت رين صعوبة في فهم حديثه في البداية، لكن اللغة عادت إليها تدريجيًا. شعرت كطالبة مرة أخرى، تجلس في مؤخرة فصل جيما، تحفظ أزمنة الأفعال.

— "لسنا في مزاج للتكهنات."

قال فايسرا بإلحاح، متحدثًا الهسبيرية وكأنها لغته الأم:

— "هذا ليس تكهنًا. يمكننا استعادة هذا البلد في أيام، إذا فقط..."

قال الجنرال:

— "إذن افعلوا ذلك بأنفسكم. نحن هنا للقيام بأعمال تجارية، وليس الخيمياء. لسنا مهتمين بتحويل المحتالين إلى ملوك."

استند فايسرا للخلف:

— "إذن ستدير بلدي كتجربة قبل أن تقرر التدخل."

— "تجربة ضرورية. لم نأتِ هنا لنعير السفن برغبتك يا فايسرا. هذا تحقيق."

— "في ماذا؟"

— "فيما إذا كان النيكاريون مستعدين للحضارة. نحن لا نوزع المساعدات الهسبيرية باستخفاف. ارتكبنا ذلك الخطأ من قبل. بدا الموغينيون أكثر

استعدادًا للتقدم منكم. لم يكن لديهم اقتتال فئوي داخلي، وحكمهم كان أكثر تطورًا بكثير. انظر كيف انتهى ذلك."

قال فايسرا:

— "إذا كنا متخلفين، فذلك بسبب سنوات من الاحتلال الأجنبي. هذا خطؤكم، وليس خطأنا."

هز الجنرال كتفيه بلامبالاة:

— "حتى مع ذلك."

بدا فايسرا ساخطًا:

— "إذن عما تبحثون؟"

ابتسم الجنرال الهسبيري ابتسامة رفيعة:

— "حسنًا، سيكون غشًا لو أخبرناك، أليس كذلك؟ لكن كل هذا نقطة خلافية. هدفنا الأساسي هنا هو الفتاة السبيرية. يُزعم أنها سوت بلدًا بأكمله بالأرض. نود أن نعرف كيف فعلت ذلك."

قال فايسرا:

— "لا يمكنكم الحصول على السبيرية."

— "أوه، لا أعتقد أن القرار يعود لك."

دخلت رين الغرفة بخطوات واسعة:

— "أنا هنا."

— "رونين."

إذا بدا فايسرا متفاجئًا، فقد تدارك نفسه بسرعة. وقف وأشار إلى الجنرال الهسبيري:

— "أرجو أن تقابلي الجنرال جوزيفوس تاركيت."

اسم غبي، فكرت رين. مجموعة مشوشة من المقاطع التي بالكاد تستطيع نطقها.

نهض تاركيت واقفًا:

— "أعتقد أننا مدينون لك باعتذار. السيدة سايخارا جعلتنا مقتنعين تمامًا أننا نتعامل مع شيء يشبه الحيوان البري. لم ندرك أنكِ ستكونين.. بشرية إلى هذا الحد."

رمشت رين في وجهه. هل كان ذلك يفترض به حقًا أن يكون اعتذارًا؟

سأل تاركيت فايسرا بلغة نيكارية متقطعة وقبيحة:

— "هل تفهم ما أقول؟"

قالت رين بحدة:

— "أفهم الهسبيرية."

تمنت بشدة لو أنها تعلمت الشتائم الهسبيرية في سينغارد. لم يكن لديها النطاق الكامل للمفردات للتعبير عما أرادت قوله، لكن كان لديها ما يكفي.

— "أنا فقط لست متحمسة للتحاور مع حمقى يريدون موتي."

انفجرت السيدة سايخارا:

— "لماذا نتحدث إليها حتى؟"

كان صوتها عاليًا وهشًا، وكأنها كانت تبكي للتو. ذُهلت رين من السم الخالص في نظرتها. كان هذا أكثر من ازدراء. كانت هذه كراهية وحشية قاتلة.

زمجرت سايخارا:

— "إنها رجس غير مقدس. إنها وصمة عار ضد الصانع، ويجب سحبها إلى الأبراج الرمادية في أقرب وقت ممكن."

بدا فايسرا ساخطًا:

— "لن نسحب أحدًا. رونين، أرجوكِ، اجلسي..."

هست سايخارا في وجهه:

— "لكنك وعدت.. قلت إنهم سيجدون طريقة لإصلاحه..."

أمسك فايسرا بمعصم زوجته:

— "ليس هذا هو الوقت المناسب."

سحبت سايخارا يدها وضربت بقبضتها على الطاولة. انقلب كوبها، وسكب الشاي الساخن عبر القماش المطرز.

— "أقسمت لي. قلت إنك ستصلح هذا الأمر، وأنه إذا أحضرتهم فسوف يجدون طريقة لإصلاحه، وعدت..."

أشار فايسرا للباب:

— "صمتًا أيتها المرأة.. إذا لم تستطيعي تهدئة نفسك، ستغادرين."

رمقت سايخارا رين بنظرة غضب مكتومة، وتمتمت بشيء تحت أنفاسها، واقتحمت طريقها خارج الغرفة.

خيم صمت طويل على غيابها. بدا تاركيت مستمتعًا نوعًا ما. استند فايسرا للخلف في كرسيه، وأخذ رشفة من الشاي، ثم تنهد.

— "عليك أن تعذر زوجتي. تميل لأن تكون حادة المزاج بعد السفر."

وضعت امرأة في ثوب رمادي فضفاض، تلك التي وقفت فوق رين في الميناء، يدها على يد فايسرا.

— "إنها يائسة للحصول على إجابات.. نحن نتفهم. نود إيجاد علاج أيضًا."

رمقتها رين بنظرة فضولية. بدت لغة المرأة النيكارية جيدة بشكل ملحوظ — كان يمكن أن تكون متحدثة أصلية لولا أن نغماتها كانت مسطحة بشكل غريب. كان شعرها بلون القمح، مستقيمًا وأملس، ومجدولاً في لفة تشبه الثعبان تستقر فوق كتفها مباشرة. عيون رمادية مثل جدران القلعة. وبشرة شاحبة كالورق، رقيقة لدرجة أن العروق الزرقاء كانت مرئية تحتها.

كان لدى رين رغبة غريبة جدًا في لمسها، فقط لترى إن كانت تبدو بشرية الملمس.

قالت المرأة:

— "إنها مخلوق مذهل. من النادر أن تقابل شخصًا ممسوسًا بالفوضى ومع ذلك يظل واعيًا هكذا. لم يكن أي من مجانين الهسبيريين جيدًا هكذا في خداع مراقبيهم."

قالت رين:

– "أنا أقف أمامك مباشرة."

تابعت المرأة وكأن رين لم تتحدث:

– "أود وضعها في غرفة عزل. نحن قريبون من تطوير أدوات يمكنها اكتشاف الفوضى الخام في البيئات المعقمة. إذا استطعنا إعادتها إلى الأبراج الرمادية..."

قالت رين:

– "لن أذهب إلى أي مكان معكم."

مسد الجنرال تاركيت الاركيبوس الذي أمامه:

– "لن يكون لديك خيار حقًا يا عزيزتي."

رفعت المرأة يدًا:

– "انتظر يا جوزيفوس. المهندس المعماري الإلهي يقدر الفكر الحر. التعاون الطوعي علامة على أن العقل والنظام لا يزالان سائدين في الذهن. هل ستأتي الفتاة طواعية؟"

حدقت رين في الاثنين بذهول. هل يعقل أن فايسرا اعتقد أنها ستقول نعم؟

قالت المرأة لفايسرا، وكأنهم يناقشون شيئًا ليس أكثر إلحاحًا من ترتيبات العشاء:

– "يمكنك حتى إبقاؤها في الحملة في الوقت الحالي. سأحتاج فقط لاجتماعات منتظمة، ربما مرة في الأسبوع. ستكون تدخلاً بحد أدنى."

قال فايسرا:

– "عرّفي ما تقصدي بـ(حد أدنى)."

– "سأراقبها فقط، في الغالب. ربما أجري بضع تجارب. لا شيء سيؤثر عليها بشكل دائم، وبالتأكيد لا شيء سيؤثر على قدرتها القتالية. أود فقط رؤية كيف تتفاعل مع محفزات مختلفة..."

نما صوت رنين وعلا أكثر فأكثر في أذني رين. أصبحت أصوات الجميع متداخلة ومكبرة في آن واحد. استمرت المحادثة، لكنها لم تستطع فك رموز سوى شذرات.

— "...مخلوق مذهل..."

— "...جندي ثمين..."

— "...قلب الموازين..."

وجدت نفسها تترنح على قدميها.

رأت في مخيلتها وجهًا لم تسمح لنفسها بتخيله لفترة طويلة. عينان داكنتان ذكيتان. أنف ضيق. شفتان رقيقتان وابتسامة قاسية ومتحمسة.

رأت الدكتور شيرو.

شعرت بيده تتحرك فوقها، تفحص قيودها، تتأكد من أنها لا تستطيع التحرك شبرًا من السرير الذي ربطها عليه. شعرت بأصابعه تتحسس داخل فمها، تعد أسنانها، تتحرك لأسفل متجاوزة فكها إلى عنقها لتحديد موقع شريانها.

شعرت بيده تثبتها بينما يدفع إبرة في وريدها. شعرت بالذعر، والخوف، والغضب، كل ذلك في آن واحد، وأرادت أن تحترق لكنها لم تستطع، والحرارة والنار مجرد فقاعات تغلي في صدرها وتتراكم بداخلها لأن الختم اللعين اعترض طريقها، لكن الحرارة استمرت في التراكم وظنت رين أنها قد تنفجر من الداخل...

اخترق صوت فايسرا الضباب:

— "رونين."

ركزت بصعوبة على وجهه وهمست:

— "لا.. لا، لا أستطيع..."

نهض من مقعده:

— "هذا ليس مثل المختبر الموغيني."

تراجعت مبتعدة عنه:

— "لا أهتم، لا أستطيع فعل هذا..."

سأل أمير حرب الخنزير بحدة:

— "ما الذي تناقشانه؟ سلمها لهم وانتهِ من الأمر."

سحب فايسرا رين بسرعة إلى زاوية الغرفة، بعيداً حيث لا يستطيع الهسبيريون السماع، وخفض صوته:

— "هدوءًا يا شاروك.. إنهم سيجبرونكِ في كلتا الحالتين. إذا تعاونتِ ستكسبين تعاطفنا."

قالت:

— "أنت تبيعني مقابل السفن."

— "لا أحد يبيعكِ. أنا أطلب منكِ معروفًا. أرجوكِ، هل ستفعلين هذا من أجلي؟ أنتِ لستِ في خطر. أنتِ لستِ وحشًا، وسيكتشفون ذلك قريبًا بما يكفي."

وعندها فهمت. لن يجد الهسبيريون شيئًا. لا يمكنهم ذلك، لأن رين لم تعد تستطيع استدعاء النار. يمكنهم إجراء كل التجارب التي يريدونها، لكنهم لن يجدوا شيئًا. لقد ضمنت داجي ألا يتبقى شيء للعثور عليه.

تمتم فايسرا:

— "رونين، أرجوكِ.. ليس لدينا خيار."

كان محقًا في ذلك. أوضح الهسبيريون أنهم سيدرسونها بالقوة إذا لزم الأمر. يمكنها محاولة القتال، لكنها لن تذهب بعيداً.

جزء منها أراد بشدة أن يقول لا. أن تقول تباً للأمر، وتخاطر بكل شيء وتحاول الهرب والركض. بالطبع، سيطاردونها، لكن كان لديها أصغر فرصة للخروج حية.

لكن حياتها لم تكن الوحيدة على المحك.

مصير الإمبراطورية كان معلقًا في الميزان. إذا كانت تريد حقًا موت الإمبراطورة، فإن المناطيد الهسبيرية وبنادق الاركيبوس كانت أفضل وسيلة

لإنجاز ذلك. والطريقة الوحيدة التي تمكنها من توليد حسن نيتهم هي الذهاب طواعية إلى أحضانهم.

كان فايسرا قد أخبرها: عندما تسمعين صراخًا، اركضي نحوه.

لقد فشلت في لوسان. ولم تعد تستطيع استدعاء النار. قد تكون هذه هي الطريقة الوحيدة للتكفير عن الأخطاء الجسيمة التي ارتكبتها. فرصتها الوحيدة لتصحيح الأمور.

مات ألتان من أجل التحرير. كانت تعرف ما الذي سيقوله لها الآن.

توقفي عن تلك الأنانية اللعينة.

قوت رين نفسها، وأخذت نفسًا، وأومأت:

— "سأفعلها."

غمر الارتياح وجه فايسرا. التفت إلى الطاولة وقال:

— "شكرًا لك.. إنها موافقة."

قالت رين بأفضل لغة هسبيرية لديها:

— "ساعة واحدة. مرة في الأسبوع. لا أكثر. أنا حرة في المغادرة إذا شعرت بعدم الارتياح، ولا تلمسوني دون إذن صريح مني."

رفع الجنرال تاركيت يده عن الاركيبوس:

— "هذا عادل."

بدا الهسبيريون مسرورين أكثر من اللازم. التوت معدة رين.

يا إلهي. على ماذا وافقت؟

نهضت المرأة ذات العينين الرماديتين من كرسيها:

— "ممتاز.. تعالي معي. سنبدأ الآن."

***

كان الهسبيريون قد احتلوا بالفعل كتلة المباني الواقعة غرب القصر مباشرة، وهي مساكن مفروشة شكت رين في أن فايسرا قد أعدها منذ فترة طويلة. أعلام زرقاء تحمل شارة تشبه تروس الساعة تتدلى من النوافذ. أشارت

المرأة ذات العينين الرماديتين لرين لتتبعها إلى غرفة صغيرة مربعة بلا نوافذ في الطابق الأول من المبنى المركزي.

سألت المرأة:

– "ماذا تسمين نفسك؟ فانغ رونين، كما قالوا؟"

تمتمت رين وهي تلقي نظرة حول الغرفة:

– "فقط رين."

كانت الغرفة خالية باستثناء طاولتين حجريتين طويلتين وضيقتين تم سحبهما مؤخرًا إلى هناك، استنادًا إلى علامات الانزلاق على الأرضية الحجرية. كانت إحدى الطاولتين فارغة. والأخرى مغطاة بمجموعة من الأدوات، بعضها مصنوع من الفولاذ والبعض الآخر من الخشب، والقليل منها عرفته رين أو خمنت وظيفته.

كان الهسبيريون يجهزون هذه الغرفة منذ وصولهم.

وقف جندي هسبيري في الزاوية، والاركيبوس يتدلى فوق كتفه. تتبعت عيناه رين في كل مرة تحركت فيها. صنعت وجهًا ساخرًا له. لم يتفاعل.

قالت المرأة:

– "يمكنك مناداتي الأخت بيترا.. لمَ لا تأتين إلى هنا؟"

كانت تتحدث نيكارية ممتازة حقًا. كانت رين لتنبهر، لكن شيئًا ما بدا غير صحيح. كانت جمل بيترا سلسة وفصيحة تمامًا، ربما أكثر كمالاً نحويًا من معظم المتحدثين الأصليين، لكن كلماتها خرجت تبدو خاطئة تمامًا. كانت النغمات منحرفة قليلاً جدًا، ونطقت كل شيء بنفس النبرة المسطحة التي جعلتها تبدو غير بشرية تمامًا.

التقطت بيترا كوبًا من حافة الطاولة وقدمته لها.

– "لودانوم؟"

تراجعت رين متفاجئة:

– "لماذا؟"

ضمت بيترا شفتيها:

— "قد يهدئك. قيل لي إن رد فعلك سيء تجاه بيئات المختبرات. أعلم أن المواد الأفيونية تخمد الظواهر التي تظهرينها، لكن بالنسبة للمراقبة الأولى هذا لن يهم. اليوم أنا مهتمة فقط بالقياسات الأساسية."

رمقت رين الكوب بنظرة فاحصة. آخر شيء أرادته هو أن تكون غافلة لمدة ساعة كاملة مع الهسبيريين. لكنها عرفت أنه ليس لديها خيار سوى الامتثال لما تطلبه بيترا منها. يمكنها أن تتوقع بشكل معقول أنهم لن يقتلوها. ولم تكن تملك السيطرة على الباقي. الشيء الوحيد الذي يمكنها السيطرة عليه هو عدم ارتياحها الخاص.

أخذت الكوب وأفرغته.

أشارت بيترا إلى السرير:

— "ممتاز.. اصعدي هناك، من فضلك."

أخذت رين نفسًا عميقًا وجلست على الحافة.

ساعة واحدة. هذا كل شيء. كل ما كان عليها فعله هو النجاة في الدقائق الستين القادمة.

بدأت بيترا بأخذ سلسلة لا تنتهي من القياسات. بخيط محزز سجلت طول رين، وامتداد ذراعيها، وطول قدميها. قاست المحيط حول خصر رين، ومعصميها، وكاحليها، وفخذيها. ثم بخيط أصغر أخذت سلسلة من القياسات الأصغر التي بدت بلا هدف تمامًا. عرض عيني رين. المسافة بينهما وبين أنفها. طول كل ظفر من أظافرها.

استمر هذا إلى الأبد. تمكنت رين من عدم الجفل بشدة من لمسة بيترا. كان اللودانوم يعمل جيدًا؛ استقر ثقل رصاصي بشكل مريح في مجرى دمها وأبقاها مخدرة، وخاملة، ومطيعة.

لفت بيترا الخيط حول قاعدة إبهام رين وسألت:

— "أخبريني عن المرة الأولى التي تواصلتِ فيها مع، آه، هذا الكيان الذي تدعين أنه إلهك. كيف تصفين التجربة؟"

لم تقل رين شيئًا. كان عليها تقديم جسدها للفحص. هذا لا يعني أنه كان عليها المشاركة في محادثة جانبية.

كررت بيترا سؤالها. ومرة أخرى التزمت رين الصمت.

قالت بيترا وهي تضع شريط القياس جانبًا:

— "يجب أن تعلمي أن التعاون اللفظي شرط من شروط اتفاقنا."

منحتها رين نظرة حذرة:

— "ماذا تريدين مني؟"

— "فقط ردودك الصادقة. لست مهتمة فقط بمخزون جسدك. أنا فضولية بشأن احتمالات خلاص روحك."

لو كان عقل رين يعمل بشكل أسرع لكانت قد تمكنت من الرد بذكاء. بدلاً من ذلك، قلبت عينيها.

قالت بيترا:

— "تبدين واثقة من أن ديننا باطل."

كان اللودانوم قد أرخى لسان رين، ووجدت نفسها تبوح بأول الأفكار التي خطرت ببالها:

— "أعرف أنه باطل.. لقد رأيت دليلاً على آلهتي."

— "حقًا؟"

— "نعم، وأعرف أن الكون ليس من صنع رجل واحد."

أمالت بيترا رأسها:

— "رجل واحد؟ هل هذا ما تظنين أننا نؤمن به؟ ماذا تعرفين عن لاهوتنا؟"

قالت رين، وكان هذا هو كل ما تعلمته:

— "أنه غبي."

لقد درسوا الديانة الهسبيرية — "الصانعية"، كما أسموها — لفترة وجيزة في سينغارد، عندما لم يكن أحد منهم يعتقد أن الهسبيريين سيعودون إلى شواطئ الإمبراطورية خلال حياتهم. لم يأخذ أي منهم دراساتهم للثقافة الهسبيرية على

محمل الجد، ولا حتى المدربين. كانت المعمارية دائمًا مجرد حاشية. نكتة. أولئك الغربيون الحمقى.

تذكرت رين نزهات مثالية أسفل سفح الجبل مع جيانغ خلال السنة الأولى من تدريبها، عندما جعلها تبحث في الاختلافات بين الديانات الشرقية والغربية وتفترض أسباب وجودها. تذكرت غرقها لساعات في هذا السؤال بالمكتبة. اكتشفت أن الديانات الواسعة والمتنوعة للإمبراطورية تميل لأن تكون متعددة الآلهة، وغير منظمة، وغير منتظمة، تفتقر للاتساق حتى عبر القرى. لكن الهسبيريين أحبوا استثمار عبادتهم في كيان واحد، يُمثل عادة كرجل.

كانت تسأل جيانغ:

— "لماذا تعتقد أن الأمر كذلك؟"

فكان يجيب:

— "الغطرسة.. إنهم يحبون بالفعل الاعتقاد بأنهم سادة العالم. يودون الاعتقاد بأن شيئًا على صورتهم هو من خلق الكون."

السؤال الذي لم تفكر فيه رين أبدًا، بالطبع، هو كيف أصبح الهسبيريون متقدمين تكنولوجيًا بشكل هائل إذا كان نهجهم للدين خاطئًا بشكل مضحك. حتى الآن، لم يكن ذلك ذا صلة أبدًا.

التقطت بيترا جهازًا معدنيًا دائريًا بحجم كفها تقريبًا من الطاولة وحملته أمام رين. ضغطت زرًا على الجانب، فقفز غطاؤه.

— "هل تعرفين ما هذا؟"

كانت ساعة من نوع ما. تعرفت على الأرقام الهسبيرية، اثني عشر في دائرة، مع إبرتين تتحركان ببطء في دوران. لكن الساعات النيكارية، التي تعمل بالماء المتقاطر، كانت منشآت تشغل زوايا كاملة من الغرف. هذا الشيء كان صغيرًا لدرجة أنه يمكن أن يتسع في جيبها.

— "هل هي ساعة؟"

قالت بيترا:

– "جيد جداً. قدّري هذا التصميم. انظري إلى التروس المعقدة، المشكلة بدقة لتناسب الشكل، والتي تبقيها تدق من تلقاء نفسها. الآن تخيلي أنكِ وجدتِ هذا على الأرض. لا تعرفين ما هو. لا تعرفين من وضعه هناك. ما هو استنتاجكِ؟ هل له مصمم، أم أنه حادث من حوادث الطبيعة، مثل صخرة؟"

تحرك عقل رين ببطء حول أسئلة بيترا، لكنها عرفت الاستنتاج الذي أرادتها بيترا أن تصل إليه.

قالت بعد صمت:

– "يوجد صانع."

قالت بيترا مرة أخرى:

– "جيد جداً. الآن تخيلي العالم كساعة. تأملي البحر، والسحب، والسماء، والنجوم، كلها تعمل في تناغم تام لتبقي عالمنا يدور ويتنفس كما يفعل. فكري في دورات حياة الغابات والحيوانات التي تعيش فيها. هذا ليس حادثاً. هذا لا يمكن أن يكون قد صيغ عبر فوضى بدائية، كما يميل لاهوتكم للمحاججة. كان هذا خلقاً متعمداً من قبل كيان أعظم، خير وعقلاني تماماً."

تابعت بيترا:

– "نسميه مهندسنا الإلهي، أو الصانع، كما تعرفونه. إنه يسعى لخلق النظام والجمال. هذا ليس منطقاً مجنوناً. إنه أبسط تفسير ممكن لجمال وتعقيد العالم الطبيعي."

جلست رين بهدوء، تمرر تلك الأفكار عبر عقلها المتعب.

بدا الأمر جذاباً بشكل رهيب. أحبت فكرة أن العالم الطبيعي قابل للمعرفة بشكل أساسي ويمكن اختزاله إلى مجموعة من المبادئ الموضوعية المفروضة من قبل إله خير وعقلاني. كان ذلك أكثر ترتيباً ونظافة بكثير مما عرفته عن الآلهة الأربعة والستين – مخلوقات فوضوية تحلم بدوامة لا تنتهي من القوى التي خلقت الكون الذاتي، حيث كل شيء في حالة تدفق مستمر ولا شيء مكتوب أبداً. كان من الأسهل التفكير في أن العالم الطبيعي هدية مرتبة، وموضوعية، وثابتة، مغلفة ومسلمة من قبل مهندس كلي القدرة.

كان هناك إغفال واحد فادح فقط.

سألت رين:

– "إذن لماذا تسوء الأمور؟ إذا كان هذا الصانع قد وضع كل شيء في حركة، إذن..."

أكملت بيترا:

– "إذن لماذا لم يستطع الصانع منع الموت؟ لماذا تسوء الأمور إذا كانت مصممة وفقًا لخطة؟"

– "نعم. كيف عرفتِ؟"

منحتها بيترا ابتسامة صغيرة:

– "لا تبدي متفاجئة هكذا. هذا هو السؤال الأكثر شيوعًا لكل معتنق جديد. إجابتك هي الفوضى."

رددت رين ببطء:

– "الفوضى."

سمعت بيترا تستخدم هذه الكلمة في المجلس في وقت سابق. كان مصطلحًا هسبيريًا؛ لم يكن له مكافئ نيكاري. ورغمًا عنها، سألت:

– "ما هي الفوضى؟"

قالت بيترا:

– "إنها أصل الشر. مهندسنا الإلهي ليس كلي القدرة. هو قوي، نعم، لكنه يقود صراعًا مستمرًا لصياغة النظام من كون يميل حتمًا نحو حالة من التحلل والاضطراب. نسمي تلك القوة (الفوضى). الفوضى هي نقيض النظام، القوة القاسية التي تحاول باستمرار تفكيك إبداعات المهندس. الفوضى هي الشيخوخة، والمرض، والموت، والحرب. تتجلى الفوضى في أسوأ ما في البشرية.. الشر، والغيرة، والجشع، والخيانة. ومهمتنا هي إبقاؤها تحت السيطرة."

أغلقت بيترا الساعة ووضعتها مرة أخرى على الطاولة. حامت أصابعها فوق الأدوات، متداولة، ثم اختارت جهازًا بدا وكأنه يحتوي على سماعتين ودائرة مسطحة متصلة بحبل معدني.

قالت:

— "لا نعرف كيف أو متى تتجلى الفوضى. لكنها تميل للظهور أكثر في أماكن مثل أماكنكم.. غير متطورة، وغير متحضرة، وبربرية. والحالات المماثلة لحالتك هي أسوأ تفشٍ للفوضى الفردية رأته الشركة على الإطلاق."

قالت رين:

— "تعنين الشامانية."

التفتت بيترا لتواجهها:

— "أنتِ تفهمين لماذا يجب على الطائفة الرمادية التحقيق. المخلوقات مثلك تشكل تهديدًا رهيبًا للنظام الأرضي."

رفعت الدائرة المسطحة تحت قميص رين إلى صدرها. كانت باردة كالثلج. لم تستطع رين إلا أن تجفل.

قالت بيترا:

— "لا تخافي. ألا تدركين أنني أحاول مساعدتك؟"

همست رين:

— "لا أفهم.. لماذا قد تبقونني على قيد الحياة أصلاً."

— "سؤال وجيه. البعض يعتقد أنه سيكون من الأسهل قتلك ببساطة. لكننا حينها لن نقترب من فهم شر الفوضى. وستجد فقط صورة رمزية أخرى لتلحق دمارها. لذا، وضد الحكم الأفضل للطائفة الرمادية، أنا أبقيك حية حتى نتمكن أخيرًا من تعلم كيفية إصلاح الأمر."

رددت رين:

— "إصلاحه.. تظنين أنكِ تستطيعين إصلاحي."

— "أعرف أنني أستطيع إصلاحك."

كانت هناك كثافة متعصبة في تعبير بيترا جعلت رين غير مرتاحة بعمق. لمعت عيناها الرماديتان ببريق فضي معدني عندما تحدثت.

— "أنا أذكى عالمة في الطائفة الرمادية منذ أجيال. كنت أضغط للمجيء ودراسة النيكاريين لعقود. سأكتشف ما الذي يبتلي بلدك."

ضغطت القرص المعدني بقوة بين ثديي رين وقالت:

— "ثم سأطردها منك."

وأخيرًا انتهت الساعة. أعادت بيترا أدواتها إلى الطاولة وصرفت رين من غرفة الفحص.

تلاشى آخر تأثير للودانوم بمجرد عودة رين للثكنات. كل شعور أبقاه المخدر بعيدًا — عدم الراحة، والقلق، والاشمئزاز، والرعب المطلق — تدفق عائدًا إليها دفعة واحدة، اندفاع مقزز ومفاجئ لدرجة أنه لوى جسدها حتى ركعت على ركبتيها.

حاولت الوصول إلى المرحاض. لم تخطُ خطوتين قبل أن تترنح وتتقيأ.

لم تستطع منع نفسها. انحنت فوق بركة قيئها وبكت.

لمسة بيترا، التي بدت خفيفة جدًا وغير تدخلية تحت تأثير اللودانوم، شعرت بها الآن كلطخة داكنة، كحشرات تحفر طريقها تحت جلد رين مهما حاولت بشدة خدشها للخروج. اختلطت ذكرياتها؛ مربكة، وغير قابلة للتمييز. أصبحت يدا بيترا يدي شيرو. وأصبحت غرفة بيترا مختبر شيرو.

الأسوأ من ذلك كله كان الانتهاك، الانتهاك اللعين، والعجز المطلق لمعرفة أن جسدها لم يكن ملكها وكان عليها الجلوس ساكنة وتقبله، هذه المرة ليس بسبب أي قيود، بل بسبب الحقيقة البسيطة أنها اختارت أن تكون هناك.

كان هذا هو الشيء الوحيد الذي منعها من حزم أمتعتها ومغادرة أرلونغ فورًا.

احتاجت لفعل هذا لأنها استحقت هذا. كان هذا، بطريقة مروعة ما بدت منطقية تمامًا، تكفيرًا عن الذنب. كانت تعلم أنها وحشية. لم تستطع الاستمرار في إنكار ذلك. كان هذا جلداً للذات لما أصبحت عليه.

قال لها ألتان: كان يجب أن يكون أنتِ.

كان يجب أن تكون هي من يموت.

وهذا يقترب من ذلك.

بعد أن بكت بشدة لدرجة أن الألم في صدرها تلاشى إلى انحسار باهت، سحبت نفسها لتقف ومسحت الدموع والمخاط عن وجهها. وقفت أمام مرآة في المرحاض وانتظرت للخروج حتى يتلاشى الاحمرار من عينيها.

عندما سألها الآخرون عما حدث، لم تقل شيئًا على الإطلاق.

الفصل الرابع عشر

اضطرمت الحرب عبر الماء.

استيقظت رين على صراخ خارج الثكنات. ارتدت زيها العسكري في حالة من الهلع، وحاولت بشكل أعمى إقحام قدمها اليمنى في حذائها الأيسر قبل أن تستسلم وتركض خارجة حافية القدمين، ورمحها الثلاثي في يدها.

في الخارج، كان الجنود، نصفهم بملابس النوم، يركضون ويصطدمون ببعضهم البعض في سرب من النشاط الفوضوي، بينما صرخ القادة بأوامر متناقضة. لكن لم يكن أحد يشهر سلاحًا، ولم تكن المقذوفات تطير عبر الهواء، ولم تسمع رين صوت نيران المدافع.

أخيرًا لاحظت أن معظم القوات تركض نحو شاطئ البحر، فتبعتهم.

في البداية لم تفهم ما كانت تنظر إليه. كان سطح الماء مغطى ببقع بيضاء، وكأن عملاقًا قد نفخ بذور الهندباء فوق سطحه. ثم وصلت إلى حافة الرصيف ورأت بتفصيل أدق الأهلة الفضية المعلقة تحت السطح مباشرة. تلك البقع البيضاء كانت البطون المنتفخة للأسماك.

ليس الأسماك فقط. عندما جثت بجوار الماء رأت جثثًا منتفخة ومتغيرة اللون لضفادع، وسمندل، وسلاحف. شيء ما قتل كل كائن حي في الماء.

لا بد أنه سم. لا شيء آخر يمكنه قتل هذا العدد الكبير من الحيوانات بهذه السرعة. وذلك يعني أن السم لا بد أن يكون في الماء — وجميع القنوات في أرلونغ مترابطة — مما يعني أن ربما كل مصدر شرب في أرلونغ أصبح الآن ملوثًا...

لكن لماذا قد يسمم أي شخص من إقليم التنين الماء؟ للحظة وقفت رين هناك بغباء، تفكر، مفترضة أنه لا بد أن يكون شخصًا من داخل الإقليم نفسه. لم ترغب في التفكير بالبديل، وهو أن السم جاء من أعلى النهر، لأن ذلك يعني...

صرخ رامسا وهو يشد ذراعها:

— "رين! تباً.. رين! عليكِ رؤية هذا."

ركضت معه إلى نهاية الرصيف، حيث تجمعت فرقة "السيك" حول كتلة داكنة على الألواح الخشبية. سمكة ضخمة؟ كومة من الملابس؟ لا.. رجل، رأت ذلك الآن، لكن الشكل بالكاد كان بشريًا.

مد يداً شاحبة وهيكلية نحوها:

— "ألتان..."

احتبس أنفاسها في حلقها:

— "أراتشا؟"

لم تره من قبل في شكله البشري قط. كان رجلاً هزيلاً، مغطى من رأسه حتى أخمص قدميه ببرنقيل مغروس في جلد أبيض مائل للزرقة. النصف السفلي من وجهه مخفي بلحية شعثاء مليئة بديدان البحر والأسماك الصغيرة لدرجة أنه كان من الصعب تمييز الأجزاء البشرية منه.

حاولت تمرير ذراعيها تحته لمساعدته على النهوض، لكن قطعًا منه ظلت تنفصل في يديها. كتلة من الأصداف، وعصا من العظم، ثم شيء هش ومسحوق تفتت إلى لا شيء بين أصابعها. حاولت ألا تدفعه بعيداً اشمئزازًا.

— "هل يمكنك الكلام؟"

أصدر أراتشا صوتًا مخنوقًا. في البداية ظنت أنه يختنق بلعابه، لكن سائلًا رغويًا بلون الحليب المتخثر فقّع خارجًا من جانبي فمه.

كرر:

— "ألتان."

– "أنا لست ألتان." مدت يدها لتمسك بيد أراتشا. هل كان ذلك شيئًا يجب أن تفعله؟ شعرَت وكأنه شيء يجب فعله. شيء مريح ولطيف. شيء يفعله القائد.

لكن أراتشا لم يبدُ أنه لاحظ حتى. تحول جلده من الأبيض المزرق إلى لون بنفسجي رهيب في ثوانٍ. استطاعت رؤية عروقه تنبض تحته، سوداء لزجة كالحبر.

قال أراتشا:

– "آه، ألتان.. كان يجب أن أخبرك."

فاحت منه رائحة مياه البحر والتعفن. أرادت رين أن تتقيأ.

همست:

– "ماذا؟"

حدق فيها بعينين حليبيتين. كانتا مغشاتين كعيون سمكة في السوق، غير مركزتين بشكل غريب، تحدقان في اتجاهين مختلفين كأنه قضى وقتًا طويلاً في الماء لدرجة أنه لم يعد يعرف كيف يفسر الأشياء على اليابسة.

تمتم بشيء تحت أنفاسه، شيء هادئ ومشوش للغاية لدرجة أنها لم تستطع فك رموزه. ظنت أنها سمعت همسة بدت ككلمة "بؤس". ثم تفكك أراتشا بين يديها، وتلاشى لحمه إلى ماء، حتى لم يبقَ سوى الرمل، والأصداف، وقلادة لؤلؤ.

قال رامسا:

– "تباً.. هذا مقرف."

قال باجي:

– "اخرس."

نحب سوني بصوت عالٍ ودفن رأسه بين يديه. لم يواسه أحد.

حدقت رين بذهول في القلادة.

يجب أن ندفنه، فكرت. هذا هو التصرف اللائق، أليس كذلك؟

هل يجب أن تحزن؟ لم تستطع الشعور بالحزن. ظلت تنتظر أن تشعر بشيء، لكنه لم يضربها أبدًا، ولن يفعل. لم تكن هذه خسارة حادة، ليست من النوع الذي تركها جامدة بعد موت ألتان. بالكاد عرفت أراتشا؛ كانت تعطيه الأوامر وكان يطيع، دون سؤال، مخلصًا لفرقة السيك حتى يوم موته.

لا، ما جعلها تشعر بالمرض هو أنها شعرت بخيبة أمل، وانزعاج لأنه الآن بعد رحيل أراتشا لم يعد لديهم شامان يستطيع التحكم بالنهر. كل ما كانه بالنسبة لها هو قطعة شطرنج مفيدة للغاية، والآن لم يعد بإمكانها استخدامه.

سأل نزهة، لاهثًا، وقد وصل للتو:

— "ما الذي يحدث؟"

وقفت رين ونفضت الرمل عن يديها:

— "فقدنا رجلاً."

نظر للأسفل إلى الفوضى على الرصيف، وبدا عليه الارتباك بوضوح:

— "من؟"

— "أحد أفراد السيك. أراتشا. إنه دائمًا في الماء. أيًا كان ما ضرب الأسماك، لا بد أنه ضربه أيضًا."

قال نزهة:

— "تباً.. هل كانوا يستهدفونه؟"

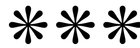
قالت ببطء:

— "لا أظن ذلك.. هذا كثير من العناء لشامان واحد."

لا يمكن أن يكون الأمر متعلقًا برجل واحد فقط. كانت الأسماك تطفو ميتة عبر الميناء بأكمله. من سمم أراتشا كان يقصد تسميم النهر بأكمله.

لم تكن فرقة السيك هي الهدف. بل إقليم التنين.

لأن نعم، سو داجي كانت بتلك الدرجة من الجنون. داجي كانت امرأة رحبت بالاتحاد في أراضيها لتحتفظ بعرشها. كانت لتسمم الأقاليم الجنوبية بسهولة، ولتحكم على الملايين بالموت جوعًا دون تردد، لتبقي بقية إمبراطوريتها سليمة.



سأل فايسرا بحدة:

— "كم عدد القوات؟"

كانوا جميعًا مكدسين في المكتب — القبطان إريدين، وأمراء الحرب، والهسبيريون، وحفنة من أي ضباط ذوي رتب كانوا متاحين. اللباقة لم تكن مهمة. تحولت الغرفة إلى ضجيج من الصراخ المحموم. وتحدث الجميع في آن واحد.

— "لم نحصِ الرجال الذين لم يصلوا إلى المستوصف..."

— "هل وصل إلى طبقات المياه الجوفية؟"

— "علينا إغلاق أسواق السمك..."

صرخ فايسرا فوق الضجيج:

— "كم العدد؟"

قال أحد الأطباء:

— "اللواء الأول بأكمله تقريبًا نُقل للمستشفى. صُمم السم للتأثير على الحياة البرية. إنه أضعف تأثيرًا على البشر."

— "أليس قاتلاً؟"

— "لا نظن ذلك. نأمل أن نرى تعافيًا كاملاً خلال أيام قليلة."

سأل الجنرال هو:

— "هل داجي مجنونة؟ هذا انتحار. هذا لا يؤثر علينا فقط، بل يقتل كل شيء يلمسه نهر موروي."

قال فايسرا:

— "الشمال لا يهتم.. إنهم في أعلى النهر."

قال إريدين:

— "لكن ذلك يعني أنهم يحتاجون لمصدر دائم للسم. سيضطرون لإدخال العامل الملوث إلى المجرى يوميًا. ولا يمكن أن يكون بعيدًا حتى القصر الخريفي، وإلا لأضروا بحلفائهم."

اقترح نزهة:

– "إقليم الأرنب؟"

قال جينزا:

– "هذا مستحيل. جيشهم مثير للشفقة؛ بالكاد يملكون قدرات دفاعية. لن يضربوا أبدًا أولاً."

– "إذا كانوا مثيرين للشفقة، فسيفعلون أي شيء تأمرهم به داجي."

سأل تاخا:

– "هل نحن متأكدون أنها داجي؟"

تساءل تسولين والتفت إلى فايسرا:

– "من غيرها سيكون؟ هذا هو الرد على حصارك. داجي تضعفك قبل أن تضرب. لن أنتظر لأرى ما ستفعله تاليًا."

ضرب جينزا بقبضته على الطاولة:

– "أخبرتكم، كان ينبغي أن نبحر قبل أسبوع."

سأل فايسرا ببرود:

– "بقوات من؟"

تحول خدا جينزا إلى لون أحمر ساطع. لكن فايسرا لم يكن ينظر لابنه. أدركت رين أن ملاحظاته كانت موجهة للجنرال تاركيت.

كان الهسبيريون يراقبون بصمت في مؤخرة الغرفة، بوجوه خالية من التعبير، يقفون بأذرع مطوية وشفاه مضمومة كمعلمين يراقبون فصلاً من الطلاب المشاغبين. بين الحين والآخر، كانت الأخت بيترا تخط شيئًا في دفتر الملاحظات الذي تحمله في كل مكان، وشفتها ملتوية باستمتاع. أرادت رين ضربها.

قال تسولين:

– "هذا يبطل مفعول حصارنا. لا يمكننا الانتظار أكثر."

قالت السيدة سايخارا:

— "لكن الماء يتحرك بثبات نحو البحر. لا يمكنك أبدًا أن تخطو في النهر نفسه مرتين. في غضون أيام يجب أن يكون العامل السام قد جرف إلى خليج أومونود، وسنكون بخير." نظرت بتوسل حول الطاولة بحثًا عن شخص يوافقها. "أليس كذلك؟"

همس كيتاي بصوت مخنوق:

— "لكن الأمر ليس مجرد الأسماك."

كررها مرة أخرى، وهذه المرة ساد الصمت الغرفة عندما تحدث:

— "الأمر ليس مجرد الأسماك. إنها البلاد بأكملها. يغذي نهر مورووي روافد جميع المناطق الجنوبية الرئيسية. نحن نتحدث عن جميع قنوات الري الزراعية. حقول الأرز. الماء لا يتوقف عن التدفق هناك؛ إنه يبقى، ويستقر. نحن نتحدث عن فشل هائل للمحاصيل."

قالت السيدة سايخارا:

— "لكن مخازن الحبوب.. كل إقليم خزن الحبوب للسنوات العجاف، أليس كذلك؟ يمكننا مصادرة تلك المخازن."

رد كيتاي:

— "ونترك الجنوب ليأكل ماذا؟ تجبرين الجنوب على التخلي عن مخازن حبوبهم، وستبدئين في استنزاف الحلفاء. ليس لدينا طعام، ليس لدينا حتى ماء..."

— "لدينا ماء. اختبرنا الآبار الجوفية، إنها غير ملوثة. الآبار بخير."

قال كيتاي:

— "حسنًا.. إذن ستموتون جوعًا فقط."

صرخ شاروك وهو يشير بإصبعه نحو تاركيت:

— "ماذا عنهم؟ ألا يستطيعون إرسال مساعدات غذائية لنا؟"

رفع تاركيت حاجبًا ونظر بتوقع إلى فايسرا.

تنهد فايسرا:

– "لن يقوم التحالف باستثمارات حتى يشعر بتأكد أكبر من فرصنا في النصر."

ساد صمت. نظر المجلس بأكمله نحو الجنرال تاركيت. ارتدى أمراء الحرب تعبيرات موحدة من الأمل اليائس، المثير للشفقة، والمتوسل. استمرت الأخت بيترا في الكتابة في دفتر ملاحظاتها.

كسر نزهة الصمت. وتحدث بلغة هسبيرية متعمدة وبلا لكنة:

– "ملايين الناس سيموتون يا سيدي."

هز تاركيت كتفيه:

– "إذن من الأفضل لكم بدء هذه الحملة، أليس كذلك؟"

***

كان لمكيدة الإمبراطورة تأثير إشعال النار في عش نمل. ثارت أرلونغ في موجة جنونية من النشاط، مفعلة أخيرًا خطط المعركة التي كانت موضوعة منذ أشهر.

تحولت حرب الأيديولوجيا فجأة إلى حرب موارد. الآن وقد أصبح انتظار ضعف الإمبراطورية خيارًا غير متاح بوضوح، لم يكن لدى أمراء الحرب الجنوبيين خيار سوى التبرع بقواتهم لحملة فايسرا الشمالية.

صدرت الأوامر التنفيذية للجنرالات، ثم تسربت عبر القادة إلى قادة الأسراب وصولاً للجنود. وفي غضون دقائق، تلقت رين أوامر بالانضمام للواء الرابع عشر على متن سفينة "السوالو"، المغادرة في غضون ساعتين من الرصيف الثالث.

قال نزهة:

– "رائع، أنتِ في الأسطول الأول.. معي."

– "يا له من يوم سعيد." حشرت تغييرًا للزي الرسمي في حقيبة ورفعتها على كتفها.

مد يده لبعثرة شعرها:

– "كوني متيقظة أيتها الجندية الصغيرة. ستحصلين أخيرًا على ما أردتِه."

في طريقهم للرصيف، راوغوا عبر متاهة من العربات التي تحمل القنب، والجوت، والجير لسد الفجوات، وزيت التونغ، وقماش الأشرعة. كانت رائحة المدينة كلها وصوتها يشبهان حوض بناء السفن؛ صدى يتردد في كل مكان بنفس الأنين الخافت المنخفض، ضجيج عشرات السفن الضخمة وهي تفصل مراسيها، وعجلات التجديف تبدأ في الدوران.

— "تحركوا!" كادت عربة يقودها جنود هسبيريون تدهسهم. سحب نزهة رين إلى الجانب.

تمتم:

— "أوغاد."

تبعت عيون رين الهسبيريين إلى السفن الحربية:

— "أخمن أننا سنرى أخيرًا قوات تاركيت الذهبية تعمل."

— "في الواقع، لا. تاركيت يجلب فقط فصيلة هيكلية. البقية سيبقون في أرلونغ."

— "إذن لماذا يذهبون أصلاً؟"

— "لأنهم هنا للمراقبة. يريدون معرفة ما إذا كنا قادرين على الاقتراب من الفوز بهذه الحرب، وإذا كنا كذلك، فما إذا كنا قادرين على إدارة هذا البلد بفعالية. أخبر تاركيت والدي ببعض الهراء عن مراحل التطور البشري الليلة الماضية، لكني أعتقد أنهم يريدون حقًا معرفة ما إذا كنا نستحق العناء. كل ما يفعله جينزا يتم إبلاغه لتاركيت. وكل ما يراه تاركيت يعود للتحالف. والتحالف يقرر متى يريدون إقراض سفنهم."

قالت رين وهي تظهر تعبيرًا مستاءً:

— "لا يمكننا أخذ هذه الإمبراطورية بدونهم، ولن يساعدونا حتى نأخذ الإمبراطورية.. تلك هي الشروط؟"

— "ليس تمامًا. سيتدخلون قبل انتهاء هذه الحرب، بمجرد تأكدهم من أنها ليست قضية خاسرة. إنهم مستعدون لقلب الموازين، لكن علينا أن نثبت أولاً أننا نستطيع تحمل مسؤوليتنا."

— "إذن مجرد اختبار لعين آخر."

تنهد نزهة:

— "تقريبًا، نعم."

يا للغطرسة المحضة، فكرت رين. لا بد أنه شعور رائع، امتلاك كل القوة، بحيث يمكنك التعامل مع الجغرافيا السياسية كلعبة شطرنج، تطل بفضول لتراقب أي الدول تستحق مساعدتك وأيها لا.

سألت:

— "هل ستأتي بيترا معنا؟"

— "لا. ستبقى على سفينة جينزا." تردد نزهة. "لكن، آه، أخبرني أبي أن أوضح أن اجتماعاتك ستستأنف كالمعتاد عندما نعاود الانضمام لأسطول أخي."

— "حتى في الحملة؟"

— "إنهم مهتمون بكِ أكثر في الحملة. وعدت بيترا ألا يكون كثيرًا. ساعة كل أسبوع، كما اتفقنا."

تمتمت رين:

— "لا يبدو كثيرًا بالنسبة لك.. لم تكن أبدًا فأر تجارب لأحد."

كانت ثلاثة أساطيل تستعد للإبحار من المنحدرات الحمراء. الأول، بقيادة جينزا، سيصعد نهر موروي عبر وسط إقليم الأرنب، القلب الزراعي للشمال. الأسطول الثاني، بقيادة تسولين والجنرال هو، سيتسابق عبر الساحل الوعر حول إقليم الثعبان لتدمير سفن إقليم النمر قبل أن يتم نشرها في الداخل لصد الطليعة الرئيسية.

مجتمعين، كان من المفترض أن يضغطوا على الأقاليم الشمالية الشرقية بين الهجوم الداخلي والساحل. ستُجبر داجي على قتال عدو على جبهتين، وكلاهما فوق الماء— تضاريس لم تكن الميليشيا مرتاحة معها أبداً.

من حيث القوى العاملة البحتة، كانت الجمهورية لا تزال أقل عددًا. كان لدى الميليشيا عشرات الآلاف من الرجال أكثر من الجيش الجمهوري. لكن إذا قام أسطول فايسرا بعمله، وإذا حافظ الهسبيريون على كلمتهم، فستكون هناك فرصة جيدة أن يكسبوا هذه الحرب.

— "يا رفاق! انتظروا!"

تمتم نزهة:

— "أوه، تباً."

التفتت رين لترى فينكا تركض حافية القدمين على الرصيف نحوهم. كانت تحتضن قوسًا مستعرضًا على صدرها.

تنحنح نزهة عندما توقفت فينكا أمامه:

— "أوه، فينكا، هذا ليس وقتًا جيداً."

لهثت فينكا وهي تمرر القوس المستعرض إلى يدي رين:

— "فقط خذي هذا.. أخذته من ورشة والدي. أحدث طراز. يعيد التحميل تلقائيًا."

رمى نزهة رين بنظرة غير مريحة:

— "هذا ليس حقًا..."

سألت فينكا:

— "جميل، أليس كذلك؟" ومررت أصابعها على جسم القوس. "أترين هذا؟ آلية زناد معقدة. اكتشفنا أخيرًا كيفية جعله يعمل؛ هذا مجرد النموذج الأولي لكنني أعتقد أنه جاهز..."

قاطعها نزهة:

— "سنصعد على متن السفينة في دقائق.. ماذا تريدين؟"

قالت فينكا بحدة:

– "خذوني معكم."

لاحظت رين أن فينكا كانت تحمل حقيبة مربوطة على ظهرها، لكنها لم تكن ترتدي زيًا عسكريًا.

قال نزهة:

– "مستحيل تمامًا."

احمرت وجنتا فينكا:

– "لماذا لا؟ أنا أفضل الآن."

– "لا يمكنكِ حتى ثني ذراعكِ اليسرى."

قالت رين:

– "لا تحتاج لذلك.. ليس إذا كانت تطلق النار بقوس مستعرض."

سأل نزهة بذهول:

– "هل أنتِ مجنونة؟ لا يمكنها الركض بقوس مستعرض بهذا الحجم؛ ستُنهك..."

قالت رين:

– "إذن سنثبته على السفينة.. وستكون بعيدة عن حرارة المعركة. ستحتاج للحماية بين الجولات لإعادة التحميل، لذا ستكون محاطة بوحدة من الرماة. سيكون الوضع آمنًا."

نظرت فينكا بانتصار إلى نزهة:

– "ما قالته هي."

ردد نزهة باستنكار:

– "آمن؟"

صححت رين:

– "أكثر أمانًا من بقيتنا."

– "لكنها لم تنتهِ..." نظر نزهة لفينكا من أعلى لأسفل، مترددًا، وبوضوح عاجزًا عن إيجاد الكلمات الصحيحة. "أنتِ لم تنتهي، آه..."

سألت فينكا:

— "من الشفاء؟ هذا ما تعنيه، أليس كذلك؟"

— "فينكا، أرجوكِ."

— "كم من الوقت ظننت أنني سأحتاج؟ كنت جالسة بلا عمل لأشهر. هيا، أرجوك، أنا مستعدة."

نظر نزهة بعجز إلى رين، وكأنه يأمل أن تجعل الموقف بأكمله يتبدد. لكن ماذا توقع منها أن تقول؟ لم تفهم رين حتى المشكلة.

قالت:

— "لا بد أن هناك مساحة على السفن.. دعها تذهب."

— "هذا ليس قراركِ. قد تموت هناك."

ردت فينكا بسرعة:

— "مخاطر مهنية.. نحن جنود."

— "أنتِ لستِ جندية."

— "لماذا لا؟ بسبب جولين نيس؟" نبحت فينكا ضحكة. "أتظن أنه بمجرد اغتصابك لا يمكنك أن تكوني جندية؟"

تحرك نزهة بملل وعدم راحة:

— "هذا ليس ما قلته."

— "بلى، هو كذلك. حتى لو لم تقله، هذا ما تفكر فيه!" ارتفعت حدة صوت فينكا باطراد. "تظن أنه لأنهم اغتصبوني، فلن أعود أبدًا لطبيعتي."

مد نزهة يده لكتفها:

— "ميمي.. هيا."

ميمي. أختي الصغيرة. ليس بالدم، ولكن بحكم قرب عائلتيهما. كان يحاول استدعاء قلقه التقليدي عليها لثنيها عن الذهاب.

— "ما حدث لكِ كان فظيعًا. لا أحد يلومكِ. لا أحد هنا يتفق مع والدك، أو والدتي..."

صرخت فينكا:

– "أعرف ذلك! أنا لا أكترث لذلك!"

بدا نزهة متألمًا:

– "لا أستطيع حمايتك هناك."

– "ومتى حميتني أصلاً؟" ضربت فينكا يده بعيدًا عن كتفها. "هل تعرف بماذا فكرت عندما كنت في ذلك المنزل؟ ظللت آمل أن يأتي شخص ما من أجلي، ظننت حقًا أن شخصًا ما قادم من أجلي. وأين بحق الجحيم كنت أنت؟ لا مكان. لذا تبًا لك يا نزهة. لا يمكنك إبقائي آمنة، لذا قد تدعني أقاتل أيضًا."

قال نزهة:

– "بلى، أستطيع.. أنا جنرال. عودي. وإلا سأجعل شخصًا يسحبكِ عائدة."

خطفت فينكا القوس المستعرض من رين ووجهته نحو نزهة. انطلق سهم، وأخطأ خد نزهة بصعوبة، وانغرس في عمود خلف رأسه بعدة أقدام، حيث اهتز في الخشب، مرنًا بصوت عالٍ.

قال نزهة بهدوء:

– "لقد أخطأتِ."

رمت فينكا القوس المستعرض على الرصيف وبصقت عند قدمي نزهة.

– "أنا لا أخطئ أبدًا."

***

كانت القبطانة سالخي قائدة سفينة "السوالو" تنتظر فرقة السيك عند قاعدة جسر العبور. كانت امرأة نحيلة، وصغيرة البنية، بشعر مقصوص، وعينين ضيقتين، وبشرة بنية مائلة للوردي – ليس اللون الداكن للجنوبيين، بل سمرة شمالي شاحب قضى وقتًا طويلاً في الشمس.

قالت:

– "أفترض أن علي معاملتكم كما أعامل أي جنود آخرين.. هل يمكنكم التعامل مع العمليات الأرضية؟"

قالت رين:

– "سنكون بخير.. سأطلعكِ على تخصصاتهم."

– "سأقدر ذلك." توقفت سالخي قليلاً. "وماذا عنكِ؟ أخبرني إريدين عن، آه، مشكلتك."

– "لا يزال لدي ذراعان وساقان."

قال كيتاي وهو يمشي خلفها:

– "ولديها رمح ثلاثي.. مفيد جدًا لصيد السمك."

التفتت رين، متفاجئة بسرور:

– "أنت قادم معنا؟"

– "إما سفينتكم أو سفينة نزهة. وبصراحة، هو وأنا كنا نثير أعصاب بعضنا البعض."

قالت:

– "هذا خطؤك في الغالب."

– "أوه، بالتأكيد هو كذلك. لا أهتم. علاوة على ذلك، أنا أحبكِ أكثر. ألستِ مسرورة؟"

كان ذلك أقرب ما ستحصل عليه من عرض سلام من كيتاي. ابتسمت رين. وصعدا معًا على متن "السوالو".

لم تكن المركبة سفينة حربية متعددة الطوابق. كان هذا طرازًا أنيقًا وصغيرًا، مشابهًا في بنائه لزوارق الأفيون السريعة. صف واحد من المدافع يسلحها على كل جانب، لكن لا توجد مجانيق مثبتة على سطحها. وجدت رين، التي اعتادت على وسائل الراحة في سفينة "سيغريم"، أن "السوالو" ضيقة بشكل غير مريح.

كانت "السوالو" تابعة للأسطول الأول، واحدة من سبعة زوارق خفيفة وسريعة قادرة على المناورات التكتيكية الضيقة. ستبحر مقدمًا قبل أسبوعين بينما يستعد الأسطول الأثقل بقيادة جينزا للشحن.

خلال ذلك الوقت سيكونون معزولين عن سلسلة القيادة في أرلونغ.

لم يكن ذلك مهمًا. كانت تعليماتهم قصيرة وبسيطة: العثور على مصدر السم، وتدميره، ومعاقبة كل رجل متورط حتى آخر واحد. لم يحدد فايسرا الكيفية. ترك ذلك للقباطنة، ولهذا السبب أراد الجميع الوصول إليهم أولاً.

الفصل الخامس عشر

خطط طاقم "السوالو" لمواصلة الإبحار صعودًا في مجرى النهر حتى لا يعودوا محاطين بالأسماك الميتة، أو حتى يصبح مصدر السم واضحًا. لا بد للمنشأة أن تكون بالقرب من ملتقى نهري رئيسي، وقريبة بما يكفي من نهر موروي لضمان عدم انجراف السم نحو المحيط أو احتجازه في طريق مسدود. سافروا شمالاً صعودًا في الموروي حتى وصلوا إلى حدود إقليم الأرنب، حيث تفرع النهر إلى عدة روافد.

وهنا تفرقت الزوارق السريعة. سلكت "السوالو" الطريق الغربي الأقصى، وهو جدول متعرج كسول ينساب ببطء عبر القلب الداخلي للإقليم. ساروا بحذر مع إخفاء علمهم، متنكرين كسفينة تجارية لتجنب شكوك الإمبراطورية.

حافظت القبطانة سالخي على انضباط صارم ونظيف على متن السفينة. تناوب اللواء الرابع عشر على نوبات العمل على سطح السفينة، إما لمراقبة الشاطئ أو التجديف بالأسفل. تقبل الجنود والطاقم وجود فرقة "السيك" بينهم بلامبالاة حذرة. وإذا كانت لديهم أسئلة عما يمكن للشامانات فعله أو عدم فعله، فقد احتفظوا بها لأنفسهم.

— "أرأيت شيئًا؟"

انضمت رين إلى كيتاي عند حاجز الميمنة، وساقاها تؤلمانها بعد نوبة تجديف طويلة. كان ينبغي عليها الذهاب للنوم وفقًا للجدول، لكن منتصف الصباح كان الوقت الوحيد الذي تداخلت فيه استراحاتهما.

شعرت بالارتياح لأنها وكيتاي عادا ليكون على وفاق مرة أخرى. لم تعُد الأمور لطبيعتها تمامًا — ولم تكن تعرف ما إذا كانت ستعود لطبيعتها أبدًا — لكن على الأقل لم يعد كيتاي يشع حكمًا باردًا في كل مرة ينظر إليها.

قال وهو يقف ساكنًا تمامًا، وعيناه مثبتتان على الماء، وكأنه يستطيع تتبع مسار المصدر الكيميائي بقوة إرادته المحضة:

— "ليس بعد."

كان غاضبًا. استطاعت رين تمييز غضبه — وجنتاه تكتسيان بياضًا شاحبًا، ويقف بتصلب مفرط، ويمضي فترات طويلة دون أن يرمش. كانت سعيدة فقط لأنه ليس غاضبًا منها.

أشارت قائلة:

— "انظر.. لا أظن أن هذا هو الرافد الصحيح."

تحركت أشكال داكنة تحت الماء الأخضر العكر. مما يعني أن الحياة النهرية لا تزال حية وبصحة جيدة، ولم تتأثر بالسم.

مال كيتاي للأمام:

— "ما ذاك؟"

تتبعت رين نظره لكنها لم تستطع تمييز ما كان ينظر إليه.

سحب عمودًا مزودًا بشبكة من الحاجز، وغرفه في الماء، والتقط شيئًا صغيرًا. في البداية ظنت رين أنه اصطاد سمكة، لكن عندما وضعه كيتاي على السطح رأت أنه نوع من الكيس الجلدي الداكن، بحجم ثمرة بوملي تقريبًا، معقود بإحكام عند الطرف بحيث بدا بشكل غريب مثل ثدي.

التقطه كيتاي بإصبعين.

قال:

— "هذا ذكي.. مقزز، لكنه ذكي."

— "ما هو؟"

— "إنه مذهل. لا بد أن هذا من عمل خريج من سينغارد. أو خريج من يولو. لا أحد غيرهم بهذا الذكاء."

مده نحوها. فتراجعت للخلف. كانت رائحته فظيعة — مزيج من رائحة حيوانية نتنة ورائحة السم الحادة واللاذعة التي أعادت لها ذكريات أجنة الخنازير المحنطة من دروس الطب مع المعلم إنرو.

قطبت أنفها:

— "هل ستخبرني ما هو؟"

قلبه كيتاي في راحة يده وهزه:

— "مثانة خنزير.. مقاومة للحمض، على الأقل لدرجة معينة. لهذا السبب لم يُخفف السم قبل وصوله إلى أرلونغ."

فرك حافة المثانة بين أصابعه.

— "هذا يبقى سليمًا حتى لا يذوب العامل في الماء إلا عندما يصل للمصب. كان القصد منه أن يدوم عدة أيام، أسبوعًا على الأكثر."

انفجرت المثانة تحت الضغط. انسكب السائل على يد كيتاي، جاعلاً جلده يئز وينكمش. تسربت سحابة صفراء في الهواء. واشتدت الرائحة اللاذعة. شتم كيتاي وألقى بالمثانة عائدة فوق جانب السفينة، ثم مسح جلده بسرعة بزيّه العسكري.

— "تباً."

فحص يده التي ظهر عليها طفح جلدي شاحب ومتهيج.

سحبته رين بعيداً عن سحابة الغاز. ولارتياحها، تبددت في ثوانٍ.

— "بحق أثداء النمر، هل أنت..."

— "أنا بخير. ليس عميقًا، لا أظن." احتضن كيتاي يده داخل مرفقه وجفل من الألم. "اذهبي واحضر سالخي. أعتقد أننا نقترب."

***

قسمت سالخي اللواء الرابع عشر إلى فرق من ستة أفراد انتشرت عبر المنطقة المحيطة في رحلة استكشافية برية. وعثرت فرقة "السيك" على مصدر السم أولاً. كان مرئيًا لحظة خروجهم من خط الأشجار — مبنى ضخم من ثلاثة

طوابق ببرجي جرس في كلا الطرفين، مشيد على الطراز المعماري للبعثات الهسبيرية القديمة.

عند الجدار الجنوبي، امتد أنبوب واحد فوق النهر — قناة مخصصة لنقل النفايات ومياه الصرف الصحي إلى الماء. وبدلاً من ذلك، كان يوزع القرون السامة في النهر بانتظام ميكانيكي.

شخص ما، أو شيء ما، كان يلقيها من الداخل.

أشار كيتاي لبقية السيك بالانحناء خلف الشجيرات:

— "هذا هو.. علينا إدخال شخص ما هناك."

همست رين:

— "ماذا عن الحرس؟"

— "أي حرس؟ لا يوجد أحد هناك."

كان محقًا. بدت البعثة بالكاد مأهولة بالحامية. استطاعت رين عد الجنود على يد واحدة، وبعد نصف ساعة من مسح المحيط، لم يجدوا أي آخرين في دورية.

قالت:

— "هذا غير منطقي."

قال كيتاي:

— "ربما ليس لديهم الرجال ببساطة."

سأل باجي:

— "إذن لماذا يستفزون التنين؟ إذا لم يكن لديهم دعم، فتلك الضربة كانت حمقاء. هذه البلدة بأكملها ميتة."

قالت رين:

— "ربما يكون كمينًا."

بدا كيتاي غير مقتنع:

— "لكنهم لا يتوقعوننا."

— "قد يكون بروتوكولاً. ربما يختبئون جميعًا في الداخل فقط."

– "ليست هذه الطريقة التي ترتب بها الدفاعات. تفعل ذلك فقط إذا كنت تحت الحصار."

– "إذن تريد منا مهاجمة مبنى بمعلومات استخباراتية ضئيلة؟ ماذا لو كان هناك فصيل بالداخل؟"

سحب كيتاي صاروخ إشارة من جيبه:

– "أعرف طريقة للاكتشاف."

قال رامسا:

– "انتظر.. القبطانة سالخي قالت ألا نشتبك."

قال كيتاي بعنف لم يعهده أبدًا:

– "تباً لسالخي."

وقبل أن تتمكن رين من إيقافه أشعل الفتيل، وصوب، وأطلق الإشارة نحو رقعة الغابة خلف البعثة.

هز انفجار الغابة. بعد عدة ثوانٍ سمعت رين صراخًا من داخل البعثة. ثم خرجت مجموعة من الرجال المسلحين بأدوات زراعية من الأبواب وركضوا نحو الانفجار.

قال كيتاي:

– "ها هم حراسك."

رفعت رين رمحها الثلاثي:

– "أوه، تباً لك."

عد كيتاي تحت أنفاسه وهو يراقب الرجال:

– "حوالي خمسة عشر. ونحن أربعة وعشرون." نظر للخلف إلى باجي و سوني. "هل تظنان أنكما تستطيعان إبعادهم عن البعثة حتى يصل الآخرون؟"

قال باجي:

– "لا تهيننا.. اذهبا."

***

بقي حارسان فقط عند أبواب البعثة. تخلص كيتاي من أحدهما بقوسه المستعرض. واشتبكت رين مع الآخر لبضع دقائق حتى جردته أخيرًا من سلاحه وغرزت رمحها الثلاثي في حلقه. سحبته للخلف وسقط.

وقفت الأبواب مفتوحة على مصراعيها أمامهم. حدقت رين في الداخل المظلم. ضربتها رائحة الجثث المتعفنة كالجدار، كثيفة وحادة لدرجة أن عينيها دمعتا. غطت فمها بكمها وسألت:

— "أأنت قادم؟"

تود.

التفتت. وقف كيتاي فوق الحارس الثاني، وقوسه موجه للأسفل، يمسح بقع الدم عن ذقنه بظهر يده. وضبطها تحدق فيه.

قال:

— "فقط للتأكد."

في الداخل وجدوا مسلخًا.

أخذت عينا رين لحظة للتكيف مع الظلام. ثم رأت جثث الخنازير في كل مكان نظرت إليه — ملقاة على الأرض، ومكدسة في الزوايا، وممددة فوق الطاولات، كلها مشقوقة بدقة جراحية.

تمتمت:

— "أثداء النمر."

قتلهم شخص ما جميعًا فقط من أجل مثاناتهم. أذهلها الهدر الهائل. الكثير من اللحم المتعفن مكدس على هذه الأرضيات، بينما اللاجئون في الإقليم المجاور نحيلون لدرجة أن ضلوعهم تبرز من خلال ملابسهم الرثة.

قال كيتاي:

— "وجدتهم."

تبعت خط نظره عبر الغرفة. وقفت دزينة من البراميل المفتوحة مصطفة بمحاذاة الجدار. كانت تحتوي على السم في صورته السائلة — خليط أصفر ضار

يرسل أبخرة سامة تتصاعد بكسل في الهواء فوقهم. وفوق البراميل كانت هناك رفوف ورفوف من العبوات المعدنية. أكثر مما تستطيع رين عده.

رأت رين تلك العبوات من قبل، مكدسة بعناية على رفوف مثل هذه تمامًا. حدقت فيها لساعات بينما كان علماء موغين يربطونها بسرير ويجبرون الأفيون في عروقها.

تحول وجه كيتاي إلى لون مائل للاخضرار. كان يعرف ذلك الغاز من جولين نيس.

— "لن ألمس ذلك لو كنت مكانك."

خرجت شخصية من السلم المقابل لهم. رفع كيتاي قوسه المستعرض بسرعة. تراجعت رين بوضع القرفصاء، ورمحها الثلاثي جاهز للرمي بينما تضيق عينيها لتمييز وجه الشخصية في الظلام.

خطت الشخصية إلى الضوء:

— "استغرقتم وقتًا طويلاً بما يكفي."

أسقط كيتاي ذراعيه:

— "نيانغ؟"

لم تكن رين لتتعرف عليها. لقد غيرت الحرب نيانغ. حتى في عامهم الثالث في سينغارد، بدت نيانغ دائمًا كطفلة — بريئة، ومستديرة الوجه، ولطيفة. لم تكن تبدو أبدًا وكأنها تنتمي لأكاديمية عسكرية. الآن بدت مجرد جندية، بآثار ندوب وقسوة مثل بقيتهم.

قال كيتاي:

— "أرجوكِ قولي إنكِ لستِ وراء هذا."

— "ماذا؟ القَرون؟" تتَبعت نَيانغ بأصابعها حافة البرميل. كانت يداها مغطاة بآثار حمراء ملتهبة. "تصميم ذكي، أليس كذلك؟ كنت آمل أن يلاحظ شخص ما."

بينما تحركت نيانغ أكثر نحو الضوء، رأت رين أن الآثار لم تتشكل على يديها فقط. كانت رقبتها ووجهها مبقعين باللون الأحمر، وكأن جلدها قد كُشط بالجانب المسطح من نصل حتى أصبح نيئًا.

قالت رين:

— "تلك العبوات.. إنها من الاتحاد."

ضحكت نيانغ:

— "نعم، لقد وفروا علينا بعض الجهد حقًا، أليس كذلك؟ أنتجوا آلاف البراميل من ذلك الشيء. أراد أمير حرب الأرنب استخدامه لغزو أرلونغ، لكني كنت أذكى بشأن الأمر. ضعوه في الماء، قلت لهم. جوعوهم. الجزء الصعب حقًا كان تحويله من غاز إلى سائل. استغرق ذلك مني أسابيع."

سحبت نيانغ عبوة من الجدار ووزنتها في يدها، وكأنها تستعد للرمي:

— "هل تظنان أن بإمكانكما فعل أفضل؟"

جفلت رين وكيتاي في آن واحد.

خفضت نيانغ ذراعها وهي تضحك بسخرية:

— "أمزح."

قال كيتاي بهدوء:

— "ضعي ذلك أرضًا." كان صوته مشدودًا، ومضبوطًا بعناية. "لنتحدث. لنكتفِ بالحديث يا نيانغ. أعرف أن شخصًا ما حرضكِ على هذا. لستِ مضطرة لفعل هذا."

قالت نيانغ:

— "أعرف ذلك.. لقد تطوعت. أم ظننت أنني سأجلس وأدع الخونة يقسمون الإمبراطورية؟"

قالت رين:

— "أنتِ لا تعرفين عمّ تتحدثين."

رفعت نيانغ العبوة أعلى:

— "أعرف ما يكفي.. أعرف أنكم هددتم بتجويع الشمال حتى يركعوا لأمير حرب التنين. أعرف أنكم ستغزون أقاليمنا إذا لم تحصلوا على ما تريدون."

سأل كيتاي:

— "إذن حلك هو تسميم الجنوب بأكمله؟"

زمجرت نيانغ:

— "انظر من يتحدث.. لقد جعلتمونا نتضور جوعًا. بعتمونا تلك الحبوب المريضة. كيف تشعرون بتذوق الدواء نفسه؟"

قال كيتاي:

— "الحظر كان مجرد تهديد.. لا أحد يجب أن يموت."

أشارت نيانغ بإصبعها نحو رين:

— "لقد مات الناس! كم قتلت هي على تلك الجزيرة؟"

رمشت رين:

— "من يهتم بأمر الاتحاد بحق الجحيم؟"

ارتجف صوت نيانغ:

— "كانت هناك قوات ميليشيا هناك أيضًا. الآلاف منهم.. أخذ الاتحاد أسرى حرب، وشحنهم إلى معسكرات العمل. أخذوا إخوتي. هل أعطيتهم فرصة للخروج من الجزيرة؟"

— "أنا..." ألقت رين نظرة يائسة على كيتاي. "هذا ليس صحيحًا."

هل كان صحيحًا؟

بالتأكيد كان أحدهم ليخبرها لو كان الأمر صحيحًا.

لم ينظر كيتاي في عينيها.

ابتلعت ريقها وقالت:

— "نيانغ، لم أكن أعرف..."

صرخت نيانغ:

– "لم تكن تعرفين!" تأرجحت العبوة بخطر في يدها. "ذلك يجعل كل شيء أفضل، أليس كذلك؟"

مد كيتاي كفه، وقوسه مخفوض:

– "نيانغ، أرجوكِ، ضعي ذلك أرضًا."

هزت نيانغ رأسها:

– "هذا خطؤكم. لقد خضنا حربًا للتو. لماذا لم تستطيعوا فقط تركنا وشأننا؟"

قالت رين:

– "لا نريد قتلكِ.. أرجوكِ..."

رفعت نيانغ العبوة فوق رأسها:

– "يا للكرم! هي لا تريد قتلي! الجمهورية ستشفق على..."

تمتم كيتاي:

– "تباً لهذا."

وفي حركة انسيابية واحدة رفع قوسه، وصوب، وأطلق سهمًا مباشرة في ثدي نيانغ الأيسر.

تردد صدى الضربة كنبضة قلب أخيرة.

جحظت عينا نيانغ. وأمالت رأسها للأسفل، تفحص صدرها بفضول كسول. خارت ركبتاها تحتها. انزلقت العبوة من يدها وتدحرجت لتتوقف عند الجدار.

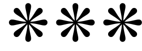
طار غطاء العبوة بفرقعة. وتدفق دخان أصفر منها، يملأ الطرف البعيد من الغرفة بسرعة.

خفض كيتاي قوسه:

– "لنذهب."

ركضا. ألقت رين نظرة فوق كتفها وهما يتجاوزان الباب. كان الغاز كثيفًا لدرجة تكاد تحجب الرؤية، لكنها لم تستطع أن تخطئ مشهد نيانغ، تنتفض

وتتشنج في كفن من الحمض يأكل بشراهة في جلدها. بقع حمراء تزهر بلا رحمة عبر جسدها، وكأنها دمية ورقية أُسقطت في بركة من الحبر.



رش مطر خفيف الهواء فوق "السوالو" بينما كانت تنجرف أسفل الرافد لتعاود الانضمام للأسطول الرئيسي.

تجادل الطاقم لفترة وجيزة حول ما يجب فعله بالعبوات. لم يستطيعوا تركها في البعثة، لكن لم يرغب أحد منهم في وجود الغاز على متن السفينة. أخيرًا اقترح رامسا تدمير البعثة بحريق مسيطر عليه. كان الهدف المزعوم ردع أي شخص عن الاقتراب منها حتى يتمكن جينزا من إرسال سرب لاستعادة أي عبوات متبقية، لكن رين شكت في أن رامسا أراد فقط عذرًا لتفجير شيء ما.

لذا أغرقوا المكان بالزيت، وكدسوا الحطب على السطح وفي المسلخ المؤقت، ثم أطلقوا سهامًا مشتعلة من السفينة بمجرد وصولهم لمسافة إبحار آمنة.

اشتعل المبنى فورًا، حريق جميل ظل مرئيًا من على بعد أميال. لم ينجح المطر بعد في إخماد اللهب كله. لا تزال دفقات صغيرة من اللون الأحمر تحترق عند قاعدة المبنى ويمتد الدخان ليعانق السماء من الأبراج.

شق قصف الرعد السماء. وبعد ثوانٍ تحول الرذاذ الخفيف إلى قطرات كبيرة وقاسية تضرب السطح بصوت عالٍ وبلا هوادة.

أمرت القبطانة سالخي الطاقم بوضع براميل لجمع المياه العذبة. نزل معظم الطاقم إلى مقصوراتهم، لكن رين جلست على السطح، وسحبت ركبتيها إلى صدرها، وأمالت رأسها للخلف. ضربت قطرات المطر مؤخرة حلقها، منعشة وباردة بشكل رائع. تغرغرت بمياه الأمطار، وتركتها تتناثر على وجهها وملابسها. كانت تعلم أن السم لم يلوثها وإلا لكانت قد رأت آثاره، لكنها بطريقة ما لم تستطع الشعور بالنظافة.

قال كيتاي:

– "ظننت أنكِ تكرهين الماء."

نظرت للأعلى. وقف فوقها، بحالة بائسة ومبللة تمامًا. لا يزال يمسك قوسه في يديه.

سألت:

– "أنت بخير؟"

كانت عيناه ميتتين:

– "لا."

– "اجلس معي."

أطاع دون كلمة. فقط عندما كان بجوارها رأت مدى عنف ارتعاشه.

قالت:

– "أنا آسفة بشأن نيانغ."

هز كتفيه بحركة مفاجئة:

– "أنا لست كذلك."

– "ظننت أنك معجب بها."

– "بالكاد كنت أعرفها."

– "لقد كنت معجبًا بها. أنا أذكر. ظننتَ أنها لطيفة. أخبرتني بذلك في المدرسة."

– "نعم، ثم ذهبت تلك السافلة وسممت نصف البلاد."

أمال رأسه للأعلى. كانت عيناه حمراوين، ولم تستطع تمييز دموعه من المطر. أخذ نفسًا طويلاً ومرتجفًا.

ثم انهار.

– "لا أستطيع الاستمرار في فعل هذا." انسكبت الكلمات منه بين شهقات مفاجئة ومخنوقة. "لا أستطيع النوم. لا أستطيع إمضاء ثانية دون رؤية جولين نيس. أغلق عيني وأعود للاختباء خلف ذلك الجدار والصراخ لا يتوقف لأن القتل يستمر طوال الليل..."

مدت رين يدها ليده:

– "كيتاي..."

– "وكأنني مجمد في لحظة واحدة. ولا أحد يعرف ذلك لأن الجميع قد تجاوزوا الأمر ما عداي، لكن بالنسبة لي كل ما حدث منذ جولين نيس هو حلم، وأعرف أنه ليس حقيقيًا لأنني ما زلت خلف الجدار. والجزء الأسوأ — الجزء الأسوأ هو أنني لا أعرف من يسبب الصراخ. كان الأمر أسهل عندما كان الاتحاد وحده هو الشرير. الآن لا أستطيع معرفة من المحق ومن المخطئ، وأنا الذكي، من المفترض دائمًا أن أملك الإجابة الصحيحة، لكنني لا أملكها."

لم تعرف ما يمكن قوله لمواساته، فلفت أصابعها حول أصابعه وأمسكتها بقوة:

– "ولا أنا."

سأل فجأة:

– "ماذا حدث على تلك الجزيرة؟"

– "أنت تعرف ما حدث."

– "لا. لم تخبريني قط." اعتدل في جلسته. "هل كان بوعي؟ هل فكرتِ فيما كنتِ تفعلينه؟"

قالت:

– "لا أتذكر.. أحاول ألا أتذكر."

ضغط عليها:

– "هل كنتِ تعلمين أنكِ تقتلينهم؟ أم أنكِ فقط..." انقبضت أصابعه في قبضة ثم انفرطت تحت يدها.

قالت:

– "أردت فقط أن ينتهي الأمر.. لم أكن أفكر. لم أرد إيذاءهم، ليس حقًا، أردت فقط أن ينتهي الأمر."

– "لم أرد قتلها. أنا فقط.. لا أعرف لماذا..."

– "أعرف."

أصر:

– "لم يكن ذلك أنا." لكنها لم تكن الشخص الذي يحتاج لإقناعه.

كل ما استطاعت فعله هو ضغط يده مرة أخرى:

– "أعرف."

***

أُرسلت الإشارات، وعُكست المسارات. وفي غضون يوم كانت الزوارق المتفرقة قد فرت بسرعة أسفل الموروي لتنضم للأسطول الرئيسي.

عندما رأت رين الأسطول الجمهوري من الأمام بدا صغيرًا بشكل مخادع، سفن مرتبة في تشكيل ضيق. ثم اقتربوا من الجانب وانبسط التهديد الكامل للأسطول أمامها، عرض رائع ومذهل للقوة. مقارنة بالسفن الحربية، كانت "السوالو" مجرد شيء صغير، طائر صغير يعود للسرب.

أشعلت القبطانة سالخي عدة فوانيس للإشارة بعودتهم، وأشارت سفن الدورية في المقدمة بإذن الاختراق عبر الخط. انزلقت "السوالو" في الصفوف. وبعد ساعة صعد جينزا على متن سفينتهم. وتجمع الطاقم على السطح لتقديم التقرير.

قالت سالخي لجينزا:

– "أوقفنا السم عند المصدر، لكن قد تكون هناك عبوات متبقية في الأنقاض. سترغب في إرسال سرب هناك لمعرفة ما إذا كان بإمكانك استعادتها."

سأل جينزا:

– "هل كانوا ينتجونها بأنفسهم؟"

قالت سالخي:

– "هذا مستبعد. لم تكن تلك منشأة أبحاث، بل مسلخًا مؤقتًا. يبدو أن تلك كانت مجرد نقطة التوزيع."

قالت رين:

– "نعتقد أنهم حصلوا عليها من منشأة الاتحاد على الساحل.. تلك التي كنت فيها.. التي أخذوني إليها."

عبس جينزا:

— "تلك بعيدة جداً في إقليم الثعبان. لماذا إحضارها إلى هنا؟"

قال كيتاي:

— "لم يمكنهم إطلاقها في إقليم الثعبان.. التيار يأخذ السم إلى البحر بدلاً من أرلونغ. لذا لا بد أن شخصًا ما ذهب هناك مؤخرًا، واستعاد العبوات، ونقلها إلى إقليم الأرنب."

قال جينزا:

— "آمل أن يكون ذلك صحيحًا.. لا أريد التفكير في البديل."

لأن البديل، بالطبع، كان مرعبًا — أنهم يقاتلون حربًا ليس فقط ضد الإمبراطورية، بل أيضًا ضد الاتحاد. أن الاتحاد نجا، واحتفظ بأسلحته، وكان يرسلها لأعداء فايسرا.

سأل جينزا:

— "هل أخذتم أسرى؟"

أومأت سالخي:

— "حارسان. إنهما في الحجز. سنسلمهما للاستجواب."

لوح جينزا بيده:

— "لا حاجة لذلك.. نحن نعرف ما نحتاج معرفته. أحضروهما إلى الشاطئ."

***

قال كيتاي لنزهة:

— "أخوك لديه ميل للاستعراض العام."

كان الصراخ مستمرًا لأكثر من ساعة الآن. كادت رين تعتاد عليه، رغم أنه جعل من الصعب عليها تحمل عشائها.

عُلق حراس إقليم الأرنب على أعمدة في الأرض، وضُربوا لمزيد من التنكيل. جردهم جينزا من ملابسهم، وسلخهم، ثم سكب سمًا مخففًا من أحد القرون في قارورة وقام بغليه. الآن كان يجري في جداول أسفل جلد الحراس،

راسمًا مسارًا أحمر بخاريًا غاضبًا فوق خدودهم، وعظام ترقوتهم، ونزولاً نحو أعضائهم التناسلية المكشوفة، بينما جلس الجنود الجمهوريون على الشاطئ يراقبون.

قال نزهة:

— "لم يكن هذا ضروريًا." وجلس وعشاءه لم يُمس بجانبه. "هذا بشع."

ضحك كيتاي، ضحكة مسطحة وجوفاء:

— "لا تكن ساذجًا."

— "ماذا يفترض أن يعني ذلك؟"

— "هذا ضروري. الجمهورية تلقت للتو ضربة هائلة. لا يستطيع فايسرا إلغاء تسميم النهر، أو حقيقة أن آلاف الناس سيموتون جوعًا. لكن أعطِ بضعة رجال قليلاً من الألم، وافعل ذلك علنًا، وسيصبح كل شيء على ما يرام."

سألت رين:

— "هل يجعله ذلك على ما يرام بالنسبة لك؟"

هز كيتاي كتفيه:

— "لقد سمموا نهرًا لعينًا."

لف نزهة ذراعيه حول ركبتيه:

— "تقول سالخي إنكم كنتم هناك لفترة."

أومأت رين:

— "رأينا نيانغ. أردت إخبارك بذلك."

رمش نزهة، متفاجئًا:

— "وكيف حالها؟"

قال كيتاي وهو لا يزال يحدق في الرجال على الأعمدة:

— "ميتة."

راقبه نزهة للحظة، ثم رفع حاجبًا نحو رين. فهمت سؤاله. وهزت رأسها.

تمتم نزهة بعد صمت:

— "لم أفكر في قتال زملائنا في الفصل.. من نعرفه أيضًا في الشمال؟ كوريل، أردا..."

قال كيتاي دون أن يلتفت:

— "أبناء عمومتي.. هان. توبي. معظم بقية فصلنا، إذا كانوا لا يزالون أحياء."

قال نزهة:

— "أفترض أنه ليس من السهل خوض حرب ضد الأصدقاء."

قال كيتاي:

— "بلى، هو كذلك.. لديهم خيار. نيانغ اتخذت خيارها. وصادف أنها كانت مخططة تمامًا."

الفصل السادس عشر

بحلول غروب الشمس، كانت تشنجات الحراس قد توقفت.

أمر جينزا بإحراق جثثهم كاستعراض أخير. لكن لذة الانتقام في مشاهدة الجثث تحترق كانت أقل بكثير من سماع صراخ الرجال، وفي النهاية أصبحت رائحة اللحم المشوي نفاذة جدًا على الشاطئ لدرجة أن الجنود بدأوا بالعودة إلى سفنهم.

نهضت رين ونفضت الفتات عن زيها قائلة:

— "حسنًا، كان ذلك ممتعًا.. لنعد."

سأل كيتاي:

— "ستذهبين للنوم بهذه السرعة؟"

— "لن أبقى هنا.. الرائحة نتنة."

قال نزهة:

— "ليس بتلك السرعة. لقد خرجتِ من سفينة (السوالو). وتم إعادة تعيينكِ إلى (الرفراف)."

— "هي فقط؟"

— "لا، جميعكم. والسيك أيضًا. يريدكم جينزا للاستشارات الاستراتيجية، ويعتقد أن السيك يمكنهم إحداث ضرر أكبر من على متن سفينة حربية. (السوالو) ليست قارب هجوم."

نظرت رين نحو سفينة (الرفراف)، حيث كان الجنود الهسبيريون وأفراد الطائفة الرمادية مرئيين بوضوح على السطح.

استنتج نزهة السؤال من نظرة السخط على وجهها:

— "نعم، هذا مقصود.. أرادوا إبقاء عين أقرب عليكِ."

قالت رين:

— "أنا بالفعل أسمح لـ بيترا بفحصي كالحيوان مرة في الأسبوع.. لا أريد رؤيتهم وأنا أحاول الأكل."

رفع نزهة يديه مستسلمًا:

— "أوامر جينزا. لا شيء يمكننا فعله."

شكت رين في أن القبطانة سالخي طلبت أيضًا نقلهم بسبب العصيان.

كانت سالخي محبطة بشدة لأن السيك اقتحموا البعثة دون أمر منها، ولم يساعد باجي الأمور بإشارته إلى أنهم لم يكونوا ليحتاجوا لبقية قواتها بغض النظر.

تأكدت شكوك رين عندما استغرق جينزا عشرين دقيقة لإبلاغها هي والسيك بأنهم سيتبعون أوامره بالحرف أو سيجدون أنفسهم ملقين في نهر موروي.

قال لها:

— "لا يهمني أن والدي يعتقد أن الشمس تشرق من مؤخرتك. ستتصرفون كجنود أو ستعاقبون كهاربين."

تمتمت رين وهي تغادر مكتبه:

— "وغد."

وافقها كيتاي:

— "إنه فظيع تمامًا.. من النادر أن تجد شخصًا يجعل نزهة يبدو كالشقيق اللطيف."

قال رامسا:

— "أنا لا أقول إنني أريده أن يغرق في الموروي.. لكني أريده أن يغرق في الموروي."

مع توحد الأسطول، بدأت حملة الجمهورية الشمالية بجدية. وضع جينزا مسارًا مباشرًا يمر مباشرة عبر إقليم الأرنب، الذي كان غنيًا زراعيًا وضعيفًا نسبيًا. سيقطفون الثمار سهلة المنال ويرسخون قاعدة إمداداتهم قبل مواجهة القوة الكاملة للميليشيا.

بصرف النظر عن الهسبيريين، وجدت رين أن السفر على متن (الرفراف) كان تحسنًا ملحوظًا عن (السوالو). بطول مائة ياردة على الأقل من المقدمة للمؤخرة، كانت (الرفراف) قارب السلحفاة الوحيد في الأسطول، بسطح علوي مغلق مغلف بألواح خشبية وصفائح فولاذية جعلتها محصنة تقريبًا ضد نيران المدافع. عملت (الرفراف) كقطعة درع عائمة تقريبًا، ولسبب وجيه — فهي تحمل جينزا، والأدميرال مولكوي، ومعظم كبار الاستراتيجيين في الأسطول، وأغلب الوفد الهسبيري.

كانت (الرفراف) محاطة بثلاث سفن شقيقة تعرف باسم (صقور البحر) — سفن حربية بألواح عائمة متصلة بجانبي الميناء والميمنة على شكل أجنحة طائر. سُميت اثنتان منها بمودة (الطيطوي) و(شمعي الجناح). أما (الغريفون)، بقيادة نزهة، فأبحرت مباشرة خلف (الرفراف).

وحرست السفينتان الأخريان فخر الأسطول ورأس حربته — سفينتان برجيتان ضخمتان سماهما شخص ذو حس دعابة سيئ (الصرد) و(المرعة). كانتا ضخمتين بشكل وحشي وثقيلتين من الأعلى، ومجهزتين بمنجنيقين مثبتين وأربعة صفوف من الأقواس المستعرضة لكل منهما.

تقدم الأسطول صعودًا في الموروي بتشكيل سلامي، مصطفًا للتكيف مع ضيق النهر. تناوبت الزوارق الأصغر بالدخول بين السفن الحربية أو اتباعها في خط مستقيم، مثل سرب من البط الصغير يتبع أمه.

فكرت رين أن هذا هو جمال الحرب النهرية؛ فالقوات لم تضطر أبدًا لإرهاق نفسها بالسير. كان عليهم فقط الانتظار ليتم نقلهم إلى أهم مدن الإمبراطورية، والتي كانت جميعها قريبة من الماء. تحتاج المدن للماء لتبقى على قيد الحياة، تمامًا كما تحتاج الأجساد للدم. لذا إذا أرادوا الاستيلاء على الإمبراطورية، فما عليهم سوى الإبحار عبر شرايينها.

***

عند الفجر وصل الأسطول إلى حدود بلدة رادان. كانت رادان واحدة من المراكز الاقتصادية الأكبر في إقليم الأرنب، واستهدفها جينزا لموقعها

الاستراتيجي عند ملتقى مجريين مائيين، وامتلاكها لعدة مخازن حبوب جيدة التخزين، وحقيقة بسيطة أنها بالكاد تمتلك جيشًا.

أمر جينزا بغزو فوري دون مفاوضات.

سألت رين كيتاي:

— "هل هو خائف أن يرفضوا؟"

قال كيتاي:

— "على الأرجح هو خائف أن يستسلموا.. يحتاج جينزا لأن تُبنى هذه الحملة على الخوف."

— "ماذا، السفن البرجية ليست مخيفة بما يكفي؟"

— "تلك خدعة. الأمر ليس متعلقًا براداان، بل بالمعركة التالية. يجب استخدام راداان كمثال."

— "مثال لِماذا؟"

قال كيتاي بعبوس:

— "لما يحدث عندما تقاوم.. من الأفضل أن تحضري رمحكِ. نحن على وشك البدء."

كانت (الرفراف) تقترب بسرعة من بوابات رادان النهرية. رفعت رين منظارها لتحصل على نظرة أقرب لأسطول البلدة الذي جُمع على عجل. كان مزيجًا مثيرًا للشفقة ومضحكًا من سفن عفا عليها الزمن، معظمها إبداعات ذات صارية واحدة بأشرعة من الحرير المزين بالزيت. كانت سفن رادان سفنًا تجارية وقوارب صيد بلا قدرة نارية. ومن الواضح أنها لم تُستخدم أبدًا للحرب.

فكرت رين أن فرقة السيك وحدها كانت لتستولي على المدينة. كانوا بالتأكيد تواقين لذلك. سوني و باجي كانا يجوبان السطح لساعات، نافدي الصبر لرؤية بعض الحركة أخيرًا. كان بإمكانهما على الأرجح كسر الدفاعات الخارجية بمفردهما. لكن جينزا أراد تكريس موارده الكاملة لكسر رادان. لم تكن تلك استراتيجية، بل استعراضًا.

خطى جينزا إلى السطح، وألقى نظرة واحدة على أسطول دفاع رادان، وتثاءب في يده:

– "أدميرال مولكوي."

حنى الأدميرال رأسه:

– "نعم سيدي؟"

– "انسف تلك الأشياء من الماء."

كانت المعركة التي تلت ذلك من جانب واحد لدرجة بدت مستحيلة. لم تكن قتالاً، بل مأساة هزلية.

كان رجال رادان قد دهنوا أشرعتهم بالزيت. وهي ممارسة قياسية للتجار، الذين أرادوا إبقاء أشرعتهم مقاومة للماء ومحصنة ضد التعفن. لكنها لم تكن فكرة ذكية ضد الألعاب النارية.

أطلقت (صقور البحر) سلسلة من صواريخ التنين مزدوجة الرأس التي انفجرت في منتصف الهواء إلى سرب من المتفجرات الأصغر، والتي نشرت وابلاً ظليلاً من النار عبر أسطول رادان. اشتعلت الأشرعة فورًا. ابتلعت صفائح كاملة من اللهب الحارق الأسطول المثير للشفقة، هادرة بصوت عالٍ لدرجة أنه لبرهة كان كل ما يمكن لأي شخص سماعه.

وجدت رين متعة غريبة في المشاهدة، بنفس الطريقة التي كان من الممتع فيها ركل القلاع الرملية لمجرد أنها تستطيع.

قال رامسا وهو يجلس على مقدمة السفينة بينما تنعكس ألسنة اللهب المتراقصة في عينيه:

– "أثداء النمر.. كأنهم لم يحاولوا حتى."

قفز مئات الرجال من السفن هربًا من الحرارة الحارقة.

قال جينزا:

– "اجعل الرماة يقنصون أي شخص يخرج من النهر.. ودع الباقين يحترقون."

استغرقت المناوشة أقل من ساعة من البداية للنهاية. أبحرت (الرفراف) بانتصار عبر البقايا المتفحمة لأسطول رادان لترسو مباشرة عند حدود البلدة. تعجب رامسا من مدى تدمير المدافع للبوابات النهرية، واشتكى باجي من أنه لم يحصل على فرصة لفعل أي شيء، وحاولت رين ألا تنظر في الماء.

دُمر أسطول رادان وأصبحت بواباتها حطامًا. ألقى السكان المتبقون في البلدة أسلحتهم واستسلموا دون عناء يذكر. تدفق رجال جينزا إلى المدينة وأخلوا جميع المدنيين من مساكنهم لإفساح الطريق للنهب.

اصطف النساء والأطفال في الشوارع، رؤوسهم للأسفل، يرتجفون خوفًا بينما قادهم الجنود خارج البوابات وعلى طول الشاطئ. هناك تكوموا في حزم مرعوبة، عيونهم الزجاجية تحدق في بقايا أسطول رادان.

كان الجنود الجمهوريون حريصين على عدم إيذاء المدنيين. كان جينزا مصرًا جدًا على عدم إساءة معاملة المدنيين.

— "إنهم ليسوا سجناء، وليسوا ضحايا. لنسمهم أعضاء محتملين في الجمهورية."

بالنسبة لمواطنين محتملين في الجمهورية، بدوا مرعوبين حقًا وصدقًا من حكومتهم الجديدة.

كان لديهم سبب وجيه للخوف. اصطف أبناؤهم وأزواجهم في صفوف على طول الشاطئ، تحت تهديد السيوف. قيل لهم إن مصائرهم لم تتقرر بعد، وإن القيادة الجمهورية تناقش طوال الليل مسألة قتلهم من عدمه.

نوى جينزا ترك المدنيين يقضون الليل غير متأكدين مما إذا كانوا سيعيشون حتى شروق الشمس.

وفي الصباح، سيعلن للحشد أنه تلقى أوامر من أرلونغ. أن أمير حرب التنين قد تأمل في مصائرهم. وأنه أدرك أنه ليس خطأهم أنهم ضللوا للمقاومة من قبل قادتهم الفاسدين، وأغوتهم إمبراطورة لم تعد تخدمهم. وأنه أدرك أن هذا القرار لم يُتخذ من قبل هؤلاء الناس الشرفاء البسطاء. لذا سيكون رحيمًا.

سيضع القرار في أيدي الناس.

سيجعلهم يصوتون.

***

سأل كيتاي:

— "ماذا تظن أنهم يفعلون؟"

قالت رين:

— "إنهم يبشرون.. ينشرون كلمة الصانع الطيبة."

— "لا يبدو توقيتًا رائعًا."

— "أفترض أن عليهم استغلال الجمهور الأسير حين يحصلون عليه."

جلسا متربعين على الشاطئ في ظل (الرفراف)، يراقبون مبشري الطائفة الرمادية وهم يشقون طريقهم عبر كتل المدنيين المتكومين. كانوا بعيدين جداً لتسمع رين ما يقولونه، لكن بين الحين والآخر رأت مبشرًا يركع بجانب العديد من المدنيين البائسين، ويضع يديه على أكتافهم حتى وهم يجفلون مبتعدين، وينطق بما كان صلاة لا لبس فيها.

قال كيتاي:

— "آمل أنهم يتحدثون بالنيكارية.. وإلا سيبدو صوتهم مشؤومًا كالجحيم."

— "لا أظن الأمر يهم إن كانوا كذلك." وجدت رين صعوبة في عدم الشعور بنوع من المتعة المذنبة وهي تشاهد الحشود تنكمش بعيداً عن المبشرين، رغم أفضل جهود الهسبيريين.

مرر كيتاي لها عودًا من السمك المجفف:

— "جائعة؟"

— "شكرًا." أخذت السمكة، وحركت أسنانها حول الذيل، وانتزعت قضمة.

كان هناك فن لأكل سمك "المااياو" المملح الذي شكل غالبية حصصهم الغذائية. كان عليها مضغه بطريقة معينة لجعله طريًا بما يكفي لتتمكن من استخراج اللحم من حول العظام وبصق الأشياء الشوكية. القليل من المضغ وسيجرح العظم حلقها؛ والكثير منه وسيفقد السمك كل نكهته.

كان سمك المايو المملح طعام جيش ذكي. استغرق أكله وقتًا طويلاً لدرجة أنه بحلول الوقت الذي تنتهي فيه رين، مهما كانت الكمية القليلة التي استهلكتها بالفعل، كانت تشعر بالشبع من الملح واللعاب.

سأل كيتاي:

– "هل رأيتِ قضبانهم؟"

كادت رين تبصق سمكتها:

– "ماذا؟"

أشار بيديه:

– "يفترض أن الرجال الهسبيريين، آه، أكبر بكثير من الرجال النيكاريين. سالخي قالت ذلك."

– "وكيف تعرف سالخي؟"

– "كيف تظنين؟" حرك كيتاي حاجبيه. "اعترفي، لقد فكرتِ في الأمر."

ارتجفت:

– "ليس ولو دفعت لي."

– "هل رأيتِ الجنرال تاركيت؟ إنه ضخم. أراهن أنه..."

قاطعته بحدة:

– "لا تكن مقرفًا.. إنهم فظيعون. ورائحتهم كريهة. إنهم.. لا أعرف، مثل شيء متخثر."

– "بسبب شربهم لحليب البقر، أعتقد. كل تلك الألبان تعبث بأنظمتهم."

– "ظننت فقط أنهم لا يستحمون."

– "انظري من يتحدث. هل شممتِ نفسكِ مؤخرًا؟"

– "انتظر." أشارت رين عبر النهر. "انظر هناك."

بدأت بعض النساء المدنيات بالصراخ في وجه مبشر. تراجع المبشر بسرعة، ويداه مبسوطتان في وضع غير مهدد، لكن النساء لم يتوقفن عن الصراخ حتى تراجع طوال الطريق أسفل الشاطئ.

أطلق كيتاي صفيرًا منخفضًا:

– "هذا يسير بشكل جيد."

قالت رين:

– "أتساءل عما يقولونه لهن."

قال بتفاخر مصطنع:

– "صانعنا عظيم وقوي.. صلوا معنا ولن تجوعوا أبدًا."

أكملت رين:

– "ستتوقف كل الحروب."

– "سيسقط كل الأعداء صرعى، مضروبين بيد الصانع العظيمة."

– "سيعم السلام المملكة وستنفى الآلهة الشيطانية إلى الجحيم." ضمت رين ركبتيها إلى صدرها وهي تراقب المبشر يقف على الشاطئ، باحثًا عن مجموعة أخرى من المدنيين ليرعبها. "تظن أنهم سيتركوننا وشأننا فقط."

لم يكن الدين الهسبيري جديداً على الإمبراطورية. في ذروة حكمه، استقبل الإمبراطور الأحمر مبعوثين من كنائس الغرب بشكل متكرر. أقام علماء الكنيسة في بلاطه بسينغارد وسلوا الإمبراطور بتنبؤاتهم الفلكية، وخرائط النجوم، واختراعاتهم البارعة. ثم مات الإمبراطور الأحمر، واضطهد مسؤولو البلاط الغيورون العلماء المدللين، وطُرد المبشرون من القارة لقرون.

بذل الهسبيريون جهودًا متقطعة للعودة، بالطبع. كادوا ينجحون خلال الغزو الأول. لكن الآن لم يتذكر عامة النيكاريين سوى الأكاذيب التي نشرتها "الترايفيكتا" عنهم بعد حرب الخشخاش الثانية. أنهم يقتلون ويأكلون الرضع. ويستدرجون الشابات إلى أديرتهم للعمل كعبيد جنس. لقد أصبحوا وحوشًا في الفولكلور تقريبًا. إذا كانت الطائفة الرمادية تأمل في كسب معتنقين، فلديهم عمل شاق بانتظارهم.

قال كيتاي:

— "يجب أن يحاولوا بغض النظر.. قرأت ذلك في نصوصهم المقدسة مرة. يجادل علماؤهم بأنه كشعب مختار ومبارك من المهندس المعماري الإلهي، فإن التزامهم هو التبشير لكل كافر يقابلونه."

— "مختار؟ ماذا يعني ذلك؟"

— "لا أعرف." أومأ كيتاي متجاوزًا كتف رين. "لمَ لا تسألينها؟"

التفتت رين.

كانت الأخت بيترا تسير بخطى سريعة أسفل الشاطئ نحوهم.

ابتلعت رين آخر لقمة سمك بسرعة كبيرة. زحفت بألم أسفل حلقها، كل بلعة كانت خدشًا مؤلمًا لعظم غير مطرى.

التقت بيترا بعيني رين وأشارت بإصبعها. تعالي. كان ذلك أمرًا.

ربت كيتاي على كتفها وهو ينهض:

— "استمتعي."

أمسكت رين بكمه:

— "إياك أن تتركني..."

— "لن أدخل في منتصف هذا.. لقد رأيت ما يمكن لتلك البنادق فعله."

***

قالت بيترا وهما تعودان إلى (الرفراف):

— "تهانينا.. قيل لي إن هذا كان نصرًا عظيمًا."

قالت رين:

— "(عظيم) كلمة تصفه بدقة."

— "والنار لم تأتِ إليكِ في المعركة؟ الفوضى لم تطل برأسها؟"

توقفت رين عن المشي:

— "هل كنتِ تفضلين لو أنني أحرقت هؤلاء الناس أحياء؟"

ركض مبشر من خلفهم مناديًا:

— "أخت بيترا؟"

بدا صغيرًا بشكل مذهل. لم يكن يتجاوز السادسة عشرة بيوم. وجهه منفتح وطفولي، وعيناه الزرقاوان الواسعتان برموش طويلة كفتاة.

سأل:

– "كيف تقولين (أنا من عبر البحر العظيم)؟ لقد نسيت."

– "هكذا." نطقت بيترا العبارة النيكارية بدقة لا تشوبها شائبة.

– "أنا من عبر البحر العظيم." بدا الفتى مسرورًا وهو يكرر الكلمات. "هل قلتها بشكل صحيح؟ النغمات؟"

أدركت رين بصدمة أنه كان ينظر إليها.

قالت:

– "بالتأكيد.. كان ذلك جيدًا."

ابتسم الفتى لها ابتسامة عريضة:

– "أحب لغتكم. إنها جميلة جدًا."

رمشت رين في وجهه. ما خطبه؟ لماذا بدا سعيدًا هكذا؟

قالت بيترا بصوت حاد فجأة:

– "أخ أوغوس.. ما الذي في جيبك؟"

نظرت رين ورأت حفنة من "الوتو"، كعك دقيق الذرة المطهو بالبخار الذي يشكل مع سمك الماياو معظم وجبات الجنود، تطل من جانب جيب أوغوس.

قال بسرعة:

– "مجرد حصتي."

سألت بيترا:

– "وهل كنت ستأكلها؟"

– "بالتأكيد، أنا فقط أتمشى..."

– "أوغوس."

تهدل وجهه:

– "قالوا إنهم جائعون."

قالت رين بجمود:

— "غير مسموح لك بإطعامهم."

كان جينزا قد جعل ذلك الأمر واضحًا بصرامة. على المدنيين أن يجوعوا الليلة. عندما تطعمهم الجمهورية في الصباح، سيتحول رعبهم إلى حسن نية.

قال أوغوس:

— "هذا قاسٍ."

— "تلك هي الحرب.. وإذا لم تستطع اتباع الأوامر الأساسية، إذن..."

تدخلت بيترا بسرعة:

— "تذكر تدريبك يا أوغوس. نحن لا نعارض مضيفينا. نحن هنا لنشر الكلمة الطيبة. ليس لتقويض النيكاريين."

— "لكنهم يتضورون جوعًا.. أردت مواساتهم..."

— "إذن واسهم بتعاليم الصانع." وضعت بيترا يدًا على خد أوغوس. "اذهب."

راقبت رين أوغوس يندفع عائدًا أسفل الشاطئ:

— "لا ينبغي أن يكون في هذه الحملة. إنه صغير جدًا."

التفتت بيترا وأشارت لرين لتتبعها إلى (الرفراف):

— "ليس أصغر بكثير من جنودكم."

— "جنودنا مدربون."

— "وكذلك مبشرونا." قادت بيترا رين لأسفل إلى مقصورتها في الطابق الثاني. "الإخوة والأخوات في الطائفة الرمادية كرسوا حياتهم لنشر كلمة المهندس المعماري الإلهي عبر الأراضي الموبوءة بالفوضى. تم تدريبنا جميعًا في أكاديميات الشركة منذ كنا صغارًا جدًا."

— "أنا متأكدة أنه من السهل العثور على برابرة لتحضيرهم."

— "هناك بالفعل الكثيرون في هذا النصف من الكرة الأرضية لم يجدوا طريقهم للصانع." بدت بيترا وكأنها فوتت سخرية رين تمامًا. وأشارت لرين بالجلوس على السرير. "هل تودين اللودانوم مجددًا؟"

— "هل ستلمسينني مجددًا؟"

— "نعم."

بهذا المعدل كانت رين تخاطر بالانزلاق مرة أخرى إلى إدمانها للأفيون. لكن هذا الخيار كان بين الشيطان الذي تعرفه والأجنبية التي لا تعرفها. أخذت الكوب المقدم.

قالت بيترا بينما كانت رين تشرب:

— "قارتكم كانت مغلقة أمامنا لفترة طويلة. جادل بعض رؤسائنا بأنه يجب علينا التوقف عن تعلم لغاتكم. لكني عرفت دائمًا أننا سنعود. الصانع يطلب ذلك."

أغمضت رين عينيها بينما تسلل الإحساس المألوف بالتخدير للودانوم عبر مجرى دمها:

— "إذن، ماذا، مبشروكم يمشون جيئة وذهابًا على ذلك الشاطئ يعطون الجميع خطبًا طويلة عن الساعات؟"

— "لا يحتاج المرء لاستيعاب الشكل الحقيقي للمهندس المعماري الإلهي ليتصرف وفقًا لمشيئته. نعلم أن البرابرة يجب أن يزحفوا قبل أن يمشوا. الاستدلالات ستفي بالغرض لغير المستنيرين."

— "تعنين قواعد أخلاقية سهلة لأناس أغبى من أن يفهموا سبب أهميتها."

— "إذا كان لا بد أن تكوني فجة بشأن الأمر. أنا واثقة أنه مع الوقت، سيكتسب بعض النيكاريين على الأقل تنويرًا حقيقيًا. في غضون بضعة أجيال، قد يكون بعضكم لائقًا حتى للانضمام للطائفة الرمادية. لكن الاستدلالات يجب تطويرها أولاً للشعوب الأقل شأنًا..."

رددت رين:

— "الشعوب الأقل شأنًا.. من هي الشعوب الأقل شأنًا؟"

قالت بيترا، بوجه جاد تمامًا، وكأن هذه مسألة حقيقة بسيطة:

— "أنتم، بالطبع.. ليس خطأكم. النيكاريون لم يتطوروا لمستوانا بعد. هذا علم بسيط؛ الدليل في ملامح وجوهكم. انظري."

سحبت كومة من الكتب إلى الطاولة وفتحتها لترها رين.

غطت رسومات لأشخاص نيكاريين كل صفحة. كانت مشروحة بكثافة. لم تستطع رين فك رموز الخط الهسبيري المسطح والمتعرج، لكن عدة عبارات برزت.

انظر طية العين — تشير إلى شخصية كسولة.

بشرة شاحبة. سوء تغذية؟

في الصفحة الأخيرة، رأت رين رسمًا مشروحًا بكثافة لنفسها لا بد أن بيترا رسمته. كانت رين سعيدة لأن خط يد بيترا كان أصغر من أن تفك رموزه. لم تُرِد قراءة أي استنتاجات عن نفسها.

أشارت بيترا إلى المخططات وهي تشرح:

— "بما أن عيونكم أصغر، فأنتم ترون ضمن محيط أصغر مما نرى. بشرتكم لها صبغة صفراء تشير لسوء التغذية أو نظام غذائي غير متوازن. الآن انظري لأشكال جماجمكم. أدمغتكم، التي نعلم أنها مؤشر على قدرتكم العقلانية، أصغر بطبيعتها."

نظرت رين إليها بذهول:

— "تظنين أنكم ببساطة أذكى منا بشكل طبيعي؟"

قالت بيترا:

— "لا أظن ذلك.. أنا أعرفه. الدليل موثق جيداً. النيكاريون أمة تشبه القطيع بشكل خاص. تستمعون جيداً، لكن الفكر المستقل صعب عليكم. تصلون لاستنتاجات علمية بعد قرون من اكتشافنا لها." أغلقت بيترا الكتاب. "لكن لا تقلقي. مع الوقت، ستصبح جميع الحضارات مثالية في عيني الصانع. تلك هي مهمة الطائفة الرمادية."

قالت رين، لنفسها تقريبًا:

– "تظنون أننا أغبياء." كان لديها رغبة سخيفة في الضحك. هل أخذ الهسبيريون أنفسهم حقًا بهذه الجدية؟ هل ظنوا أن هذا علم؟ "تظنون أننا جميعًا أدنى منكم."

قالت بيترا:

– "انظري لهؤلاء الناس على الشاطئ. انظري لبلدك، يتشاجر على فضلات حروب تخوضونها منذ قرون. هل يبدون متطورين لكِ؟"

– "وماذا، حروبكم الخاصة تصادف أنها متحضرة؟ الملايين منكم ماتوا، أليس كذلك؟"

– "ماتوا لأننا كنا نحارب قوى الفوضى. حروبنا ليست داخلية. إنها معارك صليبية. لكن انظري لتاريخك الخاص، وأخبريني أن أيًا من حروبكم الداخلية خيضت لأي شيء آخر غير الجشع الصريح، أو الطموح، أو القسوة المحضة."

لم تعرف رين ما إذا كان اللودانوم، أو ما إذا كانت بيترا محقة حقًا، لكنها كرهت أنها لم تملك إجابة.

***

في الصباح، اقتيد الرجال المتبقون من رادان تحت تهديد السيف إلى ساحة البلدة وأمروا بالإدلاء بأصواتهم برمي بلاطات في أكياس من الخيش. كان بإمكانهم الاختيار من لونين للبلاط: أبيض لنعم وأسود لـ لا.

سألت رين نزهة:

– "ماذا يحدث إذا صوتوا ضد؟"

قال:

– "سيموتون.. حسنًا، معظمهم. إذا قاوموا."

– "ألا تظن أن ذلك يضيع الهدف نوعًا ما؟"

هز نزهة كتفيه:

– "الجميع ينضم للجمهورية باختياره الحر. نحن فقط، حسنًا، نميل الموازين قليلاً."

تم التصويت رجلاً رجلاً واستمر لأكثر من ساعة بقليل. وبدلاً من عد البلاط، أفرغ جينزا الأكياس على الأرض ليتمكن الجميع من رؤية الألوان. وبأغلبية ساحقة، انتخبت قرية رادان الانضمام للجمهورية.

قال:

— "قرار جيد.. مرحبًا بكم في المستقبل."

أمر زورقًا واحدًا بالبقاء مع طاقمه لفرض الأحكام العرفية وجمع ضريبة حبوب شهرية حتى نهاية الحرب. سيصادر الأسطول سُبع مخازن طعام البلدة، تاركًا ما يكفي فقط لتدبير أمور رادان خلال الشتاء.

بدا نزهة مسرورًا ومرتاحًا وهما يغادران في الموروي:

— "هذا ما تحصلين عليه عندما يقرر الناس."

هز كيتاي رأسه:

— "لا، هذا ما تحصل عليه عندما تقتل كل الرجال الشجعان وتدع الجبناء يصوتون."

***

كانت المناوشات اللاحقة للأسطول الجمهوري سهلة بالمثل لدرجة المبالغة. في أغلب الأحيان استولوا على البلدات والقرى دون قتال. أبدت قلة من المدن مقاومة، لكن دون جدوى. ضد القوة المجتمعة لصقور بحر جينزا، استسلم المقاومون عادة في غضون نصف يوم.

مع اتجاههم شمالاً، فصل جينزا ألوية، ثم فصائل كاملة، لحكم الأراضي المحررة حديثًا. ونزفت أطقم أخرى جنودًا لتشغيل تلك السفن الفارغة، حتى اضطرت عدة زوارق للبقاء على الشاطئ لأن الأسطول انتشر بشكل رقيق للغاية.

بعض القرى التي غزوها لم تبدِ مقاومة على الإطلاق، بل انضمت للجمهورية بسهولة. أرسلوا متطوعين في قوارب محملة بالطعام والمؤن. ورفرفت أعلام محاكة على عجل تحمل ألوان إقليم التنين فوق أسوار المدينة في إشارة ترحيب.

أشار كيتاي:

– "انظري لذلك.. علم فايسرا. ليس علم الجمهورية."

سألت رين:

– "هل للجمهورية علم أصلاً؟"

– "لست متأكداً. من الغريب أنهم يظنون أنهم يُغزون من قبل إقليم التنين، مع ذلك."

بناءً على نصيحة كيتاي، وضع جينزا سفن المتطوعين والبحارة في مقدمة الأسطول. لم يثق ببحارة إقليم الأرنب للقتال على أرضهم، ولم يردهم في مواقع استراتيجية حاسمة تحسبًا لانشقاقهم. لكن السفن الإضافية كانت، في أسوأ السيناريوهات، طعمًا ممتازًا. عدة مرات أرسل جينزا سفنًا حليفة أولاً لاستدراج البلدات لفتح بواباتها قبل أن يقتحمها بسفنه الحربية.

لفترة من الوقت بدا وكأنهم قد يأخذون الشمال بأكمله في اكتساح واحد نظيف وغير معاق. لكن حظوظهم انقلبت أخيرًا للأسوأ عند الحدود الشمالية لإقليم الأرنب عندما أجبرتهم عاصفة رعدية ضخمة على الرسو في خليج نهري.

لم تكن العاصفة خطيرة بقدر ما كانت مملة. عواصف الأنهار، بعكس عواصف المحيط، يمكن ببساطة انتظار انقضائها إذا تم إرساء السفن. لذا لمدة ثلاثة أيام تحصنت القوات أسفل السطح، تلعب الورق وتروي القصص بينما يضرب المطر الهيكل.

قال المساعد الأول لـ (الرفراف)، رجل نحيل كان في البحر لفترة أطول مما كان جينزا حيًا، وأصبح راوي القصص المفضل في قاعة الطعام:

– "في الشمال لا يزالون يقدمون تضحيات إلهية للريح. في الأيام التي سبقت الإمبراطور الأحمر، أرسل خان الأراضي الخلفية أسطولاً لغزو الإمبراطورية. لكن ساحرًا استدعى إله ريح ليخلق إعصارًا لتدمير أسطول الخان، وتحولت سفن الخان إلى شظايا في المحيط."

سأل بحار:

– "لماذا لم يضحوا للمحيط؟"

– "لأن المحيطات لا تخلق العواصف. كان هذا إله الريح. لكن الريح متقلبة وغير متوقعة، والآلهة لم تتقبل أبدًا استدعاءها من قبل النيكاريين بسهولة. في اللحظة التي دُمر فيها أسطول الخان، انقلب إله الريح على الساحر النيكاري الذي استدعاه. سحب قرية الساحر إلى السماء وأسقطها في مطر دموي من المنازل الممزقة، والماشية المسحوقة، والأطفال المقطعين."

نهضت رين وغادرت قاعة الطعام بهدوء.

كانت الممرات أسفل السطح هادئة بشكل مخيف. غاب صوت الطحن المستمر للرجال العاملين على عجلات التجديف. تركز الطاقم والجنود في قاعة الطعام، إن لم يكونوا نائمين، لذا كان الممر خاليًا إلا منها.

عندما ضغطت وجهها على الكوة رأت العاصفة تهيج في الخارج، الأمواج الشرسة تدور حول الخليج كأيدٍ تواقة للوصول وتمزيق الأسطول إربًا. في السحب ظنت أنها رأت عينين – ساطعتين، سماويتين، وذكيتين بخبث.

ارتجفت. ظنت أنها سمعت ضحكًا في الرعد. ظنت أنها رأت يدًا تمتد من السماء.

ثم رمشت، وكانت العاصفة مجرد عاصفة.

***

لم تُرِد أن تكون وحيدة، لذا غامرت بالنزول إلى مقصورات الجنود، حيث عرفت أنها ستجد السيك.

لوح لها باجي للدخول:

– "مرحبًا.. من اللطيف انضمامك."

جلست متربعة بجانبه:

– "ماذا تلعبون؟"

رمى باجي حفنة من النرد في كوب:

– "تقسيمات.. هل لعبتِها من قبل؟"

فكرت رين للحظة في المعلم فيريك، الرجل الذي أوصلها لسينغارد، وإدمانه المؤسف للعبة. ابتسمت بحنين:

– "قليلاً فقط."

نظريًا، لم يُسمح بأي نوع من المقامرة على السفن. السيدة يين سايخارا، منذ حجها للغرب، وضعت قواعد صارمة بشأن الرذائل مثل الشرب، والتدخين، والمقامرة، ومخالطة البغايا. تجاهلها الجميع تقريبًا. ولم يفرضها فايسرا أبدًا.

اتضح أنها لعبة شرسة نوعًا ما. استمر رامسا في اتهام باجي بالغش. باجي لم يكن يغش، لكنهم اكتشفوا أن رامسا كان يفعل عندما انسكبت حفنة من النرد من كمه، وعندها تحولت اللعبة إلى مباراة مصارعة انتهت فقط عندما عض رامسا باجي في ذراعه بقوة كافية لإسالة الدم.

شتم باجي وهو يلف قطعة قماش حول مرفقه:

– "أيها الشقي الجرب."

ابتسم رامسا، كاشفًا عن أسنان ملطخة بالأحمر.

كان الملل واضحًا عليهم جميعًا، يصيبهم بالجنون أثناء انتظار العاصفة. لكن رين شكت في أنهم كانوا أيضًا يتوقون للعمل. حذرتهم من عدم استعراض قدراتهم الكاملة حيث قد يراقب الجنود الهسبيريون. عرفت بيترا بشأن شامان واحد؛ لم تكن بحاجة لاكتشاف الباقين.

اتضح أن الإخفاء سهل نسبيًا في الحملة. قدرات سوني وباجي كانت غريبة، نعم، لكنها ليست بالضرورة في نطاق الخوارق. في فوضى القتال، يمكنهم تمرير أنفسهم كجنود فائقي الكفاءة. وقد نجح الأمر حتى الآن. على حد علم رين، لم يشك الهسبيريون في شيء. قد يكون سوني وباجي محبطين من كبح جماح أنفسهم، لكن على الأقل كانوا أحرارًا.

للمرة الأولى، فكرت رين، اتخذت بعض القرارات اللائقة كقائدة. لم تتسبب في مقتلهم. عاملتهم القوات الجمهورية أفضل مما فعلت الميليشيا أبدًا. كانوا يتقاضون أجرًا، وكانوا آمنين قدر الإمكان، وذلك أفضل ما يمكنها فعله لهم.

سأل باجي وهو يغرف النرد من الأرض للعبة جديدة:

– "كيف هي الطائفة الرمادية؟ سمعت أن تلك المرأة تثرثر حتى تصم أذنك في كل مرة تكونان معًا."

تمتمت رين:

– "إنه غباء.. محاضرات دينية."

سأل رامسا:

– "كومة من الهراء؟"

اعترفت قائلة:

– "لا أعرف.. قد يكونون محقين بشأن بعض الأشياء."

تمنت لو كان بإمكانها نبذ الإيمان الهسبيري بسهولة أكبر، لكن أجزاء كثيرة منه بدت منطقية. أرادت تصديقه. أرادت رؤية أفعالها الكارثية كنتيجة للفوضى، خطأ إنتروبي، وأن تصدق أنها تستطيع التوبة عنها بتعزيز النظام في الإمبراطورية، وعكس الدمار كما يجمع المرء كوب شاي مكسور.

جعلها ذلك تشعر بتحسن. جعل كل معركة خاضتها منذ أدلاغا تبدو كخطوة أخرى نحو تصحيح الأمور. جعلها تشعر بأنها أقل شبهاً بالقاتلة.

قال باجي:

– "تعلمين أن مهندسهم الإلهي غير موجود.. أعني، تفهمين لماذا هذا واضح، أليس كذلك؟"

قالت ببطء:

– "لست متأكدة."

بالتأكيد لم يكن الصانع موجودًا على نفس المستوى النفسي الروحي للآلهة الأربعة والستين في البانثيون، لكن هل كان ذلك كافيًا لاستبعاد نظرية الهسبيريين؟ ماذا لو كان البانثيون، في الواقع، تجليًا للفوضى؟ ماذا لو كان المهندس المعماري الإلهي موجودًا حقًا في مستوى أعلى، بعيدًا عن متناول أي شخص سوى شعبه المختار والمبارك؟

قالت:

– "أعني، انظر لسفنهم الهوائية.. بنادقهم. إذا كانوا يزعمون أن الدين جعلهم متقدمين، فقد يكونون محقين بشأن بعض الأشياء."

فتح باجي فمه ليرد وأغلقه فورًا. نظرت رين للأعلى ورأت خصلة شعر بيضاء في المدخل.

لم يتحدث أحد. قرقع النرد بصوت عالٍ على الأرض وبقي هناك.

كسر رامسا الصمت:

– "مرحبًا تشاغان."

لم تتحدث رين إلى تشاغان منذ أرلونغ. عندما أبحر الأسطول، أملت جزئيًا أن يختار تشاغان البقاء على اليابسة. لم يكن أبدًا من محبي خوض المعارك، وبعد شجارهما لم تستطع تخيل سبب بقائه معها. لكن التوأمين بقيا مع السيك، ووجدت رين نفسها تعبر الغرفة كلما رأت لمحة من شعر أبيض.

توقف تشاغان عند الباب، و قارا خلفه مباشرة.

سأل:

– "تستمتعون؟"

قال باجي:

– "بالتأكيد.. تريد الانضمام؟"

قال تشاغان:

– "لا، شكرًا.. لكن من اللطيف رؤيتكم جميعًا تقضون وقتًا ممتعًا هكذا."

لم يرد أحد على ذلك. عرفت رين أنها تتعرض للسخرية، لكنها لم تملك الطاقة للدخول في جدال مع تشاغان الآن.

سألت قارا:

– "هل يؤلم؟"

رمشت رين:

– "ماذا؟"

– "عندما تأخذكِ ذات العينين الرماديتين لمقصورتها.. هل يؤلم؟"

– "أوه. إنه.. ليسَ سيئًا جدًا. مجرد الكثير من القياسات."

رمقتها قارا بما بدا كنظرة تعاطف، لكن تشاغان أمسك أخته من ذراعها واقتحم طريقه خارج المقصورة قبل أن تتمكن من التحدث.

أطلق رامسا صفيرًا منخفضًا وبدأ في التقاط النرد من الأرض.

منح باجي رين نظرة فضولية:

— "ماذا حدث بينكما؟"

تمتمت رين:

— "هراء غبي."

ضغط رامسا:

— "هراء غبي عن ألتان؟"

— "لماذا تظن أنه عن ألتان؟"

— "لأنه مع تشاغان، الأمر دائمًا عن ألتان." رمى رامسا نرده في كوب وهز. "بصراحة؟ أعتقد أن ألتان كان صديق تشاغان الوحيد. لا يزال في حداد. ولا يوجد شيء يمكنك فعله لجعل ذلك أقل إيلامًا."

الفصل السابع عشر

مرت العاصفة بأقل الخسائر. انقلب قارب صغير واحد، إذ اقتلعته الرياح من مرساه، ومات ثلاثة رجال غرقًا. لكن الطاقم تمكن من إنقاذ معظم المؤن، وبما أن الغرقى كانوا مجرد جنود مشاة، اعتبر جينزا الأمر نكسة بسيطة.

وما إن انقشعت الغيوم حتى أصدر الأمر بمتابعة الإبحار صعودًا في النهر باتجاه إقليم الكبش. كان ذلك يقربهم خطوة من المركز العسكري للإمبراطورية، وكما توقع كيتاي، كان هذا الإقليم هو أول أرض ستقدم تحديًا حقيقيًا.

تحصن أمير حرب الكبش داخل عاصمته شياشانغ بدلاً من إقامة دفاعات حدودية. ولهذا لم تواجه الجمهورية في زحفها المدمر شمالًا سوى ميليشيات محلية صغيرة. لقد آثر أمير الحرب التريث وانتظار إنهاك قوات جينزا قبل خوض معركة دفاعية.

كانت تلك استراتيجية خاسرة. فالأسطول الجمهوري كان ببساطة أضخم من أي قوة قد يجمعها أمير حرب الكبش. كانوا واثقين من قدرتهم على الاستيلاء على الإقليم، والمسألة مسألة وقت لا أكثر.

العقبة الوحيدة كانت أن شياشانغ تمتلك دفاعات قوية بشكل غير متوقع. وبفضل طيور قارا، حصلت القوات الجمهورية على خريطة دقيقة لهياكل العاصمة الدفاعية. حتى السفن البرجية بمجانيقها ستواجه صعوبة في اختراق تلك الأسوار.

لذا، أمضت رين أمسياتها التالية في مكتب سفينة "الرفراف"، محشورة حول طاولة مع قادة جينزا.

أشار كيتاي إلى حلقة رسمها حول أسوار المدينة:

— "المشكلة في الأسوار. لا يمكنكم اختراقها بالقصف. إنها مصنوعة من التراب المدكوك بسمك ثلاثة أقدام. يمكنكم محاولة صدمها بقذائف المدافع، لكن ذلك سيكون مجرد إهدار لبارود ثمين."

سأل جينزا:

— "ماذا عن الحصار؟ يمكننا إجبارهم على الاستسلام إذا ظنوا أننا مستعدون للانتظار."

قال الجنرال تاركيت:

— "ستكون أحمق لو فعلت."

بدا الغضب واضحًا على جينزا، وتبادل القادة نظرات محرجة.

كان تاركيت حاضرًا دائمًا في مجالس الاستراتيجية، رغم أنه نادرًا ما تحدث ولم يعرض أبدًا مساعدة قواته. كان دوره واضحًا: الحكم على كفاءتهم والسخرية الهادئة من أخطائهم، ما جعل ملاحظاته غير قابلة للدحض ومزعجة في آن واحد.

قال تاركيت:

— "لو كان هذا أسطولي لرميت بكل ما أملك على تلك الأسوار. إذا لم تستطع أخذ عاصمة صغيرة، فلن تأخذ الإمبراطورية."

رد جينزا:

— "لكن هذا ليس أسطولك. إنه أسطولي."

لوى تاركيت شفته بازدراء:

— "أنت في القيادة لأن والدك ظن أنك ستكون ذكيًا بما يكفي لتنفيذ ما أقوله لك."

بدا جينزا مستشيطًا غضبًا، لكن تاركيت رفع يده قبل أن يتمكن من الرد:

— "لا يمكنك تنفيذ هذه الخدعة. إنهم يعرفون أنك لا تملك المؤن ولا الوقت. ستضطر للانسحاب في غضون أسابيع."

ورغمًا عنها، وافقت رين على تقييم تاركيت. لقد درست هذه المشكلة بالتحديد في سينغارد. من بين كل الحملات الدفاعية الناجحة في السجلات العسكرية، كانت الغالبية لمدن صدت الغزاة عبر حروب حصار طويلة. الحصار يحول المعركة إلى لعبة انتظار لمعرفة من سيجوع أولاً. الأسطول الجمهوري يمتلك مؤنًا تكفي لشهر ربما، ومن غير الواضح كم ستصمد شياشانغ. سيكون من الحماقة الانتظار لاكتشاف ذلك.

قال نزهة:

– "بالتأكيد ليس لديهم ما يكفي من الطعام للمدينة بأكملها. لقد تأكدنا من ذلك."

رد كيتاي:

– "لا يهم. أمير حرب الكبش وحاشيته سيكونون بخير. سيتركون الفلاحين يتضورون جوعًا؛ لقد فعل تسونغ هو ذلك من قبل."

سأل نزهة:

– "هل نحاول التفاوض؟"

قال جينزا:

– "لن ينجح الأمر.. تسونغ هو يكره أبي. وليس لديه دافع للتعاون، لأنه سيفترض أنه سيُخلع عاجلاً أم آجلاً تحت حكم الجمهورية."

اقترح الأدميرال مولكوي:

– "قد ينجح الحصار. تلك الأسوار ليست منيعة تمامًا. علينا فقط كسرها عند نقطة اختناق."

قال كيتاي:

– "لا أنصح بذلك. هذا ما يستعدون له. إذا كنت ستقتحم المدينة، فأنت بحاجة لعنصر المفاجأة. حيلة ما. مثل عرض سلام زائف. لكنني لا أظنهم سيقعون في ذلك؛ تسونغ هو ذكي جداً."

خطرت فكرة لرين:

– "ماذا عن فوشاي و غوجيان؟"

حدق الرجال فيها بفراغ.
سأل جينزا:
— "فوشاي ومن؟"
بدا أن كيتاي ونزهة هما الوحيدان اللذان فهما. كانت قصة فوشاي وغوجيان مفضلة لدى المعلم إيرجاه. وقد كُلفوا جميعًا بكتابة أوراق بحثية عنها خلال عامهم الثاني.
شرح نزهة:
— "كان فوشاي وغوجيان جنرالين في عصر الممالك المتحاربة. دمر فوشاي ولاية غوجيان، ثم جعل غوجيان خادمه الشخصي لإذلاله. أدى غوجيان أحط المهام ليقنع فوشاي بأنه لا يضمر له شرًا. وذات مرة عندما مرض فوشاي، تطوع غوجيان لتذوق برازه ليخبره بمدى سوء مرضه. ونجح الأمر.. بعد عشر سنوات، أطلق فوشاي سراح غوجيان. وأول ما فعله غوجيان هو استئجار محظية جميلة وإرسالها لبلاط فوشاي كهدية."
أكمل كيتاي:
— "والمحظية، بالطبع، قتلت فوشاي."
بدا جينزا مرتبكًا:
— "تقصدين أن أرسل لأمير حرب الكبش محظية جميلة؟"
قالت رين:
— "لا.. أقول إنه يجب عليك أن تأكل الخراء."
أطلق تاركيت ضحكة عالية.
احمر وجه جينزا:
— "عذرًا؟"
قالت رين:
— "أمير حرب الكبش يظن أنه يملك كل الأوراق. لذا ابدأ مفاوضات. أذل نفسك، قدم نفسك كأضعف مما أنت عليه، واجعله يستهين بقواتك."

قال جينزا:

— "هذا لن يهدم أسواره."

— "لكنه سيجعله مغرورًا. كيف سيتغير سلوكه إذا لم يكن يتوقع هجومًا؟ إذا ظن بدلاً من ذلك أنك تهرب؟ حينها ستكون لدينا ثغرة لاستغلالها." بحثت رين في ذهنها عن أفكار. "يمكنك إدخال شخص خلف تلك الأسوار. ليفتح البوابات من الداخل."

قال نزهة:

— "لا توجد طريقة لفعل ذلك. ستحتاجين لإدخال فصيلة كاملة لتقاتل من الداخل، ولا يمكنك إخفاء هذا العدد من الرجال في سفينة واحدة."

قالت رين:

— "لا أحتاج لفصيلة كاملة."

— "لا توجد فرقة قادرة على ذلك."

طوت ذراعيها:

— "يمكنني التفكير في واحدة."

وللمرة الأولى، لم ينظر إليها جينزا بازدراء.

سأل:

— "من نرسل للتفاوض مع أمير حرب الكبش إذن؟"

أجاب رين ونزهة في وقت واحد:

— "كيتاي."

عبس كيتاي:

— "لأنني مفاوض جيد؟"

ربت نزهة على كتفه:

— "لا.. لأنك ستكون مفاوضًا سيئًا جدًا، جدًا."

***

قال أمير حرب الكبش، وهو يتكئ باسترخاء على كرسيه وينقر بأصابعه بينما يقيم الوفد الجمهوري بعينين حادتين وذكيتين:

— "كنت تحت انطباع أنني سأستقبل قائدكم الأعلى."

قال كيتاي بصوت مرتعش تمامًا، متظاهرًا بالتوتر بوضوح:

— "ستقابلني أنا.. أمير حرب التنين ليس على ما يرام."

كان الوفد الجمهوري رثًا بشكل متعمد. ولم يرافق كيتاي سوى جنديين من المشاة من سفينة "الرفراف". كان يجب أن تبدو حياته متقشفة. لم يرغب جينزا في السماح لرين بالمجيء، لكنها رفضت البقاء بينما يذهب كيتاي لمواجهة العدو.

التقى الوفدان في منطقة محايدة على طول الشاطئ. جعلت الخلفية اللقاء يبدو كمباراة صيد تنافسية أكثر منه موقعًا لمفاوضات حرب. افترضت رين أن هذه الحركة صممت لإذلال كيتاي.

نظر أمير حرب الكبش لكيتاي من رأسه لقدميه وزم شفتيه:

— "فايسرا لا يكلف نفسه عناء المجيء، لذا يرسل جروًا صغيرًا للتفاوض نيابة عنه."

نفخ كيتاي صدره:

— "لست جروًا. أنا ابن وزير الدفاع تشين."

— "نعم، تساءلت لمَ بدوت مألوفًا. أنت بعيد كل البعد عن والدك العجوز، أليس كذلك؟"

تنحنح كيتاي:

— "أرسلني جينزا بشروط مقترحة لهدنة."

— "الهدنة يجب أن تعقد بين القادة. جينزا لا يمنحني حتى الاحترام الذي يليق بأمير حرب."

قال كيتاي بصلابة:

— "جينزا عهد بالمفاوضات إليّ."

ضاقت عينا أمير الحرب:

— "آه، فهمت. مصاب إذن؟ أم ميت؟"

قال كيتاي، تاركًا صوته يرتجف قليلاً في النهاية:

— "جينزا بخير.. يرسل تحياته."

مال أمير الحرب للأمام في كرسيه، كذئب يتفحص فريسته:

— "حقًا."

تنحنح كيتاي مرة أخرى:

— "أمرني جينزا أن أنقل أن الهدنة لا يمكن إلا أن تفيدك. سنأخذ الشمال. والأمر متروك لك لتقرر ما إذا كنت تريد الانضمام لقواتنا أم لا. إذا وافقت على شروطنا فسنترك شياشانغ وشأنها، طالما يخدم رجالكفي..."

قاطعه أمير الحرب:

— "لا مصلحة لي في الانضمام لجمهورية فايسرا المزعومة. إنها مجرد حيلة ليضع نفسه على العرش."

قال كيتاي:

— "هذا ارتياب مفرط."

— "هل يبدو لك يبن فايسرا كرجل يميل لتقاسم السلطة؟"

— "ينوي أمير حرب التنين تطبيق أسلوب الديمقراطية التمثيلية الممارس في الغرب. إنه يعلم أن النظام الإقليمي لا يعمل..."

قال أمير الحرب:

— "أوه، لكنه يعمل جيدًا جدًا بالنسبة لنا. المعارضون الوحيدون هم أولئك المغفلون المساكين في الجنوب، بقيادة فايسرا نفسه. بقيتنا يرون نظامًا منحنا الاستقرار لعقدين. لا داعي لتعطيل ذلك."

أصر كيتاي:

— "لكنه سيتعطل. لقد رأيت خطوط الصدع بنفسك. أنت على بعد أسابيع من خوض حرب مع جيرانك على الممرات النهرية، ولديك لاجئون أكثر مما تستطيع التعامل معهم، ولم تتلقَ أي مساعدات إمبراطورية."

— "في هذا، أنت مخطئ. لقد كانت الإمبراطورة سخية للغاية مع إقليمي. وفي نفس الوقت، فشل حظركم، وحقولكم مسمومة، والوقت ينفد منكم بسرعة."

رمت رين كيتاي بنظرة. لم يفضح وجهه شيئًا، لكنها عرفت أنه في داخله لا بد يشعر بالشماتة.

وبينما كانوا يتحدثون، انجرفت سفينة تجارية واحدة نحو شياشانغ، تحمل ألوان المهربين التي وفرتها لهم مواغ. ستدعي أنها جاءت من إقليم القرد بشحنات حبوب غير قانونية. ملأ جينزا العنبر بالجنود وألبس البحارة القلائل الذين سيبقون مرئيين على السطح زي تجار النهر.

إذا كان أمير حرب الكبش يتوقع سفن مهربين، فقد يسمح لها بدخول بوابات المدينة.

قال كيتاي:

— "هناك مخرج هنا لا ينتهي بموتك."

قال أمير الحرب:

— "المفاوضات مسألة نفوذ أيها الصبي الصغير.. وأنا لا أرى أسطولك."

قال كيتاي:

— "ربما يجب على جواسيسك البحث بجدية أكبر.. ربما أخفيناه."

لقد أخفوه بالفعل، عميقًا داخل شق في وادٍ على بعد ميلين من مصب بوابات شياشانغ. أرسل جينزا أسطولاً أصغر من الزوارق السريعة، يديرها عدد قليل من الطواقم، نحو رافد مختلف ليجعل الأمر يبدو وكأن أسطول التنين يتجنب شياشانغ تمامًا بالإبحار شرقًا نحو إقليم النمر بدلاً من ذلك. فعلوا ذلك بشكل واضح جداً في وضح النهار. ولا بد أن جواسيس أمير حرب الكبش قد رأوا ذلك.

هز أمير الحرب كتفيه:

— "ربما. أو ربما سلكتم الطريق السهل عبر رافد أودومساب بدلاً من ذلك."

جاهدت رين للحفاظ على تعبير محايد.

قال كيتاي:

— "أودومساب ليس بعيدًا جدًا عنك. سواء عبر النهر أو البر، أنت تقف في طريق حرب جينزا."

نخر أمير الحرب:

— "كلمات جريئة من صبي صغير."

— "صبي صغير يتحدث باسم جيش عظيم.. عاجلاً أم آجلاً، سنأتي من أجلك. وحينها ستندم."

كان التبجح تمثيلاً، لكن رين شكت في أن الإحباط في صوته كان حقيقيًا. لعب كيتاي دوره بشكل جيد لدرجة أن رين لم تستطع إلا أن تشعر برغبة مفاجئة في الوقوف أمامه لحمايته. واقفًا وجهًا لوجه أمام أمير حرب، بدا كيتاي مجرد صبي: نحيلاً، خائفًا، وأصغر بكثير من منصبه.

قال أمير الحرب:

— "لا.. لا أظن أنكم ستفعلون." مد يده وبعثر شعر كيتاي. "أظن أنكم محاصرون. تلك العاصفة ضربتكم أقسى مما تعترفون. وليس لديكم القوات للمضي قدمًا في الشتاء، ومؤنكم تنفد، لذا تريدون مني فتح بواباتي وإنقاذ جلودكم. أخبر جينزا أنه يمكنه أخذ هدنته وحشرها في مؤخرته." ابتسم كاشفًا عن أسنانه. "اركضوا الآن عبر النهر."

***

قال كيتاي:

— "أعترف أن هذه ربما كانت فكرة فظيعة."

كان منظار رين موجهًا نحو بوابات شياشانغ. شعرت بإعياء في معدتها. كان الأسطول ينتظر حول المنعطف منذ حلول الظلام. وقد أشرقت الشمس منذ ساعات. والبوابات لا تزال مغلقة.

قالت رين:

– "لا تظن أنه صدق الخدعة."

قال كيتاي:

– "كنت واثقًا جدًا من أنه سيصدقها.. رجال مثله متغطرسون بشكل لا يصدق لدرجة أنهم يحتاجون دائمًا للاعتقاد بأنهم تفوقوا بذكائهم على أي شخص آخر. لكن ربما قد تفوق بالفعل."

لم تُرِد رين التفكير في ذلك الاحتمال.

مرت ساعة أخرى. لا حركة. بدأ كيتاي يمشي في دوائر، يقضم إبهامه بشدة لدرجة أنه نزف.

– "يجب أن يقترح شخص ما التراجع."

خفضت رين منظارها:

– "ستحكم على رجالي بالموت."

قال باقتضاب:

– "مر نصف يوم.. الاحتمال الأكبر أنهم ماتوا بالفعل."

أشار جينزا، الذي كان يمشي طول السطح بتوتر، نحوهم:

– "حان الوقت لمتابعة الخيارات الأخرى. هؤلاء الرجال رحلوا."

اشتعلت قبضتا رين:

– "إياك و..."

حاول كيتاي تهدئتها:

– "ربما أسروهم.. قد يخطط لاستخدامهم كرهائن."

قال جينزا:

– "ليس لدينا أي شخص مهم على تلك السفينة." وهو ما اعتبرته رين طريقة قاسية لوصف بعض من أفضل جنوده. "وبمعرفتي بـ تسونغ هو، سيشعل النار فيها ببساطة."

زحفت الشمس لمنتصف السماء.

قاومت رين زحف اليأس. كلما تأخر الوقت في اليوم، ساءت فرصهم في اقتحام الأسوار. لقد فقدوا بالفعل عنصر المفاجأة. وبالتأكيد علم أمير حرب الكبش بقدومهم الآن، وكان لديه نصف يوم لإعداد الدفاعات.

لكن أي خيار آخر كان لدى الجمهورية؟ السيك محاصرون خلف تلك البوابات. أي تأخير آخر وستتضاءل فرص نجاتهم إلى العدم. الانتظار عديم الجدوى. والهرب سيكون مذلاً.

بدا أن جينزا كان يفكر في الأمر نفسه:

— "انتهى وقتهم. سنهاجم."

احتج كيتاي:

— "لكن هذا ما يريدونه! هذه هي المعركة التي يريدون خوضها."

— "إذن سنعطيهم تلك المعركة." أشار جينزا للأدميرال مولكوي لإعطاء الأمر. وللمرة الأولى، كانت رين سعيدة لأنه تجاهل كيتاي.

اندفع الأسطول الجمهوري للأمام، سيمفونية من طبول الحرب وعجلات التجديف الهادرة.

استعدت شياشانغ جيداً لمواجهة الهجوم. انتقلت الميليشيا للهجوم فورًا. استقبلت موجة من السهام الأسطول الجمهوري بمجرد دخوله النطاق. للحظة كان من المستحيل سماع أي شيء فوق صوت السهام وهي تنغرس في الخشب، والفولاذ، واللحم.

ولم يتوقف الأمر. استمر الهجوم المدفعي في موجة تلو الأخرى من رماة بدوا وكأن لديهم إمدادًا لا ينتهي من السهام.

رد الرماة الجمهوريون بإطلاق النار، لكن كان بإمكانهم الرماية بلا هدف في السماء. انحنى المدافعون ببساطة وتركوا السهام تمر فوق رؤوسهم بينما انفجرت الصواريخ الجمهورية بلا ضرر ضد أسوار المدينة الضخمة.

كانت (الرفراف) آمنة ومحمية داخل درع السلحفاة، لكن السفن الجمهورية الأخرى تحولت فعليًا لبط جالس. طفت السفن البرجية بلا فائدة في

الماء. لم تستطع أطقم المنجنيق إطلاق أي صواريخ — لم يستطيعوا التحرك دون خوف من تحولهم لوسائد دبابيس.

أرسلت (الطيطوي)، وهي أقرب سفينة (صقر بحر) للأسوار، صاروخ تنين مزدوج الرأس يصرخ عبر الهواء ليطلق عليه رامٍ من الكبش ويسقطه من السماء. عند الارتطام سقط يئز عائدًا نحو القارب. تشتت طاقم (الطيطوي) قبل أن يسقط وابل الصواريخ على مخزون ذخيرتهم الخاص. سمعت رين جولة انفجارات، ثم أخرى — سلسلة تفاعلات ابتلعت سفينة (صقر البحر) في الدخان والنار.

أما (الصرد)، فقد تمكنت من توجيه أبراجها لتقف بجوار بوابة المدينة مباشرة. ضيقت رين عينيها نحو السفينة، محاولة قياس المسافة بينها وبين الجدار. كانت الأبراج طويلة بما يكفي لتجاوز الشرفات، لكن طالما كان الجدار مأهولاً بالرماة، فالبرج عديم الفائدة. أي شخص يتسلق آلة الحصار سيتم قنصه عند القمة.

كان لا بد لشخص ما من القضاء على أولئك الرماة.

حدقت رين في الجدار بغضب، لاعنة الختم. لو استطاعت استدعاء العنقاء لكان بإمكانها إرسال سيل من اللهب فوق الحواجز، ولكانت قد نظفتها في أقل من دقيقة.

لكنها لم تملك النار. مما يعني أنها اضطرت للصعود هناك بنفسها، واحتاجت لمتفجرات.

كورت يديها حول فمها:

— "رامسا!"

كان يختبئ على بعد عشرة أمتار خلف الصاري. صرخت باسمه ثلاث مرات بلا جدوى. أخيرًا رمت قطعة خشب على كتفه لتجذب انتباهه.

صرخ:

— "ماذا بحق الجحيم؟"

– "أحتاج لقنبلة!"

فتح فمه ليرد في اللحظة التي انفجرت فيها مجموعة أخرى من الصواريخ ضد جانب القارب السلحفاة. هز رأسه وأشار بذعر لحقيبته الفارغة.

حركت شفتيها:

– "أي شيء؟"

حفر عميقًا في جيبه، وسحب شيئًا مستديرًا، ودحرجه عبر الأرض نحوها. التقطته. ضربت رائحة نفاذة أنفها.

صرخت:

– "هل هذه قنبلة خراء؟"

لوح رامسا بيديه بعجز:

– "هذا كل ما تبقى لدي!"

سيفي بالغرض. حشرت القنبلة في قميصها. ستقلق بشأن إشعالها عندما تصل للجدار. الآن تحتاج لطريقة للصعود للقمة. ودرع، شيء ضخم، ثقيل وكبير بما يكفي لتغطية جسدها بالكامل...

حطت عيناها على قوارب التجديف.

التفتت لكيتاي:

– "اسحب قاربًا للأعلى."

– "ماذا؟"

أشارت لبرج الحصار:

– "ارفعني في قارب!"

اتسعت عيناه فهمًا. نبح بسلسلة أوامر للجنود خلفه. ركضوا للصاري الرئيسي، منحنين تحت الدروع المرفوعة فوق رؤوسهم.

قفزت رين في قارب تجديف مع جنديين آخرين. وجه كيتاي الرجال لربط الحبال في النهايات، المخصصة عادة لإنزال القارب للماء، على بكرة الصاري. تأرجح القارب بجنون عندما بدأوا رفعه. لم يتم تأمينه جيدًا. في منتصف الطريق هدد بالانقلاب حتى تدافعوا لإعادة توزيع وزنهم.

صفر سهم مارًا برأس رين. رآهم رماة الكبش.

— "تمسكوا!" لوت الحبال. مال القارب ليصبح أفقيًا تقريبًا، درع كامل للجسد. انحنت رين، متشبثة بمقعد كي لا تسقط. انزلق سهم قوس مستعرض عبر قاع القارب وقطع ذراع الجندي على يسارها. صرخ وأفلت يده. بعد ثانية سمعت صوت ارتطامه بالسطح.

حبست أنفاسها. كان القارب تقريبًا عند قمة الجدار.

— "استعدوا." ثنت ركبتيها وأرجحت القارب ليتأرجح للأمام. تأرجحهم الأول نحو الجدار قصر بياردة. التقطت رين لمحة خاطفة ومسببة للدوار للسقوط تحت قدميها.

رشقت سلسلة أخرى من الأسهم القارب بينما تأرجحوا للخلف.

تأرجحهم الثاني أوصلهم قريبًا بما يكفي.

— "هيا!"

قفزوا للجدار. انزلقت رين عند الارتطام. انزلقت ركبتاها على الصخر الصلب لكن قدميها ركلتا في فضاء فارغ مرعب. ألقت بذراعيها للأمام وأمسكت بأخدود محفور في الجدار. جاهدت لسحب نفسها للأعلى بما يكفي لتضرب بمرفقها في الحافة وتسحب جذعها فوقه.

تدحرجت بلا رشاقة على الممشى وترنحت لتقف بينما أرجح جندي كبش نصله نحو رأسها. صدته برمحها الثلاثي، وصارعه في دائرة، وأرسلته يدور بعيداً بلا فائدة، ثم نطحته في جانبه بالطرف الآخر. تدحرج أسفل الدرج واصطدم برفاقه.

أعطاها ذلك مهلة مؤقتة. مسحت جدار الرماة بعينيها. قنبلة خراء رامسا لن تقتلهم، لكنها ستشتت انتباههم. احتاجت فقط لطريقة لإشعالها.

مرة أخرى لعنت الختم. كان بإمكانها إشعالها بفرقعة أصابعها؛ كان الأمر ليكون سهلاً جداً.

جالت بعينيها بحثًا عن مصباح، أو موقد، أو شيء ما... هناك. على بعد خمسة أقدام جلست كومة من الفحم المشتعل في وعاء نحاسي. لا بد أن مدافعي الكبش كانوا يستخدمونها لإشعال صواريخهم الخاصة.

وزنت القنبلة في يديها، ورمتها نحو الوعاء، وصلت.

سمعت فرقعة خافتة ومكتومة.

أخذت نفسًا عميقًا. انسكب دخان لاذع برائحة الخراء فوق الشرفات، كثيفًا ومعميًا.

قال الجندي الجمهوري على يسارها:

— "نحن في ورطة."

ضيقت عينيها عبر الدخان لترى طابورًا من تعزيزات الكبش يقترب بسرعة من الممشى الأيسر.

نظرت بذعر حول الجدار بحثًا عن طريقة للنزول. رأت سلمًا على يسارها، لكن عددًا كبيرًا جدًا من الجنود احتشد عند قاعدته. الطريقة الوحيدة الأخرى للنزول كانت عبر الجانب الآخر من الجدار، لكن الممشى لم يمتد بالكامل حوله — حافة جدار لا تزيد سمكًا عن كعبها وقفت بينها وبين السلم الآخر.

لا وقت للتفكير. قفزت للحافة الخارجية للجدار، وغرزت كعبيها، وبدأت في الركض قبل أن تترنح لأي جانب. كل بضع خطوات شعرت بتوازنها يختل بشكل مروع لجانب واحد. بطريقة ما عدلت نفسها وتابعت.

سمعت رنين عدة أقواس. وبدلاً من الانحناء، قفزت قفزة طائرة نحو السلم. هبطت بألم على جانبها وانزلقت لتتوقف. صرخ كتفها ووركها احتجاجًا، لكن ذراعيها وساقيها لا تزال تعمل. زحفت بجنون أسفل الدرج، والسهام تصفر فوق رأسها.

خلف البوابات كانت منطقة حرب.

تعثرت في زحام من الأجساد، وضجيج الفولاذ. نقتت الأزياء الزرقاء الحشد. جنود جمهوريون. غسلها الارتياح. لم يكونوا موتى بعد كل شيء، مجرد متأخرين.

— "حان الوقت أخيرًا!"

ظهر إعصارا تدمير مألوفان ورائعان أمامها. التقط سوني جنديًا من الكبش وكأنه دمية، ورفعه فوق رأسه، وقذفه في الحشد. ضرب باجي بمدمته في عنق أحدهم، وسحبها للأعلى، ولفها في دائرة ليسقط سهمًا قادمًا من الهواء.

قالت رين:

— "رائع."

ساعدها على الوقوف:

— "ما الذي أخركِ؟"

فتحت رين فمها لترد في اللحظة التي حاول فيها شخص ما الإمساك بها من الخلف. دفعت مرفقها للخلف بالغريزة وشعرت بالقرمشة المُرضية لأنف يتحطم. ارتخت قبضة مهاجمها. تحررت قائلة:

— "كنا ننتظر إشارتكم!"

— "أعطينا إشارة! أرسلنا شعلة للأعلى قبل عشر دقائق! أين الجيش اللعين؟"

أشارت رين للجدار:

— "هناك."

هز ارتطام بوابات شياشانغ. هبطت (الصرد) ببرج حصارها. تدفق الجنود الجمهوريون فوق الجدار كسرب من النمل. هوت الأجساد للأرض كقوالب طوب متدحرجة، بينما طارت خطاطيف التسلق للسماء وانغرست على فترات منتظمة على طول الجدار.

رأت أزياء زرقاء بقدر الخضراء تقريبًا الآن. ببطء توسع ضغط الجنود الجمهوريين عبر الساحة المركزية.

قالت لباجي:

— "إلى البوابات."

– "سبقتكِ." بعثر باجي حشد الجنود الذين يحرسون إحدى عجلات التعليق بضربة مسددة جيداً من مدمته. أخذ سوني العجلة الأخرى. ومعًا غرزا كعبيهما في الأرض ودفعا. شكل الجنود الجمهوريون دائرة حماية حولهم، يصدون ضغط المدافعين.

صرخ أحدهم:

– "ادفعوا!"

لم تحظَ رين بفرصة للنظر خلفها لترى ما يحدث. كانت موجة الفولاذ معمية للغاية. شيء ما شق خدها الأيسر. تناثر الدم عبر وجهها. كان في عينيها – مسحتهما بكمها، لكن ذلك جعلهما تلسعان أكثر.

ضربت بشكل أعمى برمحها الثلاثي. انغرس الفولاذ في العظم، وسقط مهاجمها للأرض. ضربة محظوظة. تراجعت رين خلف الخط الجمهوري ورمشت بشدة حتى صفت رؤيتها.

سمعت طحنًا صريريًا من عجلات التعليق. خاطرت بنظرة فوق كتفها. ومع أنين هائل، فتحت بوابات شياشانغ على مصراعيها.

خلفهم كان الأسطول.

***

انقلب المد. غمر الجنود الجمهوريون الساحة، طوفان من الأزياء الزرقاء الكثيرة لدرجة أن رين فقدت رؤية مدافعي الكبش تمامًا للحظة. في مكان ما نفخ بوق، تبعه سلسلة من ضربات الأجراس رنت بصوت عالٍ لدرجة أغرقت أي صوت آخر.

إشارات استغاثة. لكن إشارات لمن؟ تسلقت رين فوق صندوق، محاولة الرؤية فوق المعمعة.

رصدت حركة في الممر الجنوبي الغربي. ضيقت عينيها. فصيلة جديدة من الجنود، مسلحين ومنتعشين للمعركة، ركضوا نحو الساحة. الميليشيا الاحتياطية المحلية؟ لا – كانوا يرتدون زياً أزرق، ليس أخضر.

لكنه لم يكن أزرق المحيط لزي الجمهورية.

كادت رين تسقط رمحها. هؤلاء لم يكونوا جنودًا نيكاريين.

هؤلاء كانوا قوات الاتحاد.

للحظة ظنت، بذعر، أن الاتحاد لا يزال طليقًا، وأنهم انتهزوا هذه الفرصة لشن غزو متزامن على شياشانغ. لكن ذلك لم يكن منطقيًا. كان الاتحاد خلف بوابات المدينة بالفعل. ولم يكونوا يهاجمون حرس مدينة شياشانغ، بل كانوا يهاجمون فقط القوات المميزة بوضوح بزي الجمهورية.

ضربها الإدراك كلكمة في الأحشاء.

أمير حرب الكبش تحالف مع الاتحاد.

مالت الأرض تحت قدميها. رأت دخانًا ونارًا. رأت أجسادًا مأكولة بالغاز. رأت ألتان، يمشي بظهره مبتعدًا عنها على رصيف...

صرخ باجي:

— "انخفضي!"

رمت رين نفسها على الأرض في اللحظة التي ضرب فيها رمح الجدار حيث كان رأسها.

جاهدت للوقوف. لم تستطع رؤية نهاية لطابور جنود الاتحاد. كم كان عددهم؟ هل ساووا أعداد الجمهورية؟

ما بدا كنصر سهل كان على وشك التحول لحمام دم.

ركضت أعلى الدرج للحصول على نظرة أفضل لتخطيط المدينة. بعد ساحة البلدة مباشرة رأت مسكنًا من ثلاثة طوابق مغروسًا في حديقة ضخمة مرقطة بالتماثيل. لا بد أن ذلك مسكن أمير حرب الكبش الخاص. كان أكبر مبنى في شياشانغ.

عرفت أفضل طريقة لإنهاء هذا.

— "باجي!" لوحت برمحها لجذب انتباهه. عندما نظر للأعلى، أشارت نحو قصر أمير حرب الكبش. "غطني."

فهم على الفور. ومعًا شقا طريقهما الدموي عبر الحشد حتى خرجا من الجانب الآخر للساحة. ثم ركضا للحدائق.

كان القصر محرسًا بأسدين حجريين، أفواههما مفتوحة في كهوف واسعة وجشعة. والأبواب موصدة.

جيد. هذا يعني أن شخصًا ما يختبئ بالداخل.

سددت رين ركلة وحشية للمقبض، لكن الأبواب لم تتزحزح.

قال باجي:

— "أفسحي المجال." ابتعدت عن طريقه. تراجع ثلاث خطوات وضرب بكتفه في الأبواب. تشقق الخشب. وتحطمت الأبواب مفتوحة.

التقط باجي نفسه عن الأرض وأشار خلفها:

— "لدينا مشكلة."

التفتت رين لترى موجة جديدة من جنود الاتحاد تركض نحو القصر. زرع باجي نفسه في المدخل، رافعًا مدمته.

سألت رين:

— "هل ستكون بخير؟"

— "اذهبي أنتِ.. سأتولى هذا."

ركضت للداخل. كانت القاعات مضاءة بشكل ساطع لكن بدت فارغة تمامًا — وهو ما كان ليكون أسوأ النتائج، لأن ذلك يعني أن عائلة أمير الحرب قد أخلت المكان بالفعل لمكان آمن. وقفت رين ساكنة في وسط القاعة، قلبها يدق، تجهد سمعها لأي صوت للسكان.

بعد ثوانٍ سمعت بكاء طفل حاد.

نعم. ركزت، محاولة تتبع الضجيج. سمعته مرة أخرى. هذه المرة كان بكاء الطفل مكتومًا، وكأن شخصًا قد كتم فمه بكمامة، لكنه رن في المنزل الفارغ واضحًا كالجرس.

جاء الصوت من الغرف على يسارها. تسللت رين للأمام، تتحرك أحذيتها بصمت عبر الأرضية الرخامية. في نهاية القاعة رأت بابًا واحدًا بشاشة حريرية.

كان بكاء الطفل يعلو. وضعت يداً على الباب وسحبت. مقفل. تراجعت خطوة وركلته. انهار الإطار الخيزراني الهش بلا عناء.

حدق فيها حشد من خمس عشرة امرأة على الأقل، دموع الرعب تسيل على خدودهن السمينة والمنتفخة، متكدسات معًا كطيور لا تطير سُمنت للذبح.

خمنت أنهن زوجات أمير الحرب. بناته. خادماتهن ومربياتهن.

طلبت بحدة:

— "أين تسونغ هو؟"

تكدسن أقرب لبعضهن، صامتات ومرتجفات.

سقطت عينا رين على الطفل. كانت امرأة عجوز في خلفية الغرفة تحتضنه بين يديها. كان ملفوفًا بقماش أحمر. مما يعني أنه طفل ذكر. وريث محتمل.

لن يدع أمير حرب الكبش ذلك الطفل يموت.

قالت رين:

— "أعطنيه."

هزت المرأة رأسها بذعر وضغطت الطفل أقرب لصدرها.

وجهت رين رمحها نحوها:

— "هذا لا يستحق الموت من أجله."

اندفعت إحدى الفتيات للأمام، تلوح بعصا ستارة نحوها. انحنت رين وركلت. اتصلت قدمها بمنتصف جسد الفتاة بصوت ارتطام مُرضٍ. انهارت الفتاة على الأرض، تنتحب من الألم.

وضعت رين قدمًا على عظمة قص الفتاة وضغطت لأسفل، بقوة. أعطاها أنين الفتاة المتألم رضًا وحشيًا ومستمتعًا. شعرت بنقص واضح في التعاطف تجاه النساء. اخترن أن يكنّ هنا. كنّ حليفات للاتحاد، عرفن ما يحدث، هذا خطؤهن، يجب أن يكنّ ميتات جميعًا...

لا. توقفي. أخذت نفسًا عميقًا. انقشع الاحمرار من عينيها.

قالت:

– "أي منكن تحاول ذلك مرة أخرى وسأبقر بطنها.. الطفل. الآن."
متنحبة، تخلت المرأة العجوز عن الطفل ليديها.
بدأ بالصراخ فورًا. تحركت يدا رين تلقائيًا لتحيط بمؤخرته ومؤخرة رأسه. غرائز متبقية من أيام قضتها تحمل أخاها بالتبني الرضيع.
تملكتها رغبة مفاجئة لمناغاة الطفل وهزه حتى يتوقف نحيبه. قمعت تلك الرغبة. احتاجت للطفل أن يصرخ، وأن يصرخ بصوت عالٍ.
تراجعت خارجة من جناح النساء، ملوحة برمحها أمامها.
حذرت النساء:
– "ابقين هنا.. إذا تحركت أي منكن، سأقتل هذا الطفل."
أومأت النساء بصمت، الدموع تخطط وجوههن المطلية بالبودرة.
تراجعت رين من الغرفة وعادت لوسط القاعة الرئيسية.
صرخت:
– "تسونغ هو! أين أنت؟"
صمت.
ارتجف الطفل بين ذراعيها. تضاءل بكاؤه لتأوهات متألمة. فكرت رين لفترة وجيزة بقرص ذراعيه لجعله يصرخ. لم تكن هناك حاجة. مشهد رمحها الدامي كان كافيًا. التقط لمحة واحدة منه، وفتح فمه، وصرخ.
صرخت رين فوق صوت الطفل:
– "تسونغ هو! سأقتل ابنك إن لم تخرج."
سمعته يقترب قبل وقت طويل من هجومه.
بطيء جدًا. بطيء جدًا تبًا له. دارت حول نفسها، تفادت نصله، وضربت بكعب رمحها في معدته. انثنى جسده. أمسكت نصله داخل شعب رمحها ولوته من يده. سقط على أطرافه الأربعة، يتدافع لسلاحه. ركلته بعيدًا وغرزت مقبض رمحها في مؤخرة رأسه. سقط على الأرض.
– "أيها الخائن." سددت ضربة وحشية لركبتيه. عوى من الألم. ضربتهما مرة أخرى. ثم مرة أخرى.

علا نحيب الطفل. مشت لزاوية، ووضعته برقة على الأرض، ثم استأنفت هجومها على والده. كانت ركبتا أمير الحرب مكسورتين بوضوح. انتقلت لأضلاعه.

— "أرجوكَ، الرحمة، أرجوكِ..." تكور في حزمة مثيرة للشفقة، ذراعاه ملفوفتان فوق رأَسه.

سألته:

— "متى أدخلت الموغينيين لبواباتك؟ قبل أن يحرقوا جولين نيس، أم بعد؟"

همس:

— "لم يكن لدينا خيار." أصدر صوت أنين عاليًا وهو يسحب ركبتيه المحطمتين لصدره. "كانوا مصطفين عند بواباتنا، لم يكن لدينا أي خيارات..."

— "كان بإمكانكم القتال."

لهث:

— "كنا سنموت."

— "إذن كان يجب أن تموتوا."

ضربت رين كعب رمحها برأسه. فسكت.

استمر الطفل في الصراخ.

***

كان جينزا مسرورًا جدًا بانتصارهم لدرجة أنه خفف مؤقتًا حظر الجيش على الكحول. مُررت أباريق من نبيذ الذرة الرفيعة الفاخر، كلها منهوبة من قصر أمير حرب الكبش، عبر الصفوف. خيم الجنود على الشاطئ تلك الليلة في مزاج جيد غير معتاد.

اجتمع جينزا ومجلسه على الشاطئ لتقرير ما سيفعلونه بأسراهم. بالإضافة لجنود الاتحاد المأسورين، كان هناك أيضًا رجال الفرقة الثامنة — قوة ميليشيا أكبر من أي بلدة محتلة تعاملوا معها حتى الآن. كانوا تهديدًا أكبر من أن يطلق

سراحه. وباستثناء الإعدام الجماعي، كانت خياراتهم هي أخذ عدد غير عملي من الأسرى – أكثر بكثير مما يمكن إطعامهم – أو إطلاق سراحهم.

قالت رين فورًا:

– "أعدموهم."

هز جينزا رأسه:

– "أكثر من ألف رجل؟ نحن لسنا وحوشًا."

– "لكنهم يستحقون ذلك.. الموغينيون، على الأقل. تعلمون أنه لو انقلبت الآية، لو أخذ الاتحاد رجالنا أسرى، لكانوا أمواتًا بالفعل."

كانت واثقة جدًا لدرجة أن الجدل بدا بلا طائل. لكن لم يومئ أحد بالموافقة. نظرت حول الدائرة، مرتبكة. ألم يكن الاستنتاج واضحًا؟ لماذا بدوا جميعًا غير مرتاحين هكذا؟

قال الأدميرال مولكوي:

– "سيكونون جيدين في العجلات.. سيعطي ذلك رجالنا استراحة."

قالت رين:

– "أنت تمزح.. سيتعين عليك إطعامهم، كبداية..."

قال مولكوي:

– "إذن سنضعهم على نظام غذائي للكفاف."

– "قواتنا تحتاج لذلك الطعام!"

– "قواتنا نجت على أقل من ذلك. ومن الأفضل ألا يعتادوا على الفائض."

حدقت رين فيه بذهول:

– "ستضع قواتنا على حصص صارمة ليتمكن رجال ارتكبوا الخيانة من العيش؟"

هز كتفيه:

– "إنهم رجال نيكاريون. لن نعدم أبناء جلدتنا."

زمجرت:

— "توقفوا عن كونهم نيكاريين في اللحظة التي سمحوا فيها للاتحاد بالتجول في منازلهم. يجب جمعهم. وقطع رؤوسهم."

لم يلتقِ أي من الآخرين بعينها.

سألت:

— "نزهة؟"

لم ينظر إليها. كل ما فعله هو هز رأسه.

اشتعلت غضبًا:

— "هؤلاء الجنود كانوا يتعاونون مع الاتحاد. يطعمونهم. يسكنونهم. تلك خيانة. يجب أن تكون عقوبتها الموت. انسوا الجنود — يجب معاقبة المدينة بأكملها!"

قال جينزا:

— "ربما تحت حكم داجي.. ليس تحت الجمهورية. لا يمكننا اكتساب سمعة بالوحشية..."

— "لأنهم ساعدوهم!" كانت تصرخ الآن، وكانوا يحدقون فيها جميعًا، لكنها لم تهتم. "الاتحاد! أنتم لا تعرفون ما فعلوه — فقط لأنكم قضيتم الحرب مختبئين في أرلونغ، لم تروا ما..."

التفت جينزا لنزهة:

— "أخي، ضع كمامة لفتاتك السبيرية، أو..."

صرخت رين:

— "أنا لست كلباً!"

تولى الغضب المحض القيادة. أطلقت نفسها نحو جينزا — ولم تكمل خطوتين قبل أن يطرحها الأدميرال مولكوي أرضًا بقوة لدرجة أن نجوم الليل ومضت خارج السماء للحظة، وكان كل ما استطاعت فعله هو التنفس ببساطة.

قال نزهة بهدوء:

— "هذا يكفي.. لقد هدأت. دعها تذهب."

اختفى الضغط على صدرها. تكورت رين في كرة، تختنق ببؤس.

قال جينزا:

— "ليأخذها شخص ما خارج المعسكر. قيدوها، كمموها، لا أهتم. سنتعامل مع هذا في الصباح."

قال مولكوي:

— "نعم سيدي."

قال نزهة:

— "إنها لم تأكل."

قال جينزا:

— "إذن اجعل شخصًا يحضر لها طعامًا أو ماءً إذا طلبت.. فقط أخرجها من أمامي."

***

صرخت رين.

لم يسمعها أحد — لقد نفوها إلى امتداد من الغابة خارج محيط المعسكر — لذا صرخت أعلى، مرارًا وتكرارًا، تضرب بقبضتيها ضد شجرة حتى سال الدم على مفاصلها بينما تراكم الغضب أسخن وأسخن في صدرها. وللحظة ظنت — أملت — أن الغضب القرمزي الذي يقدح في رؤيتها قد ينفجر لهبًا، لهبًا حقيقيًا، أخيرًا...

لكن لا شيء. لم تضئ شرارات أصابعها؛ لم تتموج ضحكات إلهية عبر أفكارها. استطاعت الشعور بالختم في مؤخرة عقلها، شيء نابض ومريض، يطمس ويخفف غضبها كلما وصل لذروته. وذلك ضاعف غضبها فقط، جعلها تصرخ أعلى في إحباط، لكنها كانت نوبة غضب بلا جدوى لأن النار ظلت بعيدة عن منالها؛ ترقص، وتستفزها خلف الحاجز في رأسها.

أرجوكِ، فكرت. أحتاج إليكِ، أحتاج النار، أحتاج أن أحترق...

ظلت العنقاء صامتة.

هوت على ركبتيها.

استطاعت سماع ضحك ألتان. لم يكن ذلك الختم، كان ذلك خيالها الخاص، لكنها سمعته بوضوح كما لو كان واقفًا بجوارها تمامًا.

قال: انظري لنفسكِ.

قال: مثيرة للشفقة.

قال: لن يعود الأمر كما كان. لقد ضللتِ الطريق، انتهى كل شيء بالنسبة لك. لستِ من آل سبيرلي، أنتِ مجرد فتاةٍ صغيرةٍ غبية ترمي نوبة غضبٍ في قلب الغابة.

خارت قواها وبُح صوتها أخيرًا، وانحسر الغضب بأسى، وبلا جدوى، بعيدًا. ثم بقيت وحدها مع صمت الأشجار اللامبالي، بلا أنيس سوى عقلها.

لم تستطع رين تحمل ذلك، لذا قررت أن تسكر لأقصى درجة ممكنة.

كانت قد التقطت إبريقًا صغيرًا من نبيذ الذرة من المعسكر. تجرعته بالكامل في أقل من دقيقة.

لم تكن معتادة على الشرب. كان المعلمون في سينغارد صارمين — فأقل رائحة للكحول كانت سببًا للطرد. كانت لا تزال تفضل الحلاوة اللذيذة لدخان الأفيون على حرقة نبيذ الذرة، لكنها أحبت كيف كواها بلذة من الداخل. لم يذهب الغضب، لكنه قلصه إلى نبض باهت، ألم موجع بدلاً من جرح حاد وجديد.

بحلول الوقت الذي خرج فيه نزهة لأجلها كانت ثملة تمامًا، ولم تكن لتسمع اقترابه لولا أنه نادى عليها مع كل خطوة يخطوها.

— "رين؟ هل أنتِ هناك؟"

سمعت صوته من الجانب الآخر لشجرة. رمشت لبضع ثوانٍ قبل أن تتذكر كيف تدفع الكلمات خارج فمها.

— "نعم. لا تدر حول الشجرة."

— "ماذا تفعلين؟"

دار حول الشجرة. سحبت بنطالها بسرعة للأعلى بيد واحدة. وتدلى إبريق يقطر من اليد الأخرى.

– "هل تتبولين في إبريق؟"

قالت:

– "أجهز هدية لأخيك.. أتظن أنها ستعجبه؟"

– "لا يمكنكِ إعطاء القائد الأعلى للجيش الجمهوري إبريقًا من البول."

تمتمت:

– "لكنه دافئ." وهزته نحوه. تناثر البول من الجانب.

تراجع نزهة بسرعة للخلف:

– "أرجوكِ ضعي ذلك أرضًا."

– "هل أنت متأكد أن جينزا لا يريده؟"

– "رين."

تنهدت بشكل درامي وأطاعت.

أخذ يدها النظيفة وقادها إلى رقعة من العشب بجوار النهر، بعيدًا عن الإبريق الملوث.

– "تعلمين أنه لا يمكنكِ الهجوم هكذا."

فردت كتفيها:

– "وقد تم تأديبي بشكل مناسب."

– "الأمر لا يتعلق بالتأديب. سيظنون أنكِ مجنونة."

ردت بحدة:

– "هم يظنون بالفعل أنني مجنونة.. سبيرية صغيرة همجية وغبية. صحيح؟ هذا في طبيعتي."

هز نزهة رأسه:

– "ليس هذا ما... هيا يا رين.. على أية حال. لدي، آه، أخبار سيئة."

تثاءبت:

– "هل خسرنا الحرب؟ كان ذلك سريعًا."

— "لا. جينزا خفض رتبتك."

رمشت عدة مرات، غير مستوعبة:

— "ماذا؟"

— "جُردتِ من رتبتك. ستخدمين كجندية مشاة الآن. ولم تعودي قائدة للسيك."

— "فمن القائد إذن؟"

— "لا أحد. لا وجود للسيك. أعيد تعيينهم جميعًا إلى سفن أخرى."

راقبها بعناية ليقيس رد فعلها، لكن رين أطلقت فواقا (حازوقة) فقط.

— "هذا لا بأس به. لم يكونوا يستمعون لي على أي حال." استمدت نوعًا من الرضا المرير من قول ذلك بصوت عالٍ. منصبها كقائدة كان دائمًا خدعة. لكي نكون منصفين، كان السيك يستمعون إليها عندما كانت لديها خطة، لكنها عادة لم تكن تملك واحدة. في الواقع، كانوا يديرون أنفسهم بفعالية.

سأل نزهة:

— "تعرفين ما مشكلتك؟ ليس لديك أي سيطرة على اندفاعك. صفر مطلق. لا شيء."

وافقت وبدأت في الضحك:

— "أمر مريع.. من الجيد أنني لا أستطيع استدعاء النار، هاه؟"

رد على ذلك بصمت طويل لدرجة أنه بدأ يحرجها في النهاية. تمنت الآن لو أنها لم تشرب كثيرًا. لم تستطع التفكير بشكل صحيح عبر عقلها المشوش بلا حول ولا قوة. شعرت بأنها حمقاء بشكل فظيع، وفجة، ومخزية.

كان عليها التدرب على همس كلماتها قبل أن تتمكن من التعبير عنها بصوت عالٍ:

— "إذنً ماذا يحدث الآن؟"

— "نفس الشيء المعتاد. يجمعون المدنيين. والرجال سيدلون بأصواتهم الليلة."

اعتدلت في جلستها:

– "لا يجب أن يحصلوا على حق التصويت."

– "إنهم نيكاريون. كل النيكاريين يحصلون على خيار الانضمام للجمهورية."

– "لقد ساعدوا الاتحاد!"

قال نزهة:

– "لأنه لم يكن لديهم خيار.. فكري في الأمر. ضعي نفسك مكانهم. هل تظنين حقًا أنكِ كنتِ لتفعلي أفضل من ذلك؟"

انفجرت فيه:

– "نعم.. لقد فعلت. كنت في وضعهم. كنت في وضع أسوأ – ربطوني بسرير، كانوا يعذبونني ويعذبون ألتان أمامي وكنت مرعوبة، أردت الموت..."

قال بهدوء:

– "هم كانوا خائفين أيضًا."

– "إذن كان ينبغي عليهم المقاومة."

– "ربما لم يملكوا الخيار. لم يكونوا جنودًا مدربين. لم يكونوا شامانات. كيف كان لهم أن ينجوا؟"

هست:

– "لا يكفي مجرد النجاة.. عليك أن تقاتل من أجل شيء ما، لا يمكنك فقط.. فقط أن تعيش حياتك كجبان لعين."

– "بعض الناس ببساطة جبناء. بعض الناس ليسوا بتلك القوة."

زمجرت:

– "إذن لا ينبغي أن يكون لهم أصوات."

كلما فكرت في الأمر، بدا اقتراح فايسرا للديمقراطية أكثر سخافة. كيف يفترض بالنيكاريين أن يحكموا أنفسهم؟ لم يديروا بلدهم بأنفسهم منذ ما قبل أيام الإمبراطور الأحمر، وحتى وهي ثملة، استطاعت معرفة السبب – النيكاريون ببساطة أغبياء جدًا، وأنانيون جدًا، وجبناء جدًا.

قالت وهي تشير إلى الأشجار، وليس الناس، لكن لم يكن هناك فرق بالنسبة لها:

– "الديمقراطية لن تنجح. انظر إليهم.. إنهم أبقار. حمقى. يصوتون للجمهورية لأنهم خائفون – أنا متأكدة أنهم سيصوتون بالسرعة نفسها للانضمام للاتحاد."

قال نزهة:

– "لا تكوني غير منصفة.. إنهم مجرد ناس عاديين: لم يدرسوا فن الحرب قط."

صرخت:

– "إذن لا يجب أن يحكموا! يحتاجون لشخص يخبرهم بما يفعلون، وبما يفكرون..."

– "ومن سيكون ذلك؟ داجي؟"

– "ليست داجي. بل شخص متعلم. شخص اجتاز (الكيجو)، وتخرج من سينغارد. شخص كان في الجيش. شخص يعرف قيمة الحياة البشرية."

قال نزهة:

– "أنتِ تصفين نفسكِ."

قالت رين:

– "لا أقول إنه سيكون أنا.. أقول فقط إنه لا يجب أن يكون الشعب. لا ينبغي لفايسرا أن يدعهم ينتخبون أي أحد. يجب أن يحكم هو فقط."

أمال نزهة رأسه للجانب:

– "تريدين من أبي أن ينصب نفسه إمبراطورًا؟"

هزتها موجة غثيان قبل أن تتمكن من الرد. لم يكن هناك وقت للنهوض؛ ترنحت للأمام على ركبتيها وقذفت محتويات معدتها ضد الشجرة. كان وجهها قريبًا جدًا من الأرض. وتناثرت كمية لا بأس بها من القيء عائدة على خدها. مسحتها بخرق بكمها.

سأل نزهة عندما توقفت عن التهوع:

— "أنتِ بخير؟"

— "نعم."

فرك يده في دوائر على ظهرها:

— "جيد."

بصقت كتلة من النبيذ المرتجع على التراب:

— "اغرب عن وجهي."

رفع نزهة كتلة من الطين من ضفة النهر وسأل:

— "هل سمعتِ قط قصة كيف خلقت الإلهة نووا البشرية؟"

— "لا."

شكل نزهة الطين في كرة بكفيه:

— "سأحكيها لكِ.. في قديم الزمان، بعد ولادة العالم، كانت نووا وحيدة."

سألت رين، التي لم تكن تعرف سوى الأساطير المتعلقة بنووا و فوكسي معًا:

— "ماذا عن زوجها، فوكسي؟"

— "زوج غائب، أعتقد. الأسطورة لا تذكره."

— "بالطبع."

— "بالطبع. على أية حال، تشعر نووا بالوحدة، وتقرر خلق بعض البشر لملء العالم وإبقاء صحبتها." غرز نزهة أظافره في كرة الطين. "أول قلة من الناس تصنعهم مفصلون بشكل لا يصدق. ملامح دقيقة، وملابس جميلة."

استطاعت رين رؤية إلى أين يتجه هذا:

— "هؤلاء هم الأرستقراطيون."

— "نعم. النبلاء، والأباطرة، والمحاربون، وكل من يهم أمره. ثم تشعر بالملل. الأمر يستغرق وقتًا طويلاً. لذا تأخذ حبلاً وتبدأ في قذف الطين في كل الاتجاهات. هؤلاء يصبحون عشائر نيكان المئة."

ابتلعت رين ريقها. كان طعم حلقها كالحمض:

— "لا يروون تلك القصة في الجنوب."

سأل نزهة:

— "ولماذا تظنين ذلك؟"

قلبت الفكرة في عقلها للحظة. ثم ضحكت.

قالت:

— "شعبي من طين.. وما زلت ستتركهم يديرون بلدًا."

قال نزهة:

— "لا أظن أنهم طين.. أظن أنهم لا يزالون غير متشكلين. غير متعلمين وغير مثقفين. لا يعرفون الأفضل لأنهم لم يُعطوا الفرصة. لكن الجمهورية ستشكلهم وتهذبهم. وتطورهم ليصبحوا ما كان مقدرًا لهم أن يكونوه."

أخذت رين كتلة الطين من يد نزهة:

— "ليس هكذا تسير الأمور.. لن يصبحوا أبدًا أكثر مما هم عليه. الشمال لن يسمح لهم."

— "هذا ليس صحيحًا."

سحقت رين الكتلة بين أصابعها:

— "أنت تظن ذلك. لكني رأيت كيف تعمل السلطة.. الأمر لا يتعلق بمن تكون، بل بكيف يرونك. وبمجرد أن تكون طينًا في هذا البلد، تظل طينًا للأبد."

الفصل الثامن عشر

قال رامسا:

— "أنتِ تمزحين."

هزت رين رأسها، فداهمها نبض مؤلم في صدغيها إثر الحركة المفاجئة. تحت ضوء الفجر القاسي، تملّكها ندم عميق لأنها اقتربت من الكحول أصلاً، مما جعل مهمة إخبار فريق «السيك» بقرار حلّها أكثر بغضاً وثقلاً على نفسها.

قالت:

— "أُلغيت رتبتي. إنها أوامر جينزا."

سأل رامسا بحدة:

— "ماذا عنا إذن؟"

رمقته بنظرة خاوية:

— "ماذا عنكم؟"

— "إلى أين يُفترض بنا أن نذهب؟"

قالت وهي تعتصر عينيها محاولة التذكر:

— "آه.. سيُعاد توزيعكم. ستكون أنت على متن «الغريفون» على ما أظن، أما سوني وباجي فعلى متن السفن البرجية..."

سأل رامسا:

— "لن نكون معاً؟ تباً لهذا. ألا يمكننا الرفض ببساطة؟"

ضغطت بكفها على جبهتها المكدودة وقالت:

— "لا. أنتم لا تزالون جنوداً في الجمهورية. وعليكم طاعة الأوامر."

حدق فيها غير مصدق:

— "أهذا كل ما لديكِ؟"

– "ماذا يُفترض بي أن أقول غير ذلك؟"

صرخ فيها:

– "قولي شيئاً! أي شيء! لم نعد فريق السيك بعد الآن، وهل ستتقبلين الأمر هكذا بخنوع؟"

تمنت لو تغطي أذنيها بيديها. كانت منهكة للغاية. وتمنت لو يغرب رامسا عن وجهها وينقل الخبر للآخرين نيابة عنها، كي يتسنى لها الاستلقاء والنوم والتوقف عن التفكير في أي شيء.

– "من يهتم؟ السيك ليست بتلك الأهمية. السيك ماتت."

أمسك رامسا بياقتها. لكنه كان هزيلاً جداً، وأقصر منها حتى، مما جعل مظهره يبدو مثيراً للسخرية لا أكثر.

سألها مستنكراً:

– "ما خطبك؟"

– "رامسا، توقف."

قال:

– "لقد انضممنا لهذه الحرب من أجلك. بدافع الولاء لكِ."

– "لا تكن دراميا. لقد دخلتم هذه الحرب لأنكم أردتم فضة التنين، ولأنك تحب تفجير الأشياء، ولأنك مجرم مطلوب في كل مكان آخر في الإمبراطورية."

قال رامسا بصوت بدا وكأنه على وشك البكاء، وهو أمر كان سخيفاً لدرجة أن رين كادت تضحك:

– "لقد بقيت معكِ لأننا ظننا أننا سنظل معاً. يُفترض بنا أن نكون معاً دوماً."

– "أنت لست حتى شاماناً. ليس لديك ما تخشاه. لماذا تكترث؟"

– "ولماذا لا تكترثين أنتِ؟ لقد عينكِ ألتان قائدة. حماية السيك هي واجبك."

ردت بحدة:
– "لم أطلب القيادة."
كان استحضار اسم ألتان يثير مشاعر الالتزام والواجب التي لم ترغب في التفكير فيها.
تابعت:
– "هل فهمت؟ لا أريد أن أكون ألتان الخاص بكم. لا أستطيع."
ما الذي فعلته منذ أن تولت المسؤولية؟ لقد آذت أونيغن، ودفعت إنكي للرحيل، وشاهدت أراتشا يُقتل، وتلقت هزيمة نكراء على يد داجي لدرجة أنها لم تعد تستحق لقب شامان بشكل لائق بعد الآن. لم تكن قد قادت السيك بقدر ما شجعتهم على اتخاذ سلسلة من القرارات المريعة. إنهم أفضل حالاً بدونها. وما أثار غضبها هو أنهم لم يستطيعوا رؤية ذلك.
سأل رامسا:
– "ألستِ غاضبة؟ ألا يثير هذا حنقك؟"
قالت:
– "لا. أنا أنفذ الأوامر."
كان بإمكانها أن تغضب. كان بإمكانها مقاومة جينزا، وكان بإمكانها أن تثور كما فعلت دائماً. لكن الغضب لم يساعدها إلا عندما تجلى في شكل نيران، وهي لم تعد قادرة على استدعاء ذلك بعد الآن. بدون النار لم تكن شاماناً، ولم تكن «سبيرية» حقيقية، وبالتأكيد لم تكن رصيداً عسكرياً. لم يكن لدى جينزا أي سبب للاستماع إليها أو احترامها.
وكانت تعلم الآن أن النار لن تعود أبداً.
قال رامسا:
– "يمكنكِ المحاولة على الأقل. أرجوكِ."
لم يكن في صوته أي رغبة في القتال هو الآخر.
قالت:

— "فقط اجمع أغراضك. وأخبر الآخرين. يريدون منكم الحضور خلال عشر دقائق."

***

في غضون أسابيع، استسلمت آخر معاقل إقليمي الأرنب والكبش للجمهورية. أُرسل أمراء الحرب فيهما مكبلين بالأغلال إلى أرلونغ ليتوسلوا لـ فايسرا من أجل حياتهم. وخضعت مدنهم وبلداتهم وقراهم جميعاً لاستفتاءات عامة.

عندما اختار المدنيون الانضمام للجمهورية — وكانوا يصوتون للانضمام دوماً، لأن البديل كان إعدام كل رجل تجاوز الخامسة عشرة — أصبحوا تروساً في آلة فايسرا الحربية الضخمة. سُخّرت النساء لحياكة زي الجمهورية وغزل الكتان للمستوصفات، بينما جُند الرجال كقوات مشاة أو أُرسلوا جنوباً للعمل في أحواض سفن أرلونغ. صودر سُبع مخازن طعامهم للمساهمة في خطوط إمداد الحملة الشمالية المتضخمة، وبقيت دوريات الجمهورية في الخلف لضمان شحنات الحبوب المنتظمة عبر النهر.

كان نزهة يتبجح باستمرار بأن هذه ربما تكون الحملة العسكرية الأكثر نجاحاً في تاريخ «نيكارا». وكان كيتاي يطلب منه التوقف عن الانتشاء بغطرسته، لكن رين لم تستطع إنكار سلسلة انتصاراتهم المذهلة.

ومع ذلك، كانت المتطلبات اليومية للحملة شاقة للغاية لدرجة أنها نادراً ما حظيت بفرصة للاحتفال بانتصاراتهم. بدأت المدن والبلدات والقرى تتداخل في ذهنها. توقفت رين عن التفكير بمصطلحات الليل والنهار، وبدأت تفكر بجداول المعارك. تداخلت الأيام بعضها ببعض، سلسلة من المهام القتالية الشاقة للغاية قبل الفجر، وسويعات مسروقة من نوم عميق بلا أحلام.

الفائدة الوحيدة كانت تمكنها من نسيان نفسها مؤقتاً في خضم النشاط البدني المحض. لم يؤثر فيها خفض رتبتها بقدر ما اعتقدت. في معظم الأيام كانت متعبة جداً لدرجة أنها نسيت حدوث ذلك أصلاً.

لكنها كانت تشعر بارتياح سري أيضاً لأنها لم تعد مضطرة للتفكير فيما يجب فعله برجالها بعد الآن. إن عبء القيادة، الذي لم تكن أهلاً له قط، قد رُفع بالكامل عن كاهلها. كل ما كان عليها فعله هو القلق بشأن تنفيذ أوامرها الخاصة، وقد قامت بذلك ببراعة.

كانت أوامرها تتضاعف أيضاً. ربما بدأ جينزا في تقدير قدرتها، أو ربما كان يكرهها ببساطة لدرجة أنه أراد موتها دون أن يتحمل اللوم، لكنه بدأ يضعها في الخطوط الأمامية لكل عملية برية. لم يكن هذا عادةً منصباً مرغوباً، لكنها استمتعت به.

ففي النهاية، كانت بارعة جداً في الحرب. لقد تدربت لهذا. ربما لم تعد قادرة على استدعاء النار، لكنها لا تزال قادرة على القتال، وكان غرس رمحها الثلاثي في مفصل اللحم الصحيح يمنحها شعوراً جيداً يضاهي إحراق كل شيء حولها.

اكتسبت سمعة على متن سفينة «الرفراف» كجندية فائقة القدرة، ورغم أنفها، بدأت تستمتع بذلك. أيقظ ذلك فيها نزعة تنافسية قديمة لم تشعر بها منذ «سينغارد»، عندما كان الشيء الوحيد الذي جعلها تتجاوز شهور الدراسة المضنية والبائسة هو البهجة المحضة بتقدير أحدهم لمواهبها.

هل كان هذا ما شعر به ألتان؟

لقد شحذه «النيكارا» كسلاح، واستخدموه لأغراض عسكرية منذ كان طفلاً صغيراً، لكنهم مجدوه مع ذلك.

هل أبقاه ذلك سعيداً؟

بالطبع لم تكن سعيدة، ليس تماماً. لكنها وجدت نوعاً من الرضا، الاكتفاء الذي يأتي من كون المرء أداة تخدم غرضها بشكل جيد للغاية.

كانت الحملات مثل المخدرات في حد ذاتها. شعرت رين بروعة حين كانت تقاتل. في خضم المعركة، يمكن اختزال الحياة البشرية إلى أبسط آليات الوجود — أذرع وسيقان، حركة وضعف، نقاط حيوية يجب تحديدها وعزلها

وتدميرها. وجدت متعة غريبة في ذلك. كان جسدها يعرف ما يجب فعله، مما يعني أنها تستطيع إيقاف عقلها عن العمل.

إذا كان أفراد السيك غير سعداء، فهي لم تكن تعلم. لم تعد تتحدث إليهم. نادراً ما رأتهم بعد إعادة توزيعهم. لكنها وجدت صعوبة متزايدة في الاكتراث لأنها كانت تفقد القدرة على التفكير في الكثير من الأمور أصلاً.

مع الوقت، وفي وقت أقرب مما توقعت، توقفت حتى عن التوق للنار التي فقدتها. في بعض الأحيان كانت الرغبة تتسلل إليها عشية المعركة، فتفرك أصابعها معاً، متمنية لو تمكنت من جعلها تطلق شرارة، متخيلة سرعة فوز قواتها بالمعارك لو استطاعت استدعاء عمود من النار لحرق خط الدفاع.

كانت لا تزال تشعر بغياب «العنقاء» كفجوة نُحتت في صدرها. الألم لم يختفِ تماماً. لكن اليأس والإحباط انحسرا. توقفت عن الاستيقاظ في الصباح برغبةٍ في الصراخ عندما تتذكر ما أُخذ منها.

توقفت منذ زمن عن محاولة كسر «الختم». لم يعد وجوده المظلم والنابض يؤلمها يومياً كجرح متقيح. في اللحظات الصغيرة التي سمحت فيها لنفسها بالتفكير فيه، تساءلت عما إذا كان قد بدأ في أخذ ذكرياتها.

بدا المعلم جيانغ وكأنه لا يعرف شيئاً عمن كان عليه قبل عشرين عاماً.

هل سيحدث لها الشيء نفسه؟

بالفعل بدأت بعض ذكرياتها القديمة تشعر بالضبابية. اعتادت أن تتذكر بدقة وجوه كل فرد من عائلتها بالتبني في «تيكاني». الآن بدوا كظلال غير واضحة. لكنها لم تستطع معرفة ما إذا كان الختم قد التهم تلك الذكريات، أم أنها تآكلت ببساطة مع مرور الوقت.

لم يقلقها ذلك بقدر ما كان ينبغي. لم تستطع التظاهر بأنه إذا سرق الختم ماضيها شيئاً فشيئاً — إذا نسيت ألتان، ونسيت ما فعلته في «سبير»، وتركت ذنبها ينجرف بعيداً في عدمٍ أبيض حتى تصبح، مثل جيانغ، مجرد حمقاء ودودة وشريدة الذهن — فإنّ جزءاً منها لن يشعر بالارتياح.

***

عندما لم تكن رين نائمة أو تقاتل، كانت تجلس مع كيتاي في مكتبه الضيق. لم تعد تُدعى إلى مجالس جينزا، لكنها كانت تعرف كل شيء من كيتاي بشكل غير مباشر. وهو بدوره، كان يستمتع بمناقشة أفكاره معها. كان التحدث بصوت عالٍ عبر الاحتمالات المتعددة يمنح راحة للنشاط المحموم داخل عقله.

كان هو الوحيد الذي لم يشارك الجمهورية بهجتها بسلسلة انتصاراتهم المذهلة.

اعترف لها قائلاً:

– "أنا قلق. ومشوش. ألم تشعري أن هذه الحملة برمتها سهلة أكثر من اللازم؟ وكأنهم لا يحاولون المقاومة حتى."

قالت رين، التي كانت لا تزال تشعر بنشوة المعركة:

– "إنهم يحاولون. لكنهم ليسوا جيدين جداً في ذلك."

كان التفوق شعوراً جيداً جداً، حتى لو كان التفوق يعني القضاء على جنود محليين سيئي التدريب، وكان مزاج كيتاي المتقلب يزعجها.

قال:

– "أنتِ تعلمين أن المعارك التي تخوضينها سهلة للغاية."

مطت شفتيها:

– "يمكنك أن تمنحنا القليل من التقدير."

– "هل تريدين الثناء لضرب قرويين غير مدربين وغير مسلحين؟ عمل جيد إذن. أحسنتِ صنعاً. البحرية المتفوقة تسحق مقاومة الفلاحين المثيرة للشفقة. يالها من أَحداث صادمة. هذا لا يعني أنكِ تأخذين هذه الإمبراطورية على طبق من فضة."

قالت:

– "قد يعني ذلك ببساطة أن بحريتنا متفوقة. ماذا، تظن أن داجي تتخلى عن الشمال عمداً؟ هذا لا يكسبها شيئاً."

— "هي لا تتخلى عنه. إنهم يبنون ترسانة سفن، نحن نعرف ذلك منذ البداية —"

— "ولو كانت بحريتهم ذات نفع لكنا رأيناها. ربما نحن نربح هذه الحرب فعلاً. لن يقتلك الاعتراف بذلك."

لكن كيتاي هز رأسه:

— "أنتِ تتحدثين عن سو داجي. هذه هي المرأة التي تمكنت من توحيد المقاطعات الاثنتي عشرة لأول مرة منذ وفاة الإمبراطور الأحمر."

— "كانت تتلقى المساعدة."

— "لكن لم يساعدها أحد منذ ذلك الحين. لو كانت الإمبراطورية ستتفكك، لظننت أنها ستفعل ذلك بالفعل. لا تغتري بنفسك يا رين. نحن نلعب لعبة «ويكي» (wikki) ضد امرأة مارستها لعقود ضد خصوم أكثر رعباً بكثير. قلت هذا لـ جينزا أيضاً. هناك هجوم مضاد قادم قريباً، وكلما طال انتظارنا له، كان أسوأ."

كان كيتاي مهووساً بمسألة ما إذا كان ينبغي للأسطول تقليص حملته لفصل الشتاء أو الإبحار مباشرة إلى إقليم النمر، والالتقاء بأسطول تسولين، ومواجهة جون وجيشه. من ناحية، إذا تمكنوا من تعزيز قبضتهم على الساحل عبر إقليم النمر، فسيكون لديهم قناة خلفية لتشغيل الإمدادات وتعزيز الطوابير البرية لتطويق قصر الخريف في النهاية.

ومن ناحية أخرى، فإن الاستيلاء على الساحل سيتطلب التزاماً عسكرياً ضخماً من القوات التي لم تكن الجمهورية تمتلكها بعد. وإلى أن يقرر «الهيسبيريون» تقديم المساعدة، سيتعين عليهم الاكتفاء بغزو المناطق الداخلية أولاً. لكن ذلك قد يستغرق شهرين آخرين — وهو ما يتطلب وقتاً لا يملكونه أيضاً.

كانوا يسابقون الزمن. لم يرغب أحد في أن يعلق في غزو عندما يضرب الشتاء الشمال. كانت مهمتهم هي ترسيخ قاعدة ثورية وحشر الإمبراطورية داخل

مقاطعاتها الثلاث الشمالية قبل أن تتجمد روافد نهر «موروي» ويعلق الأسطول في مكانه.

أخبرها كيتاي:

– "الوقت يضيق، لكن يجب أن نصل إلى ممر «إيدو» في غضون شهر. يجب على جينزا اتخاذ قراره بحلول ذلك الوقت."

أجرت رين الحسابات في رأسها:

– "الإبحار عكس التيار يجب أن يستغرق شهراً ونصف."

قال كيتاي:

– "أنتِ تنسين سد المضائق الأربعة. عبر إقليم الجرذ، نهر موروي مسدود، لذا لن يكون التيار قوياً كما ينبغي."

– "شهر إذن. ماذا تظن سيحدث عندما نصل هناك؟"

– "نصلي للسماء ألا تكون الأنهار والبحيرات قد تجمدت بعد. ثم نرى ما هي خياراتنا. لكن في هذه المرحلة، راهن جينزا بهذه الحرب على الطقس."

***

ظلت لقاءات رين الأسبوعية مع الأخت بيترا الشوكة التي يزداد وخزها إيلاماً في جنبها تدريجياً. أصبحت فحوصات بيترا أكثر تطفلاً، لكنها بدأت أيضاً في منع «اللودانوم» عنها. لقد انتهت من أخذ القياسات الأساسية. الآن كانت تريد رؤية دليل على «الفوضى».

عندما فشلت رين أسبوعاً تلو الآخر في استدعاء النار، نفد صبر بيترا.

اتهمتها قائلة:

– "أنتِ تخفينها عني. أنتِ ترفضين التعاون."

قالت رين:

– "أو ربما شُفيت. ربما رحلت الفوضى. ربما أخافها حضورك المقدس."

– "أنتِ تكذبين."

فتحت بيترا فم رين بقوة أكبر مما تحتاجه وبدأت تنقر حول أسنانها بما يشبه أداة ذات شقين. حفرت الأطراف المعدنية الباردة بشكل مؤلم في مينا أسنان رين.

تابعت بيترا:

— "أنا أعرف كيف تعمل الفوضى. إنها لا تختفي أبداً. تتنكر في وجه «الصانع» لكنها تعود دوماً."

تمنت رين لو كان الأمر كذلك. لو استعادت النار لأحرقت بيترا في مكانها، وليذهب كل شيء للجحيم. لو كانت تملك النار، لما كانت عاجزة تماماً هكذا، تنحني لأوامر جينزا وتتعاون مع الهيسبيريين لأنها مجرد جندية مشاة وضيعة.

لكن إذا استسلمت لغضبها الآن، فإن أسوأ ما يمكنها فعله هو إحداث فوضى في مختبر بيترا، والانتهاء ميتة في قاع نهر موروي، وتدمير أي أمل في تحالف عسكري بين هيسبيريا ونيكارا. المقاومة تعني الهلاك لها ولكل من تهتم لأمرهم.

لذا، ورغم أن الطعم كان بمرارة العلقم، ابتلعت غضبها.

قالت عندما حررت بيترا فكها:

— "لقد ذهبت حقاً. أخبرتكِ أنها خُتمت. لا أستطيع استدعاءها بعد الآن."

— "هذا ما تقولينه."

بدت بيترا متشككة للغاية، لكنها تركت الموضوع. وضعت الأداة مرة أخرى على طاولتها.

— "ارفعي يدك اليمنى واحبسي أنفاسك."

— "لماذا؟"

— "لأنني طلبت ذلك."

لم تفقد الأخت أعصابها مع رين أبداً، بغض النظر عما قالته رين. كان لدى بيترا هدوء مخيف. لم تظهر أي عاطفة سوى فضول مهني جليدي. كادت

رين تتمنى أن تضربها بيترا، فقط لتعرف أنها بشرية، لكن الإحباط بدا وكأنه ينزلق عنها مثل مياه المطر عن سطح من الصفيح.

ومع ذلك، ومع مرور الوقت دون نتائج، بدأت تُخضع رين لتجارب أكثر انحطاطاً. جعلت رين تحل ألغازاً مخصصة للأطفال بينما كانت تراقب الوقت بساعتها الصغيرة. جعلت رين تؤدي مهام حفظ بسيطة بدت مصممة لجعلها تفشل، تراقب دون أن ترمش بينما أصبحت رين محبطة لدرجة أنها بدأت ترمي الأشياء على الجدار.

في النهاية طلبت بيترا منها الوقوف للفحص عارية.

قالت رين:

— "لو أردتِ التحديق بي كان بإمكانك الطلب في وقت سابق."

لم تتفاعل بيترا:

— "بسرعة، من فضلك."

نزعت رين زيها ورمته في كومة على الأرض.

— "جيد." ناولتها بيترا كوباً فارغاً. "الآن تبولي في هذا من أجلي."

حدقت فيها رين غير مصدقة:

— "الآن؟"

— "أقوم بتحليل السوائل الليلة. هيا."

جزت رين على أسنانها:

— "لن أفعل ذلك."

— "هل تودين ملاءة للخصوصية؟"

— "لا أهتم. هذا لا يتعلق بالعلم. ليس لديكِ أدنى فكرة عما تفعلينه، أنتِ فقط تتصرفين بحقد."

جلست بيترا ووضعت ساقاً فوق الأخرى:

— "تبولي، من فضلك."

— "تباً لهذا." رمت رين الكوب على الأرض. "اعترفي بذلك. ليس لديكِ أي فكرة عما تفعلينه. كل أطروحاتك وكل أدواتك، وليس لديكِ دليل واحد

حول كيفية عمل الشامانية أو كيفية قياس الفوضى، إذا كانت موجودة حقاً. أنتِ تضربين في الظلام."

وقفت بيترا من كرسيها. واتسعت فتحتا أنفها بياضاً.

أخيراً، ضربت رين وتراً حساساً. أملت أن تضربها بيترا حينها، ولو لكسر ذلك القناع غير البشري من السيطرة. لكن بيترا أمالت رأسها إلى الجانب فقط.

قالت بصوت احتفظ بهدوئه الجليدي:

— "تذكري وضعك. أنا أطلب منكِ التعاون بدافع اللياقة فقط. ارفضي، وسأجعلكِ تُربطين إلى ذلك السرير. الآنَ. هل ستتصرفين بأدب؟"

أرادت رين قتلها.

لو لم تكن منهكة جداً، لو كانت متهورة بمقدار ذرة أكثر، لكانت فعلت. كان سيكون من السهل جداً طرح بيترا أرضاً وغرس كل أداة حادة على الطاولة في عنقها، وصدرها، وعينيها. كان سيمنحها ذلك شعوراً جيداً جداً.

لكن رين لم تعد قادرة على التصرف بتهور.

شعرت بالثقل الهائل والساحق لقوة هيسبيريا العسكرية يقيد خياراتها كقفص غير مرئي. إنهم يحتجزون حياتها كرهينة. ويحتجزون أصدقاءها وأمتها بأكملها كرهائن.

ضد كل ذلك، وهي مفصولة عن النار و«العنقاء»، كانت عاجزة.

لذا أمسكت لسانها وكبتت غضبها بينما أصبحت طلبات بيترا أكثر إذلالاً. امتثلت عندما جعلتها بيترا تميل عارية على الجدار بينما كانت ترسم مخططات معقدة لأعضائها التناسلية. جلست ساكنة عندما أدخلت بيترا إبرة طويلة وسميكة في ذراعها اليمنى وسحبت الكثير من الدم لدرجة أنها أغمي عليها عندما وقفت للعودة إلى غرفتها ولم تستطع الوقوف مرة أخرى لنصف يوم. وعضت لسانها ولم تتفاعل عندما لوحت بيترا بعبوة من الأفيون تحت أنفها، تحاول إغراءها لاستخراج النار بتقديم رذيلتها المفضلة.

قالت بيترا:

– "هيا. لقد قرأت عن نوعك. لا يمكنكم مقاومة الدخان. تشتهونه في عظامكم. أليس هذا كيف أخضع الإمبراطور الأحمر أسلافكم؟ استدعي النار من أجلي، وسأسمح لكِ بالقليل."

ذلك اللقاء الأخير ترك رين غاضبة جداً لدرجة أنها في اللحظة التي غادرت فيها مقر بيترا، صرخت غضباً ولكمت الجدار بقوة شقت مفصل يدها. للحظة وقفت ساكنة، مذهولة، بينما سال الدم على ظهر يدها وقطر من معصمها. ثم هوت على ركبتيها وبدأت في البكاء.

– "هل أنتِ بخير؟"

كان ذلك أوغوس، المبشر ذو الوجه الطفولي والعينين الزرقاوين. رمقته رين بنظرة حذرة.

– "اغرب عني."

مد يده ليدها النازفة:

– "أنتِ مستاءة."

سحبتها من قبضته بعنف:

– "لا أريد شفقتك."

جلس بجانبها، وأخرج قطعة قماش من جيبه، وناولها إياها:

– "خذي. لمَ لا تلفين ذلك؟"

كان مفصل رين ينزف أسرع مما أدركت. بعد سحب دمها في الأسبوع السابق، كانت رؤية الدم وحدها تجعلها ترغب في الإغماء. أخذت القماش على مضض.

راقبها أوغوس وهي تلفه بإحكام حول يدها. أدركت أنها لا تستطيع عقد العقدة بنفسها.

عرض عليها:

– "يمكنني فعل ذلك."

سمحت له.

سأل مرة أخرى عندما انتهى:

— "هل أنتِ بخير؟"
— "هل يبدو الأمر وكأنني..."
أوضح:
— "عنيتُ مع الأخت بيترا. أعلم أنها قد تكون صعبة المراس."
رمته رين بنظرة جانبية:
— "أنت لا تحبها؟"
قال ببطء:
— "نحن جميعاً معجبون بها. لكن.. آه، هل تفهمين الهيسبيرية؟ هذه اللغة صعبة علي."
— "نعم."
تحول للحديث بلغته، متحدثاً ببطء متعمد لتتمكن من مجاراته.
— "إنها ألمع راهبة رمادية في جيلنا والخبيرة الأولى في تجليات الفوضى في القارة الشرقية. لكننا لا نتفق جميعاً مع أساليبها."
— "ماذا يعني ذلك؟"
— "الأخت بيترا تقليدية بشأن التحويل. مدرستها تؤمن بأن الطريق الوحيد للخلاص هو نمذجة الحضارات على تطور هيسبيريا. لطاعة الصانع يجب أن تصبحوا مثلنا. يجب أن تتوقفوا عن كونكم نيكاريين."
تمتمت رين:
— "جذاب."
تابع أوغوس:
— "لكنني أعتقد أنه عندما نرغب في كسب البرابرة وتحويلهم إلى الخير الأعظم، يجب أن نستخدم نفس الاستراتيجيات التي تستخدمها الفوضى لجذب الأرواح إلى الشر. الفوضى تدخل من باب الآخر وتخرج من بابها الخاص. وكذلك يجب أن نفعل نحن."

ضغطت رين بمفاصلها الملفوفة على الجدار لتخفيف الألم. انحسر دوارها.

– "مما أعرفه، أنتم تفضلون تفجير أبوابنا أكثر."

رماها أوغوس بابتسامة محرجة:

– "كما قلت. محافظون. لكن الشركة بدأت تغير طرقها. خذي الانحناء، على سبيل المثال. لقد قرأت عن تقليد النيكارا في أداء انحناءات عميقة للرؤساء —"

– "هذا للمناسبات الخاصة فقط."

– "حتى مع ذلك. قبل عقود، كانت الشركة ستجادل بأن الانحناء لنيكاري سيكون إهانة مطلقة لكرامة العرق الأبيض. نحن مختارون من قبل الصانع، في النهاية. نحن الأشخاص الأكثر تطوراً، ولا ينبغي لنا إظهار الاحترام لكم. لكنني لا أتفق مع ذلك."

قاومت رين الرغبة في قلب عينيها.

– "هذا لطف منك."

قال أوغوس:

– "نحن لسنا متساوين. لكن هذا لا يعني أننا لا نستطيع أن نكون أصدقاء. ولا أعتقد أن طريق الخلاص يكمن في معاملتكم وكأنكم لستم بشراً."

أدركت رين أن أوغوس يعتقد حقاً أنه لطيف.

قالت:

– "أعتقد أنني بخير الآن."

ساعدها على الوقوف:

– "هل تودين أن أوصلكِ إلى غرفتك؟"

– "لا. شكراً لك. يمكنني التدبر."

عندما عادت إلى غرفتها، سحبت عبوة الأفيون من جيبها. لم تكن قد سرقتها تماماً. تركتها بيترا في حجرها ولم تعلق عليها عندما وقفت رين للمغادرة. كانت تقصد أن تأخذها رين.

رفعت رين لوحاً خشبياً سائباً في الأرضية وأخفت المخدر حيث لا يمكن لأحد رؤيته. لم تكن ستستخدمه. لم تكن تعرف أي لعبة مريضة تلعبها بيترا، لكنها لا تستطيع إغراءها إلى هذا الحد.

ومع ذلك، أراحها أن تعرف أنه إذا أصبح الأمر لا يطاق، وإذا أرادت أن ينتهي كل شيء وأرادت أن تطفو أعلى، وأعلى، بعيداً عن جسدها والعار والإذلال والألم حتى تغادره نهائياً، فإن الأفيون كان هناك.

***

إذا كان أي هيسبيري آخر يشارك آراء أوغوس، فهم لم يظهروها. حافظ رجال تاركيت على متن «الرفراف» على مسافة باردة من «النيكارا». أكلوا وناموا بمفردهم، وفي كل مرة اقتربت رين من مدى سماع محادثاتهم، صمتوا حتى مرت. استمروا في مراقبة «النيكارا» دون تدخل — مستمتعين ببرود بعدم كفاءتهم، ومتفاجئين باعتدال بانتصاراتهم.

مرة واحدة فقط استخدموا بنادقهم «الاركيبوس».

في إحدى الأمسيات، اندلعت جلبة في الطابق السفلي. مجموعة من السجناء من إقليم الكبش هربوا من زنزانتهم وهاجموا حفنة من المبشرين الذين كانوا يبشرون في السجن.

ربما كانوا يحاولون الهرب. ربما فكروا في استخدام الهيسبيريين كرهائن. أو ربما أرادوا ببساطة الانقضاض على الأجانب لاقترابهم أكثر من اللازم — عانى إقليم الكبش كثيراً تحت الاحتلال ولم يكن لديه حب كبير للغرب.

عندما وصلت رين والجنود الآخرون في الدورية إلى مصدر الصراخ، كان السجناء قد ثبتوا المبشرين على الأرض، أحياء ولكن عاجزين.

تعرفت رين على أوغوس، يلهث بيأس من أجل التنفس بينما حشر سجين ذراعه تحت حلقه.

التقت عيناه بعينيها.

— "ساعدي..."

صرخ السجين:

– "تراجعوا! ليتراجع الجميع، أو سيموتون!"

ازدحم المزيد من جنود الجمهورية في الممر في ثوان. كان يجب حل المناوشة فوراً. كان السجناء غير مسلحين وأقل عدداً. لكنهم كانوا أيضاً موسومين لقوتهم كبدالين. أمر جينزا تحديداً بمعاملتهم جيداً، ولم يرغب أحد في الهجوم خوفاً من التسبب في إصابة لا يمكن إصلاحها.

همس أوغوس:

– "أرجوكِ."

ترددت رين. أرادت الاندفاع وسحب مهاجمه عنه. لكن جنود الجمهورية كانوا يحجمون، بانتظار الأوامر. لا تستطيع القفز وحدها في المعركة؛ سيمزقونها إرباً.

وقفت، ورمحها مرفوع، تراقب وجه أوغوس يتحول إلى لون أزرق بشع.

– "ابتعدوا عن الطريق!"

دفع تاركيت وحرسه عبر الفوضى، وبنادقهم مرفوعة. نظر تاركيت نظرة واحدة إلى السجناء وصرخ بأمر. دوّت جولة من الطلقات في الهواء. سقط ثمانية رجال على الأرض. تخثر الهواء برائحة البارود المألوفة. تحرر المبشرون، يلهثون من أجل الهواء.

– "ما هذا؟"

شق جينزا طريقه عبر الحشد.

– "ماذا حدث؟"

– "جنرال جينزا." أشار تاركيت لرجاله، الذين خفضوا أسلحتهم. "جيد أنك ظهرت."

مسح جينزا الجثث على الأرض:

– "لقد كلفتني عمالة جيدة."

لقّم تاركيت بندقيته:

– "كنت أحسن أمن سجنك."

— "أمن سجننا بخير." بدا وجه جينزا أبيض من الغضب. "لم يكن يُفترض بمبشريك أن يكونوا هناك في الأسفل."

نهض أوغوس على قدميه، يسعل. مد يده لذراع جينزا:

— "السجناء يستحقون الرحمة أيضاً. لا يمكنك فقط..."

— "تباً لرحمتك." دفع جينزا أوغوس بعيداً. "أنت على سفينتي. ستطيع الأوامر، أو يمكنك السباحة في النهر."

— "لا تتحدث إلى شعبي هكذا."

وقف تاركيت بينهما. كان الفرق بينه وبين جينزا مضحكاً تقريباً — كان جينزا طويلاً بمعايير «النيكارا»، لكن تاركيت كان يعلوه طولاً.

— "ربما لم يوضح والدك الأمر. نحن دبلوماسيون على سفينتك. إذا أردت من «الكونسورتيوم» أن يفكر مجرد تفكير في تمويل حربك المثيرة للشفقة، فستعامل كل هيسبيري هنا كأنه من الملوك."

اهتزت حنجرة جينزا. راقبت رين الغضب يمر عبر تعبيره؛ ورأت جينزا يقمع دافع الرد. تاركيت يملك كل أوراق الضغط. لا يمكن لوم تاركيت.

استمدت رين بعض الرضا الصغير من ذلك. شعرت بشعور جيد لرؤية جينزا يُذل، ويُعامل بنفس التعالي الذي عاملها به دائماً.

سأل تاركيت:

— "هل أنا مفهوم؟"

حدق جينزا فيه بغضب.

أمال تاركيت رأسه:

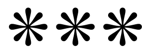
— "قل «نعم، سيدي» أو «لا، سيدي»."

كان القتل مكتوباً على وجه جينزا.

— "نعم، سيدي."

ارتفعت التوترات لعدة أيام بعد ذلك. بدأ جنديان هيسبيريان في اتباع المبشرين أينما ذهبوا، وحافظ «النيكارا» على مسافتهم الحذرة. لكن ما لم يكن أحد منهم في خطر، لم يطلق جنود تاركيت أسلحتهم.

استمر تاركيت في تقييمه المستمر لحملة جينزا. رأته رين بين الحين والآخر على السطح، يدون ملاحظات بشكل بغيض في كتاب صغير بينما يمسح الأسطول وهو يتحرك صعوداً في النهر. وتساءلت رين عما يعتقده فيهم — آلهتهم غير المستجيبة، وأسلحتهم التي بدت بدائية جداً، وحربهم الدموية واليائسة.



بعد شهرين منذ بدء الحملة، أبحروا أخيراً إلى إقليم الجرذ. وهنا انتهت سلسلة انتصاراتهم.

كانت الفرقة الثانية لإقليم الجرذ هي فرع الاستخبارات للميليشيا، وكان ضباط التجسس فيها هم الأفضل في المقاطعات الاثنتي عشرة. بحلول ذلك الوقت، كان لديها أيضاً عدة أشهر من وقت التحذير لوضع استراتيجية دفاعية أفضل مما تمكنت مقاطعات الأرنب أو الكبش من تنظيمه.

وصلت الجمهورية لتجد القرى مهجورة بالفعل، ومخازن الحبوب فارغة، والحقول محروقة. استدعى أمير حرب الجرذ مدنييه إلى المراكز الحضرية أبعد في مجرى النهر أو أرسلهم هاربين إلى مقاطعات أخرى. وجد جنود جينزا ملابس وأثاثاً وألعاب أطفال متناثرة عبر الطرق العشبية. ما لم يمكن أخذه دُمر. في قرية تلو الأخرى وجدوا حبوباً محروقة وعديمة الفائدة وأكواماً متعفنة من جثث الماشية.

لم يكن أمير حرب الجرذ يحاول إقامة دفاع عن حدوده. لقد تراجع ببساطة إلى بارايا، عاصمته المحصنة بشدة. خطط لتجويع الأسطول. وكان لدى بارايا فرصة نجاح أفضل مما كان لدى شياشانغ — بواباتها كانت أكثر سمكاً، وسكانها أفضل استعداداً، وكانت على بعد أكثر من ميل في الداخل، مما أبطل قدرات هجوم «الصرد» و«المرعة».

— "يجب أن نتوقف هنا ونعود أدراجنا."

جال كيتاي في أرضية مكتبه، محبطاً.

— "ننتظر انقضاء الشتاء. وإلا سنموت جوعاً."

لكن جينزا أصبح سريع الغضب بشكل متزايد، وأقل استعداداً للاستماع إلى مستشاريه وأكثر إصراراً على وجوب الاقتحام للأمام.

سألت رين:

— "يريد التحرك نحو بارايا؟"

— "يريد الضغط شمالاً بأسرع ما يمكننا." شد كيتاي شعره بقلق. "إنها فكرة رهيبة. لكنه لن يستمع إلي."

— "فإلى من يستمع إذن؟"

— "إلى أي شخص من القيادة يوافقه الرأي. مولكوي خاصة. إنه من الحرس القديم — أخبرتُ فايسرا أن تلك فكرة سيئة، لكن من يستمع إلي؟ نزهة في صفي، لكن بالطبع لن يستمع جينزا لأخيه الصغير، سيعني ذلك فقدان ماء الوجه. هذا قد يضيع كل مكاسبنا حتى الآن. تعلمين، هناك فرصة جيدة لأن نموت جميعاً جوعاً في الشمال ببساطة. سيكون ذلك مضحكا، أليس كذلك؟"

لكن، كما أعلن جينزا لسفينة «الرفراف»، فإنهم بالتأكيد لن يموتوا جوعاً. سيأخذون إقليم الجرذ. سيفجرون بوابات العاصمة بارايا، ويكسبون لأنفسهم ما يكفي من الإمدادات للصمود خلال الشتاء.

أوامر سهلة الإصدار. أصعب في التنفيذ، خاصة عندما وصلوا إلى امتداد من نهر موروي شديد الانحدار لدرجة أن جينزا لم يكن لديه خيار سوى أمر قواته بنقل السفن عبر اليابسة. ضفاف الأنهار المغمورة سابقاً جعلت من الممكن لهم الإبحار مباشرة فوق طرق الأراضي المنخفضة. لكن الآن أُجبروا على النزول ودحرجة السفن فوق جذوع الأشجار للوصول إلى الممر المائي التالي الواسع بما يكفي لاستيعاب السفن الحربية.

استغرق الأمر يوماً كاملاً من الشد بالحبال لمجرد سحب السفن البرجية الضخمة إلى اليابسة، ووقتاً أطول بكثير لقطع ما يكفي من الأشجار لدحرجتها عبر التضاريس الوعرة. تداخل أسبوع في أسبوعين من العمل القاصم للظهر، الطائش، والمخدر للعقل. الميزة الوحيدة لذلك كانت أن رين كانت منهكة جداً لدرجة أنها لم تملك الوقت للشعور بالملل.

كانت نوبات الدوريات أكثر إثارة بقليل. كانت فرصة للابتعاد عن ضجيج السفن التي تتدحرج فوق الجذوع واستكشاف الأرض المحيطة. حجبت الغابات الكثيفة كل رؤية لأكثر من ميل، وأرسل جينزا مجموعات يومية للبحث عبر الأشجار عن أي مشاهدات للميليشيا.

وجدت رين هذه الدوريات مريحة، حتى وصلت أخبار للقاعدة بأن دورية الظهيرة رصدت مجموعة استطلاع للميليشيا.

— "وتركتموهم يذهبون هكذا؟" صرخ جينزا. "هل أنتم أغبياء؟"

كان الرجال في الدورية من سفينة «الغريفون»، وتدخل نزهة بسرعة نيابة عنهم:

— "لم يكونوا يستحقون القتال يا أخي. رجالنا كانوا أقل عدداً."

رد جينزا بحدة:

— "لكنهم امتلكوا عنصر المفاجأة. بدلاً من ذلك، تعرف الميليشيا بأكملها الآن موقعنا الدقيق. أرسل رجالك مرة أخرى. لا أحد ينام حتى أحصل على دليل بأن كل كشاف منهم قد مات."

حنى نزهة رأسه:

— "نعم يا أخي."

— "وخذ رجال سالخي معك. من الواضح أنه لا يمكن الوثوق برجالك لإنجاز المهمة."

في اليوم التالي، عادت حملة سالخي ونزهة المشتركة إلى «الرفراف» مع سلسلة من الرؤوس المقطوعة وأزياء ميليشيا فارغة.

أرضى ذلك جينزا، لكنه في النهاية لم يحدث فرقاً. أولاً عاد كشافة الميليشيا بأعداد أكبر وأكبر. ثم بدأت الهجمات بشكل جماعي. اختبأ جنود الميليشيا في الجبال. لم يشنوا هجوماً مباشراً قط، بل حافظوا على سيل مستمر من نيران الأسهم، يقتنصون الجنود غفلة.

كان أداء قوات الجمهورية سيئاً ضد هذه الهجمات المتناثرة وغير المتوقعة. اجتاح الذعر المعسكر، مدمراً المعنويات، وفهمت رين السبب. شعر الجيش الجمهوري بأنه في غير محله على اليابسة. اعتادوا القتال من سفنهم. كانوا أكثر راحة في الماء، حيث كان لديهم طريق هروب سريع.

لم يكن لديهم طرق هروب الآن.

الفصل التاسع عشر

بدأ الثلج بالتساقط في اليوم الذي عادوا فيه أخيراً إلى النهر. في البداية، تهادت الرقاقات بيضاء وكسولة، سميكة وممتلئة. ولكن في غضون ساعات، تحول المشهد إلى عاصفة ثلجية هوجاء، تعوي فيها الرياح بضراوة حجبت الرؤية حتى لم يعد الجنود يرون أبعد من خمسة أقدام أمامهم. لم يجد جينزا بدّاً من إرساء أسطوله عند حافة النهر، بينما تحصن جنوده داخل السفن بانتظار انقشاع العاصفة.

قالت رين وهي ترسم أشكالاً بإصبعها على تكثف البخار فوق زجاج الكوة، وعيناها معلقتان بالدوامة البيضاء المنومة في الخارج:

– "لطالما أذهلني الثلج. كل شتاء يأتي كمفاجأة. لا أصدق أبداً أنه حقيقي."

سألها كيتاي:

– "أليس لديكم ثلج في الجنوب؟"

– "لا. يصبح الجو في «تيكاني» جافاً لدرجة أن شفتيك تنزفان حين تحاول الابتسام، لكنه لا يبرد أبداً بما يكفي لتساقط الثلوج. قبل مجيئي للشمال، لم أسمع عنه إلا في القصص. ظننتها فكرة جميلة. مجرد نُتف صغيرة من البرد."

– "وكيف وجدتِ الثلج في «سينغارد»؟"

طغى عويل الريح على رد رين. سحبت غطاء الكوة لأسفل وقالت:

– "بائس كاللعنة."

هدأت العاصفة بحلول صباح اليوم التالي. في الخارج، تحولت الغابة بالكامل، وكأن عملاقاً قد أغرق الأشجار في طلاء أبيض.

أعلن جينزا أن الأسطول سيظل راسياً ليوم آخر احتفالاً بعطلة رأس السنة. في أي مكان آخر من الإمبراطورية، كانت احتفالات رأس السنة تمتد لأسبوع كامل، وتتضمن ولائم من اثني عشر طبقاً، وألعاباً نارية، ومواكب لا تنتهي. أما في الحملة العسكرية، فيجب أن يكفي يوم واحد.

نزل الجنود للتخييم في المشهد الشتوي، سعداء بفرصة الهروب من الأماكن الضيقة في المقصورات.

قال نزهة لـ كيتاي:

— "انظر إن كان بإمكانك إشعال تلك النار."

جلس الثلاثة متجمعين على ضفة النهر، يفركون أيديهم طلباً للدفء بينما كان كيتاي يعبث بقطعة من الصوان لإيقاد شعلة.

بطريقة ما، نجح نزهة في العثور على كيس صغير من دقيق الأرز الدبق. سكب الدقيق في وعاء من القصدير، وأضاف بعض الماء من قارورته، وحركه بأصابعه حتى تشكلت كرة صغيرة من العجين.

نكزت رين النار الهزيلة. أزّت وتطاير منها الشرر؛ ثم أطفأتها هبة الريح التالية تماماً. تأوهت رين ومدت يدها للصوان. لن يحصلوا على ماء مغلي قبل نصف ساعة على الأقل.

قالت:

— "تعلم، يمكنك ببساطة أخذ ذلك للمطبخ وجعلهم يطبخونه."

قال نزهة:

— "لا يُفترض بالمطبخ أن يعرف أنني أملك هذا."

علق كيتاي:

— "فهمت. الجنرال يسرق المؤن."

رد نزهة:

— "الجنرال يكافئ أفضل جنوده بحلوى رأس السنة."

فرك كيتاي يديه صعوداً ونزولاً على ذراعيه:

– "أوه، إذن هي المحسوبية."

تمتم نزهة:

– "اخرس."

فرك كرة العجين بقوة أكبر، لكنها تفتتت بين أصابعه.

– "لم تضف ما يكفي من الماء."

انتزعت رين الوعاء منه وعجنت العجين بيد واحدة، مضيفة قطرات من الماء بالأخرى حتى حصلت على كرة رطبة ومستديرة بحجم قبضتها.

قال نزهة بفضول:

– "لم أكن أعلم أنكِ تجيدين الطهي."

– "اعتدت فعله طوال الوقت. لم يكن هناك أحد آخر ليطعم كيسيجي."

– "كيسيجي؟"

– "أخي الصغير."

قفزت ذكرى وجهه إلى ذهن رين. قمعتها بقوة. لم تره منذ أربع سنوات. لم تكن تعرف إن كان لا يزال حياً، ولم ترغب في التساؤل.

قال نزهة:

– "لم أكن أعلم أن لديكِ أخاً صغيراً."

– "ليس أخاً حقيقياً. كنت متبناة."

لم يطلب منها أحد التوضيح، لذا لم تفعل. دحرجت العجين إلى شريط يشبه الثعبان بين كفيها، ثم قطعته قطعة قطعة إلى كرات بحجم الإبهام.

راقب نزهة يديها بذهول واسع العينين كصبي لم يدخل المطبخ قط.

– "تلك الكرات أصغر من «التانغيوان» التي أتذكرها."

قالت:

– "هذا لأننا لا نملك معجون الفاصوليا الحمراء أو السمسم لحشوها. هل هناك أي فرصة أنك دبرت بعض السكر؟"

سأل نزهة:

– "هل يجب إضافة السكر؟"

ضحك كيتاي.

قالت رين:

— "سنأكلها بدون نكهة إذن. سيكون طعمها أفضل في قطع صغيرة. المزيد للمضغ."

عندما وصل الماء أخيراً لدرجة الغليان، أسقطت رين كرات دقيق الأرز في مرجل القصدير وحركتها بعصا، صانعة تياراً في اتجاه عقارب الساعة حتى لا تلتصق ببعضها.

سأل كيتاي:

— "هل تعلمون أن المراجل اختراع عسكري؟ أحد جنرالات الإمبراطور الأحمر جاء بفكرة أواني القصدير. هل تتخيلون؟ قبل ذلك، كانوا عالقين في محاولة بناء نيران كبيرة بما يكفي لمواقد الخيزران العملاقة."

تأمل نزهة:

— "الكثير من الابتكارات جاءت من الجيش. الحمام الزاجل، على سبيل المثال. وهناك حجة قوية تقول إن معظم التقدم في الحدادة والطب كان نتاجاً لعصر الممالك المتحاربة."

نظرت رين في المرجل:

— "هذا لطيف. يثبت أن الحرب مفيدة لشيء ما إذن."

أصر نزهة:

— "إنها نظرية جيدة. البلاد كانت في فوضى خلال عصر الممالك المتحاربة، بالتأكيد. لكن انظري لما جلبته لنا؛ مبادئ «سونزي» في الحرب، ونظريات «مينغزي» في الحكم. كل ما نعرفه الآن عن الفلسفة، وعن الحرب وفن الحكم، تم تطويره خلال تلك الحقبة."

سألت رين:

— "إذن ما هي المقايضة؟ آلاف الناس يجب أن يموتوا حتى نصبح أفضل في قتل بعضنا البعض في المستقبل؟"

– "أنتِ تعلمين أن هذه ليست حجتي."
– "هذا ما يبدو عليه الأمر. يبدو وكأنك تقول إن الناس يجب أن يموتوا من أجل التقدم."
قال نزهة:
– "إنهم لا يموتون من أجل التقدم. التقدم هو العرض الجانبي. والابتكار العسكري لا يعني فقط أننا نصبح أفضل في قتل بعضنا البعض، بل يعني أننا نصبح مجهزين بشكل أفضل لقتل كل من يقرر غزونا تالياً."
سألت رين:
– "ومن تظن أنه سيغزونا تالياً؟ سكان الأراضي الخلفية؟"
– "لا تستبعديهم."
– "عليهم التوقف عن قتل بعضهم البعض أولاً."
كانت قبائل الأراضي الخلفية الشمالية في حرب مستمرة منذ أن يتذكر أي منهم. في أيام الإمبراطور الأحمر، تم تدريب طلاب «سينغارد» بشكل أساسي لصد الغزاة الشماليين. الآن أصبحوا مجرد فكرة لاحقة.
قال كيتاي:
– "سؤال أفضل: ما هو الابتكار العسكري العظيم القادم برأيكم؟"
قال نزهة:
– "الاركيبوس."
في نفس اللحظة التي قالت فيها رين:
– "الجيوش الشامانية."
التف كلاهما للتحديق فيها.
سأل نزهة:
– "الشامانات أفضل من الاركيبوس؟"
قالت:
– "بالطبع."
خطرت الفكرة لها للتو، لكن كلما فكرت فيها، بدت أكثر جاذبية.

— "سلاح تاركيت مجرد صاروخ ممجد. لكن تخيل جيشاً كاملاً من الناس الذين يمكنهم استدعاء الآلهة."

قال نزهة:

— "هذا يبدو كارثة."

قالت رين:

— "أو جيشاً لا يقهر."

قال نزهة:

— "أشعر أنه لو كان ذلك ممكناً، لكان قد حدث. لكن لا يوجد تاريخ مكتوب عن الحرب الشامانية. الشامانات الوحيدون الذين وظفهم الإمبراطور الأحمر كانوا «السبيريين»، ونحن نعلم كيف سار ذلك."

— "لكن النصوص ما قبل الأسرات —"

قاطعها نزهة:

— "— غير ذات صلة. تقنية التحصين والأسلحة البرونزية لم تصبح معياراً عسكرياً حتى وقت متأخر من حكم الإمبراطور الأحمر، وهو تقريباً نفس الوقت الذي بدأ فيه الشامانات بالاختفاء من السجلات. ليس لدينا أي فكرة كيف سيغير الشامانات طبيعة الحرب، أو ما إذا كان يمكن دمجهم في بيروقراطية عسكرية."

تحدته رين:

— "فرقة السيك أبلت بلاءً حسناً."

— "عندما يكون عددكم أقل من عشرة، بالتأكيد. ألا تظنين أن مئات الشامانات سيكونون كارثة؟"

قالت:

— "يجب أن تصبح واحداً. لترى كيف يكون الأمر."

جفل نزهة:

— "أنتِ لستِ جادة."

– "ليست أسوأ فكرة. أي منا يمكنه تعليمك."

بدا نزهة منزعجاً بشكل غريب من اقتراحها:

– "لم أقابل قط شاماناً يملك السيطرة الكاملة على عقله. وأنا آسف، لكن معرفتي بالسيك لا تجعلني متفائلاً للغاية."

سحبت رين المرجل عن النار. كانت تعلم أنه يفترض بها ترك «التانغيوان» تبرد لبضع دقائق قبل التقديم، لكنها كانت تشعر ببرد شديد، وكانت الأبخرة المتصاعدة من السطح مغرية للغاية. لم يكن لديهم أوعية، لذا لفوا المرجل بأوراق الشجر لحماية أيديهم من الحرق ومرروه في دائرة.

قال كيتاي:

– "سنة جديدة سعيدة. لترسل لكم الآلهة البركات والحظ السعيد."

وقفت رين:

– "صحة، وثروة، وسعادة. ليتعفن أعداؤكم ويستسلموا بسرعة قبل أن نضطر لقتل المزيد منهم."

سأل نزهة:

– "إلى أين تذهبين؟"

– "يجب أن أذهب للتبول."

تجولت باتجاه الغابة، تبحث عن شجرة كبيرة بما يكفي للاختباء خلفها. بحلول ذلك الوقت، كانت قد أمضت وقتاً طويلاً مع كيتاي لدرجة أنها لم تكن لتمانع القرفصاء أمامه مباشرة. لكن لسبب ما، شعرت براحة أقل بكثير في التعري أمام نزهة.

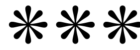
التوى كاحلها تحتها. دارت حول نفسها، وفشلت في استعادة توازنها، وسقطت مسطحة على مؤخرتها. فردت يديها لتخفيف سقوطها. هبطت أصابعها على شيء ناعم ومطاطي. مشوشة، نظرت لأسفل وأزاحت الثلج عن السطح.

رأت وجه طفل مدفوناً في الثلج.

كانت عيناه — ظنت أنه صبي، رغم أنها لم تستطع الجزم تماماً — مفتوحتين على آخرهما، كبيرتين وفارغتين، برموش طويلة مهدبة بالثلج، غائرتين في ظلال داكنة على وجه نحيل وشاحب.

نهضت رين بترنح على قدميها. التقطت غصناً وأزاحت بقية الثلج عن جسد الطفل. كشفت عن وجه آخر. ثم آخر.

أخيراً استوعبت أن هذا لم يكن طبيعياً، وأنه يجب أن تكون خائفة، ثم فتحت فمها وصرخت.



أمر نزهة سرباً بتمشيط الميل المربع المحيط بمشاعل منخفضة حتى يذوب الجليد والثلج بما يكفي لرؤية ما حدث.

تقشر الثلج ليكشف عن قرية كاملة من الناس، متجمدين تماماً حيث رقدوا. كان معظمهم لا يزالون مفتوحي الأعين. لم ترَ رين دماً. لم يبدُ أن القرويين ماتوا من أي شيء سوى البرد، وربما المجاعة. في كل مكان وجدت دليلاً على نيران، أحرقت على عجل، وانطفأت منذ زمن.

لم يعطها أحد شعلة. كانت لا تزال مهتزة من التجربة، وكل حركة مفاجئة تجعلها تقفز، لذا كان من الأفضل ألا تمسك بأي شيء يحتمل الخطورة. لكنها رفضت العودة للمعسكر وحدها أيضاً، لذا وقفت عند حافة الغابة، تشاهد بفراغ بينما يزيح الجنود الثلج عن عائلة أخرى من الجثث. كانت أجسادهم متكومة معاً، جسدا الأم والأب يلتفان بحماية حول طفليهما.

سألها نزهة:

— "هل أنتِ بخير؟"

تحركت يده بتردد نحو كتفها، وكأنه غير متأكد مما إذا كان يجب أن يلمسها أم لا.

أبعدتها:

— "أنا بخير. لقد رأيت جثثاً من قبل."

ومع ذلك لم تستطع رفع عينيها عنهم. بدوا كمجموعة من الدمى ملقاة في الثلج، بخير تماماً باستثناء حقيقة أنهم لا يتحركون.

كان معظم البالغين لا يزالون يحملون حزماً كبيرة مربوطة بظهورهم. رأت رين أطباقاً خزفية، وفساتين حريرية، وأواني مطبخ تتدفق من تلك الحقائب. بدا وكأن القرويين قد حزموا منازلهم بالكامل معهم.

تساءلت:

– "إلى أين كانوا ذاهبين؟"

قال كيتاي:

– "أليس هذا واضحاً؟ كانوا يهربون."

– "ممن؟"

قالها كيتاي، لأن لا أحد غيره بدا قادراً على ذلك:

– "منا."

قال نزهة، وبدا عليه انزعاج عميق:

– "لكن لم يكن لديهم ما يخشونه. كنا سنعاملهم بالطريقة التي عاملنا بها كل قرية أخرى. كانوا سيحصلون على تصويت."

قال كيتاي:

– "ليس هذا ما أخبرهم به قادتهم. تخيلوا أننا قادمون لقتلهم."

قال نزهة:

– "هذا سخيف."

سأل كيتاي:

– "هل هو كذلك؟ تخيل الأمر. تسمع أن الجيش المتمرد قادم. حكامك هم مصادرك الأكثر موثوقية للمعلومات، ويخبرونك أن المتمردين سيقتلون رجالك، ويغتصبون نساءك، ويستعبدون أطفالك، لأن هذا ما يُفترض بك قوله دائماً عن العدو. أنت لا تعرف أفضل من ذلك، لذا تحزم كل ما تستطيع وتهرب."

استطاعت رين تخيل البقية. هرب هؤلاء القرويون من الجمهورية كما هربوا ذات مرة من الاتحاد. لكن الشتاء جاء أبكر مما توقعوا في ذلك العام، ولم يصلوا للوديان المنخفضة في الوقت المناسب. لم يجدوا أي شيء للأكل. في مرحلة ما كان البقاء على قيد الحياة يتطلب جهداً كبيراً جداً. لذا قرروا مع بقية العائلات أن هذا المكان جيد كأي مكان آخر لإنهائه، واستلقوا معاً واحتضنوا بعضهم البعض، وربما لم يكن الأمر مريعاً جداً قرب النهاية.

ربما شعروا وكأنهم يخلدون للنوم وحسب.

طوال الحملة بأكملها، لم تتوقف مرة واحدة للتفكير في عدد الناس الذين قتلوهم أو شردوهم. تراكمت الأرقام بسرعة كبيرة. عدة آلاف من المجاعة — ربما عدة مئات من الآلاف — ثم كل الجنود الذين قتلوهم في كل مرة، مضروبين عبر القرى.

أدركت أنهم كانوا يخوضون حرباً مختلفة جداً الآن. لم يكونوا المحررين بل المعتدين. كانوا هم من يُخشى منهم.

— "الحرب مختلفة عندما لا تكافح من أجل البقاء."

لا بد أن كيتاي كان يفكر في نفس الشيء. وقف ساكناً، قابضاً على شعلته، وعيناه مثبتتان على الجثث عند قدميه.

— "الانتصارات لا تشعرك بالشيء نفسه."

سألته رين بهدوء حتى لا يسمع نزهة:

— "هل تظن أن الأمر يستحق؟"

— "بصراحة، لا أهتم."

— "أنا جادة."

فكر للحظة.

— "أنا سعيد لأن شخصاً ما يقاتل داجي."

— "لكن التضحيات —"

– "لن أفكر طويلاً في التضحيات." ألقى كيتاي نظرة على نزهة، الذي كان لا يزال يحدق في الجثث، وعيناه واسعتان ومضطربتان. "لن يعجبكِ الجواب الذي ستتوصلين إليه."

***

في تلك الليلة بدأت العواصف الثلجية مرة أخرى ولم تهدأ لأسبوع آخر. أكد ذلك ما كان الجميع يخشونه. وصل الشتاء مبكراً ذلك العام، وبانتقام. قريباً جداً ستتجمد الروافد وسيعلق الأسطول الجمهوري في الشمال ما لم يعودوا أدراجهم. كانت خياراتهم تتضاءل.

جابت رين سفينة «الرفراف» لأيام، يزداد اضطرابها مع كل دقيقة تمر. احتاجت للحركة، للقتال، للهجوم. لم تحب الجلوس ساكنة. من السهل جداً أن تقع فريسة لأفكارها الخاصة. من السهل جداً رؤية الوجوه في الثلج.

ذات مرة خلال نزهة في وقت متأخر من الليل، تعثرت بالقيادة تغادر مكتب جينزا. لم يبدُ أي منهم سعيداً. اقتحم جينزا طريقه متجاوزاً إياها دون أن ينبس بكلمة؛ ربما لم يلاحظها حتى. تلكأ نزهة في الخلف مع كيتاي، الذي ارتدى التعبير المنزعج والمطبق الشفاه الذي علمت رين أنه يعني أنه لم يحصل على مراده.

قالت رين:

– "لا تخبرني. سنتحرك للأمام."

– "لسنا نتحرك للأمام وحسب. إنه يريدنا أن نتجاوز بارايا تماماً ونأخذ بويانغ." ضرب كيتاي بقبضته على الجدار. "بويانغ! هل هو مجنون؟"

شرح نزهة لـ رين:

– "موقع عسكري على حدود إقليم الجرذ وإقليم النمر. إنها ليست فكرة مريعة. استخدمت الميليشيا بويانغ كحصن خلال الغزوين الأول والثاني. سيكون لها دفاعات مدمجة، مما يسهل الصمود خلال الشتاء. يمكننا كسر الحصار في بارايا من هناك."

سألت رين:

— "لكن ألن يكون هناك شخص ما بالفعل؟"

إذا كانت الميليشيا متمركزة في أي مكان، فلا بد أن يكون ذلك في إقليم النمر أو الجرذ. أي مكان أبعد شمالاً وسيكونون يقاتلون في «سينغارد» من أجل قلب الأراضي الإمبراطورية.

قال نزهة:

— "إذا كان هناك شخص بالفعل، فسنقاتله."

تحداه كيتاي:

— "في مياه جليدية؟ بجيش بارد وبائس؟ إذا واصلنا الذهاب شمالاً، سنخسر كل ميزة اكتسبناها بالمجيء بعيداً هكذا."

جادل نزهة:

— "أو يمكننا ترسيخ نصرنا. إذا فزنا في بويانغ، فإننا نسيطر على الدلتا عند رافد «إليهمسا»، مما يعني —"

قال كيتاي بحدة:

— "نعم، نعم، تقطع حول الساحل لإقليم النمر، يمكنك إرسال تعزيزات لأي منهما عبر الممرات النهرية. باستثناء أنك لن تفوز بـ بويانغ. الأسطول الإمبراطوري موجود هناك كله تقريباً، لكن لسبب ما يفضل جينزا التظاهر بأنه غير موجود. لا أعرف ما خطب أخيك، لكنه يصبح متهوراً ويتخذ قرارات مثل المجنون."

— "أخي ليس مجنوناً."

— "أوه، لا، قد يكون أفضل جنرال حرب رأيته في حياتي. لا أحد ينكر أنه أبلى بلاءً حسناً حتى الآن. لكنه جيد فقط لأنه أول جنرال نيكاري تم تدريبه للتفكير من منظور بحري أولاً. بمجرد أن تتجمد الأنهار، ستتحول إلى حرب برية، وحينها لن يكون لديه أدنى فكرة عما يجب فعله."

تنهد نزهة:

– "انظر، أفهم وجهة نظرك. أنا فقط أحاول رؤية الأفضل في وضعنا. لو كان الأمر بيدي لما ذهبت إلى بويانغ أيضاً."

رفع كيتاي يديه:

– "حسناً، إذن –"

– "هذا لا يتعلق بالاستراتيجية. إنه يتعلق بالكبرياء. يتعلق بإظهار للهسبيريين أننا لن نتراجع عن تحدٍ. وبالنسبة لـ جينزا، يتعلق الأمر بإثبات نفسه لأبي."

تمتم كيتاي:

– "هذه الأمور تعود دائماً لوالدك. كلكما يحتاج للمساعدة."

قالت رين:

– "فقل ذلك لـ جينزا. أخبره أنه يتصرف بغباء."

قال نزهة:

– "لا توجد نسخة ممكنة لذلك الجدال تنتهي بشكل جيد. جينزا يقرر ما يريد. هل تظنين أنني أستطيع معارضته والإفلات من العقاب؟"

قال كيتاي:

– "حسناً، إذا لم تستطع، فنحن هالكون."

***

بعد ساعة، صرت عجلات التجديف معلنة الحركة، حاملة الأسطول الجمهوري عبر سلسلة جبال صغيرة.

نكز كيتاي ذراع رين:

– "انظري للأعلى. هل يبدو ذلك طبيعياً لكِ؟"

في البداية بدا لها وكأن الشمس تشرق تدريجياً فوق الجبال، كانت الأضواء ساطعة جداً. ثم ارتفعت الأجسام المتوهجة أعلى، ورأت أنها فوانيس، تضيء سماء الليل واحداً تلو الآخر كحقل من الزهور المتفتحة. تدلت شرائط طويلة من البالونات، تعرض رسالة يمكن قراءتها بسهولة من الأرض.

الاستسلام يعني الحصانة.

سألت رين، مستمتعة:

— "هل ظنوا حقاً أن ذلك سينجح؟ هذا يشبه الصراخ: 'ابتعدوا، من فضلكم'."

لكن كيتاي لم يكن يبتسم.

— "لا أظن أن الأمر يتعلق بالدعاية. يجب أن نعود أدراجنا."

— "ماذا، فقط بسبب بعض الفوانيس؟"

— "بسبب ما تعنيه الفوانيس. من وضعها ينتظرنا هناك في الداخل. وأشك أن لديهم قوة نارية تضاهي الأسطول، لكنهم لا يزالون يقاتلون على أرضهم، ويعرفون ذلك النهر. لقد راقبوه لفترة لا يعلمها إلا الله."

أشار كيتاي لأقرب جندي.

— "هل يمكنك الرماية؟"

قال الجندي:

— "بجودة أي شخص آخر."

— "جيد. هل ترى ذلك؟" أشار كيتاي لفانوس ينجرف أبعد قليلاً عن الآخرين. "هل يمكنك إصابته؟ أريد فقط أن أرى ما يحدث."

بدا الجندي مرتبكاً، لكنه أطاع. أخطأت طلقته الأولى. طار سهمه الثاني صحيحاً. انفجر الفانوس مشتعلاً، مرسلاً وابلاً من الشرر والجمر يتساقط نحو النهر.

ارتمت رين على الأرض. بدا الانفجار عالياً بشكل مستحيل بالنسبة لفانوس صغير وبريء المظهر. واستمر أيضاً — لا بد أن الفانوس كان محملاً بعدة قنابل أصغر انفجرت بالتتابع في نقاط مختلفة في الهواء كألعاب نارية معقدة. راقبت، حابسة أنفاسها، آملة ألا يشعل أي من الشرر الفوانيس الأخرى. قد يشعل ذلك سلسلة تفاعلات تحول الجرف بأكمله لعمود من النار.

لكن الفوانيس الأخرى لم تنفجر — انفجر الأول بعيداً جداً عن بقية المجموعة — وأخيراً، بدأت الانفجارات تتلاشى.

قال كيتاي بمجرد توقفها تماماً:

– "أخبرتكم." التقط نفسه عن الأرض. "من الأفضل أن نذهب لإخبار جينزا أننا بحاجة لتغيير المسار."

***

زحف الأسطول أسفل قناة ثانوية للرافد، ممر ضيق بين منحدرات صخرية وعرة. سيضيف هذا أسبوعاً لوقت سفرهم، لكنه كان أفضل من الاحتراق المؤكد.

مسحت رين الصخور الرمادية بمنظارها ووجدت شقوقاً، وحواف جرف يمكن أن تخفي أعداء بسهولة، لكنها لم ترَ أي حركة. لا فوانيس. بدا الممر مهجوراً.

قال كيتاي:

– "لم ننجُ بعد."

– "تظن أنهم فخخوا كلا النهرين؟"

قال كيتاي:

– "كان بإمكانهم فعل ذلك. أنا كنت سأفعل."

– "لكن لا يوجد شيء هنا."

هز دوي الهواء. تبادلا نظرة وركضا للمقدمة. كان القارب السريع في مقدمة الأسطول مشتعلاً بالكامل.

تردد صدى دوي آخر عبر الممر. انفجرت سفينة ثانية، مرسلة شظايا الانفجار عالياً لدرجة أنها تحطمت عبر سطح «الرفراف». رمى جينزا نفسه على الأرض قبل لحظة من أن تخترق قطعة من «الطيطوي» رأسه وتثبته بالصاري. زأر:

– "انخفضوا! الجميع للأسفل!"

لكنه لم يكن بحاجة لإخبارهم – حتى من على بعد مائة ياردة هزت آثار الانفجار «الرفراف» كزلزال، مطيحة بكل من على السطح عن أقدامهم.

زحفت رين لأقرب ما يمكن لحافة السطح، والمنظار في يدها. أطلت من فوق الدرابزين وجالت بنظرها بشكل محموم حول الجبال، لكن كل ما رأته كان صخوراً.

— "لا يوجد أحد هناك."

قال كيتاي:

— "تلك ليست صواريخ. كنتِ سترين توهج الحرارة في الهواء."

كان محقاً — مصدر الانفجارات لم يكن من الجو؛ لم تكن تنفجر على الأسطح. الماء نفسه كان يثور حول الأسطول.

عمت الفوضى «الرفراف». تدافع الرماة للسطح العلوي لإطلاق النار على أعداء غير موجودين. صرخ جينزا حتى بُح صوته آمراً السفن بعكس الاتجاه. دارت عجلات تجديف «الرفراف» بشكل محموم للخلف، دافعة القارب السلحفاة خارج الرافد، لتصطدم بـ «المرعة». فقط بعد تبادل محموم لإشارات الأعلام بدأ الأسطول بالتراجع ببطء أسفل النهر.

لم يكونوا يتحركون بسرعة كافية. أياً كان ما في الماء، فلا بد أنه كان مربوطاً معاً بآلية تسلسلية ما، لأنه بعد دقيقة اشتعل قارب آخر، ثم آخر. استطاعت رين رؤية الانفجارات تبدأ تحت الماء، كل واحد يفجر التالي كخط شرير، يقترب أكثر فأكثر من «الرفراف».

انطلقت هبة هائلة من الماء خارج النهر. في البداية ظنت رين أنها مجرد قوة الانفجارات، لكن الماء دار، أعلى وأعلى، كدوامة معكوسة، متوسعاً ليحيط بالسفن الحربية، مشكلاً حلقة واقية تمركزت حول «الغريفون».

قال كيتاي:

— "ما هذا بحق الجحيم."

انطلقت رين للمقدمة.

وقف نزهة تحت صاري «الغريفون»، وذراعاه ممدودتان لبرج الماء وكأنه يمد يده لشيء ما.

التقى بنظرة رين، وتخطى قلبها نبضة.

كانت عيناه مخترقتين بخطوط من أزرق المحيط — ليس اللمعان الأزرق السماوي المخيف لنظرة فايلين، بل كوبالت أغمق، لون الأحجار الكريمة القديمة.

همست:

— "أنت أيضاً؟"

عبر موجة الماء الواقية رأت انفجارات، بقعاً من البرتقالي والأحمر والأصفر. مشوهة بالماء، بدت جميلة تقريباً، لوحة من الانفجارات الغاضبة. بدت الشظايا مجمدة في مكانها، معتقلة بالجدار. علق الماء في الهواء لوقت طويل بشكل مستحيل، ثابتاً بينما انطلقت المتفجرات واحدة تلو الأخرى في سلسلة من الانفجارات الصماء التي تردد صداها حول الأسطول. انهار نزهة على السطح.

سقطت الموجة، وضربت للداخل، وأغرقت البقايا البائسة للأسطول الجمهوري.

احتاجت رين للوصول لـ «الغريفون».

كانت الموجة العظيمة قد صدمت سفينة نزهة و«الرفراف» معاً في حطام كئيب. لم يفصل بين سطحيهما سوى فجوة ضيقة. ركضت رين، وقفزت، وانزلقت على سطح «الغريفون»، وركضت نحو جسد نزهة المرتخي.

اختفى كل اللون من وجهه. كان بالفعل شاحبًا كالخزف، لكن جلده الآن بدا شفافاً، وندوبه شقوقاً في زجاج مهشم فوق عروق زرقاء ساطعة.

سحبته لوضعية الجلوس. كان يتنفس، وصدره يعلو ويهبط، لكن عينيه كانتا مغلقتين بشدة، وهز رأسه فقط حين حاولت سؤاله.

— "إنه يؤلم." أخيراً، كلمات مفهومة — التوى في ذراعيها، يخدش شيئاً على ظهره. "يؤلم..."

— "هنا؟" وضعت يدها على أسفل ظهره.

تمكن من الإيماء. ثم صرخة مفاجئة بلا كلمات.

حاولت مساعدته على خلع قميصه، لكنه استمر في التخبط في ذراعيها، لذا اضطرت لتمزيقه بسكين وسحب القطع بعيداً. انتشرت أصابعها فوق ظهره المكشوف. احتبس أنفاسها في حلقها.

وشم تنين ضخم، فضي وأزرق سماوي بألوان «بيت يين»، غطى جلده من الكتف للكتف. لم تتذكر رين رؤيته من قبل — لكن مرة أخرى، لم تتذكر رؤية نزهة عاري الصدر من قبل. لا بد أن هذا الوشم قديم. استطاعت رؤية ندبة متموجة تتقوس أسفل الجانب الأيسر حيث طُعن نزهة ذات مرة بمطرد جنرال موغيني. لكن الندبة الآن تلمع بأحمر غاضب، وكأنها وسمت في جلده للتو. لم تستطع معرفة ما إذا كانت تتخيل الأشياء في ذعرها، لكن التنين بدا وكأنه يتموج تحت أصابعها، يلتف ويتخبط ضد جلده.

— "إنه في عقلي." أطلق نزهة صرخة ألم مخنوقة أخرى. "يخبرني — تباً، رين..."

غمرتها الشفقة، موجة مظلمة أرسلت العصارة الصفراء تتصاعد في حلقها.

أصدر نزهة أنيناً منخفضاً. "إنه في رأسي..."

كانت لديها فكرة عما يبدو عليه ذلك.

أمسك معصميها بقوة أفزعتها.

— "اقتليني."

همست:

— "لا أستطيع فعل ذلك."

أرادت قتله. كل ما أرادته هو إنهاء ألمه. لم تستطع تحمل النظر إليه هكذا، يصرخ وكأن الأمر لن ينتهي أبداً.

لكنها لن تسامح نفسها أبداً على ذلك.

— "ما خطبه؟" وصل جينزا. كان ينظر لأسفل إلى نزهة بقلق حقيقي لم تره رين على وجهه قط.

أخبرته:

— "إنه إله." كانت واثقة. عرفت بالضبط ما يمر في رأس نزهة، لأنها عانته من قبل. "استدعى إلهاً وهو لا يرحل."

كانت لديها فكرة جيدة عما حدث. نزهة، وهو يشاهد الأسطول ينفجر حوله، حاول حماية «الغريفون». ربما لم يكن واعياً لما يفعله. ربما تذكر فقط تمني أن ترتفع المياه، وتحميهم من النيران. لكن إلهاً ما أجاب وفعل بالضبط ما تمنى، والآن لا يستطيع جعله يعيد له عقله.

— "ما الذي تتحدثين عنه؟" ركع جينزا وحاول سحب نزهة من قبضتها، لكنها لم تفلت.

— "تراجع."

زمجر:

— "إياكِ أن تلمسيه."

ضربت يده بعيداً.

— "أعرف ما هذا، أنا الوحيدة التي يمكنها مساعدته، لذا إذا أردته أن يعيش، فتراجع."

ذهلت حين امتثل جينزا.

تخبط نزهة في ذراعيها، يئن.

توسل جينزا:

— "ساعديه إذن."

أنا أحاول تباً، فكرت رين. أجبرت نفسها على الهدوء. استطاعت التفكير في شيء واحد فقط قد ينجح. إذا كان هذا إلهاً — وكانت شبه متأكدة من أنه إله — فالطريقة الوحيدة لإسكات صوته هي إغلاق عقل نزهة، قطع اتصاله بعالم الروح.

قالت لـ جينزا:

— "أرسل رجلاً لمقصورتي. المقصورة الثالثة. اجعله يرفع اللوح الأرضي الثاني في الزاوية اليمنى ويحضر لي ما هو مخفي تحته. هل تفهم؟"

أومأ.

— "أسرع إذن."

وقف وبدأ يصرخ بالأوامر.

— "اخرج."كان نزهة يتكور على نفسه، يتمتم. خدش لوحي كتفه، غارساً أظافره عميقاً في جلده، مسيلاً الدم. "اخرج — اخرج!"

أمسكت رين معصميه وأبعدتهما عن ظهره. انتزعهما، متخبطاً، من قبضتها. ضربتها يد طائشة عبر ذقنها. اندفع رأسها للجانب. للحظة رأت السواد.

بدا نزهة مرعوباً.

— "أنا آسف." تشبث بكتفيه وكأنه يحاول الانكماش. "أنا آسف جداً."

سمعت رين صوتاً يئن. جاء من السطح — كانت السفينة تتحرك، ببطء شديد. شيء ما كان يدفعها من الأسفل. نظرت للأعلى، والتوت معدتها بالرعب. كانت الأمواج تنتفخ، ترتفع حول «الغريفون» كيد تستعد لإغلاق أصابعها في قبضة. نمت أعلى من الصاري.

قد يفقد نزهة السيطرة تماماً. قد يغرقهم جميعاً.

— "نزهة." أمسكت وجهه بين كفيها. "انظر إلي. أرجوك، انظر إلي. نزهة."

لكنه لم يرد، أو لم يستطع، الاستماع إليها — ثواني صفائه ولت، وكان كل ما بوسعها فعله هو إمساكه بقوة حتى لا يمزق جلده بينما يئن ويصرخ.

بعد دهر سمعت خطوات.

قال جينزا، ضاغطاً العبوة في يدها:

— "خذي."

زحفت رين على صدر نزهة، مثبتة ذراعيه بركبتيها، ومزقت العبوة بأسنانها. تدحرجت قطع الأفيون على السطح.

سأل جينزا بحدة:

— "ماذا تفعلين؟"

— "اخرس."

كشطت رين قطعتين وأمسكتهما بإحكام في قبضتها. ماذا الآن؟ لم يكن لديها غليون في متناول اليد. لا تستطيع استدعاء النار لإشعال قطع الأفيون وجعله يستنشق وحسب، وصنع نار سيستغرق دهراً —كل شيء على السطح كان مبللاً.

كان عليها إدخال الأفيون فيه بطريقة ما.

لم تستطع التفكير في طريقة أخرى. كورت القطع في يدها وأجبرتها في فمه. تخبط نزهة بقوة أكبر، يختنق. أغلقت فكه بقرصه، ثم فتحته عنوة ودفعت القطع أبعد في فمه حتى ابتلع.

أمسكت ذراعيه وانحنت فوقه، تنتظر. مرت دقيقة. ثم اثنتان. توقف نزهة عن الحركة. انقلبت عيناه لداخل رأسه. ثم توقف عن التنفس.

***

قال طبيب السفينة:

— "كان يمكن أن تقتليه."

تعرفت رين على الدكتور سين من سفينة «كورمورانت». كان الطبيب الذي اعتنى بـ فايسرا بعد «لوسان»، وبدا أنه الرجل الوحيد المسموح له بعلاج أفراد «بيت يين».

قالت:

— "افترضت فقط أن لديكم شيئاً لذلك."

وقفت مترهلة ضد الجدار، منهكة. كانت مندهشة لسماحهم لها بدخول مقصورة نزهة، لكن جينزا منحها إيماءة مقتضبة فقط في طريقه للخروج.

رقد نزهة ساكناً على السرير بينهما. بدا فظيعاً، أشحب من الموت، لكنه كان يتنفس بانتظام. كل ارتفاع وانخفاض لصدره منح رين هزة صغيرة من الارتياح.

قال الدكتور سين:

— "من حسن الحظ أننا امتلكنا المخدر. كيف عرفتِ؟"

سألت رين بحذر:

— "عرفت ماذا؟"

هل علم الدكتور سين أن نزهة شامان؟ هل علم أحد؟ بدا جينزا مشوشاً تماماً. هل كان سر نزهة ملكه وحده؟

قال الدكتور سين:

— "أن تعطيه الأفيون."

لم يخبرها ذلك بشيء. خاطرت بنصف حقيقة كرد:

— "رأيت هذا المرض من قبل."

سأل بفضول:

— "أين؟"

— "ممم." هزت رين كتفيها. "كما تعلم. في الجنوب. الأفيون علاج شائع له هناك."

بدا الدكتور سين محبطاً نوعاً ما.

— "لقد عالجت أبناء أمير حرب التنين منذ كانوا أطفالاً. لم يخبروني قط بأي شيء عن علة نزهة الخاصة، فقط أنه يشعر بالألم غالباً، وأن الأفيون هو الطريقة الوحيدة لتهدئته. لا أعرف ما إذا كان فايسرا وسايخارا يعرفان السبب بنفسيهما."

نظرت رين لأسفل إلى وجه نزهة النائم. بدا مسالماً جداً. كان لديها رغبة غريبة جداً في إزاحة الشعر عن جبهته.

— "منذ متى وهو مريض؟"

— "بدأت النوبات تصيبه عندما كان في الثانية عشرة. أصبحت أقل تواتراً مع تقدمه في السن، لكن هذه كانت الأسوأ التي رأيتها منذ سنوات."

هل كان نزهة شاماناً منذ كان طفلاً؟ تساءلت رين. كيف لم يخبرها قط؟ ألم يثق بها؟

قال الدكتور سين:

— "إنه في أمان الآن. الشيء الوحيد الذي سيحتاجه هو النوم. لستِ مضطرة للبقاء."

— "لا بأس. سأنتظر."

بدا غير مرتاح.

— "لا أعتقد أن الجنرال جينزا —"

— "جينزا يعلم أنني أنقذت حياة أخيه للتو. سيسمح بذلك، وسيكون وغداً إن لم يفعل."

لم يجادل الدكتور سين. بعد أن أغلق الباب خلفه، تكورت رين على الأرض بجانب سرير نزهة وأغلقت عينيها.

بعد ساعات سمعته يتحرك. جلست، وفركت القذارة عن عينيها، وركعت بجانبه.

— "نزهة؟"

— "همم." رمش في السقف، يحاول فهم محيطه.

لمست بظهر إصبعها خده الأيسر. كان جلده أنعم بكثير مما ظنت. لم تكن ندوبه نتوءات بارزة كما توقعت، بل خطوطاً ناعمة تجري عبر جلده كوشم.

عادت عيناه للونهما البني الجميل المعتاد. لم تستطع رين منع نفسها من ملاحظة كم كانت رموشه طويلة؛ كانت داكنة وكثيفة، أكثف حتى من رموش فينكا. *هذا ليس عدلاً*، فكرت. لطالما كان أجمل بكثير مما يحق لأي شخص أن يكون.

سألت:

— "كيف حالك؟"

رمش نزهة عدة مرات وتمتم بشيء لم يبدُ ككلمات.

حاولت مرة أخرى.

— "هل تعرف ما يجري؟"

جالت عيناه حول الغرفة لفترة، ثم ركزت على وجهها بصعوبة.

— "نعم."

لم تستطع كبح أسئلتها أكثر من ذلك.
– "هل تفهم ما حدث للتو؟ لماذا لم تخبرني؟"
كل ما فعله نزهة هو الرمش.
انحنت للأمام، وقلبها يدق.
– "كان بإمكاني مساعدتك. أو – أو كان بإمكانك مساعدتي. كان يجب أن تخبرني."
بدأ تنفسه يتسارع.
سألت مرة أخرى:
– "لماذا لم تخبرني؟"
تمتم بشيء غير مفهوم. ورفرفت جفونه مغلقة.
كادت تهزه من ياقته، كانت يائسة جداً للحصول على إجابات. أخذت نفساً عميقاً. توقفي. لم يكن نزهة في حالة تسمح باستجوابه الآن.
كان بإمكانها إجباره على الكلام. إذا ضغطت أكثر، إذا صرخت فيه ليعطيها الحقيقة، فقد يخبرها بكل شيء.
لكن ذلك سيكون سراً كُشف تحت تأثير الأفيون، وستكون قد أجبرته حين لم يكن في حالة تسمح له بالرفض.
هل سيكرهها لذلك؟
كان نصف واعٍ فقط. قد لا يتذكر حتى.
ابتلعت موجة مفاجئة من الاشمئزاز. لا – لا، لن تفعل ذلك به. لا تستطيع. سيتعين عليها الحصول على إجاباتها بطريقة أخرى.
ليس الوقت مناسباً الآن. وقفت.
فتحت عيناه مرة أخرى.
– "إلى أين تذهبين؟"
قالت:
– "يجب أن أدعك ترتاح."

تحرك في سريره.

– "لا... لا تذهبي..."

توقفت عند الباب.

قال:

– "أرجوكِ. ابقي."

قالت:

– "حسناً." وعادت لجانبه. أخذت يده في يدها. "أنا هنا تماماً."

همس:

– "ماذا يحدث لي؟"

ضغطت على أصابعه.

– "فقط أغمض عينيك يا نزهة. عُد للنوم."

***

بقيت بقايا الأسطول عالقة في خليج صغير للأيام الثلاثة التالية. تعين علاج نصف القوات من حروق، وأصبحت الرائحة المنفرة للحم المتعفن منتشرة لدرجة أن الرجال أخذوا يلفون القماش حول وجوههم، مغطين كل شيء عدا عيونهم. في النهاية اتخذ جينزا القرار بإعطاء المورفين والدواء فقط للرجال الذين لديهم فرصة معقولة للنجاة. دُحرج الباقون في الطين، ووجوههم لأسفل، حتى توقفوا عن الحركة.

لم يكن لديهم وقت لدفن موتاهم لذا سحبوهم في أكوام متشابكة مع أجزاء من السفن التي لا يمكن إصلاحها لتشكيل محارق جنائزية وأضرموا النار فيها.

قال كيتاي:

– "كم هذا استراتيجي. لا نحتاج لحصول الإمبراطورية على خشب سفن جيد."

سألت رين:

– "هل يجب أن تكون هكذا؟"

– "فقط أجامل جينزا."

وقفت الأخت بيترا أمام الجثث المحترقة وألقت صلاة جنازة كاملة بلغتها النيكارية الفصيحة والخالية من النغمات بينما وقف الجنود حولها في دائرة فضولية.

— "في الحياة عانيتم في عالم دمرته الفوضى، لكنكم قدمتم أرواحكم لقضية جميلة. متم وأنتم تخلقون النظام في أرض محرومة منه. الآن استريحوا. أدعو صانعكم أن يرحم أرواحكم. أدعو أن تعرفوا عمق حبه، الشامل وغير المشروط."

ثم بدأت ترتل بلغة لم تتعرف عليها رين. بدت مشابهة للهيسبيرية — كادت تتعرف على جذور الكلمات قبل أن تتخذ شكلاً مختلفاً تماماً — لكن هذا بدا شيئاً أقدم، شيئاً مثقلاً بقرون من التاريخ والهدف الديني.

همست رين بهدوء لـ أوغوس:

— "إلى أين يعتقد شعبكم أن الأرواح تذهب عندما تموت؟"

بدا متفاجئاً لأنها سألت أصلاً.

— "لمملكة الصانع، بالطبع. إلى أين يعتقد شعبكم أنها تذهب؟"

قالت:

— "لا مكان. نختفي عائدين للعدم."

تحدث النيكارا عن العالم السفلي أحياناً، لكن تلك كانت قصة شعبية أكثر منها اعتقاداً حقيقياً. لم يتخيل أحد حقاً أنهم قد ينتهون في أي مكان سوى الظلام.

قال أوغوس:

— "هذا مستحيل. الصانع يخلق أرواحنا لتكون دائمة. حتى أرواح البرابرة لها قيمة. عندما نموت، يصقلها ويحضرها لمملكته."

لم تستطع رين منع فضولها.

— "كيف تبدو تلك المملكة؟"

قال:

– "إنها جميلة. أرض خالية تماماً من الفوضى؛ بلا ألم، أو مرض، أو معاناة. إنها مملكة النظام الكامل التي نقضي حياتنا نحاول إعادة خلقها على هذه الأرض."

رأت رين الأمل البهيج يشع من وجه أوغوس وهو يتحدث، وعرفت أنه يصدق كل كلمة يقولها.

بدأت ترى لماذا تمسك الهسبيريون بدينهم بهذه الحرارة. لا عجب أنهم كسبوا المعتنقين بهذه السهولة أثناء الاحتلال. يا له من راحة أن تعرف أنه في نهاية هذه الحياة هناك واحدة أفضل، وأنه ربما عند الموت قد تتمتع بالراحة التي حُرمت منها دائماً بدلاً من التلاشي بعيداً عن كون غير مبالٍ. يا له من راحة أن تعرف أنه من المفترض أن يكون للعالم معنى، وأنه إذا لم يكن كذلك، فستُعوّض يوماً ما بالعدل.

وقف صف من القادة والجنرالات أمام المحرقة المشتعلة. كان نزهة في النهاية، يستند بثقل على عصا مشي. كانت المرة الأولى التي تراه فيها رين منذ يومين.

لكن عندما اقتربت منه، استدار ليبتعد. نادت باسمه. تجاهلها. اندفعت للأمام – لم يستطع الركض أسرع منها، ليس بعصا المشي تلك – وأمسكت معصمه.

قالت:

– "توقف عن الهرب."

قال بجمود:

– "أنا لا أهرب."

– "تحدث معي إذن. أخبرني ما الذي رأيته في النهر."

جالت عينا نزهة حول الجنود الواقفين على مقربة. خفض صوته.

– "لا أعرف عما تتحدثين."

– "لا تكذب علي. رأيت ما فعلته. أنت شامان!"

– "رين، اخرسي."

لم تفلت معصمه.
— "لقد حركت الماء بإرادتك. أعرف أنه كان أنت."
ضيق عينيه.
— "أنتِ لم تري شيئاً، ولن تخبري أحداً بأي شيء —"
قالت:
— "سرك في مأمن من بيترا، إذا كان هذا ما تسأل عنه. لكنني لا أفهم لماذا تكذب علي."
دون رد، استدار نزهة وعرج مبتعداً بسرعة عن المحارق. تبعته إلى بقعة خلف الهيكل المتفحم لقارب نقل سريع. تدفقت الأسئلة منها في سيل لا يمكن إيقافه.
— "هل علموك في سينغارد؟ هل يعرف جون؟ هل أي شخص آخر في عائلتك شامان؟"
— "رين، توقفي —"
— "جينزا لا يعرف، اكتشفت ذلك. ماذا عن والدتك؟ فايسرا؟ هل علمك؟"
صرخ:
— "أنا لست شاماناً!"
لم تجفل.
— "أنا لست غبية. أعرف ما رأيت."
— "إذن استخلصي استنتاجاتك الخاصة وتوقفي عن طرح الأسئلة."
— "لماذا تخفي هذا؟"
بدا متألماً.
— "لأنني لا أريده."
— "يمكنك التحكم بالماء! يمكنك الفوز بهذه الحرب لنا بمفردك!"

– "الأمر ليس بتلك السهولة، لا يمكنني فقط –" هز رأسه. "لقد رأيتِ ما حدث. إنه يريد الاستيلاء علي."

– "بالطبع يريد. ماذا تظن أننا نمر به جميعاً؟ لذا تسيطر عليه. تتدرب على كبحه، تشكله لإرادتك الخاصة –"

سخر منها:

– "كما تستطيعين أنتِ؟ أنتِ المعادل لخصي روحي."

كان يحاول تشتيتها، لكنها لم تدع ذلك يصرف انتباهها.

– "وكنت لأقتل لاستعادة النار. الأمر صعب، أعرف، الآلهة ليست لطيفة – لكن يمكنك السيطرة عليهم! يمكنني مساعدتك."

– "أنتِ لا تعرفين عما تتحدثين، اخرسي –"

– "ما لم تكن خائفاً وحسب، وهو ليس عذراً، لأن الرجال يموتون بينما تجلس أنت هنا تنغمس في رثاء الذات –"

– "قلت اخرسي!"

انغرست يده في هيكل القارب السريع، على بعد بوصة من رأسها. لم تجفل. أدارت رأسها ببطء، تحاول التظاهر بأن قلبها لا يضرب بعنف ضد صدرها.

قالت بهدوء:

– "لقد أخطأت."

سحب نزهة يده بعيداً عن الهيكل. سال الدم على مفاصل يده من أربع نقاط قرمزية.

كان ينبغي أن تكون خائفة، لكن عندما بحثت في وجهه، لم تستطع العثور على ذرة من الغضب. مجرد خوف.

لم يكن لديها أي احترام للخوف.

قال:

– "لا أريد إيذاءك."

لوت شفتها:

– "أوه، ثق بي. لا يمكنك."

الفصل العشرون

قال كيتاي:

— "لدي لغز من أجلكِ. ما السلاح الذي تملكه الميليشيا ويجعل المياه تثور حول السفن، وتفجر ثقوباً في الجوانب كقذائف المدافع، ومع ذلك لا ترى أي أثر لانفجار فوق سطح الماء. كيف تفعل الميليشيا ذلك؟"

قالت رين:

— "أفترض أنك على وشك إخباري."

— "هيا يا رين، جاريني فقط."

عبثت بشظايا القذائف المتناثرة عبر طاولة عمله.

— "ربما كانوا رماة يصوبون على القاعدة. ربما ثبتوا صواريخ على الأطراف الأمامية لسهامهم؟"

— "ولكن لماذا يفعلون ذلك؟ السطح أكثر ضعفاً من الهيكل. وكنا سنراها في الهواء إذا كانت مشتعلة، وهو ما يجب أن تكون عليه لتنفجر عند الارتطام."

قالت:

— "ربما وجدوا طريقة لإخفاء توهج الحرارة."

— "ربما. ولكن لماذا سلسلة التفاعلات إذن؟ لماذا البدء بالقوارب السريعة، بدلاً من التصويب مباشرة على «الرفراف» أو السفن البرجية؟"

— "لا أعرف. تكتيكات تخويف؟"

قال باستخفاف:

— "هذا غباء. إليكِ تلميح: المتفجرات كانت في الماء منذ البداية. لهذا لم نرها قط. كانت حقاً تحت الماء."

تنهدت:

— "وكيف تمكنوا من فعل ذلك يا كيتاي؟ لماذا لا تخبرني بالجواب وحسب؟"

قال بسعادة:

— "أمعاء الحيوانات."

سحب أنبوباً شفافاً مثيراً للاشمئزاز نوعاً ما من تحت الطاولة، كان قد أدخل فيه فتيلاً رفيعاً.

— "إنها مقاومة للماء تماماً. أخمن أنهم استخدموا أمعاء بقر، لأنها أطول، لكن أي حيوان سيفي بالغرض حقاً، لأنها تحتاج فقط لإبقاء الفتيل جافاً بما يكفي ليحترق. ثم يجهزون الداخل بحيث تشعل لفائف بطيئة الاحتراق الفتيل عند الارتطام. رائع، هاه؟"

— "تشبه معدة الخنازير نوعاً ما."

— "نوعاً ما. لكن تلك صممت لتتآكل مع الوقت. اعتماداً على بطء احتراق اللفائف، يمكن لهذه أن تبقي الفتيل جافاً لأيام إذا كانت محكمة الإغلاق بما يكفي."

— "هذا مذهل."

حدقت رين في الأمعاء، تفكر في التداعيات. الألغام كانت عبقرية. يمكن للميليشيا الفوز بمعارك نهرية دون حتى أن تكون حاضرة، طالما تمكنوا من ضمان مرور الأسطول الجمهوري فوق امتداد معين من الماء.

متى طورت الميليشيا هذه التكنولوجيا؟

وإذا كانت لديهم هذه القدرة، فهل أي من الطرق النهرية آمن؟

انفتح الباب بعنف. دخل جينزا بخطوات واسعة دون إعلان، حاملاً لفافة مطوية في يد واحدة. وتبعه نزهة، لا يزال يعرج على عصاه. رفض أن يلتقي بعيني رين.

— "مرحباً سيدي." لوح كيتاي بمرح بأمعاء البقرة نحوه. "لقد حللت مشكلتك."

بدا جينزا مشمئزاً.

– "ما هذا؟"

– "ألغام مائية. هكذا فجروا الأسطول."

عرض كيتاي الأمعاء على جينزا لفحصها.

جعد جينزا أنفه.

– "سأصدق كلمتك في ذلك. هل عرفت كيف تعطلها؟"

– "نعم، الأمر سهل بما يكفي إذا ثقبنا العازل فقط. الجزء الصعب هو العثور على الألغام." فرك كيتاي ذقنه. "لا أفترض أن لديك أي غواصين خبراء على متن السفينة."

– "يمكنني تدبر ذلك الجزء."

فرد جينزا لفافته فوق طاولة كيتاي. كانت خريطة مفصلة بدقة لإقليم الجرذ، وضع فيها دائرة بالحبر الأحمر حول بقعة داخلية بالقرب من بحيرة قريبة.

– "أحتاج منك رسم خطط مفصلة للهجوم على بويانغ. إليك كل المعلومات الاستخباراتية التي لدينا."

انحنى كيتاي لفحص الخريطة.

– "هل هذا لعملية في الربيع؟"

– "لا. نهاجم بمجرد أن نتمكن من الوصول إلى هناك."

رمش كيتاي مرتين.

– "لا يمكن أنك تفكر في أخذ بويانغ بأسطول متضرر."

– "ثلاثة أرباع الأسطول صالحة للخدمة. خسرنا القوارب السريعة في الغالب –"

– "والسفن الحربية؟"

– "يمكن إصلاحها في الوقت المناسب."

نقر كيتاي بأصابعه على الطاولة.

– "هل لديك رجال لتشغيل تلك السفن؟"

ومض انزعاج عبر وجه جينزا.

— "أعدنا توزيع القوات. سيكون هناك ما يكفي."

— "إذا كنت تقول ذلك." مضغ كيتاي ظفره، يحدق بتركيز في خربشات جينزا. "لا تزال هناك مشكلة طفيفة."

— "وما هي؟"

— "حسناً، بحيرة بويانغ ظاهرة طبيعية مثيرة للاهتمام—"

قال جينزا:

— "ادخل في صلب الموضوع."

تتبع كيتاي بإصبعه الخريطة.

— "عادة ما تنخفض مستويات مياه البحيرات خلال الصيف وترتفع خلال الفصول الباردة. هذا ينبغي أن يفيد السفن ذات الهياكل العميقة مثل سفننا. لكن بويانغ تحصل على مصدر مياهها مباشرة من جبل «تيانشان»، وخلال الشتاء—"

أدركت رين بصوت عالٍ:

— "يتجمد «تيانشان»."

سأل جينزا:

— "وماذا في ذلك؟ هذا لا يعني أن البحيرة تجف فوراً."

قال كيتاي:

— "لا، لكنه يعني أن مستوى الماء ينخفض كل يوم. وكلما كانت البحيرة أكثر ضحالة، قلت قدرة سفنك الحربية على المناورة، خاصة «صقور البحر». أخمن أن الألغام وضعت هناك لتعطيلنا."

ضغط جينزا:

— "إذن كم من الوقت لدينا؟"

هز كيتاي كتفيه:

— "لست نبياً. سيتعين علي رؤية البحيرة."

تحدث نزهة لأول مرة:

— "أخبرتك أن الأمر لا يستحق العناء. يجب أن نعود جنوباً بينما لا يزال بإمكاننا ذلك."

سأله جينزا بحدة:

— "ونفعل ماذا؟ نختبئ؟ نتذلل؟ نشرح لأبي لماذا عدنا للمنزل والذيول بين أرجلنا؟"

— "لا. نشرح عن الأراضي التي أخذناها. الرجال الذين أضفناهم لصفوفنا. نعيد التجمع، ونقاتل من موقف قوة."

— "لدينا الكثير من القوة."

— "الأسطول الإمبراطوري بأكمله سيكون بانتظارنا في تلك البحيرة!"

زمجر جينزا:

— "إذن سنأخذه منهم. لن نركض عائدين لأبي لأننا كنا خائفين من القتال."

هذا ليس جدالاً حقاً، فكرت رين. لقد اتخذ جينزا قراره، وسيصرخ في وجه أي شخص يعارضه. نزهة — الأخ الأصغر، الأخ الأقل شأناً — لن يغير رأي جينزا أبداً.

كان جينزا متعطشاً لهذا القتال. استطاعت رين قراءة ذلك بوضوح على وجهه. واستطاعت فهم سبب رغبته الشديدة فيه. نصر في بويانغ قد ينهي هذه الحرب فعلياً. قد يحقق الدليل النهائي والمدمر للنصر الذي يطالب به الهسبيريون. قد يعوض عن سلسلة إخفاقات جينزا الأخيرة.

عرفت قائداً اتخذ قرارات كهذه من قبل. عظامه، إن نجا أي منها من الحرق، ترقد في قاع خليج «أومونود».

سألته:

— "ألا تستحق قواتك أكثر من غرورك؟ لا تحكم علينا بالموت فقط لأنك تعرضت للإذلال."

لم يتنازل جينزا حتى للنظر إليها.

— "هل أذنت لكِ بالتحدث؟"

قال نزهة:

— "لديها وجهة نظر."

— "أنا أحذرك يا أخي."

قال نزهة:

— "إنها تقول الحقيقة. أنت لا تستمع فقط لأنك مرعوب من أن يكون شخص آخر محقاً."

مشى جينزا بخطوات واسعة نحو نزهة وصفعه عرضياً على وجهه. تردد صدى الصفعة حول الغرفة الصغيرة.

جلس رين وكيتاي متجمدين في مقاعدهما. اندفع رأس نزهة للجانب، وبقي هناك. ببطء لمس بأصابعه خده، حيث كانت علامة حمراء تزهر للخارج فوق ندوبه. ارتفع صدره وانخفض؛ كان يتنفس بقوة لدرجة أن رين ظنت بالتأكيد أنه سيرد الضربة. لكنه لم يفعل شيئاً.

قال كيتاي بحيادية، وكأن شيئاً لم يحدث:

— "ربما يمكننا الوصول لـ بويانغ في الوقت المناسب إذا غادرنا فوراً."

— "إذن سنبحر في غضون ساعة." أشار جينزا لـ كيتاي. "أنت اذهب لمكتبي. الأدميرال مولكوي سيمنحك وصولاً كاملاً لتقارير الاستطلاع. أريد خطط هجوم بنهاية اليوم."

قال كيتاي:

— "يا للفرحة."

— "ماذا قلت؟"

جلس كيتاي مستقيماً:

— "نعم، سيدي."

اقتحم جينزا طريقه خارجاً من الغرفة. تلكأ نزهة عند المدخل، وعيناه تتنقلان بين رين وكيتاي وكأنه غير متأكد مما إذا كان يريد البقاء.

أخبرته رين:

– "أخوك يفقد صوابه."

قال:

– "اخرسي."

قالت:

– "رأيت هذا من قبل. القادة ينهارون تحت الضغط طوال الوقت. ثم يتخذون قرارات قذرة تتسبب في قتل الناس."

سخر نزهة منها، وللحظة بدا مطابقاً لـ جينزا.

– "أخي ليس ألتان."

– "أنت متأكد من ذلك؟"

قال:

– "قولي ما شئتِ. على الأقل نحن لسنا حثالة «سبير»."

كانت مصدومة جداً لدرجة أنها لم تستطع التفكير في رد جيد. غادر نزهة وصفق الباب خلفه.

صفر كيتاي تحت أنفاسه:

– "شجار عشاق، أنتما الاثنين؟"

فجأة شعر وجه رين بحرارة رهيبة. جلست بجانب كيتاي وأشغلت نفسها بالتظاهر بالعبث بأمعاء البقرة.

– "شيء من هذا القبيل."

– "إذا كان ذلك يساعد، فأنا لا أظن أنكِ حثالة «سبير»."

– "لا أريد التحدث عن الأمر."

هز كيتاي كتفيه:

– "أخبريني إذا غيرتِ رأيكِ. بالمناسبة، يمكنكِ محاولة أن تكوني أكثر حذراً بشأن كيفية تحدثكِ مع جينزا."

مطت شفتيها:

– "أوه، أنا مدركة."

— "حقاً؟ أم أنكِ تحبين عدم امتلاك مقعد على الطاولة؟"
— "كيتاي..."
— "أنتِ شامان مدربة في «سينغارد». لا ينبغي أن تكوني جندية مشاة؛ هذا أقل من مقامكِ."

كانت قد سئمت من هذا الجدال. غيرت الموضوع.

— "هل لدينا فرصة حقاً في أخذ بويانغ؟"
— "إذا أرهقنا عجلات التجديف حتى الموت. وإذا كان الأسطول الإمبراطوري ضعيفاً كما تقول أكثر تقديراتنا تفاؤلاً." تنهد كيتاي. "وإذا اصطفت السماء والنجوم والشمس لنا وباركنا كل إله في «البانثيون» الخاص بكِ."
— "إذن، لا."
— "أنا بصراحة لا أعرف. هناك الكثير من القطع المتحركة. لا نعرف مدى قوة الأسطول. لا نعرف تكتيكاتهم البحرية. ربما نملك موهبة بحرية متفوقة، لكنهم كانوا هناك لفترة أطول. سيعرفون تضاريس البحيرة. كان لديهم الوقت لتفخيخ الأنهار. سيكون لديهم خطة لنا."

بحثت رين في الخريطة، تبحث عن أي مخرج ممكن.

— "إذن هل نتراجع؟"

قال كيتاي:

— "فات الأوان لذلك الآن. جينزا محق بشأن شيء واحد: ليس لدينا أي خيارات أخرى. ليس لدينا إمدادات للصمود خلال الشتاء، وهناك احتمالات كبيرة أنه إذا هربنا عائدين لـ أرلونغ، فسنخسر كل التقدم الذي حققناه—"
— "ماذا، ألا يمكننا فقط التحصن في إقليم الكبش لبضعة أشهر؟ ونجعل أرلونغ تشحن بعض الإمدادات؟"
— "ونمنح داجي الشتاء بأكمله لبناء أسطول؟ لقد وصلنا لهذا الحد لأن الإمبراطورية لم تملك قط بحرية عظيمة. داجي تملك الرجال، لكننا نملك

السفن. هذا هو السبب الوحيد لتكافؤنا. إذا حصلت داجي على مهلة ثلاثة أشهر، فسينتهي كل شيء."

تمتمت رين:

– "بعض السفن الحربية الهيسبيرية ستكون رائعة في وقت كهذا."

– "وهذا هو أصل كل شيء." رماها كيتاي بنظرة ساخرة. "جينزا يتصرف كوغد، لكنني أظن أنني أفهمه. لا يستطيع تحمل أن يبدو ضعيفاً، ليس وتاركيت يجلس هناك يحكم على كل تحركاته. عليه أن يكون جريئاً. أن يكون القائد اللامع الذي وعد به والده. وسنندفع للأمام معه تماماً، لأنه ببساطة ليس لدينا خيار آخر."

***

سأل جينزا:

– "كم منكم يستطيع السباحة؟"

وقف السجناء ببؤس في طابور على السطح الزلق، ورؤوسهم منحنية بينما انهمر المطر عليهم في صفائح لا هوادة فيها. جاب جينزا السطح جيئة وذهاباً، وجفل السجناء كلما توقف أمامهم.

– "برفع الأيدي. من يستطيع السباحة؟"

تبادل السجناء نظرات عصبية، ولا شك يتساءلون أي رد سيبقيهم أحياء. لم ترتفع أي يد.

– "دعوني أصيغ الأمر بهذه الطريقة." طوى جينزا ذراعيه. "ليس لدينا حصص غذائية لإطعام الجميع. مهما حدث، سينتهي المطاف ببعضكم في قاع «موروي». السؤال فقط هو ما إذا كنتم تريدون الموت جوعاً. لذا ارفعوا أيديكم إن كنتم ستكونون مفيدين."

ارتفعت كل يد.

التفت جينزا للأدميرال مولكوي.

– "ارمهم جميعاً من على ظهر السفينة."

بدأ الرجال يصرخون احتجاجاً. ظنت رين لثانية أن مولكوي قد يمتثل فعلاً، وأنهم سيضطرون لمشاهدة السجناء يتسلقون فوق بعضهم البعض في الماء في محاولة يائسة للنجاة، لكنها أدركت حينها أن جينزا لم ينوِ إعدامهم حقاً.

كان يراقب ليرى من لن يقاوم.

بعد بضع لحظات سحب جينزا خمسة عشر رجلاً من الطابور وصرف البقية للسجن. ثم رفع لغماً مائياً ملفوفاً بأمعاء بقر ومرره عبر الطابور ليتمكن الرجال من إلقاء نظرة أفضل على الفتيل.

– "كانت الميليشيا تزرع هذه في الماء. ستسبحون عبر الماء وتعطلونها. ستكونون مربوطين بالسفينة بحبال، وستعطون صخوراً حادة للقيام بالمهمة. إذا وجدتم متفجراً، اقطعوا الأمعاء وتأكدوا من أن الماء يغمر الأنبوب. حاولوا الهرب، وسيرميكم رماتي في الماء. اتركوا أي ألغام سليمة، وستموتون معنا. من مصلحتكم أن تكونوا دقيقين."

رمى عدة حبال للرجال.

– "هيا، انطلقوا."

لم يتحرك أحد.

صرخ جينزا:

– "أدميرال مولكوي!"

أشار مولكوي لرجاله. تقدم صف من الحراس، وشفراتهم مشهرة.

قال جينزا:

– "لا تختبروا صبري."

***

تدافع الرجال بسرعة نحو الحبال.

اشتدت العواصف فقط في الأسبوع التالي، لكن جينزا أجبر الأسطول على التقدم نحو بويانغ بوتيرة مستحيلة. كان الجنود منهكين عند عجلات التجديف يحاولون تلبية مطالبه. سقط العديد من السجناء موتى بعد إجبارهم على

التجديف لنوبات متتالية دون ليلة نوم، وجعل جينزا جثثهم تُرمى دون مراسم من على ظهر السفينة.

تذمر كيتاي لـ رين:

— "سيرهق جيشه قبل حتى أن نصل هناك. أراهن أنكِ تتمنين لو جلبنا جنود الاتحاد أولئك معنا الآن، أليس كذلك؟"

كان الجيش متعباً وجائعاً. كانت حصصهم الغذائية تتضاءل. يتلقون الآن سمكاً مجففاً مرتين في اليوم بدلاً من ثلاث، وأرزاً مرة واحدة فقط في المساء. معظم المؤن الإضافية التي حصلوا عليها في شياشانغ فُقدت في الانفجارات. تدهورت المعنويات يوماً بعد يوم.

أصبح الجنود أكثر إحباطاً عندما عاد الكشافة بتفاصيل عن دفاع البحيرة. كانت البحرية الإمبراطورية متمركزة بالفعل في بويانغ، كما خشي جميعهم، وكانت مجهزة بشكل أفضل بكثير مما توقع جينزا.

نافس حجم البحرية حجم الأسطول الذي أبحر من أرلونغ. العزاء الوحيد هو أنها لم تكن قريبة بأي حال من المستوى التكنولوجي لأسطول جينزا. بنتها الإمبراطورة على عجل في الأشهر منذ «لوسان»، وظهر نقص وقت التحضير — كان الأسطول الإمبراطوري مزيجاً فوضوياً من سفن جديدة سيئة البناء، بعضها بأسطح غير مكتملة، وقوارب تجارية قديمة مجندة بلا توحيد في البناء. ثلاثة على الأقل كانت زوارق ترفيهية بلا قدرة نارية.

لكن كان لديهم سفن أكثر، وكان لديهم رجال أكثر.

قال كيتاي لـ رين:

— "جودة السفن كانت لتهم لو كانوا في المحيط. لكن البحيرة ستحول هذه المعركة لبوتقة. سنكون جميعاً محشورين معاً. يحتاجون فقط لإيصال رجالهم لمتن سفننا، وسينتهي الأمر. بويانغ ستتحول للأحمر بالدم."

عرفت رين طريقة واحدة يمكن للجمهورية الفوز بها بسهولة. لن يضطروا حتى لإطلاق طلقة واحدة. لكن نزهة رفض التحدث إليها. لم تره إلا حين كان يأتي على متن «الرفراف» للاجتماعات في مكتب أخيه. في كل مرة تتقاطع

مساراتهما كان ينظر بعيداً بسرعة؛ إذا نادت باسمه، يهز رأسه فقط. بخلاف ذلك، كانا كغريبين تماماً.

سألت رين:

— "هل نتوقع أن ينتج أي شيء عن هذا؟"

قال كيتاي، وهو يحمل قوسه المستعرض جاهزاً ضد صدره:

— "ليس حقاً. إنها مجرد شكليات. تعرفين كيف هم الأرستقراطيون."

اصطكت أسنان رين بينما انجرفت سفينة القيادة الإمبراطورية أقرب لـ «الرفراف».

— "ما كان ينبغي لنا حتى المجيء."

— "إنه جينزا. قلق دائماً بشأن شرفه."

— "نعم، حسناً، قد يجرب القلق أكثر بشأن حياته."

ضد نصيحة أدميرالاته، طلب جينزا مفاوضات اللحظة الأخيرة مع سفينة قيادة البحرية الإمبراطورية. «آداب السادة»، كما أسماها. كان عليه على الأقل منح «جنرال لحم الذئب» فرصة للاستسلام. لكن المفاوضات لن تكون حتى تمثلية؛ كانت مجرد مخاطرة، وغبية أيضاً.

رفض تشانغ إن لقاءً خاصاً. أكثر ما وافق عليه كان وقف إطلاق نار مؤقت ومواجهة تعقد فوق المياه المفتوحة، وعنى ذلك أن سفنهم اضطرت للاقتراب بشكل خطير من بعضها البعض في اللحظات الأخيرة قبل بدء إطلاق النار.

— "مرحباً، أيها التنين الصغير!" رن صوت تشانغ إن فوق الهواء الساكن والبارد. لمرة واحدة، كانت المياه هادئة وساكنة. انجرف ضباب من سطح بحيرة بويانغ، مغلفاً الأساطيل المجتمعة في غشاوة غائمة.

نادى جينزا:

— "لقد أبليت حسناً لنفسك، أيها المعلم. أدميرال للبحرية الإمبراطورية، الآن؟"

فرد تشانغ إن ذراعيه:

— "آخذ ما أريد عندما أراه."

رفع جينزا ذقنه:

— "ستود أن تأخذ هذا الاستسلام، إذن. يمكنك الاحتفاظ بمنصبك في خدمة والدي."

— "أوه، اغرب عن وجهي." رن ضحك تشانغ إن الشبيه بضحك ابن آوى عالياً وقاسياً عبر البحيرة.

رفع جينزا صوته:

— "لا يوجد شيء يمكن لـ سو داجي فعله لك. مهما وعدتك به، سنضاعفه. يمكن لأبي أن يجعلك جنرالاً —"

— "والدك سيعطيني زنزانة في «باغرا» ويخلصني من أطرافي."

— "ستحصل على الحصانة إذا ألقيت سلاحك الآن. أعطيك كلمتي."

— "كلمة التنين لا تعني شيئاً." ضحك تشانغ إن مرة أخرى. "أتظنني غبياً؟ متى حافظ فايسرا يوماً على عهد قطعه؟"

قال جينزا:

— "والدي رجل شريف يريد فقط رؤية هذا البلد موحداً تحت نظام عادل. ستخدم جيداً بجانبه."

لم يكن يتصنع فقط. تحدث جينزا وكأنه يعني ذلك. بدا أنه يأمل حقاً أن يتمكن من إقناع سيده السابق بتغيير ولاءاته.

بصق تشانغ إن في الماء.

— "والدك دمية هيسبيرية ترقص من أجل التبرعات."

سأل جينزا:

— "وتظن أن داجي أفضل؟ قف بجانبها، وأنت تضمن سنوات من الحرب الدموية."

— "آه، لكنني جندي. بدون حرب، أنا عاطل عن العمل."

رفع تشانغ إن يداً مغطاة بقفاز حديدي. رفع رعاته أقواسهم.

حذر جينزا:

– "شرف المفاوض."
ابتسم تشانغ إن على نطاق واسع.
– "انتهت المحادثات، أيها التنين الصغير."
سقطت يده.
صفر سهم وحيد عبر الهواء، وخدش خد جينزا، وانغرس في الحاجز خلفه.
لمس جينزا خده بأصابعه، وسحبها، وراقب دمه يقطر على يده البيضاء الشاحبة وكأنه مصدوم من أنه يمكن أن ينزف.
قال تشانغ إن:
– "تساهلت معك هذه المرة. لا أريد للمتعة أن تنتهي بسرعة كبيرة."
***
أضاءت بحيرة بويانغ كشعلة. حولت السهام المشتعلة، وصواريخ النار، ونيران المدافع السماء للأحمر، بينما في الأسفل، انطلقت ستائر الدخان في كل مكان لتخفي البحرية الإمبراطورية خلف حجاب رمادي غامض.
أبحرت «الرفراف» مباشرة في الضباب.
أمر جينزا، متجاهلاً صرخات رجاله المحمومة له بالانخفاض:
– "أحضروا لي رأسه."
انتشر بقية الأسطول عبر البحيرة لتقليل ضعفهم أمام الهجمات الحارقة. كلما اقتربوا وتكتلوا، زادت سرعة اشتعالهم جميعاً. بدأت «صقور البحر» والمجانيق برد النيران، مطلقة صاروخاً تلو الآخر فوق «الرفراف» وفي الجدار الرمادي المعتم.
لكن تشكيلهم المنتشر جعل الجمهوريين ضعفاء فقط أمام تكتيكات الاحتشاد الإمبراطورية. انطلقت قوارب سريعة صغيرة ومرقعة في الفجوات بين السفن الحربية الجمهورية ودفعتها أبعد عن بعضها، عازلة إياها لتقاتل بمفردها.

استهدفت البحرية الإمبراطورية السفن البرجية أولاً. هاجمت القوارب السريعة الإمبراطورية سفينة «المرعة» بنيران مدافع لا هوادة فيها من جميع الجهات. بدون دعم قواربها السريعة الخاصة، بدأت «المرعة» تهتز في الماء كرجل في سكرات الموت.

أمر جينزا «الرفراف» بالقدوم لمساعدة «المرعة»، لكنها أيضاً كانت محاصرة، مقطوعة عن الأسطول بكتيبة من القوارب الإمبراطورية القديمة. أمر جينزا بجولة تلو جولة من نيران المدافع لفتح طريق لهم. لكن حتى القوارب المقصوفة شغلت حيزاً في الماء، مما عنى أن كل ما استطاعوا فعله هو الوقوف والمشاهدة ورجال «جنرال لحم الذئب» يتدفقون على متن «المرعة».

كان رجال «المرعة» منهكين ومشتتين جداً منذ البداية. رجال «جنرال لحم الذئب» كانوا متعطشين للدماء. لم يكن لـ «المرعة» فرصة أبداً.

شق تشانغ إن طريقاً شرساً عبر السطح العلوي. رأت رين يرفع سيفاً عريضاً فوق رأسه ويشطر جمجمة جندي لنصفين بدقة كأنه يقطع بطيخة شتوية. عندما انتهز جندي آخر الفرصة ليهاجمه من الخلف، التوى تشانغ إن ودفع نصله بقوة في صدره لدرجة أنه خرج نظيفاً من الجانب الآخر.

الرجل كان وحشاً. لولا أن رين كانت مرعوبة جداً على حياتها، لربما وقفت هناك على السطح وشاهدت وحسب.

— "أيتها السبيرية!" أشار الأدميرال مولكوي للقوس المستعرض المثبت والفارغ أمامها، ثم لوح لـ «المرعة». "غطيهم!"

قال شيئاً آخر، لكن في تلك اللحظة انفجرت موجة من المدافع ضد جوانب «الرفراف». رنت أذنا رين وهي تشق طريقها للقوس المستعرض. لم تستطع سماع أي شيء آخر. ويداها ترتجفان، ثبتت سهماً في الفتحة.

استمرت أصابعها في الانزلاق. *تباً، تباً* — لم تطلق قوساً مستعرضاً منذ الأكاديمية، لم تخدم قط في المدفعية، وفي ذعرها كادت تنسى تماماً ما يجب فعله...

أخذت نفساً عميقاً. *شدي الوتر. صوّبي.* حدقت في نهاية «المرعة».

حاصر «جنرال لحم الذئب» قبطانة قرب حافة المقدمة. تعرفت عليها رين كالقبطانة سالخي — لا بد أنها أعيد تعيينها لـ «المرعة» بعد فقدان «السوالو» في القناة المشتعلة.

التوت معدة رين برعب. لا تزال سالخي تملك سلاحها، لا تزال تتبادل الضربات، لكن الأمر لم يكن متكافئاً حتى. استطاعت رين القول إن سالخي كانت تكافح للتمسك بنصلها بينما يضربها تشانغ إن بسهولة لا مبالية.

طلقة رين الأولى لم تصل حتى للسطح. أصابت الاتجاه لكن الارتفاع كان خاطئاً؛ ارتد السهم بلا فائدة عن هيكل «المرعة».

رفعت سالخي سيفها لصد ضربة من الأعلى، لكن تشانغ إن صدم نصله بقوة ضد نصلها لدرجة أنها أسقطته. كانت سالخي بلا سلاح، محاصرة ضد المقدمة. تقدم تشانغ إن ببطء، مبتسماً.

ثبتت رين سهماً جديداً في القوس المستعرض، وهي تحدق، صفت الطلقة مع رأس تشانغ إن. سحبت الزناد. أبحر السهم فوق البحار المشتعلة واصطدم بالخشب بجوار ذراع سالخي تماماً. قفزت سالخي عند الضجيج، والتفتت بالغريزة...

بالكاد التفتت عندما صدم «جنرال لحم الذئب» نصله في جانب عنقها، كاد يقطع رأسها. سقطت على ركبتيها. مد تشانغ إن يده وسحبها منتصبة من ياقتها حتى تدلت قدماً جيدة فوق الأرض. سحبها قريبة، قبلها على فمها، ورمى بها من جانب السفينة.

وقفت رين متجمدة، تشاهد جسد سالخي يختفي تحت الأمواج.

ببطء سيطر المد الأحمر على «المرعة». رغم سيل مستمر من نيران الأسهم من «الصرد» و«الرفراف»، قضى رجال تشانغ إن على طاقمها كقطيع ذئاب ينقض على خراف. أطلق شخص سهماً نارياً على رأس الصاري، واشتعل علم «المرعة» الأزرق والفضي.

استدارت السفينة البرجية الآن على السفن الشقيقة لها. لم تعد مجانيقها وقذائفها الحارقة موجهة للبحرية الإمبراطورية، بل لـ «الرفراف» و«الغريفون».

في غضون ذلك دارت القوارب السريعة الإمبراطورية، بصغرها، في دوائر حول أسطول جينزا. في المياه الضحلة لم تملك سفن الجمهورية الحربية الضخمة ببساطة القدرة على المناورة. انجرفت بلا حول ولا قوة كحيتان مريضة بينما مزقها جنون من الأسماك الأصغر إرباً.

أمر جينزا:

— "ضعونا بجانب «الصرد». علينا الاحتفاظ بواحدة على الأقل من سفننا البرجية."

قال مولكوي:

— "لا نستطيع."

— "لمَ لا؟"

— "مستوى الماء منخفض جداً على ذلك الجانب من البحيرة. «الصرد» جنحت. أي مسافة أبعد وسنعلق في الطين نحن أنفسنا."

زمجر جينزا:

— "إذن على الأقل أبعدونا عن «المرعة». نحن على وشك أن نعلق كما هو الحال."

كان محقاً. بينما صارع تشانغ إن للسيطرة على «المرعة»، انجرفت السفينة البرجية بعيداً جداً في مياه ضحلة لدرجة أنها لم تستطع تخليص نفسها.

لكن «الرفراف» و«الغريفون» لا تزالان تملكان قوة نارية أكثر من القوارب الإمبراطورية. إذا استمروا في إطلاق النار فقط، قد يرسخون قبضتهم على الطرف الأعمق من البحيرة. كان عليهم ذلك. لم يكن لديهم مخرج آخر.

مع ذلك، توقفت البحرية الإمبراطورية حول «المرعة».

سأل كيتاي:

— "ماذا يفعلون بحق الأرض؟"

لم يبدُ أنهم عالقون. بل، بدا أن تشانغ إن أمر أسطوله بالجلوس ساكناً تماماً. مسحت رين الأسطح بحثاً عن أي علامة لنشاط — إشارة فانوس، علم — ولم ترَ شيئاً.

ماذا كانوا ينتظرون؟

رفرف شيء مظلم عبر المجال العلوي لمنظارها. حركت تركيزها لأعلى للصاري.

وقف رجل عند القمة تماماً.

لم يرتدِ زي ميليشيا ولا زياً جمهورياً. كان متشحاً بالسواد بالكامل. بالكاد استطاعت رين تمييز وجهه. كان شعره فوضى شعثاء ومتشابكة تدلت في عينيه وكان جلده شاحباً وداكناً في آن واحد، مبقعاً كرخام تالف. بدا وكأنه سُحب من قاع المحيط.

وجدته رين مألوفاً بشكل غريب، لكنها لم تستطع تحديد أين رأته من قبل.

سأل كيتاي:

— "إلام تنظرين؟"

رمشت في المنظار، واختفى الرجل.

— "هناك رجل." أشارت. "رأيته، كان هناك تماماً —"

عبس كيتاي، يحدق في الصاري.

— "أي رجل؟"

لم تستطع رين التحدث. تجمع الرعب في قاع معدتها.

تذكرت. عرفت بالضبط من كان ذلك.

سقطت برودة مفاجئة فوق البحيرة. طقطق جليد جديد فوق سطح الماء. سقطت أشرعة «الرفراف» فجأة دون سابق إنذار. نظر طاقمها حول السطح، مذهولين. لم يعطِ أحد ذلك الأمر. لم ينزل أحد الأشرعة.

تمتم كيتاي:

— "لا توجد ريح. لماذا لا توجد ريح؟"

سمعت رين صوت حفيف. انطلق خيال أمام عينيها، متبوعاً بصرخة خفتت وخفتت حتى انقطعت فجأة.

سمعت طرقعة في الهواء بعيداً فوق رأسها.

ظهر الأدميرال مولكوي فجأة على جدار الجرف، جسده ملتوٍ بزوايا بشعة كدمية مكسورة في عرض. علق هناك للحظة قبل أن ينزلق أسفل وجه الصخر وفي البحيرة، تاركاً خلفه خطاً قرمزياً على الرمادي.

تمتمت رين:

— "أوه، تباً."

قبل ما بدا كأنه دهر، حررت هي وألتان شخصاً قوياً جداً ومجنوناً جداً من «تشولو كوريك».

لقد عاد إله الريح، فايلين.

ثار سطح «الرفراف» بالصيحات. ركض بعض الجنود للأقواس المستعرضة المثبتة، مصوبين سهامهم على لا شيء. سقط آخرون للسطح ولفوا أذرعهم حول أعناقهم وكأنهم يختبئون من حيوانات برية.

استعادت رين حواسها أخيراً. كورت يديها حول فمها.

— "الجميع لأسفل السطح!"

أمسكت ذراع كيتاي وسحبته نحو أقرب فتحة، تماماً حين صدمتهم هبة ريح ثاقبة من الجانب. انهارا معاً ضد الحاجز. دخل مرفقه المثني مباشرة في قفصها الصدري.

صرخت:

— "آي!"

التقط كيتاي نفسه عن السطح.

— "آسف."

بطريقة ما تمكنوا من سحب أنفسهم نحو الفتحة وتدحرجوا أكثر مما مشوا أسفل الدرج للعنبر، حيث تكدس بقية الطاقم في الظلام الدامس. مر صمت طويل، مشحون بالرعب. لم ينبس أحد بكلمة.

ملأ الضوء الغرفة. مزقت هبة تلو هبة من الرياح الألواح الخشبية بعيداً عن السفينة وكأنها تقشر طبقات من الجلد، كاشفة الطاقم المنكمش والضعيف تحتها.

جثم الرجل الغريب أمامهم على الخشب المسنن كطائر يحط على غصن. استطاعت رين رؤية عينيه بوضوح الآن — نقطتان زرقاوان ساطعتان، لامعتان، وخبيثتان.

سأل فايلين:

— "ما هذا؟ جرذان صغيرة، تختبئ بلا مكان تذهب إليه؟"

أطلق شخص سهماً على رأسه. لوح بيد، منزعجاً. اندفع السهم للجانب وعاد يصفر لداخل صفوف الجنود. سمعت رين ارتطاماً مكتوماً. انهار شخص للأرض.

— "لا تكونوا وقحين جداً."

كان صوت فايلين هادئاً، رفيعاً كالقصب ونحيلاً، لكن في الهواء الساكن بشكل مخيف استطاعوا سماع كل كلمة قالها. حام فوقهم، ينجرف بلا جهد فوق الأرض، حتى هبطت عيناه الساطعتان على رين.

— "ها أنتِ ذا."

لم تفكر. إذا توقفت للتفكير، سيلحق بها الخوف. بدلاً من ذلك أطلقت نفسها نحوه، تصرخ، والرمح الثلاثي في يدها.

أرسلها تدور للألواح بنقرة من أصابعه. نهضت لتندفع نحوه مرة أخرى لكنها لم تقترب حتى. قذفها بعيداً كل مرة اقتربت منه، لكنها استمرت في المحاولة، مرة تلو الأخرى. إذا كانت ستموت، فستفعل ذلك على قدميها.

لكن فايلين كان يعبث معها وحسب.

أخيراً انتزعها من السفينة وبدأ يقذفها في الهواء كدمية خرقة. كان بإمكانه قذفها في الجرف المقابل لو أراد؛ كان بإمكانه رفعها عالياً في الهواء وإرسالها تهوي في البحيرة، والسبب الوحيد لعدم فعله ذلك هو أنه أراد اللعب.

سخر فايلين:

– "انظروا للعنقاء العظيمة، محبوسة داخل فتاة صغيرة. أين نارتكِ الآن؟"

لهثت رين:

– "أنت من السيك." ناشد ألتان إنسانية فايلين مرة. كاد الأمر ينجح. كان عليها تجربة الشيء نفسه. "أنت واحد منا."

قهقه فايلين بينما قذفتها الرياح صعوداً وهبوطاً:

– "خائنة مثلكِ؟ بالكاد."

– "لماذا تقاتل لأجلها؟ لقد سجنتك!"

– "سجنتني؟" أرسل فايلين رين تتدحرج قريبة جداً من جدار الجرف لدرجة أن أصابعها لامست السطح قبل أن يجذبها عائدة أمامه. "لا، كان ذلك ترينغسين. كان ذلك ترينغسين وتير، الزوجان. تسللا إلينا في منتصف الليل، ومع ذلك استغرق الأمر منهما حتى الظهر لتثبيتنا."

تركها تسقط. هوت للبحيرة، وتحطمت في الماء، وكانت متأكدة أنها على وشك الغرق قبل لحظة من سحب فايلين لها عائدة للأعلى من كاحلها. أطلق قهقهة عالية النبرة.

– "انظري إليكِ. أنتِ كقطة صغيرة. مبللة حتى العظم."

انطلق زوج من الصواريخ نحو رأس فايلين. كنسهما بلا مبالاة من الهواء. سقطا للماء وانطفآ.

سأل:

– "هل لا يزال رامسا يحاول؟ كم هو ظريف. هل هو بخير؟ لم نحبه قط. سنقتلع أظافره واحداً تلو الآخر بعد هذا."

قذف رين صعوداً وهبوطاً من كاحلها وهو يتحدث. صكت على أسنانها لمنع نفسها من الصراخ.

– "هل ظننتِ حقاً أنكِ ستقاتليننا؟" بدا مستمتعاً. "لا يمكن قتلنا، يا طفلة."

زمجرت:

– "أوقفك ألتان مرة."

أقر فايلين:

– "فعل، لكنكِ بعيدة كل البعد عن ألتان ترينغسين."

توقف عن قذفها وأمسكها ثابتة في الهواء، تضربها من جميع الجهات رياح قوية لدرجة أنها بالكاد استطاعت إبقاء عينيها مفتوحتين. علق أمامها، وذراعاه ممدودتان، وملابسه الرثة ترفرف في الريح، يتحداها للهجوم ويعلم أنها لا تستطيع.

سأل:

– "أليس الطيران ممتعاً؟"

جلدتها الرياح أقسى وأقسى حولها حتى شعرت كألف نصل فولاذي ينغرس في كل نقطة طرية من جسدها.

لهثت:

– "فقط اقتلني. انهِ الأمر."

قال فايلين:

– "أوه، لن نقتلكِ. أخبرتنا ألا نفعل ذلك. يفترض بنا إيذاؤكِ فقط."

لوح بيد. انتزعتها الرياح بعيداً.

طارت للأعلى، بلا وزن وخارجة عن السيطرة تماماً، وتكومت ضد رأس الصاري. علقت هناك، ممدودة كجثة مشرحة، للحظة وجيزة فقط قبل السقوط. هبطت في كومة متداعية على سطح «الرفراف». لم تستطع سحب ما يكفي من النفس لتصرخ. كان كل جزء من جسدها يشتعل. حاولت جعل أطرافها تتحرك لكنها لم تطعها.

عادت حواسها في تشويش. رأت شكلاً فوقها، وسمعت صوتاً مشوشاً يصرخ باسمها.

همست:

– "كيتاي؟"

تحركت ذراعاه تحت وسطها. كان يحاول رفعها، لكن ألم أقل حركة كان هائلاً. تأوهت، ترتجف.

قال كيتاي:

— "أنتِ بخير. أنا ممسك بكِ."

تشبثت بذراعه، عاجزة عن الكَلام. تجمهرا ضد بعضهما البعض، يشاهدان الألواح تستمر في التقشر عن «الرفراف». كان فايلين يمزق الأسطول إرباً، قطعة قطعة.

لم تستطع رين فعل شيء سوى التشنج خوفاً. أغلقت عينيها بشدة. لم تُرِد أن ترى. تولى الذعر القيادة، وترددت نفس الأفكار مراراً وتكراراً في عقلها.

سنغرق. سيمزق السفن إرباً وسنسقط في الماء وسنغرق.

هز كيتاي كتفها.

— "رين. انظري."

فتحت عينيها ورأت خصلة شعر أبيض. تسلق تشاغان على الألواح المكسورة، وكان يترنح بجنون على الحافة. بدا كطفل صغير يرقص على سطح. بطريقة ما، رغم الرياح العاوية، لم يسقط.

رفع ذراعيه فوق رأسه.

فوراً شعر الهواء ببرودة أكبر. بكثافة أكبر، بطريقة ما. وبنفس المفاجأة، توقفت الريح.

علق فايلين ساكناً في الهواء، وكأن قوة غير مرئية تمسكه في مكانه.

لم تستطع رين معرفة ما يفعله تشاغان، لكنها استطاعت الشعور بالقوة في الهواء. بدا وكأن تشاغان قد أسس اتصالاً غير مرئي بـ فايلين، خيطاً لا يدركه سواهما، مستوىً نفسياً روحياً لخوض معركة إرادات عليه.

للحظة بدا وكأن تشاغان يفوز.

اندفع رأس فايلين جيئة وذهاباً؛ وارتعشت ساقاه، وكأنه يصاب بنوبة.

اشتوت قبضة رين على ذراع كيتاي. ارتفعت فقاعة أمل في صدرها.

أرجوك. أرجوك دع تشاغان يفوز.

ثم رأت قارا منحنبة على السطح، تتأرجح جيئة وذهاباً، تتمتم بشيء مراراً وتكراراً تحت أنفاسها.

همست قارا:

– "لا. لا، لا، لا!"

اندفع رأس تشاغان للجانب. تحركت أطرافه بتشنج، تتخبط بلا هدف أو اتجاه، وكأن شخصاً لديه معرفة قليلة جداً بجسد الإنسان يتحكم به من مكان بعيد.

بدأت قارا في الصراخ.

ارتخى تشاغان. ثم طار للخلف، كعلم استسلام أبيض صغير، هش جداً لدرجة أن رين خافت أن الرياح نفسها قد تمزقه إرباً.

– "تظن أنك تستطيع احتواءنا، أيها الشامان الصغير؟"

استؤنفت الرياح، بضراوة مضاعفة. كنست هبة أخرى كلاً من تشاغان وقارا من السفينة إلى الأمواج الهائجة بالأسفل.

رأت رين نزهة يشاهد، مرعوباً، من «الغريفون»، قريباً بما يكفي ليكون في مدى السمع.

صرخت:

– "افعل شيئاً! أيها الجبان! افعل شيئاً!"

وقف نزهة ساكناً، فمه مفتوح، وعيناه واسعتان وكأنه محاصر. ارتخى تعبيره. لم يفعل شيئاً.

مزقت هبة ريح سطح «الرفراف» لنصفين، منتزعة ألواح الأرضية ذاتها من تحت قدمي رين. سقطت خلال شظايا الخشب، ارتطمت وسُحبت على السطح الخشن، حتى ضربت الماء.

هبط كيتاي بجانبها. كانت عيناه مغلقتين. غرق فوراً. لفت ذراعيها حول صدره، تركل بضراوة لتبقيهما طافيين، وصارعت للسباحة نحو «الرفراف»، لكن الماء استمر في اكتساحهما للخلف.

انقبضت أحشاؤها.

التيار.

تفرغ بحيرة بويانغ في شلال على حدودها الجنوبية. كان انخفاضاً قصيراً وضيقاً — صغيراً بما يكفي ليكون لتياره تأثير ضئيل على السفن الحربية الثقيلة. كان غير مؤذ للبحارة. ومميتاً للسباحين.

تراجعت «الرفراف» بسرعة عن بصر رين بينما سحبهما التيار أسرع وأسرع للحافة. رأت حبلاً ينجرف بجانبهما وأمسكت به بجنون، يائسة لأي شيء للتشبث به.

بأعجوبة كان لا يزال مربوطاً بالأسطول. توتر الخط؛ توقفا عن الانجراف. أجبرت أصابعها المتجمدة حول الحبل ضد المياه المتدفقة، وصارعت للفه في حلقات حول جذع كيتاي، ومعصميها.

خدرت أطرافها من البرد. لم تستطع تحريك أصابعها؛ كانت مقفلة بإحكام حول الحبل.

صرخت:

— "ساعدونا! ليساعدنا أحد!"

وقف شخص من مقدمة «الرفراف».

جينزا. التقت عيناهما عبر الماء. كان وجهه وحشياً، ومحمومًّا — أرادت أن تظن أنه رآها، لكن ربما كان انتباهه مثبتاً فقط على فرصته المتلاشية في النجاة.

ثم اختفى. لم تستطع معرفة ما إذا كان جينزا قد قطع الحبل أم أنه سقط ببساطة تحت هجوم آخر من هجمات فايلين، لكنها شعرت بدفعة في الخط قبل لحظة من ارتخائه.

دارا بعيداً عن الأسطول، يندفعان نحو الشلال. كانت هناك ثانية واحدة من انعدام الوزن، لحظة مشوشة ولذيذة من التوهان المطلق، ثم ابتلعهما الماء.

الفصل الحادي والعشرون

ركضت رين عبر حقل مظلم، تطارد ظلاً نارياً لن تلحق به أبداً. تحركت ساقاها وكأنها تخوض في الماء — كانت بطيئة جداً، خرقاء جداً، وكلما ابتعد عنها الظل، زاد يأسها ثقلاً عليها، حتى أصبحت ساقاها ثقيلتين لدرجة أنها لم تعد قادرة على الركض.

صرخت:

— "أرجوك. انتظر."

توقف الظل.

عندما استدار ألتان، رأت أنه كان يحترق بالفعل، ملامحه الوسيمة متفحمة وملتوية، والجلد المسود مقشر ليكشف عن عظم ناصع ولامع.

ثم كان يلوح فوقها. بطريقة ما كان لا يزال مهيباً، ولا يزال جميلاً، حتى وهو معتقل في لحظة موته. ركع أمامها، وأخذ وجهها بين يديه الحارقتين، وقرب جبهتيهما معاً.

قال:

— "إنهم محقون، كما تعلمين."

— "بشأن ماذا؟" رأت محيطات من النار في عينيه. كانت قبضته تؤلمها؛ دائماً ما فعلت. لم تكن متأكدة مما إذا كانت تريده أن يتركها تذهب أو أن يقبلها.

انغرست أصابعه في خديها.

— "كان ينبغي أن تكوني أنتِ."

تحول وجهه إلى وجه قارا.

صرخت رين وانتفضت مبتعدة.

– "بحق أثداء النمر. لست بتلك البشاعة." مسحت قارا فمها بظهر يدها. "أهلاً بكِ في عالم الأحياء."

جلست رين وبصقت ملء فمها من مياه البحيرة. كانت ترتجف بشكل لا يمكن السيطرة عليه؛ استغرق الأمر فترة قبل أن تتمكن من دفع الكلمات من بين شفتيها المخدرتين والخرقاوين.

– "أين نحن؟"

قالت قارا:

– "بجوار ضفة النهر مباشرة. ربما على بعد ميل خارج بويانغ."

– "ماذا عن البقية؟" قاومت رين موجة ذعر. "رامسا؟ سوني؟ نزهة؟"

لم تجب قارا، مما عنى أنها لا تعرف، مما عنى أن فرقة «السيك» إما هربت أو غرقت.

أخذت رين عدة أنفاس عميقة لمنع فرط التنفس. *أنتِ لا تعرفين أنهم ماتوا*، أخبرت نفسها. ونزهة، إن كان لأحد أن ينجو، فلا بد أَن يكون حياً. الماء يحميه وكأنه طفله. كانت الأمواج لتحميه، سواء استدعاها بوعي أم لا.

وإذا مات الآخرون، فلا يوجد شيء يمكنك فعله.

أجبرت عقلها على التقسيم، على حبس قلقها ودفعه بعيداً. يمكنها الحزن لاحقاً. أولاً تحتاج للنجاة.

قال تشاغان:

– "كيتاي بخير."

بدا تشاغان كجثة حية؛ كانت شفتاه بنفس الظل الداكن كأصابعه، التي كانت زرقاء حتى المفصل الأوسط.

– "ذهب فقط لجمع بعض الحطب."

سحبت رين ركبتيها لصدرها، لا تزال ترتجف.

– "فايلين. كان ذلك فايلين."

أومأ التوأمان.

— "لكن لماذا — ماذا كان..." لم تستطع فهم سبب هدوئهما هكذا. "ماذا يفعل معهم؟ ماذا يريد؟"

قال تشاغان:

— "حسناً، فايلين الرجل يريد الموت على الأرجح."

— "إذن ماذا يريد..."

— "إله الريح؟ من يدري؟" فرك يديه صعوداً ونزولاً على ذراعيه. "الآلهة وكلاء للفوضى المحضة. خلف الحجاب هم متوازنون، كل واحد ضد الثلاثة والستين الآخرين، لكن إذا أطلقتهم في العالم المادي، فهم كالماء المتفجر من سد مكسور. بلا قوة معارضة لكبحهم، سيفعلون ما يحلو لهم. ونحن لا نعرف أبداً ما تريده الآلهة. سيخلق نسيماً خفيفاً يوماً ما، ثم إعصاراً في اليوم التالي. الشيء الوحيد الذي يمكنك توقعه هو عدم الاتساق."

سألت رين:

— "لكن لماذا يقاتل لأجلهم إذن؟"

الحروب تتطلب الاتساق. الجنود غير المتوقعين وغير القابلين للسيطرة أسوأ من عدم وجود جنود.

قال تشاغان:

— "أظنه خائفاً من شخص ما. شخص يمكنه إخافته ليطيع الأوامر."

— "داجي؟"

— "من غيرها؟"

— "جيد، أنتِ مستيقظة."

ظهر كيتاي في الفسحة، حاملاً حزمة من العصي. كان مبللاً بالكامل، وشعره المجعد ملتصق بصدغيه. رأت رين خدوشاً دامية في كل أنحاء وجهه وذراعيه حيث ارتطم بالصخور، لكن بخلاف ذلك بدا غير مصاب بأذى.

سألته:

— "أنت بخير؟"

– "إيه. ذراعي السيئة تشعر ببعض الغرابة، لكنني أظنه البرد فقط." رمى الحزمة على التراب الرطب. "هل أنتِ مصابة؟"

كانت تشعر ببرد شديد لدرجة يصعب معها القول. كل شيء بدا مخدراً وحسب. ثنت ذراعيها، وحركت أصابعها، ولم تجد مشكلة. ثم حاولت الوقوف. انثنت ساقها اليسرى تحتها.

– "تباً."

مررت أصابعها فوق كاحلها. كان مؤلماً جداً للمس، وينبض أينما ضغطت عليه.

ركع كيتاي بجانبها.

– "هل يمكنك تحريك أصابع قدميك؟"

حاولت، وأطاعت. كان ذلك ارتياحاً بسيطاً. ليس كسراً إذن، مجرد التواء. كانت معتادة على الالتواءات. كانت شائعة لطلاب «سينغارد»؛ تعلمت كيفية التعامل معها منذ سنوات. احتاجت فقط لشيء كالقماش للضغط.

سألت:

– "هل لدى أحد سكين؟"

– "لدي واحدة." بحثت قارا في جيوبها ورمت سكين صيد صغيرة في اتجاهها.

أخرجتها رين من غمدها، وشدت ساق بنطالها، وقطعت شريطاً عند الكاحل. مزقته طولياً لقطعتين ولفتهما بإحكام حول كاحلها.

قال كيتاي:

– "على الأقل لا داعي للقلق بشأن إبقائه بارداً."

لم تملك الطاقة للضحك. ثنت كاحلها، وانطلقت هزة ألم أخرى في ساقها. جفلت.

– "هل نحن الوحيدون الذين نجوا؟"

أومأ لليسار:

– "يا ليت. لدينا القليل من الرفقة."

تبعت خط نظره ورأت مجموعة من الأجساد — ربما سبعة، ثمانية — متكومة معاً على مسافة قصيرة أعلى ضفة النهر. أثواب رمادية، وشعر فاتح. لا زي جيش. كلهم من الشركة الرمادية.

استطاعت تمييز أوغوس. لم تكن لتتمكن من تمييز البقية — بدت الوجوه الهيسبيرية متشابهة جداً لها، كلها شاحبة ومتناثرة. لاحظت بارتياح أن الأخت بيترا لم تكن بينهم.

بدوا بائسين. كانوا يتنفسون ويرمشون — يتحركون بما يكفي لتدرك رين أنهم أحياء، لكن بخلاف ذلك بدوا متجمدين تماماً. كانت بشرتهم شاحبة كالثلج؛ وشفاههم تتحول للأزرق.

لوحت رين لهم وأشارت لحزمة العصي.

— "تعالوا هنا. سنشعل ناراً."

قد تحاول أن تكون لطيفة أيضاً. إذا استطاعت إنقاذ بعض أفراد الشركة الرمادية من التجمد حتى الموت، قد يكسبها ذلك بعض رأس المال السياسي مع الهيسبيريين عندما — إذا — عادوا إلى أرلونغ.

لم يقم المبشرون بأي حركة للنهوض.

حاولت مرة أخرى بلغة هيسبيرية بطيئة ومدروسة.

— "هيا يا أوغوس. ستتجمدون."

لم يبدِ أوغوس أي علامة تعرف حين نادت باسمه. كأنها لم تكن تتحدث الهيسبيرية على الإطلاق. الآخرون كانت لديهم إما نظرات فارغة أو تعبيرات خائفة بشكل غامض على وجوههم. جرت قدميها نحوهم، وتراجع العديد منهم للخلف وكأنهم خائفون من أنها قد تعضهم.

قال كيتاي:

— "انسِ الأمر. كنت أحاول التحدث إليهم للساعة الماضية، وهيسبيريتي أفضل من خاصتك. أظنهم في صدمة."

— "سيموتون إذا لم يدفأوا." رفعت رين صوتها. "هي! تعالوا إلى هنا!"

المزيد من النظرات الخائفة. صوب ثلاثة منهم أسلحتهم نحوها.

تباً. تعثرت رين للخلف.

كانت لديهم بنادق «اركيبوس».

تمتم تشاغان:

— "اتركيهم وحسب. لست في مزاج لإطلاق النار علي."

قالت:

— "لا نستطيع. سيلومنا الهيسبيريون إذا ماتوا."

قلب عينيه.

— "لا داعي لأن يعرفوا."

— "سيكتشفون إذا وجد ولو واحد من هؤلاء الحمقى طريقه للعودة."

— "لن يفعلوا."

— "لكننا لا نعرف ذلك. وأنا لن أقتلهم لأتأكد."

لولا أوغوس، لما اكترثت. لكن شيطاناً أزرق العينين أم لا، لم تستطع تركه يتجمد حتى الموت. كان لطيفاً معها على متن «الرفراف» حين لم يكن مضطراً لذلك. شعرت بالالتزام برد الجميل.

تنهد تشاغان.

— "اتركي لهم ناراً إذن. وسننتقل بعيداً بما يكفي ليشعروا بالأمان للاقتراب منها."

لم تكن فكرة سيئة. أشعل كيتاي شعلة صغيرة في غضون دقائق، ولوحت رين للهيسبيريين.

نادت:

— "سنجلس هناك. يمكنكم استخدام هذه."

مرة أخرى، لا رد.

لكن بمجرد تحركها أبعد أسفل الضفة، رأت الهيسبيريين يزحفون ببطء نحو النار. مد أوغوس يديه فوق اللهب. كان ذلك ارتياحاً صغيراً. على الأقل لن يموتوا من الغباء المحض.

بمجرد أن بنى كيتاي ناراً ثانية، خلع الأربعة جميعاً زيهم دون حرج. كان الهواء جليدياً حولهم، لكنهم كانوا أبرد في ملابسهم المبللة مما هم بدونه. عراة، تكوموا معاً فوق ألسنة اللهب، يحملون أيديهم أقرب ما يمكن للنار دون حرق جلودهم. جلسوا القرفصاء في صمت لما بدا كساعات. لم يرغب أحد في بذل الطاقة للتحدث.

تحدثت رين أخيراً وهي تسحب زيها الجاف لترتديه:

— "سنعود لنهر «موروي»."

شعرها جيد قول الكلمات بصوت عالٍ. كان شيئاً عملياً، خطوة نحو فعل ملموس، وأخمد الذعر المتصاعد في معدتها.

— "هناك الكثير من الأخشاب الطافية السائبة هنا. يمكننا صنع طوافة والطفو فقط مع التيار عبر الروافد الثانوية حتى نصل للنهر الرئيسي، وإذا كنا حذرين وتحركنا في الليل فقط، فعندها —"

لم يدعها تشاغان تنهي.

— "تلك فكرة رهيبة."

— "ولماذا ذلك؟"

— "لأنه لا يوجد شيء للعودة إليه. الجمهورية انتهت. أصدقاؤك ماتوا. جثثهم على الأرجح تبطن قاع بحيرة بويانغ."

قالت:

— "أنت لا تعرف ذلك."

هز كتفيه.

أصرت:

— "إنهم ليسوا موتى."

هز كتفيه مرة أخرى.

— "فاركضي عائدة لـ أرلونغ إذن. ازحفي لأحضان فايسرا واختبئي ما استطعتِ قبل أن تأتي الإمبراطورة من أجلك."

– "ليس هذا ما أ..."

– "هذا بالضبط ما تريدينه. لا تطيقين صبراً للذهاب للتذلل عند قدميه، بانتظار أمرك التالي ككلبة مدربة."

– "أنا لست كلبة لعينة."

– "ألستِ كذلك؟" رفع تشاغان صوته. "هل قاومتِ حتى حين جردوكِ من القيادة؟ أم كنتِ سعيدة؟ لا تجيدين إعطاء الأوامر، لكنكَ تحبين تلقيها. ينبغي للسبيريين معرفة كيف يكون شعور العبيد، لكنني لم أتخيل قط أنك ستستمتعين به."

زمجرت رين:

– "لم أكن عبدة قط."

– "أوه، كنتِ، أنتِ فقط لم تعرفي ذلك. تنحنين لأي شخص سيعطيك أوامر. ألتان عزف علَى أوتار قلبك اللعين، تلاعب بك كالعود – كان عليه فقط قول الكلمات الصحيحة، وجعلك تظنين أنه أحبك، وركضتِ خلفه لـ «تشولو كوريك» كالحمقاء."

قالت بصوت منخفض:

– "اخرس."

لكنها رأت ما يدور حوله الأمر الآن. هذا لم يكن حول فايسرا. لم يكن حول الجمهورية على الإطلاق. كان هذا حول ألتان. بعد كل هذه الأشهر، بعد كل ما مروا به، كان كل شيء لا يزال حول ألتان.

يمكنها منح تشاغان ذلك القتال. لقد استحق ذلك بحق الجحيم.

هست:

– "وكأنك لم تعبده. لست أنا من كان مهووساً به. لقد أسقطت كل شيء لتفعل كل ما طلبه منك –"

قال:

– "لكنني لم أذهب معه لـ «تشولو كوريك». أنتِ فعلتِ."

– "أنت تلومني على ذلك؟"

عرفت إلى أين يتجه هذا. فهمت الآن ما كان تشاغان أجبن من قوله في وجهها طوال هذه الأشهر — أنه يلومها على موت ألتان.

لا عجب أنه كرهها.

وضعت قارا يداً على ذراع أخيها.

— "تشاغان، لا تفعل."

نفضها تشاغان عنه.

— "شخص ما أطلق سراح فايلين. شخص ما تسبب في أسر ألتان. لم أكن أنا."

صرخت رين:

— "وشخص ما أخبره أين كان «تشولو كوريك» في المقام الأول. لماذا؟ لماذا تفعل ذلك؟ كنت تعرف ما بداخله!"

تحدث تشاغان بصوت عالٍ ومستوٍ:

— "لأن ألتان ظن أنه يستطيع جمع جيش. لأن ألتان ظن أنه يستطيع إعادة ضبط مسار التاريخ لما قبل الإمبراطور الأحمر وإعادة العالم لوقت كانت فيه «سبير» حرة وكان الشامانات في ذروة قوتهم. لأنه لفترة كانت تلك الرؤية جميلة جداً لدرجة أنني صدقتها أنا أيضاً. لكنني توقفت. أدركت أنه جن وأن شيئاً ما انكسر وأن ذلك الطريق سيقود لموته وحسب. لكن أنتِ؟ أنتِ تبعتِه حتى النهاية تماماً. تركتِهم يأسرونه على ذلك الجبل، وتركتِهم يموت على ذلك الرصيف."

التف الذنب بإحكام في أحشاء رين، مؤلماً وفظيعاً. لم يكن لديها ما تقوله. كان تشاغان محقاً؛ كانت تعلم أنه محق، فقط لم ترد الاعتراف بذلك.

أمال رأسه للجانب.

— "هل ظننتِ أنه سيقع في حبك إذا فعلتِ ما طلبه وحسب؟"

— "اخرس."

تحول تعبيره للوحشية.

– "هل هذا سبب وقوعك في حب فايسرا؟ هل تظنين أنه بديل ألتان؟"
صدمت قبضتها في فمه.
التقت مفاصل يدها بفكه بطرقعة مُرضية لدرجة أنها لم تشعر حتى أين ثقبت أسنانه جلدها. كسرت شيئاً، وشعرت بروعة ذلك. سقط تشاغان كهدف من القش. اندفعت للأمام، تمد يدها لعنقه، لكن كيتاي أمسكها من الخلف.
تخبطت في قبضته.
– "اتركني!"
اشتدت قبضته.
– "اهدئي."
سحب تشاغان نفسه لوضعية الجلوس وبصق سناً على الأرض.
– "وتقول إنها ليست كلبة."
اندفعت رين لضربه مرة أخرى، لكن كيتاي سحبها للخلف.
– "اتركني!"
– "رين، توقفي –"
– "سأقتله!"
زمجر كيتاي:
– "لا، لن تفعلي."
أجبر رين على الركوع ولوى ذراعيها بشكل مؤلم خلف ظهرها. أشار لـ تشاغان.
– "أنت – توقف عن الكلام. كلكما توقفا عن هذا الآن. نحن وحدنا في أراضي العدو. نفترق عن بعضنا ونصبح في عداد الموتى."
صارعت رين للتحرر.
– "فقط دعني عليه –"
قال تشاغان:
– "أوه، هيا، دعيها تحاول. سبيرية لا تستطيع استدعاء النار، أنا مرعوب."
قالت:

– "لا يزال بإمكاني كسر عنق دجاجتك الهزيل."

هس كيتاي:

– "توقفي عن الكلام."

سخر تشاغان:

– "لماذا؟ هل ستبكي؟"

– "لا." أومأ كيتاي نحو الغابة. "لأننا لسنا وحدنا."

***

ظهر فرسان ملثمون من بين الأشجار، يمتطون خيول حرب وحشية أكبر بكثير من أي جواد رأته رين قط. لم تستطع رين تحديد زيهم. كانوا يرتدون الفراء والجلود، لا خضار الميليشيا، لكنهم لم يبدوا كأصدقاء أيضاً. صوب الفرسان أقواسهم نحوهم، وكانت أوتار الأقواس مشدودة جداً لدرجة أنه في هذه المسافة لن تخترق السهام أجسادهم فحسب، بل ستطير مباشرة خلالها.

نهضت رين ببطء، وتسللت يدها نحو رمحها الثلاثي. لكن تشاغان أمسك معصمها.

هس:

– "استسلمي الآن."

– "لماذا؟"

– "ثقي بي فقط."

سحبت يدها من قبضته.

– "هذا محتمل."

لكن حتى وأصابعها تغلق حول سلاحها، عرفت أنهم محاصرون. تلك الأقواس الطويلة كانت ضخمة – في هذه المسافة، لن يكون هناك مراوغة لتلك السهام.

سمعت صوت حفيف من أعلى النهر. رأى الهيسبيريون الفرسان. كانوا يحاولون الهرب.

التف الفرسان وأطلقوا أوتار أقواسهم في الغابة. ارتطمت السهام في الثلج. رأت رين أوغوس يسقط على الأرض، وجهه ملتوٍ بألم وهو يمسك بعمود مريش يبرز من كتفه الأيسر.

لكن الفرسان لم يطلقوا النار للقتل. كانت معظم السهام مصوبة نحو التراب حول أقدام المبشرين. أصيب قلة فقط من الهيسبيريين. انهار البقية من الخوف المحض. تكوموا معاً في كتلة، وأذرعهم مرفوعة عالياً، وبنادقهم غير مطلقة.

ترجل فارسان وانتزعا الأسلحة من أيدي المبشرين المرتجفة. لم يبدِ المبشرون أي مقاومة.

تسابق عقل رين وهي تشاهد، تحاول إيجاد مخرج. إذا استطاعت هي وكيتاي فقط الوصول للجدول، فسيحملهما التيار أسفل النهر، نأمل أسرع مما تستطيع الخيول الركض، وإذا حبست أنفاسها وغطست عميقاً بما يكفي فسيكون لديها بعض الغطاء من السهام. لكن كيف تصل للماء قبل أن يطلق الفرسان أوتارهم؟ جالت عيناها حول الفسحة...

ارفعوا أيديكم.

لم ينطق أحد بالأمر لكنها سمعته — أمر عميق وأجش تردد صداه عالياً في عقلها.

صفرت طلقة تحذيرية بجوارها، على بعد بوصات من صدغها. انخفضت، وأمسكت بكتلة طين لترميها على الفرسان. إذا استطاعت تشتيتهم، لبضع ثوان فقط...

أدار الفرسان أقواسهم نحوها.

— "توقفوا!" ركض تشاغان أمام الفرسان، ملوحاً بذراعيه فوق رأسه.

تردد صدى صوت كالجرس عبر الفسحة، عالٍ لدرجة أن رين شعرت بصدغيها يهتزان.

اقتحمت صور متلاحقة من خيال شخص آخر عين عقلها. رأت نفسها على ركبتيها، وذراعاها مرفوعتان. رأت نفسها مخترقة بالسهام، تنزف من عشرة

جروح مختلفة. رأت مشهداً واسعاً ومذهلاً— سهباً متناثراً، كثباناً صحراوية، تدافعاً مدوياً بينما ينطلق فرسان على ظهور الخيل للبحث عن شيء، لتدمير شيء...

ثم رأت تشاغان، يواجه الفرسان وقبضتيه مضمومتين، وشعرت بالنية الخالصة تشع من شكله— *نحن هنا بسلام نحن هنا بسلام أنا واحد منكم نحن هنا بسلام*— وأدركت أن هذه لم تكن مجرد معركة إرادات نفسية روحية.

هذه كانت محادثة.

بطريقة ما، استطاع الفرسان التواصل دون تحريك شفاههم. نقلوا صوراً وشظايا نية دون لغة منطوقة مباشرة في عقول مستقبليهم. نظرت رين لـ كيتاي، تتأكد من أنها لم تجن. كان يحدق في الفرسان، وعيناه واسعتان، ويداه ترتجفان.

دوى الصوت الأول:

— *توقفوا عن المقاومة.*

انفجرت تمتمات محمومة من الهيسبيريين المقيدين. انثنى أوغوس للأمام وصرخ، ممسكاً رأسه. كان يسمعه هو أيضاً.

مهما قال تشاغان رداً على ذلك، كان كافياً لإقناع الفرسان بأنهم ليسوا تهديداً. رفع قائدهم يداً ونبح بأمر بلغة لم تفهمها رين. خفض الفرسان أقواسهم.

تأرجح القائد عن حصانه في حركة سلسة واحدة ومشى بخطوات واسعة نحو تشاغان.

قال تشاغان:

— "مرحباً، بيكتر."

— "مرحباً، يا ابن العم." رد بيكتر. تحدث بالنيكارية؛ خرجت كلماته قاسية وملتوية. انتزع الأصوات من الهواء وكأنه يمزق اللحم عن العظم، وكأنه غير معتاد على اللغة المنطوقة.

ردد كيتاي بصوت عالٍ:

— "ابن العم؟"

تمتمت قارا:

— "لسنا فخورين بذلك."

رماها بيكتر بابتسامة سريعة. أياً كان ما مر عقلياً بينهما حدث أسرع من أن تفهمه رين، لكنها التقطت فحواه — شيء بذيء، شيء عنيف، وبغيض، ويقطر احتقاراً.

قالت قارا:

— "اذهب للجحيم."

نادى بيكتر بشيء لفرسانه. قفز اثنان منهم للأرض، ولويا ذراعي تشاغان وقارا خلف ظهريهما، وأجبراهما على الركوع.

التقطت رين رمحها الثلاثي، لكن السهام نقت الأرض حولها قبل أن تتحرك.

قال بيكتر:

— "لن تحصلي على تحذير ثالث."

أسقطت الرمح ووضعت يديها خلف رأسها. فعل كيتاي الشيء نفسه. ربط الفرسان يدي رين معاً، وسحبوها لتقف، وجروها، تتعثر ببؤس، نحو بيكتر ليركع الأربعة أمامه في صف واحد.

سأل بيكتر:

— "أين هو؟"

قال كيتاي:

— "عليك أن تكون أكثر تحديداً."

— "إله الريح. أعتقد أن اسم الفاني هو فايلين. نحن نطارده. أين ذهب؟"

— "أسفل النهر، على الأرجح." قال كيتاي. "إذا كنت تعرف كيف تطير، فقد تلحق به!"

تجاهله بيكتر. جالت عيناه فوق جسد رين، متلكئة في أماكن جعلتها تجفل. جاءت صور ضبابية لعقلها دون استدعاء، مشوشة جداً لتتمكن من رؤية أكثر من أطراف مهشمة ولحم على لحم.

سأل:

— "هل هذه هي السبيرية؟"

قال تشاغان:

— "لا يمكنك إيذاؤها. أنت مُقسِم."

— "مقسم ألا أؤذيك أنت. ليس هم."

— "إنهم تحت مسؤوليتي. هذه منطقتي."

ضحك بيكتر.

— "لقد غبت طويلاً، يا ابن العم الصغير. «النايماد» ضعفاء. المعاهدة تتحطم. قررت «سورقان سيرا» المجيء وتنظيف فوضاك."

كررت رين:

— "مسؤولية؟ معاهدة؟ من أنتم بحق الجحيم؟"

تمتمت قارا:

— "إنهم مراقبون."

— "لماذا؟"

خلع بيكتر غطاء رأسه.

— "لأناس مثلكِ، أيتها السبيرية الصغيرة."

جفلت رين للخلف، مشمئزة.

كان وجهه مغطى بحروق مبقعة، وحبلية وبارزة، تضاريس جبلية من الألم تمتد من الخد للخد. ابتسم لها، وكانت الطريقة التي تتجعد بها الندوب حول جانبي فمه مشهداً فظيعاً.

بصقت عند قدميه.

— "واجهت لقاءً سيئاً مع سبيري، أليس كذلك؟"

ابتسم بيكتر مرة أخرى. غزت المزيد من الصور عقلها. رأت رجالاً يحترقون. رأت دماً يلطخ التراب.

انحنى بيكتر قريباً جداً لدرجة أنها استطاعت الشعور بأنفاسه، ساخنة ونتنة على رقبتها.

— "أنا نجوت منه. هو لم ينجُ."

قبل أن تتمكن رين من التحدث، ثقب بوق صيد الهواء.

تبعه رعد الحوافر. لوت رين عنقها لتنظر فوق كتفها. اقتربت مجموعة أخرى من الفرسان من الفسحة، هذه المجموعة أكبر بكثير من كتيبة بيكتر. شكلوا دائرة بخيولهم، محيطين بهم.

انشقت صفوفهم. تحركت امرأة ضئيلة، لا تصل لأعلى من مرفق رين، عبر الخطوط.

مشت بالطريقة التي مشى بها تشاغان وقارا. كانت دقيقة، تشبه الطائر، وكأنها مخلوق أثيري يعتبر الارتباط بالأرض مجرد إزعاج له. سقط شعرها الأبيض كالسحاب لما بعد خصرها بقليل، معقوداً في ضفيرتين معقدتين متداخلتين مع ما بدا كأصداف وعظم.

كانت عيناها عكس عيني تشاغان — أغمق من قاع بئر، وسوداوين بالكامل.

تمتمت قارا:

— "انحني. إنها «سورقان سيرا»."

أحنت رين رأسها.

— "قائدتكم؟"

— "خالتنا."

طقطقت «سورقان سيرا» بلسانها وهي تمشي متجاوزة تشاغان وقارا، اللذين ركعا وعيناهما ملقاة لأسفل وكأنهما في عار. تجاهلت كيتاي تماماً.

توقفت أمام رين. تحركت أصابعها العظمية فوق وجه رين، ممسكة بذقنها وعظام وجنتيها.

قالت:

— "يا للغرابة."كانت لغتها النيكارية فصيحة لكن بإيقاع غريب جعل كلماتها تبدو ممزوجة بالشعر. "إنها تشبه هانيلاي."

لم يعنِ الاسم شيئاً لـ رين، لكن الفرسان توتروا.

سألت «سورقان سيرا»:

— "أين وجدوكِ؟" عندما لم تجب رين، صفعت خدها بخفة. "أنا أتحدث إليكِ، يا فتاة. تكلمي."

قالت رين:

— "لا أعرف."

كانت ركبتاها تنبضان. تمنت بيأس لو يدعونها تتوقف عن الركوع.

غرزت «سورقان سيرا» أظافرها في خد رين.

— "أين أخفوكِ؟ من وجدكِ؟ من حماكِ؟"

كررت رين:

— "لا أعرف. لا مكان. لا أحد."

— "أنتِ تكذبين."

قال تشاغان:

— "إنها لا تكذب. لم تكن تعرف ما هي حتى قبل عام."

أعطت «سورقان سيرا» رين نظرة طويلة ومرتابة، لكنها تركتها.

— "مستحيل. كان يُفترض بالموغينيين أن يقتلوكم، لكنكم أيها السبيريون تستمرون بالظهور كالجرذان."

قال بيكتر:

— "تشاغان يجذب السبيريين دائماً كالفراشات للشمعة. أنتِ تتذكرين."

قال تشاغان بصوت أجش:

— "اخرس."

ابتسم بيكتر على نطاق واسع.

— "*أتذكرين ما كتبته في رسائلك؟ السبيري عانى. الموغينيون لم يكونوا لطفاء. لكنه نجا، وهو قوي.*"

هل كان يتحدث عن ألتان؟ قاومت رين الرغبة في التقيؤ.

اكتسب صوت بيكتر نبرة عالية وساخرة.

— "*لديه عقله الآن لكنه يتألم. لكن يمكنني إصلاحه. أعطه وقتاً. لا تجعليني أقتله. أرجوكِ.*"

صدم تشاغان مرفقه للخلف في معدة بيكتر. في لحظة أمسك بيكتر معصمي تشاغان المقيدين ولواهما بعيداً خلف ظهره لدرجة أن رين ظنت بالتأكيد أنه كسرهما.

انفتح فم تشاغان في صرخة صامتة.

ارتد صوت كرعد عبر عقل رين. رأت الفرسان يجفلون؛ سمعوه هم أيضاً.

قالت «سورقان سيرا»:

— "كفى من هذا."

أفلت بيكتر تشاغان، الذي ترنح رأسه للأمام وكأنه أصيب بطلق ناري.

انحنت «سورقان سيرا» أمامه وأزاحت شعره خلف أذنيه، تربت عليه بنعومة كأم تهندم طفلاً سيئ السلوك.

قالت بنعومة:

— "لقد فشلت. كان واجبك المراقبة والانتقاء عند الضرورة. لا الانضمام لحروبهم التافهة."

قال تشاغان:

— "حاولنا البقاء محايدين. لم نتدخل، لم نكن قط —"

— "لا تكذب علي. أنا أعرف ما فعلتموه." وقفت «سورقان سيرا». "لن يكون هناك المزيد من السيك. نحن نضع حداً لتجربة أمك الصغيرة."

رددت رين:

— "تجربة؟ أي تجربة؟"

التفتت «سورقان سيرا» نحوها، رافعة حاجبيها.

— "بالضبط ما قلته. أم التوأمين، كالاغان، ظنت أنه سيكون ظلماً حرمان النيكارا من الوصول للآلهة. السيك كانت فرصة كالاغان الأخيرة. لقد فشلت. قررتُ أنه لن يكون هناك المزيد من الشامانات في الإمبراطورية."

— "أوه، أنتِ قررتِ؟"

صارعت رين لتقف مستقيمة. لم تفهم تماماً بعد ما يحدث، لكنها لم تكن بحاجة لذلك. ديناميكية هذا اللقاء أصبحت واضحة جداً. الفرسان اعتبروها حيواناً يجب قتله. ظنوا أنهم يستطيعون تحديد من يملك الوصول لـ «البانثيون».

جعلتها الغطرسة المحضة لذلك ترغب في البصق.

بدت «سورقان سيرا» مستمتعة.

— "هل أزعجتكِ؟"

زمجرت رين:

— "لا نحتاج إذنكِ لنوجد."

— "بلى، تحتاجون." ألقت «سورقان سيرا» عليها ابتسامة مزدادة. "أنتم أطفال صغار، تتخبطون في فراغ لا تفهمونه من أجل ألعاب لا تخصكم."

أرادت رين صفع الاحتقار عن وجهها.

— "الآلهة لا تخصكم أنتم أيضاً."

— "لكننا نعرف ذلك. وذلك هو الفرق البسيط. أنتم النيكارا الشعب الوحيد الأحمق بما يكفي لاستدعاء الآلهة لهذا العالم. نحن «الكتربيد» لا نحلم أبداً بارتكاب الحماقة التي يرتكبها شاماتكم."

قالت رين:

— "إذن هذا يجعلكم جبناء. ومجرد أنكم لن تستدعوهم لا يعني أننا لا نستطيع."

أرجعت «سورقان سيرا» رأسها للخلف وبدأت تضحك — ضحكة غراب قاسية وناعبة.

— "يا إلهي. تبدين مثلهم تماماً."

— "من؟"

— "ألم يخبركِ أحد قط؟" أمسكت «سورقان سيرا» وجه رين بين يديها مرة أخرى. جفلت رين مبتعدة، لكن أصابع «سورقان سيرا» اشتدت حول خديها. ضغطت وجهها ضد وجه رين، قريبة جداً لدرجة أن كل ما استطاعت رين رؤيته هو تلك العيون السجية المظلمة. "لا؟ إذن سأريكِ."

***

ثقبت رؤى عقل رين كسكاكين مغروزة في صدغيها.

وقفت في سهب صحراوي، في ظل كثبان تمتد لأبعد ما يمكنها رؤيته. خدش الرمل كاحليها. عزفت الرياح نغمة منخفضة وكئيبة.

نظرت لأسفل لنفسها ورأت ضفائر بيضاء منسوجة بالأصداف والعظم. أدركت أنها في ذاكرة «سورقان سيرا» أصغر سناً بكثير.

لليسار رأت امرأة شابة لا بد أنها أم التوأمين، كالاغان — كان لديها نفس عظام الوجنتين العالية كـ قارا، ونفس خصلة الشعر الأبيض كـ تشاغان.

أمامهم وقفت «التريفيكتا» (الثلاثي).

حدقت رين فيهم بذهول.

كانوا صغاراً جداً. لا يمكن أن يكونوا أكبر منها بكثير. كان يمكن أن يكونوا طلاب سنة رابعة في «سينغارد».

سو داجي كفتاة كانت بالفعل جميلة بشكل مستحيل وساحر. كانت تشع جاذبية حتى وهي واقفة ساكنة. رأت رين ذلك في الطريقة التي تحرك بها وركيها جيئة وذهاباً، الطريقة التي تكنس بها ستارة شعرها فوق كتفيها.

لليسار من داجي وقف إمبراطور التنين. كان وجهه مألوفاً بشكل مذهل وصادم. زوايا حادة، أنف طويل ومستقيم، وحاجبان كثيفان وكئيبان. وسيم بشكل لافت، شاحب ومنحوت ببراعة بطريقة لا تبدو بشرية.

لا بد أنه من «بيت يين».

كان فايسرا أصغر وألطف. كان نزهة بلا ندوبه وجينزا بلا غطرسته. لا يمكن وصف وجهه باللطيف؛ كان صارماً وأرستقراطياً جداً. لكنه كان وجهاً مفتوحاً، وصادقاً، وجاداً. وجهاً وثقت به فوراً، لأنها لم تستطع رؤية طريقة يكون بها هذا الرجل قادراً على أي شر.

فهمت الآن ما عنوه في القصص القديمة حين قالوا إن الجنود انشقوا إليه أفواجاً وركعوا عند قدميه. كانت لتتبعه لأي مكان.

ثم كان هناك جيانغ.

إذا شكت يوماً أن معلمها القديم يمكن أن يكون حارس البوابة، فلا مجال للخطأ في هويته الآن. شعره، المقصوص قرب أذنيه، كان لا يزال بنفس البياض غير الطبيعي، ووجهه لا يشيخ كما كان حين قابلته.

لكن حين تحدث، والتوى وجهه، أصبح غريباً تماماً.

قال:

— "لا تريدون قتالنا بشأن هذا. وقتكم ينفد. سأخلي المكان ما دمتم تستطيعون."

جيانغ الذي عرفته رين كان وادعاً ومرحاً، ينجرف عبر العالم بنوع من الفضول المنفصل. تحدث بنعومة وبشكل غريب الأطوار، وكأنه متفرج فضولي على محادثاته الخاصة.

لكن هذا جيانغ الأصغر كان لديه قسوة في وجهه أفزعت رين، وكل كلمة نطقها قطرت بقسوة عارضة.

إنه الغضب، أدركت. جيانغ الذي عرفته كان مسالماً تماماً، منيعاً ضد الإهانة. هذا جيانغ كان مستهلكاً بنوع من السخط السام الذي يشع من الداخل.

ارتجف صوت كالاغان بالغضب.

— "شعبنا ادعى المنطقة شمال صحراء «باغرا» لقرون. أمير خيولك نسي نفسه. هذه ليست دبلوماسية، إنها غطرسة محضة."

قال جيانغ:

— "ربما. لا يزال لم يكن عليكِ تقطيع أوصال ابنه وإرسال الأصابع للأب."

قالت كالاغان:

— "تجرأ على تهديدنا. استحق ما حصل عليه."

هز جيانغ كتفيه.

— "ربما استحق. لم أحب ذلك الطفل قط. لكن هل تعلمين ما هي معضلتنا، يا عزيزتي كالاغان؟ نحن نحتاج أمير الخيول. نحتاج قواته وخيوله الحربية، ولا يمكننا الحصول عليها إذا كانوا مشغولين جداً بالركض حول صحراء «باغرا» لصد سهامكم."

قالت «سورقان سيرا»:

— "إذن يجب أن يتراجع."

فحص جيانغ أظافره.

— "أو ربما سنجعلكم تتراجعون. هل سيكون صعباً جداً عليكم الذهاب للاستقرار في مكان آخر وحسب؟ «الكتربيد» كلهم رحل، أليسوا كذلك؟"

رفعت كالاغان رمحها.

— "أتتجرأ —"

هز جيانغ إصبعه.

— "لن أفعل ذلك."

— "هل تظن أن هذا حكيم، يا زيا؟"

ظهرت فتاة من صفوف الفرسان. حملت شبهاً ملحوظاً بـ تشاغان، لكنها وقفت أطول، وأقوى، وكان وجهها متورداً بلون أكثر.

قالت «سورقان سيرا»:

— "تراجعي، يا تسيفيري."

لكن تسيفيري مشت نحو جيانغ حتى لم يفصل بينهما سوى بوصات.

سألت بنعومة:

— "لماذا تفعل هذا؟"

قال جيانغ:

— "السياسة، حقاً. لا شيء شخصي."

— "علمناك كل ما تعرفه. قبل ثلاث سنوات أشفقنا عليك وأويناك. آويناك، وأخفيناك، وشفيناك، وأعطيناك أسراراً لم يحصل عليها نيكاري قط. ألسنا عائلة لك؟"

تحدثت لـ جيانغ بحميمية، كأخت. لكن إذا كان جيانغ منزعجاً، فقد أخفى ذلك جيداً خلف قناع من اللامبالاة المستمتعة.

سأل:

— "هل سيكفي شكراً بسيطاً؟ أم أردتِ عناقاً أيضاً؟"

حذرت تسيفيري:

— "كن حذراً ممن تدير ظهرك لهم. أنت لا تحتاج أمير الخيول، ليس حقاً. لا تزال تحتاجنا. تحتاج حكمتنا. هناك الكثير مما لا تزال تجهله —"

سخر جيانغ:

— "أشك في ذلك. لقد اكتفيت من لعب دور الفيلسوف مع شعب خجول جداً لدرجة أنهم ينكمشون من «البانثيون». أحتاج قوة صلبة. قوة عسكرية. أمير الخيول يمكنه منحنا ذلك. ماذا يمكنكِ منحي؟ محادثات لا تنتهي عن الكون؟"

أعطته تسيفيري نظرة مشفقة.

— "ليس لديك فكرة كم لا تزال جاهلاً. أرى أنكم رسختم أنفسكم. هل آلمكم ذلك؟"

لم تملك رين أدنى فكرة عما يعنيه ذلك، لكنها رأت داجي تجفل.

قالت تسيفيري:

— "لا تتفاجئي. أنتم مقيدون بوضوح شديد. أستطيع رؤية ذلك يلمع منكم. تظنون أنه يجعلكم أقوياء، لكنه سيدمركم."

قال جيانغ:

– "أنتِ لا تعرفين عما تتحدثين."

أمالت تَسيفيري رأسها.

– "لا؟ إليك نبوءة من أجلك إذن. رابطكم سيتحطم. ستدمرون بعضكم البعض. واحد سيموت، وواحد سيحكم، وواحد سينام للأبد."

سخرت داجي:

– "هذا مستحيل. لا أحد منا يمكنه الموت. ليس طالما الآخرون أحياء."

قالت تسيفيري:

– "هذا ما تظنينه."

قال ريغا:

– "كفى من هذا."

صُعقت رين من كم بدا صوته يشبه نزهة. "ليس هذا ما جئنا لأجله."

أمسكت تسيفيري بيد جيانغ.

– "جئتم لبدء حرب لا تحتاجون لخوضها. وتتجاهلني على مسؤوليتك. زيا. أرجوك. لا تفعل هذا بي."

رفض جيانغ التقاء عينيها.

تثاءبت داجي، محاولة بشكل متقطع تغطية فمها بظهر يد شاحبة ورقيقة.

– "يمكننا فعل هذا بالطريقة السهلة. لا أحد يحتاج للتأذي. أو يمكننا فقط البدء بالقتال."

صوبت كالاغان رمحها نحوها.

– "لا تتطاولي، يا فتاة صغيرة."

شحنت طاقة متفرقعة الهواء. حتى عبر مسافة الذاكرة استطاعت رين الشعور كيف تغير نسيج الصحراء. كانت حدود العالم المادي تترقق، مهددة بالتشوه والاستسلام لعالم الروح.

شيء ما كان يحدث لـ جيانغ.

تلوى ظله بجنون ضد الرمل الساطع. لم يكن الشكل شكل جيانغ الخاص، بل شيئاً فظيعاً — عدد لا يحصى من الوحوش، كثيرة جداً في الحجم والشكل، تتحول أسرع وأسرع، بيأس متزايد، وكأنها محمومة للتحرر.

الوحوش كانت في جيانغ أيضاً. استطاعت رين رؤيتها، ظلال تتموج تحت جلده، بقع فظيعة من السواد تجاهد للخروج.

صرخت تسيفيري بشيء بلغتها الخاصة — توسل أو تعويذة، لم تعرف رين، لكنه بدا كاليأس.

ضحكت داجي.

صرخت رين:

— "لا!"

لكن جيانغ لم يسمعها — لم يستطع سماعها، لأن كل هذا قد حدث بالفعل. كل ما استطاعت فعله هو المشاهدة بعجز بينما أجبر جيانغ يده في قفص تسيفيري الصدري وانتزع قلبها الذي لا يزال ينبض.

صرخت كالاغان.

قالت «سورقان سيرا» الحالية:

— "هذا يكفي."

وآخر الأشياء التي رأتها رين كانت داجي تضرب بإبرها نحو «الكترييد»، وجيانغ ووحوشه يثبتون «سورقان سيرا»، وريغا، يقف بلا مبالاة، يشاهد المذبحة بذلك الوجه الحكيم والمهتم، وذراعاه مرفوعتان بقداسة وكأنه يبارك المذبحة بحضوره.

***

— "أعطينا النيكارا مفاتيح السماوات، فسرقوا أرضنا وقتلوا ابنتي."

كان صوت «سورقان سيرا» مستوياً، خالياً من العاطفة، وكأنها تسرد مجرد حكاية مثيرة للاهتمام، وكأن ألمها قد عولج مرات كثيرة لدرجة أنها لم تعد تستطيع الشعور به.

انحنت رين على يديها وركبتيها، تلهث. لم تستطع محو صورة جيانغ من عقلها. جيانغ، معلمها، يقهقه ويداه مغطتان بالدماء.

سألت «سورقان سيرا»:

– "مندهشة؟"

همست رين:

– "لكنني عرفته. أعرف كيف هو، إنه ليس هكذا..."

سخرت «سورقان سيرا»:

– "كيف ستعرفين كيف هو حارس البوابة؟ هل سألتِه يوماً عن ماضيه؟ هل كانت لديكِ أدنى فكرة؟"

الجزء الأسوأ هو أن الأمر كله بدا منطقياً – بزغت الحقيقة لـ رين، فظيعة ومرة، ولغز جيانغ أصبح واضحاً لها الآن؛ عرفت لماذا هرب، لماذا اختبأ في «تشولو كوريك».

لا بد أنه بدأ يتذكر.

الرجل الذي قابلته في «سينغارد» لم يكن أكثر من ظل لشخص؛ ظل بائس وودود لشخصية مكبوتة. لم يكن يتظاهر. كانت واثقة من ذلك. لا أحد يستطيع التظاهر بتلك الجودة. ببساطة لم يكن يعرف. الختم سرق ذكرياته، تماماً كما سيسرق ذكرياتها يوماً ما، وأخفاها خلف جدار في عقله.

هل كان أفضل الآن وهو باقٍ في سجنه الحجري، معلقاً في المنتصف بين فقدان الذاكرة والعقل؟

أومأت «سورقان سيرا» لـ بيكتر.

– "أنتِ ترين الآن. ستفهمين إذا فضلنا وضع حد لكِ."

رن أمرها غير المنطوق واضحاً في عقل رين. *اقتلهم*.

صارعت رين لتقف.

– "انتظروا! أرجوكم – لستم مضطرين –"

– "أنا لا أقبل التوسل، يا فتاة."

قالت رين بسرعة:

— "أنا لا أتوسل، أنا أقايض. لدينا نفس العدو. تريدون داجي ميتة. تريدون الانتقام. نعم؟ وكذلك أنا. اقتلونا، وقد خسرتم حليفاً."

سخرت «سورقان سيرا»:

— "يمكننا قتل الأفعى بسهولة كافية بأنفسنا."

— "لا، لا تستطيعون. لو كنتم تستطيعون، لكانت ميتة بالفعل. أنتم خائفون منها."

فكرت رين بشكل محموم وهي تتحدث، تغزل حجة معاً من الهواء الفراغ.

— "في عشرين عاماً لم تغامروا حتى بالذهاب جنوباً، لم تحاولوا استعادة أراضيكم. لماذا؟ لأنكم تعرفون أن الأفعى ستدمركم. لقد خسرتم أمامها من قبل. لا تجرؤون على مواجهتها مرة أخرى."

ضاقت عينا «سورقان سيرا»، لكنها لم تقل شيئاً. شعرت رين بطعنة أمل يائسة. إذا أغضبت كلماتها «الكتريد»، فهذا يعني أنها لامست جزءاً من الحقيقة. يعني أنه لا يزال لديها فرصة لإقناعهم.

تابعت:

— "لكنكم رأيتم ما يمكنني فعله. تعرفون أنني أستطيع قتالها، لأنكم تعرفون ما يقدر عليه السبيريون. واجهت الإمبراطورة من قبل. حرروني، وسأخوض معارككم نيابة عنكم."

رمت «سورقان سيرا» تشاغان بسؤال بلغتها الخاصة. تحادثا للحظة. بدت كلمات تشاغان مترددة ومحترمة؛ وكلمات «سورقان سيرا» قاسية وغاضبة. جالت عيناهما مرة تلو الأخرى لـ كيتاي، الذي تحرك بعدم ارتياح، مرتبكاً.

قال تشاغان أخيراً بالنيكارية:

— "ستفعل ذلك. لن يكون لديها خيار."

سألت رين:

— "سأفعل ماذا؟"

تجاهلوها ليستمروا في الجدال.

قاطع بيكتر:

– "هذا لا يستحق المخاطرة. أمي، أنتِ تعرفين هذا. السبيريون يجنون أسرع من البقية."

هز تشاغان رأسه.

– "ليس هذه. إنها مستقرة."

قال بيكتر:

– "لا يوجد سبيريون مستقرون."

أصر تشاغان:

– "لقد حاربت الأمر. إنها أقلعت عن الأفيون. لم تلمسه منذ أشهر."

أمالت «سورقان سيرا» رأسها.

– "سبيري بالغ لا يدخن؟ ستكون هذه سابقة."

قال بيكتر:

– "لا يحدث ذلك فرقاً. ستأخذها العنقاء. دائماً تفعل. الأفضل قتلها الآن —"

تحدث تشاغان فوق صوته، مناشداً عمته مباشرة.

– "لقد رأيتها في أسوأ حالاتها. لو كانت العنقاء تستطيع، لكانت فعلت بالفعل."

زمجر بيكتر:

– "إنه يكذب. انظري إليه، إنه مثير للشفقة، يحميهم حتى الآن —"

قالت «سورقان سيرا»:

– "كفى. سأحصل على الحقيقة لنفسي."

مرة أخرى، أمسكت جانبي وجه رين.

– "انظري إلي."

بدت عيناها مختلفتين هذه المرة. أصبحتا مساحات مظلمة وجوفاء، نوافذ لهاوية لم ترد رين رؤيتها. أطلقت رين أنيناً لا إرادياً، لكن أصابع «سورقان سيرا» اشتدت تحت فكيها.

— "انظري."

شعرت رين بنفسها تندفع للأمام في ذلك الظلام. لم تكن «سورقان سيرا» تجبر رؤية في عقلها، بل كانت تجبر رين على استخراج واحدة بنفسها. لاحت الذكريات أمامها، شظايا عشوائية ومسننة لرؤى بذلت قصارى جهدها لدفنها. كانت مصوغة في بحر من النار، كانت تندفع للخلف في ماء أسود، كانت تركع عند قدمي ألتان، والدم يتجمع في فمها.

لاح الختم فوقها.

لقد نما. كان حجمه ثلاثة أضعاف ما رأته آخر مرة، مجموعة موسعة ومنومة من الألوان، تدور وتنبض كدقات قلب، مرتبة كرمز لا تزال لا تستطيع التعرف عليه.

استطاعت رين الشعور بحضور داجي بداخله — مقزز، ومسبب للإدمان، ومغرٍ.

بدت همسات حولها، وكأن داجي تتمتم في أذنها، تعدها بأشياء رائعة.

سأخذكِ بعيداً عن هذا. سأعطيكِ كل ما أردتِهِ يوماً. سأعيده إليكِ.

عليكِ فقط الاستسلام.

تمتمت «سورقان سيرا»:

— "ما هذا؟"

لم تستطع رين الإجابة.

أفلتت «سورقان سيرا» وجهها.

سقطت رين على ركبتيها، ويداها مفرودتان على الأرض الصلبة. دارت الشمس في دوائر فوقها.

استغرق الأمر منها لحظة لتدرك أن «سورقان سيرا» كانت تضحك.

همست «سورقان سيرا»:

– "إنها خائفة منكِ. سو داجي خائفة منكِ."

قالت رين:

– "أنا لا أفهم."

– "هذا يغير كل شيء." نبحت «سورقان سيرا» بأمر. أمسك الفرسان الواقفون الأقرب لـ رين بذراعيها ورفعوها لتقف.

– "ماذا تفعلون؟" صارعت رين ضد قبضتهم. "لا يمكنكم قتلي، لا تزالون بحاجة إلي —"

– "أوه، يا طفلة. نحن لن نقتلكِ." مدت «سورقان سيرا» يدها ومسحت بظهور أصابعها أسفل خد رين. "نحن سنصلحكِ."

الفصل الثاني والعشرون

أوثق «الكترييد» رين إلى شجرة، وإن كانوا هذه المرة أكثر رفقاً بكثير. وضعوا معصميها المقيدين في حجرها بدلاً من ليهما بشكل مؤلم خلف ظهرها، وتركوا ساقيها طليقتين بمجرد أن اتضح لهم حجم إصابة كاحلها.

لم تكن لتقوى على الركض بعيداً حتى دون كاحل ملتوٍ. كانت أطرافها تنمل من الإعياء، ورأسها يدور، وبدأت رؤيتها تشوش. ترهلت بظهرها ضد الشجرة، وعيناها مغلقتان. لم تتذكر متى كانت آخر مرة أكلت فيها أي شيء.

سأل كيتاي:

— "ماذا يفعلون؟"

ركزت رين بصعوبة على الفسحة. كان «الكترييد» يرتبون أعمدة خشبية لإنشاء هيكل شبكي يشبه القبة، كبير بما يكفي لاستيعاب شخصين فقط. عندما اكتملت القبة، أسدلوا بطانيات سميكة فوق قمتها حتى غُطيت بالكامل.

أضاف «الكترييد» أيضاً جذوعاً إلى نار مخيمهم الهزيلة. أصبحت الآن ناراً متأججة وهادرة، تتراقص ألسنة لهبها أعلى من رأس «سورقان سيرا». حمل فارسان كومة من الصخور من الشاطئ، كل واحدة منها بحجم رأس رين على الأقل، ووضعاها فوق اللهب واحدة تلو الأخرى.

شرح تشاغان:

— "إنهم يستعدون لجلسة تعرق. هذا هو الغرض من الصخور. ستدخلين إلى تلك الخيمة «اليورت» مع «سورقان سيرا». سيضعون الصخور بالداخل واحدة تلو الأخرى ويسكبون الماء عليها وهي ساخنة. يملأ ذلك الخيمة بالبخار ويرفع درجات الحرارة إلى ما دون الحد الذي قد يقتلكِ بقليل."

قالت رين:

– "سيطبخونني بالبخار كسمكة."

– "الأمر محفوف بالمخاطر. لكنها الطريقة الوحيدة لاستخراج شيء مثل «الختم». ما تركته داجي بداخلك يشبه السم. بمرور الوقت سيستمر في التقيح في عقلك الباطن ويفسد عقلك."

رمشت بذعر.

– "كان بإمكانك إخباري بذلك!"

– "لم أظن أن الأمر يستحق إخافتكِ عندما لم أكن أستطيع فعل شيء حياله."

– "لم تكن ستخبرني أنني أفقد صوابي؟"

– "كنتِ ستلاحظين ذلك في النهاية."

قالت:

– "أنا أكرهك."

– "اهدئي. سيستخرج التعرق السم من عقلك." توقف تشاغان لحظة. "حسناً. سيمنحك فرصة أفضل من أي شيء آخر. إنه لا ينجح دائماً."

قال كيتاي:

– "هذا تفاؤل."

هز تشاغان كتفيه.

– "إذا لم ينجح الأمر، فإن «سورقان سيرا» ستخلصكِ من بؤسك."

تمتمت رين:

– "هذا لطف منها."

أكدت لها قارا:

– "ستفعل ذلك بسرعة. قطعية سريعة للشرايين، نظيفة جداً لدرجة أنكِ بالكاد ستشعرين بها. لقد فعلت ذلك من قبل."

***

سألت «سورقان سيرا»:

— "هل يمكنكِ المشي؟"

انتفضت رين مستيقظة. لم تتذكر أنها غفت. كانت لا تزال منهكة؛ وبدا جسدها وكأنه مثقل بالصخور.

رمشت لتطرد النوم من عينيها وجالت ببصرها في الأنحاء. كانت مستلقية متكورة على الأرض. لحسن الحظ، قام شخص ما بفك وثاق ذراعيها. سحبت نفسها لوضعية الجلوس ومطت تشنجات ظهرها.

كررت «سورقان سيرا»:

— "هل يمكنكِ المشي؟"

ثنت رين كاحلها. انطلق ألم حاد عبر ساقها.

— "لا أظن ذلك."

رفعت «سورقان سيرا» صوتها.

— "بيكتر. احملها."

نظر بيكتر لأسفل إلى رين بنظرة اشمئزاز.

أخبرته:

— "أنا أكرهك أيضاً."

كانت واثقة من أنه سينفجر غضباً. لكن لا بد أن أمر «سورقان سيرا» كان قانوناً نافذاً حقاً، لأنه ركع ببساطة، وسحبها بين ذراعيه، وحملها إلى الخيمة. لم يبذل أي جهد ليكون رفيقاً. اهتزت رين بغير راحة بين ذراعيه، واصطدم كاحلها الملتوي بمدخل الخيمة عندما وضعها بالداخل.

كبتت صرخة ألم لتحرمه متعة سماعها. أغلق لسان الخيمة عليها دون كلمة أخرى.

كان الظلام دامساً داخل الخيمة. بطن «الكترييد» جوانبها الشبكية بطبقات كثيرة من البطانيات لدرجة أنه لم يستطع شعاع ضوء واحد اختراق الخارج.

كان الهواء بالداخل بارداً، وصامتاً، ومسالماً، كأحشاء كهف. لو لم تكن رين تعرف أين هي، لظنت أن الجدران مصنوعة من الحجر. زفرت ببطء، منصتة بينما ملأ تنفسها الفراغ الخاوي.

غمر الضوء الخيمة عندما دخلت «سورقان سيرا» عبر الفتحة. كانت تحمل دلواً من الماء في يد ومغرفة في الأخرى.

أخبرت رين:

— "استلقي. اقتربي قدر استطاعتكِ من الجدران."

— "لماذا؟"

— "حتى لا تسقطي على الصخور عندما يغمى عليكِ."

تّكومت رين في الزاوية، وسندت ظهرها ضد القماش المشدود، وضغطت خدها على التراب البارد. أُغلق لسان الخيمة. سمعت رين زحف «سورقان سيرا» عبر الخيمة لتجلس بجانبها مباشرة.

سألت «سورقان سيرا»:

— "هل أنتِ مستعدة؟"

— "هل لدي خيار؟"

— "لا. لكن يجب أن تجهزي عقلك. سيسير الأمر بشكل سيئ إذا كنتِ خائفة." نادت «سورقان سيرا» للفرسان في الخارج: "الحجر الأول."

ظهرت مجرفة عبر الفتحة، تحمل صخرة وحيدة تتوهج بلون أحمر غاضب ومشرق. قلب الفارس في الخارج الصخرة في مهد طيني وسط الخيمة، وسحب المجرفة، وأغلق الفتحة.

في الظلام، سمعت رين «سورقان سيرا» تغمس المغرفة في الماء.

— "لتسمع الآلهة صلواتنا."

تطاير الماء فوق الصخرة. ملأ هسهس عالٍ الخيمة.

— "ليمنحوا رغباتنا بالتواصل."

ضربت موجة من البخار أنف رين. قاومت الرغبة في العطس.

قالت «سورقان سيرا»:

— "ليفتحوا أعيننا لنرى. الصخرة الثانية."

أودع الفارس صخرة أخرى في المهد الطيني. طرطشة أخرى، وهسهسة أخرى. أصبح البخار أكثر كثافة وحرارة.

— "ليعطونا الآذان لسماع أصواتهم."

بدأت رين تشعر بالدوار. نهش الذعر صدرها. بالكاد استطاعت التنفس. رغم أن رئتيها امتلأتا بالهواء، شعرت وكأنها تغرق. لم تعد تستطيع الاستلقاء ساكنة. خمشّت حواف الخيمة، يائسة لنسمة هواء بارد، أي شيء... كان البخار في وجهها الآن، كل جزء منها يحترق، كانت تُسلق حية.

استمرت الصخور في القدوم — ثالثة، رابعة، خامسة. أصبح البخار لا يطاق. حاولت تغطية أنفها بكمها، لكن ذلك أيضاً كان رطباً، ومحاولة التنفس عبره كانت أسوأ أشكال التعذيب.

أمرت «سورقان سيرا»:

— "أفرغي عقلكِ."

ضخ قلب رين بضراوة، بقوة لدرجة أنها شعرت به في صدغيها.

سأموت هنا.

قالت «سورقان سيرا» بإلحاح:

— "توقفي عن المقاومة. استرخي."

استرخي؟ الشيء الوحيد الذي أرادت رين فعله حينها هو التدافع خارج الخيمة. لم تكترث إن أحرقت قدميها على الصخور، لم تكترث إن اضطرت للانزلاق عبر الطين، أرادت فقط الخروج للهواء الطلق حيث يمكنها التنفس.

فقط سنوات من ممارسة التأمل تحت إشراف جيانغ منعتها من النهوض والركض للخارج.

تنفسي.

فقط تنفسي.

استطاعت الشعور بتباطؤ دقات قلبها، زاحفة لتقترب من التوقف.

دارت رؤيتها وتطاير الشرر. رأت أضواء صغيرة في الظلام، شموعاً تومض في حواف بصرها، نجوماً تغمز وتختفي عندما تنظر إليها...

دغدغت أنفاس «سورقان سيرا» أذنها.

– "قريباً سترين أشياء كثيرة. سيغريكِ الختم. تذكري ألا شيء مما ترينه حقيقي. سيكون هذا اختباراً لعزمك. انجحي، وستخرجين سليمة، ممتلكة لقدراتك الطبيعية بالكامل. افشلي، وسأقطع حلقك."

لهثت رين:

– "أنا مستعدة. أنا أعرف الألم."

قالت «سورقان سيرا»:

– "هذا ليس ألماً. الأفعى لا تجعلكِ تعانين أبداً. إنها تحقق أمنياتك. تعدكِ بالسلام حين تعرفين أنه ينبغي عليكِ خوض حرب. هذا أسوأ."

ضغطت بإبهامها على جبهة رين. مالت الأرض بعيداً.



رأت رين تياراً من الألوان الزاهية، جريئة وصارخة، والتي حلت نفسها لأشكال محددة فقط عندما ضيقت عينيها. تحول الأحمر والذهبي لأشرطة زينة ومفرقعات نارية؛ وتحول الأزرق والأرجواني لفواكه، وتوت، وأكواب يسكب فيها النبيذ.

نظرت حولها، مذهولة. كانت تقف في قاعة ولائم ضخمة. كانت بضعف حجم قاعة العرش في قصر الخريف، مكتظة بطاولات طويلة جلس إليها ضيوف بملابس فاخرة. رأت أطباقاً من فاكهة التنين منحوتة كزهور، وحساء يتصاعد بخاره من أصداف السلاحف، وخنازير كاملة مشوية تجلس على طاولات خاصة بها، مع خدم معينين لقطع قطع اللحم للضيوف. جرى نبيذ الذرة الرفيعة أسفل خنادق مذهبة منحوتة في جوانب الطاولة ليتمكن الآكلون من ملء أكوابهم بأنفسهم متى شاؤوا.

انجرفت وجوه تعرفها داخل وخارج بصرها، ووجوه لم ترها منذ وقت طويل لدرجة أنها شعرت وكأنها من حياة أخرى. رأت المعلم فيريك يجلس

على بعد طاولتين، ينقي العظام بدقة من قطعة سمك. رأت المعلمين إيرجا وجيما، يضحكون عند الطاولة العالية مع بقية معلمي الأكاديمية.

لوح لها كيسيجي من مقعده. لم يتغير منذ رأته آخر مرة — لا يزال في العاشرة، أسمر البشرة، كله ركب ومرافق. حدقت فيه. لقد نسيت كم كانت ابتسامته رائعة، وقحة وغير موقرة.

رأت كيتاي، مرتدياً زي جنرال. نما شعره السلكي طويلاً، ومسحوباً في كعكة عند مؤخرة رأسه. كان غارقاً في محادثة مع المعلم إيرجا. عندما التقت عينه بعينها، غمز.

قال صوت مألوف:

— "مرحباً، أنتِ."

استدارت، وعلِق قلبها في حلقها.

بالطبع كان ألتان. كان دائماً ألتان، يتربص خلف كل ركن من عقلها، يطارد كل قرار اتخذته.

لكن هذا كان ألتان حياً وكاملاً — ليس بالطريقة التي عرفته بها في «خوردالاين»، عندما كان مثقلاً بحرب سيقتل نفسه ليربحها. كانت هذه أفضل نسخة ممكنة منه، الطريقة التي حاولت تذكره بها، الطريقة التي نادراً ما كان عليها. كانت الندوب لا تزال على وجهه، وشعره لا يزال فوضوياً وطويلاً، مربوطاً للخلف في عقدة مهملة، وكان لا يزال يستخدم ذلك الرمح الثلاثي بالرشاقة العارضة لشخص أمضى وقتاً في ساحة المعركة أكثر مما أمضاه خارجها.

كان هذا ألتان يقاتل لأنه يعشق ذلك ويجيده، وليس لأنه الشيء الوحيد الذي تدرب على فعله قط.

كانت عيناه بنيتين. بؤبؤاه لم يكونا متقلصين. لم تفح منه رائحة الدخان. عندما ابتسم، بدا سعيداً تقريباً.

لم تستطع نطق أي شيء سوى همس:

– "أنت هنا. إنه أنت."

قال:

– "بالطبع أنا هنا. ولا حتى مناوشات حدودية يمكنها منعي عنكِ اليوم. أراد تير وضع رأسي على وتد، لكنني لا أظن حتى أنه يستطيع الوقوف أَمام غضب أمي وأبي."

مناوشات حدودية؟

تير؟

أمي وأبي؟

استمر الارتباك للحظة واحدة فقط، ثم فهمت. الأحلام تأتي بمنطقها الخاص، ولم يكن هذا سوى حلم جميل. في هذا العالم، لم تدمر «سبير» قط. لم تمت تيرزا وتتخلى عن شعبها للعبودية، ولم يُذبح أهلها بين عشية وضحاها في الجزيرة الميتة.

كادت تضحك بصوت عالٍ. في هذا الوهم، كان أكبر مخاوفهم مجرد مناوشات حدودية لعينة.

سأل ألتان:

– "هل أنتِ متوترة؟"

رددت:

– "متوترة؟"

قال، وانخفض صوته لهمس تآمري:

– "كنت سأتفاجأ لو لم تكوني كذلك. ما لم تكوني تعيدين التفكير. و.. أعني، إذا كنتِ كذلك، فلا بأس عندي. إذا كنا صادقين، لم أكن مولعاً به كثيراً قط، أنا أيضاً."

رددت رين:

– "«به»؟"

قال رامسا، دافعاً كتفه بينهما، وهو يمضغ كعكة فاصوليا حمراء:

— "إنه يغار فقط لأنكِ تتزوجين أولاً بينما لا أحد يريده." أمال رأسه نحو ألتان. "مرحباً، أيها القائد."

قلب ألتان عينيه.

— "أليس لديك ألعاب نارية لتشعلها؟"

قال رامسا:

— "ليس قبل وقت لاحق. قال والداك إنهما سيخصيانني إن اقتربت منها الآن. شيء ما عن مخاطر السلامة."

بعثر ألتان شعر رامسا.

— "هذا يبدو دقيقاً. لمَ لا تهرع بعيداً وتستمتع بالوليمة؟"

أخذ رامسا قضمة كبيرة من الكعكة وتحدث وفمه ممتلئ:

— "لأن هذه المحادثة أكثر إثارة للاهتمام بكثير. إذن ماذا سيكون الأمر يا رين؟ هل سيكون لدينا عروس هاربة؟ لأنني أود إنهاء الأكل أولاً."

انفتح فم رين. جالت عيناها بين رامسا وألتان، تحاول اكتشاف دليل على أنهما وهم — أي عيب، أي نقص في الجوهر.

لكنهما كانا صلبين، ومفصلين ومليئين بالحياة. وكانا سعيدين جداً، جداً. كيف يمكن أن يكونا بهذه السعادة؟

نكزها ألتان في كتفها.

— "رين؟ هل أنتِ بخير؟"

هزت رأسها.

— "أنا لا... هذا ليس..."

عبر القلق وجهه.

— "هل تحتاجين للاستلقاء للحظة؟"

— "لا، أنا فقط..."

أخذ ذراعها.

— "أنا آسف لأنني كنت أسخر منكِ. تعالي، سنجد لكِ مقعداً."

– "لا، ليس هذا ما..."

نفضته عنها وتراجعت للخلف. كانت تمشي للخلف، علمت أنها تفعل، لكن بطريقة ما كل مرة أخذت خطوة انتهى بها الأمر غير بعيدة عن ألتان عما كانت عليه في البداية.

كرر ألتان، وتردد صدى صوته حول الغرفة:

– "تعالي معي."

خفتت ألوان قاعة الولائم. شوشت وجوه الضيوف. كان هو الشكل المحدد الوحيد في الأفق.

مد يده نحوها.

– "بسرعة الآن."

عرفت ما سيحدث لها إن أطاعت.

سينتهي كل شيء. قد يستمر الوهم لبضع دقائق أخرى، أو ساعة، أو أسبوع. الوقت يعمل بشكل مختلف في الأوهام. قد تستمتع بهذا الوهم لمدى الحياة. لكن في الواقع، ستكون قد استسلمت لسم داجي. ستنتهي حياتها. لن تستيقظ من هذه التعويذة أبداً.

لكن هل سيكون ذلك خاطئاً جداً؟

أرادت الذهاب معه. أرادت الذهاب بشدة.

قال ألتان، ناطقاً أفكارها الخاصة بصوت عالٍ:

– "لا أحد يجب أن يموت. الحروب لم تحدث قط في المقام الأول. يمكنكِ استعادة كل شيء. الجميع. لا أحد يجب أن يرحل."

همست:

– "لكنهم رحلوا."

وفي اللحظة التي قالتها، أصبحت حقيقتها ظاهرة. الوجوه في قاعة الولائم كانت أكاذيب. أصدقاؤها ماتوا. المعلم فيريك رحل. المعلم إيرجا رحل. «غولين نيس» رحلت. «سبير» رحلت. لا شيء يمكنه إعادتهم.

– "لا يمكنك إغرائي بهذا."

قال ألتان:

— "إذن يمكنكِ الانضمام إليهم. هل سيكون ذلك سيئاً جداً؟"

خفتت الأضواء وأشرطة الزينة. تلاشت الطاولات للاشيء؛ اختفى الضيوف. كانت هي وألتان وحيدين، بقعتا لهب في ممر مظلم.

— "هل هذا ما تريدينه؟"

انطبق فمه على فمها قبل أن تتمكن من التحدث. تحركت أيادٍ حارقة على جسدها وتتبعت للأسفل. كان كل شيء حاراً بشكل فظيع. كانت تحترق. لقد نسيت كيف يبدو الشعور بالاحتراق حقاً — كانت محصنة ضد لهبها الخاص، ولم تُحصر قط في نار ألتان، لكن هذا... هذا كان ألماً قديماً ومألوفاً، فظيعاً ولذيذًا في آن واحد.

قاومت لتجد صوتها:

— "لا. لا، لا أريد هذا —"

اشتدت يدا ألتان على خصرها.

قال ضاغطاً أقرب:

— "بل أردتِ. كان مكتوباً على وجهك كله. في كل مرة."

— "لا تلمسني."

ضغطت بيديها على صدره وحاولت دفعه بعيداً، بلا جدوى.

قال ألتان:

— "لا تتظاهري أنكِ لا تريدين هذا. أنتِ تحتاجينني."

لم تستطع التنفس.

— "لا، أنا لا..."

— "ألا تفعلين؟"

جلب يده لخدها. انكمشت للخلف، لكن أصابعه الحارقة استقرت بحزم على جلدها. تحركت يداه لأسفل عنقها. توقف إبهاماه حيث التقت عظام ترقوتها، مكان راحة مألوف. ضغط. انطلق نار عبر حلقها.

– "عودي."

قطع صوت «سورقان سيرا» عقلها كسكين، مانحاً إياها ثوانٍ لذيذة وباردة من الصفاء.

– "تذكري نفسكِ. اخضعي له وستخسرين."

تشنجت رين على الأرض.

أنت:

– "لا أريد هذا. لا أريد رؤية هذا – أريد الخروج –"

قالت «سورقان سيرا»:

– "إنه السم. التعرق يضخمه، يجلبه لدرجة الغليان. يجب أن تطهري نفسكِ، وإلا سيقتلكِ الختم."

انتحبت رين.

– "فقط اجعليه يتوقف."

– "لا أستطيع. يجب أن يسوء قبل أن يتحسن." أمسكت «سورقان سيرا» يدها وضغطتها. "تذكري، هو موجود فقط في عقلك. يملك فقط القوة التي تمنحينها له. هل يمكنكِ فعل هذا؟"

أومأت رين وأمسكَت بذراع «سورقان سيرا». لم تستطع إيجاد النفس لقول الكلمات *أعيديني*، لكن «سورقان سيرا» أومأت. رمت مغرفة أخرى من الماء على الصخور.

تضاعفت الحرارة في الخيمة. اختنقت رين؛ تقوس ظهرها، وتلاشى العالم المادي، وعاد الألم. كانت أصابع ألتان حول عنقها مرة أخرى، تعصر، تخنقها.

انحنى لأسفل. لامست شفتاه شفتيها.

– "هل تعرفين ما أريدكِ أن تفعليه؟"

هزت رأسها، تلهث.

أمر:

– "اقتلي نفسكِ."

– "ماذا؟"

كرر:
— "أريدكِ أن تقتلي نفسك. أصلحي الأمور. كان يجب أن تموتي على ذلك الرصيف. وكانَ يجب أن أعيشَ أنا."

هل كان ذلك صحيحاً؟

لا بد أنه كان صحيحاً، إن كان قد تلكأ طويلاً في عقلها الباطن. ولم تستطع الكذب على نفسها؛ كانت تعرف، عرفت دائماً أنه لو عاش ألتان ولو ماتت هي لكانت الأمور قد سارت بشكل مختلف جداً. لكان أراتشا لا يزال حياً، ولم تكن «السيك» لتتفكك، وما كانوا ليخسروا أمام فايلين، وربما لم يكن الأسطول الجمهوري في شظايا في قاع بحيرة بويانغ.

قالها جينزا أولاً. *كان يجب أن نحاول إنقاذ الآخر.*

تابع ألتان بلا هوادة:
— "أنتِ السبب في موتي. أصلحي هذا. اقتلي نفسكِ."

ابتلعت ريقها.
— "لا."
— "لمَ لا؟" اشتدت أصابعه حول عنقها. "أنتِ لستِ مفيدة بشكل خاص لأي شخص وأنتِ حية."

رفعت يديها ليديه.
— "لأنني انتهيت من تلقي الأوامر منك."

كان نتاج عقلها الخاص. كان يملك فقط القوة التي تعطيه إياها.

انتزعت أصابعه عن عنقها. واحدة تلو الأخرى، ابتعدت. كانت حرة تقريباً. ضغط أقوى لكنها ركلت، وأصابته في قصبة ساقه، وفي اللحظة التي أفلتها تدافعَت للخلف بعيداً عنه وهبطت في قرفصاء منخفضة، مستعدة للضرب.

سخر:
— "حقاً؟ ستقاتلينني؟"
— "لن أستسلم لك بعد الآن."

كرر وكأنها كلمة سخيفة للغاية:

— "«استسلام»؟ هل هكذا فكرتِ بالأمر؟ أوه، رين، لم يكن الأمر أبداً حول ذلك. لم أرد استسلاماً منكِ. كان علي إدارتكِ. السيطرة عليكِ. أنتِ غبية لدرجة اللعنة، كان يجب إخبارك بما تفعلينه."

قالت:

— "أنا لست غبية."

— "بلى، أنتِ كذلك." ابتسم، متعالياً ووسيماً ومكروهاً في آن واحد. "أنتِ لا شيء. أنتِ عديمة الفائدة. مقارنة بي أنتِ—"

قاطعته:

— "أنا لا شيء على الإطلاق. كنت قائدة فظيعة. لم أستطع العمل دون أفيون. ما زلت لا أستطيع استدعاء النار. يمكنك إخباري بكل ما أكرهه في نفسي، لكنني أعرف بالفعل. لا يمكنك قول أي شيء لإيذائي أكثر."

— "أوه، أشك في ذلك." فجأة كان رمحه الثلاثي في يده، يدور وهو يتقدم. "كيف يبدو هذا، إذن؟ لقد أردتني ميتاً."

جفلت.

— "لا. لم أفعل قط."

— "لقد كرهتني. كنتِ خائفة مني، لم تطيقي صبراً للتخلص مني. اعترفي بذلك، عندما متُّ ضحكتِ."

قالت:

— "لا، بكيت. بكيت لأيام، حتى لم أعد أستطيع التنفس، ثم حاولت التوقف عن التنفس، لكن في كل مرة، أعادني إنكي للحياة، وحينها كرهت نفسي لأنك قلت إنه يجب علي الاستمرار في العيش، وكرهت العيش لأنك أنت من قال إنه يجب علي—"

سأل بهدوء:

— "لماذا تندبينني؟ بالكاد عرفتني."

قالت:

— "أنت محق. أحببت فكرة عنك. كنت مفتونة بك. أردت أن أكون أنت. لكنني لم أعرفك حينها، ولن أعرف أبداً حقاً ما كنت عليه. لقد انتهيت من التساؤل الآن يا ألتان. أنا مستعدة لقتلك."

تجسد الرمح الثلاثي في يديها.

كان لديها سلاح الآن. لم تكن عزلاء ضده. لم تكن عزلاء قط. هي فقط لم تفكر في البحث.

انتقلت عينا ألتان للشوكات.

— "لن تجرؤي."

قالت بهدوء:

— "أنت لست حقيقياً. إنه ميت، ولا يمكنني إيذاؤه بعد الآن."

قال:

— "انظري إلي. انظري لعيني. قولي لي إنني لست حقيقياً."

اندفعت. صد ضربتها. فكت تشابك شوكاتهما وتقدمت مرة أخرى.

رفع صوته.

— "انظري إلي."

قالت بنعومة:

— "أنا أفعل. أنا أرى كل شيء."

تعثر.

طعنته عبر الصدر.

جحظت عيناه، لكن بخلاف ذلك لم يتحرك. سال خيط بطيء من الدم من جانب فمه. أزهرت دائرة حمراء على صدره.

لم تكن ضربة قاتلة. طعنته أسفل عظمة القص مباشرة. أخطأت قلبه. في النهاية قد ينزف حتى الموت، لكنها لم ترده أن يرحل بعد. احتاجته حياً وواعياً.

كانت لا تزال بحاجة للغفران.

حدق ألتان لأسفل في الشوكات الخارجة من صدره.

— "هل تودين قتلي؟"

سحبت رمحها. سال الدم أسرع على زيه.

— "لقد فعلتها من قبل."

سأل:

— "لكن هل يمكنك فعلها الآن؟ هل يمكنك إنهائي؟ إذا قتلتني هنا يا رين، سأرحل."

— "لا أريد ذلك."

— "إذن لا تزالين تحتاجينني."

— "ليس بالطريقة التي كنت عليها."

لقد أدركت، أدركت أخيراً، أن مطاردة إرث ألتان ترينغسين لن تمنحها أي حقيقة. لم تستطع نسخه في عقلها، مهما عذبت نفسها بمراجعة الذكريات. يمكنها فقط وراثة ألمه.

وما الذي كان هناك لنسخه؟ من كان ألتان، حقاً؟

فتى خائف من «سبير» أراد فقط العودة للمنزل، فتى محطم تعلم أنه لا يوجد منزل ليعود إليه، وجندي بقي حياً فقط نكاية في كل من ظن أنه يجب أن يكون ميتاً. قائد بلا غاية، بلا شيء ليقاتل لأجله، ولا شيء ليكترث لأجله سوى حرق العالم.

لم يكن ألتان بطلاً. كان ذلك واضحاً جداً لها الآن، واضحاً بشكل مذهل لدرجة أنها شعرت وكأنها غُمرت في ماء مثلج، غُطست وولدت من جديد.

لم تكن تدين له بذنبها.

لم تكن تدين له بأي شيء.

قالت، لأنها كان يجب أن تكون صادقة:

— "ما زلت أحبك."

قال:

— "أعرف. أنتِ حمقاء لذلك." خطا للأمام، ومد يده ليدها، وشبك أصابعه في أصابعها. "قبليني. أعرف أنكِ أردتِ ذلك."

لمست بأصابعه الملطخة بالدم خدها. أغلقت عينيها، للحظة فقط، وفكرت فيما كان يمكن أن يكون.

قال:

— "أحببتكِ أيضاً. هل تصدقين ذلك؟"

قالت:

— "لا، لا أصدق."

وضغطت رمحها الثلاثي في صدره مرة أخرى.

انزلق بسلاسة بلا مقاومة. لم تعرف رين ما إذا كان ذلك لأن رؤية ألتان كانت تتلاشى بالفعل، غير مادية، أم أن ألتان داخل مساحة الحلم هذه كان يساعدها عمداً، مغرقاً الشوكات الثلاث بدقة في تلك المساحة في قفصه الصدري التي تقع فوق قلبه مباشرة.

عندما تنفست رين مرة أخرى كان إحساساً جديداً ومخيفاً، آلياً ومربكاً جداً في آن واحد. *هل كان هذا جسدها، هذا الوعاء الفاني والأخرق؟* إصبعاً تلو الآخر تعلمت الأعمال الداخلية لجسدها مرة أخرى. تعلمت الطريقة التي يتحرك بها الهواء عبر رئتيها. تعلمت سماع صوت قلبها يضخ بداخلها.

رأت ضوءاً حولها وفوقها، دائرة زرقاء مثالية. استغرق الأمر منها لحظة لتدرك أنه سقف الخيمة، مسحوباً ليفتح للسماح للبخار بالهروب.

قالت «سورقان سيرا»:

— "لا تتحركي."

وضعت «سورقان سيرا» يداً فوق صدر رين، وقبضت أصابعها، وبدأت في الترتيل. حفرت أظافر حادة في جلد رين.

صرخت رين.

لم ينتهِ الأمر. شعرت بإحساس سحب فظيع، وكأن «سورقان سيرا» قد لفت أصابعها حول قلب رين وانتزعته من قفصها الصدري.

نظرت لأسفل. أصابع «سورقان سيرا» لم تشق الجلد. الشد جاء من شيء بالداخل؛ شيء حاد ومسنن بداخلها، شيء لم يرد الإفلات.

نما ترتيل «سورقان سيرا» أعلى. شعرت رين بضغط هائل، عظيم لدرجة أنها كانت متأكدة أن رئتيها تنفجران. نما ونما — ثم استسلم شيء ما. اختفى الضغط.

للحظة كان كل ما استطاعت فعله هو الاستلقاء مسطحة والتنفس، وعيناها مثبتتان على الدائرة الزرقاء بالأعلى.

— "انظري."

فتحت «سورقان سيرا» كفها تجاه رين. بالداخل كانت كتلة من الدم بحجم قبضتها، مبقعة بالسواد ومتعفنة. كانت رائحتها نتنة.

انكمشت رين غريزياً للخلف.

— "هل هذا...؟"

— "سم داجي."

صنعت «سورقان سيرا» قبضة فوق الكتلة وعصرت. نز دم أسود عبر الشقوق بين أصابعها وقطر على الصخور المتوهجة. حدقت «سورقان سيرا» بفضول في أصابعها الملطخة، ثم نفضت القطرات القليلة الأخيرة على الصخور، حيث هسهست بصوت عالٍ واختفت.

— "لقد ذهب الآن. أنتِ حرة."

حدقت رين في الصخور الملطخة، عاجزة عن الكلام.

— "أنا لا..."

اختنقت قبل أن تتمكن من الإنهاء. ثم حدث الأمر دفعة واحدة. اهتز جسدها بالكامل، تعصف به لوعة لم تكن تعرف حتى أنها موجودة هناك. دفنت رأسها بين يديها، تنتحب بشكل غير مفهوم، وأصابعها سميكة بالدموع والمخاط.

قالت «سورقان سيرا» بهدوء:

— "لا بأس بالبكاء. أنا أعرف ما رأيتِه."

اختنقت رين:

— "إذن تباً لكِ. تباً لكِ."

تعالى صدرها وهبط. ترنحت للأمام وتقيأت فوق الأحجار. اهتزت ركبتاها، ونبض كاحلها، وانهارت على نفسها، ووجهها على بعد بوصات من قيئها، وعيناها مغلقتان بشدة لوقف طوفان الدموع.

ضرب قلبها بقوة ضد قفصها الصدري. حاولت التركيز على نبضها، عادة دقات قلبها مع كل ثانية تمر لتهدأ.

لقد رحل.

إنه ميت.

لا يمكنه إيذائي بعد الآن.

مدت يدها لغضبها، الغضب الذي خدم دائماً كدرعها، ولم تستطع إيجاده. أحرقتها عواطفها من الداخل للخارج؛ خمدت ألسنة اللهب الهائجة لأنه لم يبقَ لديها شيء لتستهلكه. شعرت بأنها مستنزفة، مجوفة وفارغة. الأشياء الوحيدة التي بقيت كانت الإرهاق ووجع الفقدان الجاف في حلقها.

تمتمت «سورقان سيرا»:

— "مسموح لكِ بالشعور."

نشقت رين ومسحت أنفها بكمها.

— "لكن لا تشعري بالسوء لأجله. لم يكن ذلك هو أبداً. الرجل الذي تعرفينه ذهب لمكان سيكون فيه في سلام. الحياة والموت، هما متساويان لهذا الكون. ندخل العالم المادي ونرحل مرة أخرى، متجسدين في شيء أفضل. ذلك الصبي كان بائساً. أنتِ تركتِه يرحل."

نعم، عرفت رين؛ في المجرد عرفت هذه الحقيقة، أنهم بالنسبة للكون غير ذي صلة جوهرياً، أنهم جاؤوا من غبار وعادوا لغبار ورماد.

وكان ينبغي أن تجد العزاء في ذلك، لكن في تلك اللحظة لم ترد أن تكون مؤقتة وغير مادية؛ أرادت أن تكون محفوظة للأبد في العالم المادي في لحظة مع

ألتان، وجبهاهما مضغوطتين معاً، وعيونهما تلتقي، وأذرعهما تتلامس وتتشابك، تحاول الاندماج في المادية الخالصة للآخر.

أرادت أن تكون حية وفانية ومؤقتة أبدياً معه، وكان ذلك سبب بكائها.

همست:

— "لا أريده أن يرحل."

قالت «سورقان سيرا»:

— "موتا لا يتركوننا. سيطاردونكِ ما دمتِ تسمحين لهم. ذلك الصبي مرض في عقلك. انسيه."

— "لا أستطيع." ضغطت وجهها بين يديها. "كان عبقرياً. كان مختلفاً. لم تكوني لتقابلي أحداً مثله قط."

بدت «سورقان سيرا» حزينة جداً.

— "ستذهلين. ليس لديكِ فكرة كم من الرجال يشبهون ألتان ترينغسين."

***

— "رين! يا إلهي."

كان كيتاي بجانبها في اللحظة التي خرجت فيها من الخيمة. عرفت، استطاعت القول من التعبير على وجهه، أنه كان ينتظر بالخارج، صاكاً أسنانه في قلق، لساعات.

أخبرته «سورقان سيرا»:

— "أسندها."

أدخل ذراعاً حول خصرها ليحمل الوزن عن كاحلها.

— "أنتِ بخير؟"

أومأت. عرجا معاً للأمام.

ألح:

— "هل أنتِ متأكدة؟"

تمتمت:

— "أنا أفضل. أظن أنني أفضل مما كنت عليه منذ وقت طويل."

وقفت لدقيقة، مستندة على كتفه، تستمتع ببساطة في الهواء البارد. لم تعرف قط أن الهواء نفسه يمكن أن يكون طعمه أو ملمسه حلواً هكذا. إحساس الريح ضد وجهها كان منعشاً ولذيذًا، أكثر إنعاشاً من مياه المطر الباردة.

قال كيتاي:

— "رين."

فتحت عينيها.

— "ماذا؟"

كان يحدق بشكل واضح في صدرها.

عبثت رين في مقدمتها، تتساءل عما إذا كانت ملابسها قد احترقت بطريقة ما في الحرارة. لم تكن لتلاحظ إن فعلت. إحساس امتلاك جسد مادي كان لا يزال جديداً جداً عليها لدرجة أنها قد تكون تمشي عارية أيضاً.

سألت بذهول:

— "ما الأمر؟"

لم تقل «سورقان سيرا» شيئاً.

قال كيتاي، وبدا صوته مخنوقاً بشكل غريب:

— "انظري لأسفل."

نظرت لأسفل.

قالت بضعف:

— "أوه."

بصمة يد سوداء كانت محروقة في جلدها كوسم أسفل عظمة القص مباشرة.

استدار كيتاي نحو «سورقان سيرا».

— "ماذا فعلتِ —"

قالت رين:

— "لم تكن هي."

هذه العلامة كانت عمل ألتان وإرثه.

ذلك الوغد.

كان كيتاي يراقبها بعناية.

— "هل أنتِ بخير مع هذا؟"

قالت:

— "لا."

وضعت يدها فوق صدرها، ووضعت أصابعها داخل حدود أصابع ألتان.

كانت يده أكبر بكثير من يدها.

تركت يدها تسقط.

— "لكن هذا لا يهم."

— "رين..."

قالت بصوت مرتجف:

— "إنه ميت. إنه ميت، لقد رحل، هل تفهم؟ لقد رحل، ولن يلمسني مرة أخرى أبداً."

قال كيتاي:

— "أعرف. لن يفعل."

قالت «سورقان سيرا» فجأة:

— "استدعي اللهب."

كانت تقف بهدوء، تراقب تبادلهما، لكن صوتها الآن حمل إلحاحاً غريباً.

— "افعليها الآن."

قال كيتاي:

— "انتظري. إنها ضعيفة، إنها منهكة —"

أصرت «سورقان سيرا»:

— "يجب أن تفعلها الآن." بدت خائفة بشكل غريب، وأرعب ذلك رين. "يجب أن أعرف."

بدأ كيتاي:

– "كوني عقلانية –"

لكن رين هزت رأسها.

– "لا. إنها محقة. تراجع للخلف."

أفلت ذراعها وتراجع عدة خطوات للوراء.

أغلقت عينيها، وزفرت، وتركت عقلها يغرق في حالة النشوة. المكان الذي يلتقي فيه الغضب بالقوة. ولأول مرة منذ أشهر سمحت لنفسها بالأمل في أن تشعر باللهب مرة أخرى، أمل أصبح بعيد المنال كالطيران.

كان توليد الغضب أسهل بشكل لا نهائي الآن. استطاعت نهب ذكرياتها الخاصة بحرية. لم يعد هناك أجزاء من عقلها لم تجرؤ على وخزها، والتي كانت لا تزال تنزف كجروح مفتوحة.

عبرت مساراً مألوفاً خلال الفراغ حتى رأت العنقاء وكأنها عبر ضباب؛ سمعتها كصدى، وشعرت بها كذكرى لمسة.

تحسست غضبها، وسحبت.

لم تأتِ النار.

شيء ما نبض.

ومضات من الضوء حرقت خلف جفنيها.

بقي الختم، محروقاً في عقلها، لا يزال موجوداً. تردد صدى شبح ضحكة ألتان في أذنيها.

أمسكت رين اللهب في راحة يدها للحظة فقط، كافية فقط لإغاظتها وتركها تلهث للمزيد، ثم اختفى.

لم يكن هناك ألم هذه المرة، ولا تهديد فوري بأن تُمتص في رؤية وتفقد عقلها للخيال، لكن مع ذلك، هوت رين على ركبتيها وصرخت.

الفصل الثالث والعشرون

قالت سورقان سيرا:

– "ثمة طريقة أخرى."

ردت رين بحدة:

– "اخرسي."

كانت قريبة جداً. كادت تستعيد النار، ذاقت طعمها، وفجأة انتُزعت من قبضتها. رغبت في صبّ جام غضبها على أي شيء، لكنها لم تدرِ على من أو على ماذا، وشعرت تحت وطأة الضغط الهائل أنها توشك على الانفجار.

قالت:

– "قلتِ إنكِ أصلحتِ الأمر."

أجابت سورقان سيرا:

– "لقد تم إبطال الختم. لم يعد بإمكانه إفسادك، لكن السمّ توغل عميقًا، وما زال يحجب وصولك إلى عالم الأرواح..."

– "تبًا لكل ما تعرفينه."

حذرها كيتاي:

– "رين، لا تفعلي."

تجاهلته. كانت تعلم أن هذا ليس خطأ سورقان سيرا، لكنها أرادت أن تؤذي، أن تجرح.

تابعت هجومها:

– "شعبك لا يعرف شيئًا. لا عجب أن «الثلاثي» أبادكم، ولا عجب أنكم خسرتم أمام ثلاثة مراهقين..."

فجأة، ضربت صرخة مدوية عقلها. سقطت على ركبتيها، لكن الضجيج استمر في التردد، يعلو ويعلو حتى تجسد كلماتٍ هزت عظامها.

أتجرئين على توبيخي؟

لاحت سورقان سيرا فوق رين كعملاق، منتصبة كالجبل بينما تضاءل كل شيء آخر في المكان.

أنا أم الكيتربيد. أحكم شمال باغرا، حيث العقارب ممتلئة بالسم، وحيث ديدان الرمل ذات الأفواه الفاغرة ترقد في الرمال الحمراء مستعدة لابتلاع الجمال كاملة. لقد روضتُ أرضًا خُلقت لتُفني البشر حتى يصيروا عظامًا مصقولة. إياكِ والتفكير في تحدّيي.

لم تستطع رين الكلام من شدة الألم. اشتدت الصرخة لعدة ثوانٍ من العذاب قبل أن تنحسر أخيرًا. انقلبت على ظهرها وراحت تشهق الهواءً في أنفاس متقطعة وثقيلة.

ساعدها كيتاي على الجلوس وقال:

— "لهذا السبب نلتزم التهذيب مع حلفائنا."

قالت سورقان سيرا:

— "أنا بانتظار اعتذارك."

تمتمت رين:

— "أنا آسفة. أنا فقط... ظننت أنني استعدتها."

كانت قد خدرت نفسها بعد خسارتها أثناء الحملة العسكرية. لم تدرك مدى يأسها ورغبتها في استعادة النار إلا عندما لمستها مرة أخرى، ولو للحظة، وعاد كل شيء متدفقًا؛ النشوة، الاشتعال، والقوة الهادرة الصرفة.

قالت سورقان سيرا:

— "لا تفترضي أن كل شيء قد ضاع. لن تصلي إلى «العنقاء» بمفردك أبدًا ما لم تُزل داجي الختم، وهذا ما لن تفعله أبدًا."

قالت رين:

– "إذن انتهى الأمر."

– "لا. ليس إذا نادى روحٌ أخرى العنقاءَ من أجلك. روحٌ مرتبطة بروحك."

نظرت سورقان سيرا بتمعن نحو كيتاي.

رمش كيتاي بعينيه، مرتبكًا.

قالت رين فورًا:

– "لا. أنا لا... لا يهمني ما يمكنك فعله، لا..."

قاطعها كيتاي:

– "دعيها تتكلم."

– "لا، أنت لا تفهم المخاطرة..."

قالت سورقان سيرا:

– "بلى، إنه يفهم."

صرخت رين:

– "لكنه لا يعرف شيئًا عن الآلهة!"

– "لا يعرف الآن. لكن بمجرد أن تصبحا توأمين، سيعرف كل شيء."

كرر كيتاي:

– "توأمين؟"

سألت سورقان سيرا:

– "هل تفهم طبيعة الرابطة بين تشاغان وقارا؟"

هز كيتاي رأسه نفيًا.

قالت رين بجمود:

– "إنهما مرتبطان روحيًا. اجرحه، وستشعر هي بالألم. اقتله، وستموت هي."

عبر الرعب وجه كيتاي. حاول إخفاءه، لكنها رأته.

شرحت سورقان سيرا:

— "رابطة المرساة تصل بين روحيكما عبر المستوى الروحي النفسي. لا يزال بإمكانك استدعاء العنقاء إذا فعلتِ ذلك من خلال الفتى. سيكون هو قناتك. القوة الإلهية ستتدفق مباشرة عبره وإليك."

سأل كيتاي:

— "هل سأتحول إلى شامان؟"

— "لا. ستقرض عقلك لشامان فقط. هي من ستنادي الإله من خلالك."

أمالت سورقان سيرا رأسها، تتفحصهما معًا، ثم سألت:

— "أنتما صديقان مقربان، أليس كذلك؟"

قال كيتاي:

— "نعم."

— "جيد. المرساة تعمل بشكل أفضل على روحين تألفان بعضهما بالفعل. تكون أقوى. وأكثر استقرارًا. هل يمكنك تحمل القليل من الألم؟"

قال كيتاي مجددًا:

— "نعم."

— "إذن يجب أن نجرى طقوس الربط في أقرب وقت ممكن."

قالت رين:

— "مستحيل."

قال كيتاي بحزم:

— "سأفعل ذلك. فقط أخبريني كيف."

— "لا، لن أدعك..."

— "أنا لا أطلب إذنك يا رين. ليس لدينا خيار آخر."

— "لكن قد تموت!"

أطلق ضحكة ساخرة وقال:

— "نحن جنود. نحن دائمًا على وشك الموت."

حدقت فيه رين بذهول. كيف يمكنه أن يبدو مستهترًا هكذا؟ ألم يفهم حجم المخاطرة؟

نجا كيتاي من سينغارد. وغولين نيس. وبويانغ. لقد عانى ما يكفي من الألم لمدى الحياة. لن تضعه في هذا الموقف أيضًا. لن تغفر لنفسها أبدًا.

قالت:

— "ليس لديك أي فكرة عما يعنيه هذا. لم تتحدث أبدًا مع الآلهة، أنت..."

هز رأسه مقاطعًا:

— "لا، لا يحق لكِ التحدث هكذا. لا يحق لكِ إبعاد هذا العالم عني، وكأنني غبي جدًا أو ضعيف جدًا لمواجهته..."

— "أنا لا أعتقد أنك ضعيف."

— "إذن لماذا..."

— "لأنك لا تعرف شيئًا عن هذا العالم، ولا يجب أن تعرف أبدًا."

لم تبالِ إن عذبتها العنقاء، لكن كيتاي... كيتاي كان نقيًا. كان أفضل شخص عرفته على الإطلاق. لا ينبغي لكيتاي أن يعرف كيف يشعر المرء عند استدعاء إله الانتقام. كان كيتاي آخر شيء في العالم لا يزال طيبًا وصالحًا بجوهره، وكانت تفضل الموت على أن تفسد ذلك.

أضافت:

— "ليس لديك أي فكرة عن الشعور. الآلهة ستحطمك."

سأل كيتاي:

— "هل تريدين استعادة النار؟"

— "ماذا؟"

— "هل تريدين النار؟ إذا تمكنتِ من استدعاء العنقاء مرة أخرى، هل ستستخدمينها لتساعدينا علي كسب هذه الحرب؟"

قالت:

— "نعم. أريد ذلك أكثر من أي شيء. لكن لا أستطيع أن أطلب منك فعل هذا لأجلي."

– "إذن ليس عليك أن تطلبي."

التفت إلى سورقان سيرا وقال:

– "اربطينا. فقط أخبريني بما علي فعله."

كانت سورقان سيرا تنظر إلى كيتاي بتعبير يرقى تقريبًا إلى الاحترام. ارتسمت ابتسامة رفيعة على وجهها وقالت:

– "كما تشاء."

***

قال تشاغان:

– "الأمر ليس سيئًا للغاية. تتناول فطر الغاريقون، وتذبح الأضحية، ثم تربطكما سورقان سيرا، وتصبح أرواحكما متصلة إلى الأبد. لا تحتاج لفعل الكثير سوى الوجود، حقًا."

سأل كيتاي:

– "لماذا أضحية حية؟"

أجابت قارا:

– "لأن هناك قوة في الروح التي تتحرر من العالم المادي. ستستخدم سورقان سيرا تلك القوة لصياغة رابطتكما."

تم تجنيد تشاغان وقارا لتجهيز رين وكيتاي للطقوس، وهو ما تضمن عملية مضنية لرسم سطر من الرموز على طول ذراعيهما العاريتين، تمتد من الكتفين حتى أطراف الأصابع الوسطى. كان يجب كتابة الرموز في نفس الوقت بدقة متناهية، بحيث تكون كل ضربة فرشاة متزامنة مع نظيرتها.

عمل التوأم بتنسيق مذهل، وهو أمر كانت رين لتقدره أكثر لو لم تكن منزعجة للغاية.

قال تشاغان:

– "توقفي عن الحركة. أنت تجعلين الحبر يسيل."

صاحت به:

– "إذن اكتب أسرع."

قال كيتاي بود:

— "سيكون ذلك لطيفًا. أحتاج للتبول."

غمس تشاغان فرشاته في المحبرة ونفض القطرات الزائدة.

— "أفسدي رمزًا آخر وسنضطر للبدء من جديد."

تذمرت رين:

— "ستحب ذلك، أليس كذلك؟ لماذا لا تأخذ ساعة أخرى؟ مع قليل من الحظ ستنتهي الحرب قبل أن تنتهي أنت!"

خفض تشاغان فرشاته وقال:

— "لم يكن لدينا خيار في هذا. أنتِ تعلمين ذلك."

قالت:

— "أعرف أنك سافل صغير."

— "ليس لديك خيار آخر."

— "تبًا لك."

كان تبادلًا تافهًا للشتائم، ولم يجعل رين تشعر بالتحسن الذي توقعته. بل أرهقها فقط. لأن تشاغان كان محقًا — كان على التوأم الانصياع لسورقان سيرا وإلا لقتلا بالتأكيد، وحتى لو رفضا، لم يكن لدى رين مخرج آخر.

قالت قارا بلطف:

— "سيكون كل شيء على ما يرام. المرساة تجعلكِ أقوى. وأكثر استقرارًا."

سخرت رين:

— "كيف؟ يبدو الأمر مجرد طريقة جيدة لخسارة جنديين مقابل كل جندي واحد."

— "لأنها تجعلكِ منيعة أمام الآلهة. في كل مرة تستدعينهم، تكونين مثل فانوس ينجرف مبتعداً عن جسدك. إذا انجرفتِ بعيدًا جدًا، تتجذر الآلهة في شكلك المادي. وهنا تفقدين عقلك."

سأل كيتاي:

— "هل هذا ما حدث لـ فايلين؟"

أجابت قارا:

— "نعم. ذهب بعيدًا جدًا، وتاه، فزرع الإله نفسه بداخله."

قال كيتاي:

— "مثير للاهتمام. وهل تمنع المرساة ذلك تمامًا؟"

بدا صوته متحمسًا للغاية بشأن الإجراء. شرب كلمات التوأم بتعبير جائع، مفهرسًا كل شظية معلومة جديدة في ذاكرته الهائلة. كادت رين ترى التروس تدور في عقله.

أخافها ذلك. لم تكن تريده مسحورًا بهذا العالم. أرادته أن يهرب بعيدًا جدًا.

قال تشاغان:

— "الأمر ليس مثاليًا، لكنه يجعل فقدان عقلك أصعب بكثير. لا تستطيع الآلهة اقتلاعك بوجود مرساة. يمكنك الانجراف بقدر ما تريدين في عالم الأرواح، وسيكون لديك دائمًا طريق للعودة."

قال كيتاي:

— "تقصد أنني سأمنع رين من الجنون."

رد تشاغان:

— "إنها مجنونة بالفعل."

قال كيتاي:

— "وجهة نظر."

عمل التوأم في صمت لفترة طويلة. جلست رين مستقيمة الظهر، مغمضة العينين، تتنفس بانتظام وهي تشعر بطرف الفرشاة المبلل يتحرك على بشرتها العارية.

ماذا لو جعلتها المرساة أقوى حقًا؟ لم تستطع منع نفسها من الشعور برعشة أمل عند التفكير في ذلك. كيف سيكون استدعاء العنقاء دون الخوف من

فقدان عقلها لصالح الغضب؟ قد تستدعي النار متى شاءت، وللمدة التي تشاؤها. قد تسيطر عليها كما فعل ألتان.

لكن هل يستحق الأمر؟ بدت التضحية هائلة — ليس فقط بالنسبة لكيتاي، بل لها أيضًا. ربط حياتها بحياته سيكون عبئًا مرعبًا لا يمكن التنبؤ به. لن تكون آمنة أبدًا ما لم يكن كيتاي آمنًا أيضًا.

إلا إذا استطاعت حمايته. إلا إذا استطاعت ضمان ألا يتعرض كيتاي للخطر أبدًا.

أخيرًا وضع تشاغان فرشاته وقال:

— "انتهيتما."

تمطت رين وفحصت ذراعيها. كانت كتابة سوداء لولبية تغطي بشرتها، مكونة من كلمات تشبه لغة يمكنها فهمها تقريبًا.

— "هذا كل شيء؟"

— "ليس بعد."

ناولهم تشاغان حفنة من الفطر ذي القبعات الحمراء.

— "كُلا هذا."

وكز كيتاي فطرًا بإصبعه وسأل:

— "ما هذا؟"

— "فطر الغاريقون. يمكنك العثور عليه قرب أشجار البتولا والتنوب."

— "وما فائدته؟"

أجابت قارا:

— "لفتح الشق بين العوالم."

بدا كيتاي مرتبكًا.

قالت رين:

— "قولي له ما فائدته الحقيقية."

ابتسمت قارا:

— "ليجعلك منتشيًا للغاية. أكثر أناقة بكثير من بذور الخشخاش. وأسرع أيضًا."

قلب كيتاي الفطر في يده وقال:

— "يبدو سامًا."

قال تشاغان:

— "إنها مهلوسات. كلها سامة. الفكرة كلها هي إيصالك مباشرة إلى عتبة العالم الآخر."

وضعت رين الفطر في فمها ومضغته. كان قاسيًا وعديم الطعم، واضطرت لتحريك أسنانها لعدة دقائق قبل أن يصبح طريًا بما يكفي لبلعه. انتابها شعور مزعج بأنها تمضغ كتلة من اللحم في كل مرة تقطع أسنانها القطع الليفية.

ناول تشاغان كيتاي كوبًا خشبيًا وقال:

— "إذا كنت لا ترغب في أكل الفطر يمكنك شرب الغاريقون بدلًا من ذلك."

شمه كيتاي، أخذ رشفة، ثم كاد يتقيأ.

— "ما هذا؟"

قال تشاغان بمرح:

— "بول حصان. نحن نطعم الفطر للخيول، وأنت تحصل على العقار بعد مروره. ينزل في الحلق أسهل."

تمتم كيتاي:

— "شعبكم مقزز."

أمسك أنفه، وأفرغ محتويات الكوب في حلقه دفعة واحدة، وكبت غثيانه.

ابتلعت رين بصعوبة. اندفعت كتل الفطر الجافة بألم أسفل حلقها.

سألت:

— "ماذا يحدث لك عندما تموت مرساتك؟"

قال تشاغان:

– "تموتين. أرواحكما مرتبطة، مما يعني أنها تغادر هذه الأرض معًا. أحدهما يسحب الآخر."

قالت قارا:

– "هذا ليس صحيحًا تمامًا. إنه خيار. يمكنكما اختيار مغادرة هذه الأرض معًا. أو يمكنكما كسر الرابطة."

سألت رين:

– "يمكننا ذلك؟ كيف؟"

تبادلت قارا نظرة مع تشاغان وقالت:

– "بكلمتكما الأخيرة. إذا كان كلا الشريكين راغبًا."

عبس كيتاي:

– "لا أفهم. لماذا يعتبر هذا عبئًا إذن؟"

– "لأنه بمجرد حصولك على مرساة، يصبح جزءًا من روحك. وجودك ذاته. يعرف أفكارك. يشعر بما تشعر به. إنه الشخص الوحيد الذي يفهمك تمامًا وبشكل كامل. الغالبية يفضلون الموت على التخلي عن ذلك."

أضاف تشاغان:

– "كما يجب أن تكونا في نفس المكان عندما يموت أحدكما. ومعظم الناس ليسوا كذلك."

قالت رين:

– "لكن يمكن كسرها."

قال تشاغان:

– "يمكن ذلك. رغم أنني أشك أن سورقان سيرا ستعلمكما الكيفية."

بالطبع لا. عرفت رين أن سورقان سيرا سترغب في الاحتفاظ بكيتاي كتأمين – ليس فقط لضمان استمرار عمل سلاحها ضد داجي، ولكن كصمام أمان في حال قررت يومًا ما التخلص من رين.

سألت:

– "هل كان لدى ألتان مرساة؟"

كان ألتان يمتلك قدرًا مخيفًا من السيطرة بالنسبة لسبيري.

— "لا. السبيريون لم يعرفوا كيفية فعل ذلك. ألتان كان... أيًا كان ما يفعله ألتان، فقد كان غير بشري. قرب النهاية، كان يحافظ على عقله بقوة الإرادة المحضة." ابتلع تشاغان ريقه وتابع: "عرضت عليه مرات عديدة. وكان يرفض دائمًا."

قالت رين:

— "لكن لديك بالفعل مرساة. هل يمكنك الحصول على أكثر من واحدة؟"

— "ليس في نفس الوقت. الرابطة الزوجية هي الأمثل. الرابطة الثلاثية غير مستقرة للغاية، لأن عدم القدرة على التنبؤ في التبادل يعني أن أي انشقاق من طرف يؤثر على الطرفين الآخرين بطرق لا يمكن الحماية منها."

ضغط كيتاي:

— "لكن؟"

— "لكن يمكنها أيضًا تضخيم قدراتك. تجعلك أقوى مما يحق لأي شامان أن يكون."

أدركت رين فجأة:

— "مثل الثلاثي. إنهم مرتبطون ببعضهم البعض. لهذا السبب هم أقوياء للغاية."

بدا الأمر منطقيًا جدًا الآن — لماذا لم تقتل داجي جيانغ إذا كانا عدوين. إنها لن تفعل. لا تستطيع، دون أن تقتل نفسها.

جلست بانتفاضة:

— "إذن هذا يعني..."

قال تشاغان:

— "نعم. طالما أن داجي حية، فإن الإمبراطور التنين وحارس البوابة كلاهما لا يزالان على قيد الحياة. من الممكن أن رابطتهم قد حُلت، لكنني أشك في

ذلك. قوة داجي مستقرة جداً. الاثنان الآخران موجودان في مكان ما. لكن تخميني هو أنهما ليسوا بحال جيدة، لأن بقية البلاد تظن أنهم أموات."

ستدمرون بعضكم البعض. واحد سيموت، وواحد سيحكم، وواحد سينام للأبد.

نطق كيتاي بالسؤال الذي يدور في ذهن رين:

– "إذن ماذا حدث لهم؟ لماذا اختفوا؟"

هز تشاغان كتفيه.

– "عليك سؤال الاثنين الآخرين. هل انتهيت من الشرب؟"

أفرغ كيتاي الكوب وتجهم.

– "آعع. نعم."

– "جيد. الآن كُل الفطر."

رمش كيتاي:

– "ماذا؟"

قال تشاغان:

– "لا يوجد غاريقون في ذلك الكوب."

قالت رين:

– "يا لك من سافل."

قال كيتاي:

– "لا أفهم."

منحه تشاغان ابتسامة رفيعة.

– "أردت فقط أن أرى ما إذا كنت ستشرب بول حصان."

***

انتظرت سورقان سيرا في الخارج أمام نار هادرة. بدت النيران حية بالنسبة لرين؛ كانت ألسنتها تقفز عاليًا جداً، وتمتد بعيداً جداً، كأيادٍ صغيرة تحاول سحبها إلى داخل اللهب. إذا تركت نظراتها تطول، كان الدخان، الذي تحول

للون الأرجواني بفعل مساحيق سورقان سيرا، يبدأ في اتخاذ وجوه الموتى. المعلم إيرجا. أراتشا. النقيب سالخي. ألتان.

سألت سورقان سيرا:

— "هل أنتما مستعدان؟"

رمشت رين لتبعد الوجوه.

ركعت مقابل كيتاي على التراب المتجمد. رغم البرد، سُمح لهما بارتداء سراويل وقمصان داخلية فقط تكشف أذرعهما العارية. لمعت الرموز المكتوبة بالحبر والتي تتساقط على بشرتهما في ضوء النار.

كانت مرعوبة. بينما لم يبدُ عليه الخوف مطلقًا.

قال بصوت ثابت:

— "أنا مستعد."

رددت خلفه:

— "مستعدة."

كان بينهما سكينان مسننان طويلان وأضحية.

لم تعرف رين كيف تمكن الكيتربيد من اصطياد غزال بالغ، ضخم وبصحة جيدة، دون أي جروح ظاهرة، في غضون ساعات قليلة. كانت قوائمه مربوطة بإحكام. شكت رين في أن الحيوان قد تم تخديره، لأنه رقد ساكنًا تمامًا على التراب، وعيناه نصف مفتوحتين كأنه استسلم لمصيره.

بدأ مفعول الغاريقون في الظهور. بدا كل شيء ساطعًا بشكل مرعب. عندما تتحرك الأشياء في مجال رؤيتها، كانت تترك وراءها ذيولًا كخطوط الطلاء التي تشرار وتدور قبل أن تتلاشى.

ركزت بصعوبة على عنق الغزال.

كان عليها وعلى كيتاي إجراء جرحين، واحد على كل جانب من الحيوان، بحيث لا يتحمل أي منهما المسؤولية الكاملة عن موته. بمفرده، سيكون كل

جرح غير كافٍ للقتل. قد يزحف الغزال بعيداً، ويغطي الجرح بالطين وينجو بطريقة ما. لكن الجروح على كلا الجانبين تعني موتًا محققًا.

التقطت رين سكينها عن الأرض وقبضت عليه بإحكام.

قالت سورقان سيرا:

— "ردا ورائي."

ثم نطق بكلمات متدفقة بلغة الكيتربيد. بدت المقاطع الأجنبية ثقيلة وغير متقنة في فم رين. عرفت معناها فقط لأن التوأم شرحاها لها.

سنحيا كواحد. سنقاتل كواحد.

وسنقتل كواحد.

قالت سورقان سيرا:

— "الأضحية."

هويا بسكينيهما.

وجدت رين الأمر أصعب مما توقعت. ليس لأنها غير معتادة على القتل — قطع اللحم كان سهلاً عليها الآن كالتنفس. بل كان الفراء هو الذي أبدى مقاومة. صرت على أسنانها ودفعت بقوة أكبر. غاصت السكين في جانب الغزال.

قوّس الغزال عنقه وصرخ.

لم تدخل سكين رين بعمق كافٍ. كان عليها توسيع الجرح. اهتزت يداها بجنون؛ وكان المقبض مرتخيًا بين أصابعها.

لكن كيتاي سحب سكينه عبر جانب الغزال بضربة واحدة نظيفة وثابتة.

تجمعت الدماء، سريعة وداكنة، حول ركبتيهما. توقف الغزال عن التلوي. سقط رأسه على الأرض.

من خلال ضباب الغاريقون، رأت رين اللحظة التي غادرت فيها حياة الغزال جسده — هالة ذهبية متلألئة مكثت فوق الجثة كنسخة أثيرية من شكلها المادي قبل أن تنجرف لأعلى كالدخان. رفعت رأسها، تراقبها وهي تطفو أعلى فأعلى نحو السماوات.

قالت سورقان سيرا:

— "اتبعيها."

فعلت. بدا الأمر بسيطًا جدًا. تحت تأثير الغاريقون كانت روحها أخف من الهواء نفسه. صعد عقلها، وأصبح جسدها المادي ذكرى بعيدة، وطارت صعودًا إلى الفراغ الواسع والمظلم الذي هو الكون.

وجدت نفسها تقف على محيط دائرة عظيمة، نُقش محيطها برموز سداسية متوهجة (هيكساغرام) — رموز تهجّت معًا طبيعة الكون، الآلهة الأربعة والستون التي شكلت كل ما كان وكل ما سيكون.

مالت الدائرة وتحولت إلى بركة، تسبح بداخلها سمكتي شبوط ضخمتين، إحداهما بيضاء والأخرى سوداء، وعلى جانب كل منهما نقطة كبيرة من اللون المعاكس. انجرفتا بكسل، تطارد كل منهما الأخرى في دائرة أبدية بطيئة الحركة.

رأت كيتاي على الجانب الآخر من الدائرة. كان عاريًا. لم يكن عريًا جسديًا؛ كان مكونًا من النور أكثر مما هو من الجسد — لكن كل فكرة، كل ذكرى، وكل شعور راوده يومًا كان يشع نحوها. لم يكن شيء مخفيًا.

كانت هي عارية بالمثل أمامه. كل أسرارها، وانعدام أمانها، وذنبها، وغضبها، كلها كُشفت. رأى أكثر رغباتها قسوة ووحشية. رأى أجزاءً منها لم تفهمها هي نفسها. الجزء الذي كان مرعوبًا من البقاء وحيدًا ومرعوبًا من أن يكون الأخير. الجزء الذي أدرك أنه يحب الألم، يعشقه، ولا يجد الخلاص إلا في الألم.

وكان بإمكانها رؤيته. رأت الطريقة التي تُخزّن بها المفاهيم في عقله، مستودعات عظيمة من المعرفة مرتبطة ببعضها لتُستدعى في لحظة. رأت القلق الذي يصاحب كونه الشخص الوحيد الذي يعرفه بهذا الذكاء. رأت كم كان خائفًا، محاصرًا ومعزولًا في عقله الخاص، يشاهد عالمه ينهار من حوله بسبب لا عقلانيات لم يستطع إصلاحها.

وفهمت حزنه. الأسى؛ فقدان الأب، ولكن أكثر من ذلك — فقدان إمبراطورية، فقدان الولاء، والواجب، ومعنى وجوده الوحيد...

ورأت غضبه.

كيف استغرقها الأمر كل هذا الوقت لتفهم؟ لم تكن الوحيدة التي يحركها الغضب. لكن بينما كان غضبها متفجرًا، فوريًا ومدمرًا، كان غضب كيتاي يحترق بتصميم صامت؛ يتقيح ويتعفن ويمكث، وقد أذهلتها قوة كراهيته.

نحن متشابهان.

أراد كيتاي الانتقام والدم. تحت تلك القشرة الهشة من السيطرة كانت تكمن صرخة غضب مستمرة نبعت من الحيرة وتوجت برغبة ساحقة في التدمير، فقط ليتمكن من هدم العالم وإعادة بنائه بطريقة تبدو منطقية.

توهجت الدائرة بينهما. بدأت سمكة الشبوط السوداء والسمكة البيضاء في الدوران أسرع فأسرع حتى أصبح الظلام والنور غير متمايزين؛ ليس رماديًا، وليس منصهرًا في بعضه البعض، ومع ذلك هما الكيان نفسه — وجهان لنفس العملة، مكملان ضروريان يوازنان بعضهما البعض كما كان البانثيون (مجمع الآلهة) متوازنًا.

دارت الدائرة ودارا معها — أسرع فأسرع، حتى تشوشت الرموز السداسية وانصهرت في طوق متوهج. للحظة ضاعت رين في التقاء الأشياء — أصبح الأعلى أسفلاً، واليمين يسارًا، وتحطمت جميع الفوارق...

ثم شعرت بالقوة، وكانت رائعة.

شعرت كما لو أن شيرو حقن أوردتها بالهيروين. كان نفس الاندفاع، نفس طوفان الطاقة المدوخ. لكن هذه المرة لم تنجرف روحها أبعد فأبعد عن العالم المادي. هذه المرة كانت تعرف مكان جسدها، ويمكنها العودة إليه في ثوانٍ إذا أرادت. كانت في منتصف الطريق بين عالم الروح والعالم المادي. يمكنها إدراك كليهما، والتأثير في كليهما.

لم تصعد لملاقاة إلهها؛ بل سُحب إلهها لأسفل بداخلها. شعرت بالعنقاء من حولها، الغضب والنار، دافئًا بلذة لدرجة دغدغتها وهو يسري فوقها.

كانت مسرورة لدرجة أنها أرادت الضحك.

لكن كيتاي كان يئن. كان يئن لبعض الوقت الآن، لكنها كانت مسحورة بالقوة لدرجة أنها لم تلاحظ تقريبًا.

تداخلت سورقان سيرا بحدة في نشوة رين:

— "الأمر لا ينجح. توقفي، أنتِ تطغين عليه."

فتحت رين عينيها ورأت كيتاي متكورًا على نفسه، ينتحب على الأرض. أرجع رأسه للخلف وأطلق صرخة طويلة وحادة.

تشوش بصرها وتحول. في لحظة كانت تنظر إلى كيتاي، وفي اللحظة التالية لم تستطع رؤيته على الإطلاق. كل ما رأته كان النار، مساحات شاسعة من النار لا يملك أحد السيطرة عليها سواها...

هسهست سورقان سيرا:

— "أنت تمحينه. اسحبي نفسك."

لكن لماذا؟ لم تشعر بهذا الشعور الجيد من قبل. لم ترغب أبدًا في توقف هذا الإحساس.

غرزت أصابع سورقان سيرا في كتفها:

— "أنتِ ستقتلينه. وحينها لن ينقذكِ شيء."

بشكل خَافت، فهمت رين. كانت تؤذي كيتاي، كان عليها التوقف، ولكن كيف؟ كانت النار مغرية للغاية، اختزلت عقلها المنطقي إلى مجرد همسة. سمعت ضحك العنقاء يتردد حول عقلها، ينمو أعلى وأقوى مع كل لحظة تمر.

شهق كيتاي:

— "رين. أرجوكِ."

أعادها ذلك إلى الواقع.

كان إمساكها بالعالم المادي يتلاشى. وقبل أن يختفي تمامًا، خطفت سكينها وطعنت ساقها.

انفجرت بقع بيضاء في رؤيتها. طارد الألم النار بعيدًا، واستحث وضوحًا صارخًا ليعود إلى عقلها. صمتت العنقاء. وسكن الفراغ.

رأت كيتاي عبر المستوى الروحي — راكعًا، لكنه حي، وحاضر، وكامل.

***

فتحت عينيها على التراب. ببطء سحبت نفسها لوضعية الجلوس، ومسحت التربة عن جانب وجهها. رأت كيتاي ينظر حوله بذهول، يرمش كأنه يرى العالم لأول مرة.

مدت يدها ليده وسألت:

— "هل أنت بخير؟"

أخذ نفسًا عميقًا ومرتعشًا.

— "أنا... أنا بخير، أظن ذلك، أنا فقط... أمهليني لحظة."

لم تستطع منع نفسها من الضحك.

— "مرحبًا بك في عالمي."

— "أشعر وكأنني أعيش في حلم."

فحص ظهر يده، وقلبها في ضوء الشمس المتلاشي كأنه لا يثق في دليل جسده الخاص.

— "أفترض... أنني رأيت الدليل المادي لآلهتك. كنت أعرف أن هذه القوة موجودة. لكن كل ما أعرفه عن العالم..."

قالت بنعومة:

— "العالم الذي عرفته لم يعد موجودًا."

— "واضح."

قبضت يدا كيتاي على التراب والعشب كأنه خائف من أن تختفي الأرض تحت أطراف أصابعه.

قالت سورقان سيرا:

— "جربيها."

لم تضطر رين لسؤالها عما تعنيه.

وقفت على ساقين مرتعشتين واستدارت لتواجه الجهة المعاكسة لكيتاي. فتحت كفيها. شعرت بالنار داخل صدرها، حضور دافئ ينتظر التدفق في اللحظة التي تستدعيه فيها.

استدعتها للأمام. ظهر لهب دافئ في يديها — شيء صغير، أليف، وهادئ.

توترت، منتظرة السحب، الرغبة في استخلاص المزيد والمزيد. لكنها لم تشعر بشيء. كانت العنقاء لا تزال هناك. علمت أنها تصرخ من أجلها. لكنها لم تستطع العبور. لقد بُني جدار في عقلها، هيكل نفسي صد الإله وكتم صوته ليصبح مجرد همسة خافتة.

تبًا لكِ، قالت العنقاء، لكن حتى الآن بدت مستمتعة. تبًا لكِ، أيتها السبيرية الصغيرة.

صرخت ببهجة. لم تتعافَ فحسب، بل روضت إلهًا. رابطة المرساة قد حررتها.

راقبت، وهي ترتجف، النار تتراكم على كفيها. نادتها لترتفع أعلى. جعلتها تقفز عبر الهواء في أقواس مثل الأسماك التي تقفز من المحيط. كان بإمكانها قيادتها تمامًا كما كان ألتان قادرًا. لا. كانت أفضل مما كان عليه ألتان يومًا، لأنها كانت واعية، ومستقرة، وحرة.

اختفى الخوف من الجنون، لكن القوة المستحيلة لم تختفِ. بقيت القوة، بئر عميقة يمكنها الغرف منها متى اختارت.

والآن بات بإمكانها الاختيار.

رأت كيتاي يراقبها. كانت عيناه واسعتين، وتعبيره مزيجًا متساويًا من الخوف والرهبة.

سألته:

— "هل أنت بخير؟ هل يمكنك الشعور بها؟"

لم يُجب. لمس صدغه بيده، وكانت نظرته مثبتة بقوة على النيران لدرجة أنها رأت انعكاسها ساطعًا في عينيه، وضحك.

***

في تلك الليلة أطعمهم الكيتربيد مرق عظام — ساخنًا للغاية، برائحة المسك، ولاذعًا، ومالحًا في آن واحد. التهمته رين بأسرع ما يمكن. سلق حلقها، لكنها لم تبالِ. كانت تقتات على السمك المجفف وحساء الأرز لفترة طويلة لدرجة أنها نسيت كم يمكن للطعام الحقيقي أن يكون لذيذًا.

ناولتها قارا كوبًا.

— "اشربي المزيد من الماء. أنتِ تصابين بالجفاف."

— "شكرًا."

كانت رين لا تزال تتعرق رغم حلول البرد ليلاً. تكورت قطرات صغيرة على بشرتها، مبللة ملابسها تمامًا.

عبر النار، كان كيتاي وتشاغان منخرطين في نقاش حاد، والذي تضمن، حسب ما استطاعت رين فهمه، الطبيعة الميتافيزيقية للكون. رسم تشاغان مخططات في التراب بعصا بينما راقب كيتاي، مومئًا بحماس.

التفتت رين إلى قارا وسألت:

— "هل يمكنني أن أسألك شيئًا؟"

قالت قارا:

— "بالطبع."

رمت رين كيتاي بنظرة. لم يكن يعيرها أي انتباه. لقد انتزع العصا من تشاغان وكان يخربش معادلة رياضية معقدة للغاية أسفل المخططات.

خفضت رين صوتها:

— "منذ متى وأنت وأخوك مرتبطان؟"

أجابت قارا:

— "طوال حياتنا. كنا بعمر عشرة أيام عندما أجرينا الطقوس. لا أستطيع تذكر الحياة بدونه."

— "والرابطة كانت دائمًا... كانت دائمًا متساوية؟ أحدهكما لا يقلل من شأن الآخر؟"

رفعت قارا حاجبًا.

– "هل تظنين أنه تم التقليل من شأني؟"
– "لا أعرف. تبدين دائمًا... منزوية."

تلاشى صوت رين. لم تدرِ كيف تصوغ الأمر. كانت قارا دائمًا لغزًا بالنسبة لها. كانت القمر لشمس أخيها. تشاغان كان شخصية مسيطرة للغاية. أحب الأضواء، وأحب أن يلقي المحاضرات على كل من حوله بأكثر الطرق تعالياً. لكن قارا فضلت دائمًا الظلال والصحبة الصامتة لطيورها. لم تسمعها رين أبدًا تعبر عن رأي لم يكن رأي أخيها.

قالت قارا:

– "تعتقدين أن تشاغان يسيطر علي."

احمر وجه رين.

– "لا، أنا فقط..."

– "أنتِ قلقة من أنك ستطغين على كيتاي. تعتقدين أن غضبك سيصبح أكثر مما يحتمله وأنه سيصبح مجرد ظل لكِ. تظنين أن هذا ما حدث لنا."

قالت رين:

– "أنا خائفة. كدت أقتله. وإذا كان ذلك – ذلك عدم التوازن، أو أيًا كان، يمثل خطرًا، فأنا أريد أن أعرف. لا أريد تجريده من قدرته على تحدّيي."

أومأت قارا ببطء. جلست بصمت لفترة طويلة، عابسة.

أخيرًا قالت:

– "أخي لا يسيطر علي. على الأقل، ليس بطريقة يمكنني إدراكها. لكنني لم أتحداه قط."

– "إذن كيف..."

– "إرادتنا متحدة منذ كنا أطفالًا. نرغب في نفس الأشياء. عندما يتحدث، فهو يعبر عن أفكارنا معًا. نحن نصفان لنفس الشخص. إذا بدوتُ منطوية بالنسبة لكِ، فذلك لأن وجود تشاغان في العالم الفاني يحررني لأسكن بين عالم

الأرواح. أفضل أرواح الحيوانات على البشر، الذين لم يكن لدي الكثير لأقوله لهم. هذا لا يعني أنه تم التقليل من شأني."

قالت رين:

— "لكن كيتاي ليس مثلك. إرادتنا ليست متوائمة. إن كان هناك شيء، فنحن نختلف في أغلب الأحيان. ولا أريد أن... أمحوه."

لان تعبير قارا وسألت:

— "هل تحبينه؟"

قالت رين فورًا:

— "نعم. أكثر من أي شخص آخر في العالم."

— "إذن لا داعي للقلق. إذا كنتِ تحبينه، فيمكنك الوثوق بنفسك لحمايته."

أملت رين أن يكون ذلك صحيحًا.

قال كيتاي:

— "هاي. ما المثير للاهتمام هناك؟"

قالت رين:

— "لا شيء. مجرد نميمة. هل فككت شفرة طبيعة الكون؟"

رمى كيتاي عصاه على التراب.

— "ليس بعد. لكن أمهليني عامًا أو اثنين. أنا أقترب."

وقفت قارا وقالت:

— "تعالوا. يجب أن ننام قليلًا."

في وقت ما خلال النهار، بنى الكيتربيد عدة خيام "يورت" أخرى، متجمعة معًا في دائرة. الخيمة المخصصة لرين ورفاقها كانت في المركز تمامًا. كانت الرسالة واضحة. ما زالوا تحت مراقبة الكيتربيد حتى تقرر سورقان سيرا إطلاق سراحهم.

بدت خيمة اليورت ضيقة جدًا لأربعة أشخاص. تكورت رين على جانبها، وركبتاها مسحوبتان إلى صدرها، رغم أن كل ما أرادته هو أن تتمدد، وتترك

أطرافها حرة. شعرت بالاختناق. أرادت هواءً طلقًا — رمالاً مفتوحة، ومياه واسعة. أخذت نفسًا عميقًا، محاولة درء الذعر نفسه الذي تسلل إليها أثناء التعرق.

سألت قارا:

— "ما الأمر؟"

— "أعتقد أنني أفضل النوم في الخارج."

— "ستتجمدين في الخارج. لا تكوني غبية."

رفعت رين نفسها على جانبها وقالت:

— "تبدين مرتاحة."

ابتسمت قارا:

— "خيام اليورت تذكرني بالوطن."

سألت رين:

— "منذ متى وأنت لم تعودي؟"

فكرت قارا للحظة.

— "أرسلونا للجنوب عندما بلغنا الحادية عشرة. لذا فقد مر عقد من الزمن الآن."

— "هل تتمنين العودة للوطن أبدًا؟"

قالت قارا:

— "أحيانًا. لكن لا يوجد الكثير في الوطن. ليس لنا، على أية حال. من الأفضل أن تكون أجنبيًا في الإمبراطورية على أن تكون «نايماد» في السهوب."

افترضت رين أن هذا أمر متوقع عندما تكون قبيلة المرء مسؤولة عن تدريب حفنة من القتلة الخونة.

سألتها:

— "إذن — ماذا، لا أحد يتحدث إليكما في الوطن؟"

قال تشاغان بجمود:

– "في الوطن نحن عبيد. الكيتريبد ما زالوا يلومون والدتنا على «الثلاثي». لن يقبلونا أبدًا مرة أخرى في الحظيرة. سندفع كفارة ذلك للأبد."

ملأ صمت غير مريح المساحة بينهم. كان لدى رين المزيد من الأسئلة، لكنها لم تدرِ كيف تسألها.

لو كانت في مزاج مختلف، لصرخت في وجه التوأم بسبب خداعهما. لقد كانا جاسوسين طوال هذه السنوات، يراقبان «السيك» ليحددا ما إذا كانوا سيحافظون على استقرارهم أم لا. وما إذا قاموا بعمل جيد بما يكفي في إعدام أفرادهم، وحبس الأكثر جنونًا بينهم في «تشولو كوريك».

ماذا لو قرر التوأم أن السيك قد أصبحوا خطرين للغاية؟ هل كانوا سيقتلونهم ببساطة؟ بالتأكيد شعر الكيتريبد أن لديهم الحق. لقد نظروا باستعلاء إلى شامان نيكارا بنفس الغطرسة المتعجرفة التي لدى الهيسبيريين، وكرهت رين ذلك.

لكنها أمسكت لسانها. عانى تشاغان وقارا بما يكفي.

وهي، إن كان هناك أحد، تعرف معنى أن تكون منبوذًا في بلدك.

وضع كيتاي كفيه على الجدران؛ امتدت ذراعاه المفرودتان عبر ثلث قطر الكوخ.

– "خيام اليورت هذه. هل كلها صغيرة هكذا؟"

قالت قارا:

– "نحن نبنيها أصغر حتى في السهوب. أنت من الجنوب؛ لم ترَ رياحًا حقيقية من قبل."

قال كيتاي:

– "أنا من سينغارد."

– "هذا ليس الشمال الحقيقي. كل شيء أسفل الكثبان الرملية يُحسب جنوبًا بالنسبة لنا. في السهوب، يمكن للرياح الليلية أن تمزق اللحم عن وجهك إن لم تجمدك حتى الموت أولاً. نحن نبقى في خيام اليورت لأن السهوب ستقتلك خلاف ذلك."

لم يكن لدى أحد رد على ذلك. هبط هدوء مسالم على الخيمة. غط كيتاي والتوأم في النوم خلال لحظات؛ استطاعت رين معرفة ذلك من صوت تنفسهم الثابت والمنتظم.

ظلت مستيقظة وضمت رمحها الثلاثي (الترايدنت) بالقرب من صدرها، تحدق في السقف المفتوح فوقها، تلك الدائرة المثالية التي كشفت سماء الليل. شعرت وكأنها قارض صغير يحفر جحره، محاولاً التظاهر بأنه إذا رقد منخفضًا بما يكفي، فإن العالم في الخارج لن يزعجه.

ربما بقي الكيتربيد في خيامهم للاختباء من الرياح. أو ربما، فكرت، مع نجوم بهذا السطوع، إذا آمنت بأن الكون يقع فوقك، فعليك بناء خيمة يورت لتوفر شعورًا مؤقتًا بالمادية. وإلا، وتحت وطأة الألوهية الدوارة، قد تشعر أنه لا أهمية لك على الإطلاق.

الفصل الرابع والعشرون

افترشت الأرضَ طبقةٌ جديدةٌ من الثلج بينما كانوا نيامًا، فجعلت الشمس أكثر سطوعًا، والهواء أشد لسعًا. خرجت رين تعرج من الخيمة، ومطت عضلاتها المتألمة وهي تغمض عينيها جزئيًا اتقاءً للضوء القاسي.

كان الكيتريد يتناولون طعامهم في نوبات؛ يجلس ستة فرسان حول النار يلتهمون طعامهم، بينما يقف الآخرون للحراسة عند المحيط الخارجي.

قالت سورقان سيرا وهي تغرف وعاءين من الحساء المتصاعد بخاره وتناولهما لـ رين وكيتاي:

– "كُلا حتى الشبع. أمامكما رحلة شاقة. سنجهز لكما حقيبة من اللحم المجفف وبعض حليب الياك، لكن تناولا الآن قدر ما تستطيعان."

أخذت رين الوعاء المقدم إليها. كانت رائحة الحساء شهية للغاية.

انكمشت على الأرض والتصقت بـ كيتاي طلبًا للدفء، فتلامست مراقهما وعظامهما البارزة. بدت تفاصيل صغيرة فيه تبرز بوضوح صارخ؛ لم تلاحظ من قبل قط كم كانت أصابعه طويلة ونحيلة، أو كيف كانت تفوح منه دائمًا رائحة خفيفة من الحبر والغبار، أو كيف يتجعد شعره الخشن عند الأطراف بتلك الطريقة المحددة.

عرفته منذ أكثر من أربع سنوات الآن، لكن في كل مرة تنظر إليه، كانت تكتشف شيئًا جديدًا.

سأل كيتاي سورقان سيرا:

– "إذن هذا كل شيء؟ ستتركينا نذهب؟ دون قيد أو شرط؟"

أجابت:

– "لقد استوفيتما الشروط. ليس لدينا سبب لإيذائكما الآن."

سألت رين:

— "إذن ما أنا بالنسبة لكِ؟ حيوان أليف بمقود طويل؟"

— "أنتِ رهاني. ذئبة مدربة أُطلق سراحها."

قالت رين:

— "لقتل عدو لا تستطيعين مواجهته."

ابتسمت سورقان سيرا كاشفة عن أسنانها.

— "كوني ممتنة لأننا ما زلنا نجد لكِ نفعًا."

لم يعجب رين تعبيرها.

— "ماذا يحدث إذا نجحت، ولم يعد لكِ حاجة بي؟"

— "حينها سنترك لكما حياتكما كعربون لامتناننا."

— "وماذا يحدث إذا قررتِ أنني أشكل تهديداً مرة أخرى؟"

أومأت سورقان سيرا نحو كيتاي.

— "حينها سنعثر عليكما مجددًا. وهذه المرة، ستكون حياته هو على المحك."

لم تشك رين للحظة في أن سورقان سيرا قد تضع سهمًا في قلب كيتاي دون تردد.

قالت:

— "أنتِ لا تزالين لا تثقين بي. إنكِ تلعبين معنا لعبة طويلة الأمد، ورابطة المرساة كانت بوليصة تأمينك."

تنهدت سورقان سيرا.

— "أنا خائفة يا بنيتي. ومن حقي أن أكون كذلك. في المرة الأخيرة التي علمنا فيها شامان نيكارا كيفية ربط أنفسهم، انقلبوا علينا."

— "لكنني لست مثلهم."

— "أنتِ تشبهينهم أكثر مما ينبغي. لديكِ العيون ذاتها. غاضبة. يائسة. لقد رأيتِ الكثير. وتكرهين بشدة. أولئك الثلاثة كانوا أصغر منكِ سنًا عندما جاءوا

إلينا، أكثر خجلًا وخوفًا، ومع ذلك ذبحوا الآلاف من الأبرياء. أنتِ أكبر مما كانوا عليه، وقد فعلتِ ما هو أسوأ بكثير."

قالت رين:

— "الأمر ليس سيان. الاتحاد..."

قاطعتها سورقان سيرا:

— "استحق ذلك؟ كل فرد منهم؟ حتى النساء؟ والأطفال؟"

تورد وجه رين.

— "لكنني لست... لم أفعل ذلك لأنني أحببته. لست مثلهم."

لست مثل تلك الرؤية لـ جيانغ الأصغر، الذي ضحك وهو يقتل، وبدا وكأنه يبتهج لكونه غارقًا في الدماء. لست مثل داجي.

قالت سورقان سيرا:

— "هذا ما ظنوه عن أنفسهم أيضًا. لكن الآلهة أفسدتهم، تمامًا كما ستفسدك. الآلهة تجسد أسوأ غرائزك وأكثرها وحشية. تظنين أنكِ مسيطرة، لكن عقلك يتآكل في كل ثانية. استدعاء الآلهة هو مقامرة بالجنون."

— "إنه أفضل من عدم فعل شيء."

أدركت رين أنها تسير على خيط رفيع، وأنه يجدر بها إبقاء فمها مغلقًا، لكن محاضرات الكيتريبد المستمرة عن السمو الأخلاقي والسلام أثارت غضبها.

— "أفضل أن أجن على أن أختبئ خلف صحراء باغرا وأتظاهر بأن الفظائع لا تحدث بينما كان بإمكاني فعل شيء حيالها."

ضحكت سورقان سيرا بخفوت.

— "أتظنين أننا لم نفعل شيئًا؟ أهذا ما علموكِ إياه؟"

— "أعلم أن الملايين ماتوا خلال حربي الخشخاش الأوليين. وأعلم أن شعبك لم يعبر إلى الجنوب قط لإيقاف ذلك."

سألت سورقان سيرا:

— "كم من الناس تظنين أن حرب فايسرا قد قتلت؟"

قالت رين:

— "أقل ممن كانوا سيموتون لولاها."

لم تجب سورقان سيرا. تركت الصمت يمتد ويمتد حتى بدأت إجابة رين تبدو سخيفة.

نقرت رين طعامها، وقد فقدت شهيتها.

سأل كيتاي:

— "ماذا ستفعلين بالأجانب؟"

كانت رين قد نسيت أمر الهيسبيريين حتى سأل كيتاي. جالت ببصرها في المعسكر لكنها لم تستطع رؤيتهم. ثم لمحت خيمة أكبر قليلًا عند حافة الفسحة، يحرسها بيكتر وفرسانه بكثافة.

هزت سورقان سيرا كتفيها.

— "ربما نقتلهم. إنهم رجال دين، ولا يأتي أي خير من الدين الهيسبيري."

سأل كيتاي:

— "لماذا تقولين ذلك؟"

— "لأنهم يؤمنون بإله واحد كلي القدرة، مما يعني أنهم لا يستطيعون قبول حقيقة الآلهة الأخرى. وعندما تبدأ الأمم في الاعتقاد بأن المعتقدات الأخرى تؤدي إلى الهلاك، يصبح العنف حتميًا."

أمالت سورقان سيرا رأسها.

— "ما رأيكما؟ هل نطلق النار عليهم؟ هذا أرحم من تركهم يموتون من العوامل الجوية."

قالت رين بسرعة:

— "لا تقتليهم."

كان تاركيت يشعرها بعدم الارتياح، والأخت بترا تجعلها ترغب في اختراق الجدار بقبضتها، لكن أوغوس لم يبدُ لها يومًا سوى ساذج وحسن النية.

— "أولئك الأطفال مبشرون، ليسوا جنودًا. إنهم غير مؤذين."

قالت سورقان سيرا:

— "تلك الأسلحة ليست غير مؤذية."

قال كيتاي:

— "لا. إنها أسرع وأكثر فتكًا من الأقواس المستعرضة، وتكون أشد فتكًا في الأيدي غير الخبيرة. أنا لن أعيد إليهم أسلحتهم."

— "المرور الآمن للعودة سيكون صعبًا إذن. لا يمكننا توفير سوى جواد واحد لكما أنتما الاثنين. سيتعين عليهم السير عبر أراضي العدو."

سألت رين:

— "هل ستعطينهم مؤنًا لصنع طوافات؟"

عبست سورقان سيرا، تفكر.

— "هل يمكنهم إيجاد طريق عودتهم عبر الأنهار؟"

ترددت رين. إيثارها كان له حدود. لم ترد رؤية أوغوس ميتًا، لكنها لم تكن بصدد تضييع الوقت في رعاية أطفال ما كان ينبغي لهم المجيء أصلاً.

التفتت إلى كيتاي.

— "إذا تمكنوا من الوصول إلى موروي الغربي، فسيكونون بخير، أليس كذلك؟"

هز كتفيه.

— "تقريبًا. الروافد تصبح خادعة. قد يضلون الطريق. وقد ينتهي بهم الأمر في خوردالاين."

يمكنها قبول تلك المخاطرة. كان ذلك كافيًا لإراحة ضميرها. إذا لم يكن أوغوس ورفاقه أذكياء بما يكفي للعودة إلى أرلونغ، فهذا خطؤهم. كان أوغوس لطيفًا معها مرة. وقد ضمنت ألا يضع الكيتريبد سهمًا في رأسه. هي لا تدين له بأكثر من ذلك.

***

كان تشاغان وحيداً عندما وجدته رين، جالسًا عند حافة النهر وركبتاه مضمومتان إلى صدره.

سألته:

— "ألا يظنون أنك قد تهرب؟"

منحها ابتسامة ساخرة.

— "أنتِ تعلمين أنني لا أركض بسرعة كبيرة."

جلست بجانبه.

— "إذن ماذا سيحدث لك الآن؟"

كان وجهه غير مقروء.

— "لم تعد سورقان سيرا تثق بنا لمراقبة «السيك». إنها تعيدنا إلى الشمال."

— "وماذا سيحدث لك هناك؟"

اهتزت حنجرته.

— "هذا يعتمد."

علمت أنه لا يريد شفقتها، لذا لم تثقله بها. أخذت نفسًا عميقًا وقالت:

— "أردت أن أقول شكرًا."

— "على ماذا؟"

— "لقد كفلتني."

— "كنت أنقذ جلدي فقط."

— "بالطبع."

اعترف قائلاً:

— "كنت آمل أيضًا ألا تموتي، نوعًا ما."

— "شكرًا لك على ذلك."

مر صمت محرج بينهما. رأت عيني تشاغان تختلسان النظر إليها عدة مرات، كأنه يجادل نفسه فيما إذا كان سيطرح الموضوع التالي أم لا.

قالت أخيرًا:

— "قلها."

— "هل تريدين مني ذلك حقًا؟"

— "نعم، إذا كنت ستبقى بهذا الحرج وإلا فلا."

قال:

— "حسنًا. داخل الختم، ما رأيتِه..."

قالت فورًا:

— "كان ألتان. ألتان، حيًا. هذا ما رأيته. كان حيًا."

زفر تشاغان.

— "إذن لقد قتلتِه؟"

— "أعطيته ما أراد."

— "فهمت."

أضافت:

— "رأيته سعيدًا أيضًا. كان مختلفًا. لم يكن يعاني. لم يعانِ قط. كان سعيدًا. هكذا سأتذكره."

لم يقل تشاغان شيئًا لفترة طويلة. علمت أنه يحاول ألا يبكي أمامها؛ استطاعت رؤية الدموع تتجمع في عينيه.

سألت:

— "هل هذا حقيقي؟ في عالم آخر، هل ذلك حقيقي؟ أم أن الختم كان يريني فقط ما أردت رؤيته؟"

قال تشاغان:

— "لا أعرف. عالمنا حلم للآلهة. ربما لديهم أحلام أخرى. لكن كل ما نملكه هو هذه القصة التي تتكشف، وفي سيناريو هذا العالم، لا شيء سيعيد ألتان للحياة."

مالت رين للخلف.

— "ظننت أنني أعرف كيف يعمل هذا العالم. كيف يعمل الكون. لكنني لا أعرف شيئًا."

قال تشاغان، ولم يحاول حتى إخفاء غطرسته:

— "معظم النيكاريين لا يعرفون."

سخرت رين:

— "وأنت تعرف؟"

— "نحن نعرف ما يشكل طبيعة الواقع. لقد فهمنا ذلك لسنوات. لكن شعبك حمقى يائسون وهشون. لا يعرفون ما هو الحقيقي وما هو الزائف، لذا يتشبثون بحقائقهم الصغيرة، لأن ذلك أفضل من تخيل أن عالمهم قد لا يكون مهمًا لتلك الدرجة في نهاية المطاف."

بدأ الأمر يتضح لها الآن، لماذا قد ينظر "سكان المناطق النائية" لأنفسهم كحراس للكون. من غيرهم فهم طبيعة الكون كما فعلوا؟ من اقترب حتى؟

ربما كان جيانغ يعرف، منذ زمن طويل عندما كان عقله لا يزال ملكه. لكن الرجل الذي عرفته كان محطمًا، والأسرار التي علمها إياها كانت مجرد شظايا من الحقيقة.

تمتمت:

— "ظننت ما تفعلونه غطرسة. لكنه لطف. سكان المناطق النائية يحافظون على الوهم حتى تتمكنوا من ترك الجميع يعيشون في الكذبة."

قال تشاغان بحدة:

— "لا تطلقي علينا هذا الاسم. سكان المناطق النائية ليس اسمًا. الإمبراطورية فقط هي من تستخدم هذه الكلمة، لأنكم تفترضون أن كل من يعيش في السهوب هو نفسه. «النايماد» ليسوا «كيترييد». نادونا بأسمائنا."

— "أنا آسفة."

عقدت ذراعيها أمام صدرها، ترتجف من الرياح القارسة.

— "هل يمكنني سؤالك شيئًا آخر؟"

— "ستسألينني بغض النظر."

— "لماذا تكرهني لهذا الحد؟"

قال تلقائيًا:

— "أنا لا أكرهكِ."

– "بدا الأمر كذلك بالتأكيد. بدا كذلك لفترة طويلة، حتى قبل موت ألتان."

أخيرًا استدار ليواجهها.

– "لا أستطيع النظر إليكِ ولا أراه."

علمت أنه سيقول ذلك. علمت، ومع ذلك كان الأمر مؤلمًا.

– "ظننت أنني لن أستطيع الارتقاء لمستواه. وهذا... هذا عادل، لم أستطع أبدًا. و... وإذا كنت تغار، لسبب ما، فأنا أفهم ذلك أيضًا، لكن يجب أن تعرف فقط أن..."

– "لم أكن أغار وحسب. كنت غاضبًا. من كلينا. كنت أشاهدكِ ترتكبين نفس أخطاء ألتان، ولم أعرف كيف أوقف ذلك. رأيت ألتان مشوشًا وغاضبًا طوال تلك السنوات، ورأيته يسير في الطريق الذي اختاره كطفل أعمى، وظننت أن نفس الشيء تمامًا يحدث لكِ."

– "لكنني أعرف ما أفعله. لست عمياء مثله..."

– "بلى، أنتِ كذلك، أنتِ لا تدركين الأمر حتى. لقد عومل نوعك كعبيد لفترة طويلة لدرجة أنكم نسيتم ما يعنيه أن تكونوا أحرارًا. تغضبون بسهولة، وتتعلقون بسرعة بأشياء – الأفيون، الأشخاص، الأفكار – التي تخفف ألمكم، ولو مؤقتًا. وذلك يجعل التلاعب بكم سهلاً بشكل فظيع."

توقف تشاغان لحظة.

– "أنا آسف. هل أهنتك؟"

أصرت رين:

– "فايسرا لا يتلاعب بي. إنه... نحن نقاتل لأجل شيء جيد. شيء يستحق القتال لأجله."

أطال النظر إليها.

– "وأنتِ تؤمنين حقًا بجمهوريته؟"

— "أؤمن أن الجمهورية بديل أفضل لأي شيء نملكه. يجب أن تموت داجي. فايسرا هو أفضل فرصة لدينا لقتلها. وأيًا كان ما سيحدث تاليًا، لا يمكن أن يكون أسوأ من الإمبراطورية."

— "تظنين ذلك حقًا؟"

لم ترد رين الحديث عن هذا بعد الآن. لم ترد لعقلها أن ينجرف في ذلك الاتجاه. لم تفكر بجدية، ولو لمرة واحدة منذ كارثة بحيرة بويانغ، في عدم العودة إلى أرلونغ، أو في فكرة أنه قد لا يكون هناك شيء لتعود إليه.

كان لديها قوة كبيرة الآن، وغضب كبير، وكانت بحاجة لقضية تحترق من أجلها. جمهورية فايسرا كانت مرساتها. بدون ذلك، ستكون ضائعة، تنجرف في الفراغ. تلك الفكرة أرعبتها.

قالت:

— "يجب أن أفعل هذا. وإلا فلن يتبقى لي شيء."

— "إذا كنتِ تقولين ذلك."

استدار تشاغان ليحدق في النهر. بدا وكأنه استسلم عن مجادلة النقطة. لم تستطع معرفة ما إذا كان محبطًا أم لا.

— "ربما أنتِ محقة. لكن في النهاية، سيتعين عليكِ أن تسألي نفسك عما تقاتلين لأجله بالتحديد. وسيتعين عليكِ إيجاد سبب للعيش يتجاوز الانتقام. ألتان لم ينجح في ذلك أبدًا."

***

— "أنتِ واثقة أنك تعرفين كيف تركبين هذا؟"

ناولت قارا لجام جواد الحرب لـ رين.

— "لا، لكن كيتاي يعرف."

حدقت رين لأعلى نحو جواد الحرب الأسود بقلق. لم تكن مرتاحة تمامًا حول الخيول قط — كانت أكبر بكثير عن قرب، وحوافرها مستعدة للغاية لشق رأسها — لكن كيتاي قضى ما يكفي من طفولته يمتطي الخيول في ضيعة عائلته لدرجة تمكنه من التعامل مع معظم الحيوانات بسهولة.

قال تشاغان:

– "ابقيا بعيداً عن الطرق الرئيسية. تخبرني طيوري أن الإمبراطورية تستعيد الكثير من أراضيها. ستواجهان دوريات الميليشيا إذا شوهدتما تسافران في وضح النهار. التزما بخط الأشجار عندما تستطيعان."

كانت رين على وشك السؤال عن علف الحصان عندما نظر كل من تشاغان وقارا بحدة إلى اليسار، مثل حيوانين مفترسين تنبها لفريستهما.

سمعت الضوضاء بعد ثانية. صياح من معسكر الكيتربيد. سهام تنغرس في الأجساد. وبعد لحظة، الصوت المميز لإطلاق بندقية "الأركيبوس".

همس كيتاي:

– "تبًا."

كان التوأم يركضان عائدين بالفعل. انتزعت رين رمحها الثلاثي عن الأرض وتبعتهما.

كان المعسكر في حالة فوضى. ركض الكيتربيد في كل مكان، يقبضون على ألجمة الخيول المذعورة التي تحاول الإفلات. كان الهواء حادًا بدخان البارود اللاذع. ثقوب الرصاص ملأت خيام اليورت. جثث الكيتربيد تناثرت عبر الأرض. ومبشرو السرية الرمادية، نصفهم يحملون بنادق الأركيبوس، يطلقون النار عشوائيًا حول المعسكر.

كيف استعادوا بنادقهم؟

سمعت رين طلقة وألقت بنفسها على الأرض بينما حفرت رصاصة طريقها في الشجرة خلفها.

صفرت السهام فوق الرؤوس. كل واحد وجد هدفه بصوت ارتطام مكتوم. سقطت حفنة من الهيسبيريين على الأرض، وقد اخترقت السهام جماجمهم بدقة. ركض قلة آخرون مذعورين من الفسحة. لم يطاردهم أحد.

الوحيد الذي بقي كان أوغوس. كان يحمل بندقيتين، واحدة في كل يد، وتدلت فوهتاهما بخرق نحو الأرض.

لم يطلق النار من إحداها قط. استطاعت رين معرفة ذلك — كان يرتجف؛ لم يكن لديه أدنى فكرة عما يفعله.

تمتمت سورقان سيرا بأمر تحت أنفاسها. تحرك الفرسان في الحال. وفورًا صُوبت اثنا عشر رأس سهم نحو أوغوس، وأوتار الأقواس مشدودة.

صرخت رين:

— "لا تطلقوا النار!"

ركضت للأمام، حاجبة مسار سهامهم بجسدها.

— "لا تطلقوا النار — أرجوكم، إنه مشوش..."

لم يبدُ أن أوغوس يلاحظ. تسمرت عيناه على عيني رين. رفع البندقية في يده اليمنى. شكلت الفوهة خطًا مباشرًا نحو صدرها.

لم يكن يهم إن كان لم يطلق النار من قبل. لا يمكنه أن يخطئ. ليس من هذه المسافة.

قال:

— "شيطانة."

قال كيتاي بتوتر:

— "رين، تراجعي."

وقفت رين متجمدة، غير قادرة على الحركة. لوّح أوغوس بسلاحيه بشكل متقطع، وصوبهما بالتناوب بين سورقان سيرا، ورين، وكيتاي.

— "امنحني الشجاعة يا صانع، احمني من هؤلاء الكفار..."

سألت سورقان سيرا:

— "ماذا يقول؟"

أغلق أوغوس عينيه بقوة.

— "أرهم قوة السماء واضربهم بعدالتك الإلهية..."

— "أوغوس، توقف!"

تقدمت رين للأمام، رافعة يديها فيما أملت أن تكون إيماءة غير تهديدية، وتحدثت بـ هيسبيرية واضحة النطق.

— "ليس لديك ما تخافه. هؤلاء الناس ليسوا أعداءك، لن يؤذوك..."

صرخ أوغوس:

— "همج!"

لوّح ببندقية واحدة في قوس أمامه. هس الكيتريد وتراجعوا للخلف؛ وانخفض العديد منهم في وضعية القرفصاء.

— "اخرجوا من رأسي!"

توسلت رين:

— "أوغوس، أرجوك. أنت خائف، لست على طبيعتك. انظر إليّ، أنت تعرف من أنا، لقد قابلتني..."

صوب أوغوس البندقية نحوها مرة أخرى.

تموج أمر سورقان سيرا الصامت عبر الفسحة. نار.

لم يطلق فارس واحد من الكيتريد سهمه.

نظرت رين حولها في ارتباك.

صرخت سورقان سيرا:

— "بيكتر! ما هذا؟"

ابتسم بيكتر، وأدركت رين مع انقباضة رعب ما كان يحدث.

لم يكن هذا حادثًا. لقد أُطلق سراح الهيسبيريين عن عمد. كان هذا انقلابًا.

ارتدت زوبعة غاضبة من الصور الوامضة ذهابًا وإيابًا في الفسحة، حرب صامتة من العقول بين بيكتر وسورقان سيرا بُثت لكل الحاضرين، كأنهم مصارعون يؤدون أمام جمهور.

رأت رين بيكتر يقطع قيود الهيسبيريين ويضع البنادق في أيديهم. حدقوا فيه، وعقولهم مشوشة من الرعب. أخبرهم أنهم على وشك لعب لعبة. تحداهم أن يسبقوا سهامه. تفرق الهيسبيريون.

رأت الفتاة التي قتلها جيانغ — تسيفيري، ابنة سورقان سيرا — تركب عبر السهوب مع صبي صغير يجلس أمامها. كانا يضحكان.

رأت فرقة من المحاربين — سبيريون، أدركت بانتفاضة — دزينة منهم على الأقل، والنيران تتدحرج عن أكتافهم بينما يزحفون عبر خيام يورت محروقة وجثث متفحمة.

شعرت بغضب حارق يشع من بيكتر، غضب لم تزده احتجاجات سورقان سيرا الضعيفة إلا تضخيمًا، وفهمت: لم يكن هذا مجرد صراع سلطة تغذيه الأطماع. كان هذا انتقامًا.

أراد بيكتر أن يفعل لأخته تسيفيري ما لم تستطعه سورقان سيرا أبدًا. أراد القصاص. أرادت سورقان سيرا السيطرة على شامان نيكارا، لكن بيكتر أرادهم أمواتًا.

تركتِ «السيك» يعملون دون رادع في الإمبراطورية لفترة طويلة يا أماه. رن صوت بيكتر عاليًا وواضحًا. لفترة طويلة أظهرتِ الرحمة لحثالة «النايماد». ليس بعد الآن.

وافق الفرسان.

لقد حولوا ولاءهم منذ فترة طويلة. والآن كان عليهم فقط التخلص من قائدتهم.

انتهى التبادل في لحظة.

ترنحت سورقان سيرا للخلف. بدت وكأنها انكمشت على نفسها. ولأول مرة، رأت رين الخوف على وجهها.

قالت:

— "بيكتر. أرجوك."

نطق بيكتر بأمر.

نقّطت السهام الأرض حول قدمي أوغوس. أطلق أوغوس صرخة مخنوقة. اندفعت رين للأمام، لكن الأوان كان قد فات. سمعت نقرة، ثم انفجارًا صغيرًا.

سقطت سورقان سيرا على الأرض. تصاعد الدخان من البقعة التي حفرت فيها الرصاصة طريقها إلى صدرها. نظرت لأسفل، ثم عادت بنظرها إلى أوغوس، ووجهها متقلص في عدم تصدي، قبل أن تتهالك إلى الجانب.

اندفع تشاغان للأمام.

— "أما!"

أسقط أوغوس البندقية التي أطلق منها ورفع الثانية إلى كتفه.

حدثت عدة أشياء في وقت واحد.

ضغط أوغوس على الزناد. ألقت قارا بنفسها أمام أخيها. شق دويٌّ الليل وسقط التوأم معًا، وهوت قارا عائدة إلى ذراعي تشاغان.

استدار الفرسان للهرب.

صرخت رين. انطلق جدول من النار من فمها واصطدم بصدر أوغوس، موقعًا إياه أرضًا. صرخ، يتلوى بجنون لإطفاء النيران، لكن النار لم تتوقف؛ استهلكت هواءه، وتدفقت إلى رئتيه، وأمسكت به من الداخل كيدٍ قابضة حتى صار جذعه فحمًا ولم يعد يستطيع الصراخ.

تباطأت سكرات موت أوغوس إلى ارتعاشات تشبه ارتعاش الحشرات بينما هوت رين على ركبتيها. أغلقت فمها. ماتت النيران، وسكن أوغوس.

خلفها كان تشاغان يحتضن أخته. ظهرت بقعة داكنة من الدم فوق ثدي قارا الأيمن وكأن رسامًا غير مرئي قد رسمها، تزهر أكبر فأكبر كزهرة خشخاش تتفتح.

— "قارا — قارا، لا..."

تحركت يدا تشاغان بجنون فوق صدرها، لكن لم يكن هناك رأس سهم ليسحبه؛ الشظية المعدنية دفنت نفسها أعمق من أن ينقذها.

شهقت قارا:

— "توقف."

رفعت يدًا مرتعشة ولمست صدر تشاغان. خرج الدم فقاعات بين أسنانها.

— "دعني أذهب. يجب أن تدعني أذهب."

قال تشاغان:

— "سأذهب معكِ."

خرجت أنفاس قارا في لهاث قصير ومؤلم.

— "لا. أنت مهم جداً."

— "قارا..."

همست قارا:

— "افعل هذا من أجلي. أرجوك."

ضغط تشاغان جبهته على جبهة قارا. مر شيء بينهما، تبادل للأفكار لم تستطع رين سماعه. مدت قارا يداً مرتعشة إلى صدرها، ورسمت بدمها نمطًا على الجلد الشاحب لخد تشاغان، ثم وضعت كفها عليه.

زفر تشاغان. ظنت رين أنها رأت شيئًا يمر في الفراغ بينهما — هبة هواء، وميض ضوء.

سقط رأس قارا إلى الجانب. سحب تشاغان جسدها المرتخي إلى ذراعيه وأسقط رأسه.

قال كيتاي بإلحاح:

— "رين."

استدارت. على بعد عشرة أقدام، جلس بيكتر ممتطيًا حصانه، وقوسه مرفوع.

رفعت رمحها، لكن لم تكن لديها فرصة. من هذه المسافة القريبة كان لـ بيكتر إصابة سهلة. سيكونون موتى في ثوانٍ.

لكن بيكتر لم يطلق. كان سهمه ملقمًا في قوسه، لكن الوتر لم يكن مشدودًا. كانت لديه نظرة ذاهلة في عينيه؛ وتذبذب بصره بين جثتي سورقان سيرا وقارا.

أدركت رين أنه في صدمة. لم يستطع بيكتر تصديق ما فعله.

رفعت رمحها فوق رأسها، مستعدة للرمي.

– "القتل ليس بتلك السهولة، أليس كذلك؟"

رمش بيكتر، كأنه عاد لتوه لوعيه، ثم صوب قوسه نحوها.

قالت له:

– "هيا. سنرى من الأسرع."

نظر بيكتر إلى أطراف رمحها اللامعة، ثم لأسفل نحو تشاغان، الذي كان يتأرجح ذهابًا وإيابًا فوق جسد قارا. خفض قوسه بمقدار ضئيل.

قال بيكتر:

– "أنتِ فعلتِ هذا. أنتِ قتلتِ الأم. هذا ما سأخبرهم به. هذا خطؤكِ."

ارتجف صوته؛ بدا وكأنه يحاول إقناع نفسه. اهتز قوسه في يديه.

– "كل هذا خطؤكِ."

قذفت رين رمحها. جفل حصان بيكتر وانطلق. طار الرمح قدمًا فوق رأسه واخترق الهواء الفارغ. صوبت رين دفقة من اللهب في اتجاهه، لكنها كانت بطيئة جدًا – في غضون ثوانٍ اختفى بيكتر عن ناظريها، وتلاشى داخل الغابة ليلحق بعصبة الخونة التابعة له.

لفترة طويلة، كان الصوت الوحيد في الفسحة يأتي من تشاغان. لم يكن يبكي، ليس تمامًا. كانت عيناه جافتين. لكن صدره كان يعلو ويهبط بشكل متقطع، وتخرج أنفاسه في دفقات قصيرة ومخنوقة، وتحدق عيناه باتساع، لأسفل نحو جثة أخته كأنه لا يصدق ما ينظر إليه.

إرادتنا متحدة منذ كنا أطفالاً، قالت قارا. نحن نصفان لنفس الشخص.

لم تستطع رين حتى تخيل كيف يبدو الشعور بانتزاع ذلك.

أخيرًا انحنى كيتاي فوق جسد سورقان سيرا ودحرجها مسطحة على ظهرها. وأغلق جفنيها.

ثم لمس تشاغان برفق على كتفه.

– "هل هناك شيء يجب أن..."

قال تشاغان فجأة:

– "ستكون هناك حرب."

مدد قارا على التراب أمامه، ثم رتب يديها على صدرها، واحدة متشابكة فوق الأخرى. كان صوته جامدًا، خاليًا من المشاعر.

— "بيكتر هو الزعيم الآن."

كرر كيتاي:

— "زعيم؟ لقد قتل لتوه أمه!"

— "ليس بيده. لهذا أعطى الهيسبيريين تلك البنادق. لم يلمسها، وسيتمكن فرسانه من الشهادة بذلك. سيكونون قادرين على القسم بذلك أمام البانثيون، لأنها الحقيقة."

لم تكن هناك أي عاطفة على وجه تشاغان. بدا هادئًا تمامًا، بطريقة مرعبة.

فهمت رين. لقد أغلق نفسه، واستبدل مشاعره بتركيز على الواقعية الهادئة، لأن تلك كانت الطريقة الوحيدة التي تمكنه من حجب الألم.

أخذ تشاغان نفسًا عميقًا ومرتعشًا. للحظة تصدع القناع، واستطاعت رين رؤية الألم يلتوي عبر وجهه، لكنه اختفى بالسرعة نفسها التي جاء بها.

— "هذا... هذا يغير كل شيء. كانت سورقان سيرا الوحيدة التي تبقي الكيتربيد تحت السيطرة. الآن سيقودهم بيكتر لذبح النايماد."

قالت رين:

— "إذن اذهب. خذ جواد الحرب. واركب للشمال. عد لعشيرتك وحذرهم."

رمش تشاغان ناظرًا إليها.

— "ذلك الحصان لكِ."

— "لا تكن غبيًا."

قال كيتاي:

— "سنجد طريقة أخرى. سيستغرقنا الأمر وقتًا أطول قليلاً، لكننا سندبرها. أنت بحاجة للذهاب."

ببطء، وقف تشاغان على ساقين مرتعشتين وتبعهما إلى ضفة النهر.

كان الحصان ينتظر بوداعة حيث تركوه. بدا غير منزعج تمامًا من الجلبة في الفسحة. لقد دُرب جيداً على عدم الذعر.

رفع تشاغان قدمه إلى الركاب وأرجح نفسه لأعلى إلى السرج في حركة واحدة رشيقة ومتمرسة. أمسك اللجام بكلتا يديه ونظر لأسفل إليهما. ابتلع ريقه.

– "رين..."

أجابته:

– "نعم؟"

بدا صغيرًا جدًا فوق الحصان. ولأول مرة، رأته على حقيقته: ليس شامانًا مخيفًا، ولا عرافًا غامضًا، بل مجرد فتى، حقًا. لطالما ظنت تشاغان قويًا بشكل أثيري، ومنفصلاً جدًا عن عالم الفانين. لكنه كان بشريًا في نهاية المطاف، أصغر وأنحف من بقيتهم.

ولأول مرة في حياته، كان وحيدًا.

سأل بهدوء:

– "ماذا سأفعل؟"

ارتجف صوته. بدا تائهًا تمامًا.

مدت رين يدها ليده. ثم نظرت إليه، نظرت حقًا في عينيه. كانا متشابهين جدًا حين فكرت في الأمر. أصغر من أن يمتلكا كل تلك القوة، وليسا قريبين حتى من الجاهزية للمناصب التي ألقيا فيها.

عصرت أصابعه وقالت:

– "تقاتل."

الجزء الثالث

الفصل الخامس والعشرون

استغرقت رحلة العودة إلى أرلونغ تسعة وعشرين يومًا. عرفت رين ذلك لأنها كانت تحفر حزًا واحدًا كل يوم على جانب طوافتهما، متخيلة، مع امتداد الوقت، كيف تسير الحرب. كانت كل علامة تمثل سؤالًا، واحتمالًا لنتيجة مختلفة. هل غزت داجي أرلونغ بعد؟ هل ما زالت الجمهورية حية؟ هل نزهة بخير؟

وجدت بعض السلوى أثناء الرحلة في حقيقة أنها لم ترَ الأسطول الإمبراطوري في موروي الغربي، لكن ذلك لم يعنِ الكثير. ربما تجاوزهم الأسطول بالفعل. وربما كانت داجي تزحف نحو أرلونغ برًا بدلًا من الإبحار — فالميليشيا كانت دائمًا أكثر ارتياحًا في الحروب البرية. أو ربما سلك الأسطول طريقًا ساحليًا، ودمر قوات تسولين قبل الإبحار جنوبًا نحو المنحدرات الحمراء.

في تلك الأثناء، كانت طوافتهما تتهادى بوهن عبر موروي الغربي، تنجرف مع التيار لأن كليهما كان منهكًا لدرجة تعجز معها أيديهما عن التجديف.

صنع كيتاي الطوافة على عجل خلال يومين باستخدام الحبال وسكاكين الصيد التي خلفها الكيتربيد وراءهم. كانت شيئًا واهيًا، رُبطت أجزاؤه من بقايا الأسطول الجمهوري التي قذفتها الأمواج، وكانت كبيرة بما يكفي فقط ليتمدد الاثنان عليها دون أن يتلامسا.

كان التقدم بالطوافة بطيئًا. التزما الحذر بالبقاء قرب الضفاف لتجنب التيارات الخطرة مثل ذلك الذي جرفهما عبر الشلالات في بويانغ. وحينما أمكنهما، انجرفا تحت غطاء الأشجار ليبقيا متخفيين.

توجب عليهما الحذر في استهلاك طعامهما. كانا قد أنقذا ما يكفي لأسبوعين من اللحم المجفف من مؤن الكيتربيد، وأحيانًا نجحا في صيد بعض الأسماك، لكن عظامهما برزت بوضوح أكبر تحت جلدهما مع مرور الأيام. فقدا كتلة عضلية وقدرة على التحمل، مما جعل تجنب الدوريات أمرًا أكثر أهمية. حتى مع استعادة رين لقدراتها، كانت فرصة الفوز في أي مناوشة حقيقية ضئيلة إذا لم يقدرا حتى على الركض لميل واحد.

قضيا أيامهما في النوم لتوفير الطاقة. كان أحدهما يتكور على الطوافة بينما يبقي الآخر في نوبة حراسة وحيدة بجوار الرمح المثبت في درع، والذي كان بمثابة مجداف ودفة. في إحدى الظهيرات، استيقظت رين لتجد كيتاي يحفر رسومًا بيانية في خشب الطوافة بسكين.

فركت النوم عن عينيها وسألت:

— "ماذا تفعل؟"

أراح كيتاي ذقنه على قبضته، ونقر بسكينه على الطوافة.

— "كنت أفكر في الطريقة المثلى لتحويلكِ إلى سلاح."

جلست بانتفاضة.

— "سلاح؟"

— "هل أسأت التعبير؟" استمر في الخدش على الخشب. "تحسين الكفاءة إذن. أنتِ مثل مصباح. وأنا أحاول معرفة كيفية جعلكِ تحترقين بشكل أكثر سطوعًا."

أشارت رين إلى دائرة محفورة بشكل متعرج.

— "هل يفترض أن تكون هذه أنا؟"

— "نعم. هذا يمثل مصدر حرارتك. أحاول معرفة كيفية عمل قدراتك بالضبط. هل يمكنك استدعاء النار من أي مكان؟" أشار كيتاي عبر النهر. "على سبيل المثال، هل يمكنك جعل تلك القصبات تشتعل؟"

— "لا." عرفت الإجابة دون تجربة. "يجب أن تأتي مني. من داخلي."

نعم، كان ذلك صحيحًا. عندما نادت اللهب، شعرت وكأنه يُسحب من شيء بداخلها وعبرها.

قالت:

– "إنها تخرج من يدي وفمي. يمكنني فعل ذلك من أماكن أخرى أيضًا، لكن الأمر يبدو أسهل بهذه الطريقة."

– "إذن أنتِ مصدر الحرارة؟"

– "لست المصدر تمامًا. بل أشبه بـ... الجسر. أو البوابة، بالأحرى."

كرر وهو يفرك ذقنه:

– "البوابة. هل هذا ما يعنيه اسم حارس البوابة؟ هل هو قناة لكل إله؟"

– "لا أعتقد ذلك. جيانغ... جيانغ باب مفتوح لمخلوقات معينة. لقد رأيت ما أرتنا إياه سورقان سيرا. أعتقد أنه قادر فقط على استدعاء تلك الوحوش. كل وحوش حديقة الإمبراطور، أليست هذه هي القصة؟ لكن بقيتنا... من الصعب شرح الأمر."

كافحت رين لإيجاد الكلمات.

– "الآلهة موجودة في هذا العالم، لكنها أيضًا لا تزال في عالمها الخاص، ولكن بينما العنقاء بداخلي، يمكنها التأثير على العالم..."

قاطعها كيتاي:

– "لكن ليس بالطريقة التي تريدها هي. أو ليس دائمًا."

– "لأنني لا أسمح لها. إنها مسألة سيطرة. إذا كنت تملك ما يكفي من حضور الذهن، فإنك تعيد توجيه قوة الإله لأغراضك الخاصة."

– "وإذا لم يحدث ذلك؟ ماذا يحدث إذا فتحتِ البوابة على مصراعيها؟"

– "حينها تضيع. حينها تصبح مثل فايلين."

ضغط في السؤال:

– "ولكن ماذا يعني ذلك؟ هل تملكين أي سيطرة متبقية على جسدك إطلاقًا؟"

– "لست متأكدة. كانت هناك بضع مرات – قليلة فقط – اعتقدت فيها أن فايلين موجود بالداخل، يقاتل لاستعادة جسده. لكنك رأيت ما حدث."

أومأ كيتاي ببطء.

– "لا بد أن الفوز بمعركة عقلية مع إله أمر صعب."

فكرت رين في الشامان المحبوسين في الحجر داخل «تشولو كوريك»، المحاصرين إلى الأبد مع أفكارهم وندمهم، ولا يواسيهم سوى معرفة أن هذا كان البديل الأقل فظاعة. ارتجفت.

– "إنه شبه مستحيل."

– "إذن علينا فقط معرفة كيفية هزيمة الرياح بالنار."

مرر كيتاي أصابعه خلال خصلات شعره الطويلة.

– "لغز جميل."

لم يكن هناك الكثير لفعله على الطوافة، فبدأوا بتجربة النار. يومًا بعد يوم، دفعوا قدرات رين ليروا إلى أي مدى يمكنها الذهاب، ومقدار السيطرة التي يمكنها إدارتها.

حتى ذلك الحين، كانت رين تستدعي النار بالغريزة. كانت مشغولة جدًا بمحاربة العنقاء للسيطرة على عقلها لدرجة أنها لم تكترث أبدًا بفحص آليات اللهب. لكن تحت أسئلة كيتاي الموجهة وتجاربه المدروسة، اكتشفت المعايير الدقيقة لقدراتها.

لم تستطع الاستيلاء على نار موجودة بالفعل. ولم تستطع السيطرة على النار التي غادرت جسدها. كان بإمكانها منح النار شكلًا وجعلها تنفجر في الهواء، لكن الألسنة المتبقية كانت تتلاشى في ثوانٍ ما لم تجد شيئًا تلتهمه.

سألته رين:

– "كيف تشعر بالأمر بالنسبة لك؟"

توقف للحظة قبل أن يجيب:

— "إنه لا يؤلم. على الأقل، ليس بقدر المرة الأولى. إنه أشبه بـ... أنا واعٍ بشيء ما. شيء يتحرك في مؤخرة رأسي، ولست متأكدًا مما هو. أشعر باندفاع، مثل جرعة الأدرينالين التي تحصل عليها عندما تنظر من حافة منحدر."

— "وهل أنت متأكد أنه لا يؤلم؟"

— "أعدك."

قالت:

— "هراء. أنت تصنع نفس الوجه في كل مرة أستدعي فيها لهبًا أكبر من نار مخيم. تبدو وكأنك تحتضر."

رمش بعينيه:

— "أفعل؟ مجرد رد فعل منعكس، أعتقد. لا تقلقي بشأنه."

كان يكذب عليها. أحبت ذلك فيه، أنه يهتم بما يكفي ليكذب عليها. لكنها لم تستطع الاستمرار في فعل هذا به. لم تستطع إيذاء كيتاي وعدم القلق بشأنه.

إذا فعلت، فستكون قد ضاعت.

قالت:

— "يجب أن تخبرني عندما يصبح الأمر فوق الاحتمال."

— "إنه حقًا ليس سيئًا للغاية."

— "توقف عن الهراء يا كيتاي..."

قال:

— "إنها الرغبات التي أشعر بها أكثر من أي شيء آخر. ليس الألم. إنها تجعلني جائعًا. تجعلني أريد المزيد. هل تفهمين ذلك الشعور؟"

— "بالطبع. إنه الدافع الأساسي للعنقاء. النار تلتهم."

— "الالتهام شعور جيد." أشار إلى غصن متدلٍ. "جربي ذلك الشيء القاذف مرة أخرى."

على مدار الأيام القليلة التالية تعلمت عددًا من الحيل المختلفة. كان بإمكانها إنشاء كرات من النار وقذفها على أهداف تصل إلى عشر ياردات. كان

بإمكانها صنع أشكال من اللهب معقدة لدرجة أنها كان يمكنها تقديم عرض دمى كامل بها. وكان بإمكانها، بدفع يديها في النهر، غلي الماء حولهما حتى يملأ البخار الهواء وتطفو الأسماك ببطونها للأعلى.

والأهم من ذلك، كان بإمكانها نحت مساحات وقائية داخل النار، تصل إلى عشرة أقدام من جسدها، بحيث لا يحترق كيتاي أبدًا حتى عندما يحترق كل شيء حولهما.

سأل بعد بضعة أيام من استكشاف الحيل الصغيرة:

— "ماذا عن الدمار الشامل؟"

تصلبت رين.

— "ماذا تعني؟"

كانت نبرته محايدة بعناية. أكاديمية بحتة.

— "ما فعلتِه بالاتحاد، على سبيل المثال — هل يمكننا تكرار ذلك؟ ما مقدار اللهب الذي يمكنك استدعاؤه؟"

— "كان ذلك مختلفًا. كنت على الجزيرة. في المعبد. كنت. كنت... كنت قد رأيت ألتان يموت للتو." ابتلعت ريقها. "وكنت غاضبة. كنت غاضبة جدًا."

في تلك اللحظة، كانت قادرة على غضب غير بشري، وحشي، ورهيب. لكنها لم تكن متأكدة من قدرتها على تكرار ذلك الغضب، لأنه كان قد اشتعل بموت ألتان، وما تشعر به الآن عندما تفكر في ألتان لم يكن غضبًا، بل حزنًا.

الغضب والحزن مختلفان جدًا. الغضب منحها القوة لإحراق دول. الحزن أرهقها فقط.

ألح كيتاي:

— "وإذا عدتِ إلى المعبد؟ إذا عدتِ واستدعيتِ العنقاء؟"

قالت رين فورًا:

— "لن أعود إلى ذلك المعبد."

لم تعرف ما الأمر، لكن حماس كيتاي كان يجعلها غير مرتاحة — كان ينظر إليها بذلك النوع من الفضول الشديد الذي لم تره سوى في شيرو وبترا.

— "ولكن إذا اضطررتِ؟ إذا كان لدينا خيار واحد فقط، وإذا كان كل شيء سيضيع إن لم تفعلي؟"

— "نحن لن نضع هذا الاحتمال على الطاولة."

— "أنا لا أقول إنه يجب عليكِ ذلك. أقول إننا يجب أن نعرف ما إذا كان خيارًا من الأساس. أقول إنه عليكِ المحاولة على الأقل."

قالت ببطء:

— "أنت تريد مني التدرب على حدث إبادة جماعية. فقط لنكون واضحين."

اقترح قائلًا:

— "ابدئي صغيرًا. ثم كبّري الأمر. لنرَ إلى أي مدى يمكنك الذهاب دون المعبد."

— "سيدمر ذلك كل شيء في مرمى البصر."

— "لم نرَ أي علامات على حياة بشرية طوال اليوم. إذا كان أي شخص يعيش هنا، فقد رحل منذ زمن. هذه أرض خالية."

— "ماذا عن الحياة البرية؟"

قلب كيتاي عينيه.

— "أنا وأنتِ نعلم أن الحياة البرية هي أقل همومك. توقفي عن المراوغة يا رين. افعليها."

أومأت برأسها، وبسطت كفيها، وأغمضت عينيها.

لفها اللهب كغطاء دافئ. كان شعورًا جيدًا. شعورًا جيدًا أكثر مما ينبغي. كانت تحترق دون ذنب أو عاقبة. كانت قوة غير مقيدة. كان بإمكانها الشعور بنفسها تنزلق مجددًا إلى حالة النشوة تلك، وكان يمكن أن تفقد نفسها في النسيان الحالم للنار الهائلة التي ارتفعت أعلى، وأسرع، وأكثر سطوعًا، لولا أنها سمعت أنينًا حادًا لم يكن صادرًا منها.

نظرت لأسفل. كان كيتاي متكورًا في وضع الجنين على الطوافة، ويداه تقبضان على فمه، محاولًا كبت صرخاته.

كبح جماح النار بصعوبة.

أصدر كيتاي صوت اختناق ودفن رأسه بين يديه.

سقطت على ركبتيها بجانبه.

— "كيتاي..."

شهق:

— "أنا بخير. بخير."

حاولت وضع يديها عليه، لكنه دفعها بعيدًا بعنف صدمها.

— "فقط دعيني أتنفس." هز رأسه. "الأمر بخير يا رين. أنا لست مصابًا. إنه فقط... كل هذا في رأسي."

كادت تصفعه.

— "من المفترض أن تخبرني عندما يكون الأمر فوق الاحتمال."

— "لم يكن فوق الاحتمال." جلس مستقيمًا. "جربيها مرة أخرى."

— "ماذا؟"

— "لم أتمكن من إلقاء نظرة جيدة على نصف قطر انفجارك قبل قليل. جربيها مرة أخرى."

صاحت به:

— "مستحيل. لا يهمني أن لديك رغبة في الموت. لا أستطيع الاستمرار في فعل هذا بك."

أصر قائلًا:

— "إذن اذهبي إلى الحافة تمامًا. النقطة التي تسبق الألم المفرط مباشرة. دعينا نعرف ما هو الحد الأقصى."

— "هذا جنون."

– "إنه أفضل من اكتشافه في ساحة المعركة. أرجوكِ يا رين، لن نحصل على فرصة أفضل للقيام بهذا."

سألته:

– "ما خطبك؟ لماذا يهمك هذا كثيرًا؟"

قال كيتاي:

– "لأنني بحاجة لمعرفة المدى الكامل لما يمكنك فعله. لأنني إذا كنت أخطط للدفاع عن أرلونغ، فأنا بحاجة لمعرفة أين أضعك، ولماذا. ولأنني إذا مررت بكل هذا من أجلك، فإن أقل ما يمكنك فعله هو أن تريني كيف تبدو القوة القصوى. إذا كنا قد حولناكِ مجددًا إلى سلاح، فستكونين سلاحًا ملعون الجودة. وتوقفي عن الذعر بشأني يا رين. أنا بخير حتى أقول إنني لست كذلك."

لذا استدعت اللهب مرارًا وتكرارًا، دافعة الحدود في كل مرة، حتى احترقت الضفاف وتحولت لسواد حالك من حولهم. استمرت حتى بينما كان كيتاي يصرخ لأنه أمرها ألا تتوقف ما لم يقل ذلك صراحة. استمرت حتى انقلبت عيناه داخل رأسه وارتخى جسده على الطوافة. وحتى حينها، عندما أفاق بعد ثوانٍ، كان أول شيء قاله لها هو:

– "خمسون ياردة."

***

عندما وصلوا أخيرًا إلى المنحدرات الحمراء، رأت رين بارتياح هائل أن علم الجمهورية لا يزال يرفرف فوق أرلونغ.

إذن فايسرا آمن، وداجي لا تزال تهديدًا بعيدًا.

كان تحديهم التالي هو العودة إلى داخل المدينة دون التعرض لإطلاق النار.

تحصنت أرلونغ، متوقعة هجومًا من الميليشيا، خلف دفاعاتها. كانت البوابات الضخمة للميناء بعد المنحدرات الحمراء مغلقة. واصطفت الأقواس المستعرضة (النشاب) قبالة كل سطح مستوٍ يطل على القناة. بالكاد استطاعت رين وكيتاي السير نحو أبواب المدينة – فأي حركة مفاجئة وغير متوقعة

ستجعلهما مليئين بالسهام. اكتشفا ذلك عندما رأيا قردًا بريًا يتجول قريبًا جدًا من الأسوار ويفزع صفًا من الرماة المتلهفين للضغط على الزناد.

كانا منهكين لدرجة أنهما وجدا هذا الأمر مضحكًا بشكل سخيف. شهر من السفر وكان أكبر همومهما هو النيران الصديقة.

أخيرًا قررا لفت انتباه بعض الحراس بأقل طريقة تهديد ممكنة. قذفا الصخور على جوانب المنحدر وانتظرا بينما تردد صدى أصوات الارتطام حول القناة حتى ظهر أخيرًا صف من الجنود على جانب المنحدر، وأقواسهم مصوبة لأسفل.

رفعت رين وكيتاي أيديهما فورًا.

صاح كيتاي:

— "لا تطلقوا النار، رجاءً."

انحنى قائد الحرس فوق جدار المنحدر.

— "ما الذي تظنان أنكما تفعلانه بحق الجحيم؟"

صاح كيتاي مشيرًا إلى زييهما الموحد:

— "نحن جنديان جمهوريان عائدان من بويانغ."

قال القائد:

— "الأزياء الموحدة رخيصة على الجثث."

أشار كيتاي إلى رين.

— "ليس الأزياء التي تناسب مقاسها."

بدا القائد غير مقتنع.

— "تراجعا أو سأطلق النار."

صاحت رين:

— "لن أفعل لو كنت مكانك. وإلا سيسأل فايسرا لماذا قتلتم السبيرية الخاصة به."

انفجر الحراس ضاحكين.

قال القائد:

– "نكتة جيدة."

رمشت رين. ألم يتعرفوا عليها؟ ألم يعرفوا من تكون؟

قال كيتاي:

– "ربما هو جديد."

تمتمت:

– "أيمكنني إيذاؤه؟"

– "قليلًا فقط."

أمالت رأسها للخلف وفتحت فمها. كان نفث النار أصعب من إطلاقها من يديها لأنه يمنحها سيطرة أقل على الاتجاه، لكنها أحبت التأثير الدرامي. انطلق تيار من النار في الهواء وتشكل على هيئة تنين علق للحظة أمام الجنود المذهولين، يتموج بفخامة، قبل أن يندفع نحو القائد.

لم يكن في خطر حقيقي أبدًا. أطفأت رين النيران بمجرد حدوث التلامس. لكنه صرخ وسقط للخلف كما لو كان دب يهاجمه. وعندما ظهر أخيرًا فوق جدار المنحدر، كان وجهه قد تحول إلى وردي فاقع، والدخان يتصاعد من حاجبيه المحروقين.

قال:

– "يجب أن أطلق عليكِ النار لمجرد فعل ذلك."

قالت رين:

– "لماذا لا تخبر فايسرا فقط أن السبيرية قد عادت. وأحضر لنا شيئًا لنأكله."

***

بدا أن خبر عودتهما قد انتشر فورًا في الميناء بأكمله. حشد هائل من الجنود والمدنيين على حد سواء أحاط بهما لحظة مرورهما عبر البوابات. كان لدى الجميع أسئلة، وصرخوا بها من كل اتجاه بصوت عالٍ لدرجة أن رين بالكاد استطاعت تمييز كلمة.

الأسئلة التي فهمتها كانت عن الجنود الذين ما زالوا مفقودين من بويانغ. أراد الناس معرفة ما إذا كان هناك آخرون لا يزالون على قيد الحياة. وما إذا كانوا في طريقهم للعودة. لم تملك رين القلب للإجابة.

— "من سحبكِ من الجحيم؟"

شقت فينكا طريقها بمرفقيها عبر الجنود. أمسكت رين من ذراعيها، ونظرت إليها من أعلى لأسفل، ثم جعدت أنفها الصغير.

— "رائحتكِ نتنة."

قالت رين:

— "سعدت برؤيتكِ أنتِ أيضًا."

— "لا، حقًا، إنها مقززة. كأنكِ مررتِ نصل سكين على أنفي."

— "حسنًا، لم نرَ مياهًا نظيفة بشكل لائق منذ أكثر من شهر، لذا..."

قاطعتها فينكا:

— "إذن ما القصة؟ هل هربتما من السجن؟ قضيتما على كتيبة كاملة؟ سبحتما طول النهر عائدين عبر موروي؟"

قال كيتاي:

— "شربنا بول حصان وانتشينا."

سألت فينكا:

— "ماذا قلت؟"

كانت رين على وشك الشرح عندما لمحت نزهة يشق طريقه إلى مقدمة الحشد.

قالت:

— "مرحبًا."

توقف أمامها مباشرة وحدق، يرمش بسرعة كأنه لا يعرف ما الذي ينظر إليه. تدلت ذراعاه بشكل محرج إلى جانبيه، مرفوعتين قليلًا، كأنه لم يكن متأكدًا مما يجب فعله بهما.

سأل:

– "أيمكنني؟"

مدت ذراعيها نحوه. سحبها إليه بقوة شديدة لدرجة أنها تصلبت غريزيًا. ثم استرخت، لأن نزهة كان دافئًا جدًا، وصلبًا جدًا، وعناقه كان شعورًا رائعًا لدرجة أنها أرادت فقط دفن وجهها في زيه العسكري والوقوف هناك لفترة طويلة جدًا.

همس نزهة في أذنها:

– "لا أصدق ذلك. كنا متأكدين..."

ضغطت جبهتها على صدره.

– "وأنا أيضًا."

كانت دموعها تسقط غزيرة وسريعة. امتد العناق بالفعل لفترة أطول بكثير مما ينبغي، وأخيرًا تركها نزهة، لكنه لم يرفع ذراعيه عن كتفيها.

تحدث أخيرًا:

– "أين جينغا؟"

سألت رين:

– "ماذا تعني؟ ألم يعد معكم؟"

هز نزهة رأسه فقط، وعيناه واسعتان، قبل أن يُدفع جانبًا بجسدين ضخمين.

– "رين!"

قبل أن تتمكن من الكلام، لفها سوني في عناق ضيق، رافعًا إياها قدمًا كاملة عن الأرض، واضطرت لضرب كتفه بجنون قبل أن يطلق سراحها.

– "حسنًا." مد رامسا يده وربت بلهفة على كتف سوني. "أنت ستستحقها."

قال سوني بخجل:

– "آسف. نحن فقط ظننا..."

لم تستطع رين منع نفسها من الابتسام حتى وهي تتفحص ضلوعها بحثًا عن كدمات.

– "أجل. سعدت برؤيتكم أيضًا."

أمسك باجي يدها، وسحبها للداخل، وضربها على كتفها.

– "عرفنا أنكِ لم تموتي. أنتِ حقودة جدًا لتموتي بهذه السهولة."

سألت رين:

– "كيف عدتم؟"

قال باجي:

– "فايلين لم يحطم سفننا فحسب، لقد أثار عاصفة حطمت كل شيء في البحيرة. كان يستهدف السفن الكبيرة رغم ذلك؛ بطريقة ما بقيت بضع زوارق الكشط متماسكة. حوالي ربعنا تمكن من الخروج من الدوامة. ليس لدي أي فكرة كيف جدفنا عائدين إلى النهر أحياء، لكن ها نحن هنا."

كان لدى رين فكرة عن كيفية حدوث ذلك.

انتقلت عينا رامسا بينها وبين كيتاي.

– "أين التوأم؟"

قالت رين:

– "تلك قصة طويلة."

سأل باجي:

– "ليسا ميتين؟"

– "أنا... آه، الأمر معقد. تشاغان ليس كذلك. لكن قارا..."

توقفت، باحثة عن الكلمات المناسبة لتقولها تاليًا، تمامًا حين رأت شخصية طويلة تقترب من فوق كتف باجي.

قالت بهدوء:

– "لاحقًا."

أدار باجي رأسه، ورأى من كانت تنظر إليه، وتنحى جانبًا على الفور. ساد صمت على الجنود، الذين فتحوا الصفوف ليمر أمير الحرب التنين.

قال فايسرا:

— "لقد عدتِ."

لم يبدُ مسرورًا ولا مستاءً بل نافد الصبر نوعًا ما، كما لو كان يتوقعها ببساطة.

طأطأت رين رأسها غريزيًا.

— "نعم يا سيدي."

— "جيد." أشار فايسرا نحو القصر. "اذهبي ونظفي نفسك. سأكون في مكتبي."

***

قال فايسرا:

— "أخبريني بكل ما حدث في بويانغ."

— "ألم يخبروك بالفعل؟"

جلست رين مقابله. كانت رائحتها أفضل مما كانت عليه منذ أسابيع. قصت شعرها الدهني المليء بالقمل؛ وفركت نفسها بالماء البارد؛ واستبدلت ملابسها الملطخة والنتنة بزي رسمي جديد.

كان جزء منها يأمل في ترحيب أكثر دفئًا — ابتسامة، يد على كتفها، على الأقل إشارة ما إلى أن فايسرا مسرور لعودتها — لكن كل ما منحه إياها كان توقعًا رسميًا جادًا.

قال:

— "أريد روايتكِ."

فكرت رين في إلقاء اللوم على قرارات جينغا التكتيكية، لكن لم يكن هناك جدوى من استعداء فايسرا بفرك الملح في جرح مفتوح. إلى جانب ذلك، لا شيء مما فعله جينغا كان يمكن أن يمنع ما حدث بمجرد بدء المعركة. كان كمن يحارب المحيط نفسه.

— "الإمبراطورة لديها شامان آخر في خدمتها. اسمه فايلين. إنه يستدعي إله الرياح. اعتاد أن يكون في «السيك»، حتى انحرف الأمر."

— "حطم أسطولكم. استغرق الأمر دقائق."

سأل فايسرا:

— "ماذا تعنين، اعتاد أن يكون في «السيك»؟"

— "تم التخلص منه. أعني، لقد جن. الكثير من الشامان يفعلون. ألتان أخرجه من «تشولو كوريك» عن طريق الخطأ..."

— "عن طريق الخطأ؟"

— "عمداً، لكنه كان غبيًا لفعله. والآن أفترض أن داجي وجدت طريقة لجذبه إلى جانبها."

طالب فايسرا:

— "كيف فعلت ذلك؟ المال؟ السلطة؟ هل يمكن شراؤه؟"

— "لا أعتقد أنه يهتم بأي من ذلك. إنه..." توقفت رين، تحاول معرفة كيفية شرح الأمر لـ فايسرا. "إنه لا يريد ما يريده البشر. الإله لديه... كما هو الحال معي، مع العنقاء..."

أكمل فايسرا:

— "لقد فقد عقله."

أومأت.

— "أعتقد أن فايلين يحتاج لتحقيق الطبيعة الأساسية للإله. العنقاء تحتاج أن تلتهم. لكن إله الرياح يحتاج للفوضى. داجي وجدت طريقة ما لتطويع ذلك لإرادتها، لكنك لن تكون قادرًا على إغرائه بأي شيء قد يريده البشر."

— "فهمت." صمت فايسرا للحظة. "وابني؟"

ترددت رين. ألم يخبروه عن جينغا؟

— "سيدي؟"

قال فايسرا:

— "لم يعودوا بجثة."

تصدع قناعه حينها. للحظة خاطفة، بدا كأب. إذن هو يعرف. لكنه لن يعترف لنفسه بأنه إن لم يكن جينغا قد شق طريقه عائدًا إلى أرلونغ مع بقية الأسطول، فالأرجح أنه مات.

قالت رين:

— "لم أرَ ما حدث له. أنا آسفة."

قال فايسرا ببرود:

— "لا جدوى من التكهن إذن." أعاد قناعه تجميع نفسه. "لنمضِ قدمًا. أفترض أنكِ سترغبين في الانضمام مجددًا للمشاة؟"

— "ليس المشاة." أخذت رين نفسًا عميقًا. "أريد قيادة «السيك» مرة أخرى. أريد مقعدًا على طاولة الإستراتيجية. أريد رأيًا مباشرًا في أي شيء تريد من «السيك» فعله."

سأل فايسرا:

— "ولماذا ذلك؟"

لأن تشاغان لا يمكن أن يكون محقًا بشأن كوني كلبك.

— "لأنني أستحق ذلك. كسرت الختم. واستعدت النار."

رفع فايسرا حاجبًا.

— "أريني."

أدارت كفًا مفتوحًا نحو السقف واستدعت كرة نار بحجم قبضة اليد. جعلتها تجري صعودًا وهبوطًا على طول ذراعها، وجعلتها تلتف حولها في الهواء قبل استدعائها مرة أخرى إلى أصابعها. حتى بعد شهر من التدريب، كانت لا تزال مندهشة من مدى سهولة الأمر، ومدى طبيعته المبهجة للسيطرة على اللهب كما تسيطر على أصابعها. تركتها تأخذ أشكالًا — فأرًا، ديكًا، تنينًا برتقاليًا متموجًا — ثم أغلقت أصابعها فوق كفها.

قال فايسرا باستحسان:

— "جميل جدًا." اختفى القناع الآن؛ كان يبتسم أخيرًا. شعرت بمد دافئ من التشجيع.

– "إذن. القيادة؟"

لوح بيده.

– "تمت إعادتكِ لمنصبك. سأبلغ الجنرالات. كيف أدرتِ هذا الأمر؟"

– "تلك قصة طويلة." توقفت، متسائلة من أين تبدأ. "نحن، آه، صادفنا بعض الكيتربيد."

عبس.

– "سكان المناطق النائية؟"

– "لا تسمهم هكذا. إنهم كيتربيد." قدمت له سردًا سريعًا لما فعله الكيتربيد، وأخبرته عن سورقان سيرا و«الثلاثي».

حذفت الجزء المتعلق برابطة المرساة. لم يكن فايسرا بحاجة ليعرف.

سأل فايسرا:

– "ثم ماذا حدث؟ أين هم؟"

– "لقد رحلوا. وسورقان سيرا ماتت."

– "ماذا؟"

أخبرته عن أوغوس. كانت تعلم أن فايسرا سيتفاجأ، لكنها لم تتوقع رد فعله. هرب اللون من وجهه. توتر جسده بالكامل.

طالبها:

– "من غيركما يعرف؟"

– "فقط كيتاي. واثنان من الكيتربيد، لكنهما لن يخبرا أحدًا."

قال بهدوء:

– "لا تخبري أحدًا أن هذا حدث. ولا حتى ابني. إذا اكتشف الهيسبيريون، فستُهدر دماؤنا."

تمتمت:

– "كان خطؤهم في البداية."

— "اخرسي." ضرب بيده على الطاولة. جفلت، مندهشة. "كيف أمكنكِ أن تكوني بهذا الغباء؟ كان يجب أن تعيديهم سالمين، كان ذلك ليحببنا إلى الجنرال تاركيت..."

قاطعته:

— "تاركيت عاد؟"

— "نعم، والكثير من «السرية الرمادية» معه. هربوا جنوبًا في أحد زوارق الكشط. إنهم مستاؤون للغاية من قدراتنا البحرية وهم على وشك الانسحاب من القارة، وهي فكرة أفترض أنها لم تخطر ببالكِ أبدًا عندما قررتِ قتل أحدهم."

— "هل تمزح؟ كانوا يحاولون قتلنا..."

— "إذن كان يجب عليكِ إعجازه أو الهرب. السرية الرمادية لا يمكن مسها. لم يكن بإمكانكِ اختيار هيسبيري أسوأ لتقتليه."

أصرت رين:

— "هذا ليس خطئي. لقد جن، كان يلوح ببندقية أركيبوس في كل مكان..."

قال فايسرا:

— "اسمعيني. أنتِ تسيرين على خيط رفيع جدًا الآن. الهيسبيريون ليسوا مستائين فحسب، بل مرعوبون. كانوا يظنونكِ شيئًا مثيرًا للفضول سابقًا. ثم رأوا ما حدث في بويانغ. الآن هم مقتنعون بأن كل واحد منكم هو عميل طائش للفوضى يمكنه أن يجلب نهاية العالم. سيطاردون كل شامان في هذه الإمبراطورية ويضعونهم في أقفاص إن استطاعوا. السبب الوحيد لعدم مسهم لكِ هو أنكِ تطوعتِ، وهم يعلمون أنكِ ستتعاونين. هل تفهمين الآن؟"

ضرب الخوف رين.

— "إذن سوني وباجي..."

— "... في أمان." أكمل فايسرا. "الهيسبيريون لا يعرفون عنهم. ومن الأفضل ألا يكتشفوا، لأن تاركيت سيعرف حينها أننا كذبنا عليه. وظيفتكِ هي إبقاء رأسكِ منخفضًا، والتعاون، وجذب أقل قدر ممكن من الانتباه لنفسك.

لديكِ مهلة الآن. الأخت بترا وافقت على تأجيل اجتماعاتكِ حتى تنتهي هذه الحربَ، بطريقة أو بأخرى. لذا أحسني التصرف. لا تعطيهم سببًا آخر للانزعاج. وإلا فقد ضعنا جميعًا."

حينها فهمت رين.

لم يكن فايسرا غاضبًا منها. لم يكن الأمر يتعلق بها على الإطلاق. لا، كان فايسرا محبطًا. لقد كان محبطًا لشهور، يلعب لعبة مستحيلة مع الهيسبيريين حيث يستمرون في تغيير القواعد.

تجرأت على السؤال:

— "لن يجلبوا سفنهم أبدًا، أليس كذلك؟"

تنهد.

— "لا نعلم."

— "ما زالوا لا يعطونك إجابة صريحة؟ كل هذا لأنهم ما زالوا يقررون؟"

قال فايسرا:

— "تاركيت يدعي أنهم لم ينتهوا من تقييمهم. أعترف أنني لا أفهم معاييرهم. عندما أسأل، يتمتمون بحماقات غامضة. يريدون علامات على «الإدراك العقلاني». دليلًا على القدرة على الحكم الذاتي."

— "لكن هذا سخيف. لو أخبرونا فقط بما يريدون..."

— "آه، لكن ذلك سيكون غشاً." التوت شفة فايسرا. "يحتاجون دليلاً على أننا وصلنا بشكل مستقل للمجتمع المتحضر."

— "لكن هذه مفارقة. لا يمكننا تحقيق ذلك ما لم يساعدونا."

بدا منهكًا.

— "أعرف."

رفعت يديها في الهواء.

— "إذن فالأمر تافه. هذا كله مجرد فرجة لهم. لن يأتوا أبدًا."

– "ربما." بدا فايسرا أكبر بعقود حينها، مليئًا بالتجاعيد والتعب. تخيلت رين كيف قد ترسمه بترا في كتابها. رجل نيكاري، متوسط العمر. قوي البنية. ذكاء معقول. أدنى منزلة.

قال:

– "لكننا الطرف الأضعف. ليس لدينا خيار سوى لعب لعبتهم. هكذا تعمل القوة."

***

وجدت نزهة في انتظارها خارج بوابات القصر.

قالت بتردد:

– "مرحبًا."

ألقى عليها نظرة متفحصة، محاولة قراءة تعابير وجهه، لكنه كان غامضًا كأبيه تمامًا.

رد عليها:

– "مرحبًا."

حاولت الابتسام، لكنه لم يبادلها الابتسامة. لدقيقة كاملة، وقفا هناك يحدقان في بعضهما البعض. كانت رين ممزقة بين الارتماء في أحضانه مرة أخرى وبين الهروب ببساطة. لم تكن تعرف موقفها معه حتى الآن. في آخر مرة تحدثا فيها – تحدثا حقًا – كانت متأكدة أنه سيكرهها للأبد.

سأل أخيرًا:

– "هل يمكننا التحدث؟"

– "نحن نتحدث بالفعل."

هز رأسه.

– "لوحدنا. على انفراد. ليس هنا."

– "حسنًا."

تبعته على طول القناة حتى حافة الرصيف، حيث كان صوت الأمواج عاليًا بما يكفي ليطغى على أصواتهما ويحجبها عن أي متلصص فضولي.

قال أخيرًا:

— "أدين لكِ بتفسير."

استندت على السياج وقالت:

— "أنا أسمعك."

— "أنا لست شامانًا."

رفعت يديها باستنكار.

— "أوه، لا تعبث معي..."

أصر قائلاً:

— "أنا لست كذلك. أعلم أنني أستطيع فعل أشياء. أعني، أعرف أنني مرتبط بإله، ويمكنني — نوعًا ما — استدعاؤه، أحيانًا..."

— "هذه هي الشامانية."

— "أنتِ لا تستمعين إلي. أيًا كان ما أكونه، فهو ليس ما تكونينه. عقلي ليس ملكي — جسدي ملك لشيء ما... لشيء..."

— "هذا هو الأمر بالضبط يا نزهة. هكذا هو الحال بالنسبة لنا جميعًا. وأعلم أنه مؤلم، وأعلم أنه صعب، لكن..."

قاطعها بحدة:

— "ما زلتِ لا تستمعين. الأمر ليس تضحية بالنسبة لكِ. أنتِ وإلهكِ تريدان نفس الشيء اللعين. لكنني لم أطلب هذا..."

رفعت حاجبيها.

— "حسنًا، الأمر لا يحدث بالصدفة فقط. كان عليك أن تريده أولًا. كان عليك أن تطلب من الإله."

— "لكنني لم أفعل. لم أطلب أبدًا، ولم أرغب في ذلك قط."

الطريقة التي قال بها نزهة ذلك جعلتها تصمت. بدا وكأنه على وشك البكاء.

أخذ نفسًا عميقًا، وعندما تحدث مرة أخرى، كان صوته هادئًا لدرجة أنها اضطرت للاقتراب منه لتسمعه.

– "في بويانغ، وصفتِني بالجبان."

– "اسمع، كل ما عنيته هو أن..."

قاطعها:

– "سأحكي لكِ قصة. أريدكِ أن تستمعي فقط. وأريدكِ أن تصدقيني. أرجوكِ."

عقدت ذراعيها.

– "حسنًا."

رمش نزهة بقوة وحدق بعيدًا فوق الماء.

– "أخبرتكِ ذات مرة أن لدي شقيقًا آخر. كان اسمه مينغتشا."

عندما لم يكمل، سألت رين:

– "كيف كان؟"

قال نزهة:

– "مرحًا للغاية. ممتلئ الجسم، صاخب، ومذهل. كان المفضل لدى الجميع. كان مليئًا بالطاقة لدرجة أنه كان يتوهج. عانت أمي من إجهاضين قبل أن تلده، لكن مينغتشا كان مثاليًا. لم يمرض أبدًا. كانت أمي تعشقه. كانت تعانقه باستمرار. ألبسته الكثير من الأساور والخلخال الذهبية لدرجة أنه كان يخشخش عندما يمشي."

ارتجف جسده وأكمل:

– "كان يجب أن تعرف أفضل. التنانين تحب الذهب."

كررت رين:

– "التنانين."

– "قلتِ إنكِ ستستمعين."

– "آسفة."

كان نزهة شاحبًا بشكل مرضي. بشرته كانت شفافة تقريبًا؛ استطاعت رين رؤية عروق زرقاء تحت فكه، تتقاطع مع ندوبه.

قال:

— "قضيت أنا وإخوتي طفولتنا نلعب بجوار النهر. هناك مغارة تبعد حوالي ميل عن مدخل هذه القناة، كهف بلوري تحت الماء أحب الخدم رواية القصص عنه، لكن أبي منعنا من دخوله. لذا بالطبع كل ما أردنا فعله هو استكشافه.

مرضت أمي ذات ليلة عندما كان مينغتشا في السادسة. في ذلك الوقت كان أبي قد استُدعي إلى سينغارد بأمر من الإمبراطورة، لذا لم يكن الخدم مهتمين بمراقبتنا كما كان ينبغي. جينتشا كان في الأكاديمية. وموتشا كان مسافرًا. لذا وقعت مسؤولية مراقبة مينغتشا عليّ."

تهدج صوت نزهة. بدت عيناه جوفاويين ومعذبتين. لم ترد رين سماع المزيد. كان لديها شك مقزز حول وجهة هذه القصة، ولم ترد أن يُنطق بها بصوت عال، لأن ذلك سيجعلها حقيقة.

أرادتً أن تخبره أن كل شيء على ما يرام، وأنه لا داعي لإخبارها، وأنهما لا يحتاجان للحديث عن هذا مرة أخرى أبدًا، لكن نزهة كان يتحدث أسرع فأسرع، كأنه خائف من أن تُدفن الكلمات بداخله إذا لم يبصقها الآن.

— "أراد مينغتشا أن... لا، أنا من أردت استكشاف تلك المغارة. كانت فكرتي منذ البداية. أنا من زرعتها في رأس مينغتشا. كان خطئي. هو لم يكن يعرف."

مدت رين يدها لذراعه.

— "نزهة، لست مضطرًا..."

دفعها بعيداً.

— "هل يمكنكِ الصمت والاستماع لمرة واحدة فقط؟"

سكتت.

همس:

– "كان أجمل شيء رأيته في حياتي. هذا ما يخيفني. يقولون إن «آل يين» جميلون. لكن ذلك لأن التنانين تحب الأشياء الجميلة، لأن التنانين جميلة وتخلق الجمال. عندما خرج من الكهف، كل ما استطعت التفكير فيه هو مدى سطوع حراشفه، ومدى روعة شكله، ومدى عظمته."

لكنها ليست حقيقية، فكرت رين بيأس. التنانين مجرد قصص. أليست كذلك؟

حتى لو لم تصدق قصة نزهة، فقد صدقت ألمه. كان مكتوبًا على وجهه بالكامل.

حدث شيء ما قبل كل تلك السنوات. هي فقط لم تعرف ما هو.

همس نزهة، حتى بينما ابيضت مفاصل يديه:

– "جميل جدًا. لم أستطع التوقف عن التحديق.

ثم التهم أخي. التهمه في ثوانٍ. هل شاهدتِ حيوانًا بريًا يأكل من قبل؟ الأمر ليس نظيفًا. إنه وحشي. لم يكن لدى مينغتشا حتى الوقت ليصرخ. في لحظة كان هناك، يتشبث بساقي، وفي اللحظة التالية كان فوضى من الدم والأشلاء والعظام اللامعة، ثم لم يبقَ شيء.

لكن التنين أبقى عليّ. قال إن لديه شيئًا أفضل لي."

ابتلع نزهة ريقه.

– "قال إنه سيعطيني هدية. ثم ادعى ملكيته لي."

قالت رين لأنها لم تعرف ماذا تقول غير ذلك:

– "أنا آسفة جدًا."

لم يبدُ أن نزهة قد سمعها حتى.

– "تتمنى أمي لو مت في ذلك اليوم. أتمنى لو مت. أتمنى لو كنت أنا. لكن حتى تمني الموت أنانية – لأنه لو كنت قد مت، لكان مينغتشا قد عاش، ولكان «سيد التنانين» قد لعنه كما لعنني، ولكان لمسه كما لمسني."

لم تجرؤ على السؤال عما يعنيه ذلك.

قال:

— "سأريكِ شيئًا."

كانت مذهولة لدرجة أنها لم تستطع قول شيء. استطاعت فقط المشاهدة برعب بينما يفك مشابك سترته بأصابع مرتعشة.

سحبها لأسفل واستدار.

— "هل ترين هذا؟"

كان وشمه — صورة لتنين بالأزرق والفضي. رأته من قبل، لكنه لن يتذكر.

لمست رأس التنين بإصبع السبابة، متسائلة. هل كان هذا الوشم السبب في شفاء نزهة دائمًا بهذه السرعة؟ بدا قادرًا على النجاة من أي شيء — الصدمات القوية، الغاز السام، الغرق.

لكن بأي ثمن؟

قالت بصوت خافت:

— "قلت إنه ادعى ملكيته لك. ماذا يعني ذلك؟"

— "يعني أنه مؤلم. في كل لحظة لست فيها معه. أشعر وكأن مراسي تحفر في جسدي؛ خطافات تحاول سحبي مرة أخرى إلى الماء."

لم تبدُ العلامة كندبة عمرها عشر سنوات تقريبًا. بدت حديثة الإصابة؛ كان جلده يلمع بلون قرمزي غاضب. جعل بريق الشمس التنين يبدو وكأنه يتلوى فوق عضلات نزهة، ضاغطًا نفسه أعمق وأعمق في جلده الحي.

سألته:

— "وإذا عدت إليه؟ ماذا سيحدث لك؟"

— "سأصبح جزءًا من مجموعته. سيفعل بي ما يشاء، ليشبع نفسه، ولن أغادر أبدًا. سأكون محاصرًا، لأنني لا أعتقد أنني أستطيع الموت. لقد حاولت. قطعت معصمي، لكنني لا أنزف حتى الموت أبدًا قبل أن تلتئم جروحي مرة أخرى. قفزت من «المنحدرات الحمراء»، وأحيانًا يكون الألم كافيًا لأظن أنني

نجحت هذه المرة، لكنني أستيقظ دائمًا. أعتقد أن التنين يبقيني حيًا. على الأقل حتى أعود إليه.

في المرة الأولى التي رأيت فيها تلك المغارة، كانت هناك وجوه على طول أرضية الكهف. استغرقني الأمر بعض الوقت لأدرك أن قدري أن أصبح واحداً منهم."

سحبت رين إصبعها، وهي تكبت رعشة.

قال نزهة وهو يعيد ارتداء قميصه:

— "إذن أنتِ تعرفين الآن."

تصلب صوته.

— "أنتِ مشمئزة — لا تقولي إنك لست كذلك، أستطيع رؤية ذلك على وجهك. لا يهمني. لكن إياكِ أن تخبري أحداً بما قلته لكِ للتو، وإياكِ ثم إياكِ أن تجرئي على مناداتي بالجبان في وجهي مرة أخرى."

عرفت رين ما كان يجب عليها فعله. كان يجب أن تقول إنها آسفة. كان يجب أن تعترف بألمه، كان يجب أن تتوسل لغفرانه.

لكن الطريقة التي قال بها ذلك — بصوت الشهيد الذي عانى طويلاً، كأنه ليس من حقها استجوابه، كأنه يسدي لها معروفًا بإخبارها... ذلك أثار غضبها. قالت:

— "أنا لست مشمئزة من ذلك."

— "لا؟"

— "أنا مشمئزة منك."

جاهدت لإبقاء صوتها ثابتًا.

— "أنت تتصرف وكأنه حكم بالإعدام، لكنه ليس كذلك. إنه أيضًا مصدر قوة. لقد أبقاك حيًا."

— "إنه رجس لعين."

— "هل أنا رجس؟"

— "لا، لكن..."

— "إذن ماذا، لا بأس لي أن أستدعي الآلهة، لكنك أسمى من ذلك؟ لا يمكنك تلويث نفسك؟"

— "ليس هذا ما عنيته..."

— "حسنًا، هذا هو المضمون."

— "الأمر مختلف بالنسبة لكِ، أنتِ اخترتِ ذلك..."

صرخت الآن:

— "هل تظن أن ذلك يجعله أقل إيلامًا؟ ظننت أنني أصبت بالجنون. لفترة طويلة لم أكن أعرف أي الأفكار هي أفكاري وأيها أفكار العنقاء. وكان ذلك مؤلمًا بحق الجحيم يا نزهة، لذا لا تخبرني أنني لا أعرف شيًّا عن ذلك. كانت هناك أيام أردت فيها الموت أيضًا، لكننا غير مسموح لنا بالموت، نحن أقوياء جدًا. والدك قالها بنفسه. عندما تمتلك كل هذه القوة ويكون كل هذا على المحك، لا يمكنك الهروب اللعين منها."

بدا غاضبًا.

— "تظنين أنني أهرب؟"

— "كل ما أعرفه هو أن مئات الجنود موتى في قاع بحيرة بويانغ، وكان بإمكانك فعل شيء لمنع ذلك."

هسهس:

— "إياكِ أن تلقي باللوم علي في ذلك. لا ينبغي أن أمتلك هذه القوة. ولا أي منا. لا ينبغي أَن نكون موجودين، نحن أرجاس، وكان من الأفضل لو كنا ميتين."

— "لكننا موجودون. وبناءً على هذا المنطق، فمن الجيد أن السبيريين قد قُتلوا."

— "ربما كان يجب قتل السبيريين. ربما يجب أن يموت كل شامان في الإمبراطورية. ربما تكون أمي محقة — ربما يجب أن نتخلص منكم أيها المسوخ، ونتخلص من سكان المناطق النائية أيضًا، طالما نحن بصدد ذلك."

حدقت فيه بعدم تصدي. لم يكن هذا نزهة. نزهة — نزهة الخاص بها — لا يمكن أن يقول لها هذا. كانت متأكدة جدًا من أنه سيدرك أنه تجاوز الحد، وسيتراجع ويعتذر، لدرجة أنها ذُهلت عندما ازدادت ملامحه قسوة فقط.

قال:

— "لا تخبريني أن ألتان لم يكن أفضل حالًا وهو ميت."

هربت كل ذرة شفقة شعرت بها تجاهه.

رفعت قميصها وقالت:

— "انظر إليّ."

أشاح نزهة بنظره فورًا، لكنها أمسكت بذقنه وأجبرته على النظر إلى عظمة قصها، لأسفل نحو بصمة اليد المحروقة في جلدها.

— "لست الوحيد الذي لديه ندوب."

انتزع نزهة نفسه من قبضتها.

— "نحن لسنا سواء."

— "بلى، نحن كذلك."

سحبت قميصها للأسفل مرة أخرى. تضببت عيناها بالدموع.

— "الفرق الوحيد بيننا هو أنني أستطيع تحمل الألم، بينما أنت لا تزال جبانًا لعينًا."

***

لم تستطع تذكر كيف افترقا، فقط أنه في لحظة كانا يتبادلان النظرات الغاضبة، وفي اللحظة التالية كانت تتعثر عائدة إلى الثكنات في حالة ذهول، وحيدة.

أرادت أن تركض خلف نزهة وتقول إنها آسفة، وأرادت أيضًا ألا تراه مرة أخرى أبدًا.

أدركت بشكل غامض أن شيئًا ما قد انكسر بينهما ولا يمكن إصلاحه. لقد تشاجرا من قبل. قضيا سنواتهما الثلاث الأولى معًا يتشاجران. لكن هذا لم يكن مثل تلك المشاحنات المدرسية الطفولية.

لن يعودا من هذا.

لكن ماذا كان عليها أن تفعل؟ تعتذر؟ كان لديها كبرياء يمنعها من التذلل. كانت متأكدة جدًا من أنها محقة. نعم، نزهة تأذى، لكن ألم يتأذوا جميعًا؟ لقد مرت بـ غولين نيس. عُذبت على طاولة مختبر. وشاهدت ألتان يموت.

مأساة نزهة الخاصة لم تكن أسوأ لأنها حدثت عندما كان طفلًا. لم تكن أسوأ لأنه كان خائفًا جدًا من مواجهتها. لقد مرت بالجحيم، وأصبحت أقوى بسببه. لم يكن خطأها أنه كان مثيرًا للشفقة لدرجة عجز معها عن فعل المثل.

وجدت «السيك» جالسين في دائرة على أرضية الثكنة. كان باجي ورامسا يلعبان النرد بينما يراقب سوني من سرير علوي ليتأكد من أن رامسا لا يغش، كما يفعل دائمًا.

قال باجي وهي تقترب:

— "يا إلهي، من أبكاكِ؟"

تمتمت:

— "نزهة. لا أريد التحدث عن الأمر."

طق رامسا بلسانه.

— "آه، مشاكل الفتيان."

جلست بينهم.

— "اخرس."

— "هل تريدين مني فعل شيء حيال ذلك؟ أضع صاروخًا في مرحاضه؟"

تمكنت من الابتسام.

— "أرجوك لا."

— "كما تشائين."

رمى باجي النرد على الأرض.

— "إذن ماذا حدث في الشمال؟ أين تشاغان؟"

قالت:

— "تشاغان لن يكون معنا لفترة."

أخذت نفسًا عميقًا وأجبرت نفسها على دفع نزهة إلى مؤخرة عقلها. انسيه. ركزي على شيء آخر. كان ذلك سهلاً بما يكفي — كان لديها الكثير لتخبر به السيك.

على مدى نصف الساعة التالية تحدثت إليهم عن الكيتريبد، وعن أوغوس، وعما حدث في الغابة.

كانوا غاضبين كما هو متوقع.

تساءل باجي:

— "إذن تشاغان كان يتجسس علينا طوال الوقت؟ ذلك السافل الكاذب."

قال رامسا:

— "لطالما كرهته. يتبختر دائمًا بتمتماته الغامضة. كان من المتوقع أن يكون وراءه شيء ما."

قال سوني، ولدهشة رين بدا الأقل انزعاجًا:

— "هل يمكنكم حقًا أن تتفاجأوا مع ذلك؟ كان عليكم أن تعرفوا أن لديهم أجندة أخرى. ماذا سيفعل سكان المناطق النائية في السيك غير ذلك؟"

قالت رين تلقائيًا:

— "لا تسمهم سكان المناطق النائية."

تجاهلها رامسا.

— "إذن ماذا كان سكان المناطق النائية سيفعلون إذا قرر تشاغان أننا أصبحنا خطرين للغاية؟"

قال باجي:

— "يقتلونكم، على الأرجح. خسارة أنهم عادوا للشمال، رغم ذلك. كان ليكون من اللطيف وجود شخص يتعامل مع فايلين. سيكون صراعًا."

كرر رامسا:

— "صراع؟"

ضحك بضعف.

— "هل تظن أن المرة الأخيرة التي حاولنا فيها القضاء عليه كانت صراعًا؟"

سألت رين:

— "ماذا حدث في المرة الأخيرة؟"

قال باجي:

— "استدرجه تير وترينغسين إلى كهف صغير وطعنا جسده بالعديد من السكاكين لدرجة أنه حتى لو استطاع استخدام الشامانية، لما نفعته قيد أنملة. كان الأمر مضحكًا نوعًا ما، حقًا. عندما أخرجوه بدا وكأنه وسادة دبابيس."

سألت رين:

— "وهل كان تير راضيًا عن ذلك؟"

أجاب باجي:

— "ما رأيكِ؟ بالطبع لا. لكن تلك كانت وظيفته. لا يمكنكِ قيادة السيك إذا لم تكن لديكِ الجرأة على الإعدام."

دوّت سلسلة من الخطوات خارج الغرفة. نظرت رين حول الباب لترى طابورًا من الجنود يخرجون، مجهزين بالكامل بالدروع والمطارد.

— "إلى أين يذهبون جميعًا؟ ظننت أن الميليشيا لم تتحرك جنوبًا بعد."

قال باجي:

— "إنها دورية اللاجئين."

رمشت بعينيها.

— "دورية لاجئين؟"

سأل رامسا:

— "ألم تري كل هؤلاء القادمين؟ كان من الصعب تفويتهم."

قالت رين:

— "لقد دخلنا عبر «المنحدرات الحمراء». لم أرَ أي شيء سوى القصر. ماذا تعني باللاجئين؟"

تبادل رامسا نظرة غير مريحة مع باجي.

– "لقد فاتكِ الكثير أثناء غيابك، على ما أظن."

لم يعجب رين ما ينطوي عليه ذلك. وقفت وقالت:

– "خذوني إلى هناك."

قال رامسا:

– "نوبة دوريتنا ليست حتى صباح الغد."

– "لا أهتم."

أصر رامسا:

– "لكنهم متشددون بشأن ذلك. الأمن مشدد على حدود اللاجئين، لن يسمحوا لنا بالمرور."

قالت رين:

– "أنا السبيرية. هل تظن أنني أهتم بحق الجحيم؟"

– "حسنًا."

سحب باجي نفسه للوقوف.

– "سآخذكِ. لكن الأمر لن يعجبكِ."

الفصل السادس والعشرون

سأل رامسا:

– "هذا المشهد يجعل الثكنات تبدو مكانًا لطيفًا، أليس كذلك؟"

لم تعرف رين ماذا تقول.

كانت منطقة اللاجئين محيطًا من البشر المكدسين في صفوف لا نهائية من الخيام الممتدة نحو الوادي. أُبقيت الحشود خارج المدينة، وحوصرت خلف حواجز شُيدت على عجل من ألواح الشحن والأخشاب الطافية.

بدا الأمر وكأن عملاقًا قد رسم خطًا في الرمال بإصبع واحد ودفع الجميع إلى جانب واحد. راح جنود الجمهورية، مدججين بالمطارِد، يذرعون المكان جيئة وذهابًا أمام الحاجز، رغم أن رين لم تكن متأكدة ممن يحرسون بالضبط؛ اللاجئين أم المواطنين.

شرح باجي:

– "لا يُسمح للاجئين بتجاوز هذا الحاجز. الـ... آه، المواطنون لم يريدوا لهم أن يزحموا الشوارع."

سألت رين:

– "ماذا يحدث إذا عبروا؟"

– "لا شيء فظيعًا للغاية. يرميهم الحراس عائدين إلى الجانب الآخر. حدث ذلك كثيرًا في البداية، لكن بضع علقات ساخنة علمت الجميع الدرس."

مشوا بضع خطوات أخرى. صدمت رائحة كريهة أنف رين — رائحة أجساد كثيرة جدًا لم تغتسل، مكدسة معًا لفترة طويلة جدًا.

– "منذ متى وهم هنا؟"

قال باجي:

— "منذ شهر على الأقل. قيل لي إنهم بدأوا في التدفق بمجرد تحركنا نحو إقليم الجرذ، لكن الأمر ازداد سوءًا بمجرد عودتنا."

لم تصدق رين أن أي شخص كان يعيش في هذه المخيمات طوال تلك المدة. رأت سحبًا من الذباب أينما نظرت. كان الطنين لا يُطاق.

قال رامسا:

— "لا يزالون يتقاطرون إلى الداخل. يأتون في موجات، عادة في الليل. ويستمرون في محاولة التسلل عبر الحدود."

سألت:

— "وكلهم من إقليمي الأرنب والجرذ؟"

— "عم تتحدثين؟ هؤلاء لاجئون جنوبيون."

رمشت بعينيها ناظرة إليه.

— "ظننت أن الميليشيا لم تتحرك جنوبًا."

تبادل رامسا نظرة مع باجي.

— "إنهم لا يهربون من الميليشيا. إنهم يهربون من الاتحاد."

— "ماذا؟"

حك باجي مؤخرة رأسه.

— "حسنًا، نعم. الأمر ليس وكأن جنود «موجين» قد ألقوا أسلحتهم وحسب."

— "أعرف، لكنني ظننت..."

تلاشى صوت رين. شعرت بالدوار. كانت تعلم أن قوات الاتحاد بقيت في البر الرئيسي، لكنها ظنت أنهم محصورون في وحدات معزولة. جنود مارقون، كتائب مشتتة. مرتزقة جائلون يشكلون تحالفات مفترسة مع مدن المقاطعات إذا كانت كبيرة بما يكفي، لكن ليس بما يكفي لتهجير الجنوب بأكمله.

سألت:

— "كم عددهم؟"

قال باجي:
— "ما يكفي. ما يكفي لتشكيل جيش منفصل تمامًا. إنهم يقاتلون لصالح الميليشيا يا رين. لا نعرف كيف؛ ولا نعرف أي صفقة عقدتها معهم. لكن قريبًا جدًا سنخوض حربًا على جبهتين، لا واحدة."

تساءلت بحدة:

— "أي المناطق؟"

— "إنهم في كل مكان."

عدد رامسا المقاطعات على أصابعه.

— "القرد. الأفعى. الديك."

جفلت رين. الديك؟

سأل رامسا:

— "هل أنتِ بخير؟"

لكنها كانت تركض بالفعل.

***

عرفت فورًا أن هؤلاء هم شعبها. عرفتهم من بشرتهم السمراء التي كانت تقارب دكنة بشرتها. عرفتهم من طريقتهم في الحديث — تلك اللهجة الريفية الناعمة التي جعلتها تشعر بالحنين وعدم الارتياح في آن واحد.

كان هذا هو اللسان الذي نشأت تتحدث به — اللهجة الريفية المسطحة التي لم تعد تستطيع التحدث بها دون أن تنكمش خجلاً، لأنها قضت سنوات في المدرسة تحاول انتزاعها من نفسها.

لم تسمع أي شخص يتحدث بلهجة الديك منذ زمن طويل.

ظنت، بغباء، أنهم قد يتعرفون عليها. لكن لاجئي الديك انكمشوا بعيدًا حين رأوها. أصبحت وجوههم منغلقة ومتجهمة عندما التقت عيونهم بعينيها. وزحفوا عائدين إلى خيامهم إذا اقتربت.

استغرقها الأمر لحظة لتدرك أنهم لم يكونوا خائفين منها، بل كانوا خائفين من زيها العسكري.

كانوا خائفين من جنود الجمهورية.

— "أنتِ."

أشارت رين إلى امرأة تقاربها في الطول.

— "هل لديكِ ملابس إضافية؟"

رمشت المرأة بعينيها، غير مستوعبة.

حاولت رين مرة أخرى، منزلقة بتعثر إلى لهجتها القديمة وكأنها ترتدي زوجًا من الأحذية غير المناسبة.

— "هل معاكِ، يعني، قميص تاني؟ بنطلون؟"

أومأت المرأة برعب.

— "أعطني إياهم."

زحفت المرأة إلى خيمتها. وعادت بصرة من الملابس — قميص باهت ربما كان مصبوغًا يومًا ما بنمط زهرة الخشخاش، وسروال واسع بجيوب عميقة.

شعرت رين بوخزة حادة في صدرها وهي تمسك القميص أمامها. لم ترَ ملابس كهذه منذ وقت طويل. كانت مصنوعة لعمال الحقول. حتى فقراء سينغارد كانوا ليسخروا منها.

خلع زيها الجمهوري أتى بنتيجة. توقف «الديوك» عن تجنبها حين رأوها. بدلاً من ذلك، أصبحت غير مرئية فعليًا وهي تشق طريقها عبر بحر الأجساد المتراصة. راحت تصرخ لتلفت الانتباه بينما تتحرك بين صفوف الخيام.

— "المعلم فيريك! أبحث عن المعلم فيريك! هل رآه أحد؟"

جاءت الردود في همسات مترددة وتمتمات غير مبالية. لا. لا. اتركينا وشأننا. لا. اعتاد هؤلاء اللاجئون على سماع صرخات يائسة تنادي مفقودين لدرجة أنهم أغلقوا آذانهم عنها. أحدهم كان يعرف معلمًا يدعى «فو»، لكنه لم يكن من تيكاني. وآخر عرف شخصًا يدعى فيريك، لكنه كان إسكافيًا لا معلمًا. وجدت رين أنه لا جدوى من محاولة وصفه؛ كان هناك المئات من الرجال

الذين يمكن أن ينطبق عليهم وصفه — مع كل صف تمر به كانت ترى رجالًا عجائز بلحى رمادية يتضح أنهم ليسوا المعلم فيريك في النهاية.

كبتت موجة من اليأس. كان من الغباء أن تأمل في المقام الأول. كانت تعلم أنها لن تراه مرة أخرى أبدًا؛ وقد سلمت بتلك الحقيقة منذ زمن بعيد.

لكن لم يكن بيدها حيلة. كان عليها أن تحاول.

حاولت توسيع نطاق بحثها.

— "هل يوجد أحد هنا من تيكاني؟"

نظرات فارغة. تحركت أسرع وأسرع عبر المخيم، حتى تحولت لركض.

— "تيكاني؟ أرجوكم؟ أي أحد؟"

ثم أخيرًا، سمعت صوتًا واحدًا وسط الحشد — صوت لم يكن مشوبًا باللامبالاة العابرة بل بعدم التصدي المطلق.

— "رين؟"

تعثرت وتوقفت. عندما استدارت، رأت فتى نحيلاً، لا يتجاوز الرابعة عشرة، بشعر بني كثيف وعينين واسعتين مائلتين للأسفل. وقف وقميص مبلل يتدلى من إحدى يديه وضمادة في الأخرى.

— "كيسيغي؟"

أومأ بصمت.

عادت ابنة ستة عشر عامًا مجددًا، تبكي وهي تحتضنه، وتهزه بقوة لدرجة كادت تسقطهما على التراب. بادلها العناق، ولف أطرافه الطويلة الهزيلة حولها تمامًا كما اعتاد أن يفعل.

متى أصبح طويلاً هكذا؟ ذُهلت رين من التغيير. في الماضي، بالكاد كان يصل لخصرها. الآن صار أطول منها بحوالي بوصة. لكن بقية جسده كانت نحيلة للغاية، أقرب للمجاعة؛ بدا وكأنه مُطّ أكثر مما نما.

سألته:

— "أين الآخرون؟"

– "أمي هنا معي. أبي مات."

– "الاتحاد...؟"

– "لا. كان الأفيون في النهاية."

أطلق ضحكة زائفة.

– "مضحك، حقًا. سمع أنهم قادمون، فأكل وعاءً كاملاً من القطع. وجدته أمي بينما كنا نحزم أمتعتنا للمغادرة. كان ميتًا منذ ساعات."

منحها ابتسامة مربكة. ابتسامة. لقد فقد والده، وكان يحاول أن يجعلها تشعر بتحسن حيال ذلك.

– "ظننا فقط أنه كان نائمًا."

قالت:

– "أنا آسفة."

خرج صوتها جامدًا. لم تستطع منع ذلك. علاقتها بالعم فانغ كانت علاقة بين سيد وخادم، ولم تستطع استحضار أي شيء يشبه الحزن ولو من بعيد.

سألت:

– "المعلم فيريك؟"

هز كيسيغي رأسه.

– "لا أعرف. رأيته وسط الحشد عندما غادرنا، أظن ذلك، لكنني لم أره منذ ذلك الحين."

تهدج صوته عندما تحدث. أدركت أنه يحاول اصطناع صوت أعمق مما يمتلك. ووقف مستقيم الظهر بشكل مبالغ فيه أيضًا، ليبدو أطول مما هو عليه. كان يحاول أن يمرر نفسه كشخص بالغ.

– "إذن فقد عدتِ."

تجمد الدم في عروق رين. كانت تمشي بشكل أعمى دون وجهة، مفترضة أن كيسيغي كان يفعل الشيء نفسه، لكن بالطبع كانا يمشيان عائدين إلى خيمته.

توقف كيسيغي.

– "أمي. انظري من وجدت."

منحت العمة فانغ رين ابتسامة رفيعة.
— "يا للعجب. إنها بطلة الحرب. لقد كبرتِ."

لم تكن رين لتتعرف عليها لو لم يقدمها كيسيغي. بدت العمة فانغ أكبر بعشرين عامًا، ببشرة تشبه جوزة مجعدة. لطالما كانت حمراء الوجه، غاضبة دائمًا، مثقلة بطفلة بالتبني لم تكن تريدها وزوج مدمن على الأفيون. كانت ترعب رين في السابق. لكنها الآن بدت ذابلة وجافة، وكأن القتال قد استُنزف منها تمامًا.

سألت العمة فانغ:
— "هل أتيتِ لتشمتي؟ هيا، انظري. ليس هناك الكثير لترينه."

كررت رين بذهول:
— "أشمت؟ لا، أنا..."
— "إذن ما الأمر؟ حسنًا، لا تقفي هكذا وحسب."

كيف يعقل أنه حتى الآن لا تزال العمة فانغ قادرة على جعلها تشعر بهذا القدر من الغباء وانعدام القيمة؟ تحت نظرتها اللاذعة، شعرت رين وكأنها طفلة صغيرة مرة أخرى، تختبئ في السقيفة لتتجنب الضرب.

تمكنت من القول:
— "لم أكن أعرف أنكم هنا. أنا فقط — أردت أن أرى ما إذا..."
— "ما إذا كنا لا نزال أحياء؟"

وضعت العمة فانغ يديها العظميتين على وركيها الضيقين.
— "حسنًا، ها نحن ذا. ولا فضل لكم أيها الجنود — لا، كنتم مشغولين جداً بالغرق في الشمال. إنه خطأ فايسرا أننا هنا أصلاً."

صاحت رين:
— "انتبهي لنبرتك."

صُدمت عندما انكمشت العمة فانغ للخلف كأنها تتوقع ضربة.
— "أوه، لم أقصد ذلك."

تبنت العمة فانغ تعبيرًا متملقًا واسع العينين بدا بشعًا على وجهها الجلدي.

— "الجوع يؤثر عليّ فقط. ألا يمكنكِ إحضار بعض الطعام لنا يا رين؟ أنتِ جندية، أراهن أنهم جعلوكِ قائدة حتى، أنتِ مهمة جدًا، بالتأكيد يمكنكِ استغلال بعض العلاقات."

سألت رين:

— "ألا يطعمونكم؟"

ضحكت العمة فانغ.

— "ليس إلا إذا كنتِ تتحدثين عن سيدة أرلونغ وهي تتجول لتوزع أوعية صغيرة من الأرز على أنحف الأطفال الذين يمكنها العثور عليهم بينما يتبعها الشياطين ذوو العيون الزرقاء لتوثيق مدى روعتها."

قال كيسيغي:

— "نحن لا نحصل على شيء. لا ملابس، لا بطانيات، لا دواء. معظمنا يبحث عن طعامه بنفسه — كنا نأكل السمك لفترة، لكنه كان مسمومًا بشيء ما، ومرضنا. لم يحذرونا من ذلك."

وجدت رين صعوبة في تصديق ذلك.

— "لم يفتحوا أي مطابخ لكم؟"

هز كيسيغي كتفيه العظميين.

— "فعلوا، لكن تلك المطابخ تطعم ربما مائة فم قبل أن تغلق. انظري حولك. شخص ما يموت جوعًا كل يوم في هذا المخيم. ألا ترين؟"

— "لكنني ظننت — بالتأكيد، فايسرا سـ..."

سخرت العمة فانغ:

— "فايسرا؟ تنادينه باسمه الأول، هاه؟"

— "لا — أعني، نعم، لكن..."

— "إذن يمكنكِ التحدث إليه!" لمعت عينا العمة فانغ كالخرز. "أخبريه أننا نتضور جوعًا. إذا لم يستطع إطعامنا جميعًا، فقط اجعليهم يوصلون الطعام لي ولكيسيغي. لن نخبر أحدًا."

تمتمت رين:

– "لكن الأمر لا يسير هكذا. أعني – لا أستطيع ببساطة..."

زمجرت العمة فانغ:

– "افعليها أيتها السافلة الجحودة. أنتِ تدينين لنا."

كررت رين بعدم تصدي:

– "أدين لكِ؟"

– "أخذتكِ إلى بيتنا. ربيتكِ لستة عشر عامًا."

– "كنتِ ستبيعينني للزواج!"

– "وحينها كانت حياتكِ ستكون أفضل من حياتنا جميعًا."

وجهت العمة فانغ إصبعًا نحيلاً ومتهمًا نحو صدر رين.

– "ما كان لينقصكِ شيء أبدًا. كل ما كان عليك فعله هو فتح ساقيكِ بين الحين والآخر، وكنتِ ستحصلين على أي شيء تريدين أكله، وأي شيء تريدين ارتداءه. لكن ذلك لم يكن كافيًا لكِ – أردتِ أن تكوني مميزة، أن تكوني مهمة، أن تهربي إلى سينغارد وتنضمي للميليشيا في مغامراتها السعيدة."

صرخت رين:

– "تظنين أن هذه الحرب كانت ممتعة لي؟ لقد شاهدت أصدقائي يموتون! كدت أموت!"

سخرت العمة فانغ:

– "كلنا كدنا نموت. أرجوكِ. أنتِ لستِ مميزة."

قالت رين:

– "لا يمكنكِ التحدث إليّ هكذا."

– "أوه، أعلم."

انحنت العمة فانغ انحناءة منخفضة ومسرحية.

— "أنتِ مهمة جدًا. ومحترمة جدًا. هل تريدين منا أن نزحف عند قدميكِ، أهذا هو الأمر؟ سمعتِ أن عمتكِ العجوز الحقيرة في المخيمات، فلم تستطيعي تفويت الفرصة لفرك أنفها في التراب؟"

قال كيسيغي بهدوء:

— "أمي، توقفي."

قالت رين:

— "ليس هذا سبب مجيئي."

التوى فم العمة فانغ في sneer (تعبير ساخر/محتقر).

— "إذن لماذا جئتِ؟"

لم تملك رين إجابةً لها.

لم تكن تعرف ما توقعت أن تجده. ليس منزلاً، ولا انتماءً، ولا المعلم فيريك — وبالتأكيد ليس هذا.

كانت هذه غلطة. ما كان ينبغي أن تأتي على الإطلاق. لقد قطعت صلاتها بتيكاني منذ زمن طويل. وكان يجب أن تبقيها مقطوعة.

تراجعت بسرعة، وهي تهز رأسها. حاولت أن تقول "أنا آسفة"، لكن الكلمات علقت في حلقها.

لم تستطع النظر في عيني أي منهما. لم تعد تريد البقاء هنا، لم ترد الشعور بهذا بعد الآن. تراجعت إلى الممر الرئيسي وانطلقت في مشية سريعة. أرادت أن تركض، لكن كبرياءها منعها.

— "رين!"

صرخ كيسيغي. اندفع خارجًا خلفها.

— "انتظري."

تسمرت في مكانها. أرجوك قل شيئًا يجعلني أبقى. أرجوك.

— "نعم؟"

سأل:

— "إذا لم تستطيعي إحضار الطعام، هل يمكنكِ أن تطلبي منهم بعض البطانيات؟ واحدة فقط؟ الجو يصبح باردًا جدًا في اللَيل."

أجبرت نفسها على الابتسام.

— "بالطبع."

***

على مدار الأسبوع التالي، تدفق سيل من الناس إلى أرلونغ سيرًا على الأقدام، أو في عربات متهالكة، أو على طوافات شُيدت على عجل من أي شيء يطفو. أصبح النهر دوامة بطيئة الحركة من الأجساد المتراصة ببعضها بإحكام لدرجة أن مياه مقاطعة التنين الزرقاء الشهيرة اختفت تحت وطأة اليأس البشري.

فتش جنود الجمهورية الوافدين الجدد بحثًا عن أسلحة ومقتنيات ثمينة قبل حشرهم في طوابير منظمة نحو أي أرباع في منطقة اللاجئين لا تزال بها مساحة.

لم يقابل اللاجئون إلا القليل جدًا من اللطف. كان جنود الجمهورية، و"التنانين" خاصة، متعالين بشكل فظيع، يصرخون في الجنوبيين عندما لا يستطيعون فهم لهجة أرلونغ السريعة.

قضت رين ساعات كل يوم تمشي على الأرصفة مع فينكا. كانت سعيدة لهروبها من واجب "المعالجة"، الذي تضمن الوقوف للحراسة فوق طوابير بائسة بينما يسجل الكتبة وصول اللاجئين ويصدرون لهم أوراق إقامة مؤقتة. ربما كان ذلك أكثر أهمية مما كانت تفعله هي وفينكا، وهو انتشال النفايات من أجزاء نهر موروي بالقرب من نقاط اختناق اللاجئين، لكن رين لم تستطع تحمل التواجد حول تلك الحشود الكبيرة من البشرة السمراء والعيون المُتّهِمة.

علقت فينكا وهي ترفع إبريقًا فارغًا من الماء:

— "سيتعين علينا قطع الطريق عليهم في مرحلة ما. لا يمكن أن يتسع المكان لهم جميعًا."

قالت رين:

– "فقط لأن منطقة اللاجئين صغيرة جدًا. لو فتحوا حواجز المدينة، أو لو وجهوهم نحو سفح الجبل، لكانت هناك مساحة وفيرة."

– "مساحة وفيرة، ربما. لكن ليس لدينا ما يكفي من الملابس، أو البطانيات، أو الدواء، أو الحبوب، أو أي شيء آخر."

شعرت رين بأنها ملزمة بالإشارة إلى ذلك:

– "حتى وقت قريب، كان الجنوبيون هم من ينتجون الحبوب."

قالت فينكا:

– "والآن هربوا من ديارهم، فلا أحد ينتج الطعام. هذا لا يساعدنا حقًا. مهلاً، ما هذا؟"

مدت يدها بحذر في الماء وسحبت برميلاً إلى الرصيف. وضعته على الأرض. تدحرجت منه ما بدا للوهلة الأولى كصرة ملابس مبللة.

– "مقرف."

– "ما هذا؟"

اقتربت رين لتلقي نظرة أفضل وندمت على ذلك فورًا.

– "إنه ميت، انظري."

مدت فينكا الرضيع لتري رين بشرته الصفراء المريضة، والآثار الناتئة لهجمات البعوض المتواصلة، والطفح الأحمر الذي غطى نصف جسده. صفعت فينكا خديه. لا استجابة. حملته فوق النهر وكأنها ستلقي به مرة أخرى.

بدأ الرضيع في الأنين.

التوى تعبير قبيح على وجه فينكا. بدت فجأة مليئة بكراهية قاتلة لدرجة أن رين كانت متأكدة من أنها على وشك قذف الرضيع برأسه أولاً في الميناء.

قالت رين بسرعة:

– "أعطني إياه."

سحبت الرضيع من ذراعي فينكا. ضربت رائحة حامضة أنفها. كادت تتقيأ لدرجة أنها أوشكت على إسقاط الرضيع، لكنها تمالكت نفسها.

كان الطفل ملفوفًا في ملابس كبيرة بما يكفي لتناسب شخصًا بالغًا. هذا يعني أن شخصًا ما أحبه. لم يكونوا ليتخلوا عن الملابس لولا ذلك — كانوا الآن في منتصف الشتاء، وحتى في الجنوب الدافئ، يصبح الليل باردًا بما يكفي ليتجمد اللاجئون المسافرون بلا مأوى حتى الموت.

شخص ما أراد لهذا الطفل أن ينجو. كانت رين تدين له بفرصة للقتال.

مشت بسرعة إلى نهاية الرصيف وسلمت الصرة لأول جندي رأته.

— "خذ."

ترنح الجندي تحت الوزن المفاجئ.

— "ماذا يفترض بي أن أفعل بهذا؟"

قالت رين:

— "لا أعرف، فقط احرص على أن يتم الاعتناء به. خذه إلى المستشفى، إذا سمحوا لك."

ضم الجندي الرضيع بقوة بين ذراعيه وانطلق راكضًا. عادت رين إلى النهر واستأنفت جر رمحها بفتور عبر الماء.

أرادت بشدة أن تدخن. لم تستطع إخراج طعم الجثث من فمها.

كسرت فينكا الصمت أولاً.

— "لماذا تنظرين إليّ هكذا؟"

بدت دفاعية. غاضبة. لكن كان هذا رد فعل فينكا الافتراضي تجاه كل شيء؛ كانت تفضل الموت على الاعتراف بالضعف. شكت رين في أن فينكا كانت تفكر في الطفل الذي فقدته، ولم تكن متأكدة مما ستقوله، سوى أنها تشعر بأسف شديد لأجلها.

قالت رين أخيرًا:

— "كنتِ تعلمين أنه حي."

صاحت فينكا:

— "نعم. وماذا في ذلك؟"

— "وكنتِ ستقتلينه."
ابتلعت فينَكا ريقها بصعوبة وطعنت الماء برمحها مرة أخرى.
— "ذلك الشيء ليس له مستقبل. كنت أسدي له معروفًا."

***

كانت أرلونغ في زمن الحرب شيئًا قبيحًا. خيم اليأس على العاصمة مثل كفن بينما كان تهديد الجيوش التي تقترب من الشمال والجنوب يزداد قربًا كل يوم.

كان الطعام مقننًا بصرامة، حتى لمواطني مقاطعة التنين. كل رجل وامرأة وطفل لم يكن في الجيش الجمهوري تم تجنيده للعمل. أُرسل معظمهم للعمل في المسابك أو أحواض بناء السفن. حتى الأطفال الصغار كُلفوا بمهمة قص شرائط الكتان للمستشفى.

كان التعاطف هو السلعة الأكثر ندرة. اللاجئون الجنوبيون، المحشورون خلف حاجزهم، كانوا مكروهين بالإجماع من قبل الجنود والمدنيين على حد سواء. قُدم الطعام والإمدادات على مضض، إن قُدمت أصلاً. اكتشفت رين أنه إذا لم يتمركز الجنود لحراسة شحنات الإمدادات، فإنها لن تصل أبدًا إلى المخيمات.

تشبث اللاجئون بأي مناصرين محتملين يمكنهم العثور عليهم. وبمجرد انتشار خبر صلة رين بآل فانغ، أصبحت بطلة غير رسمية، معينة قسرًا، لمصالح اللاجئين في أرلونغ. في كل مرة كانت بالقرب من المنطقة، كان اللاجئون يستوقفونها، يتوسلون جميعًا لأجل ألف شيء مختلف لا تستطيع الحصول عليه — المزيد من الطعام، المزيد من الدواء، المزيد من المواد لإشعال نيران الطهي والخيام.

كرهت الموقع الذي ألقوها فيه لأنه لم يؤدِ إلا إلى الإحباط من كلا الجانبين. تزايد انزعاج القيادة الجمهورية لأنها استمرت في تقديم طلبات مستحيلة لضروريات إنسانية أساسية، وبدأ اللاجئون في استيائها لأنها لم تكن قادرة على الوفاء بوعودها أبدًا.

شكت رين بمرارة لـ كيتاي:

– "الأمر لا يعقل. فايسرا هو من قال دائمًا إنه يجب علينا معاملة السجناء جيدًا. وهل هذه هي الطريقة التي نعامل بها شعبنا؟"

قال كيتاي:

– "لأن اللاجئين ليس لديهم أي ميزة استراتيجية على الإطلاق، إلا إذا حسبتِ الإزعاج البسيط الذي قد تمثله أجسادهم المكدسة لجيش داجي. إذا سمحتِ لي أن أكون صريحًا."

قالت:

– "اذهب للجحيم."

– "أنا فقط أنقل ما يفكرون فيه جميعًا. لا تقتلي الرسول."

كان ينبغي لرين أن تكون أكثر غضبًا، لكنها فهمت أيضًا مدى تغلغل تلك العقلية. بالنسبة لمعظم "التنانين"، بالكاد كان الجنوبيون يُعتبرون من النيكارا. كان بإمكانها أن ترى بعيون شمالية الصورة النمطية لـ «الديك» – أحمق أسمر، أحول العينين، بارز الأسنان، يتحدث لغة مشوهة.

أشعرها ذلك بخزي وإحراج فظيعين، لأنها اعتادت أن تكون هكذا تمامًا.

حاولت محو تلك الأجزاء من نفسها منذ زمن طويل. في الرابعة عشرة كانت محظوظة بما يكفي للدراسة تحت يد معلم يتحدث لغة سينغاردية شبه قياسية. وذهبت إلى سينغارد صغيرة بما يكفي ليتم انتزاع عاداتها السيئة منها بسرعة ووحشية. تكيفت لتندمج. محت هويتها لتنجو.

وأشعرها بالذل أن الجنوبيين كانوا يبحثون عنها الآن، وأن لديهم الجرأة للاقتراب منها، لأنهم جعلوها تشبههم أكثر بمجرد القرب.

لطالما حاولت قتل ارتباطها بمقاطعة الديك، المكان الذي منحها ذكريات سعيدة قليلة. وكادت تنجح. لكن اللاجئين لم يدعوها تنسى.

في كل مرة اقتربت فيها من المخيمات، رأت نظرات غاضبة ومُتّهِمة. كلهم عرفوا من تكون الآن. وحرصوا على جعلها تعرف ذلك. توقفوا عن صراخ

الشتائم في وجهها. لقد تجاوزوا نقطة الغضب منذ زمن؛ الآن كانوا يعيشون في يأس حاقد. لكنها استطاعت قراءة وجوههم الصامتة بوضوح شديد.

أنتِ واحدة منا، قالوا. *كان يفترض أن تحمينا. لقد خذلتِنا.*

***

بعد ثلاثة أسابيع من عودة رين إلى أرلونغ، أرسلت الإمبراطورة رسالة مباشرة إلى الجمهورية.

على بعد حوالي ميل من «المنحدرات الحمراء»، أسرت دورية حدود مقاطعة التنين رجلاً زعم أنه مبعوث من العاصمة. لم يحمل الرسول سوى سلة خيزران مزخرفة على ظهره وختم إمبراطوري صغير للتحقق من هويته.

أصر الرسول على أنه لن يتحدث ما لم يستقبله فايسرا في قاعة العرش بحضور كامل جنرالاته، وأمراء الحرب، والجنرال تاركيت. جرد حراس إريدين ملابسه وفحصوا ثيابه وسلاله بحثًا عن متفجرات أو غاز سام، لكنهم لم يجدوا شيئًا.

قال الرسول بمرح:

— "مجرد فطائر."

على مضض سمحوا له بالمرور.

أعلن للقاعة:

— "أحمل رسالة من الإمبراطورة سو داجي."

تدلت شفته السفلى بشكل بشع عندما تحدث. بدت مصابة بشيء ما؛ كان الجانب الأيسر سميكًا ببثور حمراء مليئة بالصديد. بالكاد كانت كلماته مفهومة عبر لهجة الجرذ الثقيلة.

ضاقت عينا رين وهي تراقبه يقترب من العرش. لم يكن دبلوماسيًا من سينغارد ولا ممثلاً للميليشيا. لم يتصرف كمسؤول بلاط. لا بد أنه كان جنديًا عاديًا، إن كان حتى كذلك. لكن لماذا تترك داجي الدبلوماسية لشخص بالكاد يستطيع التحدث؟

إلا إذا لم يكن الرسول هنا لأي مفاوضات حقيقية. إلا إذا لم تكن داجي بحاجة لشخص يمكنه التفكير بسرعة أو الحديث بسلاسة. إلا إذا كانت داجي تريد فقط شخصًا سيجد أكبر متعة في استفزاز فايسرا. شخص يحمل ضغينة ضد الجمهورية ولن يمانع الموت في سبيلها.

مما يعني أن هذه لم تكن هدنة. كانت هذه رسالة من طرف واحد.

توترت رين. لم تكن هناك طريقة يمكن للرسول بها إيذاء فايسرا، ليس مع صفوف رجال إريدين الذين يسدون طريقه إلى العرش. لكن مع ذلك قبضت على رمحها الثلاثي بإحكام، وعيناها تتبعان كل حركة للرجل.

أمر فايسرا:

— "قل ما لديك."

ابتسم الرسول ابتسامة عريضة.

— "لقد جئت لأنقل أخبار يين جينتشا."

وقفت السيدة سايخارا. استطاعت رين رؤيتها ترتجف.

— "ماذا فعلت بابني؟"

هبط الرسول على ركبتيه، ووضع سلته على الأرضية الرخامية، ورفع الغطاء. انتشرت رائحة نفاذة عبر القاعة.

مدت رين عنقها، متوقعة رؤية جثة جينتشا المقطعة.

لكن السلة كانت مملوءة بالفطائر (الزلابية)، كل واحدة مقلية حتى الكمال الذهبي ومضغوطة بنمط زهرة اللوتس. كان من الواضح أنها فسدت بعد أسابيع من السفر — استطاعت رين رؤية عفن داكن يزحف حول حوافها — لكن شكلها كان لا يزال سليمًا. زُخرفت بدقة، ودُهنت بمعجون بذور اللوتس ونُقش عليها بالحبر خمسة رموز قرمزيّة.

التنين يلتهم أبناءه.

قال الرسول:

— "تأمركم الإمبراطورة بالاستمتاع بفطيرة من أندر اللحوم. إنها تتوقع أنكم قد تتعرفون على النكهة."

صرخت السيدة سايخارا وانهارت على الأرض.

التقى فايسرا بعيني رين ومرر يده عبر عنقه بحركة خاطفة.

فهمت. رفعت رمحها واندفعت نحو الرسول.

ترنح للخلف قليلاً فقط، لكنه لم يبذل أي جهد للدفاع عن نفسه. لم يرفع حتى ذراعيه. جلس هناك وحسب، يبتسم برضا.

دفنت رمحها في صدره.

لم تكن ضربة نظيفة. كانت مصدومة جدًا، ومشتتة بسبب الفطائر، فلم تتمكن من التصويب بشكل صحيح. انزلقت الشُعب عبر قفصه الصدري لكنها لم تخترق قلبه.

سحبتها للخارج.

أطلق الرسول ضحكة غرغرة. فقفق الدم عبر أسنانه المعوجة، ملطخًا الأرضية الرخامية النقية.

قال:

— "ستموتون. ستموتون جميعًا. وسترقص الإمبراطورة فوق قبوركم."

طعنت رين مرة أخرى وهذه المرة أصابت بدقة.

هرع نزهة إلى والدته ورفعها بين ذراعيه.

— "لقد أغمي عليها. ساعدوني، أي أحد..."

قال الجنرال هو بينما تجمع حاشية القصر حول سايخارا:

— "هناك شيء آخر."

سحب لفافة من السلة بيدين ثابتتين بشكل ملحوظ ونفض الفتات عن جانبها.

— "إنها رسالة."

لم يتحرك فايسرا من عرشه.

— "اقرأها."

كسر الجنرال هو الختم وبسط اللفافة.

— "أنا قادمة إليكم."

جلست السيدة سايخارا وأطلقت أنينًا منخفضًا.

صاح فايسرا بـ نزهة:

— "أخرجها من هنا. هو، اقرأ."

تابع الجنرال هو:

— "جنرالاتي يبحرون في نهر موروي بينما تتسكع أنت في قلعتك. ليس لديكم مكان تهربون إليه. ليس لديكم مكان تختبئون فيه. أسطولنا أضخم. ورجالنا أكثر عددًا. ستموتون عند قاعدة المنحدرات الحمراء كأسلافكم، وستطعم جثثكم أسماك الموروي."

ساد الصمت القاعة.

بدا فايسرا متجمداً على كرسيه. لم تفضح تعابيره شيئًا. لا حزن، لا خوف. كان يمكن أن يكون مصنوعًا من الجليد.

أعاد الجنرال هو لف الرسالة وتنحنح.

— "هذا كل ما تقوله."

***

في غضون أسبوعين، عاد كشافة فايسرا — منهكين، وخيولهم مشرفة على الموت — من الحدود وأكدوا الأسوأ. الأسطول الإمبراطوري، الذي تم إصلاحه وتعزيزه منذ بويانغ، بدأ رحلته المتعرجة جنوبًا حاملاً ما بدا وكأنه الميليشيا بأكملها.

نوت داجي إنهاء هذه الحرب في أرلونغ.

أفاد أحد الكشافة:

— "لقد رصدوا السفن من منارات بيرين ومورين."

سأل الجنرال هو بجزع:

— "كيف وصلوا بهذه السرعة؟ لماذا لم يتم إخبارنا في وقت أبكر؟"

شرح الكشاف:

– "لم يصلوا إلى مورين بعد. الأسطول ضخم ببساطة. استطعنا رؤيته عبر الجبال."

– "كم سفينة؟"

– "أكثر بقليل مما كان لديهم في بويانغ."

قال النقيب إريدين:

– "الخبر الجيد هو أن السفن الحربية الأكبر ستعلق حيثما يضيق نهر موروي. سيضطرون لدحرجتها على جذوع الأشجار لتحريكها براً. لدينا أسبوعان، ربما أسبوعان ونصف. أظن أنهم وصلوا هنا الآن."

مد يده فوق الخريطة ونقر نقطة على الحدود الشمالية الغربية لمقاطعة الأرنب.

– "هل يجب أن نرسل رجالاً للأعلى، نحاول تعطيلهم عند المنعطفات الضيقة؟"

هز فايسرا رأسه.

– "لا. هذا لا يغير استراتيجيتنا الكبرى. إنهم يريدون منا تقسيم دفاعاتنا، لكننا لن نبتلع الطعم. نركز على تحصين أرلونغ، وإلا خسرنا الجنوب بالكامل."

حدقت رين لأسفل نحو الخريطة، إلى النقاط الحمراء الغاضبة التي تمثل كلاً من قوات الإمبراطورية والاتحاد. كانت الجمهورية محشورة من الجانبين – الإمبراطورية من الشمال، والاتحاد من الجنوب. كان من الصعب عدم الذعر وهي تتخيل قوات داجي المشتركة تطبق حولهم مثل قبضة حديدية.

– "ألغوا أولوية الساحل الشمالي. أعيدوا أسطول تسولين إلى العاصمة."

بدا فايسرا هادئًا بشكل مستحيل، وكانت رين ممتنة لذلك.

– "أريد كشافة مع حمام زاجل متمركزين على فترات ميل واحد على طول الموروي. في كل مرة يتحرك ذلك الأسطول، أريد أن أعرف. أرسلوا رسلاً إلى الديك والقرد. استدعوا فصائلهم المحلية."

قال غوروباي:

– "لا يمكنك فعل ذلك. إنهم ما زالوا يتعاملون مع بقايا الاتحاد."

قال فايسرا:

— "لا أهتم بشأن الاتحاد. أهتم بشأن أرلونغ. إذا كان كل ما سمعناه عن هذا الأسطول صحيحًا، فإن هذه الحرب انتهت ما لم نتمكن من الحفاظ على قاعدتنا. نحتاج كل رجالنا في مكان واحد."

قال تاخا:

— "أنت تترك قرى بأكملها لتموت. مقاطعات بأكملها."

— "إذن سيموتون."

صاح تشاروك:

— "أتمزح؟ هل تظن أننا سنقف هنا وحسب بينما تنكث وعودك؟ قلت إننا إذا انشققنا، ستساعدنا في القضاء على الموجينيين..."

قال فايسرا بنفاد صبر:

— "وسأفعل. ألا ترون؟ نهزم داجي ونستعيد الجنوب أيضًا. بمجرد ذهاب داعمهم، سيستسلم الموجينيون..."

عارضه تشاروك:

— "أو سيفهمون أن الحرب الأهلية أضعفتنا، وسينقضون على الأشلاء مهما حدث."

— "ذلك لن يحدث. بمجرد فوزنا بالدعم الهيسبيري..."

سخر تشاروك:

— "«الدعم الهيسبيري». لا تكن طفلاً. تاركيت ورجاله يتسكعون في المدينة منذ بعض الوقت الآن، وذلك الأسطول لا يظهر في الأفق."

قال فايسرا:

— "سيأتون إذا سحقنا الميليشيا. ولا يمكننا فعل ذلك إذا أضعنا الوقت في خوض حرب على جبهتين."

قال غوروباي:

— "انسَ هذا. يجب أن نأخذ قواتنا ونعود للديار الآن."

قال فايسرا بهدوء:

– "تفضلوا. لن تصمدوا أسبوعًا. أنتم بحاجة لقوات التنين وتعلمون ذلك، وإلا لما جئتم في المقام الأول. لا أحد منكم يستطيع الاحتفاظ بمقاطعاته، ليس بالأعداد التي تملكونها. وإلا لكنتم عدتم منذ زمن طويل."

ساد صمت قصير. استطاعت رين أن تدرك من تعبير غوروباي أن فايسرا كان محقًا. لقد كشف خديعتهم.

لم يكن لديهم خيار الآن سوى اتباع قيادته.

سأل نزهة فجأة:

– "لكن ماذا يحدث بعد أن تفوز بأرلونغ؟"

التفتت كل الرؤوس في اتجاهه.

رفع نزهة ذقنه.

– "نوحد البلاد فقط لنترك الموجينيين يمزقونها مرة أخرى؟ هذه ليست ديمقراطية يا أبي، هذا ميثاق انتحار. أنت تتجاهل تهديدًا هائلاً لمجرد أنها ليست أرواح تنانين التي على المحك..."

قال فايسرا:

– "كفى."

لكن نزهة تحدث فوق صوته:

– "داجي دعت الاتحاد إلى هنا في المقام الأول. لا داعي لأن تكمل أنت القضاء علينا."

حدق الأب والابن في بعضهما البعض عبر الطاولة.

قال فايسرا بهدوء:

– "أخوك ما كان ليعصيني هكذا أبدًا."

قال نزهة:

– "لا، جينتشا كان متهورًا وطائشًا ولم يستمع أبدًا لأفضل استراتيجييه، والآن هو ميت. إذن ماذا ستفعل يا أبي؟ تتصرف بدافع شعور تافه بالانتقام، أم تفعل شيئًا لمساعدة الناس في جمهوريتك؟"

ضرب فايسرا الطاولة بيديه.

— "صمت. لن تخالفني..."

صاح نزهة:

— "أنت ترمي حلفاءك للذئاب وحسب! ألا يدرك أحد كم هذا مروع؟ جنرال هو؟ رين؟"

— "أنا..."

كان لسان رين رصاصًا في فمها.

كانت كل العيون فجأة، وبشكل مرعب، مسلطة عليها.

عقد فايسرا ذراعيه فوق صدره وهو يراقبها، ورافعًا حاجبيه كأنه يقول: هيا.

قال نزهة:

— "إنهم يغزون موطنكِ."

جفلت رين. ماذا توقع منها أن تقول لذلك؟ هل ظن أنه لمجرد كونها من الجنوب، ستخالف أوامر فايسرا؟

قالت:

— "هذا لا يهم. سيد التنانين محق — نقسم قواتنا ونموت."

قال نزهة بنفاد صبر:

— "بحقكِ. من بين كل الناس، يجب عليكِ..."

سخرت منه:

— "يجب عليّ ماذا؟ يجب أن أكره الاتحاد أكثر؟ أنا أفعل، لكنني أعلم أيضًا أن إرسال القوات جنوبًا يخدم خطة داجي تمامًا. هل تفضل أن نسلم أرلونغ لها ببساطة؟"

قال نزهة:

— "أنتِ لا تصدقين."

منحته أفضل تقليد لديها لنظرة فايسرا الثابتة.

– "أنا أقوم بعملي فحسب يا نزهة. وربما يجدر بك محاولة القيام بعملك أنت."

الفصل السابع والعشرون

– "لقد حددتُ عددًا من التكتيكات في هذا الكتيب."

ناول كيتاي رين كتيبًا صغيرًا.

– "سيكون للنقيب دالين أفكارها الخاصة، لكن استنادًا إلى السجلات التاريخية، أعتقد أن هذه هي الأنجع."

قلبت رين الصفحات.

– "هل انتزعتَ هذه الأوراق من كتاب؟"

هز كتفيه.

– "لم يكن لدي وقت لنسخ كل شيء، لذا قمت بالتعليق عليها فقط."

ضيقت عينيها لتقرأ خط يده المتعرج في الهوامش.

– "إغراق بالأخشاب؟"

– "أعلم أنه يستهلك الكثير من الوقت والقوى العاملة، لكن ليس لديكِ الكثير من الخيارات الجيدة الأخرى."

شد خصلات شعره بقلق.

– "سيكون الأمر مزعجًا لهم أكثر من أي شيء آخر، لكنه سيكسبنا بضع ساعات."

لاحظت قائلة:

– "لقد شطبتَ تكتيكات حرب العصابات."

– "لن تفيدكِ كثيرًا. وعلاوة على ذلك، لا ينبغي أن تحاولي تدمير الأسطول، أو حتى أَجزاء منه."

عبست رين. كان هذا بالضبط ما خططت لفعله.

– "لا تقل لي إنك تعتقد أن الأمر خطير للغاية."

– "لا، أعتقد أنكِ ببساطة لا تستطيعين. أنتِ لا تدركين مدى ضخامة الأسطول. لا يمكنكِ حرقهم جميعًا قبل أن يكتشفوا أمرك، ليس بمدى نيرانك الحالي. لا تحاولي فعل أي شيء ذكي."

– "لكن..."

قال كيتاي بصرامة:

– "عندما تخاطرين، فأنتِ تقامرين بحياتي أنا أيضًا. لا حماقات يا رين، أنا أعني ما أقول. التزمي بالتوجيهات. فقط أبطئي تقدمهم. اشترِ لنا بعض الوقت."

أمر فايسرا كتيبتين بالإبحار صعودًا في نهر موروي وعرقلة تقدم البحرية الإمبراطورية. كانوا في سباق مع الزمن، يسعون جاهدين لكسب وقت إضافي لمواصلة تحصين أرلونغ وانتظار عودة أسطول تسولين من الشاطئ الشمالي مسرعًا نحو الساحل. إذا تمكنوا من تأخير البحرية الإمبراطورية لبضعة أيام على الأقل، وإذا استطاعت أرلونغ حشد دفاعاتها في الوقت المناسب، وإذا تمكنت سفن تسولين من سبق سفن داجي إلى العاصمة، فقد تكون لديهم فرصة للقتال ضد الإمبراطورية.

كانت هناك الكثير من الـ"لو".

لكنها كانت كل ما يملكونه.

تطوعت رين فورًا بالسيك لمهمة تأخير الأسطول. لم تكن تطيق التواجد حول اللاجئين بعد الآن، وأرادت إبعاد باجي وسوني عن الهيسبيريين قبل أن يتسبب قلقهم في كارثة.

تمنت لو كان بإمكانها اصطحاب كيتاي معها. لكنه كان أثمن من أن يُرسل في مهمة انتحارية على الأرجح لأي شخص ليس شامانًا، وأراده فايسرا خلف أسوار المدينة لتجهيز تحصينات الدفاع.

وبينما كانت رين سعيدة لأن كيتاي سيكون بمنأى عن الأذى، كرهت أنهما على وشك الانفصال لأيام دون وسيلة اتصال.

إذا حل الخطر، فلن تكون قادرة على حمايته.
قرأ كيتاي النظرة على وجهها.
— "سأكون بخير. أنتِ تعلمين ذلك."
— "لكن إذا حدث أي شيء..."
أشار قائلاً:
— "أنتِ من ستذهبين إلى منطقة حرب."
— "كل مكان هو منطقة حرب."
أغلقت الكتيب وحشرته في جيب قميصها.
— "أنا خائفة عليك. على كلينا. لا أستطيع منع نفسي."
عصر ذراعها.
— "ليس لديكِ وقت للخوف. فقط أبقينا على قيد الحياة، اتفقنا؟"
***
توقفت رين وقفة أخيرة عند المسبك قبل مغادرة أرلونغ.
— "ماذا يمكنني أن أفعل لكِ؟"
صاح الحداد في وجهها فوق ضجيج الفرن. كانت النيران تشتعل بلا توقف لأيام، لإنتاج السيوف ومسامير القوس المستعرض والدروع بكميات كبيرة.
ناولته رمحها الثلاثي.
— "ما رأيك في هذا المعدن؟"
مرر أصابعه على المقبض وتحسس الشعب ليختبر حدتها.
— "معدن جيد. لكنني لا أصنع الكثير من رماح المعارك الثلاثية. لا تريدين مني العبث بهذا كثيرًا، سأفسد توازنه. لكن يمكنني شحذ الشعب إذا احتجتِ."
— "لا أريد شحذه. أريدك أن تذيبه."
— "هممم."
اختبر توازن الرمح فوق كفه.
— "صناعة سبيرية؟"
— "نعم."

رفع حاجبًا.

– "وهل أنتِ متأكدة أنكِ تريدين إعادة تشكيل هذا؟ لا أرى أي عيب فيه."

– "إنه تالف بالنسبة لي. دمره تمامًا."

– "هذا سلاح فريد جدًا. لن تحصلي على رمح ثلاثي كهذا مرة أخرى."

هزت رين كتفيها.

– "لا بأس."

كان لا يزال يبدو غير متأكد.

– "الحرفة السبيرية يستحيل تقليدها. لا أحد حي الآن يعرف كيف صنعوا أسلحتهم. سأبذل قصارى جهدي، لكن قد ينتهي بكِ الأمر بأداة صياد سمك."

قالت:

– "لا أريد رمحًا ثلاثيًا. أريد سيفًا."

***

انطلق قاربان سريعان (سكيمر) من المنحدرات الحمراء في ذلك الصباح. تسابق القارب "هارير"، بقيادة نزهة، صعودًا في النهر للاحتفاظ بمدينة شايانغ، الواقعة عند منعطف ضيق وحيوي في دلتا النهر العلوي. كان سكان شايانغ قد أخلوا المدينة منذ فترة طويلة متجهين إلى العاصمة، لكن المدينة نفسها كانت قاعدة عسكرية في السابق – لم يحتج نزهة إلا لتحصين حصون المدافع القديمة.

تبع طاقم رين، بقيادة النقيب دالين، وهي امرأة نحيلة ووسيمة، بوتيرة أبطأ، يجدفون ببطء فيما كان من المفترض أن تكون سفينة جينتشا الحربية.

لم تكن قريبة حتى من الاكتمال. لم يسموها حتى. كان من المفترض أن يختار جينتشا اسمًا عند الانتهاء من بنائها، والآن لم يستطع أحد أن يجرؤ على فعل ذلك بدلاً منه. لم تُركب حواجز السطح العلوي، وكانت الطوابق السفلية فارغة وغير مؤثثة، ولم تُثبت المدافع على الجوانب.

لكن لم يهم أي من ذلك، لأن عجلات التجديف كانت تعمل. كانت السفينة تمتلك قدرة أساسية على المناورة. لم يكونوا بحاجة للإبحار بها إلى أراضي العدو، كان عليهم فقط إيصالها عشرين ميلاً أعلى النهر.

تبين أن كتيب كيتاي عبقري. لقد رسم سلسلة من الحيل الصغيرة لإحداث أقصى قدر من التأخير. بمجرد أن أرسوا سفينة جينتشا الحربية، انتشر السيك وطاقم النقيب دالين على مسافة عشرة أميال، وبكفاءة مذهلة، نفذوا كل واحدة منها.

أقاموا سلسلة من السدود باستخدام مزيج من جذوع الأشجار وأكياس الرمل. واقعيًا، لن تكسبهم هذه السدود سوى نصف يوم أو نحو ذلك، لكنها ستظل ترهق الجنود المجبرين على الغوص في المياه العميقة لإزالتها.

في أعلى النهر من تلك السدود، زرعوا أوتادًا خشبية في النهر لتمزيق قيعان سفن العدو. أراد كيتاي، بدعم حماسي من رامسا، زرع نفس نوع الألغام المائية التي استخدمتها الإمبراطورية ضدهم، لكن الوقت نفد قبل أن يتمكن من معرفة كيفية تجفيف الأمعاء بشكل صحيح.

مدوا عدة كابلات حديدية عبر النهر، عادةً بعد المنعطفات مباشرة. إذا كان "جنرال لحم الذئب" ذكيًا، فسيرسل جنودًا لتفكيك الأعمدة بدلاً من محاولة قطع الكابلات. لكن الأعمدة كانت مخفية جيداً خلف القصب وكانت الكابلات غير مرئية تحت الماء، لذا قد تتسبب في تكدس مدمر إذا اصطدم الأسطول بها دون انتباه.

أقاموا عددًا من الحاميات على فترات متباعدة بثلاثة أميال على طول نهر موروي. سيحرس كل منها عشرة إلى خمسة عشر جنديًا مسلحين بأقواس ونشاب ومدافع وقذائف.

كان هؤلاء الجنود سيموتون على الأرجح. لكنهم قد يتمكنون من قنص حفنة من جنود الميليشيا، أو في أحسن الأحوال إتلاف سفينة أو اثنتين قبل أن

ينسفهم جنرال لحم الذئب. ومن حيث الأرواح والوقت، كانت المقايضة تستحق العناء.

بالقرب من الحدود الشمالية لمقاطعة التنين، وقبل تفرع نهر مورووي مباشرة إلى غولين، أغرقوا سفينة جينتشا الحربية في الماء.

قال رامسا وهم يخلون معداتهم إلى البر:

— "يا للخسارة. سمعت أنه كان من المفترض أن تكون أعظم سفينة حربية بُنيت في تاريخ الإمبراطورية."

قالت رين:

— "كانت سفينة جينتشا. وجينتشا مات."

كانت السفينة الحربية سفينة غزو بُنيت لغزو ضخم للأراضي الشمالية. لن يكون هناك غزو كهذا الآن. كانت الجمهورية تقاتل من أجل فرصتها الأخيرة في البقاء. ستخدم سفينة جينتشا الحربية بشكل أفضل من خلال الرسو بثقل في مياه مورووي العميقة وعرقلة الأسطول الإمبراطوري لأطول فترة ممكنة.

حطموا المجاديف وقطعوا الصواري قبل النزول، فقط للتأكد من تدمير السفينة الحربية لدرجة استحالة أن يعيد الأسطول الإمبراطوري استخدامها للإبحار نحو أرلونغ.

ثم جدفوا بقوارب نجاة صغيرة إلى الشاطئ واستعدوا لمسيرة سريعة نحو الداخل.

فخخ رامسا الطابقين السفليين بعدة مئات من أرطال المتفجرات، كلها مجهزة لتدمير الهياكل الأساسية للسفينة الحربية. رُبطت الفتائل معًا لتسلسل تفاعل متسلسل. كل ما احتاجوه الآن هو شعلة.

صاحت رين:

— "هل الجميع بخير؟"

حسب ما استطاعت رؤيته، كان الجنود قد أخلوا الشاطئ جميعًا. انطلق معظمهم بالفعل ركضًا نحو الغابة كما أُمروا.

أومأت لها النقيب دالين.

— "افعليها."

رفعت رين ذراعيها وأرسلت شريطًا رفيعًا من النار يرقص عبر النهر.

اختفى اللهب داخل السفينة الحربية، حيث وُضع الفتيل تمامًا عند نهاية مدى نيران رين. لم تنتظر لتتأكد ما إذا كان قد اشتعل.

بعد عشرة ياردات من خط الأشجار، سمعت سلسلة من الانفجارات المكتومة، تلاها صمت طويل. تعثرت وتوقفت لتنظر فوق كتفها. السفينة الحربية لم تكن تغرق.

سألت:

— "هل كان هذا كل شيء؟ ظننت أن الصوت سيكون أعلى."

بدا رامسا مشوشًا بالمثل.

— "ربما لم تكن الفتائل موصولة بشكل صحيح؟ لكنني كنت متأكدًا..."

أسقطتهم جولة الانفجارات التالية أرضًا. ارتطمت رين بالتراب، وضغطت يديها على أذنيها، وأغمضت عينيها بقوة بينما اهتزت عظامها ذاتها. انهار رامسا بجانبها، يرتجف بجنون. لم تستطع معرفة ما إذا كان يضحك أم يرتجف.

عندما خفتت الانفجارات أخيرًا، سحبت نفسها للوقوف وجرت رامسا إلى أرض أعلى. استدارا. فوق خط الأشجار مباشرة، استطاعا بالكاد رؤية علم الجمهورية يرفرف عاليًا، محجوبًا بدخان أسود متصاعد.

همس رامسا:

— "أثداء النمر."

للحظة طويلة ومتوترة بدا أن السفينة الحربية قد تظل طافية. ظلت الأشرعة منتصبة تمامًا، وكأنها معلقة من السماء بخيط. وقف رين ورامسا جنبًا إلى جنب، وأصابعهما متشابكة، يراقبون الدخان يتوسع ليغلف السماء.

أخيرًا تردد صدى تكسر الخشب في الهواء الساكن بينما انهارت دعامات الدعم واحدة تلو الأخرى. اختفى الصاري الأوسط فجأة، وكأن السفينة قد

انطوت على نفسها، تلتهم أحشاءها. ثم بصرير أنين، انقلبت السفينة الحربية على جانبها وغاصت في الماء الأسود.

أقاموا معسكرًا تلك الليلة على صوت المزيد من الانفجارات، رغم أنها كانت تأتي من مسافة سبعة أميال على الأقل. وصلت البحرية الإمبراطورية إلى بلدة شايانغ الحدودية. كان الهروب من الضوضاء مستحيلاً.

استمر القصف طوال الليل. سمعت رين جولات كثيرة من نيران المدافع لدرجة أنها لم تستطع تخيل بقاء أي شيء من شايانغ سوى الدخان والأنقاض.

سأل باجي:

— "هل أنتِ بخير؟"

كان من المفترض أن يخطف الطاقم بضع ساعات من النوم قبل رحلتهم أسفل النهر، لكن رين بالكاد استطاعت إغلاق عينيها. جلست منتصبة، تحتضن ركبتيها، غير قادرة على إشاحة نظرها عن الأضواء الوامضة في سماء الليل.

وضع باجي يده على كتفها.

— "هاي. اهدئي. أنتِ ترتجفين. ما الخطب؟"

أومأت برأسها في اتجاه شايانغ.

— "نزهة هناك."

— "وأنتِ خائفة عليه؟"

همست دون تفكير:

— "أنا دائمًا خائفة عليه."

— "آه. فهمت."

منحها باجي نظرة فضولية.

— "أنت عاشقة."

— "لا تكَن مقززًا. فقط لأنك تظن أن العالم كله عبارة عن أثداء و..."

— "لا داعي لأن تكوني دفاعية يا صغيرة. إنه شاب وسيم."

— "انتهينا من الكلام."

قهقه باجي.

— "حسنًا. لا تشاركي. فقط أجيبي على هذا. هل كنتِ لتكوني هنا بدونه؟"
— "ماذا، أخيم بجانب الموروي؟"
أوضح:
— "تقاتلين في هذه الحرب. تخدمين تحت إمرة والده."
قالت:
— "أنا أخدم الجمهورية."
قال:
— "كما تقولين."
لكنها استطاعت أن ترى من النظرة في عينيه أنه لا يكاد يصدقها.
سألته:
— "لماذا لا تزال هنا إذن؟ إذا كنت متشككًا هكذا. أعني — ليس لديك ولاء للجمهورية، والآلهة تعلم أن السيك بالكاد لا تزال موجودة. لماذا لم تهرب وحسب؟"
بدا باجي كئيبًا للحظة. لم يكن يبدو جادًا هكذا أبدًا؛ كان يمتلك دائمًا شخصية صاخبة، وسلسلة لا تنتهي من النكات القذرة والتعليقات البذيئة. لم تكلف رين نفسها عناء التفكير في أن ذلك قد يكون مجرد واجهة.
قال بعد فترة صمت:
— "فكرت في ذلك لدقيقة. أنا وسوني كلينا. قبل عودتك فكرنا بجدية في الانشقاق."
— "لكن؟"
— "لكن حينها لن يكون لدينا ما نفعله. أنا متأكد أنكِ تفهمين يا رين. آلهتنا تريد الدماء. هذا كل ما يمكننا التفكير فيه. ولا يهم أننا نظريًا نستعيد عقولنا عندما لا نكون منتشين. أنتِ تعلمين أن الأمر لا يسير هكذا. بالنسبة لأي شخص آخر ستكون الحياة الهادئة جنة الآن، لكن بالنسبة لنا ستكون مجرد تعذيب."

قالت بهدوء:

— "أنا أفهم."

علمت أن الأمر لن ينتهي أبدًا بالنسبة لباجي أيضًا؛ تلك الرغبة المستمرة في التدمير. إذا لم يقتل مقاتلي العدو، فسيبدأ في صب غضبه على المدنيين ويفعل كل ما فعله ليدخل نفسه إلى باغرا في المقام الأول. كان هذا العقد الذي وقعه السيك مع آلهتهم. لا ينتهي إلا بالجنون أو الموت.

ابتلع باجي ريقه وقال:

— "يجب أن أكون في ساحة معركة. أينما أمكنني العثور على واحدة. لا يوجد شيء آخر."

هز انفجار آخر الليل بقوة لدرجة أنهم شعروا بالأرض تهتز تحتهم حتى من مسافة سبعة أميال. ضمت رين ركبتيها أقرب لصدرها وارتجفت.

قال لها باجي بعد مرور الانفجار:

— "لا يمكنكِ فعل شيء حيال ذلك. عليكِ فقط أن تثقي بأن نزهة يعرف كيف يقوم بعمله."

صرخ رامسا:

— "أثداء النمر اللعينة."

كان يقف في مكان أبعد صعودًا، يحدق عبر منظاره.

— "هل ترون هذا يا رفاق؟"

وقفت رين.

— "ماذا هناك؟"

أشار رامسا بجنون لينضموا إليه في قمة التل. ناول رين منظاره وأشار.

— "انظري هناك. تمامًا بين تلك الشجرتين."

حدقت رين عبر العدسة. هبطت أمعاؤها.

— "هذا مستحيل."

قال رامسا:

— "حسنًا، إنه ليس وهمًا لعينًا."

سأل باجي:
— "ما هو الذي ليس كذلك؟"

ناوله رين المنظار بصمت. لم تكن بحاجة إليه. الآن بعد أن عرفت ما تبحث عنه، حتى عينها المجردة استطاعت رؤية الخطوط العريضة للبحرية الإمبراطورية تلتف ببطء عبر الأشجار.

شعرت وكأنها تشاهد سلسلة جبال تتحرك.

قال باجي:
— "تلك ليست سفينة."

قال رامسا مذهولاً:
— "لا. تلك قلعة."

كانت القطعة المركزية للبحرية الإمبراطورية هيكلاً وحشيًا: قلعة مربعة من ثلاثة طوابق بدت وكأن حاجز الحصار بأكمله في شياشانغ قد انفصل عن الأرض ليطفو ببطء أسفل النهر.

كم جنديًا يمكن لتلك القلعة أن تستوعب؟ آلافًا؟ عشرات الآلاف؟

سأل باجي:
— "كيف يبقى ذلك الشيء طافيًا؟ لا يمكن أن يكون لديه أي قدرة على الحركة."

قالت رين:
— "لا يحتاجون للقدرة على الحركة. بقية الأسطول موجود لحراستها. يحتاجون فقط لتقريب تلك القلعة بما يكفي من المدينة. ثم سيجتاحونها."

قال رامسا ما كانوا يفكرون فيه جميعًا:
— "سنموت، أليس كذلك؟"

قال باجي:
— "ابتهج. ربما يأخذون أسرى."

لا يمكننا قتالهم. انقبض صدر رين برعب حاد وخانق. بدت مهمتهم بأكملها بلا طائل الآن. قد تعرقل الجذوع والسدود الميليشيا لبضع ساعات، لكن أسطولاً بتلك القوة يمكنه في النهاية شق طريقه عبر أي شيء.

قال رامسا وهو يحدق في منظاره مرة أخرى:

— "سؤال. كيف تبدو أعلام تسولين؟"

— "ماذا؟"

— "هل عليها ثعابين خضراء؟"

— "نعم..."

ضربها شك رهيب. انتزعت المنظار منه، لكنها عرفت بالفعل ما ستراه. السفن التي تتبع في المؤخرة كانت تحمل الشعار الحلزوني الذي لا لبس فيه لمقاطعة الأفعى.

سأل باجي:

— "ماذا يحدث؟"

لم تستطع رين الكلام.

لم تكن مجرد حفنة من السفن التابعة لتسولين. أحصت ستة حتى الآن. مما يعني أحد أمرين — إما أن تسولين قد خاض مناوشة وخسر مبكرًا أمام البحرية الإمبراطورية وأُعيد استخدام سفنه لصالح الإمبراطورية، أو أن تسولين قد انشق.

قال باجي:

— "سأعتبر صمتكِ يعني الأسوأ."

***

أمرت النقيب دالين بانسحاب فوري عائدين إلى أرلونغ. ففكك الجنود معسكرهم في دقائق. بالتجديف مع التيار، يمكنهم العودة لتحذير أرلونغ في غضون يوم، لكن رين لم تدرِ ما إذا كان التحذير المسبق سيحدث فرقًا حتى. إضافة سفن تسولين عنت أن حجم البحرية الإمبراطورية قد تضاعف تقريبًا. لم يهم مدى جودة دفاعات أرلونغ. لا يمكنهم قتال أسطول بهذا الحجم.

استمرت نيران المدافع من شايانغ طوال الليل، ثم توقفت فجأة قبل الفجر مباشرة. عند شروق الشمس رأوا سلسلة من إشارات الدخان من جنود نزهة تتصاعد في السماء البعيدة.

فسرت دالين:

— "سقطت شايانغ. القارب هارير جانح، لكن الناجين ينسحبون إلى أرلونغ."

سأل أحدهم:

— "هل يجب أن نذهب لنجدتهم؟"

توقفت دالين لحظة.

— "لا. جدفوا أسرع."

سحبت رين مجدافها عبر الماء الموحل، محاولة ألا تتخيل الأسوأ. قد يكون نزهة بخير. لم تكن شايانغ مهمة انتحارية — لقد أُمر نزهة بالاحتفاظ بالحصن لأطول فترة ممكنة قبل الهروب إلى الغابة. وإذا كان مصابًا بجروح خطيرة، فإن الموروي سيأتي لنجدته. إلهه لن يتخلى عنه. كان عليها أن تؤمن بذلك.

عند الظهيرة، سمعوا جولة بعيدة من نيران المدافع مرة أخرى.

قال رامسا:

— "ستكون تلك السفينة الحربية. يحاولون شق طريقهم عبرها بالتفجير."

قالت رين:

— "جيد."

ربما كان إغراق السفينة الحربية أفضل أفكار كيتاي. لم يستطع الأسطول الإمبراطوري ببساطة تفجيرها لأشلاء — الجزء الأكبر من الهيكل كان يقبع تحت الماء، حيث لا يمكن لنيران المدافع لمسه. تفجير الطبقات العليا لن يؤدي إلا إلى جعل استخراج القاع الغارق من الموروي أصعب.

بعد نصف ساعة، توقفت نيران المدافع. لا بد أن الميليشيا قد فهمت الأمر. الآن سيتعين عليهم إرسال غواصين بخطافات لتمشيط وتنظيف النهر. قد يستغرقهم ذلك يومين، ثلاثة على الأكثر.

لكن بعد ذلك، سيستأنفون رحلتهم البطيئة ولكن التي لا هوادة فيها إلى أرلونغ. وبدون تسولين، لم يبقَ شيء ليوقفهم.

***

قال كيتاي عند عودة رين:

– "نحن نعلم."

كان قد هرع لاستقبالها عند الميناء. بدا أشعث تمامًا؛ كان شعره يقف في كل اتجاه كأنه قضى الساعات القليلة الماضية يذرع المكان ويشد خصلات شعره.

– "اكتشفنا الأمر قبل ساعتين."

صرخت:

– "لكن لماذا؟ ومتى؟"

هز كيتاي كتفيه بقلة حيلة.

– "كل ما أعرفه هو أننا انتهينا. تعالي."

تبعته ركضًا إلى القصر. داخل الغرفة الرسمية الرئيسية، وقف إريدين وحفنة من الضباط متجمعين حول خريطة لم تعد حتى قريبة من الدقة، لأنها ببساطة محت سفن تسولين من اللوحة.

لكن الجمهورية لم تخسر سفنًا فحسب. لم تكن هذه نكسة محايدة. كان ليكون أفضل لو انسحب تسولين ببساطة، أو لو قُتل. لكن هذا الانشقاق عنى أن الأسطول بأكمله الذي اعتمدوا عليه أصبح الآن يعزز قوات داجي.

استبدل النقيب إريدين القطع التي تمثل أسطول تسولين بقطع حمراء وتراجع عن الطاولة.

– "هذا ما نتعامل معه."

لم يكن لدى أحد ما يقوله. كان فارق الأعداد مضحكًا تقريبًا. تخيلت رين ثعبانًا لامعًا يلف جسده حول قارض صغير، يعصره حتى يخفت الضوء من عينيه.

تمتمت:

— "هذا الكثير من الأحمر."

قال كيتاي:

— "لا تقولي."

سألت:

— "أين فايسرا؟"

سحبها كيتاي جانبًا وتمتم في أذنها حتى لا يسمع إريدين.

— "وحده في مكتبه، يقذف المزهريات على الجدار على الأرجح. طلب ألا يُزعج."

أشار إلى لفافة ملقاة على حافة الطاولة.

— "أرسل تسولين تلك الرسالة هذا الصباح. حينها عرفنا."

التقطت رين اللفافة وبسطتها. كانت تعرف محتواها بالفعل، لكنها احتاجت لقراءة كلمات تسولين بنفسها بدافع من الفضول المرير، بنفس الطريقة التي لم تستطع بها منع نفسها من إلقاء نظرة فاحصة على جثث الحيوانات المتحللة.

هذا ليس المستقبل الذي تمنيته لأي منا.

كتب تسولين بخط رفيع وجميل. كل ضربة قلم تضاءلت بعناية لنقطة دقيقة، أسلوب خطي سهل تطلب سنوات لإتقانه. لم تكن هذه رسالة كُتبت على عجل. كانت هذه رسالة كُتبت بجهد من رجل لا يزال يهتم باللياقة.

عبر الصفحة رأت رين حروفًا مشطوبة ومُعاد كتابتها حيث لطخ الماء الحبر. لقد بكى تسولين وهو يكتب.

يجب أن تدرك أن التزام الحاكم الأول هو تجاه شعبه. لقد اخترت المسار الذي سيؤدي إلى أقل قدر من الدماء. ربما خنق هذا انتقالاً ديمقراطيًا. أعرف الرؤية التي حلمت بها لهذه الأمة وأعرف أنني ربما دمرتها. لكن التزامي الأول ليس تجاه أناس لم يولدوا بعد في مستقبل هذا البلد، بل تجاه الناس الذين يعانون الآن، الذين يقضون أيامهم في خوف بسبب الحرب التي جلبتها إلى عتبة دارهم.

أنا أنشق لأجلهم. هكذا سأحميهم. أبكي لأجلك يا تلميذي. أبكي لجمهوريتك. أبكي لزوجتي وأطفالي. ستموت وأنت تظن أنني تخليت عنكم جميعًا. لكنني لا أتردد في القول إنني أقدر حياة شعبي أكثر بكثير مما قدرتكم يومًا.

الفصل الثامن والعشرون

كان من المقرر أن تصل البحرية الإمبراطورية إلى المنحدرات الحمراء في غضون ثمان وأربعين ساعة. تحولت أرلونغ إلى خلية من النشاط المحموم واليائس، إذ سارع الجيش الجمهوري لإتمام استعداداته الدفاعية في اليومين المتبقيين. اشتعلت الأفران على مدار الساعة، نهارًا وليلاً، منتجة جبالًا من السيوف والدروع والرماح. أضحت المنحدرات الحمراء مدخنة لمحركات الحرب.

استدعى الحداد رين في مساء اليوم الأول.

قال وهو يناولها سيفًا:

— "كان العمل بهذا الخام رائعًا."

كان السيف تحفة فنية، نصله رفيع ومستقيم، وتتدلى من مقبضه شرابة قرمزيّة.

— "أفترض أنه لا يوجد لديكِ المزيد من هذا المعدن، أليس كذلك؟"

تمتمت وهي تقلب النصل بين يديها:

— "عليك الإبحار عائدًا إلى الجزيرة، والنبش حول الهياكل العظمية، لترى ما قد تجد."

— "عادل بما يكفي."

أخرج الحداد نصلًا ثانيًا، مطابقًا للأول تمامًا.

— "لحسن الحظ، كان هناك ما يكفي من المعدن الفائض لصنع بديل. في حال فقدتِ أحدهما."

— "هذا مفيد. شكرًا لك."

مدت ذراعها ممسكة بالسيف الأول بشكل مستقيم لتختبر وزنه. بدا المقبض وكأنه صُب خصيصًا لقبضتها. كان النصل أطول قليلاً من أي شيء استخدمته من قبل، لكنه كان أخف مما بدا عليه. لوحت به في دائرة فوق رأسها.

تراجع الحداد خارج نطاقها.

— "ظننت أنكِ سترغبين في مدى إضافي."

قذفت المقبض من يد لأخرى. كانت تخشى أن تشعر بالغرابة بسبب الطول، لكنه لم يزدها إلا مدى، وعوّض الوزنُ الخفيف عن ذلك وزيادة.

— "هل تلمح إلى أنني قصيرة القامة؟"

ضحك بخفوت.

— "أقول إن ذراعيكِ ليستا طويلتين جدًا. كيف تشعرين به؟"

رسمت بطرف نصلها مسارًا في الهواء، تاركة إياه يقودها عبر حركات "الشكل الثالث" لأسلوب سيجين المألوف. فوجئت بمدى روعة الشعور. كان نزهة محقًا — كانت بالفعل أفضل بكثير في استخدام السيف. خاضت معاركها الأولى به. ونفذت أول قتل لها باستخدامه.

لماذا استخدمت الرمح الثلاثي لكل هذا الوقت؟ بدا ذلك غبيًا جدًا عند التفكير فيه الآن. لقد تدربت بالسيف لسنوات في سينغارد؛ بدا وكأنه امتداد طبيعي لذراعها. حمل واحد مرة أخرى كان أشبه باستبدال ثوب احتفالي بملابس تدريب مريحة.

أطلقت صيحة وقذفت السيف نحو الجدار المقابل. انغرز في الخشب تمامًا حيث صوبت، بزاوية مثالية، ومقبضه يرتجف.

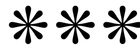
سأل الحداد:

— "كيف هو؟"

قالت برضا:

— "إنه مثالي."

تبًا لـ ألتان، وتبًا لإرثه، وتبًا لرمحه الثلاثي. آن الأوان لتبدأ باستخدام سلاح يبقيها على قيد الحياة.



كانت الشمس قد غربت بحلول الوقت الذي عادت فيه إلى الثكنات.

تحركت رين بسرعة عبر القنوات، وذراعاها تؤلمانها من ساعات حمل أكياس الرمل إلى المنازل الفارغة.

— "رين؟"

ظهر شكل صغير من الزاوية قبل أن تصل إلى الباب مباشرة.

قفزت فزعة. وسقط نصلاها الجديدان بجلجلة على الأرض.

— "إنه أنا فقط."

تقدم الشكل إلى الضوء.

— "كيسيغي؟"

التقطت السيفين عن الأرض.

— "كيف تجاوزت الحاجز؟"

مد يده ليمسك يدها.

— "أحتاجكِ أن تأتي معي. بسرعة."

— "لماذا؟ ما الذي يحدث؟"

— "لا أستطيع إخباركِ هنا."

عض شفته، وعيناه تجولان بعصبية حول الثكنات.

— "لكنني في ورطة. هل ستأتين؟"

— "أنا..."

نظرت رين بشرود نحو الثكنات. قد يسير هذا بشكل سيء للغاية. لقد أُمرت بعدم التفاعل مع اللاجئين إلا أثناء الخدمة، ونظرًا للتوترات الحالية في أرلونغ، ستكون آخر من يُحسن الظن به. ماذا لو رآها أحد؟

قال كيسيغي:

— "أرجوكِ. الأمر سيء."

ابتلعت ريقها. فيما كانت تفكر؟ هذا كيسيغي. كيسيغي كان عائلة، آخر ما تبقى لها من عائلة.

— "بالطبع. قد الطريق."

انطلق كيسيغي راكضًا. وتبعته عن كثب.

افترضت أن شيئًا ما قد حدث خلف الحاجز. شجار ما، حادث أو مناوشة بين الحراس واللاجئين. ستكون العمة فانغ وراء الأمر؛ دائمًا ما كانت كذلك. لكن كيسيغي لم يأخذها إلى المخيمات. قادها خلف الثكنات، مرورًا بأحواض السفن الصاخبة إلى مستودع فارغ في الطرف البعيد من الميناء.

خلف المستودع وقفت ثلاثة ظلال داكنة.

توقفت رين. لا يمكن لأي من تلك الأشكال أن يكون العمة فانغ؛ كانوا جميعًا طوال القامة جدًا.

— "كيسيغي، ما الذي يحدث؟"

لكن كيسيغي سحبها مباشرة نحو المستودع.

صاح بصوت عالٍ:

— "أحضرتها."

تكيفت عينا رين مع الضوء الخافت، واتضحت وجوه الغرباء. أنّت بضيق. لم يكونوا لاجئين.

التفتت إلى كيسيغي.

— "ما هذا بحق الجحيم؟"

أشاح بنظره.

— "كان علي إحضاركِ إلى هنا بطريقة ما."

— "لقد كذبت علي."

شد على فكه.

— "حسنًا، ما كنتِ لتأتي لولا ذلك."

قال تاخا:

— "فقط اسمعينا. أرجوكِ لا تذهبي. لن نحصل سوى على هذه الفرصة الوحيدة للتحدث."

عقدت ذراعيها.

— "نحن نختبئ من فايسرا خلف المستودعات الآن؟"
قال غوروباي:
— "لقد فعل فايسرا ما يكفي لتدميرنا. هذا واضح جدًا. الجمهورية تخلت عن الجنوب. يجب إلغاء هذا التحالف."
قاومت الرغبة في دحرجت عينيها.
— "وما هو بديلكم؟"
أجاب فورًا:
— "ثورتنا الخاصة. نسحب دعمنا لفايسرا، وننشق عن جيش التنين، ونعود إلى مقاطعاتنا."
قالت رين:
— "هذا انتحار. فايسرا هو الوحيد الذي يحميكم."
قال تشاروك:
— "لا يمكنكِ حتى قول ذلك بوجه جاد. حماية؟ لقد خُدعنا منذ البداية. حان الوقت للتوقف عن أمل أن يرمي لنا فايسرا بالفتات من الطاولة. يجب أن نعود للديار ونقاتل الموجينيين بمفردنا. كان يجب أن نفعل ذلك منذ البداية."
سألت رين ببرود:
— "أنت وأي جيش؟"
كانت المحادثة بأكملها بلا جدوى. لقد كشف فايسرا هذه الخدعة منذ أشهر. أمراء الحرب الجنوبيون لا يستطيعون العودة للديار. بمفردهم، ستدمر الاتحاد جيوش مقاطعاتهم.
أقر غوروباي:
— "سنحتاج لبناء جيش. لن يكون الأمر سهلاً. لكن ستمتلك الأعداد. لقد رأيتِ المخيمات. تعرفين كم عددنا هناك."
قالت:

— "وأعرف أيضًا أنهم غير مدربين، وغير مسلحين، ويتضورون جوعًا. هل تظن أن بإمكانهم قتال جنود الاتحاد؟ الجمهورية هي فرصتكم الوحيدة للبقاء."

سخر تشاروك:

— "بقاء؟ سنموت جميعًا خلال أسبوع. فايسرا قامر بحياتنا على الهيسبيريين، وهم لن يأتوا أبدًا."

تلعثمت رين. لم تملك إجابة جيدة لذلك. كانت تعلم، تمامًا كما يعلمون، أنه من غير المرجح أن يجد الهيسبيريون النيكارا جديرين بمساعدتهم أبدًا.

لكن حتى يعلن الجنرال تاركيت صراحة أن الكونسورتيوم قد رفض، لا تزال لدى الجمهورية فرصة للقتال. الانشقاق إلى الجنوب كان انتحارًا مؤكدًا — خاصة لأنه إذا تخلت رين عن فايسرا، فلن يبقى أحد ليحميها من السرية الرمادية. قد تهرب من أرلونغ وتختبئ. قد تتهرب من الهيسبيريين لفترة طويلة، إذا كانت ذكية، لكنهم سيتعقبونها في النهاية. لن يلينوا. فهمت رين الآن أن أشخاصًا مثل بيترا لن يدعوا تحديات "الصانع" تمر بسهولة. سيطاردون ويقتلون أو يأسرون كل شامان في الإمبراطورية لمزيد من الدراسة. قد تتمكن رين من صدهم، وربما تصمد لفترة — النار ضد المناطيد، العنقاء ضد الصانع — لكن تلك المواجهة ستكون مروعة. لم تكن تعلم ما إذا كانت ستخرج منها حية.

وإذا انشق أمراء الحرب الجنوبيون عن الجمهورية، فلن يبقى أحد ليحميهم من الميليشيا أو الاتحاد. كانت الحسبة واضحة جدًا. لماذا لم يتمكنوا من رؤيتها؟

حثها غوروباي:

— "تخلي عن أمل الحمقى هذا. تجاهلي هراء فايسرا. الهيسبيريون يبتعدون عن عمد، تمامًا كما فعلوا خلال حروب الخشخاش."

تساءلت بحدة:

— "عم تتحدث؟"

— "هل تظنين حقًا أنهم لم يملكوا معلومة واحدة عما كان يحدث في هذه القارة؟"

— "ما أهمية ذلك؟"

قال غوروباي:

— "أرسل فايسرا زوجته إليهم. قضت السيدة سايخارا حربي الخشخاش الثانية والثالثة مخبأة بأمان على متن سفينة حربية هيسبيرية. كان لدى الهيسبيريين معرفة كاملة بما كان يحدث. ولم يرسلوا كيسًا واحدًا من الحبوب أو صندوقًا من السيوف. ليس عندما احترقت سينغارد، وليس عندما سقطت خوردالاين، وليس عندما اغتصب الموجينيون غولين نيس. هؤلاء هم الحلفاء الذين تنتظرينهم. وفايسرا يعرف ذلك."

سألت رين:

— "لماذا لا تقول وحسب ما تلمح إليه؟"

سأل غوروباي:

— "ألم يخطر هذا ببالكِ قط؟ هذه الحرب دبرها فايسرا والهيسبيريون لوضعه في موقع متميز لتعزيز السيطرة على هذا البلد. لم يأتوا خلال الحرب الثالثة لأنهم أرادوا رؤية الإمبراطورية تنزف. ولن يأتوا الآن حتى يموت منافسو فايسرا. فايسرا ليس ديمقراطيًا حقيقيًا، ولا بطلاً للشعب. إنه انتهازي يبني عرشه بدماء النيكارا."

قالت رين:

— "أنت مجنون. لا أحد مجنون بما يكفي ليفعل ذلك."

— "عليكِ أن تكوني مجنونة لكي لا تريه! الدليل أمامكِ مباشرة. جنود الاتحاد لم يصلَوا أبدًا إلى الداخل حتى أرلونغ. فايسرا لم يخسر شيئًا في الحرب."

— "كاد يفقد ابنه..."

— "واسترده بلا عناء يذكر. واجهي الأمر، يين فايسرا كان المنتصر الوحيد في حرب الخشخاش الثالثة. أنتِ أذكى من أن تصدقي غير ذلك."

صاحت رين:

— "لا تتعالَ علي. وحتى لو كان كل ذلك صحيحًا، فهذا لا يغير شيئًا. أعرف بالفعل أن الهيسبيريين سافلون. سأظل أقاتل من أجل الجمهورية."

قال تشاروك:

— "لا ينبغي أن تقاتلي من أجل تحالف مع أشخاص يروننا بالكاد بشرًا."

— "حسنًا، هذا لا يعطيني سببًا للقتال من أجلكم."

قال غوروباي:

— "يجب أن تقاتلي معنا لأنكِ واحدة منا."

— "أنا لست واحدة منكم."

قال تاخا:

— "بلى، أنتِ كذلك. أنتِ «ديك». مثلي تمامًا."

حدقت فيه بعدم تصدي.

يا له من نفاق محض. لقد تبرأ منها بسهولة في لوسان، وعاملها كحيوان. والآن يريد الادعاء بأنهما شيء واحد؟

أصر غوروباي:

— "الجنوب سينهض لأجلكِ. هل لديكِ أي فكرة عن حجم القوة التي تملكينها؟ أنتِ آخر سبيرية. القارة بأكملها تعرف اسمكِ. إذا رفعتِ سيفكِ، سيتبعك عشرات الآلاف. سيقاتلون لأجلكِ. ستكونين إلهتهم."

قالت:

— "وسأكون أيضًا خائنة لأقرب أصدقائي."

كانوا يطلبون منها التخلي عن كيتاي. وعن نزهة.

— "لا تحاولوا تملقي. لن ينجح الأمر."

سخر غوروباي:

— "أصدقاؤكِ؟ من، يين نزهة؟ تشين كيتاي؟ الشماليون الذين سيبصقون على وجودكِ ذاته؟ هل أنتِ يائسة لتكوني مثلهم لدرجة أنكِ ستتجاهلين كل شيء آخر على المحك؟"

انتفضت غضبًا.

— "لا أريد أن أكون مثلهم."

قال ساخرًا:

— "بلى، تريدين. هذا كل ما تريدينه، حتى لو لم تدركي ذلك. لكنكِ طين جنوبي في النهاية. يمكنكِ ذبح طريقة حديثكِ، يمكنكِ الابتعاد عن نتانة مخيمات اللاجئين والتظاهر بأنكِ لا تملكين رائحة أيضًا، لكنهم لن يروكِ واحدة منهم أبدًا."

كانت تلك القشة التي قصمت ظهر البعير. تبخر تعاطف رين.

هل اعتقدوا حقًا أنهم يستطيعون التأثير عليها بروابط إقليمية؟ مقاطعة الديك لم تفعل شيئًا لها قط. طوال الستة عشر عامًا الأولى من حياتها، حاولت تيكاني سحقها في التراب. فقدت روابطها بالجنوب في اللحظة التي غادرت فيها إلى سينغارد.

لقد هربت من آل فانغ. ونحتت مكانًا لنفسها في أرلونغ. كانت واحدة من أفضل جنود فايسرا. لن تعود الآن. لا يمكنها ذلك.

بالنسبة لها، لم يعنِ الجنوب سوى الإساءة والبؤس. لم تكن تدين له بشيء. وبالتأكيد ليس بمهمة انتحارية. إذا أراد أمراء الحرب رمي حياتهم، فليفعلوا ذلك بأنفسهم.

رأت الطريقة التي ينظر بها كيسيغي إليها — مفجوعًا، خائب الأمل — وأجبرت نفسها على ألا تبالي.

قالت:

— "أنا آسفة. لكنني لست واحدة منكم. أنا سبيرية. وأعرف أين يكمن ولائي."

قال غوروباي:

— "إذا بقيتِ هنا ستموتين بلا طائل. كلنا سنموت."

سخرت قائلة:

— "إذن عودوا. خذوا قواتكم. عودوا لدياركم. لن أوقفكم."

لم يتحركوا. أكدت وجوههم — المفجوعة، الشاحبة — أنها كشفت خدعتهم. لم يستطيعوا الهرب. بمفردهم في مقاطعاتهم، لم يكن لديهم فرصة. قد — قد، رغم أن رين شكت بشدة في أن لديهم الأعداد — يكونون قادرين على قتال قوات الموجينيين بمفردكم. لكن إذا سقطت أرلونغ، فستكون مسألة وقت فقط حتى تأتي داجي لأجلهم أيضًا.

بدون دعمها، كانت أيديهم مكبلة. أمراء الحرب الجنوبيون كانوا محاصرين.

تحركت يد غوروباي إلى السيف عند خصره.

— "هل ستخبرين فايسرا؟"

التوت شفتها.

— "لا تغرني بفعل ذلك."

كرر:

— "هل ستخبرين فايسرا؟"

منحته رين ابتسامة غير مصدقة. هل كان حقًا سيقاتلها؟ هل سيحاول حتى؟

لم تستطع منع نفسها من الاستمتاع بهذا. لمرة واحدة كانت تملك كل القوة؛ لمرة واحدة، كانت تمسك بمصائرهم في يديها وليس العكس.

كان بإمكانها قتلهم هناك والانتهاء من الأمر. ربما كان فايسرا ليمتدحها لإظهار ولائها.

لكنها كانت عشية معركة. الميليشيا كانت تزحف إلى عتبة دارهم. واللاجئون بحاجة لنوع من القيادة إذا أرادوا البقاء — بالتأكيد لم يكن أحد آخر يعتني بهم. وإذا قتلت أمراء الحرب الآن، فإن الفوضى الناتجة ستؤذي

الجمهورية. أعداد الجيوش الجنوبية لم تكن كبيرة بما يكفي للفوز بالمعركة، لكن انشقاقهم كان أكثر من كافٍ لضمان الهزيمة، ولم يكن ذلك شيئًا أرادت رين تحمله على عاتقها.

أحبت أن هذا كان قرارها — أنها تستطيع تمويه هذه الحسبة القاسية في ثوب الرحمة.

قالت بهدوء، وكأنها تتحدث لأطفال:

— "اذهبوا للنوم. لدينا معركة لنخوضها."

***

رافقت كيسيغي عائدًا إلى أرباع اللاجئين رغم احتجاجاته. أخذته من الطريق الطويل حول المدينة، محاولة الابتعاد قدر الإمكان عن الثكنات. لعشر دقائق مشيا في صمت حجري. في كل مرة نظرت فيها رين إلى كيسيغي كان يحدق بغضب إلى الأمام، متظاهرًا بأنه لم يرها.

قالت:

— "أنت غاضب مني."

لم يرد.

— "لا أستطيع منحهم ما يريدون. أنت تعلم ذلك."

قال باقتضاب:

— "لا، لا أعلم."

— "كيسيغي..."

— "وأنا لا أعرفكِ بعد الآن."

اضطرت للاعتراف بأن ذلك صحيح. ودّع كيسيغي أختًا ووجد جنديًا مكانها. لكنها لم تكن تعرفه بعد الآن أيضًا. كيسيغي الذي تركته كان مجرد طفل صغير. هذا الكيسيغي كان فتى طويلاً، متجهمًا، وغاضبًا رأى الكثير من المعاناة ولم يعرف من يلوم عليها.

استأنفا المشي في صمت. شعرت رين برغبة في الاستدارة والعودة، لكنها لم ترد أن يُضبط كيسيغي وحيداً على الجانب الخطأ من الحاجز. دأبت الدورية الليلية مؤخرًا على جلد اللاجئين الذين يتجولون خارج الحدود ليكونوا عبرة.

أخيرًا قال كيسيغي:

— "كان بإمكانكِ أن تكتبي."

— "ماذا؟"

— "ظللت أنتظر منكِ أن تكتبي. لماذا لم تفعلي؟"

لم تملك رين ردًا جيدًا على ذلك.

لماذا لم تكتب؟ سمح المعلمون بذلك. كل زملائها كتبوا لعائلاتهم بانتظام. تذكرت مشاهدة نيانغ ترسل ثماني رسائل منفصلة لكل من أشقائها كل أسبوع، ودهشتها من أن أي شخص لديه الكثير ليقوله عن دراستهم المنهكة.

لكن فكرة الكتابة لآل فانغ لم تخطر ببالها حتى. بمجرد وصولها إلى سينغارد، أغلقت على ذكرياتها عن تيكاني بإحكام في مؤخرة عقلها وأجبرت نفسها على النسيان.

قالت بعد فترة صمت:

— "كنت صغيرًا جداً. أعتقد أنني لم أظن أنك ستتذكرني."

قال كيسيغي:

— "هراء. أنتِ أختي. كيف لا أتذكركِ؟"

— "لا أعرف. أنا فقط... ظننت أنه سيكون أسهل لو قطعنا الصلة تمامًا. أعني، لم يكن الأمر وكأنني سأعود للديار أبدًا بمجرد خروجي..."

تصلب صوته.

— "ولم تفكري أبدًا أنني أردت الخروج أيضًا؟"

شعرت بموجة من الانزعاج. كيف أصبح هذا خطأها فجأة؟

— "كان بإمكانك الخروج إن أردت. كان بإمكانك الدراسة..."

— "متى؟ عندما غادرتِ، لم يبقَ إلا أنا والمتجر؛ وبعد أن بدأ أبي يزداد سوءًا، اضطررت لفعل كل شيء في المنزل. وأمي ليست طيبة يا رين. كنتِ

تعلمين ذلك – توسلت إليكِ ألا تتركيني معها – لكنكِ غادرتِ على أي حال. انطلقتِ إلى سينغارد في مغامراتك..."

قالت ببرود:

– "لم تكن مغامرات."

– "لكنكِ كنتِ في سينغارد."

قالها بنبرة حزينة، بصوت طفل لم يسمع سوى قصص عن العاصمة السابقة، ولا يزال يظن أنها أرض الثروات والعجائب.

– "وأنا كنت عالقًا في تيكاني، أختبئ من أمي كل فرصة أتيحت لي. ثم بدأت الحرب وكان كل ما فعلناه كل يوم هو التكور برعب في ملاجئ تحت الأرض والأمل ألا يكون الاتحاد قد وصل لبلدتنا بعد، وإذا فعلوا، ألا يقتلونا فورًا."

توقفت عن المشي.

– "كيسيغي."

تهدج صوته:

– "ظلوا يقولون إنكِ ستأتين لأجلنا. إن إلهة نار من مقاطعة الديك دمرت جزيرة الأقواس الطويلة، وإنكِ ستعودين للديار لتحريرنا نحن أيضًا."

– "أردت ذلك. كنت سأفعل..."

– "لا، لم تكوني لتفعلي. أين كنتِ طوال تلك الأشهر؟ تطلقين انقلابًا في قصر الخريف. تبدأين حربًا أخرى."

تسلل السم إلى صوته.

– "لا يحق لكِ القول إنكِ لا تريدين أي جزء من هذا. هذا خطؤكِ. بدونكِ ما كنا لنكون هنا."

كان بإمكانها الرد. كان بإمكانها مجادلته، القول إنه لم يكن خطأها بل خطأ الإمبراطورة، إخباره أن هناك قوى سياسية تلعب دورًا أكبر بكثير من أي منهم.

لكنها ببساطة لم تستطع صياغة الجمل. لم تشعر بصدق أي منها. الحقيقة البسيطة هي أنها تخلت عن شقيقها بالتبني ولم تفكر فيه لسنوات. بالكاد عبر ذهنها حتى التقيا في المخيم. وكانت لتنساه مرة أخرى لولا أنه يقف هنا أمامها مباشرة.

لم تكن تعرف كيف تصلح ذلك. لم تكن تعرف ما إذا كان الإصلاح ممكنًا أصلاً.

انعطفا حول الزاوية نحو صف من المباني الحجرية المكونة من طابق واحد. وصلا إلى أرباع الهيسبيريين. بضع دقائق أخرى وسيكونان عائدين في منطقة اللاجئين. كانت رين سعيدة بذلك. أرادت الابتعاد عن كيسيغي. لم تستطع تحمل وطأة استيائه الكاملة.

من زاوية عينها، رأت زيًا أزرق يختفي خلف المبنى الأقرب. كانت لتتجاهل الأمر، لكنها سمعت الأصوات — حفيفًا إيقاعيًا، وأنينًا مكتومًا.

سمعت تلك الأصوات من قبل. قامت بتوصيل طرود الأفيون إلى مواخير تيكاني مرات عديدة. فقط لم تستطع تخيل كيف يمكن أن يكون هذا الوقت أو المكان المناسبين.

سمع كيسيغي ذلك أيضًا. وتوقف عن المشي.

هسهست:

— "اركض للحاجز."

— "لكن..."

— "أنا لا أطلب."

دفعته.

— "اذهب."

أطاع.

انطلقت تركض. رأت جسدين نصف عاريين خلف المبنى. جندي هيسبيري، وفتاة نيكارية. أنَّت الفتاة، محاولة الصراخ، لكن الجندي غطى فمها بيد واحدة، وأمسك شعرها بالأخرى، وجذب رأسها للخلف ليكشف عنقها.

للحظة، كل ما استطاعت رين فعله هو الوقوف والمشاهدة.

لم ترَ اغتصابًا من قبل.

سمعت عنها. سمعت قصصًا كثيرة جدًا من النساء اللواتي نجون من غولين نيس، وتخيلتها بوضوح مرات عديدة لدرجة أنها غزت كوابيسها وجعلتها تستيقظ مرتجفة من الغضب والخوف.

والشيء الوحيد الذي استطاعت التفكير فيه هو ما إذا كانت هذه هي الطريقة التي عانت بها فينكا في غولين نيس. ما إذا كان وجه فينكا قد تقلص مثل هذه الفتاة، وفمها مفتوح في صرخة صامتة. ما إذا كان جنود الموجينيين الذين ثبتوها أرضًا يضحكون كما يضحك هذا الجندي الهيسبيري الآن.

ارتقت العصارة الصفراوية في حلق رين.

— "ابتعد عنها."

لم يستطع الجندي، أو رفض، فهمها. استمر وحسب، يلهث كحيوان.

لم تستطع رين تصديق أن تلك كانت أصوات متعة.

ألقت بنفسها في جانب الجندي. التوى وألقى قبضة خرقاء نحو وجهها، لكنها راوغتها بسهولة، وأمسكت بمعصميه، وركلت ركبتيه، وصارعته حتى الإخضاع حتى أصبح ملقى على الأرض، مثبتًا بين ركبتيها.

مدت يدها للأسفل، تتحسس خصيتيه. عندما وجدتهما، اعتصرت.

— "هذا ما أردته؟"

تلوى بجنون تحتها. اعتصرت بقوة أكبر. أصدر صوت غرغرة.

غرزت أظافرها في اللحم الطري.

— "لا؟"

صرخ من الألم.

استدعت اللهب. علت صرخاته، لكنها انتزعت قميصه المرمي عن الأرض، وحشرته في فمه، ولم تتركه حتى تحول عضوه إلى فحم في يديها.

عندما توقف عن الحركة أخيرًا، نزلت عن صدره، وجلست بجانب الفتاة المرتجفة، ووضعت ذراعها حول كتفيها. لم تتحدث أي منهما. تكورتا معًا وحسب، تراقب ببرود ورضا الجندي وهو يرتعش، ويموء بضعف، على التراب.

سألت الفتاة:

— "هل سيموت؟"

كانت أنات الجندي تزداد خفوتًا. حرقت رين نصف جسده السفلي. بعض الجروح كُويت. قد يستغرق فقدان الدم وقتًا طويلاً لقتله. أملت أن يكون واعيًا لذلك.

— "نعم. إذا لم يأخذه أحد إلى طبيب."

لم تبدُ الفتاة خائفة، بل فضولية بفتور.

— "هل ستأخذينه؟"

قالت رين:

— "إنه ليس في فصيلتي. ليست مشكلتي."

مرت دقائق أخرى. تجمع الدم ببطء تحت خصر الجندي. جلست رين مع الفتاة في صمت، وقلبها يدق، وعقلها يتسابق عبر العواقب.

سيعرف الهيسبيريون أن القاتل هو هي. علامات الحرق ستفضحها — السبيرية فقط تقتل بالنار.

سيكون انتقام تاركيت مروعًا. قد لا يكتفي بموت رين — إذا اكتشف ما حدث للتو، فقد يتخلى عن الجمهورية تمامًا.

كان على رين التخلص من تلك الجثة.

أخيراً توقف صدر الجندي عن الارتفاع والهبوط. زحفت رين للأمام على ركبتيها وتحسست عنقه بحثًا عن نبض. لا شيء. وقفت ومدت يدها للفتاة.

— "دعينا ننظفك. هل يمكنكِ المشي؟"

— "لا تقلقي بشأني."

بدا صوت الفتاة هادئًا بشكل ملحوظ. توقفت عن الارتجاف. انحنت للأمام لتمسح الدم والسوائل عن ساقيها بحافة ثوبها الممزق.

– "لقد حدث هذا من قبل."

***

الفصل التاسع والعشرون

قال كيتاي:

— "أثداء النمر اللعينة."

قالت رين:

— "أعرف."

— "وألقيتِ به في الميناء هكذا ببساطة؟"

— "أثقلته بالصخور أولاً. اخترت بقعة عميقة جداً قرب الأرصفة؛ لن يجده أحد..."

— "يا للمصيبة."

مرر كيتاي يده في خصلات شعره وشدها بينما يذرع المكتبة جيئة وذهابًا.

— "ستموتين. سنموت جميعًا."

— "قد يكون الأمر على ما يرام."

حاولت رين إقناع نفسها بينما تقول ذلك، لكنها ما زالت تشعر بدوار فظيع. لقد جاءت إلى كيتاي لأنه الشخص الوحيد الذي تثق به ليعرف ما يجب فعله، لكن الآن كلاهما في حالة ذعر.

— "اسمع، لم يرني أحد..."

سأل بصوت حاد:

— "كيف تعرفين؟ لم يضبطكِ أحد وأنتِ تجرين جثة هيسبيري عبر نصف المدينة؟ لم يكن أحد ينظر من نوافذه؟ هل أنتِ مستعدة للمراهنة بحياتكِ على حقيقة أن شخصًا واحدًا لم يركِ؟"

— "لم أجره، ألقيت به في قارب تجديف وجدفت به إلى الشاطئ."

— "أوه، هذا يحل كل شيء..."

— "كيتاي. اسمع."

أخذت نفسًا عميقًا، محاولة جعل عقلها يتباطأ بما يكفي ليعمل بشكل صحيح.

— "مرت أكثر من ساعة. لو رأوني، ألا تظن أنني كنت لأكون ميتة الآن؟"

قال كيتاي:

— "قد يتحين تاركيت وقته. ينتظر حتى الصباح ليطلق جيشًا عليكِ."

— "لن ينتظر."

كانت رين متأكدة من ذلك. الهيسبيريون لا يعبثون. إذا اكتشف تاركيت أن شامانًا، من بين كل الناس، قتل أحد رجاله، فجسدها سيكون مثقوبًا بالرصاص بالفعل. لم يكن ليعطيها فرصة للهرب.

كلما مر الوقت، زاد أملها — وإيمانها — بأن تاركيت لا يعرف. وفايسرا لا يعرف. قد لا يعرفون أبدًا. رين لم تخبر أحدًا، وبالتأكيد ستبقي الفتاة اللاجئة فمها مغلقًا.

دلك كيتاي صدغيه بكفيه.

— "متى حدث هذا؟"

— "أخبرتك. قبل ما يزيد قليلاً عن الساعة، عندما كنت أوصل كيسيغي عائدًا إلى الحواجز من المستودعات القديمة."

— "ماذا كنتِ تفعلين بحق الأرض عند المستودعات؟"

— "نصب لي أمراء الحرب الجنوبيون كمينًا. أرادوا التحدث. إنهم يفكرون في الانشقاق والعودة إلى مقاطعاتهم للتعامل مع جيوش الاتحاد، وأرادوا مني المجيء معهم، وكان لديهم هذه النظرية المجنونة عن الهيسبيريين، و..."

— "ماذا قلتِ؟"

— "بالطبع رفضت. سيكون ذلك حكمًا بالإعدام."

تمكن كيتاي من إطلاق ضحكة مرتعشة.

— "حسنًا، على الأقل لم ترتكبي الخيانة العظمى. ثم ماذا، تجولتِ عائدة إلى الثكنات وقتلتِ هيسبيريًا في طريقك؟"

– "أنت لم ترَ ما كان يفعله."

رفع يديه مستنكرًا.

– "وهل يهم ذلك بحق الجحيم؟"

قالت بغضب:

– "كان فوق فتاة. كان يمسكها من عنقها ولم يتوقف..."

– "فقررتِ حرق أي فرصة محتملة لدينا للنجاة من المنحدرات الحمراء؟"

– "الهيسبيريون لن يأتوا بحق الجحيم يا كيتاي."

– "إنهم لا يزالون هنا، أليس كذلك؟ لو لم يهمهم الأمر حقًا لحزموا أمتعتهم ورحلوا. هل خطر ذلك ببالكِ أبدًا؟ عندما يكون ظهركِ للحائط، هناك فرق هائل بين الصفر والواحد في المائة، لكن لا، فضلتِ ضمان أن تكون النسبة صفرًا..."

اشتعلت وجنتاها.

– "لم أفكر..."

صاح كيتاي:

– "بالطبع لا. أنتِ لا تفكرين أبدًا، أليس كذلك؟ تختارين دائمًا أي معارك تريدين، وقتما تريدين، وليذهب العواقب إلى الجحيم..."

رفعت رين صوتها:

– "هل كنت تفضل أن أدعه يغتصبها؟"

صمت كيتاي.

قال بعد فترة طويلة:

– "لا. أنا آسف، لم... لم أقصد ذلك."

– "لم أظن ذلك."

دفن وجهه في كفيه.

– "يا إلهي، أنا خائف فقط. ولم يكن عليكِ قتله، كان بإمكانك..."

قالت:

– "أعرف."

شعرت بالاستنزاف. خرج كل الأدرينالين منها دفعة واحدة، والآن أرادت فقط الانهيار.

— "أعرف، لم أكن أفكر، رأيت الأمر يحدث وفقط..."

— "حياتي على المحك الآن أيضًا."

— "أنا آسفة."

تنهد.

— "أعرف. لا أعتقد... لم يكن عليكِ... حسنًا. لا بأس. أنا أتفهم."

— "أنا حقًا لا أعتقد أن أحدًا رآني."

— "حسنًا."

أخذ نفسًا عميقًا.

— "هل ستعودين إلى الثكنات؟"

— "لا."

— "ولا أنا."

جلسا معًا على الأرض لفترة طويلة في صمت. أراح رأسه على كتفها. وتشبثت هي بيديه. لم يستطع أي منهما النوم. كانا يراقبان نوافذ المكتبة، منتظرين رؤية القوات الهيسبيرية مصطفة عند الباب، وسماع وقع الأحذية الثقيلة في الرواق. لم تستطع رين إلا الشعور بوخزة ارتياح مع كل لحظة إضافية تمر.

كان ذلك يعني أن الهيسبيريين لن يأتوا. يعني أنها، في الوقت الحالي، آمنة.

لكن ماذا سيحدث عندما يستيقظ الهيسبيريون في الصباح ويكتشفون اختفاء جندي؟ ماذا سيحدث عندما يبدأون البحث؟ لن يجدوه لأيام على الأقل، تأكدت من ذلك، لكن مجرد حقيقة اختفاء جندي قد تعرقل المفاوضات الهيسبيرية بغض النظر.

إذا لم تقع العواقب على رين، فهل سيعاقبون الجمهورية بأكملها؟

قفزت كلمات أمراء الحرب الجنوبيين إلى ذهنها دون استئذان. لا ينبغي أن تقاتلي من أجل تحالف مع أشخاص يروننا بالكاد بشرًا.

قال كيتاي، مفزعًا إياها:

— "أخبريني بما قاله أمراء الحرب الجنوبيون."

جلست مستقيمة.

— "عن ماذا؟"

— "الهيسبيريين. ما هذه النظرية؟"

— "المعتاد فقط. لا يثقون بهم، يظنون أنهم سيجلبون احتلالاً ثانيًا، و... أوه."

عبست.

— "يظنون أيضًا أن الهيسبيريين سمحوا للموجينيين بالغزو عن قصد. يظنون أن فايسرا كان يعلم أن الاتحاد سيشن غزوًا، وأن الهيسبيريين علموا أيضًا، لكن لم يتحرك أي منهم لأنهم أرادوا الإمبراطورية ضعيفة وناضجة للاستيلاء عليها."

رمش كيتاي.

— "حقًا."

— "أعرف. هذا جنون."

قال:

— "لا. هذا منطقي."

— "لا يمكنك أن تكون جادًا. سيكون ذلك فظيعًا."

أطلق كيتاي ضحكة قصيرة قاربت الهوس.

— "لكنه يتماشى مع كل ما نعرفه، أليس كذلك؟ كنت أفكر في الأمر منذ البداية، في الواقع، لكنني فكرت: «لا، لا يمكن لأحد أن يكون بهذا الجنون. أو الشر». لكن فكري في سفن الجمهورية. فكري في الوقت الذي استغرقه بناء ذلك الأسطول بأكمله. فايسرا يخطط لحربه الأهلية منذ سنوات — هذا واضح. لكنه لم يشن هجومًا أبدًا حتى الآن. لماذا؟"

قالت:

— "ربما لم يكن مستعداً."

— "أو ربما احتاج البلد ضعيفًا إذا كان سيشن حربًا ناجحة ضد الأفعى. احتاجنا محطمين حتى يتمكن من التقاط القطع."

قالت ببطء:

— "احتاج شخصًا آخر ليقوم بالهجوم الأول."

أومأ برأسه.

— "وكان الاتحاد أفضل بيدق لتلك المهمة. أراهن أنه ضحك عندما زحفوا نحو سينغارد. أراهن أنه كان يريد تلك الحرب لسنوات."

أرادت رين أن تقول لا، أن تقول بالطبع لن يسمح فايسرا بموت الأبرياء، لكنها عرفت أن ذلك ليس صحيحًا. عرفت أن فايسرا أكثر من سعيد بمحو مقاطعات بأكملها من خريطته طالما يعني ذلك احتفاظه بجمهوريته.

يا إلهي، طالما احتفظ بمدينته.

مما يعني أن السلبية الهيسبيرية خلال حرب الخشخاش الثانية لم تكن خطأً سياسيًا، أو تأخرًا في الاتصالات، بل كانت متعمدة تمامًا. مما يعني أن فايسرا كان يعلم أن الاتحاد سيقتل المئات، والآلاف، وعشرات الآلاف، وترك الأمر يحدث.

عندما فكرت في الأمر الآن، كان يجب أن يكون إدراك التلاعب بهم سهلاً للغاية. لقد حوصروا في لعبة شطرنج جيوسياسية كانت قيد الإعداد لسنوات، وربما لعقود.

وهي لم تُخدع فحسب. لقد كانت عمياء عمداً عن الدلائل حولها، وجلست وتركت كل شيء يحدث.

لقد كانت نائمة بغباء وسلبية لفترة طويلة جداً. بذلت الكثير من الجهد في القتال في الخنادق من أجل جمهورية فايسرا لدرجة أنها بالكاد فكرت فيما قد يحدث بعد ذلك.

إذا فازوا، ما الثمن الذي سيطلبه الهيسبيريون لمساعدتهم؟ هل ستتصاعد تجارب بيترا بمجرد ألا يعود فايسرا بحاجة لرين في ساحة المعركة؟

بدا من الحماقة الآن تخيل أنها طالما ضمنها فايسرا، فهي آمنة من تلك البنادق. قبل أشهر كانت ضائعة وخائفة، يائسة لإيجاد مرساة، وذلك هيأها لثقته.

لكنها رأت أيضًا، مرارًا وتكرارًا الآن، كيف يتلاعب فايسرا بمن حوله بسهولة كدمى الظل.

ما مدى سرعة مقايضتها؟

زفرت ببطء.

— "أوه، كيتاي."

شعرت فجأة بخوف شديد جدًا.

— "ماذا سنفعل؟"

هز رأسه.

— "لا أعرف."

فكرت في الاحتمالات بصوت عالٍ.

— "ليس لدينا خيارات جيدة. إذا انشققنا للجنوب، فسنموت."

— "وإذا غادرتِ أرلونغ، فسيطاردكِ الهيسبيريون."

— "لكن إذا بقينا مخلصين للجمهورية، فنحن نبني قفصًا لأنفسنا وحسب."

— "ولا يهم أي من ذلك إذا لم ننجُ بعد غد."

حدقا في بعضهما البعض. سمعت رين دقة قلب تتردد في الصمت؛ قلبها أم قلبه، لم تدرِ.

قالت:

— "أثداء النمر. سنموت. لا يهم أي من هذا لأن فايلين سيحطمنا تحت المنحدرات الحمراء وسنموت جميعًا."

وقف كيتاي فجأة.

— "ليس بالضرورة. تعالي معي."

رمشت ناظرة إليه.

— "ماذا؟"

أمسك يديها وسحبها لتقف.

— "سترين. كنت أنوي أن أريكِ شيئًا منذ عودتكِ. لم تسنح لي الفرصة فقط. اتبعيني."

بطريقة ما انتهى بهما المطاف في مخزن الأسلحة. لم تكن رين متأكدة تمامًا من أنه يُفترض بهما التواجد هناك، لأن كيتاي ركل القفل ليدخلا، لكن في هذه المرحلة لم تبالِ.

قادها إلى غرفة تخزين خلفية، وسحب حزمة ملفوفة في ملاءة قماشية من زاوية، وأسقطها على الطاولة.

— "هذا لكِ."

أزاحت الملاءة.

— "كومة من الجلد. شكرًا لك. أحببتها."

— "فقط افرديها."

رفعت الأداة الغريبة، مزيجًا محيرًا من أحزمة ركوب، وقضبان حديدية، وقطع طويلة من الجلد. حدقت فيها من كل الزوايا لكنها لم تستطع فهم ما تنظر إليه.

— "ما هذا؟"

سأل كيتاي:

— "تعرفين كيف لم يتمكن أحد منا من هزيمة فايلين؟"

— "لأنه يستمر في قذفنا نحو جدران المنحدرات؟ نعم يا كيتاي، أذكر ذلك."

كان لديه بريق هوسي في عينيه.

— "اسمعي. ماذا لو لم يستطع؟ ماذا لو تمكنتِ من قتاله في ملعبه؟ حسنًا، الملعب لا ينطبق حقًا، لكنكِ تعرفين ما أعنيه."

حدقت فيه، غير مستوعبة.

— "ليس لدي أدنى فكرة عما تتحدث عنه."

سأل:

— "لديكِ سيطرة أكبر بكثير على تلك النار الآن، نعم؟ ربما يمكنكِ استدعاؤها دون تفكير؟"

قالت ببطء:

— "بالتأكيد."

بدت النار كامتداد طبيعي لها الآن؛ يمكنها مدها أبعد، وحرقها بدرجة حرارة أعلى. لكنها كانت لا تزال مرتبكة.

— "أنت تعرف ذلك بالفعل. ما علاقة هذا بأي شيء؟"

ضغط عليها:

— "ما مدى السخونة التي يمكنكِ جعلها تصل إليها؟"

عبست.

— "أليست كل النيران بنفس درجة الحرارة؟"

— "في الواقع، لا. تحصلين على أنواع مختلفة من اللهب على أسطح مختلفة. هناك فرق بين شعلة شمعة ونار حداد، على سبيل المثال. لست خبيرًا، لكن..."

قاطعته:

— "ما أهمية ذلك؟ لم أستطع الاقتراب بما يكفي لحرق فايلين على أي حال، وليس لدي هذا النوع من المدى."

هز رأسه بنفاد صبر.

— "لكن ماذا لو استطعتِ؟"

انفعلت:

— "لسنا جميعًا عباقرة مثلك. فقط قل لي ما تتحدث عنه."

ابتسم.

— "أتذكرين فوانيس الإشارة قبل بويانغ؟ تلك التي كانت ستنفجر؟"

— "بالطبع، لكن..."

— "هل تريدين معرفة كيف تعمل؟"

تنهدت واستسلمت لمنحه العنان للحديث بقدر ما يريد.

— "لا، لكن أعتقد أنك على وشك إخباري."

قال بابتهاج:

— "الهواء الساخن يرتفع. الهواء البارد يهبط. البالونات تحبس الهواء الساخن في مساحة صغيرة ويرفع الجهاز بأكمله لأعلى."

فكرت في هذا للحظة. بدأت تفهم إلى أين يتجه، لكنها لم تكن متأكدة مما إذا كانت تحب الاستنتاج.

— "أنا أزن أكثر بكثير من بالون ورقي."

أصر كيتاي:

— "الأمر يتعلق بالنسبة. على سبيل المثال، تحتاج الطيور الأثقل لأجنحة أكبر."

— "لكن حتى أكبر طائر يعتبر ضئيلاً مقارنة بـ..."

— "لذا ستحتاجين لأجنحة أكبر. وستحتاجين لنار أكثر سخونة. لكنكِ تملكين أقوى مصدر حرارة في الوجود، لذا كل ما كان علينا فعله هو إحضار جهاز لتحويل ذلك إلى طاقة طيران. الأجنحة، إذا جاز التعبير."

رمشت ناظرة إليه، ثم نظرت لأسفل إلى كومة الجلد والمعدن.

— "لا بد أنك تمزح."

قال بسعادة:

— "ليس قيد أنملة. هل تريدين تجربتها؟"

فردت الجهاز بحذر. كان خفيفًا بشكل مدهش، والجلد ناعمًا تحت يديها. تساءلت من أين وجد كيتاي المادة. رفعتها، منبهرة بالخياطة المتقنة.

– "فعلت كل هذا في أسبوع؟"

– "أجل. كنت أفكر في الأمر منذ فترة، رغم ذلك. رامسا هو من توصل للفكرة."

– "رامسا فعل؟"

أومأ.

– "نصف الذخائر عبارة عن ديناميكا هوائية. لقد قضى وقتاً طويلاً في معرفة كيفية جعل الأشياء تطير بشكل صحيح."

كانت رين حذرة نوعًا ما من المراهنة بحياتها على تصاميم صبي كان شغفه الأكبر في الحياة مشاهدة الأشياء تنفجر، لكنها افترضت أنه في هذه المرحلة لم يكن لديها خيارات تذكر.

بمساعدة كيتاي، ثبتت الحزام فوق صدرها بأحكام قدر استطاعتها. تحركت القضبان الحديدية بشكل غير مريح ضد ظهرها، لكن بخلاف ذلك كانت الأجنحة مرنة بشكل مدهش، ومشحمة لتدور بسلاسة مع كل حركة لذراعيها.

قالت:

– "تعلم، ألتان اعتاد أن يمنح نفسه أجنحة."

– "حقًا؟ هل استطاع الطيران؟"

– "أشك في ذلك. كانت مصنوعة من النار. أعتقد أنه فعل ذلك فقط ليبدو جميلاً."

شد الأحزمة حول كتفيها.

– "حسنًا، أعتقد أنني أستطيع منحكِ بعض الأجنحة الوظيفية. هل كل شيء مناسب؟"

رفعت ذراعيها، شاعرةً نوعًا ما وكأنها خفاش ضخم. بدت الأجنحة الجلدية جميلة، لكنها بدت رقيقة جداً لتحمل وزن جسدها. بدت القضبان المتشابكة التي تبقي الجهاز متماسكًا هشة للغاية لدرجة أنها كانت متأكدة من قدرتها على كسرها لنصفين فوق ركبتها.

– "أنت متأكد أن هذا سيكون كافيًا لإبقائي في الأعلى؟"

– "لم أرغب في إضافة الكثير لوزنك. القضبان رفيعة قدر الإمكان. أي وزن أثقل وستغرقين."

أشارت:

– "قد تنكسر أيضًا وترسلني هاوية إلى حتفي."

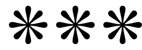
– "تحلي ببعض الإيمان بي."

– "سيؤلمك الأمر إذا تحطمت."

– "أعرف."

بدا صوته مبتهجًا أكثر مما يريحها.

– "هل نذهب لنجرب هذا؟"



وجدا فسحة مفتوحة أعلى المنحدرات، بعيدًا عن أي شيء قابل للاشتعال ولو من بعيد. أراد كيتاي اختبار اختراعه بدفع رين عن حافة، لكنه وافق على مضض بالسماح لها بتجربة التحليق فوق أرض مستوية أولاً.

كانت الشمس قد بدأت للتو في الشروق فوق المنحدرات الحمراء، وكانت رين لتجد المنظر جميلاً بشكل استثنائي لولا أنها كانت مرعوبة لدرجة أنها استطاعت سماع دقات قلبها تضرب في طبلتي أذنيها.

خطت إلى وسط الفسحة، وذراعاها مرفوعتان بتصلب فوق جانبيها. شعرت بالخوف الشديد والغباء في آن واحد.

تراجع كيتاي عدة خطوات.

– "حسنًا، هيا. جربيها."

لوحت بالأجنحة بحرج.

– "إذن أنا فقط... أشعل النار؟"

– "أعتقد ذلك. حاولي إبقاءها محصورة في ذراعيكِ. تريدين الحرارة محبوسة في جيوب الهواء تحت الأجنحة، لا مشتتة في الهواء."

– "حسنًا."

أرادت للهب أن يرقص فوق كفيها وإلى عنقها وكتفيها. شعر الجزء العلوي من جسدها بدفء لذيذ، لكن أجنحتها بدأت تدخن وتئز على الفور تقريبًا.

نادت بجزع:

— "كيتاي؟"

قال كيتاي:

— "هذا مجرد العامل الرابط. سيكون الأمر بخير، سيحترق فقط..."

ارتفع صوتها عدة درجات.

— "لا بأس إذا احترق العامل الرابط؟"

— "تلك فقط المادة الزائدة. الباقي يجب أن يصمد — أعتقد."

لم يبدُ مقنعًا على الإطلاق.

— "أعني، اختبرنا المذيب في المسبك، لذا نظريًا..."

قالت ببطء:

— "صحيح."

كانت ركبتاها ترتجفان. وشعر رأسها بخفة فظيعة.

— "لماذا أسمح لك بفعل هذا؟"

— "لأنكِ إذا متِ، أموت أنا. هل يمكنكِ جعل تلك النيران أكبر قليلاً؟"

أغلقت عينيها. ارتفعت أجنحتها الجلدية بجانبيها، تتمدد من الهواء الساخن.

ثم شعرت به — ضغط ثقيل يشد الجزء العلوي من جسدها، وكأن عملاقًا قد مد يده ورفعها من ذراعيها.

همست:

— "تبًا."

نظرت لأسفل. ارتفعت قدماها عن الأرض.

— "تبًا. تبًا!"

صاح كيتاي:

— "اذهبي أعلى!"

أيتها السلحفاة العظيمة. كانت ترتفع أعلى، دون حتى المحاولة — لا، كانت تنطلق للأعلى عمليًا. ركلت ساقيها، مترنحة في الهواء. لم يكن لديها تحكم في الاتجاه الجانبي، ولم تستطع معرفة كيفية إبطاء صعودها، لكن يا إلهي، كانت تطير.

صرخ كيتاي بشيء لها، لكنها لم تستطع سماعه فوق هدير النيران المحيطة بها.

صرخت عائدة:

— "ماذا؟"

لوح كيتاي بذراعيه وركض في حركة متعرجة.

هل أراد منها الطيران جانبيًا؟ تحيرت في آليات الأمر. يمكنها تقليل الحرارة على جانب واحد. بمجرد أن جربت ذلك كادت تنقلب وانتهى بها الأمر معلقة بحرج في الهواء ووركها بمستوى رأسها. عدلت نفسها بسرعة.

لم تستطع الانجراف جانبيًا إذن. لكن كيف تغير الطيور اتجاهها؟ حاولت التذكر. لم تكن تتحرك مباشرة لجانب واحد، بل تميل أجنحتها. لم تكن تنجرف، بل تنقض.

ضربت بأجنحتها لأسفل عدة مرات وارتفعت عدة أقدام في الهواء. ثم عدلت انحناء ذراعيها لتضرب الأجنحة للجانب، لا للأسفل، وحاولت مرة أخرى.

على الفور مالت إلى اليسار. كان التغيير السريع في الاتجاه مشوشًا بشكل فظيع. تموجت معدتها؛ ومضت نيرانها بجنون. للحظة فقدت رؤية الأرض، ولم تعدل نفسها حتى كانت على بعد أقدام قليلة من التراب.

انتزعت نفسها من الغوص، تلهث. سيحتاج هذا لبعض التدريب.

لوحت بأجنحتها لاستعادة الارتفاع. انطلقت للأعلى أسرع مما توقعت. لوحت بها مرة أخرى. ثم مرة أخرى.

إلى أي مدى يمكنها الذهاب؟ كان كيتاي لا يزال يصرخ بشيء من الأرض، لكنها كانت أبعد من أن تفهمه. ارتفعت أعلى وأعلى مع كل ضربة ثابتة لأجنحتها. أصبحت الأرض بعيدة بشكل يدوخ، لكن لم يكن لديها عيون إلا لفسحة السماء العظيمة فوقها.

إلى أي مدى يمكن للنار أخذها؟

لم تستطع إلا الضحك وهي تحلق، ضحكة عالية، يائسة، ومحمومة من الارتياح. ارتفعت عاليًا لدرجة أنها لم تعد تستطيع تمييز وجه كيتاي، حتى تحولت أرلونغ إلى بقع صغيرة من الأخضر والأزرق، حتى مرت عبر طبقة من السحب.

ثم توقفت.

علقت وحيدة في فسحة من الأزرق.

غسلها هدوء حينها، هدوء لم تستطع تذكر شعورها به قط. لم يكن هناك شيء هنا لتقتله. لا شيء لتؤذيه. كان عقلها ملكًا لها. وكان العالم ملكًا لها.

طفت في الهواء، معلقة عند النقطة بين السماء والأرض.

بدت المنحدرات الحمراء جميلة جدًا من هنا.

شرد ذهنها إلى آخر وزير للإمبراطور الأحمر، الذي نقش تلك الكلمات القديمة في جانب المنحدر. كتب صرخة للسماوات، توسلاً مفتوحًا للأجيال القادمة، رسالة للهيسبيريين الذين سيبحرون يومًا ما إلى ذلك الميناء ويقصفونه.

ماذا أراد أن يخبرهم؟

لا شيء يدوم.

كان نزهة وكيتاي مخطئين. كانت هناك طريقة أخرى لتفسير تلك النقوش. إذا كان لا شيء يدوم والعالم غير موجود، فكل ما يعنيه ذلك هو أن الواقع ليس ثابتًا. الوهم الذي تعيش فيه كان مائعًا وقابلاً للتغيير، ويمكن تغييره بسهولة من قبل شخص مستعد لإعادة كتابة سيناريو الواقع.

لا شيء يدوم.

لم يكن هذا عالمًا للبشر. كان عالمًا للآلهة، زمنًا للقوى العظمى. كان عصر الألوهية السائرة في الإنسان، عصر الرياح والماء والنار. وفي الحرب، من يملك عدم تماثل القوة هو المنتصر المحتوم.

هي، آخر سبيرية، استدعت أعظم قوة على الإطلاق.

والهيسبيريون، مهما حاولوا بجد، لن يتمكنوا أبدًا من أخذ هذا منها.

***

كان الهبوط هو الجزء الصعب.

غريزتها الأولى كانت ببساطة إطفاء النار. لكنها سقطت كصخرة، تهوي بسرعة كاسرة للعنق لعدة لحظات موقفة للقلب حتى تمكنت من فرد أجنحتها وإشعال نار تحتها. جعلها ذلك تتوقف بترنح عنيف لدرجة أنها صُدمت لأن الأجنحة لم تقتلع مباشرة من ذراعيها.

انحرفت عائدة للأعلى، وقلبها يدق.

سيتعين عليها الانزلاق للأسفل بطريقة ما. فكرت في الحركات داخل رأسها — ستقلل الحرارة، شيئًا فشيئًا، حتى تصبح قريبة بما يكفي للأرض.

نجح الأمر تقريبًا. لم تضع في حسبانها مدى سرعة تزايد سرعتها. فجأة كانت على بعد ثلاثين قدمًا من الأرض وتندفع بسرعة كبيرة جدًا نحو كيتاي.

صرخت:

— "تحرك!"

لكنه لم يتزحزح. مد يديه وحسب، وأمسك بمعصميها، وأرجحها حوله حتى انهارا في كومة متشابكة وضاحكة من الجلد والحرير والأطراف.

قال:

— "كنت محقًا. أنا دائمًا محق."

— "حسنًا، لا تكن مغرورًا جدًا بشأن ذلك."

أن بسعادة وفرك ذراعيه.

— "إذن كيف كان الأمر؟"

— "لا يصدق."

لفت ذراعيها حوله وعانقته بقوة.

— "أيها العبقري. أيها العبقري الرائع، الرائع."

مال كيتاي للخلف، رافعًا ذراعيه.

— "حذارِ، ستكسرين الأجنحة."

لوت رأسها لتفقدها وانبهرت بالحرفية الدقيقة والرفيعة التي أبقت الجهاز متماسكًا.

— "لا أصدق أنك فعلت هذا في أسبوع."

قال كيتاي:

— "كان لدي بعض الوقت. لم أكن أحاول إيقاف أسطول أو أي شيء."

— "أحبك."

منحها كيتاي ابتسامة متعبة.

— "أعرف."

بدأت قائلة:

— "ما زلنا لا نعرف ما سنفعله بعد..."

لكنه هز رأسه.

— "أعرف. لا أعرف ما سأفعله بشأن الهيسبيريين. لمرة واحدة، ليس لدي أدنى فكرة، وأنا أكره ذلك. لكننا سنجد طريقنا للخروج من هذا. وجدنا طريقنا للخروج من هذا، سننجو من المنحدرات الحمراء، وسننجو من فايسرا، وسنستمر في النجاة حتى نصبح آمنين ولا يستطيع العالم لمسنا. عدو واحد في كل مرة. متفقين؟"

قالت:

— "متفقين."

بمجرد توقف ساقيها عن الارتجاف، ساعدها على نزع معداتها. ثم تسلقا عائدين لأسفل المنحدر، لا يزالان يشعران بالخفة والنشوة بالنصر، يضحكان بشدة حتى المت جوانبهما.

لأنه نعم، الأسطول لا يزال قادمًا، ونعم، قد يموتان جيدًا في صباح الغد، لكن في تلك اللحظة لم يهم ذلك، لأنه تباً لكل شيء، هي تستطيع الطيران.

قال كيتاي بعد فترة:

— "ستحتاجين لبعض الدعم الجوي."

— "دعم جوي؟"

— "ستكونين هدفًا واضحًا وبارزًا جدًا. سترغبين في شخص يصد الناس الذين يطلقون النار عليكِ. يرمون الصخور، نرميها نحن عائدين. صف من الرماة سيكون لطيفًا."

شخرت رين. دفاعات أرلونغ كانت مفرودة برقة كما هي الأمور.

— "لن يعطونا صفًا من الرماة."

— "أجل، على الأرجح لا."

رمقها بنظرة جانبية، مفكرًا.

— "هل نجرب إريدين قبل بدء المجلس الأخير؟ نرى ما إذا كان سيقرضنا واحدًا على الأقل من رجاله؟"

قالت:

— "لا. لدي فكرة أفضل."

***

وجدت رين فينكا في أول مكان بحثت فيه — تتدرب في ساحة الرماية، تمزق أهداف القش بغضب. وقفت رين في الزاوية للحظة، تراقبها من خلف عمود.

لم تتعلم فينكا تمامًا بعد كيفية التعويض عن ذراعيها المتصلبتين، اللتين بدتا وكأنهما تتشنجان بلا سيطرة ولا تنثنيان إلا بجهد. لا بد أنهما تؤلمانها بشدة — كان وجهها يتقلص في كل مرة تمد يدها لجعبتها. لم تخلع دعامة ذراعها اليسرى. بل قفلت معصمها العلوي في مكانه بدلاً من ذلك. أدركت رين أنها كانت تطلق النار مع المبالغة في تصحيح وضع ذراع مفرطة التمدد. لكن بالنسبة لمقدار السيطرة المتبقي لديها، كانت فينكا تمتلك درجة مذهلة من

الدقة. وسرعتها كانت سخيفة أيضًا. حسب عد رين، كان يمكنها إطلاق عشرين سهمًا في الدقيقة، وربما أكثر.

لم تكن فينكا مثل قارا، لكنها ستفي بالغرض.

نادت رين في نهاية سلسلة من خمسة عشر سهمًا:

— "جولة جيدة."

انثنت فينكا، تلهث.

— "أليس لديكِ شيء أفضل لتفعليه؟"

ردًا على ذلك، عبرت رين ميدان الرماية وناولت فينكا طردًا ملفوفًا بالحرير.

حدقت فيه فينكا بريبة، ثم وضعت قوسها على الأرض لتتمكن من القبول.

— "ما هذا؟"

— "هدية."

التوت شفة فينكا.

— "هل هو رأس أحدهم؟"

ضحكت رين.

— "فقط افتحيه."

فكت فينكا الحرير. بعد لحظة نظرت لأعلى، وعيناها قاسيتان، ومقدحتان، ومرتابتان.

— "من أين حصلتِ على هذا؟"

قالت رين:

— "التقطته في الشمال. إنه صنع الكيتربيد. هل أعجبكِ؟"

قبل عودتهما إلى أرلونغ، كانت هي وكيتاي قد حزما كلَ الأسلحة التي تمكنا من جمعها على الطوافة. كان معظمها سكاكين قصيرة وأقواس صيد لم يستطع أي منهما استخدامها.

أعلنت فينكا:

— "هذا قوس شوك دودة القز. هل تعرفين كم هو نادر؟"

لم تكن رين لتميز شوك دودة القز عن الخشب الطافي، لكنها اعتبرت ذلك علامة جيدة.

— "ظننت أنكِ ستحببينه أكثر من تلك الإبداعات المصنوعة من الخيزران."

قلبت فينكا القوس بين يديها، ثم رفعته إلى عينيها لتفحص وتر القوس. ارتجفت ذراعاها. نظرت لأسفل إلى مرفقيها المرتعشين، مشمئزة علانية.

— "لا تريدين إهدار قوس شوك دودة القز عليّ."

— "إنه ليس إهدارًا. رأيتكِ تطلقين."

شخرت فينكا.

— "ذلك؟ ذلك ليس قريبًا حتى مما كان من قبل."

— "القوس سيساعد. شوك دودة القز أخف، أظن. لكن يمكننا أيضًا إحضار قوس ونشاب لكِ، إذا كان سيساعد في المسافة."

حدقت فيها فينكا بعينين مضيقتين.

— "ما الذي تقولينه بالضبط؟"

— "أحتاج دعمًا جويًا."

— "جو...؟"

قالت رين بصراحة:

— "بنى كيتاي جهازًا لمساعدتي على الطيران."

ضحكت فينكا.

— "أوه، يا آلهة. بالطبع فعل."

— "إنه تشين كيتاي."

— "بالفعل هو كذلك. هل يعمل؟"

— "بشكل صادم، نعم. لكنني أحتاج دعمًا. أحتاج شخصًا بتصويب جيد جدًا."

كانت متأكدة تمامًا من أن فينكا ستقول نعم. استطاعت قراءة الشوق على وجه فينكا بالكامل. كانت تنظر إلى القوس كما قد ينظر البعض لعشيق.

قالت أخيرًا:

– "لن يدعوني أقاتل. ولا حتى من الشرفات."

قالت رين:

– "إذن قاتلي لأجلي. السيك ليست في الجيش والجمهورية لا تستطيع إخباري بمن يمكنني تجنيده. ونحن ينقصنا بضعة رجال."

– "سمعت."

تصدعت ابتسامة عبر وجه فينكا. لم ترها رين تبدو سعيدة بصدق هكذا منذ وقت طويل، طويل جدًا. ضمت فينكا القوس بإحكام إلى صدرها، تداعب المقبض المنحوت.

– "حسنًا، إذن. أنا في خدمتكِ، أيتها القائدة."

الفصل الثلاثون

عند الفجر، بدأ مدنيو أرلونغ في الخروج من المدينة. تمت عملية الإخلاء بكفاءة مذهلة. كان المدنيون قد حزموا أمتعتهم واستعدوا لهذا منذ أسابيع. كل العائلات كانت جاهزة للذهاب مع حقيبتين لكل منها تحوي ملابس، وإمدادات طبية، وطعامًا يكفي لعدة أيام.

بحلول منتصف الظهيرة، كان مركز المدينة قد أُفرغ تمامًا. أصبحت أرلونغ قشرة مدينة. حول الجيش الجمهوري المساكن الكبيرة بسرعة إلى قواعد دفاعية بأكياس رمل ومتفجرات مخفية.

رافق الجنود المدنيين إلى قاعدة المنحدرات، حيث بدأوا صعودًا طويلاً ومتعرجًا إلى الكهوف داخل وجه الصخر. كان الممر ضيقًا وغادرًا، وبعض الارتفاعات لم يمكن تسلقها إلا باستخدام عدة سلالم حبال رفيعة مثبتة في الصخر بالمسامير.

قالت رين وهي تنظر بشك إلى الجدار الصخري:

— "هذا تسلق صعب."

كانت السلالم ضيقة لدرجة أن المُجلين سيضطرون للصعود واحدًا تلو الآخر، دون مساعدة من أحد.

— "هل يمكن للجميع فعلها؟"

قالت فينكا وهي تمشي خلفها وتجر طفلين صغيرين يشهقان بالبكا، أخ وأخت انفصلا عن والديهما في الزحام:

– "سيتجاوزون الأمر. شعبنا يستخدم تلك التلال كمخابئ منذ سنوات. اختبأنا هناك خلال عصر الممالك المتحاربة. واختبأنا هناك عندما جاء الاتحاد. سننجو من هذا أيضًا."

رفعت الفتاة على وركها وسحبت أخاها معها.

– "هيا، أسرعا."

ألقت رين نظرة إلى الوراء فوق كتفها على جموع الناس المتحركة بالأسفل.

ربما ستبقي الكهوف "التنانين" آمنين. لكن اللاجئين الجنوبيين أُمروا باحتلال الأراضي المنخفضة في الوادي، وتلك كانت مجرد مساحة مفتوحة.

كان القول الرسمي هو أن الكهوف صغيرة جداً لاستيعاب الجميع، لذا سيتعين على اللاجئين تدبر أمرهم. لكن الوادي لم يوفر أي مأوى على الإطلاق. مكشوفين للعناصر الجوية، ودون حواجز طبيعية أو عسكرية للاختباء خلفها، لن يكون للاجئين أي حماية من الطقس أو الميليشيا – وبالتأكيد ليس من فايلين.

لكن إلى أين سيذهبون غير ذلك؟ لم يكونوا ليهربوا إلى أرلونغ لو كان الوطن آمنًا.

اشتكى الصبي:

– "أنا جائع."

شدت فينكا معصمه النحيل.

– "لا يهمني. توقف عن البكاء. امشِ أسرع."

قال فايسرا:

– "ستجري هذه المعركة بشكل أساسي على ثلاث مراحل. الأولى، سنصدهم عند القناة الخارجية بين المنحدرات الحمراء. الثانية، نكسب المعركة البرية في المدينة. الثالثة، سيحاولون الانسحاب على طول الساحل، وسنصطادهم. سنصل لتلك المرحلة إذا كنا محظوظين بمعجزة."

أومأ ضباطه بوجوه متجهمة.

جالت رين ببصرها في غرفة المجلس، مندهشة من عدد الوجوه التي لم ترها من قبل. نصف الضباط الجيدين كانوا قد رُقوا حديثًا. كانوا يرتدون شرائط القيادة العليا، لكنهم بدوا أكبر من رين بخمس سنوات على الأكثر.

الكثير من الوجوه الشابة والخائفة. قُتلت القيادة العسكرية من القمة. كانت هذه تتحول بسرعة إلى حرب يخوضها الأطفال.

سألت النقيب دالين:

– "هل تستطيع تلك السفينة الحربية حتى المرور عبر المنحدرات؟"

قال الأدميرال كولاو، الضابط البحري الشاب الذي حل محل مولكوي:

– "داجي تعرف القناة جيداً."

بدا صوته وكأنه يعمّقه ليبدو أكبر سنًا.

– "ستكون قد صممتها بحيث تستطيع ذلك."

قال إريدين:

– "لا يهم. إذا بدأت سفينتهم الحربية حتى بإنزال القوات خارج القناة، فنحن في ورطة."

انحنى فوق الخريطة.

– "لهذا السبب لدينا رماة متمركزون هنا وهنا..."

قاطعه كيتاي:

– "لماذا لا توجد أي تحصينات خلفية؟"

قال فايسرا:

– "الغزو سيأتي من القناة. ليس من الوادي."

قال كيتاي:

– "لكن القناة هي طريق الهجوم الواضح. إنهم يعلمون أنكم تتوقعونهم. لو كنت أنا داجي، ولدي ميزة عددية بهذا الحجم، لقسمت قواتي وأرسلت رتلاً ثالثًا يلتف من الخلف بينما الجميع مشتتون."

قال كولاو:

— "لم يهاجم أحد أرلونغ من الطرق البرية قط. سيتم تمزيقهم على قمم الجبال."

أصر كيتاي:

— "ليس إذا كانت غير محروسة."

تنحنح كولاو.

— "إنها ليست غير محروسة. لديهم خمسون رجلاً يحرسونها."

— "خمسون رجلاً لا يمكنهم هزيمة رتل!"

— "تشانغ إن لن يرسل رتلاً كاملاً من نخبة قواته يلتف من الخلف. عندما تملك أسطولاً بذلك الحجم، فإنك تستخدمه."

لم يذكر أحد الإجابة الأكثر وضوحًا، وهي أن الجيش الجمهوري ببساطة لم يمتلك القوات لتحصينات أفضل. وإذا كان أي جزء من أرلونغ يستحق الدفاع، فهو القصر والثكنات العسكرية. ليس الأراضي المنخفضة في الوادي. ليس الجنوبيين.

تابع فايسرا بسلاسة:

— "بالطبع، سيريد تشانغ إن أن يتحول هذا إلى معركة برية. هناك يملكون الميزة المطلقة في الأعداد. لكن هذا القتال يظل قابلاً للفوز طالما أبقيناه برمائيًا."

كانت القناة قد سُدت بالفعل بالكثير من السلاسل الحديدية والعوائق تحت الماء لدرجة أنها عملت تقريبًا كسد. كانت الجمهورية تراهن على الحركة مقابل الأعداد — قواربهم المسلحة الصغيرة يمكنها الانطلاق بين السفن الإمبراطورية، وتفريق التشكيلات بينما تلقي أطقم الذخائر القنابل من محطاتهم على جانب المنحدر.

سأل ضابط شاب لم تتعرف عليه رين، وبدا متوترًا للغاية:

— "ما هو تكوين أسطولهم؟ أي السفن نستهدف؟"

قال كولاو:

— "صوبوا نحو السفن الحربية، ليس القوارب الصغيرة. أي شيء يحمل منجنيقًا يجب أن يكون هدفًا. لكن الجزء الأكبر من قواتهم موجود على تلك القلعة العائمة. إذا استطعتم إغراق أي سفن، أغرقوا تلك أولاً."

سألت النقيب دالين:

— "هل تريدنا في تشكيل مروحة عند المنحدرات؟"

قال كولاو:

— "لا. إذا تفرقنا فسوف يسحقوننا ببساطة. ابقوا في خط ضيق وسدوا القناة."

سألت دالين:

— "ألسنا قلقين بشأن الشامان الخاص بهم؟ إذا كدسنا سفننا معًا، سيحطم أسطولنا ببساطة ضد المنحدرات."

قالت رين:

— "سأتولى أنا أمر فايلين."

رمش الجنرالات ناظرين إليها. نظرت حول الطاولة، وعيناها مفتوحتان على آخرهما.

— "ماذا؟"

قال النقيب إريدين:

— "في المرة الأخيرة انتهى بكِ الأمر عالقة لمدة شهر. سنكون بخير ضد فايلين — لدينا خمس عشرة فرقة من الرماة متمركزة عبر جدران المنحدر."

قالت رين:

— "وسيقذفهم ببساطة عن المنحدرات. لن يكونوا أكثر من مصدر إزعاج."

— "وأنتِ لن تكوني كذلك؟"

قالت:

— "لا. هذه المرة، أستطيع الطيران."

بدا الجنرالات وكأنهم غير متأكدين مما إذا كان عليهم الضحك. فقط الجنرال تاركيت، الجالس بصمت كالمعتاد في مؤخرة الغرفة، بدا فضوليًا بعض الشيء.

شرح كيتاي:

– "بنيت لها، آه، نوعًا من الطائرات الورقية الطائرة. إنها مصنوعة من بعض الأجنحة الجلدية بقضبان، ويمكنها توليد نيران ساخنة بما يكفي لرفع نفسها باستخدام نفس المبدأ الذي يرفع الفانوس..."

سأل فايسرا:

– "هل جربتماها؟ هل تعمل؟"

أومأت رين وكيتاي.

قال غوروباي بجفاف:

– "رائع. إذن، بافتراض أنها ليست مجنونة، فقد تم التعامل مع إله الرياح. لا يزال هناك بقية البحرية الإمبراطورية للتعامل معها، وما زلنا متفوقين علينا بثلاثة لواحد."

تململ الضباط بعدم ارتياح.

كان الأمر أسهل لرين إذا جزأت المعركة إلى مجرد التعامل مع فايلين. لم تكن تريد التفكير في بقية الأسطول، لأن الحقيقة هي أنه لم تكن هناك طريقة سهلة للتعامل مع الأسطول. كانوا أقل عددًا، وكانوا في موقف دفاعي، وكانوا محاصرين.

بدا صوت كيتاي أكثر هدوءًا مما شعرت به هي.

– "هناك عدد من التكتيكات المختلفة التي يمكننا تجربتها. يمكننا محاولة تفريقهم واقتحام سفنهم الحربية. الشيء المهم هو ألا ندع تلك القلعة تصل إلى الشاطئ، لأنها حينها تتحول إلى معركة برية من أجل المدينة."

أضاف كولاو:

– "وقوات جون لن تكون بتلك الرهبة. سيكونون منهكين. الميليشيا ليست معتادة على المعارك البحرية، سيكونون مصابين بدوار البحر وداخين.

بينما جيشُنا صُمم للحرب النهرية، وجنودنا نشيطون. سنتفوق عليهم في القتال وحسب."

بدت الغرفة غير مقتنعة.

قال الجنرال هو بعد صمت قصير:

— "إليكم خيارًا لم نضعه في الحسبان. يمكننا الاستسلام."

وجدت رين أنه من المحبط أن هذا لم يُقابل فورًا باحتجاج عام.

مرت عدة ثوانٍ في صمت. نظرت رين جانبيًا إلى فايسرا لكنها لم تستطع قراءة تعبيره.

قال فايسرا أخيرًا:

— "لن تكون فكرة سيئة للغاية."

نظر الجنرال هو بيأس حول الغرفة.

— "لن تكون كذلك. انظروا، لست الوحيد الذي يفكر في الأمر. سيذبحوننا. لم يعد أحد من عيب عددي كهذا في التاريخ. إذا قللنا خسائرنا الآن، لا يزال بإمكاننا الخروج من هذا أحياء."

قال فايسرا ببطء:

— "كما هو الحال دائمًا، أنت صوت العقل يا جنرال هو."

بدا الجنرال هو مرتاحًا للغاية، لكن ابتسامته تلاشت مع استمرار فايسرا في الكلام.

— "لماذا لا نستسلم؟ العواقب لا يمكن أن تكون بتلك الفظاعة. كل ما سيحدث هو أن كل شخص في هذه الغرفة سيُسلخ حيًا، وستدمر أرلونغ، وسيتم سحق أي أمل في الإصلاح الديمقراطي في الإمبراطورية لقرون قليلة قادمة على الأقل. أهذا ما تريده؟"

شحب وجه الجنرال هو.

— "لا."

قال فايسرا بهدوء:

– "ليس لدي مكان في جيشي للجبناء."

أومأ للجندي الواقف بجانب هو.

– "أنت هناك. أنت مساعده؟"

أومأ الصبي، وعيناه واسعتان. لم يكن ليتجاوز العشرين.

– "نعم، سيدي."

سأل فايسرا:

– "هل خضت معركة من قبل؟"

اهتزت حنجرة الصبي وهو يبتلع ريقه.

– "نعم، سيدي. كنت في بويانغ."

– "ممتاز. وما اسمك؟"

– "تشو آنلان، سيدي."

– "تهانينا، جنرال تشو. لقد تمت ترقيتك."

التفت فايسرا إلى الجنرال هو.

– "يمكنك المغادرة."

شق الجنرال هو طريقه عبر الأجساد المزدحمة وغادر دون كلمة أخرى.

انغلق الباب خلفه.

قال فايسرا:

– "سينشق. إريدين، احرص على إيقافه."

سأل إريدين:

– "بشكل دائم؟"

فكر فايسرا في ذلك لبرهة.

– "فقط إذا قاوم."

***

بعد انفضاض المجلس، أشار فايسرا لرين بالبقاء. تبادلت نظرة مذعورة مع كيتاي وهو يخرج مع الآخرين. بمجرد فراغ الغرفة، أغلق فايسرا الباب خلفه.

قال بهدوء:

— "عندما ينتهي هذا أريدكِ أن تذهبي لزيارة صديقتنا مواغ."

شعرت بارتياح كبير لأنه لم يذكر الهيسبيريين لدرجة أنها للحظة لم تفعل شيئًا سوى الرمش ناظرة إليه، غير مستوعبة.

— "ملكة القراصنة؟"

قال فايسرا:

— "اجعلي الأمر سريعًا. اتركي الجثة وأحضري الرأس."

— "انتظر. تريدني أن أقتلها؟"

— "ألم أكن واضحًا بما يكفي؟"

— "لكنها أكبر حلفائك البحريين..."

قال فايسرا:

— "الهيسبيريون هم أكبر حلفائنا البحريين. هل ترين سفن مواغ في الخليج؟"

أشارت رين:

— "لا أرى أي سفن هيسبيرية في الخليج."

— "سيأتون. امنحيهم وقتًا. لكن مواغ لن تكون سوى مشكلة بمجرد انتهاء هذه الحرب. لقد عملت خارج القانون لفترة طويلة جدًا، ولن تستطيع الاعتياد على سلطة بحرية ليست سلطتها. التهريب يسري في دمها."

قالت رين:

— "إذن دعها تهرب. أبقها سعيدة. ما المشكلة في ذلك؟"

— "لا توجد طريقة لإبقائها سعيدة. أنخيلون موجودة بسبب التعريفات الجمركية. بمجرد أن نحصل على تجارة حرة مع الهيسبيريين، سيجعل ذلك فرضية أنخيلون بأكملها بلا معنى. كل ما سيتبقى لها هو تهريب الأفيون، ولا أنوي أن أكون متساهلاً نصف تساهل داجي تجاه الأفيون. هناك حرب قادمة بمجرد أن تدرك مواغ أن كل مصادر دخلها تجف. أفضل وأدها في المهد."

سألت رين:

– "وهذا الطلب لا علاقة له بحقيقة أنها لم ترسل سفنًا؟"

ابتسم فايسرا.

– "الحليف مفيد فقط إذا فعل ما يُؤمر به. أثبتت مواغ أنها لا يعول عليها."

– "إذن تريدني أن أرتكب جريمة قتل استباقية."

لوح بيده.

– "دعونا لا نكون دراميين هكذا. سنسميها تأمينًا."

***

قال كيتاي وهو يفرك عينيه:

– "أعتقد أن الجدار جاهز."

بدا منهكًا.

– "أردت التحقق من الفتائل ثلاث مرات، لكن لم يكن هناك وقت."

وقفا عند حافة المنحدرات، يشاهدان الشمس تغرب بين جانبي القناة مثل كرة تسقط في وادٍ. تلامع الماء المظلم بالأسفل، عاكسًا الصخور القرمزية وشمسًا برتقالية محترقة. بدا كفيضان من الدم يتدفق من شريان مقطوع حديثًا.

عندما حدقت رين في المنحدر المقابل، استطاعت بالكاد رؤية الخطوط حيث رُبطت الفتائل معًا ودُست بالمسامير في الصخر، مثل رقعة قبيحة ومترامية الأطراف من العروق الناتئة.

سألت:

– "ما احتمالات ألا تنفجر؟"

تثاءب كيتاي.

– "ستنفجر على الأرجح."

كررت:

– "على الأرجح."

— "عليكِ فقط أن تثقي بأنني ورامسا قمنا بعملنا. إذا لم تنفجر، فنحن جميعًا موتى."

— "عادل بما يكفي."

ضمت رين ذراعيها عبر صدرها. شعرت بضآلتها وهي تقف فوق الهاوية الضخمة. كُسبت إمبراطوريات وفُقدت تحت هذه المنحدرات. وهم على شفا فقدان واحدة أخرى.

سألت بهدوء:

— "هل تظن أننا نستطيع الفوز غدًا؟ أعني، هل هناك أدنى فرصة حتى؟"

قال كيتاي:

— "أجريت الحسابات بسبع طرق مختلفة. جمعت كل الاستخبارات التي لدينا وقارنت الاحتمالات وكل شيء."

— "و؟"

— "ولا أعرف."

انقبضت قبضتاه وانبسطتا، واستطاعت رين معرفة أنه يقاوم الرغبة في البدء بشد شعره.

— "هذا هو الجزء المحبط. تعرفين الشيء الوحيد الذي يتفق عليه كل الاستراتيجيين العظماء؟ لا يهم في الواقع ما الأعداد التي تملكينها. لا يهم مدى جودة نماذجك، أو مدى عبقرية استراتيجياتك. العالم فوضوي والحرب لا يمكن التنبؤ بها جوهريًا، وفي نهاية اليوم لا تعرفين من سيكون آخر رجل واقف. لا تعرفين شيئًا وأنتِ تخوضين معركة. تعرفين فقط ما هو على المحك."

قالت رين:

— "حسنًا، إنه عالٍ بحق الجحيم."

إذا خسروا، سيُقضى على تمردهم وستنحدر نيكان إلى الظلام لعقود أخرى قليلة على الأقل، ممزقة بحرب الفصائل ووجود الاتحاد المستمر.

لكن إذا فازوا، ستصبح الإمبراطورية جمهورية، مهيأة للانطلاق نحو المستقبل الجديد والمجيد مع فايسرا على دفة القيادة والهيسبيريين إلى جانبه.

وحينها سيتعين على رين القلق بشأن ما سيحدث بعد ذلك.

ضربتها فكرة حينها — مجرد خيط رفيع لفكرة، لكنه كان هناك؛ شرارة أمل شرسة ومحترقة. ربما سلمها فايسرا لتوه طريقًا للخروج.

سألت:

— "كيف تصل إلى برج الحمام؟"

قال كيتاي:

— "يمكنني أخذك. لمن تريدين إرسال رسالة؟"

— "مواغ."

استدارت رين لتبدأ التسلق عائدة نحو المدينة.

تبعها كيتاي.

— "لماذا؟"

— "هناك شيء يجب أن تعرفه."

كانت تصوغ الرسالة بالفعل في رأسها. إذا — لا، عندما — تغادر الجمهورية، ستحتاج لحليف. شخص يمكنه إخراجها من المدينة بسرعة. شخص غير مرتبط بالجمهورية.

مواغ كانت كاذبة، لكن مواغ كانت تملك سفنًا. والآن، كان لدى مواغ حكم بالإعدام فوق رأسها لا تعرف عنه. أعطى ذلك رين ورقة ضغط، مما أعطاها حليفًا.

قالت:

— "سَمِّه تأمينًا."

بالسفر بوتيرتها الحالية، ستخترق البحرية الإمبراطورية القناة عند الفجر. أعطى ذلك أرلونغ ست ساعات أخرى للاستعداد. أمر فايسرا قواته بالنوم في نوبات متناوبة كل ساعتين ليقابلوا الميليشيا بأكبر قدر ممكن من القدرة على التحمل.

فهمت رين المنطق، لكنها لم تستطع رؤية كيف يُفترض بها إغلاق عينيها. كانت تهتز بطاقة عصبية، وحتى الجلوس ساكنة جعلها غير مرتاحة — كانت بحاجة للتحرك، الركض، ضرب شيء ما.

راحت تذرع الحقل خارج الثكنات. رقصت جداول صغيرة من النار في الهواء حولها، تدور في دوائر مثالية. جعلها ذلك تشعر بتحسن طفيف. كان دليلاً على أنها لا تزال تسيطر على شيء ما.

تنحنح شخص ما. استدارت. وقف نزهة عند الباب، بعينين ذابلتين ومظهر أشعث.

سألت بحدة:

— "ماذا حدث؟ هل أي شيء..."

تمتم:

— "حلمت بحلم."

رفعت حاجبًا.

— "و؟"

— "أنتِ متِ."

أخمدتَ نيرانَها.

— "ما خطبك؟"

كرر:

— "أنتِ متِ."

بدا ذاهلاً، نصف حاضر فقط، كتلميذ صغير يتلو كلاسيكياته بلا اهتمام.

— "أنتِ... أسقطوكِ فوق الماء، ورأيت جسدكِ يطفو في الماء. كنتِ ساكنة جدًا. رأيتكِ تغرقين، ولم أستطع إنقاذكِ."

بدأ في البكاء.

تمتمت:

— "ما هذا بحق الجحيم."

هل كان ثملاً؟ منتشيًا؟ لم تكن تعرف ما يفترض بها فعله، فقط أنها لم ترد أن تكون وحيدة معه. نظرت نحو الثكنات. ماذا سيحدث إذا غادرت وحسب؟

قال نزهة، وكأنه يقرأ أفكارها:

— "أرجوكِ لا تذهبي."

عقدت ذراعيها أمام صدرها.

— "لم أظن أنك تريد رؤيتي مرة أخرى أبدًا."

— "لماذا تظنين ذلك؟"

— "«سيكون من الأفضل لو متنا»." قالت مقتبسة كلماته. "من قال ذلك؟"

— "لم أقصد ذلك..."

— "إذن ماذا؟ أين ترسم الخط؟ سوني، باجي، ألتان — كلنا وحوش في كتابك، أليس كذلك؟"

— "كنت غاضبًا لأنكِ نعتيني بالجبان..."

صرخت:

— "لأنك جبان! كم رجلاً مات في بويانغ؟ كم سيموتون اليوم؟ لكن لا، يين نزهة لديه القوة لإيقاف النهر ولن يفعل ذلك، لأنه خائف بحق الجحيم من وشم على ظهره..."

— "أخبرتكِ، إنه يؤلم..."

— "دائمًا ما يؤلم. أنت تستدعي الآلهة على أي حال. نحن جنود — نقدم التضحيات التي يجب علينا تقديمها، مهما كلف الأمر. لكن أفترض أنك ستضع راحتك الخاصة فوق فرصة لسحق الإمبراطورية..."

كرر نزهة:

— "راحة؟ تظنين أن الأمر يتعلق بالراحة؟ هل تعرفين كيف كان الشعور، عندما كنت في كهفه؟ هل تعرفين ما فعله بي؟"

— "نعم. بالضبط نفس الشيء الذي فعلته العنقاء بي."

عرفت رين ألم نزهة. هي فقط لم تملك التعاطف معه.

قالت:

– "أنت تتصرف كطفل لعين. أنت جنرال يا نزهة. قم بعملك."

أظلم الغضب وجهه.

– "فقط لأنكِ قررتِ عبادة من أساء إليكِ لا يعني أننا جميعًا..."

تصلبت رين.

– "لم يسئ إليّ أحد."

– "رين، تعلمين أن هذا غير صحيح."

– "تبًا لك."

رفع يديه مستسلمًا.

– "أنا آسف. انظري – أنا كذلك حقًا. لم آتِ هنا للتحدث عن ذلك. لا أريد الشجار."

– "إذن لماذا أنت هنا؟"

قال:

– "لأنكِ قد تموتين هناك. كلانا قد يموت."

تدفقت كلماته كسيل، وكأنه خائف من أنه إذا توقف عن الكلام فسينفد الوقت، وكأنه لن يحصل إلا على هذه الفرصة الواحدة.

– "رأيت الأمر يحدث، رأيتكِ تنزفين في الماء، ولم أستطع فعل شيء حيال ذلك. كان ذلك أسوأ جزء."

سألته بحدة:

– "هل أنت منتشٍ؟"

– "أريد فقط تصحيح الأمور بيننا. ماذا سيتطلب ذلك؟"

فرد نزهة ذراعيه.

– "هل يجب أن أدعكِ تضربينني؟ هل تريدين ذلك؟ هيا، وجهي لكمة. لن أتحرك."

كادت رين تقبل عرضه. لكن في اللحظة التي شكلت فيها قبضة، تبدد غضبها.

لماذا كلما نظرت إلى نزهة، أرادت إما قتله أو تقبيله؟ كان يجعلها إما غاضبة أو سعيدة بجنون. الشيء الوحيد الذي لم يجعلها تشعر به هو الأمان.

معه لم يكن هناك حياد، لا منطقة وسطى. أحبته أو كرهته، لكنها لم تعرف كيف تفعل الاثنين معًا.

خفضت قبضتها.

قال نزهة:

— "أنا آسف حقًا. أرجوكِ يا رين. لا أريدنا أن ننتهي هكذا."

حاول قول شيء آخر، لكن الدوي المفاجئ لطبول الإشارة طغى على صوته. ترددت عبر الثكنات بإلحاح عالٍ لدرجة أن رين استطاعت الشعور بالأرض ترتجف تحت قدميها.

ملأ طعم الدم المألوف فمها. غمر الذعر، والخوف، والأدرينالين عروقها. لكن هذه المرة لم تجعلها تنهار؛ لم ترد التكور والتمايل ذهابًا وإيابًا حتى ينتهي الأمر. كانت معتادة على هذا الآن، ويمكنها استخدامه كوقود. تحويله إلى تعطش للدماء.

قالت:

— "يجب أن نأخذ مواقعنا."

حاولت المرور بجانبه إلى الثكنات لإحضار معداتها، لكنه أمسك بذراعها.

— "رين، أرجوكِ — لديكِ أعداء أكثر مما تظنين..."

نغضته عنها.

— "دعني أذهب!"

سد طريقها.

— "لا أريد أن تكون هذه آخر محادثة نجريها أبدًا."

— "إذن لا تمت هناك. حُلت المشكلة."

— "لكن فايلين..."

قالت:

— "لن نخسر أمام فايلين هذه المرة. سنفوز، وسنعيش."

بدا كطفل مرعوب استيقظ من كابوس.

— "لكن كيف تعرفين؟"

لم تدرِ ما جعلها تفعل ذلك، لكنها وضعت يدها على كتف نزهة. لم يكن اعتذارًا أو غفرانًا، لكنه كان تنازلاً. إقرارًا.

وللحظة واحدة فقط، شعرت بلمحة من تلك الرفقة القديمة، ومضة شعرت بها ذات مرة، قبل عام في سينغارد، عندما رمى لها سيفًا وقاتلا ظهرًا لظهر، أعداء تحولوا لرفاق، بحزم على نفس الجانب لأول مرة في حياتهم.

رأت الطريقة التي ينظر بها إليها. وعرفت أنه يشعر بذلك أيضًا.

قالت بهدوء:

— "بيننا، نملك النار والماء. أنا متأكدة تمامًا من أننا معًا، يمكننا التصدي للرياح."

الفصل الحادي والثلاثون

مالت فينكا بجسدها فوق قوسها المثبت، تتفقد تروسه للمرة التي بدت وكأنها المئة. كان وتر القوس مشدودًا إلى أقصى طاقته، ومُلقمًا باثني عشر سهمًا جاهزًا للإطلاق المتتابع. قالت ونبرة التوتر تشوب صوتها:

" —أكاد أسمع نبضات قلبي تضرب في رأسي.. ألا تعشقين هذه اللحظات؟"

رد كيتاي بضجر:

" —أنا أمقتها.. أشعر وكأننا نقف في انتظار سيافِنا".

كان شعره قد انحسر كاشفًا عن بقع صلعٍ واضحة؛ فقد كاد الانتظار يفقده صوابه ريثما يظهر الأسطول الإمبراطوري، وكانت رين تدرك السبب جيدًا. كلاهما كان يفضل الهجوم، حيث يملكون رفاهية اختيار توقيت المعركة ومكانها.

لطالما حذرتهم تعاليم أكاديمية «سينغارد» من أن خوض معركة دفاعية بالتحصن خلف متاريس ثابتة ليس إلا استدعاءً للكارثة؛ لأنه يمنح العدو زمام المبادرة. وما لم تكن المسألة حصارًا طويل الأمد، فإن الاختباء خلف الدفاعات استراتيجية محكوم عليها بالفشل غالبًا، إذ لا يوجد قفل يستعصي على الكسر، ولا توجد قلعة منيعة إلى الأبد. وهذه المعركة لن تكون حصارًا؛ فالإمبراطورة داجي لا تنوي تجويعهم حتى الاستسلام، بل لا حاجة لها بذلك، فهي عازمة على تحطيم البوابات واقتحامها عنوة.

أشارت فينكا قائلة:

" —لم تسقط أرلونغ في يد غازٍ منذ قرون".

ارتعشت يدا كيتاي وهو يجيب:

" —حسنًا، لكل حظٍ نهاية".

كانت الجمهورية قد أعدت عدتها قدر المستطاع؛ نصب الجنرالات شراكهم الدفاعية، ووزعوا قواتهم — سبع محطات مدفعية على طول المنحدرات العليا، والغالبية متمركزة ضمن أسطول الجمهورية المصطف داخل القناة، بينما تولى الباقون حراسة الشاطئ أو تحصين القصر المدجج بالمتاريس.

تمنت رين لو أن فرقة الـ «سيك» كانت هنا تقاتل بجوارها فوق المنحدر، لكن لا باجي ولا سوني يملكان القدرة على تقديم دعم جوي يُذكر ضد فايلين. لذا تمركز كلاهما على متن السفن الحربية في قلب الأسطول الجمهوري؛ هناك، وفي خضم نيران العدو، قد تظل قدراتهم مخفية عن أعين المراقبين الهسبيريين، وهناك أيضًا يمكنهم إحداث الضرر الأكبر.

حدق كيتاي عبر القناة متسائلًا:

" —هل نزهة في موقعه؟"

كان نزهة مكلفًا بقيادة طليعة الأسطول، على متن واحدة من السفن الحربية الثلاث المتبقية القادرة على الصمود في اشتباك بحري. كانت مهمته تقتضي أن يندفع بسفينته مباشرة لشق قلب الأسطول الإمبراطوري وتمزيق صفوفه.

قالت فينكا:

" —نزهة دائمًا في موقعه.. إنه مشدود ومتحفز مثل"..

قاطعها كيتاي:

" —تأدبي ولا تكوني سوقية".

ابتسمت فينكا ابتسامة عريضة.

تناهى إلى مسامعهم صدى انفجارات مكتومة قادمة من خلف مصب القناة. في الحقيقة، كانت المعركة قد بدأت بالفعل؛ حفنة من الحصون النهرية الهشة التي شكلت خط الدفاع الأول لأرلونغ اشتبكت مع الميليشيا، لكنها لم تكن مجهزة إلا بعدد ضئيل من الجنود يكفي لإبقاء المدافع تعمل.

قدر كيتاي أن تلك الحصون لن تمنحهم أكثر من عشر دقائق.

قالت فينكا بحدة:

" —هناك.. إنني أراهم".

نهض الجميع وقوفًا.

أبحر الأسطول الإمبراطوري مباشرة ليدخل مجال رؤيتهم. حبست رين أنفاسها، محاولةً كبح نوبة الهلع أمام الضخامة المهولة لأسطول داجي المنضم لقوات تسلين.

تساءل كيتاي:

" —ما الذي يفعله تشانغ إن؟"

كان جنرال «لحم الذئب» قد قرن سفنه ببعضها بعضًا، وربط مؤخراتها لتشكل كتلة واحدة صلبة غير قابلة للتزعزع. تحول الأسطول إلى كبش فداء بحري عملاق، تتوسطه قلعة عائمة.

تساءلت فينكا:

" —أتحسبه فعل ذلك ليتقي دوار البحر؟"

عقدت رين حاجبيها وقالت:

" —لا بد أنه كذلك".

بدت خطوة ذكية؛ فالقوات الإمبراطورية لم تعتد القتال فوق مياه متحركة، وربما كان أداؤهم أفضل فوق منصة ثابتة. لكن التشكيل الجامد يحمل خطورة بالغة حين تكون رين هي الخصم. إذا اشتعلت سفينة واحدة، التهمت النيران البقية.

ألم تكتشف داجي بعد أن رين وجدت طريقة للالتفاف حول الختم؟

قال كيتاي:

" —الأمر لا يتعلق بدوار البحر.. بل لكي يضمنوا ألا ينسفهم فايلين خارج المياه. كما أن ذلك يمنحهم ميزة إذا حاولنا اقتحام السفن، إذ يسهل تنقل الجنود بينها".

ردت رين بحزم:

" —لن نقتحم شيئًا.. سنحرق هذا الكيان عن بكرة أبيه".

علقت فينكا بتفاؤل لم يشعر به أحد:

" —هذه هي الروح المطلوبة".

زحف الأسطول المقرون نحو المنحدرات ببطء مثير للجنون، وتردد صدى طبول الحرب في أرجاء القناة مع تقدم القلعة العائمة بثبات لا يلين.

تمتمت فينكا:

" —أتساءل كم رجلًا يتطلب الأمر لتحريك هذا الشيء؟"

أجابت رين:

" —لا يحتاجون لقوة تجديف كبيرة، إنهم يبحرون مع التيار".

" —حسنًا، ولكن ماذا عن الحركة الجانبية"..

قاطعها كيتاي بحدة:

" —أرجوكما.. توقفا عن الثرثرة".

أدركت رين أن ثرثرتهم حمقاء، لكنها لم تستطع منع نفسها، وكانت فينكا تعاني المشكلة ذاتها. كان لزامًا عليهما مواصلة الكلام، وإلا قادهما الانتظار إلى الجنون.

قالت رين، متجاهلة نظرات كيتاي الغاضبة:

" —البوابات لن تصمد.. سيكون الأمر أشبه بركل قلعة من الرمال".

سألت فينكا:

" —أتعطينها خمس دقائق إذًا؟"

" —بل دقيقتين. استعدي لإطلاق ذلك القوس".

ربتت فينكا على كتف كيتاي قائلة:

" —لا تكن قاسيًا على نفسك".

قلب كيتاي عينيه وقال:

" —البوابة لم تكن فكرتي".

في محاولة يائسة أخيرة، أمر فايسرا قواته بإيصاد بوابات القناة وتكبيلها بكل حلقة حديدية متوفرة في المدينة. ربما كان ذلك ليردع سفينة قراصنة، لكن أمام هذا الأسطول، لم يكن الأمر أكثر من لفتة رمزية. بدا من صوت التحركات أن الميليشيا تنوي ببساطة تحطيم البوابات باستخدام كبش مدفعي.

دووووم. شعرت رين بالصخر يرتج تحت قدميها.

تساءلت بصوت عالٍ:

" —كم عمر هذه البوابات؟"

دووووم.

أجابت فينكا:

" —أقدم من هذه المقاطعة.. ربما بعمر الإمبراطور الأحمر نفسه. لها قيمة معمارية كبيرة".

" —يا للأسف".

" —أليس كذلك؟"

دووووم. سمعت رين صوت تكسر الخشب الحاد، تلاه صوت يشبه تمزق نسيج ضخم.

سقطت بوابات أرلونغ.

تدفق الأسطول الإمبراطوري إلى الداخل، وأضاءت القناة بالألعاب النارية القاتلة. انطلقت مدافع أرلونغ العملاقة المثبتة في جدران المنحدرات، واحداً تلو الآخر، قاذفةً كرات ملتهبة بحجم الصخور لترتطم بجوانب سفن تشانغ إن. وانفجرت الألغام المائية التي زرعها كيتاي بعناية في تتابع زمني مذهل، مصدرة أصواتًا تحاكي المفرقعات وقد تضاعفت قوتها ألف مرة.

للحظة، اختفى الأسطول الإمبراطوري خلف سحابة هائلة من الدخان.

همست فينكا بانبهار:

" —رائع".

هز كيتاي رأسه نافيًا:

" —هذا لا شيء.. يمكنهم تحمل الخسائر".

كان محقًا. حين انقشع الدخان، رأت رين أن الجلبة كانت أكبر من الضرر. واصل الأسطول تقدمه عبر الانفجارات، وبقيت القلعة العائمة سليمة لم يمسسها سوء.

خطت رين نحو حافة المنحدر والسيف في يدها.

تمتم كيتاي:

" —الصبر.. ليس الآن".

قالت رين:

" —يجب أن نكون هناك في الأسفل".

شعرت بالجبن وهي تراقب من قمة المنحدر، مختبئة بعيدًا عن الأنظار بينما يحترق الجنود في الأسفل.

رد كيتاي:

" —نحن ثلاثة أشخاص فقط.. سنكون مجرد وقود للمدافع. إذا نزلتِ الآن، سيتحول جسدك إلى مصفاة من الحديد".

كرهت رين كونه محقًا.

كانت المنحدرات تهتز باستمرار تحت أقدامهم؛ فقد بدأ الأسطول الإمبراطوري بالرد. انطلقت القذائف من أبراج الحصار، ممطرة محطات المدفعية الجبلية بوابل من الصواريخ الصغيرة، بينما رد رماة الميليشيا المحميون بدروعهم بسهمين مقابل كل سهم يصل إلى أسطح سفنهم.

اعتصر الرعب معدة رين وهي تشاهد المشهد. كانت الميليشيا تستخدم بدقة استراتيجية كسر الحصار نفسها التي طبقها جينتشا في الحملة الشمالية: إبادة الرماة أولًا، ثم اكتساح المقاومة البرية.

نالت السفن الحربية الجمهورية النصيب الأكبر من الدمار. إحداها نُسفت بالكامل لدرجة أن حطامها المتناثر سد الطريق أمام شقيقاتها.

أطلقت المدافع الإمبراطورية نيرانها بمسار منخفض مستهدفة عجلات التجديف. حاولت السفن الجمهورية الالتفاف في الماء لإبعاد مجاديفها

الخلفية عن مرمى النيران، لكنها كانت تفقد قدرتها على المناورة بسرعة. بهذا المعدل، ستتحول سفن نزهة إلى بطات جالسة تنتظر الصيد.

لم ترَ رين أي أثر لفايلين بعد.

تمتم كيتاي:

" —أين هو؟ تظن أنهم سيخرجونه فورًا".

قالت رين:

" —ربما هو سيء في تلقي الأوامر".

بدا فايلين مرعوبًا من داجي لدرجة أنها لم ترغب في تخيل نوع التعذيب الذي تطلبه الأمر لإقناعه بالقتال.

لكن بهذا المعدل، لم تكن الميليشيا بحاجة لإخراج فايلين أصلًا. سقطت محطتان للمدفعية، والخمس المتبقية بدأت ذخيرتها في النفاد وتباطأ معدل إطلاقها. معظم سفن نزهة تعطلت في الماء، بينما لم يلحق بقلب الأسطول الإمبراطوري سوى أضرار طفيفة.

حان وقت تصحيح الأوضاع. نهضت رين وقالت:

" —سأنزل".

وافقها كيتاي:

" —الآن هو الوقت المناسب".

ناولها جرة زيت من كومة مرتبة بجوار القوس، ثم أشار بيده نحو القناة:

" —أفكر في الجانب الأيسر الأوسط لتلك السفينة البرجية. عليكِ شق ذلك التشكيل. أشعلي الحبال وسيتكفل الحريق بالباقي".

أضافت فينكا بلهجة مساعدة:

" —ولا تنظري إلى الأسفل".

" —اخرسي".

تراجعت رين خطوات للوراء، غرزت قدميها في الأرض، ثم انطلقت تركض. صفعت الريح وجهها، وتموجت أجنحتها ضد تيار الهواء. ثم اختفى

المنحدر من تحت قدميها، ومال رأسها نحو الأسفل، ولم يكن ثمة خوف، ولا صوت، بل مزيج مذهل من الرهبة ونشوة السقوط الحر.

***

تركت نفسها تهوي للحظة قبل أن تبسط أجنحتها. حين فتحت ذراعيها، ضربتها مقاومة الهواء كلكمة قوية، وشعرت وكأن ذراعيها تُقتلعان من مفاصلهما. شهقت — لا من الألم، بل من فرط الإثارة. تحول النهر إلى غشاوة ضبابية، وذابت السفن والجيوش في خطوط متصلة من البني والأزرق والأخضر.

ظهرت السهام في مجال رؤيتها. بدت كالإبر من مسافة بعيدة، لكن حجمها تضخم بسرعة مرعبة. انحرفت يسارًا، فمرت السهام بجوارها دون أذى.

أصبحت في المدى المناسب للسفينة البرجية. عدلت مسار هبوطها، فتحت فمها وكفيها، وانطلق سيل من اللهب من أطرافها، مشعلًا كل ما مرَّت به.

أسقطت جرة الزيت قبل لحظة من تحليقها صعودًا.

سمعت تهشم الزجاج حين ارتطمت الجرة بالسطح، وأزيز النار وهي تلتهم الوقود. ابتسمت وهي تحلق مرتفعة نحو جدار المنحدر المقابل. وحين جازفت بإلقاء نظرة خاطفة للوراء، رأت السهام تفقد زخمها وتسقط عائدة للأرض وهي تجاهد للحاق بها.

لامست قدماها أرضًا صلبة. سقطت على ركبتيها واستندت على أطرافها الأربعة، تلهث وهي تمسح الدمار في الأسفل.

كانت الحبال قد اشتعلت بنار ثابتة ومتمددة. رأت العقد تسود وتتآكل حيث أسقطت الزيت.

رفعت نظرها. عبر القناة، كانت فينكا تدفع بجولة أخرى من الأسهم في آلية تلقيم قوسها بانتظام، بينما لوّح لها كيتاي بالعودة.

كانت عضلات ذراعيها تحترق ألمًا، لكنها لم تملك ترف الوقت للراحة. زحفت إلى حافة المنحدر وسحبت جسدها لتقف.

ضيقت عينيها، ترسم مسار طيرانها التالي. لفتت انتباه فينكا وأشارت نحو مجموعة من السفن لم تمسها النار.

أومأت فينكا برأسها وأعادت توجيه قوسها.

أخذت رين نفسًا عميقًا، قفزت من المنحدر، وانقضت نحو الأسفل، غارقة مرة أخرى في تدفق الأدرينالين. جاءت الرماح تصفر باتجاهها، واحدًا تلو الآخر، لكن لم يكن عليها سوى المراوغة لتطيش في الهواء الفارغ.

شعرت بنشوة غامرة وهي تشعل الأشرعة وتشعر بحرارة النار ترفعها لأعلى كلما انتشرت. هل كان ألتان يشعر بهذا دائمًا في خضم المعركة؟ فهمت الآن لمَ استدعى لنفسه أجنحة رغم أنه لم يستطع الطيران بها.

كان الأمر رمزيًا.. نشوياً. في هذه اللحظة كانت لا تُقهر، كانت إلهية. لم تكن قد استدعت العنقاء فحسب، بل أصبحت هي العنقاء.

قال كيتاي فور هبوطها:

" —عمل رائع.. انتشرت النار إلى ثلاث سفن، ولم ينجحوا في إخمادها.. مهلًا، هل تستطيعين التنفس؟"

لهثت قائلة:

" —أنا بخير.. فقط.. أمهلني لحظة"..

قالت فينكا بحدة:

" —يا رفاق.. هذا سيء".

ترنحت رين واقفة وانضمت إليها قرب الحافة.

حرق الحبال آتى أكله؛ بدأ التشكيل الإمبراطوري في التشرذم، وانجرفت سفنه الخارجية مبتعدة عن المركز. انتهز نزهة الثغرة ليقحم سفينته الحربية مباشرة عبر التكتل الرئيسي، حيث تمكن من إحداث فجوات مدخنة في جانب القلعة العائمة.

لكنه الآن علق. أنزل الأسطول الإمبراطوري ألواحًا عريضة على جانبي سفينته. كان نزهة على وشك أن يُجتاح.

قالت رين:

" —سأنزل إلى هناك".

سألها كيتاي:

" —لتفعلي ماذا؟ احرقيهم وستحرقين نزهة".

" —سأهبط وأقاتل إذًا. يمكنني توجيه النيران بدقة أكبر من الأرض، عليَّ فقط الوصول إلى هناك".

بدا كيتاي مترددًا:

" —ولكن فايلين"..

" —لا نعرف أين فايلين. نزهة في ورطة. أنا ذاهبة".

صاحت فينكا وهي تشير نحو وديان الأراضي المنخفضة:

" —رين.. انظري إلى التلال. أعتقد أنهم أرسلوا قوات برية".

تبادلت رين نظرة سريعة مع كيتاي.

وقبل أن يتمكن من النطق بكلمة، قذفت بنفسها إلى السماء.

كان من المستحيل عدم ملاحظة الطابور الأرضي. رأتهم رين بوضوح عبر الغابة، شريطًا كثيفًا من الجنود يزحفون نحو أرلونغ من الخلف. كانوا على بعد أقل من نصف ميل عن مناطق إخلاء اللاجئين. سيصلون إليهم في دقائق.

شتمت رين في وجه الريح. كان إيريدن قد زعم أن كشّافته لم يروا شيئًا في الوادي.

ولكن كيف يغفل المرء عن لواء كامل؟

تسارعت أفكارها. كان كل من فينكا وكيتاي يصرخان فيها، لكنها لم تسمعهما.

أيجب أن تذهب؟ ما الذي بوسعها فعله؟ لا يمكنها تدمير طابور من الجنود بمفردها. ولا يمكنها التخلي عن المعركة البحرية — إذا ظهر فايلين وهي على بعد أميال، فقد يغرق أسطولهم بالكامل قبل أن تتمكن من العودة.

لكن كان عليها إخبار أحد.

مسحت القناة بنظرها. كانت تعلم أن فايسرا وجنرالاته متحصنون خلف الدفاعات قرب الشاطئ حيث يشرفون على المعركة، لكنهم سيرفضون فعل أي شيء حتى لو حذرتهم. المعركة البحرية ليس لديها فائض من الجنود.

كان عليها تحذير أمراء الحرب.

كانوا متناثرين في ساحة المعركة مع قواتهم، لكنها لم تكن تعرف مواقعهم.

لا أحد يمكنه سماع صراخها من هذا الارتفاع. خيارها الوحيد هو كتابة رسالة لهم في السماء. خفقت بجناحيها مرتين لتكتسب ارتفاعًا وطارت للأمام حتى تعلقت فوق القناة مباشرة، في مرمى البصر لكن بعيداً عن مدى النيران.

قررت كتابة كلمتين.

غـزو الـوادي.

أشارت للأسفل. تدفقت النيران من أصابعها وتعلقت في الهواء لبضع ثوانٍ حيث رسمتها قبل أن تتبدد. كتبت الحرفين مرارًا وتكرارًا، تعيد رسم الخطوط التي تلاشت من الهواء، مبتهلة أن يرى أحد في الأسفل الرسالة.

للحظة طويلة، لم يحدث شيء.

ثم، بالقرب من خط الشاطئ، رأت صفًا من الجنود ينسلخ عن الجبهة. أحدهم لاحظ الأمر.

أعادت توجيه انتباهها إلى القناة.

كانت سفينة نزهة قد اجتيحت بالكامل تقريبًا من قبل القوات الإمبراطورية. صمتت مدافع السفينة. بحلول الآن، لا بد أن طاقمها إما قتلى أو عاجزون عن القتال.

لم تتوقف للتفكير. غاصت نحو الأسفل.

هبطت بشكل سيء. كان انقضاضها حادًا جداً ولم تتمكن من كبح سرعتها في الوقت المناسب. انزلقت للأمام على ركبتيها، تصرخ ألمًا وكشط السطح جلدها.

انقض عليها جنود الميليشيا فورًا. استدعت عمودًا من اللهب، دائرة وقائية أحالت كل شيء في نطاق خمسة أقدام إلى رماد ودفعت الجنود المهاجمين للخلف.

وقعت عيناها على زي أزرق وسط بحر من الأخضر. اندفعت تشق طريقها عبر الجثث المحترقة، تحمي رأسها بذراعيها، حتى وصلت إلى الجندي الجمهوري الوحيد الذي رأته.

سألته:

" —أين نزهة؟"

حدق فيما وراءها بعينين تائعتين، وانساب خيط رفيع من الدم من جبهته عبر وجهه.

هزته بعنف:

" —أين نزهة؟"

فتح الضابط فمه لتجيب عنه سهم انغرس في عينه اليسرى. ألقت رين الجثة بعيدًا، انخفضت، وانتزعت ترسًا من على السطح قبل لحظة من انغراس ثلاثة سهام في المكان الذي كان فيه رأسها.

تقدمت ببطء على طول السطح، والنيران تزأر خارجة منها في نصف دائرة لصد قوات الميليشيا. تهاوى الجنود في طريقها، يرتعشون ويحترقون، بينما ألقى آخرون بأنفسهم في الماء هربًا من النار.

عبر أزيز اللهب، سمعت صوتًا خافتًا لاشتباك الفولاذ. خفضت جدار النار للحظة فقط لترى نزهة وحفنة من الجنود الجمهوريين المتبقين يبارزون فصيلة الجنرال جون في الطرف الآخر من السطح.

إنه لا يزال حيًا. ملأ أمل دافئ صدرها. ركضت نحو نزهة، مطلقة شرائط موجهة من اللهب نحو الاشتباك. التفت ألسنة النار حول أعناق جنود الميليشيا كالسياط، بينما التهمت كرات اللهب وجوههم، تعمي عيونهم، تحرق أفواههم، وتخنقهم. واصلت تقدمها حتى سقط كل الجنود في محيطها على الأرض، بين

قتيل ومحتضر. شعرت بلذة غريبة ومثيرة وهي تدرك أنها تملك كل هذه السيطرة على النار، وأنها باتت تحوز طرقًا فتاكة وجديدة للقتل.

حين سحبت النار، كان نزهة قد أخضع جون وأركعه.

قال نزهة:

" —أنت جندي جيد.. والدي لا يريدك ميتًا".

لوت السخرية وجه جون وهو يرفع سيفه نحو صدره:

" —لا تتعب نفسك".

تحرك نزهة بسرعة أكبر. ومض نصله في الهواء. سمعت رين صوتًا غليظًا ذكرها بمتاجر الجزارة. سقطت يد جون المبتورة على الأرض.

ترنح جون للأمام على ركبتيه، يحدق في جذع يده الدامي وكأنه لا يصدق ما يرى.

قال نزهة:

" —لن يكون الأمر بهذه السهولة بالنسبة لك".

هسهس جون بغضب:

" —يا لك من جاحد.. أنا من صنعك".

رد نزهة:

" —أنت علمتني معنى الخوف.. لا أكثر".

حاول جون بجنون انتزاع الخنجر من حزام نزهة، لكن نزهة ركله — ضربة قصيرة ودقيقة على جذع جون المبتور. عوى جون من الألم وسقط على جانبه.

قالت رين:

" —أنهِ الأمر.. بسرعة".

هز نزهة رأسه:

" —إنه سجين جيد"..

صرخت رين وهي تستدعي كرة من اللهب في يدها اليمنى:

" —لقد حاول قتلك! إذا لم تفعل، فسأفعل أنا"..

أمسك نزهة بكتفها:

" —توقفي"!

كافح جون للوقوف واندفع بجنون نحو حافة السفينة.

صرخ نزهة: "لا!" واندفع نحوه، لكن الأوان كان قد فات. رأت رين قدمي جون تختفيان فوق السياج. سمعت صوت ارتطام بالماء بعد ثوانٍ. هرعت هي ونزهة إلى السياج للنظر، لكن جون لم يظهر على السطح.

استدار نزهة نحوها غاضبًا:

" —كان بإمكاننا أخذه أسيرًا"!

" —انظر، لم أرمه أنا." لم ترَ كيف يكون هذا خطأها. "ولقد أنقذت حياتك للتو. عفوًا، بالمناسبة".

رأت رين نزهة يفتح فمه ليرد، قبل أن يرتطم بها شيء رطب وثقيل من الأعلى ويطرحها أرضًا. انحشرت أجنحتها بشكل مؤلم في كتفيها. أدركت أنها محتجزة تحت قماش مشبع بالماء. لم تفعل نارها شيئًا سوى ملء القماش ببخار حارق. كان عليها سحب النار قبل أن تختنق.

كان أحدهم يثبت القماش لأسفل، محاصرًا إياها بداخله. ركلت بجنون، تحاول التملص دون جدوى. التفت بقوة أكبر حتى شق رأسها الجانب.

" —مرحبًا".

كان جنرال «لحم الذئب» يرمقها بنظرة خبيثة من الأعلى.

زأرت بالنيران في وجهه، لكنه هوى بظهر يده المدرعة بالحديد على رأسها. ارتطمت بقوة بسطح السفينة، وانفجرت رؤيتها شرارات. رأت تشانغ إن بشكل ضبابي يرفع سيفه فوق عنقها.

ألقى نزهة بنفسه على جانب تشانغ إن. سقطا معًا في كومة متشابكة. نهض نزهة مسرعًا وتراجع للخلف رافعًا سيفه. التقط تشانغ إن سيفه من الأرض، مقهقهًا، ثم هاجم.

استلقت رين على ظهرها، ترمش نحو السماء. كانت كل أطرافها تنمل، ورفضت الاستجابة حين حاولت تحريكها. من زاوية عينها التقطت لمحات من قتال؛ سمعت وابلًا يصم الآذان من الضربات، وفولاذًا ينهال على فولاذ.

كان عليها مساعدة نزهة. لكن قبضتيها أبتا أن تنفتحا؛ والنار رفضت المجيء.

بدأ بصرها يتلاشى إلى السواد، لكنها لم تستطع فقدان الوعي. ليس الآن. عضت بقوة على لسانها، مرغمة الألم على إبقائها مستيقظة.

أخيرًا تمكنت من رفع رأسها. كان تشانغ إن قد حاصر نزهة في زاوية. بدا نزهة يترنح، يواجه صعوبة واضحة حتى في الوقوف باستقامة. كان الدم يغطي الجانب الأيسر بالكامل من زيه العسكري.

سخر تشانغ إن:

" —سأنشر رأسك، ثم سأطعمه لكلابي، تمامًا كما فعلت مع أخيك".

صرخ نزهة وضاعف هجومه.

أنت رين وتدحرجت على جانبها. تطايرت شرارات وانفجرت في كفيها — مجرد أضواء صغيرة، لا تقترب حتى من الشدة التي تحتاجها. أغمضت عينيها بقوة، تحاول التركيز. أن تبتهل.

أرجوك، أنا بحاجة إليكِ..

لم تقترب ضربات نزهة حتى من إصابة هدفها. جرده تشانغ إن من سلاحه بسهولة وركل سيفه عبر السطح. زحف نزهة نحو المقبض. كنس تشانغ إن ساقه خلف ركبتي نزهة، مسقطًا إياه أرضًا، ووضع حذاءه الثقيل فوق صدره.

مرحبًا أيتها الصغيرة، قالت العنقاء.

اندلعت النيران من كل جزء فيها. لم تعد النار محصورة في نقاط سيطرتها — يديها وفمها — بل توهجت حول جسدها بالكامل كدرع منيع متلألئ.

أشارت بإصبعها نحو تشانغ إن. ارتطم تيار كثيف من النار بوجهه. أسقط سيفه ودفن رأسه بين يديه محاولًا إخماد اللهب، لكن الحريق امتد ليغطي جسده بالكامل، يزداد توهجًا وسطوعًا وهو يصرخ.

توقفت رين قبل قتله بقليل. لم تُرِد أن تجعل الأمر سهلًا عليه.

توقف تشانغ إن عن الحركة. كان ممددًا على ظهره، تغطيه حروق بشعة. اسود وجهه وذراعاه، وتخللت بشرته شقوق كشفت عن جلد متقرح يغلي.

وقفت رين فوقه وفتحت كفيها للأسفل.

أمسك نزهة بكتفها:

" —لا تفعلي".

رمقته بنظرة ساخطة:

" —لا تقل لي أنك تريد أخذه أسيرًا أيضًا".

قال:

" —لا.. أريد أن أفعلها أنا".

تراجعت خطوة وأشارت إلى جسد تشانغ إن الهامد:

" —لك ما تريد".

قال:

" —سأحتاج إلى سيف".

دون كلمة، ناولته سيفها.

تتبع نزهة وجه تشانغ إن بطرف النصل، ناكزًا إياه في الجلد المتقرح بين عظام خديه المتشققة.

" —هي.. استيقظ".

فتح تشانغ إن عينيه.

غرس نزهة طرف السيف مباشرة في عين تشانغ إن اليسرى. تخبطت يد تشانغ إن في الهواء، محاولًا انتزاع النصل من قبضة نزهة، لكن نزهة وجه له ركلة وحشية في ضلوعه، تلتها عدة ركلات أخرى في وجهه.

أراد نزهة رؤية تشانغ إن ينزف. لم تحاول رين إيقافه. كانت تريد المشاهدة أيضًا.

ضغط نزهة بطرف السيف على عنق تشانغ إن قائلًا:

" —توقف عن الحركة".

استلقى تشانغ إن ساكنًا وهو يئن. تدلت عينه المقلوعة بشكل مقزز على جانب وجهه، لا تزال متصلة بخيوط لزجة. ورمشت العين الأخرى بجنون، وهي غارقة في الدم.

أمسك نزهة بالمقبض بكلتا يديه وهوى به بقوة. تناثر الدم على وجهيهما معًا.

ترك نزهة السيف يسقط وتراجع ببطء. كان صدره يعلو ويهبط. وضعت رين يدها على ظهره.

مال عليها وهو يرتجف:

" —لقد انتهى الأمر".

همست:

" —لا، لم ينتهِ".

لقد بدأ للتو. لأن الهواء سكن فجأة— سكونًا جعل كل راية في القناة تتدلى هامدة، وضُخّم صوت كل صرخة واشتباك سيوف في غياب الريح.

مدت يدها وأمسكت بأصابع نزهة، في اللحظة التي انتُزعت فيها السفينة من تحت أقدامهما.

الفصل الثاني والثلاثون

شتتت قوة العاصفة شملهم ومزقتهم إربًا.

للحظة، علقت رين في الهواء بلا وزن، تراقب قطع الخشب الطافية والأجساد تحلق بجوارها في مشهد عبثي، ثم هوت إلى الماء مع بقايا ما كان سابقًا السطح العلوي للسفينة.

لم تستطع رؤية نزهة. لم تستطع رؤية أي شيء. غاصت بسرعة، يسحبها ثقل الحطام نحو الأسفل. تخبطت بجنون في المياه السوداء، تحاول العثور على أي مسار يقودها إلى السطح.

وهناك وجدته ـــ بصيص ضوء يخترق كتلة الأجساد. كانت رئتاها تحترقان. كان عليها الصعود إلى هناك. ركلت بقوة، لكن شيئًا ما جذب ساقيها. لقد تشابكت في العلم، والقماش المبلل تحت الماء كان بقوة الحديد الصلب. ضبب الذعر عقلها. وكلما زادت ركلاتها عنفًا، زاد العلم التفافًا حولها، ساحبًا إياها نحو قاع النهر.

هدوء. أجبرت نفسها على إفراغ عقلها. هدئي من روعك. لا غضب، لا ذعر، فقط العدم. وجدت تلك المساحة الصامتة من الصفاء التي أتاحت لها التفكير.

لم تغرق بعد. لا تزال تملك القوة لتركل طريقها نحو السطح. والقماش لم يكن معقودًا تلك العقدة المستحيلة، بل كان مجرد أنشوطة التفت مرتين حول ساقها. مدت يدها للأمام. وبحركات سريعة قليلة تحررت. سبحت صعودًا وقد غمرها الارتياح، مجبرة نفسها على عدم الذعر، ومصبة تركيزها على الفعل البسيط المتمثل في دفع جسدها عبر الماء حتى اخترق رأسها السطح.

لم ترَ نزهة وهي تجر نفسها إلى الشاطئ. مسحت الحطام بنظرها، لكنها لم تجد له أثرًا. هل طفا على السطح أصلاً؟ هل مات؟ هل سُحق، أو خوزق، أو غرق...

لا. كان عليها أن تثق بأنه بخير. هو يستطيع التحكم في الماء ذاته؛ لا يعقل أن يقتله الماء.

أليس كذلك؟

اخترق عويل رياح غير طبيعية القناة وتردد صداه، لا يقطعه سوى صوت تكسر الأخشاب.

يا للآلهة.

نظرت رين للأعلى.

كان فايلين معلقًا في الهواء فوقها، يقذف السفن نحو جدار المنحدر بمجرد تلويحات من ذراعه. دارت قطع الخشب والحطام في دائرة خطرة حوله. مع رياح بهذه السرعة، أي قطعة من تلك الشظايا كفيلة بقتلها.

جف حلق رين. وخذلتها ركبتاها. كل ما أرادته هو العثور على حفرة والاختباء فيها. وقفت مشلولة بفعل الخوف واليأس. فايلين سيواصل سحق أسطولهم في القناة حتى لا يتبقى منه شيء.

لماذا تقاتل؟ الموت سيكون أسهل إن لم تقاوم...

غرزت أظافرها في راحة يدها حتى أعادها الألم إلى رشدها.

لا يمكنها الهرب.

من سيقاتله غيرها؟ من يملك القدرة أصلاً؟

كانت قد فقدت سيفها في الماء، لكنها لمحت رمحًا ملقى على الأرض. لن يجدي نفعًا كبيرًا ضد فايلين، لكن حمل سلاح أشعرها بتحسن. التقطته، وفتحت أجنحتها، واستدعت اللهب حول ذراعيها وكتفيها. أزيز البخار تصاعد حولها مشكلاً سحابة ضباب خانقة. لوحت رين مبعدة إياها، آملة بيأس أن تكون أجنحتها مقاومة للماء.

ركزت على توليد تيار ثابت ومركز من اللهب حول جانبيها، تيار حارق لدرجة أن الهواء حولها تموج وتشوش، والعشب عند قدميها ذبل وتفحم متحولًا إلى رماد رمادي.

ببطء، ارتفعت نحو إله الرياح.

عن قرب، بدا فايلين بائسًا. كان جلده شاحبًا، منقرًا، ومغطى بالقروح. لم يعطوه ملابس جديدة —كان زي "السيك" الأسود الخاص به ممزقًا وقذرًا. وجهًا لوجه، لم يكن إلهًا مخيفًا. مجرد رجل بثياب رثة وعينين منكسرتين.

تلاشى خوفها، وحل محله الشفقة. كان يجب أن يموت فايلين منذ زمن طويل. الآن هو سجين في جسده، محكوم عليه بالمشاهدة والمعاناة بينما يتلاعب به الإله الذي يمقته كبوابة للعالم المادي.

لولا الختم، ولولا كيتاي، لربما تحولت رين إلى شيء يشبهه تمامًا.

ذكرت نفسها: الرجل رحل. اهزمي الإله.

صاحت:

— "أيها الوغد! أنا هنا!"

التفت فايلين. وهدأت الرياح.

توتّرت، متوقعة ضربة مفاجئة. لم يكن لديها سوى ضمان كيتاي بأنها تستطيع تصحيح مسارها بأجنحتها إذا أرسلها فايلين تدور في الهواء، لكن تلك الفرصة كانت أفضل مما يملكه أي شخص آخر.

لكن فايلين ظل معلقًا في الهواء بلا حراك، رأسه مائل إلى الجانب، يراقب صعودها لملاقاته كطفل يراقب بفضول حركات حشرة صغيرة.

قال:

— "حيلة ظريفة."

انطلقت قطعة خشب عائمة بمحاذاة ذراعها اليسرى. ترنحت ثم استعادت توازنها.

التقت عيناه اللازوردية بعينيها. ارتجفت. كانت تدرك تمامًا مدى هشاشتها. كانت تقاتل إله الرياح في عقر داره، وهي مجرد شيء ضئيل معلق في الهواء لا يحمله سوى طبقتين من الجلد وقفص معدني. يمكنه تمزيقها وسحقها ضد تلك المنحدرات بمنتهى السهولة.

لكنها لم تكن تملك أجنحتها فحسب. كان لديها رمح. وكان لديها النار.

فتحت فمها وكفيها وأطلقت كل ذرة لهب تملكها نحوه — ثلاثة خطوط من النار تزمجر خارجة من جسدها في آن واحد. اختفى فايلين خلف جدار من الأحمر والبرتقالي. سكنت الرياح من حوله. وبدأ الحطام يسقط من الهواء، مطر من الركام ينقّط صفحة المياه في الأسفل.

باغتتها ضربته الانتقامية. ضربتها هبة من القوة بعنف وسرعة لم تترك لها مجالًا للاستعداد، ولا حتى لشد عضلاتها. اندفعت للخلف، تتدحرج في الهواء في دوائر حتى ظهر جدار المنحدر قريبًا بشكل خطير أمام عينيها. كشط أنفها الصخر قبل أن تنجح في تغيير مسار زخمها وتعديل وضعيتها.

عادت تنجرف نحو فايلين، وقلبها يقرع كالمطرقة.

لم تحرقه حتى الموت، لكنها اقتربت. تحول وجه وشعر فايلين إلى اللون الأسود. وتصاعد الدخان من أرديته المحترقة.

بدا مصدومًا.

صاحت به:

— "حاول مرة أخرى."

كان هجومه التالي سلسلة من الرياح التي لا هوادة فيها تضربها من اتجاهات مختلفة وغير متوقعة، بحيث لا يمكنها مجرد ركوب التيار. تارة يدفعها نحو الأرض، وتارة يرفعها للأعلى، فقط ليتركها تسقط مجددًا.

ناورت الرياح قدر استطاعتها، لكن الأمر كان أشبه بالسباحة عكس شلال. كانت طائرًا صغيرًا عالقًا في عاصفة. أجنحتها لا تساوي شيئًا أمام قوته الكاسحة. كل ما استطاعته هو منع نفسها من الارتطام بالأرض.

شكت في أن السبب الوحيد الذي جعل فايلين لم يقذفها ضد الصخور بعد هو أنه كان يتلاعب بها.

لكنه لم يجهز عليها في "بويانغ" أيضًا. لن نقتلكِ، هكذا قال. هي أمرتنا ألا نفعل ذلك. من المفترض فقط أن نؤذيكِ.

الإمبراطورة أمرته بإحضارها حية. منحها هذا ميزة.

صاحت:

— "احذر. لن تكون داجي سعيدة ببضاعة تالفة."

تغيرت هيئة فايلين بالكامل حين نطقت باسم داجي. انحنى كتفاه؛ وبدا وكأنه ينكمش على نفسه. جالت عيناه في المكان، وكأنه مرتعد من أن داجي قد تراه حتى وهو في أعالي السماء.

حدقت رين فيه بذهول. ماذا فعلت به داجي؟

كيف كانت داجي قوية لدرجة تمكنها من إرعاب إله؟

اغتنمت رين الفرصة للطيران مقتربة. لم تكن تعرف كيف أخضعت داجي فايلين، لكنها باتت واثقة الآن أن فايلين لا يستطيع قتلها.

داجي لا تزال تريدها حية، وتلك كانت ميزتها الوحيدة.

كيف يقتل المرء إلهًا؟ تحيرت هي وكيتاي في هذه المعضلة لساعات. تمنت لو يستطيعون جره إلى داخل "تشولو كوريك". وتمنى كيتاي لو يستطيعون فقط جلب "تشولو كوريك" إليه.

في النهاية، توصلا إلى حل وسط.

راقبت رين شبكة الفتائل المبطنة لجدار المنحدر المقابل. إن لم تستطع قتل فايلين بالنار، فستدفنه تحت الجبل.

كان عليها فقط أن تجعله يقترب بما يكفي من الصخور.

انجرفت أقرب إلى فايلين وقالت:

— "أعرف أنك لا تزال هناك. أعرف أنك تسمعني."

كانت بحاجة لتشتيته، ولو لبضع ثوانٍ من الراحة.

ابتلع الطعم. وهدأت الرياح.

— "لا يهمني مدى قوة إلهك. أنت ما زلت تملك هذا الجسد يا فايلين، ويمكنك استعادته."

حدق فايلين فيها بصمت، بلا حراك، لكنها لم ترَ أي خفوت في الزرقة، ولا أي ومضة إدراك في عينيه. كان تعبيره جدارًا غامضًا، لم تملك أي فكرة عما إذا كان فايلين الحقيقي لا يزال حيًا خلفه.

لكن كان عليها المحاولة.

قالت:

— "رأيت ألتان في الحياة الآخرة." كذبة، لكنها مغلفة بالحقيقة، أو على الأقل نسختها هي من الحقيقة. "أراد مني أن أنقل إليك شيئًا. هل تريد أن تعرف ماذا قال؟"

ومض اللون اللازوردي متحولًا إلى الأسود. رأته رين —— لم تتخيله، لم يكن خدعة ضوئية، كانت تعلم أنها رأته. واصلت الطيران للأمام. كان فايلين خائفًا الآن؛ استطاعت قراءة ذلك بوضوح على وجهه. كان ينجرف للخلف كلما اقتربت أكثر.

كانا قريبين جدًا من جدار المنحدر.

كانت على بعد أقدام منه.

— "أراد مني أن أخبرك أنه آسف."

توقفت الرياح تمامًا. وهبط صمت مطبق على القناة. في الهواء الساكن استطاعت رين سماع كل شيء —— كل نفس مجهد التقطه فايلين، كل جولة قصف بالمدافع من السفن، كل صرخة بائسة من الأسفل.

ثم ضحك فايلين. ضحك بقوة لدرجة أن نبضات من الرياح انطلقت عبر الهواء متزامنة مع ضحكاته، نوبات متناوبة عنيفة لدرجة اضطرتها للخفق بجنون لتبقى طافية.

صرخ:

— "أهذه كانت خطتك؟ ظننتِ أنه سيهتم؟"

قالت رين مبقية صوتها هادئًا ومتزنًا:

— "أنت تهتم."كان فايلين هناك في الداخل. لقد رأته. "أنا رأيتك، أنت تتذكرنا. أنت من السيك."

قال فايلين بازدراء:

— "أنتم لا تعنون لنا شيئًا. يمكننا تدمير عالمكم..."

— "لكنتَ فعلت ذلك إذًا. لكنك لا تزال مقيدًا، أليس كذلك؟ هي قيدتك. أنتم الآلهة لا تملكون قوة إلا ما نمنحكم إياه. لقد جئت عبر تلك البوابة لتتلقى أوامرك. وأنا آمرك بالعودة."

زمجر فايلين:

— "من تظنين نفسك لتتجاسري؟"

قالت:

— "أنا قائدتك. أنا من يقرر مَن يُستبعد."

لم تطلق نارها عليه، بل على جدار المنحدر. صرخ فايلين ضاحكًا بينما مرت النيران بجواره بسلام.

لم يرَ الفتائل. لم يعرف.

خفقت رين بجنون عائدة للخلف، تحاول وضع أكبر مسافة ممكنة بينها وبين المنحدر.

للحظة طويلة ومعذبة، لم يحدث شيء.

ثم، تحرك الجبل.

لم يكن من المفترض بالجبال أن تتحرك هكذا. لم يكن من المفترض بالعالم الطبيعي أن يعيد تشكيل نفسه بالكامل في ثوانٍ. لكن هذا كان حقيقيًا؛ كان هذا فعل بشر، لا آلهة. كان هذا ثمرة عمل كيتاي ورامسا. لم تستطع رين إلا التحديق بينما انزلقت الحافة العليا للمنحدر بالكامل مثل بلاط سقف ينهار نحو الأرض.

اخترق عويل مرعب شلال الصخور المتهاوية. كان فايلين يستحضر إعصارًا. لكن حتى هبات الرياح الأخيرة واليائسة تلك لم تستطع إيقاف آلاف الأطنان من الصخور المتفجرة المنجذبة للأسفل بقوة الجاذبية الحتمية.

عندما توقف الدمدمة، لم يتحرك شيء تحتها.

***

تهدلت رين في الهواء، وصدرها يعلو ويهبط. كانت النار لا تزال تسري في ذراعيها، لكنها لم تستطع إبقاءها طويلاً، لقد استُنزفت قواها. كانت تصارع لمجرد التنفس.

بدت القناة الغارقة بالدماء تحتها وكأنها مرج من الزهور. تخيلت أن الأمواج القرمزية حقول من زهور الخشخاش، وأن الأجساد المتحركة مجرد نمل صغير يهرع بلا هدف.

فكرت في أن المنظر يبدو جميلاً للغاية.

هل تراهم ينتصرون؟ إذا كان النصر يعني قتل أكبر عدد ممكن من الناس، فإجابتها نعم. لم تستطع تحديد أي جانب يسيطر على النهر، كل ما عرفته أنه مغسول بالدم، وأن السفن المحطمة ملقاة ضد جوانب المنحدر. كان فايلين يقتل بلا تمييز، مدمرًا السفن الجمهورية والإمبراطورية على حد سواء. تساءلت إلى أي مدى ارتفع معدل الخسائر.

التفتت نحو الوادي.

كان الدمار هناك هائلاً. القصر يحترق، مما يعني أن قوات الميليشيا قد شقت طريقها منذ فترة طويلة عبر مخيمات اللاجئين. لابد أن الجنود حصدوا الجنوبيين كما يُحصد القصب.

الغرق في القناة، أو الحرق في المدينة. تملك رين رغبة هستيرية في الضحك، لكن التنفس كان مؤلمًا للغاية.

أدركت فجأة أنها تفقد ارتفاعها.

انطفأت نارها. كانت تسقط دون أن تنتبه. أجبرت اللهب على العودة إلى الأجنحة وضربت بها بجنون حتى وذراعاها تصرخان احتجاجًا.

توقف هبوطها ــــ كانت قريبة بما يكفي من المنحدرات لترَى كيتاي وفينكا يلوحان لها.

صرخت بهما:

ـــ "لقد فعلتها!"

رأت فم كيتاي يتحرك، لكنها لم تسمعه. أشار بيده.

استدارت بعد فوات الأوان. مر رمح بمحاذاة خصرها، وعبر بسلام تحت جناحها. تبًا. تقلصت معدتها. ترنحت لكنها استعادت توازنها.

الرمح التالي أصاب كتفها.

للحظة، شعرت بالارتباك فقط. أين الألم؟ لماذا لا تزال معلقة في الهواء؟ طفا دمها حول وجهها في قطرات دسمة كبيرة لم تسقط لسبب ما، أشياء صغيرة منتفخة لم تصدق أنها خرجت منها.

ثم انحسرت نيرانها عائدة إلى جسدها. واستعادت الجاذبية سطوتها. صرّت أجنحتها وانطوت خلف ظهرها. ثم أصبحت مجرد ثقل ميت يهوي برأسه أولًا نحو النهر.

تعطلت حواسها لحظة الارتطام. لم تستطع التنفس، ولا السمع، ولا الرؤية. حاولت السباحة، ركل نفسها نحو السطح، لكن ذراعيها وساقيها رفضت إطاعتها، وعلاوة على ذلك، لم تعرف أي اتجاه هو الأعلى. اختنقت لا إراديًا. وتدفق سيل من الماء إلى فمها.

فكرت: سأموت. أنا حقًا سأموت.

ولكن هل كان هذا سيئًا جدًا؟ كان الصمت رائعًا ومسالمًا تحت السطح. لم تشعر بأي ألم في كتفها ــــ خدر جسدها بالكامل. أرخت أطرافها وانجرفت بلا حول ولا قوة نحو قاع النهر. الاستسلام أسهل من المقاومة. حتى رئتاها المحترقتان لم تعودا تزعجانها كثيرًا. في لحظة ستفتح فمها، وسيندفع الماء للداخل، وستكون تلك هي النهاية.

لم تكن طريقة سيئة للرحيل. على الأقل كانت هادئة.

أمسك بها أحدهم بقوة. انفتحت عيناها على اتساعهما.

جذب نزهة رأسها نحو رأسه وقبلها بقوة، مشكلاً بشفتيه ختمًا حول شفتيها. مرت فقاعة هواء إلى فمها. لم تكن كثيرة، لكن رؤيتها اتضحت، وتوقفت رئتاها عن الاحتراق، وبدأت أطرافها تستجيب لأوامرها. تدفق الأدرينالين. احتاجت للمزيد من الهواء. تشبثت بوجه نزهة.

دفعها بعيدًا، هازًا رأسه. بدأ الذعر يتسرب إليها. أمسك بمعصميها وثبتها حتى توقفت عن التخبط بجنون في الماء. ثم لف ذراعيه حول جذعها وسحبهما معًا نحو السطح.

لم يركل ساقيه. لم يضطر للسباحة على الإطلاق. اكتفى بضمها إليه بينما حملهما تيار دافئ بلطف نحو الأعلى.

صرخ شيء ما في الهواء فوقهما بمجرد اختراقهما السطح. ارتطم رمح بالماء على بعد عدة أقدام. جذبهما نزهة عائدًا إلى الأعماق، لكن رين ركلت وقاومت. كل ما أرادته هو الوصول للسطح، كانت يائسة للتنفس...

أمسك نزهة وجهها بيديه.

حرك شفتيه: نحن مكشوفان للغاية.

فهمت. كانا بحاجة للصعود في مكان ما قرب سفينة محطمة، شيء يمنحهما غطاءً. توقفت عن التخبط. قادهما نزهة عدة ياردات مع مجرى النهر. ثم رفعهما التيار وأودعهما بأمان على الشاطئ.

كان أول نفس لها فوق السطح أطيب شيء تذوقته في حياتها. انحنت تسعل وتتقيأ ماء النهر، لكنها لم تبالِ لأنها كانت تتنفس.

بمجرد أن فرغت رئتاها من الماء، استلقت على ظهرها واستدعت النار. أضاءت شعلات صغيرة معصميها، رقصت عبر جسدها بالكامل، وغمرتها بدفء لذيذ. فحيح البخار تصاعد بينما جفت ملابسها.

تأوهت، وتدحرجت على جانبها. كان كتفها الأيمن فوضى دموية. لم ترد النظر إليه. كانت تعلم أن أجنحتها تحولت إلى كومة محطمة. شيء حاد انغرس

أعمق في جلدها كلما تحركت. كافحت لتمزيق الأداة عنها، لكن الحزام المعدني قد التوى وانحنى. لم يتزحزح.

تحسست موضع ضغطه في أسفل ظهرها. عادت أصابعها ملطخة بالدم.

حاولت ألا تجزع. شيء ما عالق، هذا كل ما في الأمر. كانت تعلم أنه لا ينبغي لها سحبه حتى تكون مع طبيب، وأن الشيء الذي يخترق ظهرها هو الوحيد الذي يمنع دمها من النزيف. ولم تكن تستطيع الرؤية جيداً من هذه الزاوية — سيكون من الغباء محاولة إزالته بنفسها.

لكنها بالكاد استطاعت التحرك دون غرس القضيب أعمق في ظهرها. قد ينتهي بها الأمر بقطع عمودها الفقري.

لم يكن نزهة في حالة تسمح له بمساعدتها. تكور على نفسه في كرة صغيرة ومرتجفة، وذراعاه ملتفتان حول ركبتيه. زحفت نحوه وحاولت رفعه إلى وضعية الجلوس مستخدمة ذراعها السليمة.

قالت:

— "هي. هي."

لم يجب.

كان جسده يختلج بالكامل. رفت عيناه بجنون بينما تسربت أصوات أنين خافتة من فمه. رفع يديه، محاولاً خدش الوشم الموجود على ظهره.

ألقت رين نظرة خاطفة على النهر. بدأت المياه تتحرك في أنماط مخيفة وغير منتظمة. ركضت موجات صغيرة وغريبة عكس التيار. وارتفعت أعمدة مخضبة بالدماء من النهر بشكل عشوائي. تناثرت حفنة منها بلا ضرر بالقرب من الشاطئ، لكن واحداً منها كان ينمو أكبر فأكبر بالقرب من وسط النهر.

كان عليها أن تفقد نزهة وعيه. ذلك، أو أن تجعله ينتشي — لكن هذه المرة لم يكن لديها أفيون...

لهث قائلاً:

— "أحضرته معي."

— "ماذا؟"

وضع يداً مرتجفة على جيبه.

— "سرقته — أحضرته هنا، تحسباً للظروف..."

حشرت يدها في جيبه وسحبت عبوة بحجم القبضة ملفوفة بإحكام في أوراق الخيزران. مزقتها بأسنانها، فاختنقت بالطعم المألوف والحلو بشكل مقزز. وجع جسدها بتوق قديم.

مص نزهة الهواء من خلال أسنانه المطبقة.

— "أرجوكِ..."

قبضت على قطعتين في يدها وأشعلت ناراً صغيرة تحتهما. وبيدها الأخرى رفعت نزهة مستقيماً وأمالت رأسه فوق الأبخرة.

استنشق لفترة طويلة. رفرفت عيناه مغلقتين. بدأ الماء يهدأ. غاصت الأمواج الصغيرة تحت السطح. انخفضت الأعمدة ببطء واختفت. زفرت رين بارتياح.

ثم انكمش نزهة مبتعداً عن الدخان، يسعل.

— "لا — لا، لا أريد كل هذا القدر —"

أمسكته بقوة أكبر.

— "أنا آسفة."

لم يدخن سوى عدة نفثات. سيزول تأثير ذلك في أقل من ساعة. لم يكن ذلك وقتاً كافياً. احتاجت للتأكد من رحيل الإله.

أجبرت الأفيون تحت أنفه وأطبقت يداً على فمه لإجباره على الاستنشاق. تخبط محتجاً، لكنه كان ضعيفاً بالفعل وأصبحت نضالاته أضعف فأضعف كلما استنشق المزيد من الدخان. أخيراً رقد ساكناً.

رمت رين القطع نصف المحترقة في التراب. مررت يداً فوق جبين نزهة، وأزاحت خصلات الشعر المبلل عن عينيه.

همست:

— "ستكون بخير. سأرسل شخصاً إليك."

تمتم:

– "ابقي. أرجوكِ."

– "أنا آسفة." مالت للأمام وقبلت جبينه بخفة. "لدينا معركة لنفوز بها."

كان صوته خافتاً جداً لدرجة أنها اضطرت للانحناء لتسمعه.

– "لكننا فزنا."

اختنقت بضحكة يائسة. لم يرَ المدينة المحترقة. لم يعرف أن أرلونغ بالكاد موجودة بعد الآن.

– "لم نفز."

– "لا..." فتحت عيناه. صارع لرفع ذراعه. أشار إلى شيء خلف كتفها. "انظري. هناك."

أدارت رأسها.

هناك على خط الأفق أبحر أسطول، موجات وموجات من السفن الحربية. بعضها انزلق فوق الماء؛ وبعضها طفا عبر الهواء. كانت كثيرة جداً لدرجة أنها بدت كالسراب تقريباً، نسخ لا نهائية لنفس الصف من الأشرعة البيضاء والأعلام الزرقاء مقابل شمس ساطعة.

الفصل الثالث والثلاثون

قال صوتٌ مألوف، بجمالٍ آسرٍ جعل قلب رين يهوي بين قدميها، وملأ فمها بطعم الدم:

— "يا للروعة."

أنزلت رين نزهة برفق فوق الرمال، وتحاملت على نفسها لتقف. تململ المعدن تحت لحمها، فكتمت صرخة ألم كادت تفلت منها. كان العذاب الذي يمزق ظهرها وكتفها يفوق الاحتمال، لكنها لم تكن لتموت مستلقية.

كيف لا تزال الإمبراطورة قادرة على بث كل هذا الرعب في نفسها؟ لم تعد داجي سوى امرأة وحيدة الآن، بلا جيش ولا أسطول. كان رداؤها العسكري ممزقًا ومبتلًا بالكامل، وتعرج في مشيتها تاركة خلف حذائها طبعات دامية. ومع ذلك، اقتربت برأس مرفوع وحاجبين مقوسين، وعلى شفتيها ابتسامة متغطرسة وكأنها حققت للتو نصرًا عظيمًا، تفوح منها فتنة سوداوية مغوية جعلت من أثوابها الغارقة وسفنها المحطمة تفاصيل لا قيمة لها.

كرهت رين ذلك الجمال. أرادت أن تغرس أظافرها فيه حتى يتمزق اللحم الأبيض تحت أصابعها. أرادت أن تقتلع عيني داجي من محجريهما، وتسحقهما في قبضتها، وتترك ذلك السائل المتهتك يقطر فوق بشرتها الخزفية.

ومع ذلك.

عندما نظرت إلى داجي، شعر جسدها كله بالوهن. تسارعت نبضات قلبها، وتوهج وجهها حرارة. لم تستطع انتزاع عينيها من وجه داجي؛ كان عليها أن تنظر، وتستمر في النظر، وإلا فلن تشعر بالرضا أبدًا.

أجبرت نفسها على التركيز. كانت بحاجة إلى سلاح؛ فالتقطت قطعة حادة من الخشب الطافي على الأرض.

همست قائلة:
— "تراجعي. اقتربي خطوة أخرى وسأحرقكِ."
ضحكت داجي وقالت:
— "أوه، يا عزيزتي. ألم تتعلمي بعد؟"
لمعت عيناها ببريق خاطف.
فجأة، شعرت رين برغبة عارمة في قتل نفسها، في تمرير الخشب الحاد على معصميها حتى تتفتح الخطوط الحمراء على طول عروقها، ثم تدير الخشب في الجرح.
بيدين مرتعشتين، ضغطت بالحافة الأحدّ من الخشب على بشرتها. ما الذي أفعله؟ صرخ عقلها كي تتوقف، لكن جسدها لم يبالِ. لم تملك إلا أن تراقب يديها تتحركان من تلقاء نفسيهما، تستعدان لنشر عروقها وتمزيقها.
قالت داجي بخفة:
— "هذا يكفي."
تلاشى الدافع فجأة. أسقطت رين الخشب، وهي تلهث.
سألت داجي:
— "هل ستصغين الآن؟ أود منكِ أن تقفي ثابتة، رجاءً. ارفعي ذراعيكِ."
رفعت رين ذراعيها فورًا فوق رأسها، كاتمة صرخة بينما تمزقت جراحها من جديد.
اقتربت داجي وهي تعرج. طافت عيناها على بقايا عدة القتال الخاصة بـ رين، والتوت شفتها اليمنى في تعبير عن التسلية.
— "إذًا هكذا تعاملتِ مع المسكين فايلين. ذكية."
قالت رين:
— "أفضل أسلحتكِ قد انتهى."
تنهدت داجي:

— "آه، حسنًا. لقد كان عبئًا منذ البداية. تارة يحاول إغراق أسطولنا، وتارة لا يريد سوى أن يطفو بين السحب. هل تعلمين كم كان صعبًا بشكل سخيف أن نجعله يفعل أي شيء؟ يبدو أن عليَّ إنهاء المهمة بنفسي."

ردت رين:

— "لقد خسرتِ. آذيني، أو اقتليني، فالأمر منتهٍ بالنسبة لكِ. جنرالاتكِ ماتوا. وسفنكِ مجرد خشب طافٍ."

قاطعت كلماتها دوي قذائف المدافع، زئير صاخب طغى على كل صوت آخر على طول الشاطئ. استمر القصف طويلًا لدرجة أن رين لم تستطع تخيل بقاء أي شيء طافيًا في القناة.

لكن داجي لم تبدُ منزعجة ولو قليلًا.

— "أتظنين أن هذا هو النصر؟ أنتم لستم المنتصرين. لا يوجد منتصرون في هذه المعركة. لقد ضمن فايسرا استمرار الحرب الأهلية لعقود. لم يفعل سوى تعميق الشروخ. لا يوجد رجل قادر على رتق نسيج هذه البلاد الآن."

واصلت تقدمها المتعثر حتى لم يعد يفصل بينهما سوى أقدام قليلة.

جالت عينا رين في أرجاء الشاطئ. كانتا تقفان على رقعة منعزلة من الرمال، مخفيتين خلف حطام السفن الحربية الضخمة. الجنود الوحيدون في مرمى البصر كانوا جثثًا هامدة. لا أحد قادم لنجدتها. لم يبقَ إلا هي والإمبراطورة، تتواجهان في ظلال المنحدرات القاسية.

سألت داجي:

— "إذًا، كيف تعاملتِ مع الختم؟ كنت مقتنعة تمامًا بأنه غير قابل للكسر. لا يمكن أن يكون أحد التوأمين؛ لكانا فعلاها منذ زمن لو استطاعا."

أمالت رأسها وتابعت:

— "أوه، لا، دعيني أحزر. هل عثرتِ على (سورقان سيرا)؟ هل لا تزال تلك العجوز الشمطاء حية؟"

قالت رين:

— "تبًا لكِ أيتها القاتلة."

انتقلت عينا داجي نحو نزهة الذي لم يكن يتحرك.

— "أفترض أن هذا يعني أنكِ وجدتِ لنفسكِ مرساة أيضًا؟ آمل حقًا ألا يكون هو. هذا الفتى يكاد ينتهي."

هسّهست رين:

— "إياكِ أن تلمسيه."

ركعت داجي فوق نزهة، وتتبعت أصابعها الندوب على وجهه.

— "إنه جميل جدًا، أليس كذلك؟ رغم كل شيء. إنه يذكرني بـ ريغا."

يجب أن أبعدها عنه. حاولت رين التحرك، وجحظت عيناها من الجهد، لكن أطرافها ظلت مسمرة في مكانها. لم تستجب النيران أيضًا؛ عندما حاولت استدعاء العنقاء، تحطم كل غضبها بلا جدوى ضد عقلها، كأمواج تتكسر على الصخور.

قالت بصوت عالٍ آملة أن تشتت انتباه داجي:

— "لقد أطلعني الكيترييد على ما فعلته."

نجح الأمر. وقفت داجي وقالت:

— "حقًا."

— "أرتنا (سورقان سيرا) كل شيء. يمكنكِ محاولة إقناعي بأنكِ تسعين لإنقاذ الإمبراطورية، لكنني أعرف أي نوع من الأشخاص أنتِ؛ أنتِ تخونين من يساعدكِ وتلقين بالأرواح وكأنها لا شيء. رأيتكِ تهاجمينهم، رأيتكم أنتم الثلاثة تقتلون تسيفيري..."

قاطعتها داجي:

— "اصمتي. لا تنطقي بذلك الاسم."

انطبق فك رين وأُغلق بإحكام.

وقفت رين متجمدة، وقلبها يقرع ضلوعها بعنف بينما تقترب داجي منها. كانت تنسج الكلمات من الهواء، وتلقي بكل ما لديها لتبعد داجي عن نزهة.

لكن شيئًا ما أثار حفيظة داجي. ارتفعت بقعتان حمراوان في وجنتيها، وضاقت عيناها. بدت غاضبة بحق.

قالت بصوت خافت:

— "كان يجدر بالكيتريبد أن يستسلموا. لم نكن لنؤذيهم لو لم يكونوا عنيدين كالبغال."

مدت داجي يدًا شاحبة ومررت مفاصل أصابعها على خدي رين.

— "منافقة كعادتكِ دائمًا. لقد تصرفتُ بدافع الضرورة، تمامًا مثلكِ. نحن متشابهتان تمامًا، أنا وأنتِ. لقد اكتسبنا قوة تفوق ما يحق لأي فاني امتلاكه، مما يعني أن علينا اتخاذ القرارات التي يعجز عنها الآخرون. العالم هو رقعة الشطرنج الخاصة بنا، وليس خطأنا إن تحطمت القطع."

همست رين:

— "أنتِ تؤذين كل شيء تلمسينه."

— "وأنتِ قتلتِ أعدادًا تفوق أضعاف ما قتلناه يومًا. ما الذي يفصل بيننا حقًا يا عزيزتي؟ أنكِ ارتكبتِ جرائم حربكِ عن غير قصد، بينما كانت جرائمي متعمدة؟ هل كنتِ ستفعلين الأشياء بشكل مختلف حقًا لو أُتيحت لكِ فرصة أخرى؟"

تراخت القبضة غير المرئية على فك رين.

لقد منحتها داجي الإذن بالإجابة.

لم تستطع قول نعم. كان بإمكانها الكذب بالطبع، لكن الأمر لم يكن ليجدي نفعًا؛ ليس هنا، حيث لا أحد يستمع سوى داجي، وداجي تعرف الحقيقة بالفعل.

لأنها لو حصلت على فرصة أخرى، لو استطاعت العودة إلى تلك اللحظة التي وقفت فيها في معبد العنقاء وواجهت إلهها، لاتخذت القرار نفسه. كانت ستطلق العنان للبركان. كانت ستدفن موغين تحت أطنان من الحجارة المنصهرة والرماد الخانق.

كانت ستدمر البلاد بالكامل وبلا رحمة، تمامًا كما تعاملت جيوشها معها. وكانت ستضحك.

دست داجي خصلة شعر خلف أذن رين.

— "هل تفهمين الآن؟ تعالي معي. لدينا الكثير لنناقشه."

قالت رين:

— "اغربي عني."

انضغط فم داجي في خط رفيع. استولى الإلزام القهري على ساقي رين وأجبرها على التحرك، وهي ترتعد، نحو داجي. جرت رين قدميها واحدة تلو الأخرى عبر الرمال. وتلألأ العرق على صدغيها. حاولت إغلاق عينيها لكنها لم تستطع.

أمرت داجي:

— "اركعي."

كلا، نطق العنقاء.

كان صوت الإله هادئًا بشكل مرعب، صدىً ضئيلًا عبر سهل شاسع. لكنه كان موجودًا.

كافحت رين لتبقى واقفة. انطلق ألم رهيب عبر ساقيها، يجبرهما على الانحناء، ويزداد قوة مع كل لحظة ترفض فيها الانصياع. أرادت أن تصرخ لكنها لم تستطع فتح فمها.

لمعت عينا داجي باللون الأصفر.

— "اركعي."

لن تركعي، قال العنقاء.

اشتد الألم. شهقت رين وهي تقاوم الجذب، وعقلها منشطر بين إلهين قديمين.

مجرد معركة أخرى. وكما هو الحال دائمًا، كان الغضب حليفها الأعظم.

أغرق الغضب تنويم الأفعى المغناطيسي. لقد باعت داجي السبيرليين. قتلت داجي ألتان، وأشعلت هذه الحرب. لم يعد من حق داجي الكذب عليها بعد الآن. لم يعد من حقها تعذيبها والتلاعب بها كفريسة.

جاءت النار في نوبات ودفقات، كرات صغيرة من اللهب قذفتها رين بيأس من باطن كفيها. تفادتها داجي برشاقة إلى الجانب وحركت معصمها بحركة خاطفة. اندفعت رين جانبًا لتتجنب إبرة لم تكن موجودة. سحبت الحركة المفاجئة القطعة المكسورة أعمق في ظهرها، فصرخت وانثنت من الألم.

ضحكت داجي:

– "هل اكتفيتِ؟"

أطلقت رين صرخة مدوية.

انطلق تيار رفيع من النار ليغلف جسدها بالكامل، يحميها ويضخم كل حركة من حركاتها.

كانت هذه قوة لم تشعر بمثلها من قبل.

إنها حالة من النشوة، قال لها ألتان ذات مرة. لا تتعبين... لا تشعرين بالألم. كل ما تفعلينه هو التدمير.

لطالما شعرت رين بعدم الاتزان، تتأرجح بين العجز والخضوع التام للعنقاء، لكن النار الآن كانت ملكها. كانت هي. وهذا جعلها تشعر بخفة ونشوة كادت تجعلها تصرخ ضاحكة، لأنها وللمرة الأولى على الإطلاق، كانت تملك اليد العليا.

لم تكن مقاومة داجي شيئًا يُذكر. حاصرتها رين بسهولة دافعة إياها نحو هيكل أقرب سفينة جانحة. هوت بقبضتها على الخشب بجوار وجه داجي، مخطئة إياها ببوصة واحدة. تصدع الخشب وتشقق وتصاعد منه الدخان تحت مفاصل أصابعها. أنت السفينة بأكملها. سحبت رين قبضتها للخلف مرة أخرى وسددتها بقوة إلى فك داجي.

ارتد رأس داجي إلى الجانب كدمية مكسورة. شقت رين شفتها، وسال الدم على ذقنها. ومع ذلك ظلت تبتسم.

همست:

— "أنتِ ضعيفة جداً. لديكِ إله لكن ليس لديكِ أدنى فكرة عما تفعلينه به."

— "في هذه اللحظة، أعرف بالضبط ما أريد فعله به."

أطبقت بأصابعها المتوهجة حرارة حول عنق داجي. طقطق اللحم الشاحب واحترق تحت لمستها. بدأت تعتصر. ظنت أنها ستشعر برعشة من الرضا.

لكنها لم تأتِ.

لم تستطع قتلها وحسب. ليس بهذه الطريقة. كان هذا سريعًا جدًا، وسهلًا جدًا.

كان عليها أن تدمرها.

حركت يديها للأعلى. وضعت إبهاميها تحت قاعدتي محجري عيني داجي. وغرست أظافرها في اللحم الطري.

هسّهست داجي:

— "انظري إليّ."

هزت رين رأسها، وعيناها مغلقتان بقوة.

انفجر شيء ما تحت إبهامها الأيسر. وتدفق سائل دافئ على معصمها.

همست داجي:

— "أنا أموت بالفعل. ألا تريدين معرفة من أكون؟ ألا تريدين معرفة الحقيقة عنا؟"

عرفت رين أن عليها إنهاء الأمر فورًا.

لكنها لم تستطع.

لأنها أرادت أن تعرف. لقد عذبتها هذه الأسئلة طويلًا. كان عليها أن تفهم لماذا تحول أعظم أبطال الإمبراطورية — داجي، وريغا، وجيانغ، معلمها جيانغ

— إلى الوحوش التي صاروا عليها. ولأنها هنا، في نهاية المطاف، باتت تشك الآن أكثر من أي وقت مضى في أنها تقاتل في الجانب الصحيح.

رفرفت عيناها وانفتحتا.

اجتاحت الرؤى عقلها.

رأت مدينة تحترق كما تحترق أرلونغ الآن؛ مبانٍ متفحمة ومسودة، وجثث تصطف في الشوارع. رأت قوات تزحف في صفوف منتظمة بأعداد مرعبة، بينما انكمش سكان المدينة الناجون عند عتبات أبوابهم، برؤوس منحنية وأذرع مرفوعة.

كانت هذه إمبراطورية "نيكار" تحت الاحتلال "الموغيني".

قالت داجي:

— "لم نستطع فعل أي شيء. كنا أضعف من أن نفعل أي شيء عندما وصلت سفنهم إلى شواطئنا. وطوال العقود الخمسة التالية، عندما اغتصبونا، وضربونا، وبصقوا علينا وأخبرونا أننا أقل قيمة من الكلاب، لم نستطع فعل أي شيء."

أغمضت رين عينيها بقوة، لكن الصور أبت أن ترحل. رأت فتاة صغيرة جميلة تقف وحيدة أمام كومة من الجثث، والسخام يغطي وجهها، والدموع تنهمر على خديها. رأت فتىً صغيرًا ملقىً ككومة محطمة جائعة في زاوية الزقاق، ملتفًا حول زجاجات مكسورة حادة الحواف. رأت فتىً أبيض الشعر يصرخ بالشتائم ويلوح بقبضتيه في ظهور الجنود المنسحبين الذين لم يكترثوا له.

تابعت داجي:

— "ثم هربنا، وأصبحت القوة بين أيدينا لتغيير مصير الإمبراطورية. فماذا تظنين أننا فعلنا؟"

— "هذا لا يبرر أي شيء."

— "بل يفسر ويبرر كل شيء."

تبدلت الرؤى مرة أخرى. رأت رين فتاة عارية تصرخ وتبكي بجوار كهف بينما تتلوى الثعابين فوق جسدها. رأت فتىً طويل القامة جاثمًا على الشاطئ

وتنين يطوقه، يثير أمواجًا تعلو أكثر فأكثر وتحيط بجسده كالإعصار. رأت فتىً أبيض الشعر على يديه وركبتيه، يضرب الأرض بقبضتيه بينما الظلال تتلوى وتمتد خارجة من ظهره.

قالت داجي:

– "أخبريني أنكِ ما كنتِ لتتخلي عن كل شيء. أخبريني أنكِ ما كنتِ لتضحي بكل شيء وبكل شخص عرفتِهِ من أجل القوة لاستعادة بلادكِ."

مرت الشهور كلمح البصر أمام عيني رين. رأت بعد ذلك الثلاثي، وقد نضجوا تمامًا، راكعين بجوار جثة تسيفيري، التي كانت مجرد فتاة واحدة، وبدا الخيار واضحًا وجليًا. مقابل معاناة حشود هائلة بالملايين، ما قيمة حياة واحدة؟ عشرين حياة؟ كان "الكيتربيد" قلة قليلة؛ ما مدى صعوبة المقارنة؟

أي فرق يمكن أن يحدثه ذلك؟

همست داجي:

– "لم نرد قتل تسيفيري. لقد أنقذتنا. وأقنعت الكيتربيد بإيوائنا. وجيانغ كان يحبها."

– "إذًا لماذا..."

– "لأننا اضطررنا لذلك. لأن حلفاءنا أرادوا تلك الأرض، و(سورقان سيرا) قالت لا، وكنا بحاجة للفوز بها بالقوة والخوف. كانت لدينا فرصة واحدة لتوحيد أمراء الحرب ولم نكن لنضيعها."

صرخت رين:

– "ولكنكم فرطتم فيها بعد ذلك! لم تستعيدوها! لقد بعتموها للموغينيين..."

– "لو كانت ذراعكِ تتعفن، ألم تكوني لتقطعيها لإنقاذ جسدكِ؟ المقاطعات كانت متمردة. فاسدة. ومريضة. كنت لأضحي بكل ذلك من أجل قلب موحد. كنت أعلم أننا لسنا أقوياء بما يكفي للدفاع عن البلاد بأكملها، بل

جزء منها فقط. لذا قمت بعملية التطهير. أنت تعرفين ذلك؛ أنتِ تقودين السيك. وتعرفين ما يجب على الحكام فعله أَحيانًا."

— "لقد بعتِنا."

قالت داجي بصوت ناعم:

— "فعلتُ ذلك من أجلهم. فعلت ذلك من أجل الإمبراطورية التي تركها لي ريغا. وأنتِ لا تفهمين حجم المخاطر، لأنكِ لا تعرفين معنى الخوف الحقيقي. لا تدركين كم كان يمكن للأمر أن يكون أسوأَ."

تهدج صوت داجي.

وللمرة الثانية، رأت رين القناع ينكسر، ورأت عبر السراب المتقن الذي كانت داجي تقدمه للعالم لعقود. هذه المرأة لم تكن الأفعى، لم تكن الحاكمة الماكرة التي تعلمت رين كرهها والخوف منها.

هذه المرأة كانت خائفة. لكن ليس منها.

همست داجي:

— "أنا آسفة لأنني آذيتكِ. أنا آسفة لأنني آذيت ألتان. تمنيت لو لم أضطر لذلك أبدًا. لكن كانت لدي خطة لحماية شعبي، وأنتِ ببساطة وقفتِ في الطريق. لم تعرفي عدوكِ الحقيقي. ولم تكوني لتستمعي."

كانت رين غاضبة جدًا منها حينها، لأنها لم تعد تستطيع كرهها. من أجل من يفترض بها أن تقاتل الآن؟ في أي صف يجب أن تكون؟ لم تعد تؤمن بجمهورية فايسرا، وبالتأكيد لم تكن تثق بـ"الهسبيريين"، لكنها لم تعرف ماذا تريد منها داجي أن تفعل.

قالت داجي:

— "يمكنك المضي قدمًا وقتلي. ربما تستطيعين. سأقاوم بالطبع، لكنكِ غالبًا ستفوزين. أَنا كنت لأقتل نفسي."

قالت رين:

— "اخرسي."

أرادت أن تشد قبضتيها وتعتصر الحياة من داجي. لكن الغضب قد استنزف. لم تعد تملك الإرادة للقتال. أرادت أن تغضب — فالأشياء كانت أسهل بكثير عندما كانت غاضبة بشكل أعمى — لكن الغضب لم يأتِ.

تلوت داجي مفلتة من قبضتها، ولم تحاول رين إيقافها.

كانت داجي في عداد الموتى على أي حال. وجهها كان حطامًا مشوهًا — سائل أسود يتدفق من عينها المقلوعة. ترنحت إلى الجانب، وأصابعها تتلمس السفينة.

ثبتت عينها السليمة على رين.

— "ماذا تظنين سيحل بكِ بعد رحيلي؟ لا تتخيلي للحظة أنكِ تستطيعين الوثوق بـ فايسرا. بدوني، لا نفع لكِ عند فايسرا. إنه يتخلص من حلفائه دون أن يرف له جفن عندما لا يعودون ملائمين لمصلحته، وإن لم تصدقيني حين أقول إن الدور عليكِ، فأنتِ حمقاء."

عرفت رين أن داجي محقة.

لكنها لم تعرف أين يضعها هذا.

هزت داجي رأسها ومدت يديها، مفتوحتين وغير مهددتين.

— "تعالي معي."

خطت رين خطوة صغيرة للأمام.

أصدر الخشب أنينًا فوق رأسها. تراجعت داجي للخلف بحركة خاطفة. نظرت رين للأعلى بعد فوات الأوان، لترى سارية السفينة تهوي عليها.

لم تستطع رين حتى الصراخ. تطلب الأمر كل ما لديها لمجرد التنفس. دخل الهواء في دفقات مبحوحة ومؤلمة؛ شعرت وكأن حلقها قد ضاق ليصبح بقطر دبوس. كان ظهرها بالكامل يشتعل عذابًا.

ركعت داجي أمامها. ومسدت خدها.

— "ستحتاجين إليّ. لا تدركين ذلك الآن، لكنكِ ستكتشفينه قريبًا. أنتِ تحتاجين إليّ أكثر بكثير مما تحتاجين إليهم. آمل فقط أن تنجي."

مالت داجي لتقترب جداً حتى شعرت رين بأنفاسها الحارة على بشرتها. أمسكت داجي بذقن رين وأجبرتها على النظر للأعلى، في عينها السليمة. حدقت رين في بؤبؤ أسود داخل حلقة صفراء، ينبض بشكل منوم، هاوية تتحداها أن تسقط بداخلها.

— "سأترككِ مع هذا."

رأت رين فتاة صغيرة جميلة — لابد أنها داجي — مكومة في هيئة بائسة على الأرض، عارية، تتشبث بملابسها إلى صدرها. دم داكن يقطر على فخذين شاحبين. رأت ريغا الصغير ممددًا على الأرض، غائبًا عن الوعي. رأت جيانغ مستلقيًا على جانبه، يصرخ، بينما يركله رجل في ضلوعه، مرارًا وتكرارًا.

تجرأت ونظرت للأعلى. معذبهم لم يكن "موغينيًا".

عيون زرقاء. شعر أصفر. هوى الجندي بجدائه، مرارًا وتكرارًا، ومع كل مرة سمعت رين مجموعة أخرى من الكسور.

قفزت بالزمن للأمام، بضع دقائق فقط. اختفى الجندي، وكان الأطفال يتشبثون ببعضهم البعض، يبكون، ويغطيهم دم بعضهم، جاثمين في ظل جندي مختلف.

قال الجندي، بلسان كانت تألفه جيداً، لسان لم تكن لتصدق أبدًا أنه قد ينطق بكلمة طيبة:

— "اخرجوا من هنا. الآن."

حينها فهمت رين.

لقد كان جنديًا "هسبيريًا" هو من اغتصب داجي، وجنديًا "موغينيًا" هو من أنقذها. كان ذلك هو الإطار الذي حُبست فيه الإمبراطورة منذ طفولتها؛ تلك كانت العقدة التي شكلت كل قرار تلا ذلك.

همهمت داجي:

— "لم يكن الموغينيون العدو الحقيقي. لم يكونوا كذلك أبدًا. كانوا مجرد دمىً مسكينة تخدم إمبراطورًا مجنونًا بدأ حربًا ما كان ينبغي له أن يبدأها. لكن من أعطاهم تلك الأفكار؟ من أخبرهم أن بإمكانهم غزو القارة؟"

عيون زرقاء. أشرعة بيضاء.

– "حذرتكِ من كل شيء. أخبرتكِ بهذا منذ البداية. أولئك الشياطين سيدمرون عالمنا. الهسبيريون لديهم رؤية أحادية للمستقبل، ونحن لسنا جزءًا منها. أنتِ تعرفين هذا بالفعل. لابد أنكِ أدركتِه، الآن وقد رأيتِ حقيقتهم. أستطيع أن أرى ذلك في عينيكِ. تعلمين أنهم خطرون. وتعلمين أنكِ ستحتاجين لحليف."

تشكلت الأسئلة على لسان رين، أكثر من أن تُحصى، لكنها لم تستطع استجماع النفس لنطقها. كانت رؤيتها تضيق، وتتحول للسواد عند الأطراف. كل ما استطاعت رؤيته هو وجه داجي الشاحب، يتراقص فوقها كالقمر.

همست داجي، وهي تمرر أصابعها الباردة على خد رين:

– "فكري في الأمر. اكتشفي من الذي تقاتلين لأجله. وعندما تعرفين، تعالي لتعثري عليّ."

***

– "رين؟ رين!"

لاح وجه فينكا فوقها.

– "سحقًا للجحيم. هل تسمعينني؟"

شعرت رين بثقل عظيم ينزاح عن ظهرها وكتفيها. استلقت مسطحة، وعيناها مفتوحتان على آخرهما، تشهق وتجرع الهواء بجرعات كبيرة.

طقطقت فينكا بأصابعها أمام وجهها.

– "هيه. ما اسمي؟"

أنت رين:

– "فقط ساعديني على النهوض."

– "إجابة قريبة بما يكفي."

حشرت فينكا ذراعيها تحت معدتها وساعدت رين لتتدحرج على جانبها. أرسلت كل حركة صغيرة موجات جديدة من التشنجات المؤلمة تموج عبر ظهرها. انهارت بين ذراعي فينكا، لاهثة من العذاب.

تحركت يدا فينكا فوق جلدها، تتلمس الإصابات. شعرت رين بأصابعها تتوقف عند ظهرها.

همهمت فينكا:

— "أوه، هذا ليس جيدًا."

— "ماذا؟"

— "آه. هل تستطيعين التنفس جيدًا؟"

لهثت رين:

— "ضلوعي. يا لـ... آخ!"

سحبت فينكا يديها بعيدًا عن رين. كانتا زلقتين بالدماء.

— "هناك قضيب معدني عالق تحت جلدكِ."

قالت رين وهي تصر على أسنانها:

— "أعرف. أخرجيه."

مدت يدها للخلف لتحاول مرة أخرى انتزاعه بنفسها، لكن فينكا أمسكت بمعصمها قبل أن تفعل.

— "ستفقدين الكثير من الدم إذا خرج الآن."

عرفت رين ذلك، لكن فكرة أن القضيب يحفر أعمق بداخلها جعلت دوامة ذعرها تتصاعد.

— "لكنني..."

— "فقط تنفسي لدقيقة. حسنًا؟ هل يمكنكِ فعل ذلك من أجلي؟ تنفسي فقط."

جاء صوت كيتاي، شكرًا للآلهة:

— "ما مدى سوء الأمر؟"

— "عدة ضلوع مكسورة. لا تتحركي، سأحضر حمالة."

انطلقت فينكا راكضة.

ركع كيتاي بجانبها. وانخفض صوته إلى همس:

— "ماذا حدث؟ أين الإمبراطورة؟"

ابتلعت رين ريقها.

— "لقد هربت."

— "هذا واضح."

اشتقت أصابع كيتاي على كتفها.

— "هل تركتِها ترحل؟"

— "أنا... ماذا؟"

رمقها كيتاي بنظرة قاسية.

— "هل تركتِها ترحل؟"

هل فعلت؟

وجدت أنها لا تستطيع الإجابة.

كان بإمكانها قتل داجي. أتيحت لها فرص كثيرة لحرق الإمبراطورة، أو خنقها، أو طعنها، أو اعتصار عنقها قبل أن يسقط العمود. لو أرادت، لكانت أنهت كل شيء في تلك اللحظة وذلك المكان.

لماذا لم تفعل؟

هل تلاعبت بها الأفعى لتتركها تفر؟ هل كان تردد رين نتاج أفكارها الخاصة أم تنويم داجي المغناطيسي؟ لم تستطع التذكر ما إذا كانت قد اختارت السماح لـ داجي بالهرب، أم أنها ببساطة هُزمت وخُدعت بذكاء.

همست قائلة:

— "لا أعرف."

سألها كيتاي:

— "لا تعرفين، أم لا تريدين إخباري؟"

قالت، ورأسها يدور وعيناها ترفرفان لتغلقا:

— "ظننت أن الأمر سيكون في غاية الوضوح. ظننت أن الخيار بديهي. لكنني الآن حقًا لا أعرف."

قال كيتاي بعد صمت طويل:

– "أعتقد أنني أفهم. لكنني سأحتفظ بذلك لنفسي."

الفصل الرابع والثلاثون

انتفضت رين من نومها مذعورة على وقع دقات الأجراس. حاولت أن تثب خارجة من السرير، لكن ما إن رفعت رأسها حتى تموج ألم حارق عبر ظهرها.

ظهر وجه فينكا الضبابي أمام ناظريها، ووضعت يدها على كتف رين تجبرها على الاستلقاء مجددًا.

– "على رسلكِ. ليس بهذه السرعة."

قالت رين:

– "لكن جرس الإنذار الصباحي... سأتأخر."

ضحكت فينكا:

– "تتأخرين عن ماذا؟ أنتِ خارج الخدمة. جميعنا خارج الخدمة."

رمشت رين بعينيها.

– "ماذا؟"

– "لقد انتهى الأمر. انتصرنا. يمكنك الاسترخاء."

بعد أشهر من الحرب، ومن النوم والأَكل والاستيقاظ وفق جدول صارم لا يتغير، بدت تلك العبارة لا تُصدق بالنسبة لـ رين، لدرجة أن الكلمات نفسها بدت للحظة وكأنها قيلت بلغة أخرى.

سألت بصوت خافت:

– "هل انتهينا؟"

– "في الوقت الراهن. لكن لا ترفعي سقف آمالكِ كثيرًا، سيكون لديكِ الكثير لتفعليه بمجرد أن تصبحي قادرة على الحركة."

طرقعت فينكا مفاصل أصابعها وتابعت:

— "سنبدأ قريبًا في عمليات التطهير."

كافحت رين لتسند نفسها على مرفقيها. كان الألم في أسفل ظهرها ينبض بالتناغم مع دقات قلبها. صرت على أسنانها لتتحمله.

— "ماذا هناك أيضًا؟ أطلعيني على المستجدات."

— "حسنًا، الإمبراطورية لم تستسلم تمامًا. لقد قُطع رأسها، لكن المقاطعات الأقوى — النمر، والحصان، والثعبان — لا تزال صامدة."

قالت رين:

— "لكن جنرال لحم الذئب قد مات."

كانت فينكا تعلم ذلك بالفعل — فقد رأت حدوثه — لكن قول ذلك بصوت عالٍ جعل رين تشعر بتحسن.

— "أجلٍ. وأسرنا تسولين حيًا أيضًا. ومع ذلك، تمكن جون من النجاة."

التقطت فينكا تفاحة من جانب سرير رين، وبدأت في تقشيرها بحركات سريعة وواثقة، وتتحرك أصابعها بسرعة أذهلت رين لدرجة أنها تساءلت كيف لم تقشر جلدها مع التفاحة.

— "بطريقة ما سبح خارج القناة وهرب... وهو الآن في طريقه للعودة إلى مقاطعة النمر. مقاطعتا الحصان والثعبان تدينان له بالولاء، وهو استراتيجي أفضل مما كان عليه تشانغ إن. سيبدون مقاومة شرسة. لكن الحرب يفترض أن تنتهي قريبًا."

— "لماذا؟"

أشارت فينكا بسكين التقشير نحو النافذة.

— "لدينا مساعدة."

تحركت رين في فراشها لتطل على الخارج، متشبثة بحافة النافذة طلبًا للدعم. كان عدد لا يحصى من السفن الحربية يزدحم في الميناء. حاولت حساب عدد القوات "الهسبيرية" التي يعنيها ذلك. آلاف؟ عشرات الآلاف؟

كان ينبغي لها أن تشعر بالارتياح لأن الحرب الأهلية قد أوشكت على الانتهاء. بدلًا من ذلك، وعندما نظرت إلى تلك الأشرعة البيضاء، لم تشعر سوى بالرهبة.

سألت فينكا:

– "هل هناك خطب ما؟"

أخذت رين نفسًا عميقًا.

– "مجرد... شعور بعدم الاتزان قليلًا، أعتقد."

ناولت فينكا التفاحة المقشرة لـ رين.

– "كلي شيئًا."

أحاطت رين التفاحة بأصابعها بصعوبة. كان من المذهل كيف أصبح فعل المضغ البسيط شاقًا للغاية؛ كم آلم أسنانها، وكيف أجهد فكها. كان البلع عذابًا خالصًا. لم تستطع تناول أكثر من بضع قضمات، فوضعت التفاحة جانبًا.

– "ماذا حدث للهاربين من الميليشيا؟"

قالت فينكا:

– "حاول اثنان منهم الفرار عبر الجبال، لكن خيولهم فزعت عندما جاءت المناطيد. داستهم تحت حوافرها. لا تزال جثثهم عالقة في الوحل. ربما نرسل طاقمًا لاستعادة تلك الخيول. كيف حال... حسنًا، كيف تشعرين بشكل عام؟"

مدت رين يدها للخلف لتتحسس جراحها. كان ظهرها وكتفها مغطيين بطبقة سميكة من الضمادات. ظلت أصابعها تحتك بجلد بارز يؤلمها لمسه. جفلت. لم تكن ترغب في رؤية ما يكمن تحت تلك اللفائف.

– "هل أخبروكِ بمدى سوء الأمر؟"

– "هل لا تزالين قادرة على تحريك أصابع قدميكِ؟"

تجمدت رين.

– "فينكا."

– "أنا أمزح."

ابتسمت فينكا ابتسامة عريضة.

— "الأمر يبدو أسوأ مما هو عليه في الواقع. سيستغرق الأمر وقتًا، لكنكِ ستستعيدين قدرتكِ الكاملة على الحركة. همكِ الأكبر هو الندوب. لكنكِ كنتِ قبيحة دائمًا، لذا لن يشكل ذلك فارقًا كبيرًا."

كانت رين مرتاحة جدًا لدرجة أنها لم تستطع الغضب.

— "اذهبي إلى الجحيم."

أشارت فينكا إلى الزاوية الخلفية للغرفة ووقفت.

— "توجد مرآة داخل باب تلك الخزانة. سأترككِ لبعض الوقت بمفردكِ."

بعد أن أغلقت فينكا الباب، خلعت رين قميصها، ونهضت بحذر على قدميها، ووقفت عارية أمام المرآة.

ذهلت من بشاعة منظرها.

لطالما عرفت أن لا شيء يمكن أن يجعلها جذابة؛ ليس ببشرتها التي بلون الطين، ووجهها المتجهم، وشعرها القصير المتناثر الذي لم يصفف يومًا بأي شيء أكثر تطورًا من سكين صدئ.

لكنها الآن بدت مجرد شيء محطم ومهشم. كانت خليطًا من الندوب والغرز. على ذراعها، نقاط بيضاء تذكر بالشمع الساخن الذي استخدمته يومًا لتحرق نفسها كي تبقى مستيقظة للدراسة. وعلى ظهرها وكتفيها، كل ما يكمن خلف تلك الضمادات. وتحت عظمة القص مباشرة، طبعة يد ألتان، داكنة وواضحة كما كانت في اليوم الذي رأتها فيه لأول مرة.

أطلقت زفيرًا بطيئًا، وضغطت بيدها اليسرى على البقعة فوق معدتها. لم تستطع تحديد ما إذا كانت تتخيل الأمر وحسب، لكن الموضع كان ساخنًا عند اللمس.

قال كيتاي:

— "يجب أن أعتذر."

قفزت رين في مكانها. لم تسمع الباب يُفتح.

– "سحقًا للجحيم..."

– "آسف."

سارعت لارتداء قميصها مرة أخرى.

– "كان بإمكانك أن تطرق الباب!"

عبر الغرفة وجلس على حافة سريرها.

– "لم أدرك أنكِ مستيقظة. على أية حال، أردت الاعتذار. ذلك الجرح هو خطئي. لم أضع حشوة حول التروس – لم يكن لدي وقت، كنت أسعى لشيء عملي وحسب. دخل القضيب حوالي ثلاث بوصات بشكل مائل. قال الأطباء إنكِ محظوظة لأنه لم يقطع عمودكِ الفقري."

سألته:

– "هل شعرتَ به أنت أيضًا؟"

قال كيتاي:

– "قليلًا فقط."

كان يكذب، وعرفت هي ذلك، لكنها في تلك اللحظة كانت ممتنة لمجرد محاولته تجنيبها الشعور بالذنب. رفع قميصه واستدار ليريها ندبة بيضاء شاحبة تمتد عبر أسفل ظهره.

– "انظري. إنهما بالشكل نفسه، على ما أظن."

حدقت بحسد في الخطوط البيضاء الملساء.

– "تلك أجمل مما ستكون عليه ندبتي."

– "لا تشعري بالغيرة المفرطة."

حركت يديها وذراعيها، تختبر بحذر الحدود المؤقتة لقدرتها على الحركة. حاولت رفع ذراعها اليمنى فوق رأسها، لكنها استسلمت عندما هدد كتفها بالتمزق.

– "لا أعتقد أنني أرغب في الطيران لبعض الوقت."

التقط كيتاي تفاحتها غير المكتملة من على حافة النافذة وأخذ منها قضمة.

— "فهمت ذلك. من الجيد أنكِ لن تضطري لذلك."
جلست مرة أخرى على السرير. الوقوف لفترة طويلة كان مؤلمًا.
سألت:
— "الـ (سيك)؟"
— "الجميع أحياء وتم إحصاؤهم. لا توجد إصابات خطيرة."
أومأت برأسها مرتاحة.
— "وفايلين. هل هو... كما تعلم، ميت حقًا؟"
قال كيتاي:
— "من يهتم؟ إنه مدفون تحت آلاف الأطنان من الصخور. إذا كان هناك أي شيء حي في الأسفل، فلن يزعجنا لألف عام."
حاولت رين أن تجد العزاء في ذلك. أرادت أن تكون متأكدة من موت فايلين. أرادت رؤية جثة. لكن في الوقت الحالي، هذا سيفي بالغرض.
سألت:
— "أين نزهة؟"
— "لقد كان هنا. باستمرار. رفض المغادرة، لكن أظن أن أحدهم أقنعه أخيرًا بالذهاب لأخذ قيلولة. وهذا جيد، فقد بدأت رائحته تسوء."
سألت بسرعة:
— "إذًا هو بخير؟"
أمال كيتاي رأسه نحوها.
— "ليس تمامًا. رين، ماذا فعلتِ به؟"
ترددت.
هل يمكنها إخبار كيتاي بالحقيقة؟ سر نزهة كان شخصيًا للغاية، ومؤلمًا بشدة، لدرجة أن البوح به سيبدو كخيانة فظيعة. لكنه انطوى أيضًا على عواقب هائلة لم تكن تعرف كيف تتعامل معها، ولم تطق كتمان الأمر بنفسها. على الأقل ليس عن النصف الآخر من روحها.

قال كيتاي بصوت عالٍ ما كانت تفكر فيه:

– "سيكون كلانا في وضع أفضل إن لم تخفي عني الأشياء."

– "إنها قصة غريبة."

– "جربيني."

أخبرته بكل شيء، بكل التفاصيل المؤلمة والمقززة حتى النهاية.

لم يرف لـ كيتاي جفن.

– "الأمر منطقي، أليس كذلك؟"

– "ماذا تعني؟"

– "لقد كان نزهة وغدًا طوال حياته. أتصور أنه من الصعب أن يكون المرء لطيفًا عندما يعيش في ألم دائم."

تمكنت رين من الضحك.

– "لا أعتقد أن هذا هو السبب بالكامل."

صمت كيتاي للحظة.

– "إذًا، هل أفهم من ذلك أن هذا هو سبب اكتئابه منذ أيام؟ هل استدعى التنين عند المنحدرات الحمراء؟"

تلوتت معدة رين بالذنب.

– "لم أجبره على فعل ذلك."

– "إذًا ما الذي حدث؟"

– "كنا في القناة. كنا... كنت أغرق. لكنني لم أجبره. لم أكن أنا."

ما أرادته هو أن يخبرها كيتاي أنها لم ترتكب أي خطأ. لكن كالعادة، كل ما فعله هو إخبارها بالحقيقة.

– "لم تكوني بحاجة لإجباره. أتظنين أن نزهة كان ليتركِك تموتين؟ بعد أن نعتِّه بالجبان؟"

أصرت قائلة:

– "الألم ليس سيئًا لتلك الدرجة. ليس سيئًا لدرجة أن ترغب في الموت. لقد شعرتَ به. وكلانا نجا منه."

— "أنتِ لا تعرفين كيف يبدو الأمر بالنسبة له."
— "لا يمكن أن يكون أسوأ."
— "ربما يكون كذلك. ربما هو أسوأ مما يمكنكِ حتى تخيله."
ضمت ركبتيها إلى صدرها.
— "لم أرغب قط في إيذائه."
خلا صوت كيتاي من أي حكم، وحمل الفضول وحسب.
— "لماذا قلتِ له تلك الأشياء إذًا؟"
قالت مرددة كلمات فايسرا منذ زمن بعيد:
— "لأن حياته ليست ملكًا له. لأنه عندما تملك كل هذه القوة، فمن الأنانية أن تجلس عليها فقط لأنك خائف."
لكن لم يكن ذلك كل شيء.
كانت غيورة أيضًا. غيورة من أن نزهة قد يمتلك مدخلًا لقوة هائلة كهذه ولا يفكر أبدًا في استخدامها. غيورة من أن هوية نزهة وقيمته بالكامل لا تتوقفان على قدراته "الشامانية". لم يُشر إلى نزهة قط بعرقه فقط. لم يكن نزهة يومًا سلاحًا لشخص آخر. كلاهما طالبت به آلهة، لكن نزهة حظي بكونه الأمير الصغير لبيت "يين"، حرًا من تجارب "الهسبيريين"، وحظيت هي بكونها الوريثة الأخيرة لجنس مأساوي.
كان كيتاي يعرف ذلك. كان كيتاي يعرف كل ما يخطر ببالها.
جلس صامتًا لفترة طويلة.
قال أخيرًا:
— "سأخبركِ بشيء. ولا أريدكِ أن تأخذيه كحكم عليكِ، أريدكِ أن تأخذيه كتحذير."
رمقته بنظرة حذرة.
— "ماذا؟"

– "أنتِ تعرفين نزهة منذ بضع سنوات. التقيتِ به عندما كان قد أتقن أقنعته وادعاءاته. لكنني أعرفه منذ كنا طفلين. تظنين أَنه لا يُقهر، لكنه أكثر هشاشة مما تظنين. نعم، أعلم أنه وغد. لكنني أعلم أيضًا أنه قد يرمي بنفسه من فوق منحدر لأجلكِ. أرجوكِ توقفي عن محاولة تحطيمه."

جرت محاكمة أنغ تسولين في صباح اليوم التالي على منصة مرتفعة أمام القصر. احتشد جنود الجمهورية في الساحة بالأسفل، وارتسمت على وجوههم تعبيرات موحدة من الاستياء البارد. مُنع المدنيون من الحضور. كان خبر خيانة تسولين قد أصبح معرفة عامة الآن، لكن فايسرا لم يرد شغبًا. لم يرد لـ تسولين أن يموت وسط الفوضى. أراد أن يمنح سيده القديم موتًا دقيقًا، نظيف التنفيذ، تمتد فيه كل ثانية صامتة لأطول فترة ممكنة.

قاد القائد إريدين وحراسه تسولين إلى أعلى المنصة. سمحوا له بالاحتفاظ بكرامته – فلم يكن معصوب العينين ولا مقيدًا. في ظروف أخرى، ربما بدا وكأنه يتلقى أرفع الأوسمة.

التقى فايسرا بـ تسولين في وسط المنصة، وناوله سيفًا مغلفًا، ومال إلى الأمام ليهمس بشيء في أذنه.

همست رين في أذن كيتاي:

– "ما الذي يحدث؟"

شرح كيتاي:

– "إنه يمنحه خيار الانتحار. نهاية مشرفة لخائن مخزٍ. لكن فقط إذا اعترف تسولين بأخطائه وتاب عنها."

– "هل سيفعل؟"

– "أشك في ذلك. حتى الانتحار المشرف لا يمكنه محو ذلك النوع من العار."

وقف تسولين وفايسرا ساكنين على المنصة، يرمق كل منهما الآخر بصمت. ثم هز تسولين رأسه وأعاد السيف.

قال بصوت عالٍ:

– "نظامك هو ديمقراطية صورية. وكل ما فعلته هو تسليم بلادك ليحكمها الشياطين ذوو العيون الزرقاء."

سرت همهمة من القلق بين الجنود.

جالت عينا فايسرا في الحشد ووقعتا على رين. أشار إليها بإصبع واحد.

– "تعالي إلى هنا."

لفتت حولها، آملة أنه يشير إلى شخص آخر.

تمتم كيتاي:

– "اذهبي."

– "ماذا يريد مني؟"

– "ماذا تظنين؟"

امتقع لونها.

– "لن أفعل هذا."

لكزه كيتاي برفق.

– "من الأفضل ألا تفكري في الأمر كثيرًا."

تحركت متثاقلة للأمام، متكئة بثقل على عصاها. كانت لا تزال بالكاد تستطيع المشي. الأسوأ كان الألم في أسفل ظهرها، لأنه لم يكن موضعيًا. بدت تلك العقدة متصلة بكل عضلة في جسدها – في كل مرة تخطو خطوة أو تحرك ذراعيها، شعرت وكأنها طُعنت.

انشق صف الجنود ليفسحوا لها طريقًا إلى المنصة. صعدت بخطوات بطيئة ومرتعشة. كل خطوة كانت تشد بغرز جرحها أسفل ظهرها بألم.

توقفت أخيرًا أمام أمير الحرب لمقاطعة "الثعبان". قابل نظرتها بعينين متعبتين. حتى الآن، وحتى وهو تحت رحمتها تمامًا، بدا وكأنه يشفق عليها.

همس تسولين بصوت خافت لم تسمعه سواها:

– "دمية حتى النهاية. متى ستتعلمين؟"

قالت:

– "أنا لست دمية."

هز رأسه.

– "ظننت أنكِ قد تكونين الذكية بينهم. لكنكِ سمحتِ له بأخذ كل ما يحتاجه منكِ وانصعتِ تمامًا كعاهرة."

كادت ترد، لكن فايسرا تكلم مقاطعًا إياها.

– "افعليها." قال ببرود.

لم تكن بحاجة لتسأل عما يعنيه. عرفت ما يريده منها. الآن، وما لم تكن ترغب في إثارة الشكوك، كان عليها أن تكون سلاح فايسرا المطيع للجمهورية.

وضعت كفها الأيمن على صدر تسولين، فوق قلبه مباشرة، ودفعت.

اشتعلت أصابعها الملتوية بنيران حارقة جدًا لدرجة أن أظافرها غاصت مباشرة في لحمه وكأنها تنبش في قطعة "توفو" طرية.

انتفض تسولين وارتعش لكنه أبقى فمه مغلقًا. توقفت للحظة، مذهولة من قدرته على عدم الصراخ لكل هذا الوقت.

قالت:

– "أنت شجاع."

لهث قائلًا:

– "ستموتين، أيتها الحمقاء."

أغلقت أصابعها حول شيء ظنت أنه قد يكون قلبه. اعتصرته. سقط رأس تسولين. وفوق كتفه المتهدل، رأت فايسرا يومئ ويبتسم.

أرادت رين الخروج من "أرلونغ" فورًا بعد ذلك. لكن كيتاي جادلها، ووافقت هي على مضض، بأنهما لن يقطعا ميلًا واحدًا خارج القناة. لم تكن تستطيع المشي بشكل سليم بعد، ناهيك عن الركض. كانت جراحها المفتوحة تتطلب فحوصات يومية في المستشفى، وهي معرفة طبية لا يملكها أي منهما ليقوم بها بمفرده.

لم يكن لديهم أيضًا خطة هروب. لم يسمعوا سوى الصمت من مواغ. إذا غادروا الآن، فسيتعين عليهم السفر سيرًا على الأقدام ما لم يتمكنوا من سرقة قارب نهري، وكان أمن أرصفة "أرلونغ" أجود من أن يتمكنا من فعل ذلك.

لم يكن لديهم خيار سوى الانتظار، على الأقل حتى تشفى رين بما يكفي للصمود في قتال.

ظل كل شيء معلقًا في توازن متوتر. لم تتلقَ رين أي كلمة من فايسرا أو "الهسبيريين". لم تستدعها الأخت بيترا للفحص منذ أشهر. لم يقم رين وكيتاي بأي تحركات علنية للهرب. لم يكن لدى فايسرا أي سبب للاشتباه في أن ولاءاتها قد تحولت، لذا كانت تعمل بمساحة حرية معقولة. منحها ذلك وقتًا لمعرفة خطوتها التالية. كانت فأرة تقترب ببطء من المصيدة. ستطبق عليها عندما تتحرك للهرب، ولكن ليس قبل ذلك.

بعد أسبوع من إعدام تسولين، سلم خدم القصر طردًا ثقيلًا ملفوفًا بالحرير إلى غرفتها. عندما فتحته وجدت فستانًا احتفاليًا مع تعليمات بارتدائه والظهور على المنصة في غضون ساعة.

لم تكن رين قادرة بعد على رفع يديها بالكامل فوق رأسها، لذا استعانت بـ فينكا.

رفعت رين قطعة قماش مستطيلة وسائبة.

— "ما الذي يفترض بي فعله بهذا بحق الجحيم؟"

— "اهدئي. إنه شال، تقومين فقط بإسداله تحت كتفيكِ."

أخذت فينكا القماش من رين ولفته بمرونة فوق ذراعي رين العلويين.

— "هكذا. بحيث ينساب كالماء، أترين؟"

كانت رين تشعر بالحر والإحباط الشديدين لدرجة أنها لم تكترث بمدى انسيابية ملابسها. التقطت مستطيلًا سائبًا آخر بدا مطابقًا لشالها.

— "وماذا عن هذا إذًا؟"

رمشت فينكا في وجهها وكأنها حمقاء.

— "تربطينه حول خصركِ."

كان الظلم الأكبر، كما فكرت رين، هو أنهم ورغم إصاباتها، ما زالوا يجبرونها على المشي في موكب النصر. أصر فايسرا على أن الأمر حاسم من أجل المراسم. أراد تقديم عرض لـ "الهسبيريين". استعراض للامتنان وآداب السلوك "النيقارية". إثبات أنهم متحضرون.

سئمت رين من اضطرارها لإثبات إنسانيتها.

كان الرداء يستنزف صبرها بسرعة. الشيء اللعين كان حارًا، خانقًا، وضيقًا جدًا لدرجة أنه قيد حركتها بطرق جعلت تنفسها يتسارع. ارتداؤه تطلب الكثير من القطع المتحركة لدرجة أنها كادت تغرى برمي الكومة بأكملها في الزاوية وإضرام النار فيها.

أصدرت فينكا صوت اشمئزاز وهي تراقب رين تثبت الوشاح حول خصرها بعقدة بحار سريعة.

— "هذا يبدو مريعًا."

— "سينفك بخلاف ذلك."

— "هناك أكثر من طريقة لربط عقدة. وهذا فضفاض للغاية أيضًا. تبدين وكأنكِ ضُبطتِ وأنتِ تعبثين مع أحد رجال الحاشية."

شدت رين الوشاح حتى ضغط على ضلوعها.

— "هكذا؟"

— "أحكم."

— "لكنني لا أستطيع التنفس."

— "هذا هو المغزى. توقفي فقط عندما تشعرين أن ضلوعكِ على وشك التحطم."

— "أعتقد أن ضلوعي قد تحطمت. مرتين حتى الآن."

— "إذًا المرة الثالثة لن تسبب ضررًا أكبر."

أخذت فينكا الوشاح من يدي رين وبدأت في إعادة ربط العقدة بنفسها.

— "أنتِ لا تُصدقين."

– "ما الذي يفترض أن يعنيه ذلك؟"
– "كيف وصلتِ إلى هذا الحد دون أن تتعلمي شيئًا من دهاء النساء؟"
كانت العبارة سخيفة لدرجة أن رين نخرت ضاحكة في كمها.
– "نحن جنود. أين تعلمتِ أنتِ دهاء النساء؟"
– "أنا أرستقراطية. قضى والداي حياتهما مصممين على تزويجي من وزير ما."
ابتسمت فينكا بتكلف.
– "كانا منزعجين قليلًا عندما التحقت بالجيش بدلًا من ذلك."
سألت رين:
– "ألم يريدوا لكِ الالتحاق بـ (سينغارد)؟"
– "لا، كرها الفكرة. لكنني أصريت عليها. أردت المجد والانتباه. أردت أن يكتبوا قصصًا عني. انظري كيف انتهى ذلك."
شدت فينكا العقدة بإحكام.
– "لديكِ زائر، بالمناسبة."
استدارت رين.
كان نزهة يقف في المدخل، ويداه تتدليان بشكل محرج بجانبيه. تنحنح قائلًا:
– "مرحبًا."
ربتت فينكا على كتف رين.
– "استمتعي بوقتكِ."
قال نزهة:
– "تلك عقدة جميلة."
غمزت فينكا وهي تتبختر متجاوزة إياه.
– "هي أجمل على من ترتديها."

صوت الصرير الذي أصدره الباب عند إغلاقه ربما كان أعلى ضجيج سمعته رين على الإطلاق.

عبر نزهة الغرفة ليقف بجانبها أمام المرآة. نظرا إلى بعضهما البعض في الزجاج. ذُهلت من التباين بينهما — كم كان أطول منها، وكم بدت بشرته شاحبة بجانب بشرتها، وكم بدا أنيقًا وطبيعيًا في الزي الاحتفالي.

بدت هي مثيرة للسخرية. وبدا هو وكأنه في مكانه الطبيعي.

قال:

— "تبدين بحال جيدة."

نخرت ساخرة.

— "لا تكذب في وجهي."

— "لن أكذب عليكِ أبدًا."

بدا الصمت الذي تلا ذلك ثقيلًا.

كان الحديث عما يجب أن يتحدثا عنه يبدو بديهيًا، لكنها لم تعرف كيف تفتح الموضوع. لم تعرف أبدًا كيف تطرح الأمور بوجوده. كان لا يمكن التنبؤ به، دافئًا في دقيقة وباردًا تجاهها في التالية. لم تكن تعرف أبدًا مكانتها عنده؛ لم تكن تعرف أبدًا ما إذا كان بإمكانها الوثوق به، وكان ذلك محبطًا للغاية لأنه باستثناء كيتاي، كان هو الشخص الوحيد الذي أرادت أن تخبره بكل شيء.

أخيرًا، سألت:

— "كيف تشعر؟"

قال باستخفاف:

— "سأبقى على قيد الحياة."

انتظرت أن يكمل، لكنه لم يفعل.

كانت مرتعبة من قول المزيد. أدركت أن فجوة قد انشقت بينهما، لكنها لم تكن تعرف كيف تجسرها.

حاولت قائلة:

— "شكرًا لك."

رفع حاجبًا.

— "على ماذا؟"

— "لم تكن مضطرًا لإنقاذي. لم تكن مضطرًا لـ... فعل ما فعلته."

قال، ولم تستطع تحديد ما إذا كانت الخفة في نبرته مفتعلة أم لا:

— "بلى، كنت مضطرًا. كيف سيكون مظهري لو تركتُ (السبيرلية) الخاصة بنا تموت؟"

قالت:

— "لقد آلمك ذلك."

وجعلتك تدخن من الأفيون ما يكفي لقتل عجل.

— "أنا آسفة."

قال:

— "ليس خطأكِ. نحن بخير."

لكنهما لم يكونا بخير. شيء ما تحطم بينهما، وكانت واثقة من أنه خطؤها. لكنها لم تكن تعرف كيف تصلحه.

قالت قاطعة الصمت، إذ لم تعد تطيق الاحتمال، وكان لزامًا عليها الفرار:

— "حسنًا. سأذهب للبحث عن..."

سأل نزهة فجأة، مما جعلها تجفل:

— "هل رأيتها تموت؟"

— "من؟"

— "داجي. لم نعثر أبدًا على جثة."

قالت:

— "قدمت تقريري لوالدك."

كانت قد أخبرت فايسرا وإريدين أن داجي ماتت، غرقت، واستقرت في قاع نهر "موروي".

— "أعرف ما أخبرته به. والآن أريدكِ أن تخبريني الحقيقة."

— "تلك هي الحقيقة."

قسا صوت نزهة.

— "لا تكذبي علي."

كتفت ذراعيها.

— "ولماذا قد أكذب بشأن ذلك؟"

— "لأنهم لم يعثروا على جثة."

— "كنتُ محاصرة تحت سارية لعينة يا نزهة. كنت مشغولة جدًا بمحاولة عدم الموت لدرجة تمنعني من التفكير."

— "إذًا لماذا أخبرتِ الأب أنها ماتت؟"

اختلقت رين تفسيرًا من العدم بسرعة.

— "لأنني أعتقد أنها كذلك! رأيت فايلين يحطم تلك السفينة. رأيتها تسقط في الماء. وإذا لم تتمكنوا من العثور على جثة فهذا يعني فقط أنها مدفونة هناك في الأسفل مع عشرة آلاف جثة أخرى تسد قناتكم. ما لا أفهمه هو لماذا تتصرف وكأنني خائنة بينما قتلتُ إلهًا من أجلك للتو."

تنهد نزهة.

— "أنا آسف. لا، أنتِ محقة. أنا فقط... أريد أن نكون قادرين على الوثوق ببعضنا البعض."

بدت عيناه صادقتين للغاية. لقد صدق الأمر حقًا.

زفرت رين، مذهولة من الكيفية التي نجت بها بأعجوبة.

وضعت يدًا على ذراعه.

— "لم أكذب عليك أبدًا."

كان التمثيل سهلًا للغاية. لم تكن مضطرة لتزييف مودتها له. شعرت بالرضا وهي تخبر نزهة بما يريد سماعه.

— "ولن أفعل أبدًا. أقسم."

منحها نزهة ابتسامة. ابتسامة حقيقية.

— "يعجبني عندما نكون في الصف نفسه."

قالت:

— "وأنا أيضًا."

وأخيرًا، لم تكن تلك كذبة. كم تمنت بيبأس لو كان بإمكانهما البقاء كذلك.

كان الحضور في الموكب هزيلًا ومثيرًا للشفقة. لم يفاجئ ذلك رين. في "تيكاني"، كان الناس يخرجون للمهرجانات فقط لأنها تحمل وعدًا بالطعام والشراب المجاني، لكن "أرلونغ" التي حطمتها المعركة لم تكن تملك الموارد لتوفير أي منهما. أمر فايسرا بتوزيع حصة إضافية من الأرز والسمك في جميع أنحاء المدينة، لكن بالنسبة للمدنيين الذين فقدوا منازلهم وأقاربهم للتو، لم يكن ذلك سببًا كافيًا للاحتفال.

كانت رين لا تزال بالكاد تستطيع المشي. توقفت عن استخدام عصاها، لكنها لم تستطع التحرك لأكثر من خمسين ياردة دون أن يصيبها الإنهاك، وكان ذراعاها وساقاها مليئة بألم مشدود ومبرح بدا وكأنه يزداد سوءًا.

قال كيتاي عندما تعثرت على المنصة:

— "يمكننا أن نجعلك تركبين محفة إذا احتجتِ."

تشبثت رين بذراعه الممدودة.

— "سأمشي."

— "لكنكِ تتألمين."

قالت:

— "المدينة بأكملها تتألم. هذا هو المغزى."

لم تكن قد رأت المدينة خارج المستشفى حتى الآن، وكان الدمار مؤلمًا للعين. استمرت الحرائق في المدينة الخارجية مشتعلة لما يقرب من يوم بعد المعركة، ولم يخمدها سوى هطول المطر. ظل القصر سليمًا، وإن كان قد اسودّ في جزئه السفلي. الخضرة اليانعة لجزيرة القناة استُبدلت بأشجار ميتة ذابلة

ورماد. اكتظت المستشفيات بالجرحى. ورقد الموتى في صفوف منتظمة على الشاطئ، بانتظار دفن لائق.

لم يكن موكب فايسرا شهادة على النصر، بل اعترافًا بالتضحية. قدرت رين ذلك. لم يكن هناك موسيقيون مبهرجون، ولا استعراضات فجة للثروة والقوة. مشى الجيش في الشوارع ليظهروا أنهم نجوا. وأن الجمهورية لا تزال حية.

تصدّرت سايخارا الموكب، تخطف الأنفاس في أردية من اللون اللازوردي والفضة. وسار فايسرا خلفها مباشرة. خط الشيب شعره أكثر بكثير مما كان عليه قبل أشهر، وكان يمشي بلمحة بالكاد تُلحظ من العرج، لكن حتى علامات الضعف تلك بدت وكأنها تزيد من وقاره. كان يرتدي ملابس كإمبراطور، وبدت سايخارا كإمبراطورة له. كانت أمهم المقدسة وكان هو مخلصهم، وأبهم، وحاكمهم في آن واحد.

خلف ذلك الزوج السماوي وقفت القوة العسكرية الكاملة للغرب. اصطف الجنود "الهسبيريون" في الشوارع. وانجرفت المناطيد "الهسبيرية" ببطء عبر الهواء فوقهم. ربما وعد فايسرا ببدء حكومة ديمقراطية، لكن إذا كان ينوي المطالبة بالإمبراطورية بأكملها، فقد شكت رين في أن أي شخص يمكنه إيقافه.

سأل كيتاي:

— "أين أمراء الحرب الجنوبيون؟"

ظل يلتفت حوله ليلقي نظرة على صف الجنرالات.

— "لم أرهم طوال اليوم."

بحثت رين في الحشد. كان محقًا؛ أمراء الحرب كانوا غائبين. لم تستطع رؤية لاجئ جنوبي واحد أيضًا.

سألت:

— "هل تعتقد أنهم غادروا؟"

— "أعرف أنهم لم يفعلوا. الوديان لا تزال مليئة بمخيمات اللاجئين. أعتقد أنهم اختاروا عدم الحضور."

— "لماذا، كنوع من الاحتجاج؟"

قال:

— "أفترض أن هذا منطقي. لم يكن هذا نصرهم."

استطاعت رين فهم ذلك. النصر في "المنحدرات الحمراء" لم يحل سوى القليل جدًا من مشاكل الجنوب. نزفت القوات الجنوبية من أجل نظام استمر في معاملتهم كتضحية ضرورية وحسب. لكن أمراء الحرب كانوا يضحون بالحكمة من أجل احتجاج رمزي. كانوا بحاجة للقوات "الهسبيرية" لتطهير جيوب "الاتحاد" في مقاطعاتهم الأصلية. كان ينبغي عليهم بذل قصارى جهدهم لاستعادة حظوة فايسرا.

بدلًا من ذلك، أوضحوا ولاءاتهم، تمامًا كما فعلوا معها في ذلك الزقاق قبل أيام.

تساءلت عما يعنيه ذلك للجمهورية. لم يقدم الجنوب إعلان حرب مفتوح. لكنهم لم يظهروا تعاونًا مطيعًا أيضًا. هل سيرسل فايسرا الآن تلك المناطيد المسلحة لغزو "تيكاني"؟

خططت رين لأن تكون بعيدة قبل وقت طويل من وصول الأمر إلى ذلك الحد.

توج الموكب بطقوس جنائزية للموتى على ضفة النهر. كان الحضور لهذا الحدث أكبر بكثير. اصطف حشد من المدنيين تحت المنحدرات. لم تستطع رين التمييز ما إذا كان الماء يعكس فقط "المنحدرات الحمراء"، لكن بدا الأمر وكأن القناة لا تزال مخضبة بالدماء.

وقف جنرالات وأدميرالات فايسرا في خط مستقيم على الشاطئ. ميزت شرائط معلقة على أعمدة أولئك الغائبين من ذوي الرتب. أحصت رين شرائط أكثر من الأشخاص.

قالت وهي تنظر إلى أكوام الجثث المتعفنة والمبللة:

— "هذا عمل حفر كثير للغاية."

قضى الجنود أيامًا في انتشال الجثث من الماء، والتي لولا ذلك لكانت سممت المياه بطعم التعفن الكريه لسنوات.

قال كيتاي:

— "هم لا يدفنون موتاهم في أرلونغ. يرسلونهم إلى البحر."

راقبوا الجنود وهم يحملون أهرامات من الجثث على طوافات، ثم يدفعونها إلى الماء واحدة تلو الأخرى. كانت كل محرقة مغطاة بكفن جنائزي مغموس بالزيت. وبأمر من فايسرا، أطلق رجال إريدين وابلًا من السهام المشتعلة على أسطول الجثث. وجد كل سهم هدفه. اشتعلت المحارق بفرقعة حادة ومرضية.

قالت رين:

— "كان بإمكاني فعل ذلك."

— "الأمر يعني أقل عندما تفعلينه أنتِ."

— "لماذا؟"

أومأ كيتاي من فوق كتفها.

— "لأن الشيء الوحيد الذي يجعل للأمر معنى هو احتمالية ألا يصيبوا الهدف. انظري من هنا."

تتبعت خط بصره لتجد رامسا، وباجي، وسوني يقفون عند حافة الشاطئ بعيدًا قليلًا عن تجمع للمدنيين. كانوا ينظرون إليها. لوح لها رامسا تلويحة صغيرة.

لم تستطع منع نفسها من الابتسام بارتياح.

لم تحظ بفرصة للتحدث إلى الـ (سيك) منذ عشية المعركة. كانت تعلم أنهم بخير، لكن لم يُسمح لهم بدخول المستشفى، ولم ترغب هي في إثارة جلبة خوفًا من إثارة شكوك "الهسبيريين". قد تكون هذه فرصتهم الوحيدة للتحدث على انفراد.

مالت لتهمس في أذن كيتاي:

— "هل ينظر أحد؟"

قال:

– "أعتقد أنكِ بخير. أسرعي."

تحركت، وهي تعرج، بأسرع ما يمكنها أسفل الشاطئ.

قال باجي مرحبًا:

– "أرى أنهم أطلقوا سراحك أخيرًا من مزرعة الموت."

كررت:

– "مزرعة الموت؟"

– "لقب رامسا للمستشفى."

قال رامسا:

– "لأنهم كانوا يخرجون الجثث كل يوم في عربات الحبوب. سعيد أنكِ لم تكوني في واحدة منها."

سأل باجي:

– "ما مدى سوء الأمر؟"

مررت أصابعها غريزيًا على أسفل ظهرها.

– "يمكن التعامل معه. يؤلم، لكن يمكنني المشي دون مساعدة الآن. هل خرجتم جميعًا سالمين؟"

أراها باجي ساقيه المضمّدتين.

– "تقريبًا. كُشطت ساقاي عندما كنت أقفز من سفينة. وألقى رامسا فتيلًا متأخرًا جدًا، فأصيب بحروق سيئة في ركبته. سوني بخير تمامًا. هذا الرجل يمكنه النجاة من أي شيء."

قالت:

– "جيد."

جالت ببصرها بسرعة في أنحاء الشاطئ. لم يكن أحد ينتبه إليهم؛ كانت عيون الحشد مثبتة على المحارق الجنائزية. ومع ذلك خفضت صوتها.

– "لا يمكننا البقاء هنا بعد الآن. استعدوا للركض."

سأل باجي:

– "متى؟"

لم يبدُ أي منهم متفاجئًا. بل بدا وكأنهم جميعًا كانوا يتوقعون ذلك.

– "قريبًا. لسنا بأمان هنا. فايسرا لم يعد بحاجة إلينا ولا يمكننا الاعتماد على حمايته. الهسبيريون لا يعرفون أنك أنت وسوني (شامان)، لذا لدينا القليل من الحرية. لا يعتقد كيتاي أنهم سيتحركون فورًا. لكن لا ينبغي لنا التلكؤ."

قال رامسا:

– "الشكر للآلهة. لم أكن أطيقهم. رائحتهم فظيعة."

رمقه باجي بنظرة.

– "حقًا؟ هذه هي شكواك الكبرى؟ الرائحة؟"

أصر رامسا:

– "إنها نتنة. مثل توفو حامض."

تحدث سوني لأول مرة:

– "إذا كنتم قلقين، فلماذا لا نخرج الليلة؟"

قالت رين:

– "هذا مناسب."

سأل رامسا:

– "أي تفاصيل؟"

– "ليس لدي خطة أبعد من الهروب. حاولنا ضم مواغ إلينا، لكنها لم تستجب. سيتعين علينا شق طريقنا خارج المدينة بمفردنا."

قال باجي:

– "مشكلة واحدة. أنا وسوني في دورية ليلية. أتظنين أن ذلك سيلفت انتباههم إذا اختفينا؟"

افترضت رين أن هذا هو بالضبط السبب الذي وضعوهم من أجله في الدورية الليلية.

سألت:

— "متى ينتهي دوامكما؟"

— "ساعة قبل الفجر."

قالت:

— "إذاً سنذهب حينها. سنتجه مباشرة نحو المنحدرات. لا تنتظروا عند البوابات، سيجذب ذلك الانتباه فقط. سنكتشف ما سنفعله بمجرد خروجنا من المدينة. هل يناسبكم ذلك؟"

قال باجي:

— "تماماً."

وأومأ رامسا وسوني.

لم يكن هناك شيء آخر لمناقشته. وقفوا معًا في مجموعة، يراقبون الجنازة في صمت لبضع دقائق. نمت النيران على المحارق لتصبح لهيبًا كاملًا. لم تكن رين تعرف ما الذي يدفع المحارق بعيداً نحو البحر، لكن الطريقة التي شوشت بها النيران الهواء فوقها كانت منومة بشكل غريب.

قال باجي:

— "إنه منظر جميل."

قالت:

— "أجل. إنه كذلك."

قال رامسا:

— "تعلمون ما سيحدث لهم، أليس كذلك؟ سيطفون لمدة ثلاثة أيام تقريبًا. ثم ستبدأ المحارق في التفكك. الخشب المحروق ضعيف والأجساد ثقيلة كاللعنة. ستغوص في المحيط، وستنتفخ وتتفتت ما لم ينهش السمك كل شيء عدا العظام أولًا."

حمل صوته الهش عبر هواء الصباح الساكن. بدأت الرؤوس تلتفت.

تمتمت رين:

— "هل ستتوقف؟"

قال رامسا:

— "آسف. كل ما أقوله هو أنه كان ينبغي عليهم حرقهم على اليابسة وحسب."

قال باجي:

— "لا أعتقد أنهم أخرجوا كل الجثث. رأيت جثثًا في النهر أكثر من ذلك. كم جنديًا إمبراطوريًا تعتقدون أنه لا يزال في الأسفل؟"

رمقته رين بنظرة حادة.

— "باجي، أرجوك..."

— "تعلمين، الأمر مضحك. سيتغذى السمك على الجثث. ثم ستأكلين السمك، وستتغذين حرفيًا على أجساد أعدائك."

حدقت فيه بعيون ضبابية.

— "هل أنت مضطر لفعل ذلك؟"

— "ماذا، ألا تظنين أن الأمر مضحك؟"

وضع ذراعه حولها.

— "هيه. لا تبكي... أنا آسف."

ابتلعت ريقها بصعوبة. لم تقصد البكاء. لم تكن متأكدة حتى من سبب بكائها — لم تكن تعرف أيًا من الجثث على المحرقة، ولم يكن لديها أي سبب للحزن.

تلك الجثث لم تكن خطأها. ومع ذلك شعرت بالبؤس.

همست:

— "لا أحب الشعور بهذه الطريقة."

ربت باجي على كتفها.

— "ولا أنا، يا صغيرة. لكن هذه هي الحرب. على الأقل أنتِ في الجانب المنتصر."

الفصل الرابع والثلاثون

انتفضت رين من نومها فزعة على وقع دقات الأجراس. حاولت أن تثب خارجة من السرير، لكن ما إن رفعت رأسها حتى سرت موجة من الألم الحارق عبر ظهرها.

تراءى لها وجه فينكا الضبابي، ووضعت يدها على كتف رين تجبرها على الاستلقاء مجددًا.

— "على رسلكِ. ليس بهذه السرعة."

قالت رين:

— "لكن جرس الصباح... سأتأخر."

ضحكت فينكا:

— "تتأخرين عن ماذا؟ أنتِ خارج الخدمة. جميعنا خارج الخدمة."

رمشت رين بعينيها:

— "ماذا؟"

— "لقد انتهى الأمر. انتصرنا. يمكنك الاسترخاء."

بعد أشهر من الحرب، ومن النوم والأَكل والاستيقاظ وفق جدول صارم لا يتغير، بدت تلك العبارة لا تُصدق بالنسبة لرين، لدرجة أن الكلمات نفسها بدت للحظة وكأنها قيلت بلغة أخرى.

سألت بصوت خافت:

— "هل انتهينا؟"

— "في الوقت الراهن. لكن لا ترفعي سقف آمالكِ كثيرًا، سيكون لديكِ الكثير لتفعليه بمجرد أن تصبحي قادرة على الحركة."

طرقعت فينكا مفاصل أصابعها وتابعت:

— "سنبدأ قريبًا في عمليات التطهير."

كافحت رين لتسند نفسها على مرفقيها. كان الألم في أسفل ظهرها ينبض بالتناغم مع دقات قلبها. صرت على أسنانها لتتحمله.

— "ماذا هناك أيضًا؟ أطلعيني على المستجدات."

— "حسنًا، الإمبراطورية لم تستسلم تمامًا. لقد قُطع رأس الأفعى، لكن المقاطعات الأقوى — النمر، والحصان، والثعبان — لا تزال صامدة."

قالت رين:

— "لكن جنرال لحم الذئب قد مات."

كانت فينكا تعلم ذلك بالفعل — فقد رأت حدوثه — لكن قول ذلك بصوت عالٍ جعل رين تشعر بتحسن.

— "أجلٍ. وأسرنا تسولين حيًا أيضًا. ومع ذلك، تمكن جون من النجاة."

التقطت فينكا تفاحة من جانب سرير رين، وبدأت في تقشيرها بحركات سريعة وواثقة، وتتحرك أصابعها بسرعة أذهلت رين لدرجة أنها تساءلت كيف لم تقشر جلدها مع التفاحة.

— "بطريقة ما سبح خارج القناة وهرب... وهو الآن في طريقه للعودة إلى مقاطعة النمر. مقاطعتا الحصان والثعبان تدينان له بالولاء، وهو استراتيجي أفضل مما كان عليه تشانغ إن. سيبدون مقاومة شرسة. لكن الحرب يفترض أن تنتهي قريبًا."

— "لماذا؟"

أشارت فينكا بسكين التقشير نحو النافذة.

— "لدينا مساعدة."

تحركت رين في فراشها لتطل على الخارج، متشبثة بحافة النافذة طلبًا للدعم. كان عدد لا يحصى من السفن الحربية يزدحم في الميناء. حاولت حساب عدد القوات "الهسبيرية" التي يعنيها ذلك. آلاف؟ عشرات الآلاف؟

كان ينبغي لها أن تشعر بالارتياح لأن الحرب الأهلية قد أوشكت على الانتهاء. بدلًا من ذلك، وعندما نظرت إلى تلك الأشرعة البيضاء، لم تشعر سوى بالرعب.

سألت فينكا:

— "هل هناك خطب ما؟"

أخذت رين نفسًا عميقًا.

— "مجرد... شعور بعدم الاتزان قليلًا، أعتقد."

ناولت فينكا التفاحة المقشرة لرين.

— "كلي شيئًا."

أحاطت رين التفاحة بأصابعها بصعوبة. كان من المذهل كيف أصبح فعل المضغ البسيط شاقًا للغاية؛ كم آلم أسنانها، وكيف أجهد فكها. كان البلع عذابًا خالصًا. لم تستطع تناول أكثر من بضع قضمات، فوضعت التفاحة جانبًا.

— "ماذا حدث للهاربين من الميليشيا؟"

قالت فينكا:

— "حاول اثنان منهم الفرار عبر الجبال، لكن خيولهم فزعت عندما جاءت المناطيد. داستهم تحت حوافرها. لا تزال جثثهم عالقة في الوحل. ربما نرسل طاقمًا لاستعادة تلك الخيول. كيف حال... حسنًا، كيف تشعرين بشكل عام؟"

مدت رين يدها للخلف لتتحسس جراحها. كان ظهرها وكتفها مغطيين بطبقة سميكة من الضمادات. ظلت أصابعها تحتك بجلد بارز يؤلمها لمسه. جفلت. لم تكن ترغب في رؤية ما يكمن تحت تلك اللفائف.

— "هل أخبروكِ بمدى سوء الأمر؟"

— "هل لا تزالين قادرة على تحريك أصابع قدميكِ؟"

تجمدت رين.

— "فينكا."

— "أنا أمزح."

ابتسمت فينكا ابتسامة عريضة.

— "الأمر يبدو أسوأ مما هو عليه في الواقع. سيستغرق الأمر وقتًا، لكنكِ ستستعيدين قدرتكِ الكاملة على الحركة. همكِ الأكبر هو الندوب. لكنكِ كنتِ قبيحة دائمًا، لذا لن يشكل ذلك فارقًا كبيرًا."

كانت رين مرتاحة جدًا لدرجة أنها لم تستطع الغضب.

— "اذهبي إلى الجحيم."

أشارت فينكا إلى الزاوية الخلفية للغرفة ووقفت.

— "توجد مرآة داخل باب تلك الخزانة. سأتركُكِ لبعض الوقت بمفردكِ."

بعد أن أغلقت فينكا الباب، خلعت رين قميصها، ونهضت بحذر على قدميها، ووقفت عارية أمام المرآة.

ذهلت من بشاعة منظرها.

لطالما عرفت أن لا شيء يمكن أن يجعلها جذابة؛ ليس ببشرتها التي بلون الطين، ووجهها المتجهم، وشعرها القصير المتناثر الذي لم يصفف يومًا بأي شيء أكثر تطورًا من سكين صدئ.

لكنها الآن بدت مجرد شيء محطم ومهشم. كانت خليطًا من الندوب والغرز. على ذراعها، نقاط بيضاء تذكر بالشمع الساخن الذي استخدمته يومًا لتحرق نفسها كي تبقى مستيقظة للدراسة. وعلى ظهرها وكتفيها، كل ما يكمن خلف تلك الضمادات. وتحت عظمة القص مباشرة، طبعة يد ألتان، داكنة وواضحة كما كانت في اليوم الذي رأتها فيه لأول مرة.

أطلقت زفيرًا بطيئًا، وضغطت بيدها اليسرى على البقعة فوق معدتها. لم تستطع تحديد ما إذا كانت تتخيل الأمر وحسب، لكن الموضع كان ساخنًا عند اللمس.

قال كيتاي:

— "يجب أن أعتذر."

قفزت رين في مكانها. لم تسمع الباب يُفتح.

– "سحقًا للجحيم..."

– "آسف."

سارعت لارتداء قميصها مرة أخرى.

– "كان بإمكانك أن تطرق الباب!"

عبر الغرفة وجلس على حافة سريرها.

– "لم أدرك أنكِ مستيقظة. على أية حال، أردت الاعتذار. ذلك الجرح هو خطئي. لم أضع حشوة حول التروس – لم يكن لدي وقت، كنت أسعى لشيء عملي وحسب. دخل القضيب حوالي ثلاث بوصات بشكل مائل. قال الأطباء إنكِ محظوظة لأنه لم يقطع عمودكِ الفقري."

سألته:

– "هل شعرتَ به أنت أيضًا؟"

قال كيتاي:

– "قليلًا فقط."

كان يكذب، وعرفت هي ذلك، لكنها في تلك اللحظة كانت ممتنة لمجرد محاولته تجنيبها الشعور بالذنب. رفع قميصه واستدار ليريها ندبة بيضاء شاحبة تمتد عبر أسفل ظهره.

– "انظري. إنهما بالشكل نفسه، على ما أظن."

حدقت بحسد في الخطوط البيضاء الملساء.

– "تلك أجمل مما ستكون عليه ندبتي."

– "لا تشعري بالغيرة المفرطة."

حركت يديها وذراعيها، تختبر بحذر الحدود المؤقتة لقدرتها على الحركة. حاولت رفع ذراعها اليمنى فوق رأسها، لكنها استسلمت عندما هدد كتفها بالتمزق.

– "لا أعتقد أنني أرغب في الطيران لبعض الوقت."

التقط كيتاي تفاحتها غير المكتملة من على حافة النافذة وأخذ منها قضمة.

— "فهمت ذلك. من الجيد أنكِ لن تضطري لذلك."

جلست مرة أخرى على السرير. الوقوف لفترة طويلة كان مؤلمًا.

سألت:

— "الـ (سيك)؟"

— "الجميع أحياء وتم إحصاؤهم. لا توجد إصابات خطيرة."

أومأت برأسها مرتاحة.

— "وفايلين. هل هو... كما تعلم، ميت حقًا؟"

قال كيتاي:

— "من يهتم؟ إنه مدفون تحت آلاف الأطنان من الصخور. إذا كان هناك أي شيء حي في الأسفل، فلن يزعجنا لألف عام."

حاولت رين أن تجد العزاء في ذلك. أرادت أن تكون متأكدة من موت فايلين. أرادت رؤية جثة. لكن في الوقت الحالي، هذا سيفي بالغرض.

سألت:

— "أين نزهة؟"

— "لقد كان هنا. باستمرار. رفض المغادرة، لكن أظن أن أحدهم أقنعه أخيرًا بالذهاب لأخذ قيلولة. وهذا جيد، فقد بدأت رائحته تسوء."

سألت بسرعة:

— "إذًا هو بخير؟"

أمال كيتاي رأسه نحوها.

— "ليس تمامًا. رين، ماذا فعلتِ به؟"

ترددت.

هل يمكنها إخبار كيتاي بالحقيقة؟ سر نزهة كان شخصيًا للغاية، ومؤلمًا بشدة، لدرجة أن البوح به سيبدو كخيانة فظيعة. لكنه انطوى أيضًا على عواقب هائلة لم تكن تعرف كيف تتعامل معها، ولم تطق كتمان الأمر بنفسها. على الأقل ليس عن النصف الآخر من روحها.

قال كيتاي بصوت عالٍ ما كانت تفكر فيه:

— "سيكون كلانا في وضع أفضل إن لم تخفي عني الأشياء."

— "إنها قصة غريبة."

— "جربيني."

أخبرته بكل شيء، بكل التفاصيل المؤلمة والمقززة حتى النهاية.

لم يرف لكيتاي جفن.

— "الأمر منطقي، أليس كذلك؟"

— "ماذا تعني؟"

— "لقد كان نزهة وغداً طوال حياته. أتصور أنه من الصعب أن يكون المرء لطيفًا عندما يعيش في ألم دائم."

تمكنت رين من الضحك.

— "لا أعتقد أن هذا هو السبب بالكامل."

صمت كيتاي للحظة.

— "إذًا، هل أفهم من ذلك أن هذا هو سبب اكتئابه منذ أيام؟ هل استدعى التنين عند المنحدرات الحمراء؟"

تلوتت معدة رين بالذنب.

— "لم أجبره على فعل ذلك."

— "إذًا ما الذي حدث؟"

— "كنا في القناة. كنا... كنت أغرق. لكنني لم أجبره. لم أكن أنا."

ما أرادته هو أن يخبرها كيتاي أنها لم ترتكب أي خطأ. لكن كالعادة، كل ما فعله هو إخبارها بالحقيقة.

— "لم تكوني بحاجة لإجباره. أتظنين أن نزهة كان ليترككِ تموتين؟ بعد أن نعتِّه بالجبان؟"

أصرت قائلة:

— "الألم ليس سيئًا لتلك الدرجة. ليس سيئًا لدرجة أن ترغب في الموت. لقد شعرتَ به. وكلانا نجا منه."

— "أنتِ لا تعرفين كيف يبدو الأمر بالنسبة له."
— "لا يمكن أن يكون أسوأ."
— "ربما يكون كذلك. ربما هو أسوأ مما يمكنكِ حتى تخيله."
ضمت ركبتيها إلى صدرها.
— "لم أرغب قط في إيذائه."
خلا صوت كيتاي من أي حكم، وحمل الفضول وحسب.
— "لماذا قلتِ له تلك الأشياء إذًا؟"
قالت مرددة كلمات فايسرا منذ زمن بعيد:
— "لأن حياته ليست ملكًا له. لأنه عندما تملك كل هذه القوة، فمن الأنانية أن تجلس عليها فقط لأنك خائف."
لكن لم يكن ذلك كل شيء.
كانت غيورة أيضًا. غيورة من أن نزهة قد يمتلك مدخلًا لقوة هائلة كهذه ولا يفكر أبدًا في استخدامها. غيورة من أن هوية نزهة وقيمته بالكامل لا تتوقفان على قدراته "الشامانية". لم يُشر إلى نزهة قط بعرقه فقط. لم يكن نزهة يومًا سلاحًا لشخص آخر. كلاهما طالبت به آلهة، لكن نزهة حظي بكونه الأمير الصغير لبيت "يين"، حرًا من تجارب "الهسبيريين"، وحظيت هي بكونها الوريثة الأخيرة لجنس مأساوي.
كان كيتاي يعرف ذلك. كان كيتاي يعرف كل ما يخطر ببالها.
جلس صامتًا لفترة طويلة.
قال أخيرًا:
— "سأخبركِ بشيء. ولا أريدكِ أن تأخذيه كحكم عليكِ، أريدكِ أن تأخذيه كتحذير."
رمقته بنظرة حذرة.
— "ماذا؟"

— "أنتِ تعرفين نزهة منذ بضع سنوات. التقيتِ به عندما كان قد أتقن أقنعته وادعاءاته. لكنني أعرفه منذ كنا طفلين. تظنين أنه لا يُقهر، لكنه أكثر هشاشة مما تظنين. نعم، أعلم أنه وغد. لكنني أعلم أيضًا أنه قد يرمي بنفسه من فوق منحدر لأجلكِ. أرجوكِ توقفي عن محاولة تحطيمه.

***

جرت محاكمة أنغ تسولين في صباح اليوم التالي على منصة مرتفعة أمام القصر. احتشد جنود الجمهورية في الساحة بالأسفل، وارتسمت على وجوههم تعبيرات موحدة من الاستياء البارد. مُنع المدنيون من الحضور. كان خبر خيانة تسولين قد أصبح معرفة عامة الآن، لكن فايسرا لم يرد شغبًا. لم يرد لتسولين أن يموت وسط الفوضى. أراد أن يمنح سيده القديم موتًا دقيقًا، نظيف التنفيذ، تمتد فيه كل ثانية صامتة لأطول فترة ممكنة.

قاد القائد إريدين وحراسه تسولين إلى أعلى المنصة. سمحوا له بالاحتفاظ بكرامته — فلم يكن معصوب العينين ولا مقيداً. في ظروف أخرى، ربما بدا وكأنه يتلقى أرفع الأوسمة.

التقى فايسرا بتسولين في وسط المنصة، وناوله سيفًا مغلفًا، ومال إلى الأمام ليهمس بشيء في أذنه.

همست رين في أذن كيتاي:

— "ما الذي يحدث؟"

شرح كيتاي:

— "إنه يمنحه خيار الانتحار. نهاية مشرفة لخائن مخزٍ. لكن فقط إذا اعترف تسولين بأخطائه وتاب عنها."

— "هل سيفعل؟"

— "أشك في ذلك. حتى الانتحار المشرف لا يمكنه محو ذلك النوع من العار."

وقف تسولين وفايسرا ساكنين على المنصة، يرمق كل منهما الآخر بصمت. ثم هز تسولين رأسه وأعاد السيف.

قال بصوت عالٍ:

— "نظامك هو ديمقراطية صورية. وكل ما فعلته هو تسليم بلادك ليحكمها الشياطين ذوو العيون الزرقاء."

سرت همهمة من القلق بين الجنود.

جالت عينا فايسرا في الحشد ووقعتا على رين. أشار إليها بإصبع واحد.

— "تعالي إلى هنا."

لفتت حولها، آملة أنه يشير إلى شخص آخر.

تمتم كيتاي:

— "اذهبي."

— "ماذا يريد مني؟"

— "ماذا تظنين؟"

امتقع لونها.

— "لن أفعل هذا."

لكزه كيتاي برفق.

— "من الأفضل ألا تفكري في الأمر كثيرًا."

تحركت متثاقلة للأمام، متكئة بثقل على عصاها. كانت لا تزال بالكاد تستطيع المشي. الأسوأ كان الألم في أسفل ظهرها، لأنه لم يكن موضعيًا. بدت تلك العقدة متصلة بكل عضلة في جسدها — في كل مرة تخطو خطوة أو تحرك ذراعيها، شعرت وكأنها طُعنت.

انشق صف الجنود ليفسحوا لها طريقًا إلى المنصة. صعدت بخطوات بطيئة ومرتعشة. كل خطوة كانت تشد بغرز جرحها أسفل ظهرها بألم.

توقفت أخيرًا أمام أمير الحرب لمقاطعة "الثعبان". قابل نظرتها بعينين متعبتين. حتى الآن، وحتى وهو تحت رحمتها تمامًا، بدا وكأنه يشفق عليها.

همس تسولين بصوت خافت لم تسمعه سواها:

— "دمية حتى النهاية. متى ستتعلمين؟"

قالت:

— "أنا لست دمية."

هز رأسه.

— "ظننت أنكِ قد تكونين الذكية بينهم. لكنكِ سمحتِ له بأخذ كل ما يحتاجه منكِ وانصعتِ تمامًا كعاهرة."

كادت ترد، لكن فايسرا تكلم مقاطعًا إياها.

— "افعليها." قال ببرود.

لم تكن بحاجة لتسأل عما يعنيه. عرفت ما يريده منها. الآن، وما لم تكن ترغب في إثارة الشكوك، كان عليها أن تكون سلاح فايسرا المطيع للجمهورية.

وضعت كفها الأيمن على صدر تسولين، فوق قلبه مباشرة، ودفعت.

اشتعلت أصابعها الملتوية بنيران حارقة جدًا لدرجة أن أظافرها غاصت مباشرة في لحمه وكأنها تنبش في قطعة "توفو" طرية.

انتفض تسولين وارتعش لكنه أبقى فمه مغلقًا. توقفت للحظة، مذهولة من قدرته على عدم الصراخ لكل هذا الوقت.

قالت:

— "أنت شجاع."

لهث قائلًا:

— "ستموتين، أيتها الحمقاء."

أغلقت أصابعها حول شيء ظنت أنه قد يكون قلبه. اعتصرته. سقط رأس تسولين. وفوق كتفه المتهدل، رأت فايسرا يومئ ويبتسم.

***

أرادت رين الخروج من أرلونغ فورًا بعد ذلك. لكن كيتاي جادلها، ووافقت هي على مضض، بأنهما لن يقطعا ميلًا واحدًا خارج القناة. لم تكن تستطيع المشي بشكل سليم بعد، ناهيك عن الركض. كانت جراحها المفتوحة تتطلب فحوصات يومية في المستشفى، وهي معرفة طبية لا يملكها أي منهما ليقوم بها بمفرده.

لم يكن لديهم أيضًا خطة هروب. لم يسمعوا سوى الصمت من مواغ. إذا غادروا الآن، فسيتعين عليهم السفر سيرًا على الأقدام ما لم يتمكنوا من سرقة قارب نهري، وكان أمن أرصفة أرلونغ أجود من أن يتمكنا من فعل ذلك.

لم يكن لديهم خيار سوى الانتظار، على الأقل حتى تشفى رين بما يكفي للصمود في قتال.

ظل كل شيء معلقًا في توازن متوتر. لم تتلقَ رين أي كلمة من فايسرا أو "الهسبيريين". لم تستدعها الأخت بيترا للفحص منذ أشهر. لم يقم رين وكيتاي بأي تحركات علنية للهرب. لم يكن لدى فايسرا أي سبب للاشتباه في أن ولاءاتها قد تحولت، لذا كانت تعمل بمساحة حرية معقولة. منحها ذلك وقتًا لمعرفة خطوتها التالية. كانت فأرة تقترب ببطء من المصيدة. ستطبق عليها عندما تتحرك للهرب، ولكن ليس قبل ذلك.

بعد أسبوع من إعدام تسولين، سلم خدم القصر طردًا ثقيلًا ملفوفًا بالحرير إلى غرفتها. عندما فتحته وجدت فستانًا احتفاليًا مع تعليمات بارتدائه والظهور على المنصة في غضون ساعة.

لم تكن رين قادرة بعد على رفع يديها بالكامل فوق رأسها، لذا استعانت بفينكا.

رفعت رين قطعة قماش مستطيلة وسائبة.

— "ما الذي يفترض بي فعله بهذا بحق الجحيم؟"

— "اهدئي. إنه شال، تقومين فقط بإسداله تحت كتفيكِ."

أخذت فينكا القماش من رين ولفته بمرونة فوق ذراعي رين العلويين.

— "هكذا. بحيث ينساب كالماء، أترين؟"

كانت رين تشعر بالحر والإحباط الشديدين لدرجة أنها لم تكترث بمدى انسيابية ملابسها. التقطت مستطيلًا سائبًا آخر بدا مطابقًا لشالها.

— "وماذا عن هذا إذًا؟"

رمشت فينكا في وجهها وكأنها حمقاء.

– "تربطينه حول خصركِ."

كان الظلم الأكبر، كما فكرت رين، هو أنهم ورغم إصاباتها، ما زالوا يجبرونها على المشي في موكب النصر. أصر فايسرا على أن الأمر حاسم من أجل المراسم. أراد تقديم عرض لـ "الهسبيريين". استعراض للامتنان وآداب السلوك "النيقارية". إثبات أنهم متحضرون.

سئمت رين من اضطرارها لإثبات إنسانيتها.

كان الرداء يستنزف صبرها بسرعة. الشيء اللعين كان حارًا، خانقًا، وضيقًا جدًا لدرجة أنه قيد حركتها بطرق جعلت تنفسها يتسارع. ارتداؤه تطلب الكثير من القطع المتحركة لدرجة أنها كادت تغرى برمي الكومة بأكملها في الزاوية وإضرام النار فيها.

أصدرت فينكا صوت اشمئزاز وهي تراقب رين تثبت الوشاح حول خصرها بعقدة بحار سريعة.

– "هذا يبدو مريعًا."

– "سينفك بخلاف ذلك."

– "هناك أكثر من طريقة لربط عقدة. وهذا فضفاض للغاية أيضًا. تبدين وكأنكِ ضُبطتِ وأنتِ تعبثين مع أحد رجال الحاشية."

شدت رين الوشاح حتى ضغط على ضلوعها.

– "هكذا؟"

– "أحكم."

– "لكنني لا أستطيع التنفس."

– "هذا هو المغزى. توقفي فقط عندما تشعرين أن ضلوعكِ على وشك التحطم."

– "أعتقد أن ضلوعي قد تحطمت. مرتين حتى الآن."

– "إذًا المرة الثالثة لن تسبب ضررًا أكبر."

أخذت فينكا الوشاح من يدي رين وبدأت في إعادة ربط العقدة بنفسها.

– "أنتِ لا تُصدقين."

— "ما الذي يفترض أن يعنيه ذلك؟"
— "كيف وصلتِ إلى هذا الحد دون أن تتعلمي شيئًا من الحيل الأنثوية؟"
كانت العبارة سخيفة لدرجة أن رين نخرت ضاحكة في كمها.
— "نحن جنود. أين تعلمتِ أنتِ الحيل الأنثوية؟"
— "أنا أرستقراطية. قضى والداي حياتهما مصممين على تزويجي من وزير ما."
ابتسمت فينكا بتكلف.
— "كانا منزعجين قليلًا عندما التحقت بالجيش بدلًا من ذلك."
سألت رين:
— "ألم يريدوا لكِ الالتحاق بـ (سينغارد)؟"
— "لا، كرها الفكرة. لكنني أصريت عليها. أردت المجد والانتباه. أردت أن يكتبوا قصصًا عني. انظري كيف انتهى ذلك."
شدت فينكا العقدة بإحكام.
— "لديكِ زائر، بالمناسبة."
استدارت رين.
كان نزهة يقف في المدخل، ويداه تتدليان بشكل محرج بجانبيه. تنحنح قائلًا:
— "مرحبًا."
ربتت فينكا على كتف رين.
— "استمتعي بوقتكِ."
قال نزهة:
— "تلك عقدة جميلة."
غمزت فينكا وهي تتبختر متجاوزة إياه.
— "هي أجمل على من ترتديها."

صوت الصرير الذي أصدره الباب عند إغلاقه ربما كان أعلى ضجيج سمعته رين على الإطلاق.

عبر نزهة الغرفة ليقف بجانبها أمام المرآة. نظرا إلى بعضهما البعض في الزجاج. ذُهلت من التباين بينهما — كم كان أطول منها، وكم بدت بشرته شاحبة بجانب بشرتها، وكم بدا أنيقًا وطبيعيًا في الزي الاحتفالي.

بدت هي مثيرة للسخرية. وبدا هو وكأنه في مكانه الطبيعي.

قال:

— "تبدين بحال جيدة."

نخرت ساخرة.

— "لا تكذب في وجهي."

— "لن أكذب عليكِ أبدًا."

بدا الصمت الذي تلا ذلك ثقيلًا.

كان الحديث عما يجب أن يتحدثا عنه يبدو بديهيًا، لكنها لم تعرف كيف تفتح الموضوع. لم تعرف أبدًا كيف تطرح الأمور بوجوده. كان لا يمكن التنبؤ به، دافئًا في دقيقة وباردًا تجاهها في التالية. لم تكن تعرف أبدًا مكانتها عنده؛ لم تكن تعرف أبدًا ما إذا كان بإمكانها الوثوق به، وكان ذلك محبطًا للغاية لأنه باستثناء كيتاي، كان هو الشخص الوحيد الذي أرادت أن تخبره بكل شيء.

أخيرًا، سألت:

— "كيف تشعر؟"

قال باستخفاف:

— "سأبقى على قيد الحياة."

انتظرت أن يكمل، لكنه لم يفعل.

كانت مرتعبة من قول المزيد. أدركت أن فجوة قد انشقت بينهما، لكنها لم تكن تعرف كيف تجسرها.

حاولت قائلة:

— "شكرًا لك."

رفع حاجبًا.

— "على ماذا؟"

— "لم تكن مضطرًا لإنقاذي. لم تكن مضطرًا لـ... فعل ما فعلته."

قال، ولم تستطع تحديد ما إذا كانت الخفة في نبرته مفتعلة أم لا:

— "بلى، كنت مضطرًا. كيف سيكون مظهري لو تركتُ (السبيرلية) الخاصة بنا تموت؟"

قالت:

— "لقد آلمك ذلك."

وجعلتك تدخن من الأفيون ما يكفي لقتل عجل.

— "أنا آسفة."

قال:

— "ليس خطأكِ. نحن بخير."

لكنهما لم يكونا بخير. شيء ما تحطم بينهما، وكانت واثقة من أنه خطؤها. لكنها لم تكن تعرف كيف تصلحه.

قالت قاطعة الصمت، إذ لم تعد تطيق الاحتمال، وكان لزامًا عليها الفرار:

— "حسنًا. سأذهب للبحث عن..."

سأل نزهة فجأة، مما جعلها تجفل:

— "هل رأيتها تموت؟"

— "من؟"

— "داجي. لم نعثر أبدًا على جثة."

قالت:

— "قدمت تقريري لوالدك."

كانت قد أخبرت فايسرا وإريدين أن داجي ماتت، غرقت، واستقرت في قاع نهر "موروي".

— "أعرف ما أخبرته به. والآن أريدكِ أن تخبريني الحقيقة."

– "تلك هي الحقيقة."

قسا صوت نزهة.

– "لا تكذبي علي."

كتفت ذراعيها.

– "ولماذا قد أكذب بشأن ذلك؟"

– "لأنهم لم يعثروا على جثة."

– "كنتُ محاصرة تحت سارية لعينة يا نزهة. كنت مشغولة جدًا بمحاولة عدم الموت لدرجة تمنعني من التفكير."

– "إذًا لماذا أخبرتِ الأب أنها ماتت؟"

اختلقت رين تفسيرًا من العدم بسرعة.

– "لأنني أعتقد أنها كذلك! رأيت فايلين يحطم تلك السفينة. رأيتها تسقط في الماء. وإذا لم تتمكنوا من العثور على جثة فهذا يعني فقط أنها مدفونة هناك في الأسفل مع عشرة آلاف جثة أخرى تسد قناتكم. ما لا أفهمه هو لماذا تتصرف وكأنني خائنة بينما قتلتُ إلهًا من أجلك للتو."

تنهد نزهة.

– "أنا آسف. لا، أنتِ محقة. أنا فقط... أريد أن نكون قادرين على الوثوق ببعضنا البعض."

بدت عيناه صادقتين للغاية. لقد صدق الأمر حقًا.

زفرت رين، مذهولة من الكيفية التي نجت بها بأعجوبة.

وضعت يدًا على ذراعه.

– "لم أكذب عليك أبدًا."

كان التمثيل سهلًا للغاية. لم تكن مضطرة لتزييف مودتها له. شعرت بالرضا وهي تخبر نزهة بما يريد سماعه.

– "ولن أفعل أبدًا. أقسم."

منحها نزهة ابتسامة. ابتسامة حقيقية.

– "يعجبني عندما نكون في الصف نفسه."

قالت:
— "وأنا أيضًا."
وأخيرًا، لم تكن تلك كذبة. كم تمنت بيبأس لو كان بإمكانهما البقاء كذلك.

***

كان الحضور في الموكب هزيلًا ومثيرًا للشفقة. لم يفاجئ ذلك رين. في تيكاني، كان الناس يخرجون للمهرجانات فقط لأنها تحمل وعدًا بالطعام والشراب المجاني، لكن أرلونغ التي حطمتها المعركة لم تكن تملك الموارد لتوفير أي منهما. أمر فايسرا بتوزيع حصة إضافية من الأرز والسمك في جميع أنحاء المدينة، لكن بالنسبة للمدنيين الذين فقدوا منازلهم وأقاربهم للتو، لم يكن ذلك سببًا كافيًا للاحتفال.

كانت رين لا تزال بالكاد تستطيع المشي. توقفت عن استخدام عصاها، لكنها لم تستطع التحرك لأكثر من خمسين ياردة دون أن يصيبها الإنهاك، وكان ذراعاها وساقاها مليئة بألم مشدود ومبرح بدا وكأنه يزداد سوءًا.

قال كيتاي عندما تعثرت على المنصة:
— "يمكننا أن نجعلك تركبين محفة إذا احتجتِ."
تشبثت رين بذراعه الممدودة.
— "سأمشي."
— "لكنكِ تتألمين."
قالت:
— "المدينة بأكملها تتألم. هذا هو المغزى."

لم تكن قد رأت المدينة خارج المستشفى حتى الآن، وكان الدمار مؤلمًا للعين. استمرت الحرائق في المدينة الخارجية مشتعلة لما يقرب من يوم بعد المعركة، ولم يخمدها سوى هطول المطر. ظل القصر سليمًا، وإن كان قد اسودّ في جزئه السفلي. الخضرة اليانعة لجزيرة القناة استُبدلت بأشجار ميتة ذابلة

ورماد. اكتظت المستشفيات بالجرحى. ورقد الموتى في صفوف منتظمة على الشاطئ، بانتظار دفن لائق.

لم يكن موكب فايسرا شهادة على النصر، بل اعترافًا بالتضحية. قدرت رين ذلك. لم يكن هناك موسيقيون مبهرجون، ولا استعراضات فجة للثروة والقوة. مشى الجيش في الشوارع ليظهروا أنهم نجوا. وأن الجمهورية لا تزال حية.

تصدّرت سايخارا الموكب، تخطف الأنفاس في أردية من اللون اللازوردي والفضة. وسار فايسرا خلفها مباشرة. خط الشيب شعره أكثر بكثير مما كان عليه قبل أشهر، وكان يمشي بلمحة بالكاد تُلحظ من العرج، لكن حتى علامات الضعف تلك بدت وكأنها تزيد من وقاره. كان يرتدي ملابس كإمبراطور، وبدت سايخارا كإمبراطورة له. كانت أمهم المقدسة وكان هو مخلصهم، وأبهم، وحاكمهم في آن واحد.

خلف ذلك الزوج السماوي وقفت القوة العسكرية الكاملة للغرب. اصطف الجنود "الهسبيريون" في الشوارع. وانجرفت المناطيد "الهسبيرية" ببطء عبر الهواء فوقهم. ربما وعد فايسرا ببدء حكومة ديمقراطية، لكن إذا كان ينوي المطالبة بالإمبراطورية بأكملها، فقد شكت رين في أن أي شخص يمكنه إيقافه.

سأل كيتاي:

– "أين أمراء الحرب الجنوبيون؟"

ظل يلتفت حوله ليلقي نظرة على صف الجنرالات.

– "لم أرهم طوال اليوم."

بحثت رين في الحشد. كان محقًا؛ أمراء الحرب كانوا غائبين. لم تستطع رؤية لاجئ جنوبي واحد أيضًا.

سألت:

– "هل تعتقد أنهم غادروا؟"

– "أعرف أنهم لم يفعلوا. الوديان لا تزال مليئة بمخيمات اللاجئين. أعتقد أنهم اختاروا عدم الحضور."

— "لماذا، كنوع من الاحتجاج؟"
قال:
— "أفترض أن هذا منطقي. لم يكن هذا نصرهم."

استطاعت رين فهم ذلك. النصر في "المنحدرات الحمراء" لم يحل سوى القليل جدًا من مشاكل الجنوب. نزفت القوات الجنوبية من أجل نظام استمر في معاملتهم كتضحية ضرورية وحسب. لكن أمراء الحرب كانوا يضحون بالحكمة من أجل احتجاج رمزي. كانوا بحاجة للقوات "الهسبيرية" لتطهير جيوب "الاتحاد" في مقاطعاتهم الأصلية. كان ينبغي عليهم بذل قصارى جهدهم لاستعادة حظوة فايسرا.

بدلًا من ذلك، أوضحوا ولاءاتهم، تمامًا كما فعلوا معها في ذلك الزقاق قبل أيام.

تساءلت عما يعنيه ذلك للجمهورية. لم يقدم الجنوب إعلان حرب مفتوح. لكنهم لم يظهروا تعاونًا مطيعًا أيضًا. هل سيرسل فايسرا الآن تلك المناطيد المسلحة لغزو تيكاني؟

خططت رين لأن تكون بعيدة قبل وقت طويل من وصول الأمر إلى ذلك الحد.

توج الموكب بطقوس جنائزية للموتى على ضفة النهر. كان الحضور لهذا الحدث أكبر بكثير. اصطف حشد من المدنيين تحت المنحدرات. لم تستطع رين التمييز ما إذا كان الماء يعكس فقط "المنحدرات الحمراء"، لكن بدا الأمر وكأن القناة لا تزال مخضبة بالدماء.

وقف جنرالات وأدميرالات فايسرا في خط مستقيم على الشاطئ. ميزت شرائط معلقة على أعمدة أولئك الغائبين من ذوي الرتب. أحصت رين شرائط أكثر من الأشخاص.

قالت وهي تنظر إلى أكوام الجثث المتعفنة والمبللة:
— "هذا عمل حفر كثير للغاية."

قضى الجنود أيامًا في انتشال الجثث من الماء، والتي لولا ذلك لكانت سممت المياه بطعم التعفن الكريه لسنوات.

قال كيتاي:

— "هم لا يدفنون موتاهم في أرلونغ. يرسلونهم إلى البحر."

راقبوا الجنود وهم يحملون أهرامات من الجثث على طوافات، ثم يدفعونها إلى الماء واحدة تلو الأخرى. كانت كل محرقة مغطاة بكفن جنائزي مغموس بالزيت. وبأمر من فايسرا، أطلق رجال إريدين وابلًا من السهام المشتعلة على أسطول الجثث. وجد كل سهم هدفه. اشتعلت المحارق بفرقعة حادة ومرضية.

قالت رين:

— "كان بإمكاني فعل ذلك."

— "الأمر يعني أقل عندما تفعلينه أنتِ."

— "لماذا؟"

أومأ كيتاي من فوق كتفها.

— "لأن الشيء الوحيد الذي يجعل للأمر معنى هو احتمالية ألا يصيبوا الهدف. انظري من هنا."

تتبعت خط بصره لتجد رامسا، وباجي، وسوني يقفون عند حافة الشاطئ بعيدًا قليلًا عن تجمع للمدنيين. كانوا ينظرون إليها. لوح لها رامسا تلويحة صغيرة.

لم تستطع منع نفسها من الابتسام بارتياح.

لم تحظ بفرصة للتحدث إلى السيك منذ عشية المعركة. كانت تعلم أنهم بخير، لكن لم يُسمح لهم بدخول المستشفى، ولم ترغب هي في إثارة جلبة خوفًا من إثارة شكوك "الهسبيريين". قد تكون هذه فرصتهم الوحيدة للتحدث على انفراد.

مالت لتهمس في أذن كيتاي:

— "هل ينظر أحد؟"

قال:
— "أعتقد أنكِ بخير. أسرعي."
تحركت، وهي تعرج، بأسرع ما يمكنها أسفل الشاطئ.
قال باجي مرحبًا:
— "أرى أنهم أطلقوا سراحك أخيرًا من مزرعة الموت."
كررت:
— "مزرعة الموت؟"
— "لقب رامسا للمستشفى."
قال رامسا:
— "لأنهم كانوا يخرجون الجثث كل يوم في عربات الحبوب. سعيد أنكِ لم تكوني في واحدة منها."
سأل باجي:
— "ما مدى سوء الأمر؟"
مررت أصابعها غريزيًا على أسفل ظهرها.
— "يمكن التعامل معه. يؤلم، لكن يمكنني المشي دون مساعدة الآن. هل خرجتم جميعًا سالمين؟"
أراها باجي ساقيه المضمّدتين.
— "تقريبًا. كُشطت ساقاي عندما كنت أقفز من سفينة. وألقى رامسا فتيلًا متأخرًا جدًا، فأصيب بحروق سيئة في ركبته. سوني بخير تمامًا. هذا الرجل يمكنه النجاة من أي شيء."
قالت:
— "جيد."
جالت ببصرها بسرعة في أنحاء الشاطئ. لم يكن أحد ينتبه إليهم؛ كانت عيون الحشد مثبتة على المحارق الجنائزية. ومع ذلك خفضت صوتها.
— "لا يمكننا البقاء هنا بعد الآن. استعدوا للركض."

سأل باجي:

– "متى؟"

لم يبدُ أي منهم متفاجئًا. بل بدا وكأنهم جميعًا كانوا يتوقعون ذلك.

– "قريبًا. لسنا بأمان هنا. فايسرا لم يعد بحاجة إلينا ولا يمكننا الاعتماد على حمايته. الهسبيريون لا يعرفون أنك أنت وسوني (شامان)، لذا لدينا القليل من الحرية. لا يعتقد كيتاي أنهم سيتحركون فورًا. لكن لا ينبغي لنا التلكؤ."

قال رامسا:

– "الشكر للآلهة. لم أكن أطيقهم. رائحتهم فظيعة."

رمقه باجي بنظرة.

– "حقًا؟ هذه هي شكواك الكبرى؟ الرائحة؟"

أصر رامسا:

– "إنها نتنة. مثل توفو حامض."

تحدث سوني لأول مرة:

– "إذا كنتم قلقين، فلماذا لا نخرج الليلة؟"

قالت رين:

– "هذا مناسب."

سأل رامسا:

– "أي تفاصيل؟"

– "ليس لدي خطة أبعد من الهروب. حاولنا ضم مواغ إلينا، لكنها لم تستجب. سيتعين علينا شق طريقنا خارج المدينة بمفردنا."

قال باجي:

– "مشكلة واحدة. أنا وسوني في دورية ليلية. أتظنين أن ذلك سيلفت انتباههم إذا اختفينا؟"

افترضت رين أن هذا هو بالضبط السبب الذي وضعوهم من أجله في الدورية الليلية.

سألت:

— "متى ينتهي دوامكما؟"

— "ساعة قبل الفجر."

قالت:

— "إذًا سنذهب حينها. سنتجه مباشرة نحو المنحدرات. لا تنتظروا عند البوابات، سيجذب ذلك الانتباه فقط. سنكتشف ما سنفعله بمجرد خروجنا من المدينة. هل يناسبكم ذلك؟"

قال باجي:

— "تمام."

وأومأ رامسا وسوني.

لم يكن هناك شيء آخر لمناقشته. وقفوا معًا في مجموعة، يراقبون الجنازة في صمت لبضع دقائق. نمت النيران على المحارق لتصبح لهيبًا كاملًا. لم تكن رين تعرف ما الذي يدفع المحارق بعيدًا نحو البحر، لكن الطريقة التي شوشت بها النيران الهواء فوقها كانت منومة بشكل غريب.

قال باجي:

— "إنه منظر جميل."

قالت:

— "أجل. إنه كذلك."

قال رامسا:

— "تعلمون ما سيحدث لهم، أليس كذلك؟ سيطفون لمدة ثلاثة أيام تقريبًا. ثم ستبدأ المحارق في التفكك. الخشب المحروق ضعيف والأجساد ثقيلة كاللعنة. ستغوص في المحيط، وستنتفخ وتتفتت ما لم ينهش السمك كل شيء عدا العظام أولًا."

حمل صوته الهش عبر هواء الصباح الساكن. بدأت الرؤوس تلتفت.

تمتمت رين:

— "هل ستتوقف؟"

قال رامسا:

– "آسف. كل ما أقوله هو أنه كان ينبغي عليهم حرقهم على اليابسة وحسب."

قال باجي:

– "لا أعتقد أنهم أخرجوا كل الجثث. رأيت جثثًا في النهر أكثر من ذلك. كم جنديًا إمبراطوريًا تعتقدون أنه لا يزال في الأسفل؟"

رمقته رين بنظرة حادة.

– "باجي، أرجوك..."

– "تعلمين، الأمر مضحك. سيتغذى السمك على الجثث. ثم ستأكلين السمك، وستتغذين حرفيًا على أجساد أعدائك."

حدقت فيه بعيون ضبابية.

– "هل أنت مضطر لفعل ذلك؟"

– "ماذا، ألا تظنين أن الأمر مضحك؟"

وضع ذراعه حولها.

– "هيه. لا تبكي... أنا آسف."

ابتلعت ريقها بصعوبة. لم تقصد البكاء. لم تكن متأكدة حتى من سبب بكائها – لم تكن تعرف أيًا من الجثث على المحرقة، ولم يكن لديها أي سبب للحزن.

تلك الجثث لم تكن خطأها. ومع ذلك شعرت بالبؤس.

همست:

– "لا أحب الشعور بهذه الطريقة."

ربت باجي على كتفها.

– "ولا أنا، يا صغيرة. لكن هذه هي الحرب. على الأقل أنتِ في الجانب المنتصر."

الفصل الخامس والثلاثون

عزّ النوم على رين تلك الليلة. جلست منتصبة في سريرها بالمستشفى، تحدق عبر النافذة نحو الميناء الساكن، وتعد الدقائق المتبقية حتى بزوغ الفجر.

أرادت أن تذرع الممر جيئة وذهابًا، لكنها لم ترغب في أن يلاحظ طاقم المستشفى غرابة سلوكها. تمنت بيبأس لو كان بإمكانها أن تكون بصحبة كيتاي، ليدرسا سويًا كل الاحتمالات الممكنة للمرة الأخيرة، لكنهما كانا ينامان في غرفتين منفصلتين كل ليلة. لم تكن تستطيع المخاطرة بإظهار أي إشارة تدل على نيتها الرحيل حتى تضمن خروجها من بوابات المدينة.

لم تحزم شيئًا. لم تكن تملك الكثير مما يستحق عناء الحمل؛ ستأخذ معها سيفها الطويل الاحتياطي، ذاك الذي لم يُفقد في قاع القناة، والملابس التي تستر ظهرها. ستترك كل ما عدا ذلك خلفها في الثكنات. فكلما أخذت معها أغراضًا أكثر، أدرك فايسرا أسرع أنها رحلت بلا رجعة.

لم تكن لدى رين أدنى فكرة عما ستفعله بمجرد الخروج. لم ترد مواغ على رسالتها بعد. ربما لم تتسلمها من الأساس، وربما استلمتها واختارت تجاهلها، أو لعلها أخذتها مباشرة إلى فايسرا.

ربما كانت "أنخيلون" مقامرة خاسرة. لكن لم تكن أمام رين ببساطة أية خيارات أخرى.

كل ما عرفته هو حاجتها للخروج من المدينة. لمرة واحدة، احتاجت أن تكون سابقة لـ فايسرا بخطوة. لم يشك أحد في أنها قد تغادر، مما يعني أن أحدًا لم يكن ليمنعها من الذهاب.

لم تملك أي ميزات تتجاوز ذلك، لكنها ستدبر أمر البقية بمجرد أن تصبح "المنحدرات الحمراء" خلف ظهرها بمسافة كافية.

سأل صوت:

– "أترغبين في كأس؟"

انتفضت فزعة، ويداها تتخبطان بحثًا عن سيفها.

قال نزهة:

– "بحق أثداء النمر، إنه أنا وحسب."

لهثت قائلة:

– "آسفة."

هل استطاع قراءة الخوف على وجهي؟ أعادت ترتيب ملامحها بسرعة لتصطنع مظهرًا من الهدوء.

– "ما زلت متوترة. كل ضجيج أسمعه يبدو كدوي المدافع."

رفع نزهة إبريقًا.

– "أعرف هذا الشعور. قد يساعد هذا."

– "ما هذا؟"

ابتسم قائلًا:

– "نبيذ الذرة. نحن خارج الخدمة لأول مرة منذ زمن لا يتذكره أي منا. لنذهب ونثمل حتى الثمالة."

سألت بحذر:

– "من تقصد بنحن؟"

مد يده إليها.

– "أنا وفينكا. وسنمر لإحضار كيتاي أيضًا. هيا بنا. إلا إذا كان لديكِ شيء أفضل لتفعليه؟"

ترددت رين، وعقلها يسابق الأفكار بجنون.

كانت فكرة مريعة أن تسكر ليلة هروبها. لكن نزهة قد يشك في شيء ما إذا رفضت هي وكيتاي الدعوة. كان محقًا؛ لم يكن لديها ولا لدى كيتاي عذر مقنع

للتواجد في أي مكان آخر. جميعهم كانوا خارج الخدمة منذ أن رست سفن "الهسبيريين" في الميناء.

إذا لم تكن تنوي الخيانة، فما الداعي للرفض بحق السماء؟

قال نزهة مرة أخرى:

— "هيا. بضعة كؤوس لن تضر."

رسمت ابتسامة باهتة وأخذت يده.

— "لقد قرأت أفكاري."

حاولت تهدئة ضربات قلبها المتسارعة وهي تتبعه خارج الثكنات.

لا بأس بهذا. يمكنها تحمل كلفة هذه الحرية الوحيدة. بمجرد مغادرتها "أرلونغ"، قد لا ترى نزهة مرة أخرى أبدًا. كانت تعلم، رغم الرابط بينهما، أنه لن يغادر جانب والده أبدًا. لم ترد أن يتذكرها كخائنة. أرادت أن يتذكرها كصديقة.

لديها وقت حتى الساعة التي تسبق الفجر. لا ضير في وداع لائق.

***

لم تعلم رين من أين دبر نزهة وفينكا كل تلك الكمية من الخمور في مدينة تحظر بيعها للجنود. عندما وصلت خارج المستشفى، كانت فينكا تنتظر في الشارع مع عربة كاملة محملة بجرار مختومة. أحضر نزهة كيتاي من الثكنات. ثم دفعوا العربة معًا إلى أعلى برج في القصر، حيث جلسوا يطلون على "المنحدرات الحمراء"، ويمسحون بنظراتهم حطام الأساطيل الطافية في الأسفل.

لم يتحدثوا في الدقائق القليلة الأولى. راحوا يحتسون الشراب بنهم، محاولين الوصول إلى أقصى درجات الثمالة. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا.

ركلت فينكا قدم نزهة.

— "هل أنت متأكد أننا لن نُسجن بسبب هذا؟"

منحها نزهة ابتسامة كسولة.

— "لقد ربحنا للتو أهم معركة في تاريخ الإمبراطورية. أعتقد أنه مسموح لكِ بالاحتساء."

قالت رين:

– "إنه يحاول توريطنا."

لم تكن تنوي البدء في الشرب. لكن فينكا ونزهة استمرا في إلحاحهما، ولم تعرف كيف ترفض دون إثارة الشبهات. وبمجرد أن بدأت، صار التوقف أصعب فأصعب. كان نبيذ الذرة مريعًا فقط في الرشفات الأولى، حين شعر وكأنه يحرق مريئها، لكن سرعان ما استقر خدر لذيذ ومبهج في جسدها وبدأ النبيذ يتخذ طعم الماء.

سيزول مفعوله في غضون ساعات قليلة، فكرت بذهن مشوش. ستكون بخير بحلول الفجر.

قال نزهة:

– "صدقيني، لست بحاجة لهذا لتوريط أي منكم."

شمت فينكا جرتها.

– "هذا الشيء مقزز."

سأل نزهة:

– "ماذا تفضلين؟"

– "نبيذ أرز الخيزران."

قال كيتاي:

– "السيدة متطلبة."

تعهد نزهة:

– "سأدبره."

قلده كيتاي ساخرًا:

– "سأدبره."

سأل نزهة:

– "هل لديك مشكلة؟"

– "لا، مجرد سؤال. هل فكرت يومًا في التخفيف من ادعائك المقيت؟"

وضع نزهة جرته جانبًا.

– "هل فكرت أنت يومًا في مدى قرب وقوفك من حافة السطح؟"

قالت فينكا وهي تبرم خصلة شعر بين أصابعها، بينما ينفض كيتاي قطرات النبيذ على نزهة:

– "يا أولاد، يا أولاد."

صاح نزهة:

– "توقف."

– "أجبرني."

شربت رين بثبات، تراقب بعينين نصف مغمضتين نزهة وهو يزحف على ركبتيه عبر البرج لينقض على كيتاي ويسقطه أرضًا. افترضت أنه يجب عليها الخوف من احتمالية سقوطهما من الحافة، لكن بحكم سكرتها، بدا الأمر مضحكًا للغاية.

أعلن كيتاي فجأة، دافعًا نزهة عنه:

– "لقد تعلمت شيئًا."

قالت فينكا:

– "أنت دائمًا تتعلم أشياء. كيتاي العلامة."

قال كيتاي:

– "أنا رجل لديه فضول فكري."

– "تقبع دائمًا في المكتبة. أتعلم، لقد راهنت مرة في (سينغارد) أنك تقضي كل ذلك الوقت تمارس العادة السرية."

بصق كيتاي ملء فمه من النبيذ.

– "ماذا؟"

سندت فينكا ذقنها على يديها.

– "حسنًا، هل كنت تفعل؟ لأنني أرغب في استعادة نقودي."

تجاهلها كيتاي.

– "ما أقصده هو... اسمعوا يا رفاق، هذا مثير للاهتمام حقًا. هل تعلمون لماذا كانت قوات الميليشيا تقاتل وكأنها لم تمسك سيفًا من قبل؟"

قال نزهة:

— "لقد كانوا يقاتلون بمهارة أكبر قليلًا من ذلك."

قالت فينكا:

— "لا أريد الحديث عن القوات."

لكزها نزهة بمرفقه.

— "جاريه. وإلا فلن يصمت أبدًا."

قال كيتاي:

— "إنها الملاريا."

بدا صوته في البداية وكأنه يشهق، لكنه تدحرج على جانبه، يقهقه بشدة لدرجة أن جسده كله اهتز. أدركت رين أنه ثمل؛ ربما أكثر منها، رغم المخاطرة. لابد أن كيتاي يشعر بما تشعر به — سعيد، وبشكل هذياني، لكونه لمرة واحدة بصحبة أصدقاء ليسوا في خطر، وشكت في أنه، هو أيضًا، أراد تعليق الواقع وكسر القواعد، وتجاهل حقيقة أنهم على وشك الافتراق للأبد، والاكتفاء بمشاركة آخر جرار النبيذ هذه.

لم ترد للفجر أن يأتي. كانت لتمد هذه اللحظة إلى الأبد لو استطاعت.

تابع كيتاي:

— "إنهم غير معتادين على أمراض الجنوب. البعوض أنهكهم أكثر من أي شيء فعلناه نحن. أليس هذا مذهلًا؟"

قالت فينكا بجفاف:

— "رائع."

لم تكن رين منتبهة. زحفت مقتربة من حافة البرج. أرادت أن تطير مجددًا، أن تشعر بذلك الهبوط الحاد في معدتها، ونشوة الغوص الخالصة.

دلت قدمًا واحدة فوق الحافة واستمتعت بشعور الريح تلطم أطرافها. مالت للأمام قليلًا جدًا. ماذا لو قفزت الآن؟ هل ستستمتع بالسقوط؟

اخترق صوت كيتاي الضباب في عقلها.

— "ابتعدي عن هناك. نزهة، أمسكها..."

— "أنا لها."

أحاطت أذرع قوية بوسطها وسحبتها بعيدًا عن الحافة. أمسك بها نزهة بإحكام، متوقعًا مقاومة، لكنها دندنت بنغمة سعيدة وتراخت مستندة إلى صدره.

دمدم قائلًا:

— "هل لديكِ أدنى فكرة عن حجم المشاكل التي تسببينها؟"

— "ناولني جرة أخرى."

تردد نزهة، لكن فينكا لبت الطلب فورًا.

أخذت رين جرعة طويلة، وتنهدت، ورفعت أطراف أصابعها إلى صدغيها. شعرت وكأن تيارًا يسري في أطرافها، وكأنها دست يدها في صاعقة برق. أراحت رأسها للخلف مستندة إلى الجدار وأغمضت عينيها بقوة.

أفضل جزء في كونها ثملة هو أن لا شيء يهم.

كان بإمكانها التفكير في الأمور التي كانت تؤلم كثيرًا. كان بإمكانها استحضار الذكريات — ألتان يحترق على الرصيف، الجثث في "غولين نيس"، جسد قارا بين ذراعي تشانغان — كل ذلك دون أن تجفل، ودون العذاب المصاحب. كان بإمكانها استرجاع الماضي بانفصال هادئ، لأن لا شيء يهم ولا شيء يؤلم.

بدأ كيتاي العد بصوت عالٍ على أصابعه.

— "ستة عشر شهرًا. نحن في حالة حرب منذ عام ونصف تقريبًا، إذا بدأتم الحساب من الغزو."

قالت فينكا:

— "هذه ليست مدة طويلة. حرب الخشخاش الأولى استمرت ثلاث سنوات. وحرب الخشخاش الثانية استمرت خمسًا. ومعارك الخلافة بعد الإمبراطور الأحمر قد تستغرق ما يصل إلى سبع سنوات."

سألت رين:

— "كيف تخوض حربًا لسبع سنوات؟ ألا يصيبك الملل من القتال؟"

قال كيتاي:

– "الجنود يملون. الأرستقراطيون لا يفعلون. بالنسبة لهم، الأمر كله لعبة كبيرة. أظن أن هذه هي المشكلة."

لوحت فينكا بيديها في قوس صغير مثل قوس قزح.

– "إليكم هذه التجربة الفكرية. تخيلوا عالمًا بديلًا لم تحدث فيه هذه الحرب. لم يقم الاتحاد بالغزو قط. لا، اشطبوا ذلك، الاتحاد غير موجود أصلًا. أين أنتم؟"

سأل كيتاي:

– "في أي نقطة زمنية محددة؟"

هزت فينكا رأسها.

– "لا، عنيت، ماذا تفعلون بحياتكم؟ ماذا تتمنون لو كنتم تفعلون؟"

أمال نزهة رأسه للخلف، ونفض آخر قطرات من جرته في فمه، ثم بدا عليه خيبة الأمل عندما رفضت الجرة تقديم المزيد.

– "أعرف ما يفعله كيتاي."

ناولته فينكا جرة أخرى. حاول نزهة نزع الفلين، وفشل، وتمتم بشتيمة تحت أنفاسه، ثم حطم عنق الزجاجة بالحائط.

قالت رين:

– "حاذر. هذا صنف فاخر."

رفع نزهة الحواف المكسورة إلى شفتيه وابتسم.

قال كيتاي:

– "أكمل. أين أنا؟"

قال نزهة:

– "أنت في أكاديمية (يويلو). تجري أبحاثًا رائدة حول... حول هراء تافه مثل حركة الأجرام السماوية، أو طرق المحاسبة الأكثر فعالية عبر المقاطعات الاثنتي عشرة."

قال كيتاي:

— "لا تسخر من المحاسبة. إنها مهمة."
قالت فينكا:
— "بالنسبة لك فقط."
— "سقطت أنظمة لأن الحكام لم يوازنوا حساباتهم."
قلبت فينكا عينيها.
— "أيا يكن. ماذا عن البقية منكم؟"
قالت رين:
— "أنا بارعة في الحرب. سأستمر في خوض الحروب."
سألت فينكا:
— "ضد من؟"
— "لا يهم. أي شخص."
قال نزهة:
— "قد لا تتبقى أي حروب لخوضها الآن."
قال كيتاي:
— "دائمًا هناك حرب."
قالت رين:
— "الشيء الوحيد الدائم في هذه الإمبراطورية هو الحرب."

كانت الكلمات مألوفة جدًا لدرجة أنها قالتها دون تفكير، واستغرق الأمر منها لحظة طويلة لتدرك أنها كانت تتلو حكمة من كتاب تاريخ درسته من أجل اختبار (كيجو). كان ذلك مذهلًا — حتى الآن، كانت بقايا ذلك الامتحان لا تزال محفورة في عقلها.

كلما فكرت في الأمر أكثر، أدركت أن الشيء الوحيد الدائم بالنسبة لها قد يكون الحرب. لم تستطع تخيل أين ستكون لو لم تعد جندية. كانت السنوات الأربع الماضية هي المرة الأولى في حياتها التي تشعر فيها بأن لها قيمة. في "تيكاني"، كانت فتاة متجر غير مرئية، أقل بكثير من أن يلاحظها أحد. كانت

حياتها وموتها تافهين تمامًا. لو دهستها عربة "ريكشو" في الشارع، لما كلف أحد نفسه عناء التوقف.

أما الآن؟ الآن يطيع المدنيون أوامرها، ويطلب أمراء الحرب مقابلتها، ويخافها الجنود. الآن تتحدث إلى أعظم العقول العسكرية في البلاد وكأنهم أقرانها — أو على الأقل وكأنها تنتمي إلى المكان نفسه. الآن تحتسي نبيذ الذرة على أعلى برج في قصر "أرلونغ" مع ابن أمير حرب التنين.

لم يكن أحد ليعيرها كل هذا الاهتمام لو لم تكن بارعة جدًا في قتل الناس.

تسللت نغزة من الانزعاج عبر أحشائها. بمجرد أن تترك خدمة فايسرا، فما الذي يفترض بها فعله بحق الأرض؟

قال كيتاي:

— "يمكننا جميعًا التحول إلى وظائف مدنية الآن. لنصبح وزراء وقضاة."

قال نزهة:

— "عليك أن تُنتخب أولًا. حكومة من الشعب، وكل ذلك. يجب أن يحبك الناس."

قالت فينكا:

— "رين عاطلة عن العمل إذًا."

قال نزهة:

— "يمكنها أن تكون حارسة."

سألت رين:

— "هل أردت من أحد أن يعيد ترتيب وجهك؟ لأنني سأفعل ذلك مجانًا."

قال كيتاي بسرعة:

— "رين لن تكون عاطلة عن العمل أبدًا. سنحتاج دائمًا إلى جيوش. وسيكون هناك دائمًا عدو آخر للقتال."

سألت رين:

— "مثل من؟"

عددهم كيتاي على أصابعه.

— "وحدات الاتحاد المارقة. المقاطعات المنشقة. سكان المناطق النائية. لا تنظري إليّ هكذا يا رين؛ لقد سمعتِ بيكتر أيضًا. (الكيتربيد) يريدون الحرب."

قالت فينكا:

— "(الكيتربيد) يريدون الذهاب للحرب مع العشائر الأخرى. وماذا يحدث عندما يمتد ذلك إلينا؟ سنخوض حرب حدود أخرى في غضون عقد، أعدكم."

قال نزهة باستخفاف:

— "تلك مجرد مهمة تنظيف. سنتخلص منهم."

قال كيتاي:

— "ثم سنخلق حربًا أخرى. هذا ما تفعله الجيوش."

رد نزهة:

— "ليس جيشًا تسيطر عليه جمهورية."

جلست رين معتدلة.

— "هل تخيل أحدكم ذلك؟ (نيكان) ديمقراطية؟ هل تعتقدون حقًا أن ذلك سينجح؟"

نادرًا ما أزعجها احتمال وجود ديمقراطية فعالة أثناء الحرب نفسها. كان هناك دائمًا التهديد الأكثر إلحاحًا للإمبراطورية. لكن الآن وقد فازوا بالفعل، وأتيحت الفرصة لـ فايسرا لتحويل حلمه المجرد إلى واقع سياسي.

شكت رين في أنه سيفعل. يمتلك فايسرا الكثير من القوة الآن. لماذا بحق الأرض قد يتخلى عنها؟

لم تستطع القول إنها تلومه. لم تكن مقتنعة حتى بأن الديمقراطية فكرة جيدة أصلًا. كان "النيكاريون" يقتلون بعضهم البعض لألف عام. هل سيتوقفون فقط لأنهم يستطيعون التصويت لحكامهم؟ ومن الذي سيصوت لأولئك الحكام؟ أناس مثل العمة فانغ؟

قال نزهة:

– "بالطبع ستنجح. أعني، تخيلوا كل النزاعات العسكرية الحمقاء التي يدخل فيها أمراء الحرب كل عام. سننهي ذلك. جميع الخلافات تُسوى في المجلس، وليس في ساحة المعركة. وبمجرد توحيد الإمبراطورية بأكملها، يمكننا فعل أي شيء."

نخرت فينكا ساخرة.

– "هل تصدق هذا الهراء حقًا؟"

بدا نزهة مستاءً.

– "بالطبع أصدقه. لماذا تظنين أنني خضت هذه الحرب؟"

– "لأنك تريد إسعاد أبيك؟"

وجه نزهة ركلة فاترة نحو ضلوعها.

تفادت فينكا الركلة وانتزعت جرة نبيذ أخرى من العربة وهي تقهقه.

مال نزهة بظهره على جدار البرج.

– "المستقبل سيكون مجيدًا."

قالها ولم يكن في صوته أثر للسخرية.

– "نحن نعيش في أجمل بلد في العالم. لدينا قوة بشرية أكثر من (الهسبيريين). ولدينا موارد طبيعية أكثر. العالم بأسره يريد ما نملك، ولأول مرة في تاريخنا سنكون قادرين على استخدامه."

تدحرجت رين على بطنها وأسندت ذقنها على يديها.

أحبت الاستماع لحديث نزهة. كان مفعمًا بالأمل، ومتفائلًا، وغبيًا جدًا.

كان بإمكانه التشدق بكل الأيديولوجيات التي يريدها، لكنها كانت تعرف الحقيقة. لم يكن "النيكاريون" ليحكموا أنفسهم أبدًا، ليس بسلام، لأنه لم يكن هناك شيء اسمه "نيكاري" على الإطلاق. كان هناك "السينغارديون"، ثم الناس الذين حاولوا التصرف مثل "السينغارديين"، ثم كان هناك الجنوبيون.

لم يكونوا في الجانب نفسه. ولم يكونوا كذلك أبدًا.

أنهى نزهة حديثه قائلًا:

— "نحن نندفع نحو حقبة جديدة مشرقة. وستكون رائعة."
فردت رين ذراعيها.
— "تعال إلى هنا."
مال إلى عناقها. ضمت رأسه إلى صدرها وأراحت ذقنها على قمة رأسه، تعد أنفاسه بصمت.
سوف تفتقده كثيرًا.
قالت:
— "يا لك من مسكين."
سأل:
— "عما تتحدثين؟"
اكتفت بضمه بقوة أكبر. لم ترد لهذه اللحظة أن تنتهي. لم ترد أن تضطر للذهاب.
— "فقط لا أريد للعالم أن يحطمك."
***
في النهاية، بدأت فينكا تتقيأ من جانب البرج.
قال كيتاي عندما تحركت رين لتقف:
— "لا بأس. أنا لها."
— "هل أنت متأكد؟"
— "سنكون بخير. لست ثملًا بقدر بقيتكم."
لف ذراع فينكا حول كتفه ووجهها بحذر نحو الدرج. شهقت فينكا وتمتمت بشيء غير مفهوم.
قال لها كيتاي:
— "إياكِ والتقيؤ عليّ."
ثم نظر خلف كتفه إلى رين.
— "لا ينبغي أن تسهري بجروح كهذه. اذهبي للنوم قريبًا."
وعدته رين:

– "سأفعل."

ألح كيتاي:

– "هل أنتِ متأكدة؟"

قرأت القلقَ على وجهه. الوقت ينفد منا.

قالت:

– "سأبقى هنا لساعة. كحد أقصى."

– "جيد."

استدار كيتاي ليغادر مع فينكا. تلاشت خطواتهم أسفل الدرج، ولم يبقَ سوى رين ونزهة على السطح. أصبح هواء الليل باردًا جدًا فجأة، وهو ما بدا لـ رين في تلك اللحظة عذرًا جيدًا للجلوس قرب نزهة.

سألها:

– "هل أنتِ بخير؟"

– "رائعة."

كررت الكلمة مرتين عندما بدت الحروف الساكنة وكأنها تخرج بشكل خاطئ.

– "رائعة. رائعة."

كان لسانها ثقيلًا في فمها. توقفت عن الشرب منذ ساعات، وكادت تفيق الآن، لكن برودة المساء خدرت أطرافها.

– "جيد."

وقف نزهة ومد لها يده.

– "تعالي معي."

أنت قائلة:

– "لكن يعجبني المكان هنا."

– "نحن نتجمد هنا. فقط تعالي."

– "لماذا؟"

– "لأن الأمر سيكون ممتعًا."

وهو ما بدا في تلك اللحظة سببًا وجيهًا لفعل أي شيء.

بطريقة ما انتهى بهما المطاف في الميناء. ترنحت رين مصطدمة بجانب نزهة وهي تمشي. لم تفق من سكرتها بالسرعة التي أملتها. كانت الأرض تميل بغدر تحت قدميها كلما تحركت.

— "إذا كنت تحاول إغراقي، فأنت واضح قليلًا بشأن الأمر."

سأل نزهة:

— "لماذا تظنين دائمًا أن شخصًا ما يحاول قتلكِ؟"

— "ولماذا لا أفعل؟"

توقفا عند نهاية الرصيف، أبعد مما كانت ترسو أي من قوارب الصيد. قفز نزهة إلى قارب صغير وأشار إليها لتتبعه.

سأل وهو يجدف:

— "ماذا ترين؟"

رمشت في وجهه.

— "ماء."

— "وما الذي يضيء الماء؟"

— "هذا ضوء القمر."

قال:

— "انظري بتمعن. هذا ليس القمر وحسب."

احتبست أنفاس رين في حلقها. ببطء استوعب عقلها ما كانت تراه. الضوء لم يكن قادمًا من السماء. كان ينبعث من النهر نفسه.

مالت فوق حافة القارب لتلقي نظرة أقرب. رأت شرارات صغيرة تندفع وسط خلفية حليبية. لم يكن النهر يعكس النجوم فحسب، بل كان يضيف توهجه الفسفوري الخاص — ومضات برق تتكسر فوق حركات الأمواج الدقيقة، وتيارات مضيئة تغسل كل تموج. كان البحر يشتعل.

سحبها نزهة للخلف من معصمها.

– "حاذري."

لم تستطع إبعاد عينيها عن الماء.

– "ما هذا؟"

قال:

– "أسماك ورخويات وسرطانات. عندما تضعينها في الظل تنتج ضوءًا خاصًا بها، مثل لهب تحت الماء."

همست:

– "إنه جميل."

تساءلت عما إذا كان سيقبلها الآن. لم تكن تعرف الكثير عن القبلات، لكن إذا كانت القصص القديمة معيارًا للحكم، فيبدو الآن وقتًا مناسبًا. البطل دائمًا ما يأخذ فتاته إلى مكان جميل ويعلن حبه تحت النجوم.

كانت لتود أن يقبلها نزهة أيضًا. كانت لتود مشاركة هذه الذكرى الأخيرة معه قبل أن تفر. لكنه اكتفى بالتحديق فيها بتفكير عميق، وعقله معلق بشيء لم تستطع تخمينه.

سأل بعد صمت:

– "هل يمكنني أن أسألكِ شيئًا؟"

قالت:

– "أي شيء."

– "لماذا كرهتني كثيرًا في المدرسة؟"

ضحكت متفاجئة.

– "ألم يكن ذلك واضحًا؟"

كان لديها الكثير من الإجابات، فبدا السؤال سخيفًا. لأنه كان بغيضًا. لأنه كان غنيًا ومميزًا ومحبوبًا، وهي لم تكن كذلك. لأنه كان وريث مقاطعة التنين، وهي يتيمة حرب وجنوبية بجلد بلون الطين.

قال نزهة:

– "لا. أعني... أدرك أنني لم أكن الألطف معكِ."

— "هذا تقليل من شأن الحقيقة."

— "أعرف. أنا آسف بشأن ذلك. لكن يا رين، نحن نجحنا في كره بعضنا البعض كثيرًا لثلاث سنوات. هذا ليس طبيعيًا. هذا يعود لتوتر السنة الأولى. هل كان كل ذلك لأنني سخرت منكِ؟"

— "لا، بل لأنك أخفتني."

— "أخفتكِ؟"

قالت:

— "ظننت أنك ستكون السبب في اضطراري للمغادرة. ولم يكن لدي أي مكان آخر أذهب إليه. لو طُردت من (سينغارد)، لربما مت. لذا خفت منك، وكرهتك، ولم يختفِ ذلك الشعور حقًا أبدًا."

قال بصوت خافت:

— "لم أدرك ذلك."

— "هراء. لا تتصرف وكأنك لم تكن تعلم."

— "أقسم أن ذلك لم يخطر ببالي قط."

— "حقًا؟ لأنه كان يجب أن يخطر. لم نكن في المستوى نفسه، وأنت عرفت ذلك، ولهذا أفلتَّ بكل ما فعلته، لأنك علمت أنني لا أستطيع الرد أبدًا. كنت غنيًا وكنتُ فقيرة وأنت استغللت ذلك." فوجئت بمدى سرعة تدفق الكلمات، وبمدى سهولة شعورها بالاستياء المتبقي تجاهه. ظنت أنها تجاوزت الأمر منذ زمن طويل. ربما لا. "وحقيقة أنه لم يخطر ببالك اللعين قط أن المخاطر كانت مختلفة تمامًا بيننا أمر محبط، بصراحة."

قال نزهة:

— "هذا عادل. هل يمكنني طرح سؤال آخر؟"

— "لا. يحق لي طرح سؤالي أولًا."

أيا كانت اللعبة التي يلعبانها، فقد أصبحت لها قواعد فجأة، وأصبحت قابلة للنقاش. والقواعد، كما قررت رين، تعني المعاملة بالمثل. حدقت فيه منتظرة.

هز نزهة كتفيه.

— "حسنًا. ما هو؟"

كانت ممتنة لامتلاكها الشجاعة السائلة من بقايا الكحول لقول ما يلي.

— "هل ستعود أبدًا إلى تلك المغارة؟"

تصلب جسده.

— "ماذا؟"

قالت:

— "الآلهة لا يمكن أن تكون أشياء مادية. علمني تشانغان ذلك. إنهم بحاجة إلى قنوات بشرية للتأثير في العالم. أيا كان ما يمثله التنين..."

قال بحسم:

— "ذلك الشيء وحش."

— "ربما. لكن يمكن هزيمته." ربما كانت لا تزال منتشية بانتصار هزيمة فايلين، لكن بدا لها واضحًا جدًا ما يتوجب على نزهة فعله إذا أراد التحرر. "ربما كان شخصًا في وقت ما. لا أعرف كيف أصبح ما هو عليه، وربما هو قوي كما ينبغي لإله أن يكون الآن، لكنني دفنت آلهة من قبل. وسأفعلها مجددًا."

قال نزهة:

— "لا يمكنكِ هزيمة ذلك الشيء. ليس لديكِ أدنى فكرة عما تواجهينه."

— "أعتقد أن لَدي بعض الفكرة."

قسا صوته.

— "ليس بخصوص هذا. لن تسأليني عن هذا الأمر مرة أخرى أبدًا."

— "حسنًا."

مالت للخلف وتركت أصابعها تداعب الماء المضيء. جعلت ألسنة اللهب تتقاطر على ذراعيها، مبتهجة بكيفية انعكاس أنماطها المعقدة في الضوء الأزرق

المخضر. النار والماء بدوا جميلين جداً معًا. كان من المؤسف أن طبيعتهما تقتضي أن يدمر أحدهما الآخر.

سأل:

— "هل يمكنني طرح سؤال آخر الآن؟"

— "تفضل."

— "هل عنيتِ ذلك حقًا عندما قلتِ إننا يجب أن ننشئ جيشًا من (الشامان)؟"

ارتدت للخلف.

— "متى قلت ذلك؟"

— "في رأس السنة. خلال الحملة، عندما كنا نجلس في الثلج."

ضحكت، مسلية لأنه تذكر ذلك حتى. بدت الحملة الشمالية وكأنها مرت منذ حيوات مضت.

— "ولمَ لا؟ سيكون أمرًا رائعًا. لن نخسر أبدًا."

— "أنتِ تدركين أن هذا بالتحديد ما يرتعب منه (الهسبيريون)."

قالت:

— "لسبب وجيه. سيسحقهم ذلك، أليس كذلك؟"

مال نزهة للأمام.

— "هل تعلمين أن تاركيت يسعى لفرض حظر شامل على جميع الأنشطة الشامانية؟"

عبست.

— "ماذا يعني ذلك؟"

— "يعني أن تعدي بعدم استدعاء قواكِ مرة أخرى أبدًا، وستعاقبين إذا فعلتِ. نحن نبلغ عن كل (شامان) حي في الإمبراطورية. وندمر كل المعرفة المكتوبة عن الشامانية حتى لا يمكن توريثها."

قالت:

– "مضحك جداً."

– "أنا لا أمزح. سيتعين عليكِ التعاون. إذا لم تستدعي النار مرة أخرى، ستكونين في أمان."

قالت:

– "في أحلامهم. لقد استعدت النار للتو. ولا أنوي التخلي عنها."

– "وإذا حاولوا إجباركِ؟"

تركت اللهب يرقص عبر كتفيها.

– "فليحاولوا بحق الجحيم."

وقف نزهة وتحرك عبر القارب ليجلس بجانبها. لامست يده أسفل ظهرها.

ارتعشت من لمسته.

– "ماذا تفعل؟"

سأل:

– "أين إصابتكِ؟" ضغط بأصابعه في الندبة بجانبها. "هنا؟"

– "هذا يؤلم."

قال:

– "جيد."

تحركت يده خلفها. ظنت أنه سيجذبها إليه، لكنها شعرت بعد ذلك بضغط في أسفل ظهرها.

رمشت بعينيها، مشوشة. لم تدرك أنها طُعنت إلا عندما سحب نزهة يده، ورأت الدم على أصابعه.

انهارت إلى الجانب. سحبها إلى ذراعيه.

تلاشى وجهه وعاد للظهور أمام بصرها. حاولت التحدث، لكن شفتيها كانتا ثقيلتين، وخرقاوين؛ كل ما استطاعت فعله هو دفع الهواء في همسات غير متماسكة.

– "أنت... لكنك..."

همس نزهة، ولامست شفتاه جبهتها وهو يغرس السكين أعمق في ظهرها:
– "لا تحاولي التحدث."

الفصل السادس والثلاثون

كانت شمس الصباح خنجرًا غُرز في عيني رين. أنّت وتكورت على جانبها. للحظة واحدة من النعيم، لم تتذكر كيف انتهى بها المطاف هنا. ثم جاء الوعي بطيئًا ومؤلمًا — انزلق عقلها في ومضات من الصور، وشظايا من المحادثات. وجه نزهة. المذاق الحامض لنبيذ الذرة. سكين. وقبلة.

تدحرجت لتستقر فوق شيء رطب، لزج، ونتن. لقد تقيأت أثناء نومها. عصفت بجسدها موجة من الغثيان، لكن عندما تموجت معدتها لم يخرج منها شيء. كل شيء كان يؤلم. مدت يدها لتتحسس ظهرها برعب. أحدهم قام بخياطة جرحها — كان الدم متيبسًا حول الجرح، لكنه لم يكن ينزف.

قد تكون في ورطة، لكنها لم تمت بعد.

قيدها مسماران إلى الحائط — أحدهما حول معصمها الأيمن، والآخر بين كاحليها. كانت السلاسل مرتخية قليلًا، لكن ليس كثيرًا؛ لم تستطع الزحف لأبعد من منتصف الغرفة.

حاولت الجلوس، لكن موجة من الدوار أجبرتها على العودة إلى الأرض. تحركت أفكارها في تيارات بطيئة ومشوشة. حاولت بلا أمل استدعاء النار. لم يحدث شيء.

بالطبع قاموا بتخديرها.

ببطء، بدأ عقلها المنهك يستوعب ما حدث. كانت غبية جداً، لدرجة أنها أرادت ركل نفسها. كانت قريبة جداً من الخروج، حتى استسلمت للعاطفة.

كانت تعلم أن فايسرا متلاعب. وعرفت أن "الهسبيريين" سيلاحقونها. لكنها لم تحلم أبدًا بأن نزهة قد يؤذيها. كان ينبغي عليها أن تشل حركته في

الثكنات وتتسلل خارجة من "أرلونغ" قبل أن يراها أحد. بدلًا من ذلك، أملت أن يحظيا بليلة أخيرة معًا قبل أن يفترقا إلى الأبد.

يا لكِ من حمقاء، فكرت. أحببتِه ووثقتِ به، ومشيتِ مباشرة إلى فخه. بعد ألتان، كان يجب أن تكوني أكثر حذرًا.

جالت ببصرها في الغرفة. كانت وحدها. لم ترد أن تكون وحيدة — إذا كانت سجينة، فعليها على الأقل معرفة ما ينتظرها. مرت الدقائق ولم يدخل أحد الغرفة، فصرخت. ثم صرخت مرة أخرى واستمرت في الصراخ، مرارًا وتكرارًا حتى احترق حلقها.

انفتح الباب بقوة. ودخلت السيدة يين سايخارا إلى الغرفة. كانت تحمل سوطًا في يدها اليمنى.

تبًا، فكرت رين بذهن خامل، قبل لحظة من هوي السوط على كتفها الأيسر ممتدًا إلى الجانب الأيمن من وركها. للحظة ظلت رين متجمدة، وصوت الفرقعة يطن في أذنيها. ثم اخترقها الألم، عنيفًا وحارقًا لدرجة أسقطتها على ركبتيها. هوى السوط مرة أخرى. على الكتف الأيمن هذه المرة. لم تستطع رين كتم صرخاتها.

خفضت سايخارا السوط. استطاعت رين رؤية ارتعاشة طفيفة في يديها، لكن فيما عدا ذلك، وقفت سيدة "أرلونغ" متصلبة، متغطرسة، وشاحبة بذلك الكره الخام الذي لم تفهمه رين أبدًا.

قالت سايخارا:

— "كان من المفترض أن تخبريهم."

كان شعرها منسدلًا وأشعث، وصوتها زمجرة مرتعشة.

— "كان من المفترض أن تساعديهم على إصلاحه."

زحفت رين نحو الزاوية البعيدة من الغرفة، محاولة الخروج من نطاق ضربات سايخارا.

— "عن أي شيء تتحدثين بحق الجحيم؟"

هسّهست سايخارا:

– "أيتها المخلوقة الفوضوية. يا مخادعة بلسان أفعى، يا دمية الشر الأعظم، هذا كله خطؤك..."

أدركت رين للمرة الأولى أن سيدة "أرلونغ" قد لا تكون بكامل قواها العقلية.

رفعت يديها فوق رأسها وانكمشت في الزاوية الخلفية تحسبًا لقرار سايخارا بإنزال السوط مرة أخرى.

– "ما الذي تظنين أنه خطئي؟"

بدت عينا سايخارا واسعتين ومشتتتين؛ تحدثت وهي تحدق في نقطة تبعد ياردة عن يسار رين.

– "كانوا سيصلحونه. وعدني فايسرا. لكنهم عادوا من الحملة وقالوا إنهم لم يقتربوا خطوة واحدة من معرفة الحقيقة، وأنتِ لا تزالين هنا، أيتها الشيء الصغير القذر..."

قالت رين:

– "انتظري."

تطابقت قطع الأحجية ببطء في عقلها؛ لم تصدق أنها لم ترَ هذا الرابط من قبل.

– "يصلحون من؟"

اكتفت سايخارا بالتحديق بغضب.

صاحت رين:

– "هل قالوا إنهم سيصلحون نزهة؟ هل قال الهسبيريون إنهم يستطيعون علاج علامة التنين لديه؟"

رمشت سايخارا. تجمد قناع على ملامحها، نفس القناع الذي أتقنه ابنها وزوجها ببراعة.

لكنها لم تكن مضطرة لقول شيء. فهمت رين الحقيقة الآن؛ كانت ملقاة بوضوح أمامها.

"لقد وعدتني"، هكذا هسّهست سايخارا لـ فايسرا. "أقسمت لي. قلت إنك ستصلح هذا الأمر، وإنني إذا أحضرتهم فسوف يجدون طريقة لإصلاحه."

وعدت الأخت بيترا السيدة سايخارا بعلاج لعلة ابنها — كان هذا هو السبب الوحيد الذي جعل سايخارا تقاتل بضراوة لإحضار "الفرقة الرمادية" إلى الإمبراطورية. وهذا يعني أن فايسرا وسايخارا كلاهما كانا يعرفان أن نزهة (شامان) طوال هذا الوقت.

لكنهم لم يسلموه لـ "الهسبيريين".

لا، بل عرضوا كل (شامان) آخر في الإمبراطورية للخطر. لقد سلموها لـ بيترا لتكرر ما فعله بها شيرو، فقط من أجل أمل ضئيل في إنقاذ ولدهم.

قالت رين بهدوء:

— "لا أعلم ما تظنين أنهم سيتعلمونه. لكن إيذائي لن يصلح ابنك."

لا، من المرجح أن يعاني نزهة من لعنة التنين حتى يموت. لابد أن تلك اللعنة تتجاوز معرفة "الهسبيريين". منحتها تلك الفكرة رضًى صغيرًا وخبيثًا.

قالت سايخارا:

— "الفوضى تخدع ببراعة."

حركت يدها بسرعة فوق صدرها، مشكلة بأصابعها رموزًا لم ترها رين من قبل.

— "إنها تخفي طبيعتها الحقيقية وتقلد النظام لتقويضه. أعلم أنني لا أستطيع استخلاص الحقيقة منك. أنا مجرد مبتدئة. لكن الفرقة الرمادية سيأتي دورها."

راقبتها رين بحذر، موجهة انتباهًا شديدًا للسوط.

— "ماذا تريدين إذًا؟"

أشارت سايخارا نحو النافذة.

— "أنا هنا للمشاهدة."

تبعت رين نظرتها، في حيرة.

قالت سايخارا:

— "تفضلي."

بدت منتصرة بشكل غريب وشرير.

— "استمتعي بالعرض."

تعثرت رين نحو النافذة وأطلت منها.

رأت أنها محتجزة في غرفة بالطابق الثالث من القصر، تطل على الفناء المركزي. في الأسفل، احتشد جمع من القوات — "الجمهورية" و"الهسبيرية" معًا — في نصف دائرة حول منصة مرتفعة. سار سجينان معصوبا العينين ببطء صعودًا على الدرج، وأيديهما مقيدة خلف ظهريهما، يحيط بهما جنود "هسبيريون" من الجانبين.

توقف السجينان عند حافة المنصة. لكزهم الجنود ببنادقهم حتى تقدموا ليقفوا في المنتصف.

رفع الذي على اليسار رأسه نحو الشمس.

حتى مع عصب العينين، ميزت رين ذلك الوجه الأسمر الوسيم.

وقف باجي منتصبًا، غير خاضع.

وبجانبه، انكمش سوني بين كتفيه وكأنه يحاول جعل نفسه هدفًا أصغر. بدا مرعوبًا.

استدارت رين.

— "ما هذا؟"

كانت نظرة سايخارا مثبتة على النافذة، وعيناها ضيقتين، وفمها مضغوط في خط رفيع للغاية.

— "راقبي."

قرع أحدهم جرسًا. انشق الحشد. راقبت رين، وعروقها متجمدة بالرعب، بينما يصعد فايسرا المنصة ويتخذ موقعًا على بعد عدة أقدام أمام سوني وباجي. رفع ذراعيه. صرخ بشيء لم تستطع رين تمييزه وسط الحشد. كل ما سمعته هو زئير الجنود بالموافقة.

قالت سايخارا بهدوء خلفها:
— "في سالف الزمان، أمر الإمبراطور الأحمر بإعدام جميع الرهبان في مملكته. لماذا تظنين أنه فعل ذلك؟"
اصطف أربعة جنود "هسبيريون" أمام باجي، وصوبوا بنادقهم نحو جذعه.
صرخت رين:
— "ماذا تفعلون؟ توقفوا!"
لكن بالطبع لم يكن فايسرا ليسمعها في الأسفل، ليس وسط الصراخ. قاومت قيودها بعبث، وهي تصرخ، لكن كل ما استطاعت فعله هو المشاهدة بينما يرفع يده.
مزقت أربع طلقات متتالية الهواء. انتفض جسد باجي من جانب لآخر في رقصة مروعة مع كل رصاصة، حتى أصابته الأخيرة في منتصف صدره تمامًا. لدقيقة طويلة وغريبة ظل واقفًا، يترنح ذهابًا وإيابًا، وكأن جسده عاجز عن تحديد الاتجاه الذي يسقط فيه. ثم انهار على ركبتيه، ورأسه محني، قبل أن تطرحه جولة أخيرة من إطلاق النار أرضًا.
قالت سايخارا:
— "هذا ما جنته آلهتكم."
في الأسفل، أعاد الجنود تلقيم بنادقهم وأطلقوا جولة ثانية من الرصاص على سوني.
استدارت رين ببطء.
ملأ الغضب عقلها، رغبة غريزية ليس فقط في الهزيمة بل في التدمير، في حرق سايخارا تمامًا حتى لا يتبقى حتى عظامها، وأن تفعل ذلك ببطء، لتجعل العذاب يستمر لأطول فترة ممكنة.
مدت يدها لإلهها. في البداية لم تكن هناك استجابة، فقط فراغ مخدر بالأفيون. ثم سمعت رد "العنقاء" — صرخة بعيدة، خافتة جدًا.
كان ذلك كافيًا. شعرت بالحرارة في كفيها. لقد استعادت النار.

كادت تضحك. بعد كل الأفيون الذي دخنته، أصبحت قدرتها على التحمل أعلى بكثير مما تخيل آل يين.

قالت سايخارا بنعومة:

— "لقد كُشفت آلهتكم الزائفة. ستموت الفوضى."

همست رين:

— "أنتِ لا تعرفين شيئًا عن الآلهة."

— "أعرف ما يكفي."

رفعت سايخارا السوط مرة أخرى. تحركت رين أسرع. أدارت كفيها نحو سايخارا وانفجرت النار — مجرد تيار صغير، ولا حتى عُشر مداها الكامل، لكنه كان كافيًا لإضرام النار في أردية سايخارا.

تراجعت سايخارا للخلف، تصرخ طلبًا للمساعدة بينما هوى السوط مرارًا على كتف رين، يقطع عبر الجروح المفتوحة. رفعت رين ذراعيها لتحمي رأسها، لكن السوط مزق معصميها بدلًا من ذلك.

انفتحت الأبواب. اقتحم إريدين المكان، وتبعه جنديان. أعادت رين توجيه النيران نحوهم، لكنهم رفعوا أغطية مبللة ومقاومة للنار أمامهم. هسّت النار وفشلت في الاشتعال. ركلها أحدهم إلى الأرض وثبتها من ذراعيها. وأجبر الآخر قطعة قماش مبللة على فمها.

حاولت رين ألا تستنشق، لكن رؤيتها تعتمت وانتفضت، وهي تلهث. غزا طعم "اللاودانوم" الكثيف فمها، قويًا ومقززًا. كان التأثير فوريًا. ماتت نيرانها. لم تستطع الشعور بـ "العنقاء" — وبالكاد استطاعت السمع أو الرؤية على الإطلاق.

أفلتها الجنود. استلقت مرتخية على الأرض، مذهولة، واللعاب يسيل من جانب فمها وهي ترمش بذهول نحو الباب.

قال إريدين لوالدة نزهة:

— "ما كان ينبغي لكِ التواجد هنا."

بصقت سايخارا في اتجاه رين.

— "يجب تخديرها."

– "لقد كانت مخدرة. أنتِ كنتِ متهورة."
هسّهست سايخارا:
– "وأنت كنت غير كفء. هذا الأمر يقع على عاتقك."
قال إريدين شيئًا ردًا على ذلك، لكن رين لم تعد قادرة على فهمه. كان إريدين وسايخارا مجرد خطوط ضبابية غامضة من الألوان، وكانت أصواتهم مشوهة، ثرثرة جوفاء بلا معنى.

***

جاء فايسرا من أجلها بعد ساعات. راقبت الباب يفتح عبر جفنين متورمين، وشاهدته يعبر الغرفة ليركع بجانبها.
نقت بصوت مبحوح:
– "أنت."
شعرت بأطراف أصابعه الباردة تمسح جبهتها وتدفع خصلات شعرها المتشابكة خلف أذنيها.
تنهد قائلًا:
– "أوه، يا رونين."
– "فعلت كل شيء من أجلك."
بدا تعبيره لطيفًا بشكل غير معهود.
– "أعرف."
– "لماذا إذًا؟"
سحب يده للخلف.
– "انظري إلى القناة."
نظرت، منهكة، نحو النافذة. لم تكن مضطرة للنظر – عرفت ما أرادها أن تراه. السفن المحطمة الملقاة قطعًا على طول القناة، وربع الأسطول المسحوق تحت انهيار صخري، والجثث الغارقة والمنتفخة الطافية على امتداد النهر.
قالت:
– "هذا ما يحدث عندما تدفن إلهًا."

— "لا. هذا ما يحدث عندما يكون الرجال حمقى بما يكفي للعبث مع السماء."

— "لكنني لست مثل فايلين."

قال برفق:

— "لا يهم. يمكن أن تكوني كذلك."

سحبت نفسها لوضعية الجلوس.

— "فايسرا، أرجوك..."

— "لا تتوسلي. لا يوجد ما بيدي لفعله. إنهم يعرفون بشأن الرجل الذي قتلتِه. لقد أحرقتِه وألقيتِ بجثته في الميناء."

بدا صوت فايسرا خائب الأمل للغاية.

— "حقًا يا رين؟ بعد كل شيء؟ أخبرتكِ أن تكوني حذرة. تمنيت لو أنكِ استمعتِ."

قالت:

— "كان يغتصب فتاة. كان فوقها، لم أستطع مجرد..."

قال فايسرا ببطء، وكأنه يخاطب طفلًا:

— "ظننت أنني علمتكِ كيف تميل موازين القوى."

كافحت للوقوف. مالت الأرض تحت قدميها — اضطرت لدفع نفسها ضد الجدار. رأت كل شيء مزدوجًا كلما حركت رأسها، لكنها في النهاية تمكنت من النظر في عيني فايسرا.

— "افعلها بنفسك إذًا. لا فرق إعدام. استخدم سيفًا. امنحني هذا الاحترام."

رفع فايسرا حاجبًا.

— "هل ظننتِ أننا سنقتلكِ؟"

قال الجنرال تاركيت بصوت بطيء ولامبالٍ:

— "أنتِ قادمة معنا يا عزيزتي."

جفلت رين. لم تسمع الباب يفتح.

دخلت الأخت بيترا ووقفت خلف تاركيت بقليل. كانت عيناها كحجر الصوان تحت شالها.

زمجرت رين في وجهها:

— "ماذا تريدين؟ جئتِ للحصول على المزيد من عينات البول؟"

قالت بيترا:

— "أعترف أنني ظننت أنه لا يزال بالإمكان هدايتكِ. هذا يحزنني، حقًا. أكره رؤيتكِ هكذا."

بصقت رين عند قدميها.

— "اذهبي إلى الجحيم."

تقدمت بيترا حتى أصبحتا وجهًا لوجه.

— "لقد خدعتني بالفعل. لكن الفوضى ذكية. يمكنها التنكر في هيئة العقل والإحسان. يمكنها أن تجعلنا رحماء."

رفعت يدها لتمسد جانب وجه رين.

— "لكن في النهاية، يجب دائمًا مطاردتها وتدميرها."

عضت رين أصابعها. سحبت بيترا يدها للخلف. بعد فوات الأوان. سال الدم.

تراجعت بيترا وضحكت رين، وتركت الدم يقطر من أسنانها. رأت رعبًا خالصًا ينعكس في عيني بيترا، وكان ذلك وحده مرضيًا بشكل غريب — لم تظهر بيترا الخوف من قبل، لم تظهر أي شيء قط — لدرجة أنها لم تكترث بالاشمئزاز على وجه تاركيت أو الاستنكار في وجه فايسرا.

جميعهم ظنوها حيوانًا مسعورًا بالفعل. وهي فقط حققت توقعاتهم.

ولماذا لا تفعل؟ لقد انتهت من لعب لعبة "الهسبيريين" في الاختباء، والتظاهر بأنها ليست قاتلة بينما هي كذلك. أرادوا رؤية وحش. ستمنحهم وحشًا.

ابتسمت لهم قائلة:

– "الأمر لا يتعلق بالفوضى. أنتم جميعًا مرعوبون، أليس كذلك؟ لدي قوة لا تملكونها، ولا تطيقون احتمال ذلك."

فتحت كفيها. لم يحدث شيء – كان "اللاودانوم" لا يزال يثقل عقلها – لكن بيترا وتاركيت قفزا للخلف مع ذلك.

قهقهت رين.

مسحت بيترا يدها الدامية في فستانها، تاركة خطوطًا حمراء سميكة على القماش الرمادي.

– "سأصلي من أجلكِ."

– "صلي لنفسك."

اندفعت رين للأمام مرة أخرى، فقط لترى ما ستفعله بيترا.

استدارت الأخت على عقبيها وفرت هاربة. انصفق الباب خلفها. تراجعت رين للخلف، تنخر بمرح.

قال تاركيت بجفاف:

– "آمل أنكِ استمتعتِ بوقتكِ. لن يكون هناك الكثير من الضحك حيث ستذهبين. علماؤنا يحبون الانشغال."

قالت رين:

– "سأقضم لساني قبل أن يلمسوني."

قال تاركيت:

– "أوه، لن يكون الأمر سيئًا لتلك الدرجة. سنرمي لكِ بعض الأفيون بين الحين والآخر إذا أحسنتِ التصرف. أخبروني أنكِ تحبين ذلك."

تلاشى كبرياؤها.

توسلت لـ فايسرا:

– "لا تسلمني لهم."

لم تعد تستطيع التظاهر، لم تعد تستطيع إخفاء خوفها؛ ارتجف جسدها بالكامل بسببه، ورغم أنها أرادت أن تكون متمردة، لم تستطع التفكير سوى في

مختبر شيرو، في الاستلقاء عاجزة على طاولة صلبة بينما أيادٍ لا تستطيع رؤيتها تعبث بجسدها.

— "فايسرا. أرجوك. ما زلتَ بحاجة إلي."

تنهد فايسرا.

— "أخشى أن هذا لم يعد صحيحًا."

— "لم تكن لتكسب هذه الحرب بدوني. أنا أفضل أسلحتك، أنا الفولاذ الذي يدعم حكمك، أنت قلت..."

هز فايسرا رأسه.

— "أوه، يا رونين. انظري خارج النافذة. ذلك الأسطول هو الفولاذ الذي يدعم حكمي. ترين تلك السفن الحربية؟ تخيلي حجم عنابر الشحن تلك. تخيلي عدد البنادق التي تحملها تلك السفن. أتظنين أنني أحتاجكِ حقًا؟"

— "لكنني الوحيدة التي تستطيع استدعاء إله..."

— "وأوغوس، فتى أبله بلا أدنى تدريب عسكري، واجه واحدة من أقوى (شامان) الأراضي النائية وقتلها. أوه نعم، يا رونين، لقد أخبروني. تخيلي الآن ما يمكن لعشرات من الجنود (الهسبيريين) المدربين فعله. عزيزتي، أؤكد لكِ أنني لا أحتاج لخدماتكِ بعد الآن."

التفت فايسرا إلى تاركيت.

— "لقد انتهينا هنا. احملوها متى شئتم."

قال تاركيت:

— "لن أبقي ذلك الشيء على سفينتي."

— "سنسلمها قبل رحيلكم إذًا."

— "وهل تضمن أنها لن تغرقنا في المحيط؟"

قال فايسرا:

– "لا يمكنها فعل أي شيء طالما أعطيتموها جرعات منتظمة من (اللاودانوم). عين حارسًا. أبقها مخدرة ومغطاة ببطانيات مبللة، وستكون وديعة كقطة صغيرة."

قال تاركيت:

– "خسارة. إنها مسلية."

ضحك فايسرا بخفوت.

– "هي كذلك."

ألقى تاركيت نظرة أخيرة وطويلة على رين.

– "مندوبو الكونسورتيوم سيصلون قريبًا."

حنى فايسرا رأسه.

– "وأنا أكره أن أجعل الكونسورتيوم ينتظر."

أدارا ظهريهما لها وتحركا نحو الباب.

اندفعت رين للأمام بذعر.

خرج صوتها حادًا، يائسًا.

– "فعلت كل شيء من أجلك. قتلت فايلين من أجلك."

قال فايسرا بهدوء من فوق كتفه:

– "والتاريخ سيذكركِ لذلك. تمامًا كما سيمتدحني التاريخ للقرارات التي أتخذها الآن."

صرخت:

– "انظر إلي! انظر إلي! تباً لك! انظر إلي!"

لم يجب.

كانت لا تزال تملك ورقة أخيرة لتلعبها، ورمتها بوجهه بجموح.

– "هل ستدعهم يأخذون نزهة أيضًا؟"

جعلته يتوقف.

سأل تاركيت:

– "ما هذا؟"

قال فايسرا:
— "لا شيء. إنها مخدرة، وتهذي..."
قالت رين:
— "أعرف كل شيء."
تبًا لـ نزهة، وتبًا لأسراره — إذا كان سيطعنها في الظهر، فستفعل المثل.
— "ابنك واحد منا، وإذا كنت ستقتلنا جميعًا فعليك قتله هو أيضًا."
سأل تاركيت بحدة:
— "هل هذا صحيح؟"
قال فايسرا:
— "من الواضح أنه ليس كذلك. لقد قابلت الفتى. تعال، نحن نضيع الوقت..."
لهثت رين:
— "تاركيت رأى. تاركيت كان في الحملة. أتتذكر كيف تحركت تلك المياه؟ لم يكن ذلك إله الرياح، أيها الجنرال. كان ذلك نزهة."
لم يقل فايسرا شيئًا.
عرفت أنها أمسكت به.
سألته:
— "كنت تعرف، أليس كذلك؟ كنت تعرف دائمًا. نزهة ذهب إلى تلك المغارة لأنك سمحت له."
لأنه كيف لفتيين صغيرين أن يهربا من حرس القصر لاستكشاف كهف مُنعا من دخوله؟ كيف، دون إذن صريح من أمير حرب التنين؟
— "هل كنت تأمل أن يموت؟ أو... لا." ارتجف صوتها. "أردت (شامان)، أليس كذلك؟ عرفت ما يمكن للتنين فعله وأردت سلاحًا خاصًا بك. لكنك لم تخاطر بـ جينغا. ليس بكرك. لكن ابنك الثاني؟ والثالث؟ كان يمكن التضحية بهم. كان بإمكانك التجربة."

طالب تاركيت:

– "ما الذي تتحدث عنه؟"

قالت رين:

– "لهذا تكرهني زوجتك. لهذا تكره كل (الشامان). ولهذا يكرهك ابنك. ولا يمكنك إخفاء الأمر. بيترا تعرف بالفعل. بيترا قالت إنها ستصلحه..."

رفع تاركيت حاجبًا.

– "فايسرا..."

قال فايسرا:

– "هذا لا شيء. إنها تهذي. سيضطر رجالك للتعامل مع هذا الهراء على السفينة."

ضحك تاركيت.

– "إنهم لا يتحدثون اللغة."

– "كن ممتنًا لذلك. لهجتها قبيحة."

– "توقف عن الكذب!" حاولت رين الاندفاع نحو فايسرا. لكن السلاسل جذبت كاحليها بألم وطرحتها مرة أخرى على الأرض.

أطلق تاركيت ضحكة أخيرة وهو يغادر. تلكأ فايسرا للحظة في المدخل، يراقبها بلا تعابير.

أخيرًا تنهد.

قال:

– "لطالما فعل بيت (يين) ما كان ضروريًا. أنتِ تعرفين ذلك."

***

عندما استيقظت مرة أخرى قررت أنها تريد الموت.

فكرت في تهشيم رأسها بالحائط. لكن في كل مرة ركعت فيها مواجهة للنافذة، ويداها تستندان إلى الحجر، بدأت ترتعد بشدة تمنعها من إنهاء المهمة.

لم تكن خائفة من الموت؛ كانت خائفة من ألا تضرب رأسها بقوة كافية. من أنها ستحطم جمجمتها فقط دون أن تفقد الوعي، فتتعرض لساعات من

الألم الساحق الذي لا يقتلها بل يتركها لحياة من العذاب الذي لا يطاق وبنصف قدرتها الأصلية على التفكير.

في النهاية، كانت جبانة جدًا. استسلمت وتكورت ببؤس على الأرض لانتظار ما سيأتي تاليًا.

بعد بضع دقائق شعرت بوخز حاد في ذراعها اليسرى. رفعت رأسها فجأة، وعيناها تجولان في الغرفة لتبحث عما لدغها. عنكبوت؟ جرذ؟ لم ترَ شيئًا. كانت وحدها.

اشتد الوخز ليتحول إلى طعنة حادة من الألم. صرخت بصوت عالٍ ونهضت جالسة.

لم تستطع العثور على سبب الألم. ضغطت على ذراعها بقوة، وفركتها صعودًا ونزولًا بجنون، لكن الألم أبى أن يختفي. شعرت به بحدة وكأن شخصًا يحفر جروحًا عميقة في لحمها، لكنها لم ترَ دمًا يتدفق على بشرتها أو خطوطًا تشق السطح.

أخيرًا أدركت أن هذا لا يحدث لها.

هذا يحدث لـ كيتاي.

هل أمسكوا به؟ هل يؤذونه؟ يا للآلهة. الشيء الوحيد الأسوأ من التعذيب هو معرفة أن كيتاي يُعذب — أن تشعر بحدوث ذلك، وتعلم أنه أسوأ بعشر مرات من جانبه، وأن تكون عاجزًا عن إيقافه.

ظهرت خطوط بيضاء رفيعة وخادشة بدت وكأنها ندوب لجرح ملتئم منذ زمن طويل تحت جلدها.

حدقت رين في شكلها. لم تكن جروحًا عشوائية لإحداث الألم — كان النمط متعمدًا للغاية. بدت وكأنها كلمات.

اشتعل الأمل في صدرها. هل كان كيتاي يفعل هذا بنفسه؟ هل كان يحاول الكتابة إليها؟ أغلقت قبضتيها، وضغطت على أسنانها ضد الألم، بينما تراقب الخطوط البيضاء تشكل كلمة واحدة.

أين؟

زحفت إلى النافذة وأطلت منها، تعد النوافذ التي تؤدي إلى غرفتها. الطابق الثالث. الغرفة الأولى في الممر الأوسط، فوق منصة الفناء مباشرة.

الآن كان عليها فقط الرد. جالت بعينيها في الغرفة بحثًا عن سلاح لكنها علمت أنها لن تجد شيئًا. كانت الجدران ملساء للغاية، وزنزانتها جردت من الأثاث.

فحصت أظافرها. كانت غير مقلمة، حادة ومسننة. قد يفي ذلك بالغرض. كانت قذرة للغاية — قد يسبب ذلك عدوى — لكنها ستقلق بشأن ذلك لاحقًا.

أخذت نفسًا عميقًا.

يمكنها فعل هذا. لقد جرحت نفسها من قبل.

تمكنت من كتابة ثلاثة رموز فقط قبل أن تعجز عن خدش المزيد. القصر 3-1.

راقبت ذراعها بقلب مقبوض. لم تكن هناك استجابة.

لم يكن ذلك بالضرورة سيئًا. لابد أن كيتاي قد رأى. ربما لم يكن لديه شيء آخر ليقوله.

بسرعة، مسحت الدم فوق ذراعيها لتخفي الجروح، تحسبًا لدخول أي حارس لتفقدها. وإذا رأوا، فستتظاهر ببساطة أنها جنّت.

الفصل السابع والثلاثون

ارتطم شيء ما بالنافذة محدثًا رنينًا خافتًا.

رفعت رين رأسها فجأة. سمعت رنينًا ثانيًا. ركضت نصف ركض وزحفت نصف زحف إلى حافة النافذة، لترى خطافًا حديديًا عالقًا بالقضبان. أطلّت بحذر، فإذا بـ كيتاي يتسلق الجدار ممسكًا بحبل واحد. ابتسم لها، وأسنانه تلمع تحت ضوء القمر.

— "مرحبًا."

حدقت فيه، عاجزة عن الكلام من فرط الارتياح، آملة بيبأس ألا تكون هذه مجرد هلوسة.

تسلق كيتاي عبر النافذة، وهبط بصمت على الأرض، ثم أخرج إبرة طويلة من جيبه.

— "كم عدد الأقفال؟"

حركت السلاسل نحوه لترن.

— "اثنان فقط."

— "حسنًا."

ركع كيتاي عند كاحليها وشرع في العمل. بعد دقيقة، انفتح القفل. ركلت رين القيود عن ساقيها بارتياح.

همس قائلًا:

— "توقفي عن ذلك."

— "آسفة."

كانت لا تزال مترنحة من أثر "اللاودانوم". بدت الحركة كأنها سباحة، والتفكير يستغرق ضعف الوقت المعتاد.

انتقل كيتاي إلى القفل حول معصمها الأيمن.

جلست بهدوء، تبذل قصارى جهدها لعدم التحرك. بعد نصف دقيقة سمعت صوتًا خارج الباب. أرهفت سمعها. سمعته مرة أخرى — خطوات.

— "كيتاي..."

— "أعرف."

انزلقت أصابعه المتعرقة وتعثرت وهو يحاول تحريك الإبرة داخل القفل.

— "توقفي عن الحركة."

ازدادت الخطوات قربًا وصوتًا.

جذب كيتاي القفل بقوة، لكن السلاسل ظلت صامدة.

— "تبًا!"

أسقط الإبرة.

— "تبًا، تبًا..."

اعتصر الذعر صدر رين.

— "إنهم قادمون."

— "أعرف."

حدق في القيد الحديدي للحظة، وهو يتنفس بصعوبة. ثم خلع قميصه من فوق رأسه، ولفه في عقدة سميكة، وضغط به على وجهها.

— "افتحي فمك."

— "ماذا؟"

— "حتى لا تقطعي لسانك عضًا."

رمشت بعينيها. أوه.

لم تجادل. لم يكن هناك وقت للتفكير، ولا وقت لابتكار خطة أفضل. هذه هي النهاية. تركت كيتاي يحشر القماش في فمها إلى أقصى حد ممكن حتى ضغط على لسانها، مثبتًا أسنانها في مكانها.

سأل:

– "هل أخبركِ متى؟"

أغمضت عينيها وهزت رأسها نفيًا.

– "حسنًا."

مرت عدة ثوانٍ. ثم داس بقوة على يدها.

ومض عقلها بالبياض. انتفض جسدها. تقوس ظهرها، وراحت ساقاها ترفسان الهواء بجنون دون سيطرة. سمعت نفسها تصرخ عبر القماش، لكن بدا الصوت قادمًا من مكان بعيد جدًا. لثوانٍ قليلة انفصلت عن ذاتها؛ كانت صرخة شخص آخر، ويد شخص آخر هي التي تحطمت. ثم تصالح عقلها مع جسدها، وبدأت تضرب يدها الأخرى بالأرض، يائسة للحصول على أي ألم ثانوي يغطي على حدة الألم الأول.

– "توقفي عن ذلك... رين، توقفي!"

أمسك كيتاي بكتفها وثبتها.

تسربت الدموع من جانبي عينيها. لم تستطع الكلام؛ وبالكاد استطاعت التنفس.

– "هل سمعت ذلك؟" بدت الأصوات في الممر قريبة بشكل مرعب.

– "سأدخل."

– "افعل ما شئت، لكنني لن أدخل معك."

– "إنها مخدرة..."

– "هل يبدو صوتها مخدرًا؟ اذهب واستدعِ القائد."

تردد صدى خطوات تبتعد في الممر.

همّس كيتاي:

– "علينا فعل هذا بسرعة."

كان وجهه شاحبًا كالموتى. كان يشعر بهذا أيضًا؛ لابد أنه يتألم بشدة، ولم تكن رين تعلم كيف استطاع كتم ألمه.

أومأت وأغلقت عينيها مرة أخرى، تلهث بينما يشد هو يديها. انطلقت طعنات جديدة من الألم صعودًا في ذراعها.

ارتكبت خطأ النظر، فرأت عظمًا أبيض يخترق لحمها. نبضت رؤيتها بالسواد.

قال كيتاي:

– "حاولي تحرير نفسك بالهز."

جذبت ذراعها بحذر وكادت تصرخ من الإحباط. كانت لا تزال عالقة.

قال:

– "أعيدي تلك الخرقة إلى فمك."

أطاعت. وداس مرة أخرى.

هذه المرة انكسرت اليد تمامًا. شعرت بذلك، طقطقة واضحة ترددت أصداؤها في بقية جسدها. أمسك كيتاي بمعصمها بقوة وحرر يدها بجذبة واحدة عنيفة.

بطريقة ما، خرجت كل القطع وهي لا تزال متصلة بذراعها. لف أصابعها المهروسة بقميصه.

– "احشري هذا في مرفقك. اضغطي عندما تستطيعين، سيوقف النزيف."

كانت دائخة من الألم لدرجة أنها لم تستطع الوقوف. رفعها كيتاي من إبطيها لتستقيم.

– "هيا."

استندت عليه، غير مستجيبة. صفعها كيتاي بخفة على وجهها حتى فتحت عينيها.

سأل:

– "هل يمكنك التسلق؟ أرجوك يا رين، يجب أن نذهب."

أنت:

– "لدي ذراع واحدة وما زلت منتشية."

سحبها نحو النافذة.

— "أعرف. أشعر بذلك أنا أيضًا."

نظرت إليه وأدركت أن يده كانت تتدلى هامدة بجانبه. وأن وجهه كان شاحبًا، ومغطى بالعرق. كانا مرتبطين. ألمها هو ألمه. لكنه كان يقاوم.

إذًا يمكنها هي أيضًا. كانت مدينة له بذلك.

قالت:

— "أستطيع التسلق."

قال:

— "سيكون الأمر سهلًا."

ظهر الارتياح واضحًا على وجهه.

— "تعلمنا هذا في (سينغارد). لفي الحبل حول قدمك لتصنعي منصة صغيرة. ستقفين على حوالي بوصة منه. انزلقي قليلًا في كل مرة."

مزق مربعًا من القميص وضغطه في يدها السليمة.

— "هذا لحماية يدك من حروق الحبل. انتظري حتى أصل للأسفل تمامًا لكي ألتقطك."

ربت على خديها عدة مرات ليعيدها إلى الوعي ثم سحب نفسه خارج النافذة.

لم يكن لدى رين أي فكرة كيف نزلت الجدار. تحركت أطرافها ببطء يشبه الحلم، وكانت الأحجار تسبح أمام عينيها. عدة مرات كاد الحبل أن يفلت من ساقها وتدور بشكل مرعب في الهواء حتى يشد كيتاي الحبل بإحكام. عندما لم تعد قادرة على التمسك أكثر، قفزت الأقدام الستة الأخيرة واصطدمت بـ كيتاي. انطلق الألم في كاحليها.

— "هدوء."

وضع كيتاي يده على فمها قبل أن تتمكن من الشهيق. وأشار إلى الظلام.

— "هناك قارب ينتظر في ذلك الاتجاه، لكن عليكِ عبور المنصة دون أن يلاحظك أحد."

أدركت حينها أنهما يقفان على منصة الإعدام. التفتت خلفها. رأت جثتين. لم يكلفوا أنفسهم عناء إزالتهما.

همس كيتاي:

— "لا تنظري."

لكنها لم تستطع ألا تنظر، ليس وهما يقفان بهذه القربة. كان سوني وباجي ممددين، محطمين في أكوام بنية من دمائهما. آخر (شامان) من الـ (سيك)، ضحايا لغبائها.

جالت بنظرها في الفناء. لم تستطع رؤية الدورية الليلية، لكن بالتأكيد سيعودون للدوران حول القصر في أي لحظة.

— "ألن يرونا؟"

قال كيتاي:

— "لدينا تمويه."

قبل أن تسأل، وضع أصابعه في فمه وأطلق صفيرًا.

ظهر شخص عند الطرف الآخر من الفناء كما لو كان ينتظر الإشارة. خطى إلى ضوء القمر، وبرزت ملامحه بوضوح. رامسا.

تحركت رين نحوه، لكن كيتاي سحبها للخلف من ذراعها. التقت عينا رامسا بعينيها، وهز رأسه، وأشار إلى صف من الحراس يظهرون من الزاوية البعيدة.

تجمدت رين. كانوا ثلاثة ضد عشرين حارسًا، نصفهم من "الهسبيريين" المسلحين بالبنادق، وهي لا تستطيع استدعاء النار.

ركع رامسا بهدوء وأخرج قنبلتين من جيبه.

جاهدت رين للإفلات من قبضة كيتاي.

— "ماذا يفعل؟ سيقتل نفسه."

لم يتزحزح كيتاي.

— "أعرف."

— "دعني أذهب، يجب أن أساعده..."

— "لا تستطيعين."

رن صراخ عبر الليل. أحد الحراس رأى رامسا. انطلقت مجموعة الدورية تركض، وسيوفهم مشهرة.

ركع رامسا على الأرض. عملت أصابعه بيأس على الفتيل. تطاير الشرر حوله، لكن القنابل لم تشتعل.

شدت رين يدي كيتاي.

— "كيتاي، أرجوك..."

سحبها أبعد إلى الظل.

— "ليس هو من نحاول إنقاذه."

رأت وميض بارود. لقد أطلق الحراس "الهسبيريون" النار.

وقف رامسا. بطريقة ما أخطأته الجولة الأولى من الطلقات. وتمكن من إشعال الفتيل. ضحك ببهجة، رافعًا قنابله فوق رأسه.

مزقته الجولة الثانية من النيران.

تباطأ الزمن بشكل رهيب. رأت رين كل شيء يحدث بتفصيل بطيء، ومتعمد، ومعقد. رصاصة حطمت فك رامسا وخرجت من الجانب الآخر في رذاذ أحمر. وأخرى اخترقت عنقه. وثالثة استقرت في صدره. تعثر رامسا للخلف. سقطت القنابل من يديه وارتطمت بالأرض.

ظنت رين أنها رأت أثر لهب ضئيل عند نقطة الاشتعال. ثم توسعت كرة من النار كزهرة تتفتح، واستهلك انفجارها الفناء.

— "رامسا..."

تراخت مستندة إلى كتف كيتاي، وذراعاها ممدودتان نحو موقع الانفجار. تحرك فمها ودفعت الهواء عبر حلقها، لكنها لم تسمع صوتها إلا بعد لحظة طويلة من حديثها.

— "رامسا، لا..."

جذبها كيتاي لتستقيم.

– "لقد اشترى لنا فرصة للهرب. لنذهب."

***

كان القارب الصغير الذي ينتظرهم خلف منعطف القناة مخفيًا جيداً في الظلال لدرجة أن رين ظنت لثوانٍ مرعبة أنه ليس هناك على الإطلاق. ثم وجه المراكبي المركب للخروج من تحت أوراق الصفصاف، وتوقف أمامهم، ومد يده. كان يرتدي زيًا عسكريًا "هسبيريًا"، لكن وجهه كان مخفيًا تحت خوذة رامي سهام "نيكاري".

– "آسفة لأننا لم نصل إليكم قبل ذلك."

المراكبي كان امرأة. رفعت فينكا خوذتها للحظة قصيرة وغمزت.

– "اصعدا."

تعثرت رين، المنهكة جداً لدرجة تمنعها من الشعور بالحيرة، وصعدت بسرعة إلى القارب. قفز كيتاي خلفها ورمى الحبل الجانبي في الماء.

سألها:

– "من أين حصلتِ على هذا الزي؟ لمسة لطيفة."

– "ذهبت لصيد الجثث."

دفعت فينكا القارب بعيداً عن الشاطئ ووجهته بسرعة أسفل القناة.

انهارت رين على مقعد، لكن فينكا لكزتها بقدمها.

– "انزلي على الأرض. غطي نفسك بذلك الغطاء."

انكمشت في المساحة بين المقاعد. وساعدها كيتاي في سحب الغطاء فوق رأسها.

سألت رين:

– "كيف عرفتِ أين تجدينا؟"

قالت فينكا:

– "والدي نبهني. علمت أن شيئًا غريبًا يحدث في البرج، لكنني لم أستطع تحديد ماهيته. بمجرد أن فهمت جوهر الأمر ركضت ووجدت كيتاي قبل أن

يتمكن رجال فايسرا من ذلك، لكننا لم نستطع معرفة مكان احتجازك حتى جرب كيتاي ذلك الشيء بجلده. حيلة بارعة، بالمناسبة."

قالت رين:

— "تدركين أنكِ أعلنتِ للتو خيانتكِ لبلدك."

ردت فينكا:

— "يبدو هذا أقل مخاوفنا شأنًا."

قال كيتاي:

— "لا يزال بإمكانك العودة. أنا جاد يا فينكا. عائلتك كلها هنا، لا شأن لك بالهرب معنا. يمكنني تولي القارب من هنا، ويمكنك القفز..."

قالت بحدة:

— "لا."

أصر قائلًا:

— "فكري مليًا في الأمر. لا يزال لديك إنكار معقول. يمكنك المغادرة الآن؛ لا أحد يعرف أنك على هذا القارب. لكن إذا جئتِ معنا فلن يمكنك العودة أبدًا."

قالت فينكا باستخفاف:

— "يا للأسف."

ثم التفتت إلى رين، واكتسى صوتها بنبرة قاسية:

— "سمعت ما فعلتِه بذلك الجندي الهسبيري."

قالت رين:

— "أجل. وماذا في ذلك؟"

— "أحسنت صنعًا. آمل أنه تألم."

— "بدا وكأنَه تألم."

أومأت فينكا بصمت. لم يكن لدى أي منهما شيء آخر لتقوله حول هذا الموضوع.

سألت فينكا كيتاي بعد صمت:

— "أي حظ مع الآخرين؟"

هز رأسه.

— "لم يكن هناك وقت. الوحيد الذي استطعت الوصول إليه كان غوروباي. يجب أن يكون مع السفينة الآن إذا تجاوز الحراس..."

كررت رين:

— "غوروباي؟ عما تتحدثان؟"

شرح كيتاي:

— "فايسرا يطارد أمراء الحرب الجنوبيين. لقد فاز بإمبراطوريته. والآن يعزز سلطته. بدأ بكِ، والآن هو فقط ينظف البقية. حاولت تحذيرهم، لكنني لم أستطع الوصول إليهم في الوقت المناسب."

— "هل ماتوا؟"

— "ليس كلهم. لديهم شاروك في الزنازين. لا أعرف إن كانوا سيعدمونه أم يتركونه يتعفن، لكنهم بالتأكيد لن يطلقوا سراحه أبدًا. أمير حرب الديك قاوم، فأطلقوا النار عليه عندما بدأت أعمال الشغب..."

— "أعمال شغب؟ ما الذي يحدث بحق الجحيم؟"

قالت فينكا:

— "المخيمات تحولت إلى منطقة حرب. ضاعفوا الحراسة حول منطقة اللاجئين — قالوا إن ذلك من أجل السلامة، لكن بمجرد دخول القوات لأخذ أمراء الحرب عرف الجميع ما يحدث. بدأت القوات الجنوبية التمرد. كنا نسمع دوي البارود طوال الليل — أعتقد أن فايسرا أطلق الهسبيريين عليهم."

كافحت رين لاستيعاب كل هذا. بدا أن العالم قد انقلب رأسًا على عقب في غضون ساعات قليلة.

— "إنهم يقتلونهم وحسب؟ المدنيين أيضًا؟"

— "هذا مرجح."

— "إذًا ماذا عن كيسيغي؟" سألت رين. "هل خرج؟"

عبست فينكا.

— "من؟"

ابتلعت رين ريقها.

— "أنا... لا أحد. لا يهم."

قالت فينكا بنبرة مشرقة:

— "فكري في الأمر بهذه الطريقة. على الأقل اشترى ذلك لكِ بعض التشتيت."

تراجعت رين تحت الغطاء واستلقت ساكنة، تعد أنفاسها لتشتت انتباهها عن الفوضى التي كانت يدها. أرادت أن تنظر إليها، لتقييم الضرر في أصابعها المهروسة، لكنها لم تستطع حمل نفسها على فك القماش الدامي. كانت تعلم أنه لا سبيل لإنقاذ تلك اليد. لقد رأت العظام المكسورة.

صاح كيتاي بإلحاح:

— "فينكا؟"

— "ماذا؟"

— "ظننت أنكِ غطيتِ كل الثغرات."

— "فعلت."

جلست رين. كانوا قد تحركوا أسرع مما ظنت — كان القصر مشهدًا بعيدًا، وكانوا يبحرون بالفعل بمحاذاة حوض بناء السفن. التفتت لترى ما الذي يحدق فيه فينكا وكيتاي.

كان نزهة يقف وحيدًا في نهاية الرصيف.

نهضت رين بسرعة، ويدها السليمة ممدودة للخارج. كانت لا تزال تترنح من "اللاودانوم"، لكنها استطاعت استدعاء أصغر همسات اللهب في كفها، وربما تخرج سيلًا أكبر إذا ركزت...

طرحها كيتاي أرضًا تحت الغطاء.

— "انخفضي!"

– "سأقتله." اندفعت النار من كفها وشفتيها. "سأقتله..."

– "لا، لن تفعلي." تحرك لتثبيت معصميها.

دون تفكير، راحت تلكم كيتاي بكلتا قبضتيها، محاولة التحرر. ثم ارتطمت يدها المصابة بجانب القارب، وكان الألم مروعًا لدرجة أن كل شيء أصبح أبيض للحظة. وضع كيتاي يده على فمها قبل أن تصرخ. انهارت بين ذراعيه. ضمها إليه وهزها ذهابًا وإيابًا بينما كتمت صرخاتها في كتفه.

أطلقت فينكا سهمين في تتابع سريع عبر الميناء. أخطأ كلاهما الهدف بياردة. أمال نزهة رأسه للجانب عندما صفرا بجانبه، لكنه ظل واقفًا في مكانه. لم يتحرك طوال الوقت الذي عبر فيه القارب حوض السفن نحو الغطاء المظلم لظلال المنحدرات على الجانب الآخر من القناة.

قال كيتاي:

– "إنه يدعنا نذهب. لم يطلق حتى جرس الإنذار."

سألت فينكا:

– "تظن أنه في صفنا؟"

قالت رين بحسم:

– "ليس كذلك. أعلم أنه ليس كذلك."

علمت يقينًا أنها فقدت نزهة للأبد. بمقتل جينغا وموت مينغجا منذ زمن، كان نزهة آخر وريث ذكر لبيت "يين". كان على وشك أن يرث أقوى أمة على هذا الجانب من المحيط العظيم ويصبح الحاكم الذي استعد طوال حياته ليكون عليه.

لماذا يرمي بكل ذلك من أجل صديق؟ هي نفسها لم تكن لتفعل.

قالت:

– "هذا خطئي."

قال كيتاي:

– "ليس خطأك. كلنا ظننا أنه يمكننا الوثوق بذلك الوغد."

– "لكنني أعتقد أنه حاول تحذيري."

— "عما تتحدثين؟ لقد طعنك."
أخذت نفسًا عميقًا.
— "الليلة التي سبقت وصول الأسطول. جاء ليبحث عني. قال إن لدي أعداء أكثر مما أظن. أعتقد أنه كان يحاول تحذيري."
زمت فينكا شفتيها.
— "إذًا لم يحاول بجدية كافية."

***

كانت سفينتان بهياكل عميقة وجوانب رفيعة تنتظرانهم خارج القناة. كلاهما ترفع علم مقاطعة التنين.
قالت رين بحيرة:
— "تلك كاشطات أفيون. لماذا هي..."
— "تلك أعلام مزيفة. إنها سفن الأسطول الأحمر."
ساعدها كيتاي على الوقوف بينما اصطدم القارب بهيكل أقرب كاشطة. صفر كيتاي نحو السطح. بعد عدة ثوانٍ، سقطت أربعة حبال في الماء حولهم.
ربطتها فينكا بخطافات على الجوانب الأربعة للقارب. صفر كيتاي مرة أخرى، وببطء بدأوا في الارتفاع.
غمزت سارانا لـ رين وهي تساعدها على الصعود.
— "مواغ ترسل تحياتها. تلقينا رسالتك. توقعنا أنكِ سترغبين في توصيلة للجنوب. لم نظن فقط أن الأمور ستسوء لهذه الدرجة."
كانت رين تشعر بارتياح عميق ودهشة صريحة لأن "الزنابق" قد جاءت من أجلها أصلًا. لم تتذكر لماذا كرهت سارانا يومًا؛ في هذه اللحظة أرادت فقط تقبيلها.
— "إذًا قررتم الدخول في عراك مع عملاق؟"
— "تعرفين كيف هي مواغ. تريد دائمًا التقاط الأوراق الرابحة، خاصة عندما يُلقى بها خارجًا."
سأل كيتاي:

– "هل نجا غوروباي؟"

– "أمير حرب القرد؟ نعم، إنه في الأسفل. ملطخ بالدماء قليلًا، لكنه سيكون بخير." وقعت نظرة سارانا على يد رين الملفوفة. "أثداء النمر. ما الذي يوجد هناك؟"

قالت رين:

– "لا ترغبين في الرؤية."

سأل كيتاي:

– "هل لديكم طبيب على متن السفينة؟ لدي تدريب إسعافات أولية، لكنني سأحتاج لمعدات – ماء مغلي، ضمادات..."

– "في الطابق السفلي. سأخذها." وضعت سارانا ذراعها حول رين وساعدتها عبر السطح.

نظرت رين خلف كتفها وهما تمشيان، تحدق في المنحدرات المبتعدة. بدا من غير المعقول أنهم لم يُلاحقوا خارج القناة. بالتأكيد علم فايسرا بهروبها الآن. يجب أن تتدفق القوات من الثكنات. ستتفاجأ إذا لم تكن المدينة بأكملها تحت الحصار. سيمشط "الهسبيريون" المدينة، والمنحدرات، والمياه حتى يستعيدوها.

لكن كاشطات الأسطول الأحمر كانت مرئية بوضوح تحت ضوء القمر. لم يكلفوا أنفسهم عناء الاختباء. لم يطفئوا حتى مصابيحهم.

تعثرت فوق نتوء في ألواح الأرضية.

سألت سارانا:

– "هل أنت بخير؟"

قالت رين:

– "سيمسكون بنا."

بدا كل شيء بلا معنى بشكل أحمق – هروبها، موت رامسا، اللقاء في النهر. سيقتحم "الهسبيريون" سفينتهم خلال ساعة. ما الفائدة؟

قالت سارانا:

— "لا تستهيني بكاشطة أفيون."

— "أسرع كاشطاتكم لا يمكنها تجاوز سرعة سفينة حربية هسبيرية."

— "ربما لا. لكن لدينا قليل من الوقت. سوء التواصل في القيادة يحدث دائمًا عندما يكون لديك جيشان وقادة غير مألوفين لبعضهم البعض. الهسبيريون لا يعرفون أنها ليست سفينة جمهورية، والجمهوريون لن يعرفوا ما إذا كان الهسبيريون قد أعطوا إذنًا لإطلاق النار، أو ما إذا كانوا يحتاجون إليه أصلًا. الجميع يفترض أن شخصًا آخر يتولى الأمر."

كانت خطة سارانا هي الهروب عبر عدم كفاءة سلسلة القيادة. لم تدرِ رين أتبكي أم تضحك.

— "هذا لا يشتري لك الهروب، هذا يشتري لك ربما نصف ساعة."

أشارت سارانا إلى الكاشطة الأخرى.

— "بالتأكيد. ومن هنا تأتي السفينة الثانية."

— "ما تلك، طُعم؟"

قالت سارانا بمرح:

— "تقريبًا. سرقنا الفكرة من فايسرا. بعد ثانية سنخفي كل أضوائنا على السطح، لكن تلك السفينة ستتظاهر بأنها مستعدة للقتال. إنها مجهزة بضعف القوة النارية للكاشطة المعتادة. لن يقتربوا بما يكفي للصعود عليها، لذا سيضطرون لنسفها من الماء."

فكرت رين أن ذلك ذكي. إذا لم يلاحظ "الهسبيريون" الكاشطة الثانية وهي تهرب في الليل، فقد يستنتجون أنها غرقت.

سألت:

— "ماذا عن طاقمها إذًا؟ ذلك الشيء مأهول، أليس كذلك؟ ستضحين بـ (الزنابق) وحسب؟"

بدا وجه سارانا وكأن ابتسامتها نُحتت عليه.

— "ابتهجي. مع الحظ، سيظنون أنه أنتِ."

***

وضعت طبيبة "الزنابق" يد رين على طاولة، وفكت اللفائف بحذر، وشهقت بحدة عندما رأت الضرر.

– "هل أنت متأكدة أنك لا تريدين أي مهدئات؟"

أدارت رين رأسها لتواجه الجدار. كان التعبير على وجه الطبيبة أسوأ من منظر أصابعها المهروسة.

– "لا. فقط أصلحيها."

حذرت الطبيبة:

– "إذا تحركتِ، سأضطر لتخديرك."

– "لن أفعل." ضغطت رين على أسنانها. "فقط أعطني كمامة. أرجوك."

بدت الطبيبة بالكاد أكبر من سارانا، لكنها تصرفت بحركات خبيرة وفعالة جعلت رين تشعر ببعض الارتياح.

أولًا غمرت الجروح بنوع من الكحول الصافي الذي لسع بشدة لدرجة أن رين كادت تعض القماش وتمزقه. ثم قامت بخياطة الأماكن التي انشق فيها اللحم ليكشف العظم. كانت يد رين تؤلمها بشدة من الكحول لدرجة كادت تغطي على الألم، لكن منظر الإبرة وهي تغوص مرارًا في لحمها أصابها بغثيان شديد لدرجة اضطرتها للتوقف في المنتصف للتقيؤ الجاف.

أخيرًا، استعدت الطبيبة لجبر العظام.

– "سترغبين في التمسك بشيء ما."

أمسكت رين بحافة الكرسي بيدها السليمة. ودون سابق إنذار، ضغطت الطبيبة لأسفل.

جحظت عينا رين. لم تستطع منع ساقيها من رفس الهواء بجنون. انهمرت الدموع على خديها.

تمتمت الطبيبة وهي تربط جبيرة قماشية فوق اليد المجبورة:

– "أنتِ تبلين حسنًا. الجزء الأسوأ قد انتهى."

ضغطت يد رين بين لوحين خشبيين وربطتهما معًا بعدة حلقات من الخيط لتثبيت اليد. كانت أصابع رين مفرودة للخارج، مجمدة في موضعها.

قالت الطبيبة:

— "انظري كيف تشعرين بذلك. آسفة لأنها تبدو خرقاء. يمكنني صنع شيء أخف وزنًا، لكن سيستغرق بضعة أيام، وليس لدي المواد على السفينة."

رفعت رين الجبيرة لعينيها. بين الألواح لم تستطع رؤية سوى أطراف أصابعها. حاولت تحريك أصابعها، لكنها لم تستطع التمييز ما إذا كانت تطيعها أم لا.

سألت الطبيبة:

— "هل يمكنني إزالة الكمامة؟"

أومأت رين.

سحبتها الطبيبة من فمها.

سألت رين بمجرد أن استطاعت الكلام:

— "هل سأكون قادرة على استخدام هذه اليد؟"

— "لا يمكن التنبؤ كيف ستشفى. معظم أصابعك سليمة في الواقع، لكن وسط يدك مشقوق تمامًا من المنتصف. إذا..."

قاطعتها رين:

— "هل سأفقد هذه اليد؟"

— "هذا محتمل. أعني، لا يمكن التنبؤ أبدًا..."

— "أفهم." جلست رين للخلف، محاولة عدم الذعر. "حسنًا. هذا... هذا لا بأس به. هذا..."

قالت الطبيبة محاولة أن تبدو مطمئنة، لكن كلماتها الهادئة جعلت رين ترغب في الصراخ:

— "قد ترغبين في التفكير في بترها إذا شفيت ولم تستعيدي حركتها. قد يكون ذلك أفضل من التجول بـ... آه، لحم ميت. إنه أكثر عرضة للالتهابات، والألم المتكرر قد يكون سيئًا لدرجة أنك ستتمنين ذهابها تمامًا."

لم تدرِ رين ما تقول. لم تعرف كيف يفترض بها استيعاب معلومة أنها أصبحت الآن، فعليًا، بيد واحدة، وأن عليها إعادة تعلم كل شيء إذا أرادت القتال بسيف مرة أخرى.

لا يمكن أن يحدث هذا. لا يمكن أن يحدث هذا لها.

قالت الطبيبة:

— "تنفسي ببطء."

أدركت رين أنها كانت تلهث بسرعة.

وضعت الطبيبة يدًا على معصمها.

— "ستكونين بخير. الأمر ليس سيئًا كما تظنين."

رفعت رين صوتها.

— "ليس سيئًا؟"

— "معظم مبتوري الأطراف يتعلمون التكيف. مع الوقت، سوف..."

صرخت رين:

— "من المفترض أن أكون جندية! ما الذي يفترض بي فعله الآن بحق الجحيم؟"

قالت الطبيبة:

— "يمكنكِ استدعاء النار. لماذا تحتاجين لسيف؟"

***

كانت فينكا تتحدث عندما دخلت رين، رغم احتجاجات الطبيبة، إلى مقصورة القبطان.

— "ظننت أن الهسبيريين هنا فقط للدعم العسكري ومفاوضات التجارة. هذه المعاهدة تحولنا أساسًا إلى مستعمرة."

نظرت للأعلى.

— "أليس من المفترض أن تكوني نائمة؟"

قالت رين:

— "لم أرغب في ذلك. عمَ نتحدث؟"

قال كيتاي:

— "قالت الطبيبة إن اللاودانوم سيبقيكِ غائبة لساعات."

جلست بجانبه.

— "لم آخذه. لقد اكتفيت من المواد الأفيونية لفترة."

— "معقول."

ألقى نظرة على جبيرتها، ثم ثنى أصابعه. لاحظت رين العرق الذي يغمر زيه، وعلامات الهلال حيث غرس أظافره في كفه. لقد شعر بكل ثانية من ألمها.

نظفت حلقها وغيرت الموضوع.

— "لماذا نتحدث عن المعاهدات؟"

قال أمير حرب القرد:

— "تاركيت طالب بحصته في القارة."

بدا غوروباي مريعًا. غطت بقع الدم الجاف كلتا يديه والجانب الأيسر من وجهه، وكان تعبيره أجوف ومنهكًا. لقد نجا من القمع، لكن بصعوبة بالغة.

— "شروط المعاهدة كانت شنيعة. حصل الهسبيريون على حقوقهم التجارية — تنازلنا عن حقوقنا في أي رسوم جمركية، لكنهم يحتفظون بحقوقهم. كما فازوا بحق بناء قواعد عسكرية في أي مكان يريدونه على الأراضي النيكارية."

قال كيتاي:

— "أراهن أنهم حصلوا على إذن للمبشرين أيضًا."

— "فعلوا. وأرادوا الحق في تسويق الأفيون في الإمبراطورية مرة أخرى."

قالت رين:

— "بالتأكيد قال فايسرا لا."

قال غوروباي:

– "وقع فايسرا على كل بند. لم يبدِ أي مقاومة حتى. أتظنين أنه كان يملك خيارًا؟ لم يعد يملك حتى السيطرة الكاملة على الشؤون الداخلية. كل ما يفعله يجب أن يوافق عليه مندوب من الكونسورتيوم."

رفع كيتاي يديه في الهواء.

– "إذًا (نيكان) انتهت. كل شيء انتهى."

سألت رين:

– "لماذا قد يرغب فايسرا في هذا؟"

لم يبدُ أي من هذا منطقيًا لها.

– "فايسرا يكره التخلي عن السيطرة."

أمال غوروباي ظهره في كرسيه.

– "لأنه يعلم أن تكون إمبراطورًا دمية أفضل من ألا تملك شيئًا على الإطلاق. ولأن هذا الترتيب يغمره بالكثير من الفضة لدرجة سيختنق بها. ولأنه الآن يملك الموارد العسكرية اللازمة لأخذ بقية الإمبراطورية. أنتم جميعًا أصغر من أن تتذكروا أيام الاحتلال المشترك. لكن الأمور تعود تمامًا لما كانت عليه قبل سبعين عامًا."

قال كيتاي:

– "سنكون عبيدًا في بلادنا."

قال غوروباي:

– "كلمة (عبيد) وصف قوي. الهسبيريون لا يميلون كثيرًا للعمل القسري، على الأقل في هذه القارة. يفضلون الاعتماد على قوى الإكراه الاقتصادي. المهندس الإلهي يقدر الاختيار العقلاني والطوعي، وكل ذلك الهراء."

قالت رين:

– "هذا لعين."

– "كان أمرًا محتومًا منذ اللحظة التي دعاهم فيها فايسرا لقاعته. رأى أمراء الحرب الجنوبيون هذا قادمًا. حاولنا تحذيركم. لكنكم لم تستمعوا."

تحركت رين بعدم ارتياح في مقعدها. لكن نبرة غوروباي لم تكن اتهامية، بل مستسلمة وحسب.

قال:

— "لا يمكننا فعل شيء حيال ذلك الآن. نحتاج للعودة للجنوب أولًا. وتطهير الاتحاد. وجعله آمنًا لعودة شعبنا."

سأل كيتاي:

— "ما الفائدة؟ أنتم المركز الزراعي للإمبراطورية. حاربوا الاتحاد وستسدون لـ فايسرا معروفًا فقط. سيأتي من أجلكم عاجلًا أم آجلًا."

قالت رين:

— "إذًا سنقاوم. يريدون الجنوب، سيضطرون للنزف من أجله."

منحها غوروباي ابتسامة قاتمة.

— "يبدو هذا صحيحًا."

قال كيتاي:

— "سنواجه فايسرا والكونسورتيوم بأكمله."

ترك الفكرة تستقر للحظة، ثم أطلق قهقهة مجنونة عالية النبرة.

— "لا يمكن أن تكوني جادة."

قالت رين:

— "ليس لدينا أي خيارات أخرى."

قالت فينكا:

— "يمكنكم جميعًا الهرب. اذهبوا إلى (أنخيلون)، واجعلوا (الزنابق السوداء) تخفيكم. تواروا عن الأنظار."

هز غوروباي رأسه.

— "لا يوجد شخص واحد في الجمهورية لا يعرف من هي رين. مواغ في صفنا، لكنها لا تستطيع منع كل حثالة في (أنخيلون) من الكلام. ستصمدون لشهر على الأكثر."

قالت رين:

— "أنا لن أهرب."

لم تكن لتدع فايسرا يطاردها مثل كلب.

قال كيتاي:

— "ولن تخوضي حربًا أخرى أيضًا. رين. لديكِ يد واحدة صالحة."

— "لا تحتاج لكلتا اليدين لقيادة القوات."

— "أي قوات؟"

أشارت حول السفينة.

— "أفترض أننا سنحصل على الأسطول الأحمر."

سخر كيتاي.

— "أسطول قوي لدرجة أن مواغ لم تجرؤ قط على التحرك ضد داجي."

— "لأن (أنخيلون) لم تكن على المحك قط. الآن هي كذلك."

انفعل كيتاي:

— "حسنًا. لديكِ أسطول ربما بعُشر حجم ما يمكن أن يجلبه الهسبيريون. ماذا لديكِ أيضًا؟ فتيان مزارع؟ فلاحون؟"

— "فتيان المزارع والفلاحون يصبحون جنودًا طوال الوقت."

— "نعم، مع منحهم الوقت للتدريب والأسلحة، وكلاهما لا تملكينه."

سألت رين بهدوء:

— "ماذا تريد منا أن نفعل إذًا؟ نموت بصمت وندع فايسرا يفعل ما يحلو له؟"

— "هذا أفضل من التسبب في مقتل المزيد من الحمقى في حرب لا يمكنكِ الفوز بها."

قال غوروباي:

— "لا أعتقد أنك تدرك مدى ضخامة قاعدة قوتنا."

سأل كيتاي:

— "حقًا؟ هل فاتني الجيش الذي تخفونه في مكان ما؟"

– "اللاجئون الذين رأيتهم في (أرلونغ) لا يمثلون حتى واحداً في الألف من سكان الجنوب. هناك مائة ألف رجل حملوا الفؤوس لصد الاتحاد عندما أصبح واضحًا أننا لن نحصل على مساعدة. سيقاتلون من أجلنا."

أشار إلى رين.

– "سيقاتلون من أجلها خصوصًا. لقد أصبحت أسطورة في الجنوب بالفعل. الطائر القرمزي. إلهة النار. إنها المخلص الذي كانوا ينتظرونه. إنها الرمز الذي كانوا ينتظرونه طوال هذه الحرب ليتبعوه. ماذا تظن سيحدث عندما يرونها شخصيًا؟"

قال كيتاي:

– "لقد مرت رين بما يكفي. لن تحولها إلى نوع من الرموز الصورية..."

قاطعت رين:

– "لست رمزًا صوريًا. سأكون جنرالًا. سأقود الجيش الجنوبي بأكمله. أليس كذلك؟"

أومأ غوروباي.

– "إذا قبلتِ ذلك."

أمسك كيتايٍ بكتفها.

– "هل هذا ما تريدين أن تكونيه؟ أمير حرب آخر في الجنوب؟"

لم تفهم رين ذلك السؤال.

لماذا يهم ما تريده؟ كانت تعرف ما لا يمكنها أن تكونه. لا يمكنها أن تكون سلاح فايسرا بعد الآن. لا يمكنها أن تكون أداة لأي جيش؛ لا يمكنها إغلاق عينيها وإعارة قدراتها التدميرية لشخص آخر يخبرها أين ومتى تقتل.

ظنت أن كونها سلاحًا قد يمنحها السلام. أنه قد يلقي بعبء القرارات الملطخة بالدماء على شخص آخر فلا تكون مسؤولة عن الموت على يديها. لكن كل ما فعله ذلك هو جعلها عمياء، وغبية، وسهلة التلاعب بها.

كانت أقوى بكثير مما سمح لها أي شخص — ألتان، فايسرا — أن تكون. لقد انتهت من تلقي الأوامر. أي شيء تفعله تاليًا سيكون خيارها المستقل والوحيد.

قالت:

— "الجنوب سيذهب للحرب بغض النظر. سيحتاجون لقائد. لمَ لا يكون أنا؟"

قال كيتاي:

— "إنهم غير مدربين. غير مسلحين، وربما يتضورون جوعًا..."

— "إذًا سنعسرق الطعام والمعدات. أو نشحنها للداخل. ميزات التحالف مع مواغ."

رمش في وجهها.

— "ستقودين فلاحين ولاجئين ضد مناطيد هسبيرية."

هزت رين كتفيها. كانت تعلم أنها مجنونة لتكون بهذا الاستخفاف. لكنهم كانوا محاصرين، وكان انعدام الخيارات مريحًا تقريبًا، لأنه يعني ببساطة أنهم يقاتلون أو يموتون.

— "لا تنسَ القراصنة أيضًا."

بدا كيتاي وكأنه على وشك اقتلاع كل خصلة شعر متبقية في رأسه.

قال غوروباي:

— "لا تفترض أنه لأن الجنوبيين غير مدربين فلن يكونوا جنودًا جيدين. ميزتنا تكمن في الأعداد. خطوط الصدع في هذا البلد لا تكمن في المستوى الذي كان فايسرا مستعدًا للاشتباك معه. الحرب الأهلية الحقيقية لن تُخاض على مستوى المقاطعات."

قال كيتاي:

— "لكن فايسرا ليس الإمبراطورية. الانقسام كان مع الإمبراطورية."

قالت رين فجأة:

— "لا، الانقسام مع أناس مثلنا. إنه الشمال والجنوب. ودائمًا ما كان كذلك."

كانت القطع تعمل ببطء عبر عقلها المشوش بالأفيون، لكن عندما ترابطت أخيرًا، جاء الإدراك كصدمة ماء بارد.

كيف استغرقها الأمر كل هذا الوقت لتدرك ذلك؟ كان هناك سبب لشعورها الدائم بعدم الارتياح في نصرة الجمهورية. كانت رؤية الحكومة الديمقراطية بناءً مصطنعًا، يترنح على عدم معقولية وعود فايسرا.

لكن قاعدة المعارضة الحقيقية جاءت من الناس الذين خسروا أكثر تحت الحكم الإمبراطوري. الناس الذين، الآن، يكرهون فايسرا أكثر من غيرهم.

في مكان ما هناك، مختبئة وسط حطام مقاطعة الديك، كانت هناك فتاة صغيرة، مرعوبة ووحيدة. تختنق بيأسها، وتشمئز من ضعفها، وتحترق غضبًا. وستفعل أي شيء للحصول على فرصة للقتال، للقتال بحق، حتى لو عنى ذلك فقدان السيطرة على عقلها.

وهناك الملايين غيرها مثلها.

كان حجم هذا الإدراك يصيب بالدوار.

أعادت خرائط الحرب ترتيب نفسها في عقل رين. اختفت الخطوط الإقليمية. كل شيء كان مجرد أسود وأحمر — أرستقراطية مميزة ضد فقر مدقع. توازنت الأرقام من جديد، والحرب التي ظنت أنها تخوضها بدت فجأة مختلفة جدًا جدًا.

رأت الاستياء على وجوه شعبها. الوهج في عيونهم عندما تجرؤوا على النظر للأعلى. لم يكونوا شعبًا يسعى للسلطة. ثورتهم لن تتشقق بسبب طموحات شخصية غبية. كانوا شعبًا يرفض أن يُقتل، وذلك جعلهم خطرين.

"لا يمكنكِ خوض حرب بمفردك"، قال لها نزهة ذات مرة.

لا، لكن يمكنها ذلك بآلاف الأجساد. وإذا سقط ألف، فسترمي ألفًا آخرين في وجهه، ثم ألفًا آخرين. مهما كان عدم تماثل القوة، الحرب بهذا المقياس

كانت لعبة أرقام، ولديها حيوات لتضحي بها. كانت تلك الميزة الوحيدة التي امتلكها الجنوب ضد "الهسبيريين" — أنهم كانوا كثرة كاثرة.

بدا أن كيتاي قد أدرك هذا أيضًا. انزلق عدم التصديق عن وجهه، ليحل محله استسلام قاتم.

قال:

— "إذًا نحن ذاهبون للحرب ضد نزهة."

قالت:

— "الجمهورية أعلنت الحرب علينا بالفعل. نزهة يعرف الجانب الذي اختاره."

لم تكن بحاجة لمناقشة هذا بعد الآن. أرادت هذه الحرب. أرادت مواجهة نزهة مرارًا وتكرارًا حتى تكون هي الوحيدة الواقفة في النهاية. أرادت مشاهدة وجهه المندوب يلتوي يأسًا وهي تنتزع منه كل ما يهتم لأجله. أرادته معذبًا، ومتقلصًا، وضعيفًا، وعاجزًا، ومتوسلًا على ركبتيه.

امتلك نزهة كل ما كانت تريده سابقًا. كان أرستقراطية، وجمالًا، وأناقة. نزهة كان الشمال. وُلد في بؤرة للسلطة، وجعله ذلك يشعر بأحقيته في استخدامها، لاتخاذ قرارات لملايين البشر الذين اعتبرهم أدنى منه.

سوف تنتزع تلك السلطة منه. ثم ستكيل له الصاع صاعين.

نطق "العنقاء":

— أخيرًا. كان صوت الإله خافتًا بسبب الختم، لكن رين استطاعت سماع كل رنة من ضحكته بوضوح. سبيرليتي الصغيرة العزيزة. أخيرًا نتفق.

كل بقايا المودة التي شعرت بها يومًا تجاه نزهة قد احترقت. عندما فكرت فيه لم تشعر سوى بكراهية قاسية ولذيذة.

قال العنقاء:

— دعيها تضطرم. دعيها تنمو.

الغضب، والألم، والكراهية — كل ذلك كان وقودًا لقوة عظيمة ورهيبة، وقد كانت تتفاقم في الجنوب لفترة طويلة جدًا.

قالت:

— "دع نزهة يأتي إلينا. سأحرق قلبه من صدره."

بعد صمت، تنهد كيتاي.

— "حسنًا. سنخوض الحرب إذًا ضد أقوى قوة عسكرية في العالم."

قالت رين:

— "إنهم ليسوا أقوى قوة في العالم."

شعرت بوجود الإله في مؤخرة عقلها — تواقًا، ومبتهجًا، ومتماشيًا أخيرًا وبشكل مثالي مع نواياها.

قال العنقاء: *معًا، سنحرق هذا العالم.*

ضربت بقبضتها على الطاولة.

— "بل أنا أقوى قوة في العالم."

-تمت-

جمهورية التنين

(الجزء الثاني من ثلاثية حرب الخشخاش)



ر. ف. كوانج

تواصل "رين" رحلتها بعد مذبحة "سنفارد" ودمار العاصمة، وتدخل عالمًا بلا قوانين، تسكنه خيانات الحلفاء وأشباح الماضي التي تلاحقها.

في "جمهورية التنين"، تتابع ر. ف. كوانج رسم عالم من فانتازيا عسكرية أسيوية الطابع، يفيض بالدماء والسحر والقرارات التي لا رجعة فيها. وسط تحالفات متصدعة، وأعداء لا يرحمون، تجد "رين" نفسها عالقة في حرب لا تشبه الحروب التي خاضتها من قبل، كل خطوة تقرّبها من الحقيقة، لكنها تجرّها أيضاً نحو هاوية لا قرار لها.

"جمهورية التنين" ليست فقط رواية عن الحرب، بل عن الجراح التي لا تلتئم، والعدالة المفقودة، والثمن الباهظ لكل انتصار.


9 789921 712957



info@daralkhan.com